

The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and
Graduate Studies
Faculty of Arts
PhD of Arabic Language



الجامعة الإسلامية بـغزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كلية الآداب
دكتوراة لغة عربية

القواعد التحويلية في خُطَبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
(دراسة وصفية تحليلية)

Transformational Grammar in the Prophet
Mohamed's Sermons: Analytical Descriptive
Study

إعداد الباحث
حسان مُحمد علي تايه

إشراف

الدكتور
إبراهيم رجب بخيت

الأستاذ الدكتور
جهاد يوسف العرجا

قُدِّمَ هذا البحثُ استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة في النحو والصرف
من كلية الآداب في الجامعة الإسلامية بـغزة

ذو القعدة/١٤٤٢ هـ - يونيو/٢٠٢١ م

إقرار

أنا الموقع أدناه مُقدِّم الرسالة التي تحمل العنوان:

القواعد التحويلية في خطب النبي صلى الله عليه وسلم (دراسة وصفية تحليلية)

Transformational Grammar in the Prophet Mohamed's Sermons: Analytical Descriptive Study

أقرُّ بأنَّ ما اشتملتُ عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما وُردَ، وأنَّ هذه الرسالة ككلَّ أو أيَّ جزءٍ منها لم يُقدِّمهُ الآخرون لنيل درجةٍ أو لقبٍ علميٍّ أو بحثيٍّ لدى أيِّ مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	حسان محمد علي تايه	اسم الطالب:
Signature:	حسان	التوقيع:
Date:	٢٠٢١/٦/١٦م	التاريخ:



هاتف داخلي: 1150

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
الرقم Ref

التاريخ 135/ع
Date 2021/06/16م

نتيجة الحكم على أطروحة دكتوراة

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ حسان محمد علي تايه لنيل درجة الدكتوراة في كلية الآداب/ قسم اللغة العربية وموضوعها:

القواعد التحويلية في خطب النبي صلى الله عليه وسلم
(دراسة وصفية تحليلية)

Transformational Grammar in the Prophet Mohamed's Sermons: Analytical Descriptive Study

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الاربعاء 6 ذو القعدة 1442 هـ الموافق 2021/06/16م الساعة التاسعة صباحاً، في قاعة اجتماعات كلية الآداب اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

.....
.....
.....
.....
.....

مشرفاً ورئيساً

مشرفاً

مناقشاً داخلياً

مناقشاً داخلياً

مناقشاً خارجياً

أ. د. جهاد يوسف العرجا

د. إبراهيم رجب بخيت

د. فوزي ابراهيم أبو فياض

د. يوسف جمعة عاشور

د. إبراهيم أحمد الشيخ عيد

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الدكتوراة في كلية الآداب/قسم اللغة العربية. واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. بسام هاشم السقا



ملخص الرسالة

يتناول هذا البحثُ القواعدَ التحويليةَ في خُطْبِ النبي ﷺ، مِنْ خلال كتاب: (خُطْبُ الرسول ﷺ، ٥٧٤ خُطبة مِنْ كنوز الدُرَر وجوامع الكلم)، الموسوم بِـ (إتحاف الأنام بِخُطْبِ رسول الإسلام سيدنا مُحَمَّدٍ عليه الصلاة والسلام)، جَمَعَهَا وَشَرَحَهَا: مُحَمَّدٌ خليل الخطيب.

وَقَدْ بُدِئَ البحثُ - قَبْلَ الولوجِ في الباب الأول - بتمهيدٍ حول قضية الاستشهاد في الحديث النبوي، ولم أرغب في إطالة الحديث في هذه القضية؛ لكثرة ما كُتِبَ فيها، ثُمَّ قَسَمْتُ البحثَ إلى بابَيْنِ، يتكوّنُ الباب الأول مِنْ أربعة فصول، وهي: الفصل الأول: الخُطابة بين الثقافتين الغربية والعربية، والفصل الثاني: الدراسات اللغوية عند تشومسكي، والفصل الثالث: النظرية التوليدية التحويلية، والفصل الرابع: العلاقة بين النظرية التحويلية والنحو العربي.

أما البابُ الثاني فيتكون مِنْ ثلاثة فصول، وهي: الفصل الأول: التراكيب الإنشائية الطلبية المُحوّلة في خُطْبِ النبي ﷺ، وهي: (الاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء، والتمني)، وبلغ عَدْدُهَا أَلْفًا وَثَمَانِي مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَأَرْبَعِينَ تركيبًا. والفصل الثاني: التراكيب الإنشائية غير الطلبية المُحوّلة في خُطْبِ النبي ﷺ، وهي: (التعجب، والمدح والذم، والقسم، والرجاء، والدعاء)، وبلغ عَدْدُهَا مِائَتَيْنِ وَسَبْعَةً مِنَ التراكيب. والفصل الثالث: التراكيب غير الإنشائية المُحوّلة في خُطْبِ النبي ﷺ، وهي: (النفي، والشرط، والتوكيد، والتعليل، والحال، والمفعول المطلق ونائبه)، وبلغ عَدْدُهَا أَرْبَعَةَ أَلْفٍ وَأَرْبَع مِائَةٍ وَأَرْبَعِينَ تركيبًا. وَمِنْ ثَمَّ يكون مجموعُ التراكيبِ الإنشائية وغير الإنشائية في هذه الخُطْبِ سِتَّةَ أَلْفٍ وَخَمْسَ مِائَةٍ تركيبٍ، أما مجموعُ التراكيبِ التي حَلَلْتُهَا مِنَ الأنواع السابقة فَسَبْعَةٌ وَسِتُّونَ تركيبًا، عَمَّتْ معظم حالات الجملة العربية.

وتظهر أهمية البحث في أَنَّهُ يَدْرُسُ خُطْبَ النبي ﷺ في ضوء القواعد التحويلية، التي لم تُدرَسْ قَبْلَ هذه المرة مِنْ خلال هذه النظرية الحداثية.

وَقَدْ اعتمدْتُ في هذا البحثِ المنهجَ الوصفيَّ التحليليَّ؛ لأنه يتناسب مَعَ موضوع الدراسة، فَتَنَاقَلَ الوُصْفُ النظريةَ التوليدية التحويلية والتراكيبِ الإنشائية وغير الإنشائية التي اعتنَتْ بها الدراسة، أما التحليلُ فكان لتحليل هذه التراكيب تحليلًا شَجَرِيًّا وَفُقَ القواعد التحويلية.

وأنهى الباحثُ الرسالةَ بخاتمةٍ اشتملت على النتائج التي تَوَصَّلَ إليها، وأهم التوصيات التي استفادَها مِنْ بحثه، ثُمَّ عَرَضَ قائمة المصادر والمراجع.

وأرجو مِنَ اللَّهِ ﷻ أَنْ أَكُونَ قَدْ وَفَّقْتُ في بحثي هذا، وَأَنْ يَنْفَعَ بِهِ أَهْلَ اللغةِ العربيةِ، والدَّارِسِينَ، والباحِثِينَ.

Abstract

This research deals with the transformational rules in the sermons of the Prophet PBUH in the book 'The Sermons of the Messenger PBUH, 574 Sermons from the Treasures of the Pearls and the Comprehensiveness of Words' [Khutab Ar-rasoul, 574 Khutba Min Kunouz Ad-Durar wa Jawame' Al-Kalim], named (Ithaf Al-Anam Bikhutab Rasoul Al-Islam Sayedna Muhammed Alaihi As-Salat Wassalam), compiled and explained by Mohammed Khalil Al-Khateeb.

Before getting into the first section, the research started with a preface on the issue of citation in the Prophet's Hadith. I did not want to dwell on this issue, for much had been written about it. I divided the research into two sections; the first section consisted of four chapters, as follows: chapter one addressed rhetoric between the Western and Arab cultures, while the second chapter dealt with Chomsky's linguistic studies, and the third chapter studied transformational generative theory. Chapter four looked into the relationship between transformational theory and Arabic grammar.

As for the second section, it consisted of three chapters: the first chapter addressed the transformational structural demand constructions in the sermons of the Prophet PBUH, namely, interrogative, imperative, prohibitive, vocative, and expressing wishes. The number of these constructions reached 1849 constructions. The second chapter examined the non-demand transformational structural constructions in the sermons of the Prophet PBUH, namely: exclamation, praising, vilification, swearing, hoping, and supplication). These are numbered 207 constructions.

The third chapter addressed the non-structural transformational constructions in the sermons of the Prophet PBUH, which include negation, condition, affirmation, reasoning, circumstantial expressions, and unrestricted object and its replacement, which are numbered 4,444 constructions.

Hence, the total number of structural and non-structural constructions in the sermons is 6,500 constructions, while the total of the constructions that I analyzed from the previous types are 67 constructions that involved most cases of the Arabic sentence.

The importance of the research lies in that it studies the sermons of the Prophet PBUH in light of transformational rules, which had not been studied before this time, through this modernist theory.

In this research, I adopted the descriptive and analytical methodology because it fits with the subject of the study; the description examined the transformational generative theory and the structural and non-structural constructions that the study paid attention to, while the analysis involved examining these constructions using a tree-diagram analysis according to the transformational rules.

The researcher ended the research with a conclusion that included his findings, and the most important recommendations reached, then he presented a list of sources and references. I ask Allah SWT that I have been successful in this research, and that the people of the Arabic language, scholars, and researchers can benefit from it.

آية قرآنية

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

^(١) سورة النحل: ٧٨.

الإهداء

إلى روح امرأة تسكن فؤادي ووجداني، وَصِيَّةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، ومرفاً الحياة:
أُمِّي الغالية.. حُبًّا ووفاءً، وتعجزُ الكلمات..
رَحِمَكَ اللَّهُ وَغَفَرَ لَكَ.
إلى نهر الحنان، ونبع العطاء، وتاج الرأس:
أبي الغالي، حَفِظَكَ اللَّهُ وَرَعَاكَ.
إلى روح رَجُلٍ وَقُورٍ، أخي الشهيد بإذن الله:
أبي حمزة "علي"، رَحِمَكَ اللَّهُ وَغَفَرَ لَكَ.
إلى مُكَابِدَةِ الساعات، مَنْ احتملت عكوفي على الدراسة والبحث:
زوجتي الغالية.
إلى شقائق القلب، ورياحينِ الدرب، وزينة العمر:
الزهراء، وسارة، وعبد الله، وأمل.
إلى رائحة الأمِّ ودفء اللقاء:
أخواتي الفاضلات.
إلى السَّنَدِ وموكب العطاء:
إخوتي الأفاضل.
إلى سَدَنَةِ اللغة العربية وَمَنْ أُحِبُّ.

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، يقول تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾^(١)، قاله أُولَى مَنْ يُشْكُرُ عَلَى نِعْمِهِ السابغة، وعطاياه الباهرة، فالشكر لله ابتداءً وانتهاءً بعد أن تَفَضَّلَ عَلَيَّ، وأكرمني وأعانني على إتمام هذه الرسالة.

انطلاقاً من قول رسول الله ﷺ: "لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ"^(٢)، فإنني أَشْكُرُ وَالِدَيَّ عَلَى دَعَائِهِمَا الْحَثِيثِ لِي لَيْلًا وَنَهَارًا؛ فَجَزَاهُمَا اللَّهُ خَيْرَ مَا جَازَى بِهِ وَالذَّيْنِ فِي سَبِيلِهِ.

وأتقدّم بالشكر والتقدير، والعرفان بالجميل، لِمُشْرِفَي الْفَضْلَيْنِ، الأستاذ الدكتور: جهاد يوسف العرجا، والدكتور: إبراهيم رجب بخيت، لِتَقْضِلَهُمَا بِالْإِشْرَافِ عَلَى بَحْثِي، فَلَمْ يَبْخُلَا عَلَيَّ بِتَوْجِيهَاتِهِمَا الْقِيَمَةَ، وَنَصَائِحِهِمَا الثَّمِينَةَ؛ فَبَارَكَ اللَّهُ فِي سَعْيِهِمَا، وَجَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِمَا.

كما أتقدّم بعظيم الشكر والامتنان للمُنَاقِشِينَ الْكَرَامَ، الدكتور: فوزي إبراهيم أبو فياض، والدكتور: يوسف جمعة عاشور، والدكتور: إبراهيم أحمد الشيخ عيد؛ لِتَكْرُمِهِمْ بِقَبُولِ مَنَاقِشَةٍ رِسَالَتِي، وَجُهُودِهِمْ فِي إِثْرَائِهَا؛ فَبَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ، وَجَعَلَهُمْ ذَخْرًا لِأَهْلِ الْعِلْمِ.

كَذَلِكَ أَتَقَدَّمُ بِالشكر لَشَيْخِي الْفَاضِلِ الْأُسْتَاذِ: أَبِي عَبْدِ اللَّهِ زَكْرِيَا طه شحادة، الَّذِي غَمَرَنِي بِلُطْفِهِ وَنَصَائِحِهِ وَتَشْجِيعِهِ. وَأَشْكُرُ صِهْرِيَّ: الدكتور أيمن عبد القادر راضي، والأستاذ: بلال محمود تايه، اللَّذَيْنِ قَدَّمَا لِي الْمُسَاعَدَةَ، وَلَمْ يَضِنَّا عَلَيَّ بِهَا. وَأَشْكُرُ الشَّيْخَ الْأُسْتَاذَ: رَامِي مُحَمَّدَ سَوَيْلِمَ، الَّذِي اتَّبَعْتُهُ مَعِيَ فِي الرِّسَالَةِ، وَقَامَ بِتَرْجُمَةٍ مَا احْتَجَّجْتُ فِيهَا.

وَلَا أَنْسَى أَنْ أَشْكُرَ إِدَارَةَ مَدْرَسَةِ ذُكُورِ بَيْتِ حَانُونِ الْإِعْدَادِيَةِ (ج)، مُمَثِّلَةً بِالْمَدِيرِ الْأُسْتَاذِ: أَكْرَمِ نَعِيمٍ، وَالْمَدِيرِ الْمُسَاعِدِ الْأُسْتَاذِ: مُؤَمِّنِ صَالِحَةٍ، اللَّذَيْنِ سَهَّلَا مِهْمَةَ الْبَاحِثِ بِكُلِّ سَهُولَةٍ وَيُسْرٍ، وَذَلِكَ وَفْقًا لِقَوَانِينِ الْمَدْرَسَةِ وَأَنْظُمَتِهَا. كَمَا أَشْكُرُ إِدَارَةَ مَدْرَسَةِ ذُكُورِ جِبَالِيَا الْإِعْدَادِيَةِ (هـ) مُمَثِّلَةً بِالْمَدِيرِ الدكتور: عَبْدِ النَّبِيِّ أَبُو سُلْطَانٍ، وَالْمُدِيرَيْنِ الْمُسَاعِدَيْنِ، الْأُسْتَاذَ: عِمْرَانَ مَطْرَ، وَالْأُسْتَاذَ: رَائِدَ أَبُو فَوَلٍ، الَّذَيْنِ أَكْرَمُونِي بِنَصَائِحِهِمْ وَلُطْفِ مَعَامَلَتِهِمْ. كَمَا أَشْكُرُ كُلَّ مَنْ خَصَّنِي بِدَعَاءٍ مِنَ الْأَقَارِبِ وَالْأَصْدِقَاءِ.

الباحث/ حسان محمد علي تايه "البدرساوي"

(١) سورة النمل: ١٩.

(٢) المُسْنَدُ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: ٣٢٢/١٣، حَدِيثُ رَقْمِ (٧٩٣٩)، وَالسُّنَنِ، لِأَبِي دَاوُدَ، بَابُ فِي شُكْرِ الْمَعْرُوفِ: ٢٥٥/٤، حَدِيثُ رَقْمِ (٤٨١١).

فهرس المحتويات

إقرار.....	أ
نتيجة الحكم على الرسالة.....	ب
ملخص الرسالة.....	ت
Abstract.....	ث
آية قرآنية.....	ج
الإهداء.....	ح
شُكْرٌ وتقديرٌ.....	خ
فهرس المحتويات.....	د
المقدمة.....	١
الباب الأول: الجانب النظري للنظرية التوليدية التحويلية.....	١٠
تمهيد: الاستشهاد بالحديث النبوي.....	١٢
تعريف الشاهد والاحتجاج.....	١٣
موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف.....	١٤
الموقف الأول: منع الاستشهاد بالحديث والاحتجاج به مطلقاً.....	١٦
الموقف الثاني: من أجاز الاستشهاد بالحديث مطلقاً.....	٢٠
الموقف الثالث: من توسّط في الموقف بين المنع والجواز.....	٢٢
الفصل الأول: الخطابة بين الثقافتين الغربية والعربية.....	٢٨
المبحث الأول: الخطبة في الثقافة الغربية.....	٣٤
الخطابة عند اليونان.....	٣٦
الخطابة عند الرومان.....	٤٢
المبحث الثاني: الخطبة في الثقافة العربية.....	٤٨

٤٨	الخُطابة في العصر الجاهلي
٥٥	الخُطابة في عصر صَدْرِ الإسلام
٧٠	الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ وَالْخُطْبَةِ
٧٠	الفصل الثاني: الدراسات اللُّغوية عند تشومسكي
٧١	المبحث الأول: الدراسات اللُّغوية في الغرب قَبْلَ تشومسكي
٧٢	المطلب الأول: الدراسات اللُّغوية في أوروبا وأمريكا قبل تشومسكي
٧٩	المطلب الثاني: تشومسكي وأهم مؤلفاته وإنجازاته
٨٨	المطلب الثالث: موقف تشومسكي مِنَ المدرسة الوُصْفِيَّةِ البِنْيَوِيَّةِ
٩١	المبحث الثاني: مفهوم اللغة
٩٣	المطلب الأول: مفهوم اللغة عند الوُصَفِيِّين
٩٤	المطلب الثاني: مفهوم اللغة عند تشومسكي
٩٦	المطلب الثالث: الاتفاق بين الوُصَفِيِّين والتَّوْلِيدِيِّين
٩٨	المبحث الثالث: النحو التوليدي عند تشومسكي
٩٩	المطلب الأول: الفرق بين التوليد والتحويل في نظرية تشومسكي
١٠٢	المطلب الثاني: مميزات القواعد التوليدية التحويلية وخصائصها
١٠٤	المطلب الثالث: آراء نقدية حول النحو التوليدي
١١٠	الفصل الثالث: النظرية التوليدية التحويلية
١١١	المبحث الأول: الركائز الأساسية في النظرية التوليدية التحويلية
١١٣	تمهيد: مقتضيات بناء النظرية العِلْمِيَّةِ لِلُّغَةِ عند تشومسكي
١١٤	المطلب الأول: الاتجاه العقلي
١١٦	المطلب الثاني: الفِطْرَةُ اللُّغوية
١١٨	المطلب الثالث: القدرة الإبداعية في اللغة
١٢٠	المطلب الرابع: الكُلِّيَّاتُ النَّحْوِيَّةُ (القواعد الكُلِّيَّةُ العامة)

المطلب الخامس: مفهوم النحوية عند تشومسكي.....	١٢٦
المبحث الثاني: المبادئ الرئيسة في النظرية التوليدية التحويلية.....	١٣٢
المطلب الأول: التوليد والتحويل.....	١٣٣
المطلب الثاني: الكفاءة والأداء.....	١٣٣
المطلب الثالث: البنية العميقة والبنية السطحية.....	١٣٥
المبحث الثالث: القواعد التوليدية التحويلية.....	١٣٨
المطلب الأول: مفهوم القواعد التوليدية والتحويلية.....	١٤٠
المطلب الثاني: طرائق التحليل اللغوي للجملة عند تشومسكي.....	١٤٢
المطلب الثالث: مكوّنات القواعد التوليدية والتحويلية.....	١٥٤
المطلب الرابع: المراحل التاريخية للنظرية التوليدية التحويلية.....	١٧٢
المطلب الخامس: الجملة بين علماء العرب والعرب، وطرائق تحليلها في ضوء النظرية ..	١٨٢
الفصل الرابع: العلاقة بين النظرية التحويلية والنحو العربي.....	١٩٨
المبحث الأول: تأثر النحو التوليدي بالنحو العربي.....	١٩٩
المبحث الثاني: آراء المؤيدين لتأثر تشومسكي بالنحو العربي ومناقشتها	٢١٣
المبحث الثالث: آراء المعارضين لتأثر تشومسكي بالنحو العربي ومناقشتها.....	٢١٨
رأي الباحث في فكرة تأثر تشومسكي بالنحو العربي من عدمها	٢٢١
الباب الثاني: الوصف التحليلي للتركيب المحوّلة الإنشائية وغير الإنشائية في خطب النبي ﷺ	٢٢٦
الفصل الأول: التركيب الإنشائية الطلبية المحوّلة في خطب النبي ﷺ	٢٢٧
تمهيد: الحبر والإنشاء في اللغة العربية.....	٢٢٨
التركيب الإنشائية الطلبية:.....	٢٣٢
طريقة التحليل المتبّعة في هذه الدراسة:.....	٢٣٣
المبحث الأول: تركيب الاستفهام.....	٢٣٤
تعريف الاستفهام.....	٢٣٤

وظيفة الاستفهام.....	٢٣٤
كلمات الاستفهام	٢٣٥
تأصيلٌ نحويٌّ موجزٌ لكلماتِ الاستفهام.....	٢٣٥
تركيب الاستفهام في المفهوم التحويلي.....	٢٤٩
تراكيب الاستفهام الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٢٥٤
عَرَضٌ لنماذجِ الاستفهام الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٢٥٦
نماذج تحليلية لتراكيب الاستفهام في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٢٦٦
المبحث الثاني: تركيب الأمر.....	٢٩٥
تعريف الأمر.....	٢٩٥
صور الأمر.....	٢٩٥
المعاني البلاغية لتركيب الأمر.....	٢٩٧
تراكيب الأمر الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٢٩٩
عَرَضٌ لنماذجِ الأمر الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٣٠٠
نماذج تحليلية لتركيب الأمر في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٣٠٤
المبحث الثالث: تركيب النّهي.....	٣١٧
تعريف النهي.....	٣١٧
صيغة النهي.....	٣١٧
أوجه الاتفاق والاختلاف بين الأمر والنّهي.....	٣١٧
تراكيب النهي الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٣١٩
عَرَضٌ لنماذجِ النهي الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٣١٩
نماذج تحليلية لتركيب النهي في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٣٢٢
المبحث الرابع: تركيب النّداء.....	٣٢٩
تعريف النداء.....	٣٢٩

أنواع المُنادَى وأحكامه	٣٣٠
أحرف النداء وأحكامها	٣٣٢
حذف حرف النداء	٣٣٩
الأغراض البلاغية لتركيب النداء	٣٤٢
تراكيب النداء الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ	٣٤٣
عَرَضُ لنماذج النداء الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ	٣٤٤
نماذج تحليلية لتركيب النداء في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ	٣٤٧
المبحث الخامس: تركيب التَّمَنِّي	٣٥٦
تعريف التَّمَنِّي	٣٥٦
أحرف التمني	٣٥٧
تراكيب التمني الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ	٣٦١
نموذج تحليلي لتركيب التمني الوارد في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ	٣٦٢
الفصل الثاني: التراكيب الإنشائية غير الطلبية المَحْوَلَة في خُطَبِ النبي ﷺ	٣٦٤
المبحث الأول: تركيب التَّعْجُب	٣٦٧
التَّعْجُبُ لُغَةً واصطلاحًا	٣٦٧
صُورُ التَّعْجُبِ وَصِيغُهُ	٣٦٧
شروط صياغة الفِعْلَيْنِ (أَفْعَلْ) و(أَفْعِلْ) في صيغة التعجب القياسية	٣٦٩
تركيب التعجب في المفهوم التحويلي	٣٧٠
تراكيب التعجب الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ	٣٧١
عَرَضُ لتراكيب التعجب الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ	٣٧١
نماذج تحليلية لتراكيب التعجب الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ	٣٧٤
المبحث الثاني: تركيب الْقَسَم	٣٧٩
الْقَسَمُ لُغَةً واصطلاحًا	٣٧٩

أركان تركيب القسم في اللغة العربية.....	٣٧٩
أحرف القسم.....	٣٨١
جُمْلَةُ جوابِ القسمِ (المقسمُ عليه).....	٣٨٣
اجتماعُ القسمِ والشرط.....	٣٨٤
تركيب القسم في المفهوم التحويلي.....	٣٨٤
تراكيب القسم الواردة في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ.....	٣٨٥
عَرَضُ لنماذجِ القسمِ الواردة في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ.....	٣٨٦
نماذج تحليلية لتراكيب القسمِ الواردة في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ.....	٣٩٠
المبحث الثالث: تركيب المدح والذم	٣٩٩
المدح والذم لغةً واصطلاحًا.....	٣٩٩
مكونات تركيب المدح والذم.....	٣٩٩
تركيب المدح والذم في المفهوم التحويلي.....	٤٠٥
تراكيب المدح والذم الواردة في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ.....	٤٠٨
عَرَضُ لتراكيب المدح والذم الواردة في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ.....	٤٠٨
نموذج تحليلي لتركيب المدح والذم الوارد في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ.....	٤٠٩
المبحث الرابع: تركيب الرجاء	٤١٢
الرجاء لغةً واصطلاحًا.....	٤١٢
الفرقُ بين التَمَنِّي والرجاء.....	٤١٢
ألفاظُ الرجاء.....	٤١٣
تركيب الرجاء في المفهوم التحويلي.....	٤١٥
تراكيب الرجاء الواردة في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ.....	٤١٥
عَرَضُ لتراكيب الرجاء الواردة في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ.....	٤١٦
نماذج تحليلية لتراكيب الرجاء الواردة في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ.....	٤١٧

المبحث الخامس: تركيب الدعاء.....	٤٢٢
الدعاء لُغَةً واصطلاحًا.....	٤٢٢
سَبَبُ دراسةِ تركيب الدعاء ضمن التراكيب الإنشائية غير الطلبية.....	٤٢٢
صُورُ تركيب الدعاء في العربية.....	٤٢٣
تراكيب الدُعاء الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٤٢٥
عَرَضُ لِنماذجِ تركيبِ الدعاء الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٤٢٦
تركيب الدُعاء في المفهوم التحويلي.....	٤٢٩
نماذج تحليلية لتراكيبِ الدُعاء الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٤٣٠
الفصل الثالث: التراكيب غير الإنشائية المُحوَّلة في خُطَبِ النبي ﷺ.....	٤٣٨
المبحث الأول: تركيب النَّفْي.....	٤٤١
النَّفْيُ لُغَةً واصطلاحًا.....	٤٤١
أقسام النفي.....	٤٤٢
تركيب النفي في المفهوم التحويلي.....	٤٥٤
تراكيب النفي الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٤٥٧
عَرَضُ لتراكيب النفي الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٤٥٨
نماذج تحليلية لتراكيب النفي الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٤٦٥
المبحث الثاني: تركيب الشرط.....	٤٧١
الشَّرْطُ لُغَةً واصطلاحًا.....	٤٧١
تركيب الشرط في اللغة العربية.....	٤٧٢
تركيب الشرط في المفهوم التحويلي.....	٤٧٧
تراكيب الشرط الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٤٨٠
عَرَضُ لتراكيبِ الشرط الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٤٨١
نماذج تحليلية لتراكيب الشرط الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٤٨٦

المبحث الثالث: تركيب التوكيد.....	٤٩٧
التوكيد لُغَةً واصطلاحًا.....	٤٩٧
صُورُ التوكيد في العربية.....	٤٩٨
تركيب التوكيد في المفهوم التحويلي.....	٥٠٨
تراكيب التوكيد الواردة في كتابِ خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٥١٣
عَرَضُ لتراكيبِ التوكيد الواردة في كتابِ خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٥١٥
نماذج تحليلية لتراكيب التوكيد الواردة في كتابِ خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٥١٩
المبحث الرابع: تركيب التعليل.....	٥٢٩
التعليل لُغَةً واصطلاحًا.....	٥٢٩
أنواع التعليل في العربية.....	٥٣١
تركيب التعليل في المفهوم التحويلي.....	٥٣٦
تراكيب التعليل الواردة في كتابِ خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٥٣٩
عَرَضُ لتراكيبِ التعليل الواردة في كتابِ خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٥٤٠
نماذج تحليلية لتراكيب التعليل الواردة في كتابِ خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٥٤٢
المبحث الخامس: تركيب الحال.....	٥٤٨
الحال لُغَةً واصطلاحًا.....	٥٤٨
الحال في العربية.....	٥٤٩
تركيب الحال في المفهوم التحويلي.....	٥٥٦
تراكيب الحال الواردة في كتابِ خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٥٦٥
عَرَضُ لتراكيبِ الحال الواردة في كتابِ خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٥٦٦
نماذج تحليلية لتراكيب الحال الواردة في كتابِ خُطَبِ الرسول ﷺ.....	٥٦٧
المبحث السادس: تركيب المفعول المُطْلَقِ ونائبه.....	٥٧٦
تعريف المفعول المُطْلَقِ.....	٥٧٦

المفعول المُطْلَق في العربية.....	٥٧٦
نائب المفعول المُطْلَق.....	٥٧٩
تركيب المفعول المُطْلَق في المفهوم التحويلي.....	٥٨٠
تراكيب المفعول المُطْلَق ونائبه الواردة في كتابِ خُطْبِ الرسول ﷺ.....	٥٨٣
عَرَضٌ لتراكيب المفعول المُطْلَق ونائبه الواردة في كتابِ خُطْبِ الرسول ﷺ.....	٥٨٣
نماذج تحليلية لتراكيب المفعول المُطْلَق ونائبه الواردة في كتابِ خُطْبِ الرسول ﷺ.....	٥٨٥
الخاتمة.....	٥٩٤
النتائج.....	٥٩٤
التوصيات.....	٥٩٨
المصادر والمراجع العربية.....	٦٠٠
المصادر والمراجع الأجنبية.....	٦٤٤

المقدمة

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملءَ السمواتِ، وملءَ الأرضِ، وملءَ ما شئتَ من شيءٍ بعُدْ، كما يُحبُّ ربُّنا ويرضَى، وكما ينبغي لجلالِ وجهه وعظيم سلطانه، عدَدَ ما جرى به قلمُه، وأحصاهُ كتابُه، وأحاطَ به علمُه، لك الحمدُ أنتَ نور السموات والأرضِ ومن فيهنَّ، ولك الحمدُ أنْ كانت ﴿اقْرَأْ﴾^(١) أوَّلَ ما تنزَّلَ، وبأكورة طريق العلم والهداية، وسبيل من يطلبون السُّؤدد والغاية.

يَا رَبِّ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً وَاجْعَلْ مَعُونَتَكَ الْحُسْنَى لَنَا مَدَدَا
وَلَا تَكِلْنَا إِلَى تَدْبِيرِ أَنْفُسِنَا فَالْنَفْسُ تَعْجِزُ عَنْ إِصْلَاحِ مَا فَسَدَا^(٢)
والصلاة والسلام على خير الخلق، وحبيب الحق، سيدنا وشفيعنا أبي القاسم رسول الله، عليه وعلى آله وصحابته وسائر الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة، وأتم السلام، وبعْدُ:
فإنَّ أعظم نعمة أنعمها الله علينا أن هدانا للإسلام، ثمَّ أكرمنا باللغة العربية؛ لنكون من أبنائها المحييين، وقد جاء الحضُّ على تعلُّم قواعدها؛ فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "تَعَلَّمُوا النَّحْوَ كَمَا تَعَلَّمُونَ السُّنَنَ وَالْفَرَائِضَ"^(٣)؛ فمن أراد تقويم لسانه، وصقل كلامه فعليه بتعلُّم العربية عموماً، والنحو خصوصاً، حتى عدَّ شيخ الإسلام ابن تيمية تعلُّم العربية فرضاً واجباً، حيث قال: "اللغة العربية من الدين، ومعرفةُها فرضٌ واجبٌ، فإن فهمَ الكتاب والسنة فرضٌ، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"^(٤)، فعلمُ النحو هو المعين على فهم كتاب الله تعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

تعدُّ اللغة وسيلة التواصل بين الناس، وهي خَصِيصَةٌ من خصائص الإنسان، بها يتكلم ويعبر عن رأيه، لأنها تعطي الفرصة له في التعبير عن أفكاره وآرائه ومشاعره، ودون اللغة تُشُلُّ حركة الحياة، وتتعلَّط مصالح البشر، ويصعب تواصلهم فيما بينهم.

وقد اهتم عددٌ من اللغويين المُحدِّثين باللغات الإنسانية، فوضعوا نظرياتهم، وأسسوا لها، ومن هذه النظريات اللغوية الحداثية: النظرية التوليدية التحويلية، ورائدها هو العالم الألسني

(١) سورة العلق: ١.

(٢) البيتان لعُمارة بن أبي الحسن اليميني في: النُّكَّتُ العصرية، لعُمارة اليميني: ٢١٦، والذَّرُّ الفريد، للمستعصمي: ٢٧٩/١١.

(٣) البيان والتبيين، للجاحظ: ١٥١/٢.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية: ٥٢٧/١.

الأمريكي تشومسكي Chomsky، وتكاد تكون هذه النظرية -اليوم- أشهر النظريات اللغوية وأحدثها.

وقد حاز المنهج التوليدي التحويلي انتشارًا كبيرًا بين الدارسين والباحثين، ويُعدُّ "من أشهر مناهج البحث اللغوي الحديث، وبخاصة في مجال دراسة الجملة النحوية، فالتحويُّ من وجهة نظر هذا المنهج هو قمة الدراسات اللُّغوية، ويُعدُّ الوصول إلى وصف دقيق للجملة هو الهدف الذي يصبو إليه علماء اللغة"^(١).

وأجابت النظرية التوليدية التحويلية عن تساؤلات كثيرة تخص اللغة والإنسان المتكلم بها أو السامع لها، مثل: كيف يتم إنتاج اللغة؟ هل تُعدُّ اللغة خاصَّة إنسانية ذاتية؟ ولماذا؟ واعتنى المنهج التوليدي التحويلي بالاتجاه العقلي للإنسان في إنتاج اللغة، وركز على البنية العميقة والبنية السطحية، مع تفريقه بينهما، وكذلك اهتم بكفاءة المتكلم وأدائه، وبالقدرة الإبداعية في اللغة، إلى غير ذلك من قضايا لغوية جديرة بالاهتمام.

ويؤكد رائدُ هذا المنهج تشومسكي: "أن اللغة ليست ارتباطًا شرطيًا، كما هو الحال عند الحيوان، ولكن اللغة قدرة إبداعية، أو قدرة غير محدودة، وأنه لا بُدَّ للنظرية النحوية أن تعكس قدرة جميع المتكلمين بلغة (ما) على التحكم في إنتاج وفهم جُمْلٍ لم يسمعوها بها قطُّ من قَبْلُ"^(٢). ولم يكن من السهل على الباحث أن يخوض غمار هذا البحث؛ لأن المعرفة الذهنية لهذه النظرية كانت ضئيلة جدًّا، والاطلاع على النظريات اللسانية الحديثة قليل؛ فأوجِسْتُ في نفسي خيفة من اختيار عنوان الرسالة، لكنَّ فضلَ الله على عباده هو الغالب، فقد منَّ عليَّ وأكرمني، ودلَّ الصعاب، وهبَّ الأسباب؛ فَبَحَثْتُ وَكَتَبْتُ رسالتي مستعينًا به -تبارك وتعالى- فوجدتُ الموضوعَ نافعًا، والبحث فيه مفيدًا. وقد كان هذا الخوف دافعًا قويًّا للكتابة عن هذه النظرية؛ للتعرف إليها، ودراسة ركائزها، وفهم مبادئها، لأنَّ دراسة ما توصل إليه اللغويون المُحدَثون ليس سببًا ولا مَدَمَّةً، ما دُمنا لا نَطْعُن في تراث علمائنا الأوائل ولا نَلْمُز، بل نحافظ على الموروث اللغوي للنحاة الأوائل مع الاستفادة مما توصل إليه المُحدَثون، لا سيَّما أنَّ الرسالة تُطبِّقُ القواعد التحويلية على خطبِ النبي ﷺ، وهذا توفيق بين الأصالة والحداثة.

واجتهدتُ في الباب الأول -من هذه الدراسة- أن أجمع أهمَّ ما كُتِبَ عن النظرية التوليدية التحويلية من الغربيين وعلى رأسهم رائد النظرية تشومسكي، وكذلك من اللغويين العرب المُحدَثين، مُركِّزًا على مفهوماتها ومكوناتها واتجاهاتها ومبادئها ومميزاتها. ولم تُغفلِ الدراسة طرائق تحليل الجملة العربية في ضوء المنهج التحويلي؛ لأنَّ الجملة محط اهتمام كبير في هذه

(١) القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، د. إبراهيم البهنساوي: ٧١.

(٢) نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ٧٤.

النظرية؛ وذلك كله لتكون الرسالة مرجعاً للباحثين والدارسين، يُسهِّل عليهم الرجوع إلى هذه النظرية إذا رغبوا.

موضوع الدراسة:

موضوع هذه الدراسة هو القواعد التحويلية في حُطْبِ النَّبِيِّ ﷺ، وهي دراسة تستهدف في المقام الأول وصف التراكيب اللغوية الواردة في خطب النبي ﷺ، وتحليلها في المقام الثاني، وفقاً لقواعد النظرية التوليدية التحويلية، التي اشتهرت في النصف الثاني من القرن العشرين على يد مؤسسها تشومسكي Chomsky.

مادة الدراسة:

مادة الدراسة التي طَبَّقَ عليها الباحثُ القواعدَ التحويلية هي حُطْبُ النَّبِيِّ ﷺ، أما الكتاب الذي اعتمدته فيها وطَبَّقْتُ عليه القواعدَ التحويلية فهو: حُطْبُ الرَّسُولِ ﷺ، (٥٧٤ خطبة من كنوز الدُّرَرِ وجوامع الكلم)، الموسوم بـ(إتحاف الأنام بِحُطْبِ رَسُولِ الْإِسْلَامِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عليه الصلاة والسلام)، جَمَعَهَا وَشَرَحَهَا: مُحَمَّدٌ خَلِيلُ الْخَطِيبِ، دار الفضيلة - القاهرة، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م، د. ط.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في الأمور الآتية:

١. سَبَّرُ أغوارِ النظرية التوليدية التحويلية، حيثُ تُعَدُّ هذه النظرية مرحلةً مُهمّة من مراحل الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ في العصر الحديث.
٢. دراسة موضوع يتعلق بحديث النبي ﷺ، حيث سَأَدْرُسُ حُطْبَ النَّبِيِّ ﷺ؛ وقد بحثت فيما توفّر لي من مصادر ومراجع وكذا على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) فلم أَجِدْ مَنْ درس حُطْبَ النَّبِيِّ ﷺ دراسةً لُغَوِيَّةً في ضوء النظرية التوليدية التحويلية.
٣. تطبيق النظرية التوليدية التحويلية على الأعمال النثرية، خاصّة حديث رسول الله ﷺ؛ لما يمثله من علاقة بين النظرية والتطبيق، حيث تناولت هذه الدراسة حُطْبَ النَّبِيِّ ﷺ. وأحاديث النبي ﷺ تُعَدُّ نَثْرًا مُقَدَّرًا مُحْتَرَمًا؛ فهي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وهذا يُبَيِّنُ مدى صلاحية تطبيق نظرية حداثيّة على نصوص الأحاديث الشريفة.

أسباب اختيار الموضوع:

١. حُبِّي لِللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مُذْ كُنْتُ طَالِبًا فِي الْمَرَحَلَةِ الثَّانَوِيَّةِ قَبْلَ الْجَامِعِيَّةِ؛ فَبِهَا يَسْتَقِيمُ اللِّسَانُ، وَيُقَوِّمُ اعْوِجَاجَهُ، وَتُصَلِّ الرَّدُودَ، وَيُجَادِ الْحَوَارِ مَعَ الْآخِرِينَ.

٢. محاولة تطبيق القواعد التحويلية على نصوص حُطَب النبي ﷺ؛ لبيان مدى صلاحية هذا التطبيق على التراكيب اللغوية العربية.

٣. رغبة الباحث في تسليط الضوء على تحليل حُطَب النبي ﷺ بناءً على النظرية التوليدية التحويلية.

٤. الربط بين التراث والحداثة في الدراسات اللغوية؛ ليستقر في النفس إمكانية تطبيق النظرية التوليدية التحويلية على نصوص عربية تراثية.

٥. إبراز الجوانب الإبداعية اللغوية في النظرية التوليدية التحويلية.
أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

١. دراسة حُطَب النبي ﷺ وفقاً للقواعد التحويلية، التي لم تُدرَس في حدود معرفتي - قَبْلَ هذه المرة في ضوء هذه النظرية.

٢. الوصول إلى قواعد تحويلية تتناسب وطبيعة اللغة العربية، وتتصف بالوضوح واليسر وسهولة التطبيق، مع عدم تعارضها مع أصول النحو العربي.

٣. إثبات مظاهر تأثر النحو التوليدي بالنحو العربي تلميحاً أو تصريحاً.

٤. إثبات ما تفرّدت به هذه النظرية من آراء لغوية.

٥. رَفْدُ المكتبة العربية بإضاءة بحثية هادفة.

الصعوبات التي واجهها الباحث:

تَذَلَّلَتِ اليومَ -بسبب التقدم التكنولوجي بعد فضل الله- كثيرٌ من الصعاب، حتى إن كثيراً من الكتب التي لا تتوفر في المكتبات يمكن تحميلها من الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، لكن تَظَلُّ بعض الصعوبات موجودة حسب نوعية الدراسة، وَمِنْ أهمِّ الصعاب التي واجهتني في أثناء كتابة البحث:

١. افتقار مكتبات قطاع غَزَّةَ إلى الكثير من المصادر والمراجع اللغوية المهمة التي تناولت هذه النظرية.

٢. تَعَسَّرَ الحصول على عددٍ مِنَ الكتب الأجنبية التي عَنِيَتْ بهذه النظرية، ومنها كُتُبُ تشومسكي رائدِ النظرية.

الدراسات السابقة:

١. قواعد تحويلية للغة العربية، د. محمد علي الخولي، دار المريخ، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.

٢. الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٣. الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجُمْلَة البسيطة)، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٤. في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي، والنفي اللغوي، وأسلوب الاستفهام، د. خليل أحمد عمايرة، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٥. مِنَ الأنماط التحويلية في النحو العربي، د. محمد حماسة عبد اللطيف، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ م.

٦. القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، د. حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، دار المناهل للطباعة - بورسعيد، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، د. ط.

٧. القواعد التحويلية في ديوان الحُطَيْئَة، (رسالة دكتوراة)، للباحث: حمدان رضوان أبو عاصي، جامعة عين شمس - كلية التربية، جامعة الأقصى، فلسطين - غزة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٨. القواعد التحويلية في ديوان زهير بن أبي سُلمَى، (بحث مُحَكَّم)، أ. د. جهاد يوسف العرجا، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٧ م.

الجديد في هذه الدراسة:

إنّ هذه الدراسة أقربُ إلى الدراسات الثلاثة الأخيرة السابقة، لكن تلك الدراسات تناولت الشعر، أمّا هذه الدراسة فتناولت النثر، كما أنني لم أقفُ أو أطلّع على بحث يتناول خُطْبَ النبي ﷺ، وفقاً للنظرية التوليدية التحويلية. وَقَدْ اتصف هذا البحث بصفات، ومنها:

١. الوصول إلى قواعد تحويلية تتناسب وطبيعة اللغة العربية، وتتصف بالوضوح واليسر وسهولة التطبيق، مع عدم تعارضها مع أصول النحو العربي.

٢. تحليل التراكيب اللغوية في خُطْبِ النبي ﷺ تحليلًا شجريًا يُسهّل على القارئ والباحث فَهْمَ القواعد التحويلية.

٣. محاولة إيجاد تحليل تحويلي مناسب للنصوص النثرية.

منهج البحث:

تَبَعًا لطبيعة الموضوع؛ فإن الباحث اتَّبَعَ المنهج الوصفي التحليلي، الذي يتناسب مع طبيعة التعامل مع القواعد التحويلية في دراستها لِخُطْبِ النبي ﷺ. وقد جاءت هذه الدراسة على بابين:

الباب الأول: (وهو الجانب النظري)، وعرضت فيه النظرية التوليدية التحويلية بصورة سهلة ميسرة، مع التركيز على مميزات القواعد التوليدية التحويلية وخصائصها، والقواعد والمبادئ التي تقوم عليها النظرية.

الباب الآخر: (وهو الجانب التطبيقي)، وطُبِّقَتْ فيه ما تَمَّ عرضه في الجانب النظري على خُطْبِ النبي ﷺ، حيث طُبِّقَتْ القواعد التحويلية على التراكيب اللغوية: الإنشائية، بنوعها: (الطلبية وغير الطلبية)، وغير الإنشائية، الواردة في كتاب (خُطْبِ الرسول ﷺ).
أما عَمَلِي في خُطْبِ النبي ﷺ الواردة في كتاب (خُطْبِ الرسول ﷺ) والتي أُجْرِيتُ عليها الدراسة فكان كالآتي:

١. اسْتَنْتَيْتُ في هذه الدراسة التراكيب التي تَلَفَّظَ بها الصحابة أو غيرهم كَرُوَاة الحديث،

مُقْتَصِرًا بذلك على التراكيب التي نُسِبَتْ لرسول الله ﷺ وتَلَفَّظَ بها في هذه الخُطْبِ.

٢. لَمْ أُسْتَنَّ الخُطْبِ التي هي مِنْ باب الأحاديث القدسية؛ ذاك لَأَنَّ لَفْظَهَا مِنْ النبي ﷺ على الراجح من أقوال أهل العلم.

٣. أَحْصَيْتُ جميع التراكيب المطلوبة في الدراسة، وهي: (التراكيب الإنشائية الطلبية، والتراكيب الإنشائية غير الطلبية، والتراكيب غير الإنشائية)، ثُمَّ وَصَعْتُ عَدَدَ كُلِّ تركيب بأنواعه وصوره في جدولٍ مستقلٍّ في المبحث التابع لهذا التركيب، ثُمَّ أَشْرْتُ في الخاتمة إلى النسبة المئوية لَوُرُودِ هذه التراكيب في خُطْبِ النبي ﷺ.

٤. اعتمد جامعُ الخُطْبِ الشيخ: محمد خليل الخطيب في توثيق كل خطبة على كتاب الهيتمي - غالبًا - وهو (مَجْمَعُ الزوائد وَمَنْبَعُ الفوائد)، لكنني أَصَلْتُ لكل خطبة استشهدتُ بها أو حَلَّلْتُهَا مِنْ مصدرها الْمُعْتَمَد مِنْ كُتُبِ السُّنَّة؛ فَقُمْتُ بتوثيقها والإشارة في الحاشية إلى مصدرها، نحو: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، ومُسْنَدُ أحمد، وهكذا.

٥. اجتهدتُ وسُعي عند الاستشهاد والتحليل أَنْ تكون الخُطْبِ مِمَّا ثَبَتَتْ صحته، كما حَكَمَ عليها أهلُ الصَّنْعَةِ في علم الحديث.

٦. قُمْتُ في عموم مواضع الاستشهاد والتحليل في الخُطْبِ بالابتعاد عن الخُطْبِ التي ثَبَتَ أنها موضوعة مَكْذُوبَةٌ، لكنها تبقى داخلة ضمن الإحصاء العددي للتراكيب.

وَأِنْ وَقَعَ الاستشهاد بخطبة موضوعية ففي أضيق الحالات؛ لِعَدَمِ وجودِ غيرها يُسْتَشْهَدُ به، مَعَ التنبية في الحاشية إلى أنها موضوعية.

خُطَّةُ البَحْثِ:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى: مقدمة، وبابين، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة وتضمنت:

١. موضوع الدراسة.
٢. مادة الدراسة.
٣. أهمية الدراسة.
٤. أهداف الدراسة.
٥. أسباب اختيار الموضوع.
٦. منهج البحث.
٧. خُطَّةُ البَحْثِ:

الباب الأول: الجانب النظري للنظرية التوليدية التحويلية

تمهيد: الاستشهاد بالحديث النبوي

الفصل الأول: الخُطابة بين الثقافتين الغربية والعربية

المبحث الأول: الخُطبة في الثقافة الغربية

المبحث الثاني: الخُطبة في الثقافة العربية

الفصل الثاني: الدراسات اللغوية عند تشومسكي

المبحث الأول: الدراسات اللُّغوية في الغرب قَبْلَ تشومسكي

المطلب الأول: الدراسات اللُّغوية في أوروبا وأمريكا قبل تشومسكي

المطلب الثاني: تشومسكي وأهم مؤلفاته وإنجازاته

١. مولده ونشأته

٢. أهم مؤلفاته اللُّغوية

المطلب الثالث: موقف تشومسكي من المدرسة الوصفية البنيوية

المبحث الثاني: مفهوم اللغة

المطلب الأول: مفهوم اللغة عند الوصفيين

المطلب الثاني: مفهوم اللغة عند تشومسكي

المطلب الثالث: الاتفاق بين الوَصَفِيِّينَ والتَّوْلِيدِيِّينَ

المبحث الثالث: النحو التوليدي عند تشومسكي

المطلب الأول: الفرق بين التوليد والتحويل في نظرية تشومسكي

المطلب الثاني: مميزات القواعد التوليدية التحويلية وخصائصها

المطلب الثالث: آراء نقدية حول النحو التوليدي

الفصل الثالث: النظرية التوليدية التحويلية

المبحث الأول: الركائز الأساسية في النظرية التوليدية التحويلية

المطلب الأول: الاتجاه العقلي

المطلب الثاني: الفطرة اللغوية

المطلب الثالث: القدرة الإبداعية في اللغة

المطلب الرابع: الكليات النحوية (القواعد الكلية العامة)

المطلب الخامس: مفهوم النحوية عند تشومسكي

المبحث الثاني: المبادئ الرئيسية في النظرية التوليدية التحويلية

المطلب الأول: التوليد والتحويل

المطلب الثاني: الكفاءة والأداء

المطلب الثالث: البنية العميقة والبنية السطحية

المبحث الثالث: القواعد التوليدية التحويلية

المطلب الأول: مفهوم القواعد التوليدية والتحويلية

المطلب الثاني: طرائق تحليل الجملة عند تشومسكي

المطلب الثالث: مكونات القواعد التوليدية والتحويلية

المطلب الرابع: المراحل التاريخية للنظرية التوليدية التحويلية

المطلب الخامس: الجملة بين علماء العرب والغرب، وطرائق تحليلها في ضوء النظرية

الفصل الرابع: العلاقة بين النظرية التحويلية والنحو العربي

المبحث الأول: تأثر النحو التوليدي بالنحو العربي

المبحث الثاني: آراء المؤيدين لتأثر تشومسكي بالنحو العربي ومناقشتها

المبحث الثالث: آراء المعارضين لتأثر تشومسكي بالنحو العربي ومناقشتها

الباب الثاني: (الجانب التطبيقي) الوصف التحليلي للتركيب المحوّلة الإنشائية وغير

الإنشائية في خطب النبي ﷺ

الفصل الأول: التركيب الإنشائية الطلبية المحوّلة في خطب النبي ﷺ

المبحث الأول: تركيب الاستفهام

المبحث الثاني: تركيب الأمر

المبحث الثالث: تركيب النهي

المبحث الرابع: تركيب النداء

المبحث الخامس: تركيب التمني

الفصل الثاني: التراكيب الإنشائية غير الطلبية المَحْوَلَة في خُطْبِ النبي ﷺ

المبحث الأول: تركيب التعجب

المبحث الثاني: تركيب القسم

المبحث الثالث: تركيب المدح والذم

المبحث الرابع: تركيب الرجاء

المبحث الخامس: تركيب الدعاء

الفصل الثالث: التراكيب غير الإنشائية المَحْوَلَة في خُطْبِ النبي ﷺ

المبحث الأول: تركيب النفي

المبحث الثاني: تركيب الشرط

المبحث الثالث: تركيب التوكيد

المبحث الرابع: تركيب التعليل

المبحث الخامس: تركيب الحال

المبحث السادس: تركيب المفعول المطلق ونائبه

الخاتمة، وتضمنت:

١. النتائج.

٢. التوصيات.

ثم قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية.

قال القاضي الفاضل عبد الرحيم بن عليّ البيناني في رسالة بعث بها إلى العماد الأصفهاني يعتذر فيها عن كلام استدركه الأخير عليه: "إنه قد وقع لي شيء، وما أدري أوقع لك أم لا؟ وها أنا أخبرك به، وذلك أنني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا الكلام لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"^(١).

وإنني سائل رباً كريماً أن يهيني لي القبول، ويزياني علماً، وأن ينتفع بهذا البحث خلق كثير، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله من قبل ومن بعد.
والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

^(١) محاضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني: ١٢/١، وكشف الظنون، لحاجي خليفة: ١٤/١، وأبجد العلوم، لأبي

الباب الأول

الجانب النظري للنظرية التوليدية التحويلية

ويُقسم إلى:

تمهيد: الاستشهاد بالحديث النبوي

الفصل الأول: الخطابة بين الثقافتين الغربية والعربية

المبحث الأول: الخطبة في الثقافة الغربية

المبحث الثاني: الخطبة في الثقافة العربية

الفصل الثاني: الدراسات اللغوية عند تشومسكي

المبحث الأول: الدراسات اللغوية في الغرب قبل تشومسكي

المطلب الأول: الدراسات اللغوية في أوروبا وأمريكا قبل تشومسكي

المطلب الثاني: تشومسكي وأهم مؤلفاته وإنجازاته

١. مولده ونشأته

٢. أهم مؤلفاته اللغوية

المطلب الثالث: موقف تشومسكي من المدرسة الوصفية البنيوية

المبحث الثاني: مفهوم اللغة

المطلب الأول: مفهوم اللغة عند الوصفيين

المطلب الثاني: مفهوم اللغة عند تشومسكي

المطلب الثالث: الاتفاق بين الوصفيين والتوليديين

المبحث الثالث: النحو التوليدي عند تشومسكي

المطلب الأول: الفرق بين التوليد والتحويل في نظرية تشومسكي

المطلب الثاني: مميزات القواعد التوليدية التحويلية وخصائصها

المطلب الثالث: آراء نقدية حول النحو التوليدي

الفصل الثالث: النظرية التوليدية التحويلية

المبحث الأول: الركائز الأساسية في النظرية التوليدية التحويلية

المطلب الأول: الاتجاه العقلي

المطلب الثاني: الفطرة اللغوية

المطلب الثالث: القدرة الإبداعية في اللغة

المطلب الرابع: الكُلِّيَّات النَّحْوِيَّة (القواعد الكُلِّيَّة العامَّة)

المطلب الخامس: مفهوم النحوية عند تشومسكي

المبحث الثاني: المبادئ الرئيسة في النظرية التوليدية التحويلية

المطلب الأول: التوليد والتحويل

المطلب الثاني: الكفاءة والأداء

المطلب الثالث: البنية العميقة والبنية السطحية

المبحث الثالث: القواعد التوليدية التحويلية

المطلب الأول: مفهوم القواعد التوليدية والتحويلية

المطلب الثاني: طرائق تحليل الجملة عند تشومسكي

المطلب الثالث: مكوّنات القواعد التوليدية والتحويلية

المطلب الرابع: المراحل التاريخية للنظرية التوليدية التحويلية

المطلب الخامس: الجُمْلَة بين علماء العرب والغرب، وطرائق تحليلها في ضوء النظرية

الفصل الرابع: العلاقة بين النظرية التحويلية والنحو العربي

المبحث الأول: تأثّر النحو التوليدي بالنحو العربي

المبحث الثاني: آراء المؤيِّدين لِتأثّر تشومسكي بالنحو العربي ومناقشتها

المبحث الثالث: آراء المُعارضين لِتأثّر تشومسكي بالنحو العربي ومناقشتها

الباب الأول

الجانب النظري للنظرية التوليدية التحويلية

تمهيد: الاستشهاد بالحديث النبوي

وفيه:

أولاً: تعريف الشاهد والاحتجاج

ثانياً: موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث النبوي

تمهيد

الاستشهاد بالحديث النبوي

أولاً: تعريف الشاهد والاحتجاج

قبلولوج في قضية موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث النبوي، لا بُدَّ من التعريف بالشاهد اللغوي، وكذلك الاحتجاج؛ لتكون الصورة أوضح حول مفهوم الشاهد والاحتجاج، اللذين ينطلق منهما النحاة؛ تقييداً للقواعد النحوية والصرفية، وتعريفهما يفيد في ربطهما بموقف النحاة من الحديث النبوي الشريف.

الشَّاهِد:

الشَّاهِد (لُغَةً): "الشَّهَادَةُ: حَبَّرَ قَاطِعٌ، تَقُولُ مِنْهُ: شَهِدَ الرَّجُلُ، وَأَشْهَدْتُهُ عَلَى كَذَا فَشَهِدَ عَلَيْهِ؛ أَيُّ: صَارَ شَاهِدًا عَلَيْهِ. وَالْمَشَاهِدَةُ: الْمُعَايِنَةُ. وَشَهِدَ شَهِودًا؛ أَيُّ: حَضَرَهُ فَهُوَ شَاهِدٌ، وَقَوْمٌ شُهُودٌ؛ أَيُّ: حُضُورٌ"^(١). وَ"الشَّاهِدُ وَالشَّهِيدُ: الْحَاضِرُ"^(٢). وَيُقَالُ: "شَهِدَ الشَّاهِدُ عِنْدَ الْحَاكِمِ؛ أَيُّ: بَيَّنَّ مَا يَعْلَمُهُ وَأَظْهَرَهُ"^(٣).

الشَّاهِدُ (اصطلاحاً): "قَوْلٌ عَرَبِيٌّ - شِعْرًا أَوْ نَثْرًا - قِيلَ فِي عَصْرِ الْاِحْتِجَاجِ، يُورَدُ للاحتجاج بِهِ عَلَى قَوْلٍ أَوْ رَأْيٍ أَوْ قَاعِدَةٍ"^(٤).

الاحتجاج:

الاحتجاج (لُغَةً): قال الأزهري: "الْحُجَّةُ: الْوَجْهُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ"^(٥). وقال ابن منظور: "الْحُجَّةُ الْبُرْهَانُ، وَقِيلَ: الْحُجَّةُ مَا دُفِعَ بِهِ الْخَصْمُ، وَجَمَعَ الْحُجَّةَ: حُجَّجَ وَحِجَّاجٌ، وَحَاجَّهُ مُحَاجَّةً وَحِجَّاجًا: نَازَعَهُ الْحُجَّةَ، وَحَجَّهَ يَحُجُّهُ حَجًّا: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِهِ"^(٦). فَالْحُجَّةُ: الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ وَالِاسْتِدْلَالُ.

الاحتجاج (اصطلاحاً): "مَا دَلَّ عَلَى صِحَّةِ الدَّعْوَى، وَقِيلَ: الْحُجَّةُ وَالِدَلِيلُ وَاحِدٌ"^(٧).

والاحتجاج في اصطلاح النحاة: "إثبات القاعدة بالشاهد النثري أو الشعري"^(٨).

(١) الصِّحَاح، للجوهري: ٤٩٤/٢ (شَهِدَ).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده: ١٨١/٤ (فصل: الهاء والشين والدال).

(٣) تاج العروس، للزبيدي: ٢٥٩/٨ (شَهِدَ).

(٤) موسوعة النحو والصرف والإعراب، د. إميل بديع يعقوب: ٤٠٥.

(٥) تهذيب اللغة، للأزهري: ٢٥١/٣ (باب الحاء والجيم: حَجَّ).

(٦) لسان العرب، لابن منظور: ٢٢٨/٢ (حَجَّجَ).

(٧) التعريفات، للشريف الجرجاني: ٨٢ (باب الحاء).

(٨) المعجم المفصل في الأدب، د. محمد التونجي: ٣٦/١.

وقد احتج العلماء بما نطقت به العرب حتى نهاية القرن الثاني الهجري في المدن والحضر، وحتى نهاية القرن الرابع للهجرة في البادية^(١). وكان آخر مَنْ يُحتجُّ بِشِعْرِهِ هو ابن هرمة^(٢)، حيث "تَلَّ ثَعْلَبٌ^(٣) عَنِ الْأَصْمَعِيِّ^(٤) قال: خُتِمَ الشَّعْرُ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ هَرْمَةَ، وَهُوَ آخِرُ الْحُجَجِ"^(٥).

يتضح -مِمَّا سَبَقَ- أَنَّ الشَّاهِدَ النَّحْوِيَّ قَوْلُ عَرَبِيٍّ موثوق، يُساقُ لإثبات صحة القاعدة، ومواضعه: (القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب شعراً أو نثراً إلى عصر الاحتجاج). أمَّا الاحتجاج فَهُوَ الاستناد إلى الشاهد نَفْسِهِ، والاستدلال به؛ إثباتاً لصحة الرأي المُتَبَنَّى. يُفْهَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَقُومُ احتجاجٌ إِلَّا بِشَاهِدٍ.

ثانياً: موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف

تُعَدُّ السُّنَّةُ النبوية المصدرَ الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وَقَدْ أَجْمَعَ علماء العربية وأربابها، وأهل الفصاحة والبلاغة على أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أَفْصَحُ النَّبَشْرِ، لَا يُقَارِبُ أَسْلُوبَهُ

(١) الاقتراح، للسيوطي: ٥٩، وانظر: الاحتجاج بالشعر في اللغة - الواقع ودلالاته، د. محمد حسن جبل: ٧٧-٨٠.

(٢) الاقتراح، للسيوطي: ٥٩، والاحتجاج بالشعر في اللغة - الواقع ودلالاته، د. محمد حسن جبل: ٨٠. وَأَبْنُ هَرْمَةَ هو: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن هرمة الكناني القرشي، شاعرٌ غَزَلٍ، مُفَلِّقٌ، فَصِيحٌ مُسْتَهْبٌ، من سكان المدينة، ومن مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم، مات سنة (١٥٠هـ) وقيل (١٧٦هـ). انظر ترجمته في: الأضداد، لابن الأنباري: ١١٥، والأنساب، للسمعاني: ٤٠١، وشمس العلوم، لنشوان الحميري: ٦٦٧/١، ولباب الآداب، للثعالبي: ١٧٠، وخزانة الأدب، للبغدادي: ٤٢٤/١.

(٣) أبو العباس أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني بالولاء، المعروف بثعلب: إمام الكوفيين في النحو واللغة، كان راوية للشعر، مُحَدِّثًا، مشهورًا بالحفظ وصدق اللهجة، ثَقَّةٌ حُجَّةٌ، ولد ومات في بغداد (٢٩١هـ)، مِنْ كُتَبِهِ: (الفصيح) و(قواعد الشعر)، و(مجالس ثعلب) سَمَّاهُ: (المجالس). انظر ترجمته في: مروج الذهب، للمسعودي: ٣٨٧/٢-٣٨٨، ونزهة الألباء، لأبي البركات الأنباري: ٢٩٣، وَوَقَايَاتُ الْأَعْيَانِ، لابن خَلِّكَان: ٣٠/١، وتذكرة الخُفَّاط، للذهبي: ٢١٤/٢.

(٤) أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن أصمع الباهلي، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جده أصمع. ومولده ووفاته في البصرة. قال الأخفش: "لم أدرك أحدًا أعلم بالشعر من خَلْفِ والأصمعي"، وقال عنه أبو بكر الزبيدي: "كان من أوثق الناس في اللغة، وأسرع الناس جوابًا، وأحضر الناس ذَهْنًا"، (ت ٢١٦هـ). انظر ترجمته في: طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي: ١٦٩، ونزهة الألباء، لأبي البركات الأنباري: ٩٠-٩١، وإنباه الرواة، للقفطي: ١٩٧/٢.

(٥) الاقتراح، للسيوطي: ٥٩.

أسلوب، فهو القائل ﷺ: "أُوتِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ"^(١)، يقول ابنُ الجوزي: "أَمَّا جَوَامِعُ الْكَلِمِ فَهُوَ جَمْعُ المعاني الكثيرة في الألفاظ اليسيرة"^(٢). ولم يَسْمَعْ الخَلْقُ بكلامِ أَفْصَحَ ولا أَبْيَنَ في مُرَادِهِ مِنْ كَلامِ النبي ﷺ، وفي ذلك قال الجاحظ: "لَمْ يَسْمَعْ النَّاسُ بكلامٍ قَطُّ أَعَمَّ نَفْعًا، ولا أَقْصَدَ لَفْظًا، ولا أَعَدَلَ وَرْثًا، ولا أَجْمَلَ مَذْهَبًا، ولا أَكْرَمَ مَطْلَبًا، ولا أَحْسَنَ مَوْفِعًا، ولا أَسْهَلَ مَخْرَجًا، ولا أَفْصَحَ مَعْنَى، ولا أَبْيَنَ في فَحْوَى مِنْ كَلَامِهِ ﷺ"^(٣). وقال السيوطي: "أَفْصَحُ الْخَلْقِ عَلَى الْإِطْلَاقِ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ جَلَّ وَعَلَا"^(٤).

لكنَّ النحاة الأوائل -مع إقرارهم بفصاحة النبي ﷺ وعلمهم أنه أفصحُ مَنْ نَطَقَ بالضاد- لَمْ يُلْحَظْ عليهم كثرة الاستدلال بالحديث الشريف كما فعلوا مع الآيات القرآنية وأقوال العرب، وسكتوا عن تبويب (الحديث الشريف) ضمن السماع الذي تُبْنَى عليه القواعد النحوية^(٥). ولعلَّ قضية استشهاد النحاة بالحديث النبوي من القضايا التي كَثُرَ الحديث عنها، وتواردت الدراسات والأبحاث فيها، حتى لا تكاد تخلو دراسة تحدثت عن الشواهد النحوية أو عن الحديث النبوي إلَّا واستفاضت في بيان موقف النحاة من الاستشهاد بالحديث الشريف^(٦)، ولا

(١) صحيح البخاري، للبخاري، بابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ "نُصِرْتُ بِالرُّغْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ": ٥٤/٤، حديث رقم: (٢٩٧٧)، وصحيح مُسْلِم، لِلْمُسْلِمِ، واللفظُ له، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ: ٣٧٢/١، حديث رقم: (٥٢٣).

(٢) كَشَفُ الْمُشْكِ مِنْ حَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ، لابن الجوزي: ٣٤٩/٣.

(٣) البيان والتبيين، للجاحظ: ١٣/٢-١٤.

(٤) المزهري في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي: ١٦٥/١.

(٥) انظر: الحديث النبوي في النحو العربي، د. محمود فجال: ١٠١.

(٦) مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ وَالدراسات مَثَلًا:

١. موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، د. خديجة الحديثي، دار الرشيد - العراق، ١٩٨١م.
٢. السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي، د. محمود فجال، دار أضواء السلف للنشر - الرياض، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
٣. الحديث النبوي في النحو العربي، د. محمود فجال، دار أضواء السلف - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٤. الاستشهاد بالحديث في اللغة، للإمام محمد الخضر حُسَيْن، بَحْثٌ نَشَرَتْهُ مَجَلَّةُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ، الجزء الثالث، المجلد العاشر، شعبان ١٣٥٥هـ - أكتوبر ١٩٣٦م.
٥. توظيف الحديث الشريف في البحث النحوي، (بحث مُحَكَّم)، د. فخر الدِّين قباوة، مجلة مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بدمشق، المجلد الثالث والثمانون، الجزء الثالث، د. ت.
٦. قضية الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في النحو العربي، (بحث مُحَكَّم)، د. عبد المُحْسِن القيسي، مجلة الإسلام في آسيا، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، المجلد السابع، العدد الثاني، ديسمبر ٢٠١٠م.
٧. مسألة احتجاج النحاة بالحديث الشريف في مناهج المُحَدِّثِينَ، (بحث مُحَكَّم)، د. خلود إبراهيم العموش، مجلة جامعة الإمام، العدد العاشر، مُحَرَّم ١٤٣٠هـ - ٢٠١٥م.

أَرْغَبُ فِي إِعَادَةِ الْقَضِيَّةِ بِالتَّفْصِيلِ الطَوِيلِ كَمَا وَرَدَتْ عِنْدَ الْبَاحِثِينَ، فَقَدْ بَلَّغْتُ بَعْضَ الْكُتُبِ الَّتِي تَحَدَّثَتْ عَنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِ مِائَةِ صَفْحَةٍ^(١)، إِنَّمَا سَأَعْرِضُهَا -مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ تَعَالَى- فِي صَفَحَاتٍ مَعْدُودَةٍ؛ تَيْسِيرًا عَلَى الْقَارِئِ، وَدَفْعًا لِلْسَّامَةِ وَالْمَلَلِ.

وَدَكَرْتُ مَوْقِفَ النِّحَاةِ مِنَ الْاِحْتِجَاجِ بِالْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ خُطْبَ النَّبِيِّ ﷺ جُزْءٌ أَصِيلٌ مِنْ أَحَادِيثِهِ الشَّرِيفَةِ.

وَقَدْ وَقَعَ خِلَافٌ ظَاهِرٌ بَيْنَ النُّحَاةِ الْمُتَأَخِّرِينَ، تَوَزَّعَتْ بِسَبَبِهِ اتِّجَاهَاتُهُمْ لِلْاِسْتِشْهَادِ بِالْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، وَكَانَتْ لَهُمْ مِنْهُ ثَلَاثَةُ مَوَاقِفَ، هِيَ:

١. مَنْ مَنَعَ الْاِسْتِشْهَادَ بِالْحَدِيثِ مُطْلَقًا.

٢. مَنْ أَجَازَ الْاِسْتِشْهَادَ بِالْحَدِيثِ مُطْلَقًا.

٣. مَنْ تَوَسَّطَ فِي الْمَوْقِفِ بَيْنَ الْمَنْعِ وَالْجَوَازِ.

وَسَأَعْرِضُ الْمَوَاقِفَ الثَّلَاثَةَ مَعَ الرَّدِّ عَلَى الشُّبُهَاتِ الْمُثَارَةِ حَوْلَ مَنَعِ الْاِسْتِشْهَادِ بِالْحَدِيثِ^(٢):

الْمَوْقِفُ الْأَوَّلُ: مَنَعُ الْاِسْتِشْهَادِ بِالْحَدِيثِ وَالْاِحْتِجَاجُ بِهِ مُطْلَقًا:

إِنَّ أَوَّلَ مَنْ رَوَّجَ لِهَذَا الرَّأْيِ عَالِمَانِ مِنَ نَحَاةِ الْأَنْدَلُسِ، هُمَا: ابْنُ الصَّائِعِ^(٣)، وَتَلْمِيزُهُ أَبُو حَيَّانِ الْأَنْدَلُسِيِّ^(٤).

٨. الْاِسْتِشْهَادُ بِالْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ عِنْدَ اللُّغَوِيِّينَ، (بَحْثٌ مُحْكَمٌ)، د. مُحَمَّدٌ صَالِحٌ شَرِيفٌ عَسْكَرِي، مَجَلَّةُ آفَاقِ الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، أَكَادِيمِيَّةُ الْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ، السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ، الْعَدَدُ الثَّانِي، ١٤٣١هـ.

٩. تَرَكَّ الْاِسْتِشْهَادُ بِالْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ ظَاهِرَةً أَنْدَلُسِيَّةً، (بَحْثٌ مُحْكَمٌ)، د. هِشَامُ فَالِحٌ حَامِدٌ، مَجَلَّةُ مَدَادِ الْأَدَابِ، مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ مُحْكَمَةٌ فَصْلِيَّةٌ تُصَدَّرُ عَنْ كَلِيَّةِ الْأَدَابِ، الْجَامِعَةُ الْعِرَاقِيَّةُ - بَغْدَادُ، الْعَدَدُ الْعَاشِرُ، ٢٠١٥م.

^(١) مِثْلُ: مَوْقِفِ النِّحَاةِ مِنَ الْاِسْتِشْهَادِ بِالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، د. خَدِيجَةُ الْحَدِيثِي، وَالْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ فِي النُّحُو الْعَرَبِيِّ، د. مُحَمَّدٌ فَجَالٌ.

^(٢) انْظُرْ: الْاِقْتِرَاحُ، لِلْسِّيُوطِيِّ: ٨٩-٩٩، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ، لِلْبَغْدَادِيِّ: ٩/١-١٥، وَفَيْضُ نَشْرِ الْاِنْشِرَاحِ مِنْ رَوْضِ طَيِّ الْاِقْتِرَاحِ، لِابْنِ الطَّيِّبِ الْفَاسِيِّ: ١/٥٣-٨٢، وَالْإِصْبَاحُ فِي شَرْحِ الْاِقْتِرَاحِ، د. مُحَمَّدٌ فَجَالٌ: ٧٤-٨٩، وَالْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ فِي النُّحُو الْعَرَبِيِّ، د. مُحَمَّدٌ فَجَالٌ: ١٠٤-١٣٣، وَالرَّوَايَةُ وَالْاِسْتِشْهَادُ بِاللُّغَةِ، د. مُحَمَّدٌ عِيْدٌ: ١٣١-١٣٤.

^(٣) أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ الْإِشْبِيلِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الصَّائِعِ، عَالِمٌ بِالْعَرَبِيَّةِ، أَنْدَلُسِيٌّ، مِنْ أَهْلِ إِشْبِيلِيَّةٍ، بَلَغَ الْعِلَاةَ فِي فَنِّ النُّحُو، وَلَازَمَ الشُّلُوبِيْنَ، وَفَاقَ أَصْحَابَهُ بِأَسْرِهِمْ؛ وَلَهُ فِي مَشْكَلَاتِ الْكِتَابِ عَجَائِبُ، مَاتَ سَنَةَ (٦٨٠هـ). انْظُرْ: الْوَافِي بِالْوَقَايَاتِ، لِلصَّفْدِيِّ: ٥/١٨٤، وَبَغِيَّةُ الْوَعَاةِ، لِلْسِّيُوطِيِّ: ٢/٢٠٤، وَمَعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ، لِعُمَرَ كَحَالَةٍ: ٧/٢٢٤.

^(٤) أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَيَّانَ، الْإِمَامُ أَثِيرُ الدِّينِ الْأَنْدَلُسِيُّ، الْغُرْنَاطِيُّ، الشَّيْخُ، الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْعَلَامَةُ، فَرِيدُ الْعَصْرِ، وَشَيْخُ الزَّمَانِ، وَإِمَامُ النِّحَاةِ، نُحَوِّيْ عَصْرَهُ، وَلُغَوِيُّهُ، وَمُفَسِّرُهُ، وَمُحَدِّثُهُ، وَمَقَرَّرُهُ، =

وَقَدْ اسْتَنَدَا فِي رَأْيِهِمَا بِمَنْعِ الاحتجاج بالحديث -كَمَا زَعَمَا- عَلَى أُمُورٍ، أَهْمُهَا:

١. تجويز رواية الحديث الشريف بالمعنى.

٢. عدم احتجاج أئمة اللغة والنحو الْمُتَقَدِّمِينَ بالحديث الشريف.

٣. وَقُوعُ اللَّحْنِ كَثِيرًا فِيمَا رُوِيَ مِنَ الْحَدِيثِ.

قَالَ ابْنُ الضَّائِعِ فِي شَرْحِ الْجُمَلِ^(١): "تَجْوِيزُ الرَّوَايَةِ بِالْمَعْنَى هُوَ السَّبَبُ عِنْدِي فِي تَرْكِ الْأَيْمَةِ كَسِيْبِيهِ^(٢) وَغَيْرِهِ الْإِسْتِشْهَادَ عَلَى إِثْبَاتِ اللُّغَةِ بِالْحَدِيثِ، وَاعْتَمَدُوا فِي ذَلِكَ عَلَى الْقُرْآنِ، وَصَرِيحِ النَّقْلِ عَنِ الْعَرَبِ، وَلَوْلَا تَصْرِيحُ الْعُلَمَاءِ بِجَوَازِ النَّقْلِ بِالْمَعْنَى فِي الْحَدِيثِ لَكَانَ الْأَوَّلَى فِي إِثْبَاتِ فَصِيحِ اللُّغَةِ كَلَامُ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَنَّهُ أَفْصَحُ الْعَرَبِ"^(٣).

وَيَتَقَى أَبُو حَيَّانَ مَعَ شَيْخِهِ ابْنَ الضَّائِعِ فِي أَنَّ جَوَازَ الرَّوَايَةِ بِالْمَعْنَى مِنْ أَسْبَابِ عَزُوفِ النِّحَاةِ الْمُتَقَدِّمِينَ عَنِ الاحتجاج بالحديث: "وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِأَمْرَيْنِ، أَحَدُهُمَا: أَنَّ الرَّوَاةَ جَوَزُوا النَّقْلَ بِالْمَعْنَى"^(٤).

أَمَّا عَنِ السَّبَبِ الثَّانِي لِإِعْرَاضِ النِّحَاةِ عَنِ الْإِسْتِدْلَالِ بِالْحَدِيثِ فَيُعَلِّلُ أَبُو حَيَّانَ قَائِلًا: "الْأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّهُ وَقَعَ اللَّحْنُ كَثِيرًا فِيمَا رُوِيَ مِنَ الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الرَّوَاةِ كَانُوا غَيْرَ عَرَبٍ بِالطَّبْعِ، وَلَا يَعْلَمُونَ لِسَانَ الْعَرَبِ بِصِنَاعَةِ النَّحْوِ؛ فَوَقَعَ اللَّحْنُ فِي كَلَامِهِمْ، وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، وَدَخَلَ فِي كَلَامِهِمْ وَرَوَايَتِهِمْ غَيْرُ الْفَصِيحِ مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ"^(٥).

وَقَدْ ذَكَرَ أَحْمَدُ مَخْتَارٌ عُمَرَ أَنَّ النِّحَاةَ الْقَدَمَاءَ لَمْ يَرْفُضُوا الْإِسْتِشْهَادَ بِالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، فَقَالَ: "إِنْ هَؤُلَاءِ الْقَدَمَاءُ الَّذِينَ نَسَبَ إِلَيْهِمْ رَفْضَهُمُ الْإِسْتِشْهَادَ بِالْحَدِيثِ لَمْ يَثْبُروا هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ، وَلَمْ يَنَاقِشُوا مَبْدَأَ الاحتجاج بالحديث، وَبِالْتَّالِي^(٦) لَمْ يَصْرَحُوا بِرَفْضِ الْإِسْتِشْهَادِ بِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ اسْتِنْتِاجٌ

ومؤرخه، وأدبيه، (ت ٧٤٥هـ). انظر ترجمته في: فَوَاتِ الْوَفَايَاتِ، لابن شاکر الکتبی: ٢/٢٨٢، والنجوم الزاهرة، لابن تغري بردی: ١٠/١١١، وبغية الوعاة، للسيوطي: ١/٢٨٠، وشذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي: ٦/١٤٥.

(١) نَقْلًا عَنْ: الاقتراح، للسيوطي: ٤٥، وخزانة الأدب، للبغدادي: ١/١٠.

(٢) أَبُو بَشَرٍ عَمْرُو بْنُ عَثْمَانَ بْنِ قَنْبَرٍ، وَلَقَبَهُ سَيْبِيهِ، شَيْخُ النِّحَاةِ، وَصَاحِبُ أَوَّلِ كِتَابٍ فِي النَّحْوِ، لَازِمُ الْخَلِيلِ، وَشَاعَ صَيْتُهُ حَتَّى مَلَأَ الْبَصْرَةَ، وَالْكُوفَةَ، ثُمَّ بَغْدَادَ (ت ١٨٠هـ). انظر ترجمته في: نزهة الألباء، لأبي البركات الأنباري: ٢٤، ووفيات الأعيان، لابن خَلِّكَانَ: ٣/٤٦٣، وبغية الوعاة، للسيوطي: ٢/٢٢٩.

(٣) الاقتراح، للسيوطي: ٤٥، وخزانة الأدب، للبغدادي: ١/١٠.

(٤) الاقتراح، للسيوطي: ٤٤، وخزانة الأدب، للبغدادي: ١/١١.

(٥) نَقْلًا عَنْ: الاقتراح، للسيوطي: ٤٤، وخزانة الأدب، للبغدادي: ١/١١.

(٦) رَأَى مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْقَاهِرَةِ أَنَّ تَعْبِيرَ "وَبِالْتَّالِي" غَيْرُ فَصِيحٍ؛ لِأَنَّهُ تَعْبِيرٌ دَخِيلٌ لَمْ يَرِدْ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ خَطَأً، وَالْفَصِيحُ أَنْ يُقَالَ: "وَمِنْ ثَمَّ". وَقَدْ قَبِلْتُ بَعْضَ الْمَعَاجِمِ الْحَدِيثَةِ كَالْمَعْجَمِ الْعَرَبِيِّ الْأَسَاسِيِّ التَّعْبِيرِ: "وَبِالْتَّالِي". انظر: معجم الصواب اللغوي، د. أحمد مختار عُمَر: ١/٧٨٧.

من المتأخرين الذين لاحظوا -خَطَأً- أَنَّ القُدَامَى لم يستشهدوا بالحديث، فَبَنُوا عليه أنهم يرفضون الاستشهاد به، ثُمَّ حاولوا تعليل ذلك^(١)، فَيَرَى أحمد مختار عُمَر أَنَّ رَفُضَ القدماء للاستشهاد مسألة لاحظها المتأخرون مِنْ باب الخطأ لا الصواب؛ فَبَنُوا عليها رَفُضَهُم الاحتجاج بالحديث الشريف.

ثُمَّ ذَكَرَ مجموعة من الدلائل والبراهين أَثَبَّتَ فيها صحة الاحتجاج بالحديث؛ فقال: "وهناك أسباب كثيرة تحمل على الشك في صحة ما نُسِبَ إلى الأقدمين مِنْ رفضهم الاستشهاد بالحديث، بل هناك من الدلائل ما يكاد يقطع -إِنْ لَمْ يَكُنْ يقطع فعلاً- أَنَّهُمْ كانوا يستشهدون به ويبنون عليه قواعدهم، سواء منهم مَنْ اشتغل باللغة أو النحو أو بهما معاً. ولهذا لا يسع الباحث المَدَقُّقُ أَنْ يُسَلِّمَ بما ادَّعاه المتأخرون"^(٢)، ثُمَّ علَّلَ بالأسباب الآتية^(٣):

١. أَنَّ الأحاديثَ أصحُّ سنداً مِنْ كثيرٍ مما ينقل من أشعار العرب.
٢. أَنَّ مِنْ المُحَدِّثِينَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ لَا تجوز الرواية بالمعنى إلا لمن أحاط بجميع دقائق اللغة، وكانت جميع المحسنات الفائقة بأقسامها على ذكر منه فيراعيها في نظم كلامه. وإلا فلا يجوز له روايته بالمعنى. على أن المجوزين للرواية بالمعنى معترفون بأن الرواية باللفظ هي الأولى، ولم يجيزوا النقل بالمعنى إلا فيما لم يدون في الكتب، وفي حالة الضرورة فقط. وقد ثبت أن كثيراً من الرواة في الصدر الأول كانت لهم كُتُبٌ يرجعون إليها عند الرواية، ولا شك أن كتابة الحديث تساعد على روايته بلفظه وحفظه عن ظهر قَلْبٍ مما يبعده عَنْ أَنْ يَدْخُلَهُ غَلَطٌ أَوْ تَضْهِيفٌ.
٣. أَنَّ كثيراً مِنْ الأحاديثِ دُونَ فِي الصَّدْرِ الأوَّلِ قَبْلَ فساد اللغة على أيدي رجالٍ يُحْتَجُّ بِأَقْوَالِهِمْ فِي الْعَرَبِيَّةِ، فالتبديل على قَرَضِ ثبوته إنما كان مِمَّنْ يسوغ الاحتجاج بكلامه، فغاياته تبديل لفظٍ يَصِحُّ الاحتجاج به بلفظٍ كذلك.
٤. أَنَّ هناك أحاديثَ عُرِفَ اعتناء ناقلها بلفظها لمقصودٍ خاصٍّ، كالأحاديث التي قصد بها بيان فصاحته ﷺ ككِتَابِهِ لِهَمْدَانٍ، والأمثال النبوية.
٥. وإذا كان قَدْ وَقَعَ فِي رواية بعض الأحاديث غَلَطٌ أَوْ تَضْهِيفٌ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا يقتضي تَرْكَ الاحتجاج به جُمْلَةً، وإنما غايته تَرْكَ الاحتجاج بهذه الأحاديث فَقَطْ، وَحَمْلُهُ على قلة ضَبْطِ أَحَدِ الرواة فِي هذه الألفاظ خاصة، وَقَدْ وَقَعَ فِي الأشعار غَلَطٌ وتصحيف، وَمَعَ ذَلِكَ فهي حُجَّةٌ مِنْ غيرِ خلافٍ، وإذا كان العسكريُّ قَدْ أَلَّفَ كِتَابًا

(١) البحث اللغوي عند العرب، د. أحمد مختار عُمَر: ٣٥.

(٢) السابق: ٣٥.

(٣) انظر: السابق: ٣٥-٣٩.

في تصحيف رواة الحديث، فَقَدْ أَلَّفَ كِتَابًا فِيهَا وَقَعَ مِنْ أَصْحَابِ اللُّغَةِ وَالشُّعْرِ مِنَ التَّصْحِيفِ.

٦. لَوْ صَحَّ أَنَّ الْقَدَمَاءَ لَمْ يَسْتَشْهَدُوا بِالْحَدِيثِ فَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُجِيزُونَ الِاسْتِشْهَادَ بِهِ، إِذْ لَا يُلْزَمُ مِنْ عَدَمِ اسْتِدْلَالِهِمْ بِالْحَدِيثِ عَدَمُ صِحَّةِ الِاسْتِدْلَالِ بِهِ، فَقَدْ تَكُونُ الْعِلَّةُ لِتَرْكِهِ عَدَمَ تَعَاظِيهِمْ إِيَّاهُ، وَقَدْ ثَبَّتَ فِعْلًا أَنَّ أَوَائِلَ النِّحَاةِ مِنْ شِيُوخِ سَيِّبِيهِ حَتَّى زَمَنِ تَدْوِينِ صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ لَمْ يَكْثُرُوا مِنَ الِاسْتِشْهَادِ بِالْحَدِيثِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُدَوَّنًا فِي زَمَانِهِمْ.

٧. يَجِدُ الْبَاحِثُ الْكَثِيرَ مِنْ قُدَامَى اللُّغَوِيِّينَ مِنَ اسْتِشْهَادِ بِالْحَدِيثِ فِي مَسَائِلِ اللُّغَةِ كَأَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ^(١)، وَالْخَلِيلِ^(٢)، وَالْكَسَائِيِّ^(٣)، وَمِمَّنْ اسْتَشْهَدَ بِالْحَدِيثِ مِنَ النِّحَاةِ أَبُو عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ، وَالْخَلِيلِ، وَسَيِّبِيهِ، وَالْفَرَّاءُ^(٤)، وَالْكَوْفِيُّونَ، وَابْنُ خُرُوفٍ^(٥)، وَابْنُ مَالِكٍ^(٦).

إِنَّ مَا أُورَدَهُ أَحْمَدُ مَخْتَارَ عُمَرُ مِنْ بَرَاهِينٍ وَدَلَائِلَ هِيَ خُلَاصَةٌ مَا قَدَّمَهُ الْعُلَمَاءُ.

(١) أَبُو عَمْرٍو زَبَّانُ بْنُ عَمَّارِ التَّمِيمِيِّ الْبَصْرِيِّ، وَقِيلَ اسْمُهُ الْغُرَيَّانُ، يُقَلَّبُ أَبُوهُ بِالْعَلَاءِ، مِنْ أُنْمَةِ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، وَأَحَدُ الْقُرَاءِ السَّبْعَةِ، وَلَدَ بِمَكَّةَ، وَنَشَأَ بِالْبَصْرَةِ، وَمَاتَ بِالْكُوفَةِ (ت ١٥٤هـ). انظر ترجمته في: فَوَاتِ الْوَفَيَّاتِ، لِابْنِ شَاكِرٍ الْكَتَبِيِّ: ٢٨/٢، وَالْوَافِي بِالْوَفَيَّاتِ، لِلصَّفْدِيِّ: ١١٥/١٤.

(٢) أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ تَمِيمٍ الْفَرَاهِيدِيِّ الْأَزْدِيِّ، مِنْ أُنْمَةِ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، وَوَضَعَ عِلْمَ الْعُرُوضِ، وَهُوَ أَسَاتِذُ سَيِّبِيهِ النَّحْوِيِّ، صَاحِبُ (الْعَيْنِ) أَوَّلِ مَعْجَمٍ فِي اللُّغَةِ، (ت ١٧٠هـ). انظر ترجمته في: وَفَيَّاتِ الْأَعْيَانِ، لِابْنِ خَلِّكَانَ: ٢٤٤/٢، وَبَغِيَّةُ الْوَعَاةِ، لِلْسَيَّوْطِيِّ: ٥٥٧/١.

(٣) أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيِّ بِالْوَلَاءِ، الْكُوفِيُّ الْكَسَائِيُّ، إِمَامٌ فِي اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالْقِرَاءَةِ، مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، لُقِّبَ بِالْكَسَائِيِّ؛ لِكِسَاءِ أَحْرَمٍ فِيهِ، (ت ١٨٩هـ). انظر ترجمته في: نَزْهَةُ الْأَلْبَاءِ، لِأَبِي الْبَرَكَاتِ الْأَنْبَارِيِّ: ٦٧ و ٧٥، وَإِنْبَاهُ الرِّوَاةِ، لِلْقَفْطِيِّ: ٢٥٦/٢.

(٤) أَبُو زَكْرِيَاءَ، يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ الدِّيلَمِيُّ، مَوْلَى بَنِي أَسَدٍ أَوْ (بَنِي مَنْقَرٍ)، الْمَعْرُوفُ بِالْفَرَّاءِ: إِمَامٌ الْكُوفِيِّينَ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَفَنُونِ الْأَدَبِ. كَانَ يُقَالُ: "الْفَرَّاءُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي النَّحْوِ"، وَمِنْ كَلَامِ ثَعْلَبٍ: "لَوْلَا الْفَرَّاءُ مَا كَانَتِ اللُّغَةُ"، (ت ٢٠٧هـ). انظر ترجمته في: نَزْهَةُ الْأَلْبَاءِ، لِأَبِي الْبَرَكَاتِ الْأَنْبَارِيِّ: ٤٣، وَوَفَيَّاتِ الْأَعْيَانِ، لِابْنِ خَلِّكَانَ: ٢٢٨/٢، وَبَغِيَّةُ الْوَعَاةِ، لِلْسَيَّوْطِيِّ: ٣٣٣/٢.

(٥) أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ الْحَضْرَمِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ خُرُوفٍ النَّحْوِيِّ، عَالِمٌ بِالْعَرَبِيَّةِ، أُنْدَلَسِيٌّ، مِنْ أَهْلِ إِشْبِيلِيَّةٍ، نَسَبَتْهُ إِلَى حَضْرَمُوتَ، لَهُ كُتُبٌ، مِنْهَا: (شرح كتاب سيبويه) سَمَّاهُ: (تتقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب)، (ت ٦٠٩هـ). انظر ترجمته في: وَفَيَّاتِ الْأَعْيَانِ، لِابْنِ خَلِّكَانَ: ٣٣٥/٣، وَوَفَيَّاتِ الْوَفَيَّاتِ، لِابْنِ شَاكِرٍ الْكَتَبِيِّ: ٨٤/٣.

(٦) هُوَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ الطَّائِيِّ الْجَبَانِيِّ، أَحَدُ الْأُنْمَةِ فِي عُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ، إِمَامُ النِّحَاةِ وَحَافِظُ اللُّغَةِ، لَهُ الْأَلْفِيَّةُ فِي النَّحْوِ وَالصَّرْفِ الْمُسَمَّاةُ بِالْفَلْغِيَّةِ ابْنِ مَالِكٍ، (ت ٦٧٢هـ). انظر ترجمته في: الْوَافِي بِالْوَفَيَّاتِ، لِلصَّفْدِيِّ: ٣٥٩/٣، وَبَغِيَّةُ الْوَعَاةِ، لِلْسَيَّوْطِيِّ: ١٣٠/١.

الموقف الثاني: مَنْ أجاز الاستشهاد بالحديث مطلقاً:

ذَهَبَ جَمْعٌ مِنَ النَحَاةِ إِلَى جَوَازِ الْاِحْتِجَاجِ بِالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وَالْاِسْتِدْلَالِ بِهِ فِي مَسَائِلِهِمْ، وَتَزَعَّمْ هَذَا الْاِتِّجَاهُ الْإِمَامُ ابْنُ مَالِكٍ، وَتَبِعَهُ طَائِفَةٌ مِنَ النَحَاةِ كَابْنِ هِشَامٍ^(١)، وَالدَّمَامِينِي^(٢)، يَقُولُ ابْنُ الطَّبَّيْبِ: "ذَهَبَ إِلَى الْاِحْتِجَاجِ بِهِ [أَيُّ: الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ]، وَالْاِسْتِدْلَالِ بِالْفَافِظِ وَتَرَكَيبِهِ جَمْعٌ مِنَ الْأُئِمَّةِ. مِنْهُمْ: شَيْخَا هَذِهِ الصَّنَاعَةِ، وَإِمَامَاهَا الْجَمَالَانِ ابْنُ مَالِكٍ وَابْنُ هِشَامٍ، وَالْجَوْهَرِيُّ^(٣)، ... وَابْنُ سَيِّدِهِ^(٤)، وَابْنُ فَارِسٍ^(٥)، وَابْنُ خُرُوفٍ، وَالسُّهَيْلِيُّ^(٦)، وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ

(١) أَبُو مُحَمَّدٍ جَمَالُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ أَحْمَدَ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ هِشَامِ الْأَنْصَارِيِّ، النَّحْوِيُّ الْفَاضِلُ، الْعَلَّامَةُ الْمَشْهُورُ، أَتَقَنَ الْعَرَبِيَّةَ فَبَرَعَ، قَالَ ابْنُ خَلْدُونٍ: "وَمَا زِلْنَا وَنَحْنُ بِالْمَغْرِبِ نَسْمَعُ أَنَّهُ ظَهَرَ بِمِصْرَ عَالِمٌ بِالْعَرَبِيَّةِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ هِشَامٍ، أَنْحَى مِنْ سَبِيئِهِ"، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَخَالَفَةِ لِأَبِي حَيَّانَ، لَهُ: (مُغْنِي اللَّيِّيبِ)، وَ(أَوْضَحَ الْمَسَالِكَ)، وَغَيْرَهَا، (ت ٧٦١هـ). انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ، لِابْنِ تَغْرِي بَرْدِي: ٣٣٦/١٠، وَبَغِيَّةُ الْوَعَاةِ، لِلْسَيُوطِيِّ: ٦٨/٢-٧٠، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ، لِابْنِ الْعِمَادِ الْحَنْبَلِيِّ: ٣٢٩/٨.

(٢) بَذْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَمْرِو، الْمَعْرُوفُ بِالْإِمَامِيَّةِ أَوْ ابْنِ الدَّمَامِينِيِّ، عَالِمٌ بِالشَّرِيعَةِ وَفَنُونَ الْأَدَبِ، وَلَدَ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَاسْتَوَظَنَ الْقَاهِرَةَ وَلاَزَمَ ابْنَ خَلْدُونٍ، كَانَ دَيِّنًا، مِنْ كُتُبِهِ: "تَحْفَةُ الْغَرِيبِ" وَهُوَ شَرْحٌ لِمَغْنِي اللَّيِّيبِ، وَ"شَرْحُ تَسْهِيلِ الْفَوَائِدِ"، (ت ٨٢٧هـ). انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي: بَغِيَّةُ الْوَعَاةِ، لِلْسَيُوطِيِّ: ٢٧، وَحُسْنُ الْمَحَاضِرَةِ، لِلْسَيُوطِيِّ: ١/٥٣٨، وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ، لِابْنِ الْعِمَادِ الْحَنْبَلِيِّ: ٦٠/٩-٦١.

(٣) أَبُو نَصْرِ الْفَارَابِيُّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمَّادِ الْجَوْهَرِيِّ، أَصْلُهُ مِنْ (فَارَابٍ) مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ، كَانَ إِمَامًا فِي عِلْمِ اللُّغَةِ؛ وَخَطَّهُ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْحُسْنِ، كَانَ مِنْ فِرْسَانِ الْكَلَامِ، وَمِمَّنْ آتَاهُ اللَّهُ قُوَّةَ بَصِيرَةٍ، وَحُسْنَ سَرِيرَةٍ وَسِيرَةٍ، مِنْ أَشْهُرِ كُتُبِهِ: مَعْجَمُ (الصَّحَاحِ)، (ت ٣٩٣هـ). انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي: إِنْبَاهُ الرِّوَاةِ، لِلْقُفْطِيِّ: ٢٢٩/١، وَبَغِيَّةُ الْوَعَاةِ، لِلْسَيُوطِيِّ: ٤٤٦/١.

(٤) أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ سَيِّدِهِ، الْأَنْدَلُسِيُّ الْمَرِي الضَّرِيرُ، وَكَانَ أَبُوهُ أَيْضًا ضَرِيرًا، يَعِدُ ابْنُ سَيِّدِهِ إِمَامًا فِي اللُّغَةِ وَأَدَابِهَا، وَأَحَدٌ مِنْ يُضْرَبُ بِذِكَايَةِ الْمَثَلِ، لَهُ: (الْمُخَصَّصُ)، وَ(الْمُحْكَمُ وَالْمُحِيطُ الْأَعْظَمُ) وَهُمَا مُعْجَمَانِ لُغَوِيَّانِ، (ت ٤٥٨هـ). انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي: الْوَافِي بِالْوَقَايَاتِ، لِلصَّفْدِيِّ: ١٠٠/٢٠، وَسِيرَةُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ: ١٤٤/١٨.

(٥) أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسَ بْنِ زَكْرِيَا الْقُرُونِيُّ الرَّازِيُّ، أَصْلُهُ مِنْ قَزْوِينَ، كَانَ مِنْ أُنَمَّةِ اللُّغَةِ، نَحْوِيًّا عَلَى طَرِيقَةِ الْكُوفِيِّينَ، مِنْ أَشْهُرِ كُتُبِهِ: مَعْجَمُ (مَقَايِيسِ اللُّغَةِ)، (ت ٣٩٥هـ). انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي: وَقَايَاتُ الْأَعْيَانِ، لِابْنِ خَلِّكَانَ: ١١٨/١، وَسِيرَةُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، لِلذَّهَبِيِّ: ١٠٣/١٧-١٠٤، وَبَغِيَّةُ الْوَعَاةِ، لِلْسَيُوطِيِّ: ٣٥٢/١.

(٦) أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْخَثْعَمِيِّ السُّهَيْلِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ، نَسَبَتْهُ إِلَى سُهَيْلِ (مَنْ قَرَى مَالِقَةَ)، حَافِظٌ عَالِمٌ بِاللُّغَةِ وَالسِّيَرِ، كَانَ ضَرِيرًا، مِنْ كُتُبِهِ: "الرُّؤُوسُ الْأَنْفُ" فِي شَرْحِ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ هِشَامٍ، وَ"الْإِيضَاحُ وَالتَّبْيِينُ لِمَا أُبْهِمَ مِنْ تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ"، وَ"الْأَمَالِي"، وَ"نَتَائِجُ الْفِكْرِ فِي النَّحْوِ"، (ت ٥٨١هـ). انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي: إِنْبَاهُ الرِّوَاةِ، لِلْقُفْطِيِّ: ١٦٢/٢، وَوَقَايَاتُ الْأَعْيَانِ، لِابْنِ خَلِّكَانَ: ١٤٣/٣، وَتَذَكُّرَةُ الْخُفَافِ، لِلذَّهَبِيِّ: ٩٦/٤.

يَطُولُ ذِكْرُهُ"^(١). وهذا إثباتٌ من ابنِ الطَّيِّبِ أَنَّ الاحتجاج بالحديث مشهودٌ له عند اللغويين الأوائل، مشهور بينهم قَبْلَ أَنْ يُكْثَرَ مِنْهُ ابْنُ مَالِكٍ، فالجوهري وابن فارس من علماء القرن الرابع الهجري، في حين أَنَّ ابن مَالِكٍ من علماء القرن السابع الهجري. وَمِنَ الأئمة الذين استشهدوا بالحديث: "الزمخشري"^(٢)، وناظرُ الجَيْشِ^(٣)، وأبو عَلِيٍّ الشُّلُوبِيَّيْنِ^(٤)، وابن يَعِيشَ^(٥)، والأشْمُونِيَّ^(٦)، والكافِيَّيْنِ^(٧)، والرَّضِيِّ^(٨)، وابن عَقِيلِ^(٩)»^(١).

(١) فيض نشر الانشراح، لابن الطَّيِّبِ: ٦٤/١.

(٢) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، مِنْ أشهر كتبه: (الكشاف) في تفسير القرآن، و(أساس البلاغة)، (ت ٥٣٨هـ). انظر ترجمته في: نزهة الألباء، لأبي البركات الأنباري: ٢٩٠/١، وَوَفَيَاتُ الأعيان، لابن خَلْكَان: ١٦٨/٥، والنجوم الزاهرة، لابن تغري بردى: ٢٧٤/٥.

(٣) أبو عبد الله مُحِبُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بن يوسف بن أحمد، الحلبي ثم المصري، المعروف بِناظرِ الجَيْشِ، عالم بالعربية، من تلاميذ أبي حيان، أصله مِنْ خَلْبَ، ومولده ووفاته بالقاهرة، ترقَّى إلى أَنْ وليَ نظر الجيش بالديار المصرية، (ت ٧٧٨هـ). انظر ترجمته في: بغية الوعاة، للسيوطي: ٢٧٥/١، وَحُسْنُ المحاضرة، للسيوطي: ٥٣٧/١، وشذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي: ٤٤٦/٨.

(٤) أبو عليٍّ عَمَرُ بن محمد بن عمر بن عبد الله الأزدي، الشُّلُوبِيَّيْنِ أو الشُّلُوبِيْنِ، مِنْ كبار العلماء بالنحو واللغة، مولده ووفاته بإشبيلية، والشُّلُوبِيَّيْنِ نسبة إلى حصن (الشُّلُوبِيْنِ) أو (شُلُوبِيْنِيَّة) بجنوب الأندلس، (ت ٦٤٥هـ). انظر ترجمته في: إنباه الرواة، للقفطي: ٣٣٢/٢، وبغية الوعاة، للسيوطي: ٢٢٤/٢-٢٢٥.

(٥) أبو البقاء مُوَفَّقُ الدِّينِ يَعِيشُ بن علي بن يَعِيشَ، المعروف بِابْنِ يَعِيشَ، وَابْنِ الصَّائِغِ، أو ابن الصَّائِغِ، الموصلي الأصل، الحلبي المولد والمنشأ والوفاة، مِنْ كبار العلماء بالعربية، من كتبه: (شرح المُفَصَّلِ للزمخشري)، (ت ٦٤٣هـ). انظر ترجمته في: وَفَيَاتُ الأعيان، لابن خَلْكَان: ٤٦/٧، وَسِيرُ أعلام النبلاء، للذهبي: ٢٢٢/١٨، وبغية الوعاة، للسيوطي: ٣٥١/٢.

(٦) أبو الحسن نُورُ الدِّينِ علي بن محمد بن عيسى الأشْمُونِيَّ، نَحْوِيٌّ، مِنْ فقهاء الشافعية، أصله مِنْ أشمون (بمصر) ومولده بالقاهرة، وَلِيَّ القضاء بدمياط، له (شرح ألفية ابن مَالِكٍ) في النَّحْوِ، (ت ٩٠٠هـ). انظر ترجمته في: الضوء اللامع، للسخاوي: ٥/٦، وَسَلْمُ الوصول، لحاجي خليفة: ٣٩٤/٢.

(٧) أبو عبد الله مُحْيِي الدِّينِ مُحَمَّدُ بن سليمان الكافِيَّيْنِ، الإمام المُحَقِّقُ عَلامَةُ الوقت، مِنْ كِبَارِ العلماء بالمعقولات، رُومِي الأصل، اشتهر بمصر، ولازمه السيوطي أربعَ عشرةَ سَنَةً، وَعُرِفَ بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو، انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر، (ت ٨٧٩هـ). انظر ترجمته في: حُسْنُ المحاضرة، للسيوطي: ٥٤٩/١، وَسَلْمُ الوصول، لحاجي خليفة: ٢٣٦/٥.

(٨) مُحَمَّدُ بن الحسن الأُسْتَرَابَادِيَّ، عُرِفَ بالرَّضِيِّ، واشتهر بالشارح المُحَقِّقِ، وَلَدَ ببلدة أُسْتَرَابَادَ، وهي مدينة كبيرة بأرض طبرستان بين الري وخراسان شمال إيران، شَرَحَ (الكافية) و(الشافعية) لابن الحاجب، (ت ٦٨٦هـ). انظر ترجمته في: بغية الوعاة، للسيوطي: ٥٦٧/١، وكشف الظنون، لحاجي خليفة: ١٠٧/٦، وَخَزَانَةُ الأدب، للبغدادي: ٢٨/١.

بَلْ إِنَّ أَبَا حَيَّانَ -الذي تَزَعَّم رَفُضَ الاحتجاج بالحديث- لَمْ تَخُلْ كُتُبَهُ مِنَ الأحاديث، وَقَدْ تَنَبَّهَ لهذا ابْنُ الطَّبَّيبِ فقال: "بَلْ رَأَيْتُ الاستدلال بالحديث في كلامِ أَبِي حَيَّانَ مَرَّاتٍ، ولا سِيَّما في مسائل الصرف، إلا أنه لا يقر له عماد، فَهُوَ كُلَّ حِينٍ في اجتِهَادٍ"^(٣). وكذلك لَمْ تَخُلْ كُتُبُ شَيْخِهِ ابْنِ الصَّائِعِ مِنَ الاستشهاد بالحديث^(٤).

الموقف الثالث: مَنْ تَوَسَّطَ في الموقف بين المنع والجواز:

يقف هذا الفريق موقفاً وسطاً بين المانعين والمُجَوِّزِينَ، وَيُعَدُّ أَبُو إِسْحاق الشاطبي^(٥) أبرَرَ مَنْ تَزَعَّم هذا الرأي، في كتابه: المقاصد الشافية في شَرْحِ الخُلاصة الكافية، قال البغدادي: "وَتَوَسَّطَ الشاطبي فجوز الإحتجاج بالأحاديث التي اعْتَبَرُ بِنَقْلِ ألفاظها"^(٦)، فلم تمنع هذه الطائفة الاستشهاد بالحديث مطلقاً، ولم يقبلوه مطلقاً، إنما جَوَّزَتِ الاستدلال بالحديث الشريف الذي يعتني ناقلُهُ بِلَفْظِهِ، "ولم يرضوا عَمَّنْ مَنَعَ الاستشهاد بالحديث، كَمَا نَقَدُوا مَنْ جَوَّزَ الاستشهاد به دُونَ تمييز بين ما رُوِيَ منه بالمعنى أو اللفظ"^(٧). وَقَدْ بَيَّنَّ ذلك الشاطبي في شرحه لألفية ابن مالك حيث قال: "لا تَجِدُ في كتابٍ نحويٍّ استدلالاً بحديثٍ منقول عن رسول الله ﷺ إِلَّا عَلَى وَجْهِ أَذْكَرُهُ بِحَوْلِ اللَّهِ، وَهُمْ يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهاءهم، وبأشعارهم التي فيها ذِكْرُ الحَنَّا^(٨) والفُحْش، ... مِنَ الأعراب البَوَالِينِ على أعقابهم، ويتركون الأحاديث الصحيحة"^(٩).

(١) أبو مُحَمَّد بهاء الدِّين عبد الله بن عبد الرحمن، ابن عَقِيل، من أئمة النحاة، مِنْ نَسْلِ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، مولده ووفاته في القاهرة، له شَرْحٌ على ألفية ابن مالك، وَشَرْحُ التسهيل شرحاً متوسطاً سَمَّاهُ بِ(المُسَاعِدِ)، قال عنه أَبُو حَيَّانَ: "ما تحت أديم السماء أَنَحَى مِنْ ابْنِ عَقِيلٍ"، (ت ٧٦٩هـ). انظر ترجمته في: شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي: ٢١٤/٦-٢١٥، وبغية الوعاة، للسيوطي: ٤٧/٢.

(٢) الحديث النبوي في النحو العربي، د. محمود فجال: ١٠٦.

(٣) شرح كفاية المتحفظ، الموسوم بـ(تحرير الرواية في تقرير الكفاية)، لابن الطَّبَّيب: ٩٨-٩٩.

(٤) انظر: الحديث النبوي في النحو العربي، د. محمود فجال: ١٠٦.

(٥) أبو إِسْحاق إبراهيم بن موسى بن مُحَمَّد اللخمي، الغرناطي، المالكي، الشهير بالشاطبي، مِنْ أَهْلِ غرناطة، كان أَصُولِيًّا حَافِظًا مُفَسِّرًا فقيهاً مُحَدِّثًا لُغَوِيًّا بَيَانِيًّا نَظَّارًا ثَبَتًا وَرِعًا صَالِحًا زَاهِدًا سُنِّيًّا إِمَامًا مُطْلَقًا، مِنْ كُتُبِهِ: (الموافقات في أصول الفقه)، و(أصول النحو)، و(المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية) وهو شَرْحٌ للألفية، (ت ٧٩٠هـ). انظر ترجمته في: نيل الابتهاج، للتنبُّكْتي: ٤٨، والأعلام، للزركلي: ٧٥/١، ومعجم المؤلفين، لِعَمْرٍو كحالة: ١١٨/١.

(٦) خزانة الأدب، للبغدادي: ١٢/١.

(٧) قضية الاستشهاد بالحديث النبوي (بحث مُحَكَّم)، د. عبد المُحْسِن القيسي: ٨٩.

(٨) الكلام الفاحش القبيح. وَتَصَحَّحَ كتابتها بالألف القائمة (الحَنَّا) مِنْ حَنَّا يَحْنُو حَنًّا، وبالألف المقصورة (الحَنَى) مِنْ حَنَى يَحْنِي حَنَى، انظر: العَيْن، للخليل بن أحمد: ٣١٠/٤ (حَنَوٌ)، وتهذيب اللغة، للأزهري: ٢٣٨/٧ (حَنَى).

ويعِلُّ الشاطبي سَبَبَ مَنْعِهِم الاحتجاج بالحديث أَنَّ الأحاديث تُنْقَلُ بِالْمَعْنَى وتختلف رِوَايَاتُهَا وَأَلْفَاظُهَا، حِينَ قَالَ: "وَوَجْهُ تَرْكِهِم للحديث أَنْ يستشهدوا به ما ثَبَتَ عندهم مِنْ نَقْلِهِ على المعنى، وجواز ذلك عند الأئمة" (٢).

وقد قسم الشاطبي الحديث النبويَّ إلى قسمين، بَنَى على تقسيمه ما يَصِحُّ -عِنْدَهُ- الاحتجاجُ به، وما لا يَصِحُّ، يقول: "إِنَّ الحديث في النَقْلِ ينقسم قسمين: أحدهما: ما عُرِفَ أَنَّ الْمُعْتَنَى به فيه نَقْلٌ معانيه لا نَقْلٌ أَلْفَاظُهُ، فهذا لم يقع به استشهادٌ مِنْ أَهْلِ اللِّسَانِ.

والثاني: ما عُرِفَ أَنَّ الْمُعْتَنَى به في نَقْلِ أَلْفَاظِهِ لمقصودٍ خاصٍّ بها، فهذا يَصَحُّ الاستشهاد به في أحكام اللسان العربي، كالأحاديث المنقولة في الاستدلال على فصاحة رسول الله ﷺ، ككتابه إِلَى هَمْدَانَ (٣) (٤).

فَجَعَلَ الشاطبي -حسب ما رأى- الحديث النبويَّ صَرِيحَيْنِ: صَرِيحٌ يَعْتَنِي نَاقِلُهُ بمعناه دون لفظه، وهو يغلب في الأحاديث الطويلة، فهذا لم يقع به الاستشهاد عند النحاة. وَصَرِيحٌ عُرِفَ اعتناء نَاقِلِهِ بِلَفْظِهِ لمقصودٍ خاصٍّ، وهو يغلب على الأحاديث القصيرة، والأمثال النبوية (٥)، فهذا يصح الاستشهاد به في لغة العرب.

(١) المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للشاطبي: ٤٠١/٣.

(٢) السابق: ٤٠١/٣.

(٣) لَمْ أَعُثِرْ على نَصِّ كتابِ النَّبِيِّ ﷺ لَوْفِدِ هَمْدَانَ فِي كُتُبِ السُّنَنِ الْمُعْتَبَرَةِ، إِنَّمَا وَجَدْتُهُ فِي كُتُبِ السِّيَرِ، وَالْأَثَارِ، وَالْأَدَبِ، وَمَتْنُهُ: "قَدِمَ وَفَدَ هَمْدَانَ، ... فَكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، لِمَخْلَافِ خَارِفٍ وَأَهْلِ جَنَابِ الْهَضْبِ وَجِقَافِ الرَّمْلِ، لَوَافِدِهَا ذِي الْمَشْعَارِ مَالِكِ بْنِ نَمَطٍ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ: إِنَّ لَكُمْ فِرَاعَهَا، وَوَهَاطَهَا، وَعَزَارَهَا، تَأْكُلُونَ عِلَاقَهَا، وَتَرْعُونَ عَفَاءَهَا، لَنَا مِنْ دِفْئِهِمْ وَصِرَامِهِمْ مَا سَلَّمُوا بِالْمِيثَاقِ وَالْأَمَانَةِ. وَلَهُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ الثُّلُبُ، وَالنَّابُ، وَالْفَصِيلُ، وَالْقَارِضُ، الدَّاجِنُ، وَالْكَبْشُ الْحَوَارِيُّ، وَعَلَيْهِمْ فِيهَا الصَّالِحُ وَالْقَارِحُ". انظر: غريب الحديث، لابن قتيبة: ٥٤٨/١-٥٤٩، والأُمالي، للزجاجي: ١٥٢-١٥٣، والشفاء بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض: ٧١/١-٧٢، ومرآة الزمان، لِسِبْطِ ابْنِ الْجُوزِيِّ: ١٦٦/٤. وقال الإمام مُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ الصَّالِحِي الشَّامِي فِي كِتَابِهِ سُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ: ١٠١/٢: "رَوَاهُ أَبُو الْقَاسِمِ الزَّجَاجِيُّ فِي أُمَالِيهِ مُعْضَلًا".

(٤) المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للشاطبي: ٤٠٢/٣-٤٠٣.

(٥) كَتَشَبِيهِ الْمُسْلِمِ بِالنُّخْلَةِ، فَقَدْ رَوَى الْبَخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشَبِّهُ [الْمُسْلِمَ] - أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ - لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا، وَلَا، وَلَا، وَلَا، تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ"، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النُّخْلَةُ، ... قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هِيَ النُّخْلَةُ". انظر: صحيح البخاري، للبخاري، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾: ٧٩/٦، حديث رقم: (٤٦٩٨).

يَتَبَيَّنُ مِنْ مَجْمُوعِ أَقْوَالِ الشَّاطِطِيِّ أَنَّهُ يَعَارِضُ الْمَانِعِينَ لِلِاحْتِجَاجِ بِالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وَعَدَّهُمْ مُتَنَاقِضِينَ؛ لِأَنَّهُمْ يَتْرَكُونَ حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ، فِي حِينٍ يَسْتَشْهَدُونَ بِكَلَامِ الْعَرَبِ الْأَجْلَافِ. كَمَا أَنَّهُ عَارِضَ الْمُجَوِّزِينَ لِلِاحْتِجَاجِ بِالْحَدِيثِ مُطْلَقًا دُونَ تَفْرِقَةٍ بَيْنَ قِسْمَيْهِ الَّذِينَ قَسَمَهُمَا كَابْنُ مَالِكٍ، حَتَّى قَالَ مُعْتَرِضًا عَلَيْهِ: "وَابْنُ مَالِكٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ- لَمْ يُفَصِّلْ هَذَا التَّفْصِيلَ الضَّرُورِي الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ، فَبَنَى الْأَحْكَامَ عَلَى الْحَدِيثِ مُطْلَقًا، وَلَا أَعْرِفُ لَهُ فِيهِ مِنَ النُّحَاةِ سَلَفًا^(١) إِلَّا أَنَّ ابْنَ خَرُوفٍ يَأْتِي بِأَحَادِيثٍ فِي تَمَثِيلِ جُمْلَةٍ مِنَ الْمَسَائِلِ"^(٢).

رَأْيُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْقَاهِرَةِ:

اعْتَمَدَ مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْخَضِرُ حُسَيْنٌ مِنَ الْأَنْوَاعِ السِّتَةِ لِلْأَحَادِيثِ الَّتِي يُحْتَجُّ بِهَا، وَقَرَّرَ الْمَجْمَعُ جَوَازَ الْإِجْتِهَادِ بِالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وَفَصَّلَ الْمَجْمَعُ هَذِهِ الْأَنْوَاعَ فِي نَصِّ الْقَرَارِ الْآتِي^(٣):

"اختلف علماء العربية في الاحتجاج بالأحاديث النبوية؛ لجواز روايتها بالمعنى، ولكثرة الأعاجم، وَقَدْ رَأَى الْمَجْمَعُ الْإِجْتِهَادَ بِبَعْضِهَا فِي أَحْوَالٍ خَاصَّةٍ مُبَيَّنَّةٍ فِيمَا يَأْتِي:

١. لَا يُحْتَجُّ بِحَدِيثٍ لَا يَوْجَدُ فِي الْكُتُبِ الْمُدَوَّنَةِ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ، كَالْكِتَابِ الصَّاحِحِ السِّتَةِ^(٤) فَمَا قَبْلَهَا.

٢. يُحْتَجُّ بِالْحَدِيثِ الْمُدَوَّنِ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ الْإِنْفَةِ الذِّكْرِ عَلَى الْوَجْهِ الْآتِي:

أ. الْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ الْمَشْهُورَةُ^(٥).

ب. الْأَحَادِيثُ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ أَلْفَاظُهَا فِي الْعِبَادَاتِ.

ت. الْأَحَادِيثُ الَّتِي تُعَدُّ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ.

^(١) تَبَيَّنَ سَابِقًا أَنَّ جَمْهُورَ اللُّغَوِيِّينَ وَالنُّحَاةِ كَانُوا يَسْتَشْهَدُونَ بِالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ فِي بِنَاءِ مَسَائِلِهِمْ.

^(٢) الْمَقَاصِدُ الشَّافِيَّةُ فِي شَرْحِ الْخُلَاصَةِ الْكَافِيَةِ، لِلشَّاطِطِيِّ: ٤٠٤/٣.

^(٣) مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي ثَلَاثِينَ عَامًا (١٩٣٢-١٩٦٢م)، مَجْمُوعَةُ الْقَرَارَاتِ الْعِلْمِيَّةِ، تَصْدِيرُ: إِبْرَاهِيمَ مَذْكَورٍ، إِخْرَاجُ وَتَعْلِيقُ: مُحَمَّدٌ خَلْفُ اللَّهِ أَحْمَدُ، وَمُحَمَّدُ شَوْقِي أَمِينُ: ٣-٤. نَقْلًا عَنْ: دَرَسَةِ نَظَرِيَّةٍ لِلْمَصْدَرِ السَّمَاعِيِّ الثَّانِي "الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ" وَرَأْيِ أَهْلِ اللُّغَةِ فِي الْإِجْتِهَادِ بِهِ، (بَحْثٌ مُحْكَمٌ)، د. عَزَّ الدِّينُ أَحْمَدُ عَبْدُ الْعَالِيِّ: ٣٨٩-٣٩٠.

^(٤) هِيَ: (صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ت ٢٥٦هـ)، وَ(صَحِيحُ مُسْلِمٍ ت ٢٦١هـ)، وَ(سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ ت ٢٧٣هـ)، وَ(سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ ت ٢٧٥هـ)، وَ(سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ ت ٢٧٩هـ)، وَ(سُنَنِ النَّسَائِيِّ ت ٣٠٣هـ).

^(٥) الْحَدِيثُ الْمُتَوَاتِرُ هُوَ: الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ جَمْعٌ عَنْ جَمْعٍ، أَقَلُّ عَدَدِهِمْ عَشْرَةٌ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ مِنَ حَلَقَاتِ الْإِسْنَادِ، يُؤْمَنُ تَوَاطُؤُهُمْ أَوْ تَوَافُقُهُمْ عَلَى الْكُذْبِ، مِنْ أَوَّلِ سَنَدِ الْحَدِيثِ إِلَى مُنْتَهَاهُ، يَكُونُ مُسْتَقْدَمًا خَبَرَهُمُ الْحِسَّ وَالْمُشَاهَدَةَ. انْظُرْ: الدِّيْبَاجُ الْمُذَهَّبُ فِي مِصْطَلَحِ الْحَدِيثِ، لِلشَّرِيفِ الْجَرَجَانِيِّ: ٨، وَتَرْهُنَةُ النَّظَرِ فِي تَوْضِيحِ نُحْبَةِ الْفِكْرِ فِي مِصْطَلَحِ أَهْلِ الْأَثَرِ، لِابْنِ حَجَرٍ: ٣٩.

ث. كُتِبَ النَّبِيُّ ﷺ^(١).

ج. الأحاديث المروية لبيان أنه ﷺ كان يُخاطبُ كُلَّ قومٍ بلغتهم.

ح. الأحاديث التي عُرِفَ مِنْ حال رواتها أنهم لا يُجيزون رواية الحديث بالمعنى^(٢).

خ. الأحاديث المروية مِنْ طُرُقٍ متعدّدة وألفاظها واحدة.

"بهذا القرار الذي اتخذه مَجْمَعُ اللغة العربية بالقاهرة أَوْضَحَ مكانة هذا المصدر السماعي (الحديث الشريف) مِنْ بَيْنِ بقية المصادر التي اعتمد عليها النحاة في تعديد لغتنا العربية، ووضع حدًا للخلاف الذي دار بين النحاة مِنْ حيث الاستدلال بالحديث النبوي الشريف مِنْ عَدَمِهِ، وقطع الطريق أمام المُشَكِّكِينَ في كَوْنِ الحديث الشريف مصدرًا أساسيًا، وَرُكْنًا رَكِينًا مِنْ مصادر لغتنا العربية"^(٣)، و"بهذا نعيد الاطمئنان إلى نفوس المُحتَجِّين به، المُعْتَمِدِينَ عليه"^(٤).

وزاد عبد الرحمن السَّيِّد إلى أنواع الأحاديث السابقة التي ذَكَرَهَا المَجْمَعُ نَوْعَيْنِ مِنَ الأحاديث، هُمَا^(٥):

١. الأحاديث التي رَوَاهَا مِنَ العرب مَنْ يُوثَقُ بفصاحتهم، وَإِنْ اختلفت ألفاظها، فالثقة

بهم تبيح الأخذ عنهم، سواء أكان ذلك مِنْ إنشائهم أَمْ كان منسوبًا إلى النبي ﷺ.

٢. الأحاديث التي يُطْمَأَنُّ فيها إلى عدالة رَوَاتِهَا، والتي يغلبُ على الظَّنَّ تعدّد مواطن

الاستفهام فيها، وَإِنْ اختلف الصيغة يرجع إلى تكرار الإجابة.

ثُمَّ علَّلَ إضافته لِهَذَيْنِ النوعَيْنِ بقوله: "ذلك لأنَّ هذه الأحاديث إنما يُسْتَدَلُّ بها عَلَى سلامة اللغة، وصحة العبارة، وَكُلَّ هذه الأنواع صالحة لأداء هذا الغرض"^(٦).

رأي الباحث في الاحتجاج بالحديث الشريف:

لا شَكَّ عِنْدَ كُلِّ ذِي لُبٍّ أَنَّ المصطفى ﷺ قَدْ بَلَغَ ذروة الفصاحة، وكلامه أَوْلى

بالاستشهاد مِنْ أيِّ عربيٍّ، مهما عَزَّ نَسَبُهُ، وفصح لسانُهُ، قال ابنُ حَزَمٍ: "وَتَاللهِ لَقَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ

بْنُ عبد الله بن عبد المُطَّلِبِ بن هَاشِمٍ قَبْلَ أَنْ يُكْرِمَهُ اللهُ -تَعَالَى- بِالنُّبُوَّةِ وَأَيَّامَ كَوْنِهِ فَتَى بِمَكَّةَ

(١) كُتِبَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى هَمْدَانَ.

(٢) مِثْلُ: (القاسم بن مُحَمَّد ت ١٠٧هـ)، و(ابن سيرين ت ١١٠هـ)، و(زجاء بن خيوة ت ١١٢هـ)، و(علي بن

المَدِينِي ت ٢٣٤هـ). انظر: الاستشهاد بالحديث في اللغة، مُحَمَّد الخَضِر حُسَيْن: ٢٠٩.

(٣) دراسة نظرية للمصدر السماعي الثاني "الحديث الشريف"، د. عَزَّ الدِّين أحمد عَبْد العَالِي: ٣٩٠.

(٤) موقف النحاة مِنَ الاحتجاج بالحديث الشريف، د. خديجة الحديثي: ٤٢٢.

(٥) مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها، د. عبد الرحمن السيد: ٢٥٩-٢٦٠.

(٦) السابق: ٢٥٩-٢٦٠.

بَلَا شَكٍّ عِنْدَ كُلِّ ذِي مُسْكَةٍ^(١) مِنْ عَقْلِ أَعْلَمَ بِلُغَةِ قَوْمِهِ، وَأَفْصَحَ فِيهَا، وَأَوَّلَى بِأَنْ يَكُونَ مَا نَطَقَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ حُجَّةً مِنْ كُلِّ خُنْدَفِيٍّ، وَقَيْسِيٍّ، وَرَبِيعِيٍّ، وَإِيَادِيٍّ، وَتَمِيمِيٍّ، وَقُضَاعِيٍّ، وَجَمِيرِيٍّ، فَكَيْفَ بَعْدَ أَنْ اخْتَصَّهُ اللَّهُ -تَعَالَى- لِلنِّدَارَةِ، وَاجْتِنَابِهِ لِلْوَسَاطَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، وَأَجْرَى عَلَى لِسَانِهِ كَلَامَهُ، وَضَمَّنَ حِفْظَهُ، وَحَفِظَ مَا يَأْتِي بِهِ؟!^(٢).

لِذَلِكَ يَتَرَجَّحُ لَدَى الْبَاحِثِ جَوَازُ الْإِحْتِجَاجِ بِالْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، فَهُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ مِنْ عُلَمَائِنَا الْأَفْذَادِ، وَقَدْ رَجَّحَ هَذَا الْمَذْهَبَ فَرِيقٌ كَبِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، قَالَ الْجَوْجَرِيُّ: "الرَّاجِحُ هُوَ الْإِحْتِجَاجُ بِالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ مُطْلَقًا؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَفْصَحَ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ"^(٣).

وكَذَلِكَ رَجَّحَ الْبَغْدَادِيُّ جَوَازَ الْإِحْتِجَاجِ بِالْحَدِيثِ فِي مَذْهَبِهِ الصَّرِيحِ لِلدَّمَامِينِيِّ حِينَمَا رَدَّ مَذْهَبَ الْمَانِعِينَ حَيْثُ قَالَ: "وَقَدْ رَدَّ هَذَا الْمَذْهَبَ الَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ النَّبْرُ الدَّمَامِينِيُّ فِي شَرْحِ التَّسْهِيلِ، وَلِلَّهِ دَرُهُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ أَجَادَ فِي الرَّدِّ"^(٤).

وَمِمَّنْ يَرَى جَوَازَ الْإِسْتِشْهَادِ بِالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ مُطْلَقًا ابْنُ الطَّيِّبِ حَيْثُ قَالَ: "وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ الْأَشْيَاخِ الْمُحَقِّقِينَ إِلَّا وَهُوَ يَسْتَدِلُّ بِالْأَحَادِيثِ عَلَى الْقَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ وَالْأَلْفَافِ اللَّغَوِيَّةِ، وَيَسْتَنْبِطُونَ مِنَ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الْأَحْكَامَ النَّحْوِيَّةِ وَالصَّرْفِيَّةِ وَاللَّغَوِيَّةِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ اللَّسَانِيَّةِ، كَمَا يَسْتَخْرِجُونَ مِنْهَا الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ"^(٥).

وكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ الطَّيِّبِ فِي تَأْيِيدِهِ مَذْهَبَ مُحِيزِي الْإِحْتِجَاجِ بِالْحَدِيثِ: "وَهَذَا الَّذِي يَنْبَغِي التَّعْوِيلُ عَلَيْهِ وَالْمَصِيرُ إِلَيْهِ"^(٦).

وَلِلدَّكْتُورِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّيِّدِ كَلَامٌ بَدِيعٌ حَوْلَ عَنَاقِيَةِ رُؤَاةِ الْحَدِيثِ وَنُقَادِهِ بِهِ: "إِذَا أُتْبِثَتْ هَذِهِ الْعَنَاقِيَةُ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَا سَلِمَ طَرِيقُهُ، وَعَدَلَ رَجَالُهُ مَقْبُولًا يُحْتَجَّ بِهِ، مَرْضِيًّا يُرْجَعُ إِلَيْهِ، فَهُوَ أَوَّلَى مِنَ الْبَيْتِ النَّبَايِ الَّذِي لَا يُعْرَفُ لَهُ نَظِيرٌ، وَأَحَقُّ مِنَ الْعِبَارَةِ الشَّاذَّةِ يُلْقِيهَا الْعَرَبِيُّ، قَدْ يَكُونُ سَبَقَ بِهَا لِسَانُهُ، أَوْ اضْطَرَبَ عَلَيْهِ فِيهَا أَمْرُهُ، أَوْ اسْتَهْوَاهُ -كَمَا يَقُولُ النَّحَاةُ- ضَرْبٌ مِنَ الْخَطِّاءِ فَنَسَجَ عَلَى مَنَوَالِهِ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ حَدِيثًا مَأْمُونًا الْخَطِّاءُ مِنْ قَائِلِهِ، مَرَعِيٍّ الْجَانِبِ مِنْ

(١) مُسْكَةُ الرَّجُلِ: عَقْلُهُ الْوَافِرُ. انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: ٥٣/١٠ (مسك)، وتاج العروس، للزبيدي: ٣٣٤/٢٧ (مسك).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم: ١٠٨/٣.

(٣) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، للجوهرى: ٩٥/١.

(٤) خزائن الأدب، للبغدادى: ١٤/١.

(٥) تحرير الرواية في تقرير الكفاية، لابن الطيِّب: ١٠٠-١٠١.

(٦) السابق: ٩٦.

سامعِهِ، مَحْرُوصًا عَلَيْهِ مِنْ نَاقِلِهِ أَوَّلَى بِالاعتبارِ مِنْ قَوْلِ يُلقَى عَلَى عَوَاهِنِهِ، لَمْ نَعْلَمْ حِرْصَ قائله على إحكامه، كَمَا لَمْ نَأْمَنْ خَفَاءَ ضَعْفِهِ عَلَى رَاوِيهِ^(١).

وَمِنْ الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ يَرُونَ جَوَازَ الاستشهاد بالحديث:

١. الشيخ مُحَمَّدُ الحَضِرِ حُسَيْنٌ حيثُ قَالَ: "إِنَّا نَرَى الاستشهاد بِالْأَفَاطِ مَا يُرَوَّى فِي كُتُبِ الحديثِ المدونةِ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ فِيهَا الروايةُ، وَلَا نَسْتَتِي إِلَّا الْأَفَاطِ التي تَجِيءُ فِي روايةٍ شاذَّةٍ، أَوْ يَغْمُرُهَا بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ بِالْغَلَطِ، أَوْ التَّصْحِيفِ غَمْرًا لَا مَرَدَّ لَهُ، وَيَشَدُّ أَرْزَانًا فِي تَرْجِيحِ هَذَا الرَّأْيِ أَنَّ جَمْهَوْرَ اللُّغَوِيِّينَ، وَطَائِفَةً عَظِيمَةً مِنَ النُّحَوِيِّينَ يَسْتَشْهَدُونَ بِالْأَفَاطِ الوارِدةِ فِي الحديثِ، وَلَوْ عَلَى بَعْضِ رِوَايَاتِهِ"^(٢).

٢. وَقَالَ سَعِيدُ الْأَفْغَانِي: "وَلَا غَبَارَ عَلَى الْاِحْتِجَاجِ بِالحديثِ أَلْبَتَّةَ"^(٣).

٣. وَقَالَ أَحْمَدُ مَخْتَارُ عُمَرُ: "إِنَّ الْأَحَادِيثَ أَصَحُّ سَنَدًا مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا يُنْقَلُ مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ"^(٤).

٤. أَمَّا عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّيِّدُ فَقَالَ: "لَا شَكَّ فِي أَنَّ حَدِيثًا مَأْمُونًا خَطَأً مِنْ قَائِلِهِ، مَرَعِي الْجَانِبِ مِنْ سَامِعِهِ، مَحْرُوصًا عَلَيْهِ مِنْ نَاقِلِهِ أَوَّلَى بِالاعتبارِ مِنْ قَوْلِ يُلقَى عَلَى عَوَاهِنِهِ، لَمْ نَعْلَمْ حِرْصَ قائله على إحكامه، كَمَا لَمْ نَأْمَنْ خَفَاءَ ضَعْفِهِ عَلَى رَاوِيهِ"^(٥).

٥. وَقَالَتْ خَدِيجَةُ الْحَدِيثِي: "وَبِهَذَا نَسْتَقِرُّ عَلَى جَوَازِ الْاِحْتِجَاجِ بِالحديثِ الثَّابِتِ الصَّحِيحِ"^(٦).

لِذَلِكَ كُلُّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْاِحْتِجَاجِ بِالحديثِ النَّبَوِيِّ فِي الْمَسَائِلِ اللُّغَوِيَّةِ وَالنُّحَوِيَّةِ، وَأَنْ يَكُونَ الْمَصْدَرُ الثَّانِي لِلْاِحْتِجَاجِ بَعْدَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَهُوَ كَلَامُ أَفْصَحِ الْخَلْقِ، لَا سِيَّمَا أَنَّ مَذْهَبَ الْاِحْتِجَاجِ بِالحديثِ النَّبَوِيِّ هُوَ مَذْهَبُ النُّحَاةِ الْأَوَّلِ وَالْمُحَدِّثِينَ.

وَقَدْ ظَهَرَتْ عُنَايَةُ رُوَاةِ الْحَدِيثِ بِهِ، وَاهْتِمَامُهُمْ بِحَالِ سَنَدِهِ وَمَتْنِهِ، مِمَّا لَا يَدْعُ مَجَالًا لِلشَّكِّ أَنَّ الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ قَدْ وَصَلْنَا بَعْدَ تَمْحِصٍ وَتَدْقِيقٍ مِنْ نِقَادِهِ وَأَعْلَامِهِ، وَلَمْ تَبَقْ شُبْهَةٌ مُثَارَةً لِرَفْضِ الْاِحْتِجَاجِ بِالحديثِ إِلَّا وَتَمَّ -بِتَوْفِيقِ اللَّهِ- الرَّدُّ عَلَيْهَا.

(١) مدرسة البصرة النحوية، د. عبد الرحمن السيد: ٢٥٩-٢٦٠.

(٢) الاستشهاد بالحديث في اللغة، للشيخ مُحَمَّدُ الحَضِرِ حُسَيْنٌ: ٢١٠.

(٣) الموجز في قواعد اللغة العربية، د. سعيد الأفغاني: ٧.

(٤) البحث اللغوي عند العرب، د. أحمد مختار عمر: ٣٥-٣٦.

(٥) مدرسة البصرة النحوية، د. عبد الرحمن السيد: ٢٥٩-٢٦٠.

(٦) موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، د. خديجة الحديثي: ٤٢٢.

الفصل الأول

الخطابة بين الثقافتين: الغربية والعربية

وينقسم على مبحثين:

المبحث الأول: الخطبة في الثقافة الغربية

المبحث الثاني: الخطبة في الثقافة العربية

الفصل الأول

الخطابة بين الثقافتين: الغربية والعربية

تمهيد:

الإنسان اجتماعي بطبعه، يُحبّ مجالسة الآخرين، وتبادل الحديث معهم، فهو يحيا في مجتمعات بشريّة، تربطها علاقات وحوارات، لا غنى له عن الإفصاح والإبانة لغيره عما يدور في نفسه وحلده؛ لذلك يُعدّ الكلام من وسائل الاتصال والتواصل بين الجماعات، ولا بُدّ لهذه الجماعات من خطيب يقف أمامهم؛ فيخطب فيهم في الأفراح والأتراح، والمسرات والملمات، والسلم والحرب، مُتَكِنًا على الأدلة لإقناع جمهور المستمعين، والتأثير فيهم، متصفاً برجاحة العقل، وقوة الحجة، وبراعة الخطاب، ومراعاة أحوال المخاطبين، فهو يتقدّم إلى جمهوره "موجّها ومُرشدًا، وقد يكون أمرًا ناهيًا، فعليه أن يستميلهم إلى جانبه، ويقنعهم بمذهبه، ويقودهم إلى مسلكه"^(١).

والخطابة ضروريّة لأيّ أمة "في سلمها وحربها، وهي أداة الدعوة إلى الرأي والعقيدة في شتى نواحي الحياة والمجتمع، وهي وسيلة الدعاة، والمصلحين، والمهذّبين، والمُرشدين، وعماد القادة والزعماء"^(٢).

لذلك تبنّوات الخطبة مكانة عالية بين المجتمعات على مدى الأزمان، وكان عليها "الاعتماد في كثير من شؤون الحياة، والوعظ والإرشاد، وفي محافل الأُنس، ومآتم الحزن"^(٣). فلا تستغني أمة من الأمم عن الخطابة؛ لأنها "تُعدّ أثرًا مهمًّا من آثار الرقيّ الإنساني، ومظهرًا من مظاهر التقدّم الاجتماعي"^(٤). وهذا يدل على عناية كل أمة بها عناية خاصة، و"الخطابة قديمة نشأت مع الإنسان، وتُروى للأمم القديمة خطب كثيرة كقدماء المصريين واليونان والرومان"^(٥).

وقد كان "للأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- فيها الحظّ الأوفى، والمقام الأعلى في سبيل الدعوة إلى طاعة الله وتوحيده، وإرشاد الناس إلى الصراط السويّ، كما أخبر الله -

(١) أصول الخطابة والإنشاء، عطية محمد سالم: ١٣-١٤.

(٢) الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، د. محمد عبد المنعم خفاجي: ١٥٨.

(٣) السابق: ١٥٨.

(٤) أصول الخطابة والإنشاء، عطية محمد سالم: ١٥.

(٥) الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، د. محمد عبد المنعم خفاجي: ١٥٨.

تَعَالَى - عنهم في كتابه الحكيم" (١)، ولا سيما أَنَّ الْخُطَابَةَ "تَقْضُ المشاكلَ، وَتَقْطَعُ الخصوماتَ، وهي التي تُهْدِي النفوسَ النائرة، وهي التي تُثِيرُ حماسة ذوي النفوسِ الفاترة، وَتَرْفَعُ الحقَّ، وَتَخْفِضُ الباطلَ، وتقيم العدلَ، وَتَرُدُّ المَظالِمَ، وهي صوتُ المظلومين، وهي لِسَانُ الْهَدَايَةِ" (٢)؛ فَكَانَتْ الْخُطَابَةُ - ولا تزالُ - أداةً توجيهِ للجَمَاعَاتِ، وخيرَ مُعِينٍ للقادة والزعماء في إصلاح أوقامهم وأتباعهم.

يُسْتَحْسَنُ - قَبْلَ الحديثِ عن نشأة الْخُطَابَةِ بين الثقافتين العربية والغربية - أَنْ يُعَرَّفَ مَفْهُومُهَا لُغَةً واصطلاحًا.

الْخُطْبَةُ (لُغَةً): قال ابنُ دُرَيْدٍ: "خَطَبَ الرَّجُلُ خُطَابَةً؛ فَهُوَ خَطِيبٌ بَيْنَ الْخُطَابَةِ، وَاسْمُ الْكَلَامِ: الْخُطْبَةُ" (٣). وقال الأزهريُّ: "الْخُطْبَةُ: اسْمٌ لِلْكَلامِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ الْخَطِيبُ" (٤). يُقَالُ: خَطَبَ فِي النَّاسِ خُطْبَةً وَخُطَابَةً؛ أَي: أَلْقَى عَلَيْهِمْ خُطْبَةً (٥). فَالْخُطْبَةُ وَالْخُطَابَةُ: اسْمٌ لِلْكَلامِ الَّذِي يُلْقِيهِ الْخَطِيبُ عَلَى مَسَامِعِ الْجُمْهُورِ، وَإِذَا كَانَتْ بِضَمِّ الْخَاءِ (خُطْبَةً) فَهِيَ كَلَامُ الْخَطِيبِ، وَإِذَا كَانَتْ بِكَسْرِ الْخَاءِ (خِطْبَةً) فَهِيَ عَقْدُ النِّكَاحِ، قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: "خَطَبْتُ عَلَى الْمِنْبَرِ خُطْبَةً بِالضَّمِّ، وَخَطَبْتُ الْمَرْأَةَ خِطْبَةً بِالْكَسْرِ" (٦).

الْخُطْبَةُ (اصطلاحًا):

تَتَّوَلَّى مصطلحُ الْخُطْبَةِ أو الْخُطَابَةِ طائفتانِ مِنَ العلماء، الأولى: الأدباء والبلاغيون، والأخيرة: الحكماء والفلاسفة، وَقَدْ عَرَفَ كُلُّ فَرِيقٍ المصطلحَ وَفَقَّ رُؤْيِيته التي ينطلق منها. فَمِنَ الأدباء مَنْ عَرَفَ الْخُطْبَةَ أَنَّهَا: "إلقاءُ الكلامِ المنثورِ مسجوعًا كَانَ أَوْ مُرْسَلًا؛ لاسْتِمَالَةِ الْمُخَاطَبِينَ إِلَى رَأْيٍ أَوْ تَرْغِيْبِهِمْ فِي عَمَلٍ" (٧)، فَهَدَفُ الْخُطْبَةِ التَّأْثِيرُ فِي الْمُخَاطَبِينَ، أَوْ تَرْغِيْبِهِمْ فِي عَمَلٍ (مَا)، وَقَدْ تَكُونُ مسجوعةً وَقَدْ لَا تَكُونُ، واشترط الفيروزآبادي السَّجْعَ أَوْ مَا يَشَابُهُ فِي الْخُطْبَةِ فَقَالَ: "هِيَ الْكَلَامُ الْمُنْثَوْرُ الْمُسَجَّعُ وَنَحْوُهُ" (٨)، مَعَ أَنَّ السَّجْعَ لَيْسَ شَرْطًا أَساسِيًّا فِي الْخُطْبَةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا.

(١) فن الخطابة وإعداد الخطيب، للشَّيْخِ عَلِيِّ مَحْفُوظٍ: ٢٠.

(٢) الخطابة، أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، للإمام محمد أبو زهرة: ١٥.

(٣) جمهرة اللغة، لابن دريد: ٢٩١/١ (فَصْلُ الْبَاءِ وَالْخَاءِ وَالطَّاءِ).

(٤) تهذيب اللغة، للأزهري: ١١٢/٧ (خَطَبَ).

(٥) انظر: مختار الصحاح، للرازي: ٩٢ (خَطَبَ)، والمعجم الوسيط، لمَجْمَعِ اللغة العربية بالقاهرة: ٢٤٢/١

(باب الْخَاءِ: خَطَبَ).

(٦) لسان العرب، لابن منظور: ٣٦١/١ (خَطَبَ).

(٧) فن الخطابة وإعداد الخطيب، للشَّيْخِ عَلِيِّ مَحْفُوظٍ: ١٤.

(٨) القاموس المحيط، للفيروزآبادي: ٨١/١ (باب الْبَاءِ: فَصْلُ الْخَاءِ).

وَعَرَّفَهَا التَّهَانَوِي فَقَالَ: "الْخُطْبَةُ بِالضَّمِّ هِيَ: عبارة عن كلام مشتمل على البسملة، والحمدلة، والثناء على الله - تعالى - بما هو أهله، والصلاة على النبي ﷺ، وتكون في أول الكلام"^(١). لم يُحدِّد التَّهَانَوِي للخطبة تعريفاً جامعاً، إنما ذَكَرَ شَرْطَهَا في أولها، وما يميّزها عن غيرها، وهو اشتغالها على البسملة، وتحميد الله ﷻ، والصلاة على رسول الله ﷺ، وهذا يغلب على خُطْبِ الوُعْظِ كخُطْبَةِ الْجُمُعَةِ.

وَمِنْ شروط بلاغة الخطبة قُدْرَتُهَا على مراعاة حال السامع، وَحُسْنُ إيصال الرسالة له بكلامٍ بَيِّنٍ واضحٍ، قال الجاحظُ: "شَرُطُ البلاغة في الخطبة إبلاغُ المعنى إلى السامع بكلامٍ واضحٍ فصيحٍ مُوافِقٍ لِمُقْتَضَى الحال"^(٢).

فأعطانا الجاحظُ أركانَ الخُطْبَةِ الثلاثة: (الخطيب، والخطبة "النص"، والجمهور "المتلقّي")، ولا تقوم الخطبة إلا بها مُجْتَمِعَةً، وهذا ما يُسْتَنْبِطُ مِنْ كلامه، وهو ما يعرف اليوم بِاسْمِ التَّداوُلِيَّةِ Pragmatics القائمة على العناية بأقطاب العملية التَّواصُلِيَّةِ: (المتكلِّم، والرسالة، والسامع)^(٣).

أَمَّا تعريفُ الْخَطَابَةِ عندَ الحكماء والفلاسفة، فَعَرَّفَهَا أَرِسْطُو أَنَهَا: "قُوَّةٌ تَتَكَلَّفُ الْإِقْنَاعَ الْمُمُمْكِنَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأُمُورِ الْمَفْرَدَةِ"^(٤)، فَعَرَّضَ الْخَطَابَةَ لَدَى أَرِسْطُو إقْناعُ الْمُخَاطَبِ. وأجاب الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الْخَضِرُ حَسِينٌ عَنْ سَبَبِ وَصْفِ أَرِسْطُو الْإِقْنَاعَ بِالْمُمْكِنِ حَيْثُ قَالَ: "وَأَمَّا وَصَفُ الْإِقْنَاعِ بِالْإِمْكَانِ؛ لِأَنَّ شَأْنَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ [الْخَطَابَةِ] إِعْدَادُ النَفُوسِ لِعَمَلِ الْإِقْنَاعِ، وَإِنْ لَمْ تَبْلُغْ غَايَتَهَا الْفُضُوءَ، وَكَذَلِكَ الشَّأْنُ فِي سَائِرِ الصَّنَاعَاتِ، فَإِنَّهَا تُعَدُّ النَّفْسَ لِعَمَلٍ خَاصٍّ، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ يَكُونُونَ فِيهَا عَلَى دَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ مُتَفَاضِلَةٍ"^(٥)، لذلك قال أَرِسْطُو عَنْ الْخَطَابَةِ -أَيْضًا- هِيَ الْكَشْفُ عَنْ الطَّرِيقِ الْمُمُمْكِنَةِ لِلْإِقْنَاعِ فِي أَيِّ مَوْضُوعٍ كَانَ^(٦).

(١) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتَّهَانَوِي: ٧٥٢/١.

(٢) البيان والتبيين، للجاحظ: ١٠/١.

(٣) انظر: محاضرات في اللسانيات التداولية، د. خديجة بوخشة: ١١.

(٤) الخطابة، الترجمة العربية القديمة، لأرسطو طاليس، حَقَّقَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ: عبد الرحمن بدوي: ٩.

(٥) الخطابة عند العرب، للشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْخَضِرِ حَسِينِ: ١٧٦-١٧٧.

(٦) انظر: الخطابة، لأرسطو طاليس: ٩، وَفَنَّ الْخَطَابَةَ فِي التَّرَاثِ النَّقْدِيِّ، (بَحْثٌ مُحْكَمٌ)، زيدان عز الدين

علوه، د. أحمد دواليبي، جامعة حلب: ٢٦٤.

وقال الحافظ الحميدي: "الخطابة هي: القوة على إيراد الكلام في الدعاء إلى الأغراض، ونَصْر ما قَصَدَ المتكلم نَصْرَهُ في محافل الجماعات، ومحاضر الخواص والعوام، بذهن حاضر، وجنان ثبّت، ولسان جريء، وبديهة سريعة"^(١).

فالخطابة عند الحميدي القدرة على إقناع المستمعين، كما أنه ذكر بعض صفات الخطيب من: "قوة نفسية، وفصاحة، وحضور البديهة"^(٢).

وقال الشيخ محمد أبو زهرة في تعريف الخطابة: "هي صفة راسخة في نفس المتكلم، يقتدر بها على التصرف في فنون القول؛ لمحاولة التأثير في نفوس السامعين، وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم"^(٣)، فغاية الخطابة عند الشيخ (أبو زهرة) التأثير في نفس السامع، وإثارة مشاعره وأحاسيسه. كما يستنبط أن الملكة - عند أرسطو والحميدي وأبو زهرة - هي مرتكز الخطابة.

وعرّف الخطابة البحراني قائلاً: "صناعة يتكلف فيها الإقناع الممكن للجمهور فيما يُراد أن يُصدقوا به"^(٤)، فغاية الخطابة لدى البحراني هي القدرة على إقناع جمهور المستمعين. وقد قال الباحث الأمريكي والترج أونج في مفهوم الخطابة: "فن الكلام أمام الناس؛ أي: فن الخطاب الشفهي، من أجل الإقناع، أو لعرض الأفكار أو المعلومات"^(٥)، فهو يتفق - مع من سبقه من العلماء - في أهمية الإقناع، وأنه الغاية الأولى من الخطبة.

أمّا الشريف الجرجاني فهدف الخطابة لديه هو الترغيب فيما ينفع الناس، حيث قال: "الخطابة: قياس مركّب من مقدمات مقبولة، أو مظنونة، من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم، كما يفعله الخطباء والوعاظ"^(٦)، وفسّر الشّيخُ مُحَمَّدُ الخضر حسين القبول والظن؛ فقال: "والأقوال المظنونة: ما يؤخذ فيها بالمُحتمل الرَّاجح، والأقوال المقبولة: ما تتلقّى ممن يُعتمد صدقه وسداد رأيه"^(٧).

(١) تسهيل السبيل إلى تعلم التّزّيل، للحميدي. نقلاً عن: فن الخطابة في التراث النقدي، (بحثٌ مُحكَّم)، زيدان عز الدين علوه، د. أحمد دواليبي، جامعة حلب: ٢٦٤.

(٢) فن الخطابة في التراث النقدي، (بحثٌ مُحكَّم)، زيدان عز الدين علوه، د. أحمد دواليبي، جامعة حلب: ٢٦٤.

(٣) الخطابة، أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، للإمام محمد أبو زهرة: ١٢.

(٤) مقدمة شرح نهج البلاغة، لكمال الدين ميثم بن علي البحراني: ١٦٣.

(٥) الشفاهية والكتابية، والترج أونج، ترجمة: د. حسن البنا عز الدين: ٢٠٤.

(٦) التعريفات، للشريف الجرجاني: ٩٩.

(٧) الخطابة عند العرب، للشّيخ مُحَمَّدُ الخضر حسين: ١٧٣.

يُلَحَظُ مِنْ مَجْمُوعِ التَّعْرِيفَاتِ السَّابِقَةِ لِلخُطَابَةِ أَنَّ مَرْتَكِزَ الخُطْبَةِ عِنْدَ الْأَدْبَاءِ قَائِمٌ عَلَى صِفَاتِ الْكَلَامِ وَفَنُونِهِ الْمُسْتَحْدَمَةِ فِي الخُطْبَةِ مِنْ سَجْعٍ وَغَيْرِهِ، وَعَلَى اسْتِمَالَةِ جُمْهُورِ الْمُخَاطَبِينَ، وَإِنْ كَانَتْ فِي الْوَعظِ فَلَا بُدَّ مِنَ الْبَدْءِ بِالشَّاءِ عَلَى اللَّهِ ﷻ، ثُمَّ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ.

أَمَّا الْفَلَسَفَةُ وَالْحُكَمَاءُ فَالْإِقْنَاعُ -عِنْدَهُمْ- هُوَ مَرْتَكِزُ الخُطْبَةِ، قَالَ الشَّيْخُ عَلِيٌّ مَحْفُوظٌ: "وِغَايَةُ الخُطَابَةِ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ الْحُصُولُ عَلَى قُوَّةِ التَّمَكُّنِ مِنَ الْإِقْنَاعِ"^(١).

وَقَدْ جَمَعَ مُحَمَّدٌ خَفَاجِي بَيْنَ الْغَايَتَيْنِ: (الْإِقْنَاعُ، وَالْاسْتِمَالَةُ) حِينَ عَرَّفَ الخُطَابَةَ؛ فَقَالَ: "الخُطَابَةُ: فَنٌّ مِنْ فُنُونِ النُّثْرِ، وَهِيَ فَنُّ مَخَاطَبَةِ الْجُمْهُورِ الَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَى الْإِقْنَاعِ وَالْاسْتِمَالَةِ. أَوْ هِيَ كَلَامٌ بَلِيغٌ يُلْقَى فِي جَمْعٍ مِنَ النَّاسِ؛ لِإِقْنَاعِهِمْ بِمَا فِيهِ الْخَيْرُ لَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَتِهِمْ"^(٢). ويمكن استخلاص ما اتفقت عليه تعريفات العلماء للخُطْبَةِ فِي قَوَاسِمٍ مُشْتَرَكَةٍ ثَلَاثَةٍ: (الْإِقْنَاعُ، وَالتَّأثيرُ، وَالْعُنَاصِرُ)؛ أَمَّا الْإِقْنَاعُ فَالْمَقْصُودُ بِهِ إقْنَاعُ الْمُخَاطَبِينَ بِالْأَدْلَةِ وَالْبَرَاهِينِ، وَفِي هَذَا قَالَ حَازِمُ الْقُرطَاجَنِيِّ: "التَّخْيِيلُ هُوَ قِوَامُ الْمَعَانِي الشَّعْرِيَّةِ، وَالْإِقْنَاعُ هُوَ قِوَامُ الْمَعَانِي الْخُطَابِيَّةِ"^(٣). وَأَمَّا التَّأثيرُ فَهُوَ قُدْرَةُ الْخُطِيبِ عَلَى التَّأثيرِ فِي نَفُوسِ السَّامِعِينَ، وَإِثَارَتِهِ لَوُجْدَانِهِمْ وَمَشَاعِرِهِمْ. وَأَمَّا الْعُنَاصِرُ فَالْمَقْصُودُ بِهَا عُنَاصِرُ عَمَلِيَةِ الْإِتِّصَالِ الْخُطَابِيَّةِ الثَّلَاثَةِ: (الْخُطِيبُ، وَالْخُطْبَةُ "النَّصُّ"، وَالْمُتَلَقِّي).

وَلَوْ جُمِعَتِ الْقَوَاسِمُ الْمُشْتَرَكَةُ الثَّلَاثَةُ: (الْإِقْنَاعُ، وَالتَّأثيرُ، وَالْعُنَاصِرُ) فِي تَعْرِيفٍ وَاحِدٍ لِلْخُطْبَةِ لَكَانَ أَنْتُمْ وَأَبْنَيْ وَأَكْمَل.

يُمْكِنُ لِلْبَاحِثِ أَنْ يَخْرُجَ بِتَعْرِيفٍ جَامِعٍ لِلْخُطْبَةِ أَنَّهَا: فَنٌّ نَثْرِيٌّ قَوْلِيٌّ، يَقُومُ فِيهَا الْخُطِيبُ عَلَى مَشَافَهَةِ جُمْهُورٍ مِنَ الْمُسْتَمْعِينَ، مُسْتَنَدًا إِلَى الْأَدْلَةِ؛ لِإِقْنَاعِهِمْ، وَالتَّأثيرِ فِيهِمْ، أَوْ وَعْظِهِمْ، مَعَ حُسْنِ مَرَاعَةٍ مُقْتَضَى أَحْوَالِهِمْ.

(١) فَنُّ الخُطَابَةِ وَإِعْدَادُ الْخُطِيبِ، لِلشَّيْخِ عَلِيٍّ مَحْفُوظٍ: ١٥.

(٢) الْحَيَاةُ الْأَدَبِيَّةُ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ، د. مُحَمَّدٌ عَبْدُ الْمُنْعِمِ خَفَاجِي: ١٥٧-١٥٨.

(٣) مِنْهَاجُ الْبُلْغَاءِ وَسِرَاجُ الْأَدْبَاءِ، لِحَازِمِ الْقُرطَاجَنِيِّ: ١١٥/١.

المبحث الأول: الخطبة في الثقافة الغربية

إنَّ عِلْمَ الْخُطَابَةِ الْمُخْتَوِيَّ عَلَى أَنْوَاعِ الْخُطَابَةِ وَقَوَاعِدِهَا وَأَهْدَافِهَا قَدْ أَتَى مُتَأَخِّرًا عَنْ نَشْأَتِهَا، وَ"أَوَّلُ مَنْ دَوَّنَ قَوَاعِدَهَا ثَلَاثَةٌ مِنْ فَلَاسِفَةِ الْيُونَانِ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ، وَأَوَائِلِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ قَبْلَ الْمِيلَادِ: (بروديكوس ت ٣٩٩ ق. م^(١))، و(برتاغوراس ت ٤١١ ق. م^(٢)) معاصره، ثم (جورجياس ت ٣٨٠ ق. م^(٣))، وفي أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ظهر (أرسطو ت ٣٢٢ ق. م^(٤)) زعيم فلاسفة اليونان فلم يغادر شيئاً مِنْ أَصُولِ هَذَا الْفَنِّ إِلَّا وَدَوَّنَهُ، وَنَشَرَهُ فِي كِتَابِهِ (الْخُطَابَةِ)، وَمِنْ هَذَا الْحِينِ صَارَتِ الْخُطَابَةُ فَنًّا مُدَوَّنًا"^(٥).

وهكذا نرى أَنَّ الْيُونَانِيِّينَ هُمْ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ فِي عِلْمِ الْخُطَابَةِ، وَاسْتَنْبَطَ قَوَاعِدَهُ^(٦)، حَتَّى إِنَّهُمْ كَانُوا يَضْعُونَ الْخُطَابَةَ ضَمْنَ مَسَائِلِ عِلْمِ الْمُنْطِقِ وَمُبَاحَثِهِ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ خَلْدُونِ فِي مَقْدَمَتِهِ أَنَّ (أرسطو) رَتَّبَ مَسَائِلَ عِلْمِ الْخُطَابَةِ وَفُصُولِهِ وَجَعَلَهُ أَوَّلَ الْعُلُومِ الْحَكْمِيَّةِ وَفَاتَحْتَهَا، وَلِذَاكَ يُسَمَّى بِالْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ. وَحِينَمَا صَنَّفَ كِتَابَهُ الْمُنْطِقَ جَعَلَهُ مُشْتَمَلًا عَلَى ثَمَانِيَةِ كُتُبٍ؛ أَيْ: فُصُولٍ وَمُبَاحَثٍ، وَعَدَّ مِنْهَا كِتَابَ الْخُطَابَةِ، ثُمَّ ذَكَرَ ابْنَ خَلْدُونِ أَنَّهَا تُرْجِمَتْ كُلُّهَا فِي الْمَلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ. وَكَتَبَهَا وَتَدَاوَلَهَا فَلَاسِفَةُ الْإِسْلَامِ بِالشرحِ وَالتَّلْخِيصِ، كَمَا فَعَلَهُ الْفَارَابِيُّ^(٧)، وَابْنُ سِينَا^(٨)، ثُمَّ ابْنُ رُشْدٍ^(٩) مِنْ فَلَاسِفَةِ الْأَنْدَلُسِ^(١٠).

(١) فيلسوف يوناني، وُلِدَ نَحْوَ عَامِ ٤٦٥ ق. م، كَانَ فِي الْأَرْجَحِ مِنْ تَلَامِيذِ بروتاغوراس، افْتَتَحَ مَدْرَسَةً فِي أَثِينَا، وَأَوَّلَى اِهْتِمَامًا خَاصًّا لِّلْمُتَرَادِفَاتِ وَلِلدَقَّةِ اللَّغَوِيَّةِ، تُؤَفِّي حَوَالِي عَامِ ٣٩٩ ق. م. انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي: مَعْجَمِ الْفَلَاسِفَةِ، إِعْدَادُ: جُورْجِ طَرَابِيْشِي: ١٧٢.

(٢) سَفْسَطَائِي يُونَانِي، قَطَنَ فِي أَثِينَا فَتَعَرَّفَ إِلَى بِيرِيْقْلِسِ وَسُقْرَاطِ، نَشَرَ كِتَابًا فِي أَثِينَا فَاتَّهَمَ بِفَسَادِ الْأَخْلَاقِ، فَأُحْرِقَتْ كُتُبُهُ. انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي: مُوسَوْعَةُ أَعْلَامِ الْفَلَاسِفَةِ، إِعْدَادُ الْأُسْتَاذِ: رُونِي إِيْلِي أَلْفَا: ٢٢٨-٢٢٩.

(٣) جُورْجِيَّاس، وَيُكْتَبُ غُورْجِيَّاسُ: فِيلَسُوفٌ يُونَانِي، كَانَ أَلَمَعَ مِمَّنْ لِمُعَلِّمِي السَّفْسَطَةِ الْقَدِيمَةِ، مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ وَبِمَقْدَرَتِهِ عَلَى الْاِرْتِجَالِ، مُؤْمِنًا بِسُلْطَانِ الْكَلَامِ. انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي: مَعْجَمِ الْفَلَاسِفَةِ، إِعْدَادُ: جُورْجِ طَرَابِيْشِي: ٤٣٨.

(٤) أَرِسْطُو طَالِيْسُ: أَشْهَرُ فَلَاسِفَةِ الْيُونَانِ هُوَ وَأُسْتَاذُهُ (أَفْلَاطُونُ)، أَمْضَى حَوَالِي عَشْرِينَ عَامًا مُتَتَلِمًا عِنْدَ أَفْلَاطُونِ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ كُلَّ فِيلَسُوفٍ -حَتَّى لَوْ كَانَ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ- إِمَّا أَفْلَاطُونِي وَإِمَّا أَرِسْطُو طَالِيْسِي. لَهُ مَوْلاَفَاتٌ فِي الْفَلَاسِفَةِ وَالطَّبِيعَةِ وَالْأَخْلَاقِ. انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي: مَعْجَمِ الْفَلَاسِفَةِ، إِعْدَادُ: جُورْجِ طَرَابِيْشِي: ٥٢-٥٧، وَمُوسَوْعَةُ أَعْلَامِ الْفَلَاسِفَةِ، إِعْدَادُ الْأُسْتَاذِ: رُونِي إِيْلِي أَلْفَا: ٧٢-٧٦.

(٥) فَنُّ الْخُطَابَةِ وَإِعْدَادُ الْخُطِيبِ، لِلشَّيْخِ عَلِيِّ مَحْفُوزٍ: ٢١، وَانْظُرْ: الْخُطَابَةُ، لِلإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ زُهْرَةَ: ٦.

(٦) فَنُّ الْخُطَابَةِ وَمَهَارَاتِ الْخُطِيبِ، أ. د. إِسْمَاعِيلُ عَلِي مُحَمَّدٍ: ١٦.

(٧) أَبُو نَصْرِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَرِخَانَ الْفَارَابِيِّ، الْتَرَكِي الْحَكِيمُ الْمَشْهُورُ، أَكْبَرُ فَلَاسِفَةِ الْمُسْلِمِينَ، تَرَكِي الْأَصْلَ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ فِي الْمُنْطِقِ وَالْمُوسِيقَى وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْعُلُومِ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ بَلَغَ رَتْبَتَهُ فِي فَنُونِهِ، مَاتَ سَنَةَ ٣٣٩ هـ. انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي: وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ، لِابْنِ خَلْكَانَ: ١٥٣/٥-١٥٧.

"وقد أتى ابن سينا في كتاب الشفاء بلبّ كتاب الخطابة لأرسطو مع تصرفٍ غير ضارّ. وبنقل كتاب الخطابة لأرسطو صار في العربية قواعدٌ للخطابة مدوّنةٌ في بحثٍ مستقلّ، وإن كان جزءاً من علم المنطق على ما رأيت^(٤)."

ثمّ اتجه بعد ذلك بعضُ الباحثين في العصور الحديثة إلى إحياء قواعد الخطابة وقوانينها، ونشر المدفون من آراء العلماء فيها، وما ذلك إلّا بَعْدَ النهضة التي بعثت روح اليقظة في الخطابة في العصور المتأخرة^(٥)، وأظهرُ كتاب ظهر في ذلك كتاب (علم الخطابة) للعالم الباحث (لويس شيخو)، فقد جَمَعَ في هذا الكتاب خلاصة ما كتبه أدباء العرب وفلاسفتهم، وما تُرجم إلى اللغة العربية من قوانين الخطابة وقواعدها، ومع أنه لم يخلُ من مآخذ وملاحظاتٍ؛ إلّا أنّ له فضلَ السبق^(٦).

ثمّ تتابعت الكتابة في علم الخطابة بَعْدَ ذلك، وكثرت المؤلفات والمؤلّفون، وخاصة مع الاهتمام بتدريس الخطابة في معاهد ودور العلم، ومع زيادة الحاجة إليها في الميادين السياسية والقضائية والإصلاحية، وغيرها^(٧).

يَتَبَيَّنُ أَنَّ الخطابة مرتبطة بحياة الإنسان، لا يمكنه التخلي عنها، ولا تستغني عنها أُمَّةٌ من الأمم، فهي مرآة واضحة عن حياة الشعوب وثقافتهم وأفكارهم.

ولم يخلُ من الخطابة سجلُّ أُمَّةٍ وَعَى التاريخ ماضيها، فقد حفظها خط آشور المسماري، وقيدّها خط الفراعنة الهيروغليفي، ثم رواها تاريخ اليونان السياسي والأدبي منذ القرن

(١) الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، الحكيم المشهور، أصله من بلخ، ومولده في بخارى، صاحب التصانيف في المنطق والطبيعيات والطب، انتفع بكلام الفارابي وتصانيفه، مات سنة ٤٢٨ هـ. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، لابن خلكان: ١٥٧/٢-١٦١، وخزانة الأدب، للبغدادي: ١٦٥/١١-١٦٨.

(٢) أبو الوليد محمّد بن أحمد ابن رشد الأندلسي، الفيلسوف العلّامة المُفْتِي، من أهل قرطبة، عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، وزاد عليه زيادات كثيرة. ويلقب بابن رشد "الحفيد" تمييزاً له عن جدّه أبي الوليد محمّد ابن أحمد (ت ٥٢٠ هـ)، تُؤفّي الفيلسوف ابن رشد سنة ٥٩٥ هـ. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٣٠٧/٢١، والعبر في خبر من غبر، للذهبي: ١١١/٣، والوافي بالوفيات، للصفاي: ٨١/٢، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان، لليافعي: ٣٦٢/٣.

(٣) مقدمة ابن خلدون، الموسومة بـ"ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر": ٦٤٥-٦٤٦ بتصرفٍ يسير.

(٤) الخطابة، للإمام محمّد أبو زهرة: ٩.

(٥) الخطابة، للإمام محمّد أبو زهرة: ١١، وفنّ الخطابة ومهارات الخطيب، أ. د. إسماعيل علي محمّد: ١٧.

(٦) الخطابة، للإمام محمّد أبو زهرة: ١١.

(٧) فنّ الخطابة ومهارات الخطيب، أ. د. إسماعيل علي محمّد: ١٧-١٨.

السابع قبل الميلاد، وبها أخضع (بُودَا)^(١) الجموع الهندية لتعليمه، وبها أذاع الدِّينَ أنبياءُ بني إسرائيل، وكان لها مكانها العظيم في مجامع العرب قبل الإسلام، وفي أسواقهم الأدبية بنوع خاص^(٢).

وَسَأَلْتِي الضُّوءَ على تاريخ الخطابة في الثقافة الغربية، وَسَأَفْتَصِرُ -في الحديث عنها- عَلَى فِئَتَيْنِ، هُمَا: (اليُونَانِ)، و(الرُّومَانِ)؛ لِمَا كَانَ لهُمَا مِنْ تَأْثِيرٍ فِي فَنِّ الْخُطَابَةِ فِي أوروبَا الحديثة، خَاصَّةً مَا قَدَّمَهُ اليُونَانُ فِي هَذَا الْمَجَالِ.

أولاً: الخطابة عند اليونان

قضت البلاد اليونانية رَدْحًا مِنَ الزَّمنِ، وهي قبائل مفككة، تكاد كل قبيلة أو جماعة منها تكون مستقلة عن الأخرى، وبينها تنافس وسباق على أسباب العيش ووسائل الحياة، ولم تكن هذه القبائل ترجع إلى أصل واحد، ولكنها أجناس شتى نزحت إلى هذه الجزر ولم يربط بينها رابط إلا المجاورة واشتراك الأعمال. وخلال عدد من القرون ظلت هذه القبائل تتقارب، ثم تتعاون وتتحد على نحو ما تصف إلياذة هوميروس. والإلياذة على ما يكسوها مِنْ خيال وتصورات وتعبيرات شِعْرِيَّة هي كتاب اليونان المُقَدَّس، حيث تقوم الإلياذة بتسجيل تاريخ اليونان^(٣).

قال أحمد الحوفي عن براعة اليونانيين الفِطْرِيَّة في الخطابة: "ولهذا كثر فيهم خطباء الفطرة، قبل أن يشرق العِلْمُ والفلسفة مِنْ أَثِينَا"^(٤)^(٥)، وكان الشُّبَّانُ فِي أَثِينَا يَتَعَلَّمُونَ "طُرُقَ التَّغَلُّبِ على خصومهم في ميدان السَّبَقِ الكلامي، ... ويتمرنون على الإلقاء المُحَكَّم"^(٦). وَقَدْ سَجَّلَ التَّارِيخُ أَحْدَاثًا كَثِيرَةً، وحروبًا طويلة، كان من أبرزها قيام التنافس بين أَثِينَا عاصمة اليونان، وإسبرطة اليونانية كذلك، واشتد تنافسهما حتى أدى إلى حروب لم تنتهِ إِلَّا سنة ٤٠٤ ق. م. باستسلام أَثِينَا وزعامة إسبرطة على البلاد اليونانية كلها، وغير ذلك من الأحداث^(٧).

(١) غوتاما بودا، وَيُكْتَبُ بودا: مؤسس المذهب البوذي أو الفلسفة البوذية، وهو مِنْ أَكْثَرِ المذاهب انتشارًا في الهند، مات بودا سنة ٤٨٣ ق. م. وقيل: إن (بودا) شخصية وهمية، وهو لقبٌ وليس اسْمٌ عَلِمَ على شخص، بل معناه الحكيم المُسْتَنِير، لَكِنَّ مَنْ بَعْدَهُ أَلْهُوهُ. انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت: ٦٣/٣-٩٠.

(٢) فَنِّ الْخُطَابَةِ، د. أحمد محمد الحوفي: ٣٩٠.

(٣) الْخُطَابَةُ وَإِعْدَادُ الْخُطِيبِ، أ. د. عبد الجليل عبده شلبي: ١٤٣.

(٤) عاصمة اليونان.

(٥) فَنِّ الْخُطَابَةِ، د. أحمد محمد الحوفي: ١٩٤.

(٦) الخطابة، للإمام محمد أبو زهرة: ٦.

(٧) الْخُطَابَةُ وَإِعْدَادُ الْخُطِيبِ، أ. د. عبد الجليل عبده شلبي: ١٤٣.

فَقَدْ كَانَتِ الْخُطَابَةُ عِنْدَ الْيُونَانِ "رَاقِيَةً" قَبْلَ الْمِيلَادِ بِخَمْسَةِ قُرُونٍ فِي كَنْفِ الْحَرِيَّةِ وَالنِّضَالِ السِّيَاسِيِّ^(١).

وَالْخُطَابَةُ تَنْتَضِجُ وَتَقْوَى عَادَةً فِي أَيَّامِ الْحُرُوبِ وَالْمَشَادَاتِ، وَقَدْ اعْتَمَدَتِ الْحُرُوبُ الْيُونَانِيَّةُ فِي شَتَّى مَوَاقِفِهَا عَلَى الْخُطَابَةِ، وَلِهَذَا ظَهَرَ خُطَبَاءُ لَنْ يَنْسَاهُمْ التَّارِيخُ، مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَثْنِيِيِّينَ (سُولُون)^(٢)، وَ(دِيمُوسْتَنِيْس)^(٣).

ثُمَّ لَمَّا سَادَتِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ بِلَادَ الْيُونَانِ، وَشَاعَتِ الْحَرِيَّةُ السِّيَاسِيَّةُ، وَأُبِيحَ لِكُلِّ فَرْدٍ أَنْ يَعلَنَ رَأْيَهُ وَيُدَافِعَ عَنْهُ؛ نَشِطَتِ الْخُطَابَةُ وَشَعَرَ الْأَفْرَادُ بِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا، وَنَشَأَ بَيْنَهُمْ مَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ الْخُطَابَةَ وَالْجَدَلَ، وَظَهَرَتْ طَائِفَةُ السُّوْفِسْطَائِيِّينَ^(٤) يَدْرِبُونَ عَلَى الْجَدَلِ وَالْمَغَالِطَةِ، وَكَانَ لَعْمَلِهِمْ لُونَانٌ مُخْتَلِفَانِ: إِفْسَادُ الْمُنْطَقِ، وَالْجَنُوحُ إِلَى إِقْنَاعِ النَّاسِ وَالْحُكَامِ بِأَدْلَةٍ كَثِيرًا مَا تَكُونُ مُضَلِّلَةً، وَلَكِنهَا تَسْتَهْوِي السَّامِعِينَ، وَثَانِيُ اللَّوْنِينِ لَعْمَلُهُمْ: أَنْهُمْ شَجَعُوا الْخُطَابَةَ وَأَشَاعُوهَا، وَجَعَلُوهَا فَنًّا مُسْتَقْلَالًا لَهُ قَوَاعِدُهُ وَأُصُولُهُ^(٥).

وَالْخُطَابَةُ عِنْدَ الْيُونَانِ لَهَا مَنَزَلَةٌ عَالِيَةٌ، وَلَهُمْ خُطَبٌ قَوِيَّةٌ مُؤَثِّرَةٌ، فَالْخُطَبَاءُ "كَانَ لَهُمْ شَأْنٌ كَبِيرٌ، وَنَفُوذٌ قَوِيٌّ فِي السُّلْطَةِ، إِذْ أَصْبَحَ لِلْخُطِيبِ فِي مَجْلِسِ الْأُمَّةِ الَّذِي يَقَرِّرُ شُؤُونَ الْحَرْبِ وَعَقْدِ الصَّلْحِ أَثَرٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ"^(٦).

(١) فَنَّ الْخُطَابَةِ، د. أَحْمَدُ مُحَمَّدُ الْحَوْفِي: ١٩٤.

(٢) أَحَدُ فَلَاسِفَةِ الْيُونَانِ السَّبْعَةِ فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ قَبْلَ مِيلَادِ سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ مِنْ أَبْنَاءِ بَسْتَارُوتِسْ آخِرِ مَلُوكِ أَثِينَا، كَانَ مُتَعَلِّمًا وَفِيلَسُوفًا وَحَاكِمًا وَقَائِدًا وَرَئِيسًا، مَاتَ ٥٦٠ ق. م. انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي: حَلِيَّةُ الْبَشَرِ فِي تَارِيخِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ عَشَرَ، عَبْدِ الرَّزَّاقِ الْبِيْطَارُ: ٩٧٥، وَالْوَحْيُ الْمُحَمَّدِي، مُحَمَّدٌ رَشِيدٌ رِضَا: ٨٨، وَقِصَّةُ الْحَضَارَةِ، وَلِ دِيُورَانْتِ: ٣٢٠/١٧ وَ ١٨٣/٢٣، وَالْمُسْتَشْرَقُونَ، نَجِيبُ الْعَقِيْقِي: ١٤/١.

(٣) دِيمُوسْتَنِيْس، وَيُكْتَبُ دِيمُوسْتِنِ وَدِيمُوسْتِنِي: كَانَ خُطِيبًا بَارِزًا فِي أَثِينَا الْقَدِيمَةِ، وَمَحَامِيًّا مُحَرِّقًا، وَسِيَاسِيًّا بَارِعًا، تُؤَفِّي ٣٢٢ ق. م. انْظُرْ: قِصَّةُ الْحَضَارَةِ، وَلِ دِيُورَانْتِ: ٢٤٨/٣١، وَالشَّرْقُ الْأَدْنَى الْقَدِيمُ فِي مِصْرَ وَالْعِرَاقِ، د. عَبْدِ الْعَزِيزِ صَالِحٍ: ٣٢٠.

(٤) السُّوْفِسْطَائِيُونُ: جَمَاعَةٌ مِنْ مَفْكِرِي الْيُونَانِ ظَهَرُوا فِي مَنْتَصَفِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ قَبْلَ الْمِيلَادِ، وَقَدْ اشْتَقَّ هَذَا الْاِسْمُ مِنْ كَلِمَةٍ يُونَانِيَّةٍ تُدْعَى "سُوفِيسْت" مَعْنَاهَا: الْمُعَلِّمُ أَوِ الْحَكِيمُ؛ أَيْ: مُعَلِّمِ النَّاسِ الْحِكْمَةَ فِي الْقَوْلِ، وَلَكِنْ هَذَا الْاِسْمُ لَحِقَهُ التَّحْقِيرُ بِالْإِهَانَةِ عِنْدَمَا أَخَذَ السُّوْفِسْطَائِيُونُ يَجَادِلُونَ وَيَغَالِطُونَ لَا لِلْوَصُولِ إِلَى الْحَقِيقَةِ، بَلِ لِلتَّضْلِيلِ عَلَى النَّاسِ، وَأَخَذُوا عَلَى هَذَا الْأَجْرِ مِنَ الطَّلَابِ، وَمِنْ هُنَا صَارَ اِسْمُ "سُوفِسْطَائِي" مَعْنَاهُ: الْمُسِيءُ أَوِ الْمُضِلُّ أَوِ الْمُبْطِلُ، وَكَلِمَةُ "سُفْسُطَة" مَعْنَاهَا: التَّمْوِيهِ وَالتَّضْلِيلُ. انْظُرْ: الْخُطَابَةُ بَيْنَ الْعِلْمِ النَّظَرِيِّ وَالْفَنِّ التَّطْبِيقِيِّ، د. عَبْدِ الرَّحِيمِ أَرْشُد: ٣٩.

(٥) الْخُطَابَةُ وَإِعْدَادُ الْخُطِيبِ، أ. د. عَبْدِ الْجَلِيلِ عِبْدِهِ شَلْبِي: ١٤٣-١٤٤ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

(٦) الْخُطَابَةُ، لِلْإِمَامِ مُحَمَّدِ أَبُو زَهْرَةَ: ١٢-١٣.

وخلال مائة عام من سنة ٤٢٠ إلى سنة ٣٢٠ ق. م. كانت الخطابة اليونانية في قمة ازدهارها رواجًا وسموًا وإتقانًا، وتميزت بوضوح أقسام ثلاثة، هي: خطب المحافل، وأشهر أصحابها هو (جورجياس). والخطب القضائية وكان على محترفيها أن يجيدوا إعدادها وأن يلقنوها أصحابها من المتقاضين؛ فكان هذا تعليمًا وإتقانًا للخطابة، وأشهر القائمين بهذا العمل هو (لوسياس)^(١). والخطب السياسية التي ازدهرت ازدهارًا أوسع إبان الصراع بين أثينا ومقدونيا^(٢).

وَحَسْبُنَا أَنَّ أَوَّلَ مَنْ دَوَّنَ قَوَاعِدَ الْخُطَابَةِ ثَلَاثَةً مِنْ خُطَبَاءِ الْيُونَانِ وَحُكَمَائِهَا: (بروديوكوس) و(برتاغوراس) و(جورجياس).
وهكذا سجلت الخطابة اليونانية صور الحياة في اليونان واتجاههم الفكري، كما سجلت سموً بلاغتهم وأساليبهم^(٣).

وكان من أبرز الخطباء في القرن الرابع قبل الميلاد (ديموستين) ومنافسه (إسكينز)^(٤) وَكِلَاهُمَا مِصْقَعٌ^(٥) مُقَوَّهٌ، قَوِيٌّ الْخُصُومَةِ وَاللَّدَدِ، بَارِعٌ فِي تَشْقِيقِ الْكَلَامِ، وَمِنْ أَشْهُرِ الْمَنَافَرَاتِ بَيْنَهُمَا تِلْكَ الَّتِي دَفَعَتْ (ديموستين) إِلَى إِلقاءِ خُطْبَتِهِ الْمَشْهُورَةِ (في سبيل التاج)^(٦)^(٧).

(١) سياسي وأديب وخطيب يوناني شهير، وُلِدَ في أثينا، ولكنه من أصل سيراكوزي، دَرَسَ الخطابة والبلاغة على تسياس -أحد البلغاء البارزين- فتفوق فيما تعلمه، واستعمل لسانه وخطبه في نصر الديمقراطية، مات سنة ٣٧٩ ق. م. انظر ترجمته في: الخطابة وإعداد الخطيب، أ. د. عبد الجليل عبده شلبي: ١٥٣-١٥٤.

(٢) الخطابة وإعداد الخطيب، أ. د. عبد الجليل عبده شلبي: ١٤٥.

(٣) السابق: ١٤٥.

(٤) إسكينز، ويكتب إسكيتز: خطيبٌ مُقَوَّهٌ، من أبرز خطباء اليونان في القرن الرابع قبل الميلاد، كان منافسًا لديموستينيس. انظر ترجمته في: إرشاد اللبيب إلى فن الخطابة وإعداد الخطيب، أ. د. يسري محمد هاني: ٢٦.

(٥) البليغ الذي يَتَقَنَّ في مَذَاهِبِ الْقَوْلِ. انظر: العَيْن، للخليل بن أحمد: ١/١٢٩ (باب العَيْن والْقَاف والصاد)، والمعجم الوسيط، لِمَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ: ٥١٨ (باب الصاد).

(٦) قصة تلك الخطبة أن إسكينز هاجم ديموستين أمام الجمعية الوطنية، ورماه بالضعف، وبأنه لا يستحق الإكبار، ولا يحق له أن يُنَوِّجَ بتاج الزهر الذي كانت الجمعية تضعه على هامات المتفوقين؛ فألقى ديموستين خطبته هذه وخطبًا أخرى أَوْقَتْ على الغاية في الفصاحة والبيان، وأفحم بها خصمه، واضطره إلى الهرب ودفع الغرامة. انظر: الوجيز في قصة الحضارة، ول ديورانت، أَوْجَزُهُ د. غازي مختار طليمات: ٩١-٩٢، نَقْلًا عن: فن الخطابة ومهارات الخطيب، أ. د. إسماعيل علي محمد: ٣٧-٣٨.

(٧) الوجيز في قصة الحضارة، ول ديورانت، أَوْجَزُهُ د. غازي مختار طليمات: ٩١-٩٢، نَقْلًا عن: فن الخطابة ومهارات الخطيب، أ. د. إسماعيل علي محمد: ٣٧.

دواعي ازدهار الخطابة ورقيتها في اليونان:

تبين أن الخطابة عند اليونانيين عاشت تقدماً وازدهاراً، حيث توفرت عوامل هذا الازدهار والرقي عندهم في الأسباب الآتية^(١):

١. اتصال الحروب والمناوشات التي عاشها اليونانيون، وهي حالات تدعو إلى تأييد رأي، وتقني رأي، وتشجيع المحاربين وإثارة الجماهير.

٢. نشاط المسارح والفنون والآداب، وخاصة في إسبرطة اليونانية، والتمثيلات والمسارح ليست إلا منابر للخطابة، مما أدى إلى نهضة خطابية، وتدريب على حسن الإلقاء.

٣. كان النظام السياسي في اليونان مشجعاً على الخطابة، حيث توفرت في ظل هذا النظام الحرية السياسية، وأصبح لكل صاحب رأي أو اتجاه الحق في التعبير عن رأيه أمام الجمهور، وكانت الجماهير عادة تتأثر ببلاغة الخطيب وبيانه أكثر مما تتأثر بحججه المنطقية، فكان يتبارى الخطباء في تنميق عباراتهم واختيار أساليبهم المجازية، وألفاظهم المؤثرة الجذابة، كي يجتذبوا مشاعر الجماهير، ويستميلوهم إليهم.

٤. كان النظام القضائي في اليونان يؤدي مثل ما يؤديه النظام السياسي، حيث كان مجلس القضاء يتكون من عدد من القضاة يزيد على المائة -وبلغ أيضاً عند الرومان نحو أربع مائة- وهذا العدد الكبير يجعل القضاة جمهوراً، ويجعل المحامين يسلكون سبيل التأثير في عواطف القضاة، ويهتمون ببلاغة الخطابة أكثر من روحها القانونية؛ فكان ذلك مدعاة إلى نهضة الخطابة؛ لأنها هي التي تحقق للمتقاضين ما يريدون.

٥. غياب نظام توكيل محام في النظام اليوناني الذي يقوم بمهمة المرافعة، حيث يقضي نظامهم القضائي أن يدافع كل شخص عن نفسه، وقد اضطر هذا النظام جمهور الشعب أن يتعلم الخطابة ويتدرب عليها، فكان هناك معلمون يعلمون الناس الخطابة وطرق التأثير في عواطف السامعين، وأقبل الشباب يتعلمون الخطابة ويتدربون؛ استعداداً لما عسى أن يواجههم من مواقف السياسة والقضاء، ونشأ عن هذا جماعة (السوفسطائية) الذين برعوا في تغيير حقائق الأشياء.

موضوعات الخطابة عند اليونان:

لا تختص الخطابة بشيء معين تنحصر فيه، بل تتناول كل الموضوعات، وتتطرق إلى كل شيء.

(١) الخطابة وإعداد الخطيب، أ. د. عبد الجليل عبده شلبي: ١٤٥-١٤٦.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ رُشْدٍ عَنْ أَرِسْطُو: "أَنَّ الْخُطَابَةَ لَيْسَ لَهَا مَوْضُوعٌ خَاصٌ تَبَحُّثٌ عَنْهُ بِمَعزِلٍ عَنْ غَيْرِهِ، فَإِنَّهَا تَتَنَاولُ كُلَّ الْعُلُومِ وَالْفَنُونِ، وَلَا شَيْءَ -حَقِيرًا كَانَ أَوْ جَلِيلًا، مَعْقُولًا أَوْ مُحسوسًا- إِلَّا يَدْخُلُ تَحْتَ حُكْمِهَا، وَيَخضع لِسُلْطَانِهَا، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ الْبَاحِثُونَ فِي شَأْنِهَا: يَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الْخُطِيبُ مُلِمًّا بِكُلِّ الْعُلُومِ وَالْفَنُونِ مَا اسْتَطَاعَ، وَأَنْ يَسْعَى دَائِبًا إِلَى أَنْ يَزِدَادَ كُلَّ يَوْمٍ عِلْمًا"^(١). وهذا يدل على أَنَّ شَأْنَ الْخُطَابَةِ كَبِيرٌ، وَمَوْضُوعَاتُهَا وَاسِعَةٌ، وَأَفَاقُهَا رَحْبَةٌ، وَيُمْكِنُ -مِمَّا سَبَقَ- أَنْ يُسْتَنْبِطَ أَنْوَاعُ الْخُطَابَةِ وَمَوْضُوعَاتُهَا عِنْدَ الْيُونَانِيِّينَ^(٢):

١. خُطَبُ الْمَحَافِل.
٢. الْخُطَبُ الْقَضَائِيَّة.
٣. الْخُطَبُ السِّيَاسِيَّة.
٤. الْخُطَبُ الْاجْتِمَاعِيَّة.
٥. خُطَبُ الْحُرُوبِ وَالْمَنَازَعَات.
٦. خُطَبُ الصُّلْحِ وَالسَّلَام.

أشهر الخطباء عند اليونان:

بَرَزَتْ مَجْمُوعَةٌ مِنْ خُطَبَاءِ أَثِينَا الْمَشْهُورِينَ، أَهْمُهُمْ^(٣): (سولون Solon ت ٥٦٠ ق. م)، و(بريكليس Pericles ت ٤٢٩ ق. م)^(٤)، و(لوسياس Lysias ت ٣٧٩ ق. م)، و(جورجياس Gorgias ت ٣٧٥ ق. م)، و(أرسطو Aristo ت ٣٢٢ ق. م) و(ديموستينيس Demosthenes ت ٣٢٢ ق. م).

نموذج من خُطَبِ الْعَصْرِ الْيُونَانِي:

يُعَدُّ (لوسياس Lysias) مِنْ خُطَبَاءِ الْيُونَانِ الْمَشْهُورِينَ، عَمَرَ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِينَ عَامًا^(٥). "وَمِنْ خُطَبِ (لوسياس) الشَّهِيرَةِ خُطْبَةٌ أَعَدَّهَا لِلدِّفَاعِ عَنْ شَابٍ مُقْعَدٍ كَانَ يَحْصُلُ عَلَى مَعُونَةٍ مِنَ الْحُكُومَةِ، ثُمَّ اتَّهَمَ بِأَنَّهُ كَانَ يَدَّعِي إِعْآاءَاتٍ كَاذِبَةً لِلْحَصُولِ عَلَى هَذِهِ الْمَعُونَةِ، وَفِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ تَبْدُو رُوحُ السَّخَرِيَّةِ وَالتَّهْكُمِ"^(٦)، وَهِيَ خُطْبَةٌ قَضَائِيَّةٌ، وَهَذَا جُزْءٌ مِنْهَا:

(١) قَنَّ الْخُطَابَةَ وَإِعْدَادَ الْخُطِيبِ، لِلشَّيْخِ عَلِيِّ مَحْفُوظٍ: ١٣.

(٢) انظر: الْخُطَابَةُ وَإِعْدَادُ الْخُطِيبِ، أ. د. عَبْدِ الْجَلِيلِ عَبْدِ شَلْبِي: ١٤٥.

(٣) انظر: السَّابِقُ: ١٤٦-١٥٣.

(٤) سِيَاسِي وَخُطِيبٌ يُونَانِي، حَكَّمَ أَثِينَا فتراتٍ مَقْطُوعَةً، نَادَى بِحَرِيَّةِ التَّعْبِيرِ، مَاتَ سَنَةَ ٤٢٩ ق. م. انظر: قِصَّةُ

الْحَضَارَةِ، وَلِ دِيُورَانْتِ، تَرْجَمَةٌ: د. زَكِي نَجِيبِ مَحْمُودٍ وَآخَرِينَ: ٦٠/١ و ٢١/٢ و ١٢/١٠ و ٦٠٣ (الْمُلْحَقُ)،

وَالشَّرْقِ الْأَدْنَى الْقَدِيمِ فِي مِصْرَ وَالْعِرَاقِ، د. عَبْدِ الْعَزِيزِ صَالِحٍ: ٣١٠.

(٥) الْخُطَابَةُ وَإِعْدَادُ الْخُطِيبِ، أ. د. عَبْدِ الْجَلِيلِ عَبْدِ شَلْبِي: ١٥٣.

(٦) السَّابِقُ: ١٥٥.

"شُكْرًا للمُدَّعي على تقديمي لهذه المحاكمة، لم أكن حتى هذه الساعة أجد سببًا به أتحدث عن حياتي، وقد أتاح المدعي لي هذا السبب، وسأبيِّن في حديثي مدى خطئه وكذب تهمه، وأوضح لكم بالأدلة القاطعة أنَّ حياتي تستحق كل عطفٍ وثناءٍ وإعجابٍ بدلًا من الغيرة والأحقاد، لا أعتقد أنَّ هناك سببًا دفعه إلى تقديمي للمحاكمة إلَّا هذا السبب، سبب الحقد والحسد، فما ظنكم بالخسَّة والحقارة التي يهوي إليها من يحسد شخصًا يشفق عليه ويرثي لحاله الناس جميعًا. طبيعي أنه لم يَقم بالتبليغ عني ليجني من وراء ذلك أموالًا، وهو أيضًا لا يقصد معاقبة عدوٍّ يريد أن ينتقم منه، وإنما دفعه إلى ذلك سوء خلقه، إذ لم يسبق أيِّ معاملة معه، ...^(١)..."

أظهرت الخطبة السابقة نوعًا من القضايا التي كانت تُناقش في المحاكم اليونانية، وجانبًا من أخلاق المجتمع الأثيني.

خصائص الخطابة اليونانية وسماتها:

يمكن للباحث - من خلال ما عُرض - أن يستنبط بعضًا من خصائص الخطبة اليونانية، وهي:

١. الإقناع بالحُجَّة والدليل الواضح.
٢. البُعد عن السفسطائيَّة التي تُجادل وتُخطِّب للجدل والغموض لا لمعرفة الدليل والحكمة.
٣. وضوح العبارات؛ ليفهم الجمهور الخطبة.
٤. التركيز على الموضوع الرئيس الذي أُقيمت من أجله الخطبة.
٥. العاطفة الجيَّاشة في أسلوب الخطبة؛ لتؤثر في الجمهور.

خصائص الخطيب اليوناني وصفاته:

يمكن للباحث - من خلال ما عُرض - أن يستخلص بعضًا من صفات الخطيب اليوناني، وهي:

١. امتلاك المهارة الكافية واللباقة للقدرة على إفحام الخصم.
٢. حرارة العاطفة التي يخزنها الخطيب؛ لإقناع المُخاطَبين واستمالتهم إليه.
٣. القدرة على تنفيذ آراء الخصم بالأدلة المُقنعة.
٤. ثقافة الخطيب المتنوعة.
٥. قوة شخصية الخطيب.
٦. قدرة الخطيب على شدَّ انتباه المُخاطَبين، واستمالتهم.
٧. أن يكون جهورِيَّ الصوت؛ ليسمع الجمهور.

(١) الخطابة وإعداد الخطيب، أ. د. عبد الجليل عبده شلبي: ١٥٥.

يُستنتج -من مجموع ما سبق- أنّ الخطابة عند اليونانيين كانت ذات مكانة رفيعة، ولها تأثير بالغ الأهمية، وهذا يدل على أنها احتلت عندهم منزلة عالية، وقدرًا ساميًا.

ثانيًا: الخطابة عند الرومان

كانت الخطابة في اليونان راقيةً رقيًا ملحوظًا، لكنّ "الرومان في بداية أمرهم كانوا محكومين بحكم ديكتاتوري استبدادي، فكانت خطاباتهم خافتة، ثم بدأ الشعب يتحرك لتغيير حاله ويثور على الطبقة الأرستقراطية؛ فقويت الخطابة"^(١).

"ولم تظهر الخطابة في الرومان إلّا بعد اليونان بأمدٍ بعيد؛ لاشتغالهم بالحرب، ومن أشهر خطبائهم (كاتون)^(٢)"^(٣).

وترتبط حال الخطابة الرومانية بحال الحكم في تلك البلاد، فقد نشأت الحكومة الرومانية في روما^(٤) ملكيّة مُطلَقة، تعامل الناس على أنها تستمد سلطانها من السماء، ومنذ سنة ٥٠٠ ق. م. تحولت إلى جمهورية^(٥).

ولم تكن حياة الرومان مُمتعةً بحريّة كافية، ولكن ظهر فيها بين حين وآخر خطباء وبرزت مواقف خطابية عظيمة، مثل: موقف (أنطونيوس)^(٦) صديق القيصر اليوناني (يوليوس قيصر)^(٧)، حيث قُتل إثر محاكمته محاكمةً رهيبة، دبرها له اثنان من أصدقائه هما (بروتس)^(٨)

(١) فنّ الخطابة، د. أحمد الحوفي: ٤١.

(٢) كاتون: من أشهر خطباء الرومان في القرن الثاني قبل الميلاد، كان يُعرف بالنقاد. انظر: فنّ الخطابة وإعداد الخطيب، للشيخ علي محفوظ: ٢١.

(٣) فنّ الخطابة وإعداد الخطيب، للشيخ علي محفوظ: ٢١.

(٤) عاصمة الرومان.

(٥) الخطابة وإعداد الخطيب، أ. د. عبد الجليل عبده شلبي: ١٥٨.

(٦) مارك أنطونيوس، أو مارك أنطونيوس: قائد سياسي وعسكري وخطيب روماني، كان من أهمّ مساعدي (يوليوس قيصر)، مات في الإسكندرية سنة ٣٠ ق. م. انظر: النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ستانلي إدغار هابمن، ترجمة: د. إحسان عباس: ٢٦٦/١، وقصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: د. زكي نجيب محمود وآخرين: ٤٢٠-٤٢/٩.

(٧) غايوس يوليوس قيصر: قائد سياسي وخطيب روماني، أول من لقّب نفسه إمبراطور، اغتيل سنة ٤٤ ق. م. انظر: مقدمة ابن خلدون: ٢٣٣ و ٢٣٦-٢٣٧، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي: ٤٠/٣.

(٨) بروتس، أو ماركوس يوليوس برونس: سياسي روماني، زادت شهرته بعد اشتراكه في مؤامرة اغتيال القيصر يوليوس، مات بروتس سنة ٤٢ ق. م. انظر ترجمته في: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: د. زكي نجيب محمود وآخرين: ٣٩٥/٩-٤١٢.

و(كاسيوس)^(١)، وظلّ الخطباء يذكرون أخطائه ومظالمه حتى أثاروا عليه الناس فقتلوه، وقد دهش القيصر للطعنة القاتلة من (بروتس) فالتفت إليه وقال: "حتى أنت يا بروتس"، فقد وقف (أنطونيوس) عند تشييع جثمان القيصر فألقى خطاباً مثيراً رهيباً، استفزّ به السامعين، وأثار غضبهم على قتلة القيصر، ثم طارد هو وصديقه الآخر (أوكتافيوس)^(٢) (بروتس) و(كاسيوس) إلى بلاد اليونان حيث مات الأخيران مُنْتَحِرَيْنِ^(٣).

واتخذ الكتاب والشعراء فيما بعد من موقف (بروتس) من (يوليوس) القيصر، ثم موقف (أنطونيوس) من (بروتس) مجالاً لتمثيل سحر البيان، وأثر الخطابة في نفوس السامعين، ولا تزال مرثية (أنطونيوس) من الآثار الأدبية الرائعة.

وفي العهد المسيحي ظهرت خطب دينية، وكان الموقف خليفاً أن يُخَرِّجَ خطباء ممتازين كباراً، ولكن المسيحية ظلت مكبوتة، فلما صارت ديانة رسمية انشقت على نفسها، واعتنقت الحكومة المذهب الكاثوليكي، ولمّا ظهر (هرقل)^(٤) بمذهبه الذي قام على وحدة الإرادة، والذي أراد به أن يوفق بين المذاهب المتضاربة؛ كان قُصَارَةً^(٥) أنه زاد هذه المذاهب مذهباً آخر، وكان بطشه وظلمه ممّا قَتَلَ الخُطابة، وَكَمَّمَ أفواه الخُطباء^(٦).

"وقد وصل تعلّق الرومان بهذا الفنّ -الخطابة- أن حصرُوا الرُتبة العالية فيه، أو قَصَرُوا الوصولَ إلى عضوية مجلس الشيوخ على الخطباء وحدهم، وكان الخطباء همّ

(١) غايوس كاسيوس لونغينوس: سياسي روماني، هو الذي اقترح على بروتس اغتيال القيصر يوليوس، مات كاسيوس سنة ٤٢ ق. م. انظر ترجمته في: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: د. زكي نجيب محمود وآخرين: ٣٩٥-٣٩٩ و ٤٠٣/٩-٤٠٩.

(٢) أغسطس أوكتافيوس أو أكتافيوس: زعيم عسكري روماني، وهو قيصر حُكَّام الدولة الرومانية بعد موت قيصر يوليوس، وفي أيامه وُلِدَ المسيح عيسى عليه السلام، مات أكتافيوس سنة ١٤ م. انظر: الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، عصام الدين العمري: ١٥١/٢، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي: ٣٦/٥.

(٣) فنّ الخطابة ومهارات الخطيب، أ. د. إسماعيل علي محمد: ٤١.

(٤) فلافيوس أغسطس هرقل: إمبراطور الإمبراطورية البيزنطية، شهد عهده الكثير من الحملات العسكرية، وهو ابن هرقل الأكبر، مات فلافيوس هرقل سنة ٦٤١ م. انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت: ٧٤/١٣، و ١٥٢-١٥٥ و ١٦٦.

(٥) أي: غاية جهده واستطاعته. انظر: الغين، للخليل بن أحمد: ٥٧/٥ (باب القاف والصاد والراء)، والمعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية في القاهرة: ٧٣٩/٢ (باب القاف).

(٦) الخطابة وإعداد الخطيب، أ. د. عبد الجليل عبده شلبي: ١٥٩.

المُحَامُونَ، ومنهم يُؤَخِّدُ القُصَاةَ، وكان الأغنياء ينفقون أموالهم مِنْ أجل أن يُنْقِنَ أولادهم الخطابة"^(١).

والرومان تلاميذُ لليونان حيث تعلموا منهم الخطابة فـ "هُم تلاميذُ اليونان في العلوم والفنون، تلقوا الخطابة في مدارس رومانية على أساتذة من اليونان يُعَلِّمُونَ باليونانية"^(٢).

وكان أشهر خطباء العصر الروماني (ماركوس توليوس شيشرون ت ٤٣ ق. م)^(٣)، وهو خطيبٌ وكاتبٌ ومحامٍ وسياسيٌّ، تلقى العلمَ على خيرة أساتذة عصره في روما وأثينا ورُودِسَ^(٤)، واشترك في الحياة العامة، وتقلَّدَ مناصِبَ في الدولة، وقد اختلفت الآراء في (شيشرون)، وأخذ عليه بعض المؤرخين صفات الغرور، وخَوَرُ العزيمة، وعدم الثبات على المبدأ، لكنَّه محامٍ قديرٌ، وخطيبٌ بليغٌ، وكاتبٌ ممتازٌ، ترك مؤلفات كثيرة في البيان والفلسفة، فضلاً عن عدد كبير من الخطب الرائعة، والخطابات المشهورة^(٥).

وقد "طغت شهرته على من سواه بسعة ثقافته وغازاة مؤلفاته، وتدفق بيانه في الخطابة"^(٦).

ومِمَّنْ نبغوا في الخطابة في الرومان كذلك: الخطيب الروماني، الأسباني الأصل (كونتليان) الذي عاش في حدود القرن الأخير قبل الميلاد، فقد كان خطيباً بليغاً، من علماء البيان، وقام بتدريس أصول البلاغة، وألَّفَ كتاباً ضخماً عن (أُسُس الخطابة) يتكوَّن من اثني عشر جُزْءاً، أولها يبدأ بالكلام عن تربية النشء، ثم ينتقل في الأجزاء الأخرى إلى الكلام عن أصول الخطابة وقواعدها، ووَضَعَ للخطيبِ المُفَوِّهِ خُطَّةً تساعد على إتقان فنِّه، فطلب منه الإلمام بثقافة عصره كلها، ونصح له بالروية، وبتقسيم الخطبة إلى أقسام، هي: (المقدمة،

(١) الخطابة بين العلم النظري والفن التطبيقي، د. عبد الرحيم أرشد: ٤١، وانظر: الخطابة، للإمام محمد أبو زهرة: ٧.

(٢) فن الخطابة، د. أحمد الحوفي: ١٩٨.

(٣) ماركوس توليوس شيشرون: خطيب وكاتب روماني مشهور، من أبناء طبقة الفرسان، كان خطيباً بارعاً، ومحامياً ناجحاً، مات سنة ٤٣ ق. م. انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت: ٢٩٢-٢٩٩.

(٤) جزيرة يونانية تجاه الإسكندرية في البحر الأبيض المتوسط، ثم صارت تابعة للروم. انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض: ٣٠٥/١، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي: ٥٤٨/١، وسهم الألفاظ في وهم الألفاظ، لابن الحنبلي: ٤٦.

(٥) الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف: محمد شفيق غربال: ١١٠٦/٢. نقلاً عن: فن الخطابة ومهارات الخطيب، أ. د. إسماعيل علي محمد: ٤٢.

(٦) الوجيز في قصة الحضارة، ول ديورانت، وأجزء د. غازي مختار طليمات: ١٤٨/٢. نقلاً عن: فن الخطابة ومهارات الخطيب، أ. د. إسماعيل علي محمد: ٤٢.

والعرض، والبرهان، والدَّخْض، والخاتمة)، وَحَذَّرُهُ مِنَ الإِطَالَةِ، وَبَيَّنَّ لَهُ أَنَّ الحَذْفَ أَهَمُّ مِنَ الإِضَافَةِ، لَكِي يَبْرَأَ الكَلَامَ مِنَ اللُّغُوِّ وَالْفُضُولِ، وَقَدْ اشْتَهَرَ بِأُسْلُوبِهِ الأَخَّاذِ الجَمِيلِ، الَّذِي أُعْجِبَ بِهِ كُلُّ مَنْ قَرَأَهُ، لِذَلِكَ كَانَ تَأْثِيرُهُ كَبِيرًا، فِي العُصُورِ القَدِيمَةِ وَفِي عَصْرِ النَهْضَةِ أَيْضًا^(١).

وعُمُومًا فَلَمْ تَكُنِ الخُطَابَةُ عِنْدَ الرُّومَانِ ذَاتَ حَظٍّ مِنَ الرِّقِيِّ وَالإِنْتِعَاشِ، بِسَبَبِ مَا كَانَ يَسُودُ الحَيَاةَ السِّيَاسِيَّةَ مِنْ اسْتِبْدَادٍ وَتَسَلُّطٍ، عَلَى عَكْسِ مَا كَانَ لَدَى الْيُونَانِ^(٢)، وَهَذَا كَانَ فِي بَدَايَةِ أَمْرِ الرُّومَانِ، لَكِنَّ حُكْمَهُمْ "شَمَلَ" مَسَاحَاتٍ مِنَ الأَرْضِ أَوْسَعَ بِكَثِيرٍ مِمَّا شَمَلَ حُكْمُ الْيُونَانِ، وَامْتَدَّ أَيْضًا إِلَى زَمَنِ أَطُولٍ، وَظَهَرَ فِيهِ فَلَاسِفَةٌ وَكُتَّابٌ وَخُطَبَاءٌ وَسَاسَةٌ لَا تَزَالُ أَسْمَاؤُهُمْ بَارِزَةً وَلَامِعَةً فِي التَّارِيخِ الْإِنْسَانِيِّ الْعَامِ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مَدٌّ لِلْفِكْرِ الْيُونَانِيِّ^(٣).

دَوَاعِي ازْدِهَارِ الخُطَابَةِ وَرَفِيقَتِهَا فِي الرُّومَانِ:

مِنْ عَوَامِلِ تَقَدُّمِ الخُطَابَةِ وَازْدِهَارِهَا عِنْدَ الرُّومَانِ مَا يَأْتِي:

١. كَثْرَةُ الحُرُوبِ وَالْمَنَاوَشَاتِ الَّتِي لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ خُطَبَاءٍ يَنْصُرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حِزْبَهُ وَفَرِيقَهُ.

٢. النِّظَامُ الْقَضَائِيُّ الرُّومَانِيُّ، حَيْثُ كَانَ الخُطَبَاءُ هُمُ الْمُحَامِلُونَ، وَمِنْهُمْ يُؤْخَذُ الْقَضَاءُ.

٣. اِهْتِمَامُ الْآبَاءِ - وَلَا سِيَمَا الْأَغْنِيَاءِ - بِتَعْلِيمِ الخُطَابَةِ لِأَبْنَائِهِمْ، فَكَانَ الْأَغْنِيَاءُ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُثَقِّنَ أَوْلَادُهُمُ الخُطَابَةَ.

مَوْضُوعَاتُ الخُطَابَةِ عِنْدَ الرُّومَانِ:

كَانَ الْعَهْدُ الرُّومَانِيُّ "امْتِدَادًا وَتَقْلِيدًا" لِلْعَهْدِ الْيُونَانِيِّ، وَالتَّجْدِيدُ فِيهَا قَلِيلٌ، وَكَانَتِ اللُّغَةُ الْيُونَانِيَّةُ تَسْتَعْمَلُ لُغَةً رَسْمِيَّةً فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ فِي الْعَهْدِ الرُّومَانِيِّ... فَلَمَّا حَلَّتْ رُومًا مَحَلَّ الْيُونَانِ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْهَيْئِ عَلَيْهِمْ وَلَا فِي اتِّجَاهِهَا أَنْ تَمَحُوَ اللُّغَةُ الْيُونَانِيَّةُ أَوْ تَزِيلَ ثِقَافَتَهَا، بَلْ إِنَّ الْفِكْرَ الرُّومَانِيَّ لَمْ يَكُنْ إِلَّا صُورَةً مِنَ الْفِكْرِ الْيُونَانِيِّ^(٤).

فَلَا يَبْعَدُ أَنْ تَكُونَ مَوْضُوعَاتُ الخُطَابَةِ وَاحِدَةً أَوْ مُتَقَارِبَةً بَيْنَ الْيُونَانِ وَالرُّومَانِ، لَمَّا كَانَ لِلْيُونَانِ مِنْ تَأْثِيرٍ فِي الرُّومَانِ، وَمِنْ هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ:

١. خُطَبُ المَحَافِلِ.

٢. الخُطَبُ الْقَضَائِيَّةُ.

(١) الْوَجِيزُ فِي قِصَّةِ الحَضَارَةِ، وَلِ دِيُورَانت، أُوجِرْزُ د. غَازِي مَخْتَار طَلِيْمَات: ١٦٧/٢، وَالمَوْسُوعَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْمِيسِرَةُ، بِإِشْرَافِ: مُحَمَّدٍ شَفِيقٍ غَرِبَال: ١٥١٨/٢. نَقْلًا عَنْ: فَنِّ الخُطَابَةِ وَمَهَارَاتِ الخُطِيبِ، أ. د. إِسْمَاعِيلَ عَلِي مُحَمَّد: ٤٣.

(٢) فَنِّ الخُطَابَةِ وَمَهَارَاتِ الخُطِيبِ، أ. د. إِسْمَاعِيلَ عَلِي مُحَمَّد: ٤٣.

(٣) الخُطَابَةُ وَإِعْدَادُ الخُطِيبِ، أ. د. عَبْدِ الْجَلِيلِ عِبْدِهِ شَلْبِي: ١٤٢.

(٤) السَّابِقُ: ١٤٢.

٣. الخُطَب السياسية.

٤. خُطَب الحروب والمنازعات.

٥. خُطَب الصُلح والسّلم.

أشهر الخطباء عند الرومان:

من أشهر خُطباء العهد الروماني^(١): (هانيبال Hannibal، الشهير بِاسْمِ حَنْبَعل ت ١٨٢ ق. م)^(٢)، و(كاتون Catton)، و(القيصر يوليوس Julius ت ٤٤ ق. م)، و(شيشرون Cicero ت ٤٣ ق. م)، و(أنطونيوس Antonius ت ٣٠ ق. م)، و(كونتليان Quintilian ت ١٠٠ م)^(٣).

نموذج من خُطَب العصر الروماني:

للخطيب (هانيبال) خُطبة نِصَالِيَّة مشهورة، خاطَب فيها جنودَهُ قائلاً:

"أيُّهَا الجنودُ، إِنِّي لَا أَدْرِي إِذَا كَانَ الْحَظُّ لَكُمْ، أَوْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى، فَقَدْ شَدَّ بِكُمْ الْوُثَاقَ، وَحَمَتِ الْحَاجَاتُ، فَعَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ بَحْرَانِ يَكْتَفَانِكُمْ، وَلَيْسَتْ لَكُمْ سَفِينَةٌ وَاحِدَةٌ تَهْرَعُونَ إِلَيْهَا، وَمِنْ بَيْنِ أَيْدِيكُمْ نَهْرٌ (بو)، وَهُوَ أَعْرَضُ وَأَسْرَعُ جَرَيَانًا مِنَ (الرَّوْنِ)^(٤)، وَمِنْ خَلْفِكُمْ جِبَالُ الْأَلْبِ، تِلْكَ الْجِبَالُ الَّتِي لَمْ تَسْتَطِيعُوا اقْتِحَامَهَا إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ حَتَّى فِي أَيَّامِ وَفْرَةٍ عَدَدِكُمْ، فَهَيَّا أَيُّهَا الْجِيُوشُ، فَلَيْسَ أَمَامَكُمْ إِلَّا الْغَنَاءُ وَالنَّصْرُ عَلَى الْأَعْدَاءِ يَوْمَ لِقَائِكُمْ لَهُمْ.

(١) انظر: فن الخطابة وإعداد الخطيب، للشيخ علي محفوظ: ٢١، والخطابة وإعداد الخطيب، أ. د. عبد الجليل عبده شليبي: ١٥٧-١٦٢.

(٢) هانيبال أو حَنْبَعل بن حملقار برقاً: زعيم وخطيب وقائد عسكري روماني من قرطاج، ترجع جذوره إلى الفينيقيَّة، خاض حروباً كثيرة، ولديه الكثير من الخبرات والتخطيطات العسكرية، مات سنة ١٨٢ ق. م. انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت: ١٧٨/٣٥، و١٩٠/٤١، وتاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، لمجموعة من المؤلِّفين: ٣٧.

(٣) كونتليان أو ماركوس فابيوس كينتيليانوس: خطيب روماني بليغ مُفَوِّه، مات سنة ١٠٠ م. انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت: ١٩٩/١٠-٢٠٢.

(٤) (بو Po)، و(الرَّوْن Rhone) اسماً نَهْرَيْنِ في أوروبا، يتدفق الأول من شمال إيطاليا إلى أطراف جبال الألب، وينبع الثاني من جبال الألب السويسرية ثمَّ يدخل فرنسا، ويصبَّ جنوب شرق فرنسا في البحر الأبيض المتوسط. انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري: ٢٧٣/١، وجغرافية المناخ والنبات، أ. د. يوسف عبد المجيد فايد: ٦٣، والمقدمات في الجغرافيا الطبيعية، د. عبد العزيز طريح شرف: ٢٣٢ و٢٨٣، وقصة الحضارة، ول ديورانت: ٥٩/٣٢، و٦/٤٠.

لا تيأسوا؛ فإنّ تلك القدرة الإلهية التي ألقت بكم في هذا المأزق الحرج الذي يرغمكم على القتال، هي عيُنُها التي أعدت لكم على مرأى منكم نعيمًا عظيمًا؛ ليكون لكم أجرًا على انتصاركم، وجزاء لا يرجو أعظم منه إنسان من الله الباقي، ...^(١).

بيّنت خطبة (هانيبال) مدى النضال والحماس اللذين يسيطران عليه، وقدرته على التأثير في جنوده، مع اشتغالها على معانٍ سامية في أثناء المواجهة، تُذكر بخطبة طارق بن زياد، ويقول المتنبي كذلك^(٢):

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدٌّ فَمِنَ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانًا

وأظهرت خطبته كُفْرُهُ بتعدّد الآلهة، وبقينه بأنّ هناك إلهاً واحدًا لهذا الكون، لن تضيع عنده جهود المناضلين. وإنّ تخييره لجنده بين (الفناء) و(النصر)، دليل على أنه لا يعلم ما سيؤول له الإنسان بعد الموت من الحياة البرزخية، بدليل استخدامه لفظة (الفناء)، ولعلّه قصّد بها فناء الأجساد إذا قُتِلَتْ.

خصائص الخطابة الرومانية وسماتها:

تكاد تكون خصائص الخطابة عند الرومان هي خصائص الخطابة عند اليونان نفسها؛ لأنّ العهد الروماني امتداد وتقليد للعهد اليوناني، والتجديد فيها قليل، وكأنّ الثقافتين واحدة.

خصائص الخطيب الروماني وصفاته:

لم يكن الفكر الروماني إلا صورة من الفكر اليوناني، وكذلك الخطيب الروماني ما هو إلا صورة من الخطيب اليوناني، تأثّر به، وحذا حذوه، لذلك فإنّ خصائص الخطيب في الرومان مُتشابهةٌ إلى حدّ كبير مع خصائص الخطيب في اليونان.

يُستنتج -من مجموع ما سبق- أنّ الخطابة عند الرومانيين كانت ذات منزلة لكنها ليست ذات حظ من الرقي في بداية الأمر كما كانت عند اليونانيين، بسبب الاستبداد والظلم، ثم حازت بعد ذلك مكانةً وشأواً، وظهر في الرومان خطباء لا تزال أسماؤهم لامعة في التاريخ الإنساني.

^(١) الخطابة وإعداد الخطيب، أ. د. عبد الجليل عبده شلبي: ١٦٢.

^(٢) البيت للمتنبي في ديوانه: ٤٧٤.

المبحث الثاني: الخطبة في الثقافة العربية

الخطابة نوع من المحادثات، رافقت الإنسان منذ القدم، "وقد كان للعرب في ذلك الحظ الأوفى، فحفلوا بها في الجاهلية"^(١). ثم جاء الإسلام فاهتم بالخطابة اهتمامًا ملحوظًا، وأضاف إليه المعاني الإسلامية الجديدة، والقيم النبيلة، فعالج الخطابات التي تثير الأحقاد، وتزيد الحروب، وحث الإنسان على التخلق بأداب القرآن الكريم والسنة النبوية.

وساقطصر في الحديث عن الخطابة في الثقافة العربية على فترتين فقط، الأولى: العصر الجاهلي، والثانية: عصر صدر الإسلام؛ وذلك لأن البحث يختص بخطب النبي ﷺ، كما أن موضوع الخطابة كبير، يحتاج بحثًا مستقلًا، ولا مجال هنا لبسط القول فيها.

أولاً: الخطابة في العصر الجاهلي:

يقدر الدارسون والباحثون مدة العصر الجاهلي بقرن ونصف إلى قرنين -على الأكثر- قبل الإسلام، وينتهي ببغثة النبي محمد ﷺ عام ٦١٠م، أو بظهور الإسلام عام ٦٢٣م^(٢)، قال الجاحظ: "إذا استظهرنا الشعر، وجدنا له -إلى أن جاء الله بالإسلام- خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام"^(٣).

عاش العرب جاهليتهم في شبه الجزيرة العربية في قبائل متفرقة، وكان لكل قبيلة زعيم، يخطب بهم إذا حصل سبب للخطابة، كالمفاخرة بالأنساب والأحساب، أو الصلح بين القبائل، أو لشن الحروب والمنازعات، أو للتهاني في الأفراح، أو للتعازي في الأتراح؛ فشجعت هذه الظروف على الاهتمام بالخطابة في العصر الجاهلي، هذا مع ما كان يتمتع به العربي من فصاحة وبيان.

و"كان للخطابة في العصر الجاهلي شأن أي شأن؛ ... فلقد كانت حياة العرب تقتضي ازدهار الخطابة"^(٤) التي عدّها العرب وقنّها "أداة لحراسة الاجتماع، وتنظيم ما فيه من قوى الحياة، وأسباب تنازع البقاء"^(٥)، فأضحّت بمثابة ديوانهم الثاني بعد الشعر، حتى بلغت مكانة عالية بين العرب، وفاقت الشعر في مواطن.

(١) أصول الخطابة والإنشاء، عطية محمد سالم: ١٥.

(٢) انظر: الحيوان، للجاحظ: ٥٣/١، وفن الخطابة وإعداد الخطيب، للشيخ علي محفوظ: ٢١، والعصر الجاهلي، د. شوقي ضيف: ٣٨، والجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، حنا الفاخوري: ٣٩، والحياة الأدبية في العصر الجاهلي، د. محمد عبد المنعم خفاجي: ٢١.

(٣) الحيوان، للجاحظ: ٥٣/١.

(٤) الأدب الجاهلي، د. غازي طليمات، أ. عرفان الأشقر: ٥٤١.

(٥) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، د. محمد هاشم عطية: ٦٩.

وقال الجاحظ في معرض كلامه عن الخطبة: "وما تَكَلَّمْتُ به الْعَرَبُ مِنْ جَيِّدِ الْمُنْثَوْرِ أكثرَ مِمَّا تَكَلَّمْتُ به مِنْ جَيِّدِ الْمُوزُونِ"^(١)، وقوله "جَيِّدِ الْمُنْثَوْرِ" يعطي إشارة إلى أن الكلام ينبغي أن يكون جَيِّدًا، وهذا يتعلق بالخطيب، والمخاطب، والخطبة الجَيِّدَة، وهذه الثلاثة هي عناصر الخطابة.

وَقَدْ عَدَّ الْجَاحِظُ الْخَطِيبَ أَرْفَعَ مَنْزِلَةً مِنَ الشَّاعِرِ بَعْدَمَا كَانَ الشَّاعِرُ عِنْدَهُمْ صَاحِبَ الْمَنْزِلَةِ الْكُبْرَى: "وَكَانَ الشَّاعِرُ أَرْفَعَ قَدْرًا مِنَ الْخَطِيبِ، وَهُمْ إِلَيْهِ أَحْوَجُ؛ لِرَدِّهِ مَآثِرَهُمْ عَلَيْهِمْ وَتَذْكِيرِهِمْ بِأَيَامِهِمْ، فَلَمَّا كَثُرَ الشُّعْرَاءُ وَكَثُرَ الشُّعْرُ صَارَ الْخَطِيبُ أَعْظَمَ قَدْرًا مِنَ الشَّاعِرِ"^(٢).

أما عن الأسباب التي جعلت الخطيب الجاهلي يتفوق على الشاعر في العصر الجاهلي فكثيرة، منها ما ذكره الجاحظ آنفًا من احتياج القبيلة إلى لسان الخطيب في مآثرها وتذكيره بأيامها، وذكر أبو عمرو بن العلاء سببين آخرين، هما تَكْسُبُ الشُّعْرَاءُ بِشُعْرِهِمْ، وخوضهم في أعراض الناس: "كَانَ الشَّاعِرُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُقَدِّمُ عَلَى الْخَطِيبِ؛ لِغَرَضٍ حَاجَتُهُمْ إِلَى الشُّعْرِ الَّذِي يَقَيِّدُ عَلَيْهِمْ مَآثِرَهُمْ وَيَفْخَمُ شَأْنَهُمْ... فَلَمَّا كَثُرَ الشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ، وَاتَّخَذُوا الشُّعْرَ مَكْسَبَةً وَرَحَلُوا إِلَى السُّوقَةِ، وَتَسَرَّعُوا إِلَى أَعْرَاضِ النَّاسِ؛ صَارَ الْخَطِيبُ عِنْدَهُمْ فَوْقَ الشَّاعِرِ"^(٣).

وأضاف شوقي ضيف سببًا آخر قائلاً: "إِنَّ تَفُوقَ الْخَطِيبِ عَلَى الشَّاعِرِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَرْجِعُ إِلَى طَائِفَةٍ مُتَشَابِكَةٍ مِنَ الْأَسْبَابِ، مِنْهَا: أَنَّ الْخَطَابَةَ كَانَتْ مِنْ لَوَازِمِ سَادَتِهِمُ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ بِاسْمِهِمْ فِي الْمَوَاسِمِ وَالْمَحَافِلِ الْعِظَامِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتْ تَقْتَرِنُ بِهَا الْحِكْمَةُ وَالشُّوقُ وَالرِّيَاسَةُ، كَمَا تَقْتَرِنُ بِهَا الشَّجَاعَةُ، وَيَتَضَحَّ ذَلِكَ فِي مَرَاثِيهِمْ، وَمَدَائِحِهِمْ لِسَادَتِهِمْ"^(٤)، وفي هذا قال أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ يَرِثِي فَضَالََةَ بَنِي كِلْدَةَ^(٥):

أَبَا دُلَيْجَةَ مَنْ يَكْفِي الْعَشِيرَةَ إِذْ أَمْسَوْا مِنَ الْأَمْرِ فِي لَبْسٍ وَبَلْبَالٍ
أَمْ مَنْ يَكُونُ خَطِيبَ الْقَوْمِ إِنْ حَفَلُوا لَدَى مُلُوكٍ أُولِي كَيْدٍ وَأَقْوَالٍ

تتضح -من البيتين السابقين- مكانة الخطيب في القوم، وَتَحَسَّرَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ، فَ"الْخَطَابَةُ عِنْدَ الْجَاهِلِيِّ بِمَقَامِ الشُّعْرِ، فَهِيَ كَالشُّعْرِ لِسَانُ الدِّفَاعِ عَنِ الْقَوْمِ، وَالتَّحْرِيزِ عَلَى الْقِتَالِ، وَنُصْرَةِ الضَّعِيفِ، وَرِسَالَةِ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ الَّتِي يُحَافِظُونَ بِبَلَاغَتِهَا عَلَى سُلْطَانِهِمْ وَنَفُوذِهِمْ، وَكَلِمَةِ الْخَبْرَةِ وَالْعِبْرَةِ إِلَى النَّاسِ نُورًا وَهَدًيًا"^(٦).

(١) البيان والتبيين، للجاحظ: ٢٣٩/١.

(٢) السابق: ٣٠٠/٣.

(٣) السابق: ٢٠٣/١.

(٤) الفن ومذاهبه في النثر العربي، د. شوقي ضيف: ٢٨.

(٥) البيتان لأَوْسُ بْنُ حَجْرٍ فِي دِيْوَانِهِ: ١٠٣-١٠٤.

(٦) الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، حنَّاءُ الْفَاخُورِي: ١١٥.

وهذا يبين ما كانت عليه الخطابة عند الجاهليين، وما لها من شأنٍ كبير، ومكانة مرموقة في حياة العرب، فكانت منزلة الخطيب لا تقل عن منزلة الشاعر، بل فاقتته في بعض المواطن.

عوامل ازدهار الخطابة الجاهلية:

تميزت حياة العرب في الجاهلية بكثرة الحروب والمنازعات، والأسواق والجماعات، وهذا بدوره يساعد على نمو الخطابة وازدهارها، و"إذا كان العربُ أُمِّيَّينَ في أكثرهم، ذَوِي غزواتٍ متواصلة، بعيدين عن أساليب الطباعة والصحافة، كانت الخطابة أسهل الطرق إلى إثارتهم ونشر الدعوة فيهم وإقناعهم، وقد ساعدَ على ذلك ما هنالك من أسواق واجتماعات، وما للعرب من فصاحة وبلاغة فُطروا عليهما؛ فتعدّد الخطباء وكان لهم في كلّ محفل مواقف، وفي كل منقلب من منقلبات الحياة منابر ومعايير"^(١)، فكثرة الخطباء نتيجة متوقعة لكثرة الاجتماعات، والمواقف الحياتية، والمتغيرات الاجتماعية.

كما أنّ العرب تحتاج للقيام بواجبها في الاجتماعات والسفارات، والحروب والسلم إلى الخطابة، ف"الحياة الجاهلية جعلت الخطابة ضروريةً لهم، فهُم في اجتماعاتهم وفي عرض آرائهم، وفي القيام بواجباتهم في السفارات والوفود كانوا -ولا شك- يحتاجون إلى الإفصاح عما يريدونه؛ رغبةً في الوصول إلى مقاصدهم وكلما كان إفصاحهم أقوى وأعذب كان تأثيره في القلوب أشد، فساعد ذلك على وجود الخطابة بينهم"^(٢)، فالحياة الجاهلية بكل متغيراتها ومجرياتِها جعلت الخطابة ضرورةً مجتمعية قَبْلِيَّة مِلْحَة، "فقد كان كل شيء عندهم يؤهل لهذا الازدهار، إذ لم يكن ينقصهم شيء من الحرية، وكثُرَت المنازعات والخصومات بينهم، والدعوة إلى الحربِ مرّة، وإلى السلم مرّة أخرى، وقد اتخذوا من مجالسهم في مضارب خيامهم، ومن أسواقهم، ومن ساحات الأمراء ووفاداتهم عليهم ميادين لإظهار براعتهم، وتفنّنهم في المقال، وحوك الكلام"^(٣). وهذا يدلّ دلالة واضحة على مكانة الخطيب والخطابة معاً في العصر الجاهلي، وأنه لا غنى لهم عنهما.

فالعربي لديه القدرة العالية في ارتجاله إذا خطب أو أشعر، وقد أبدع الجاحظ في وصف بيان العربي وبلاغته حين قال: "وكلُّ شيءٍ للعرب فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فِكْرٍ ولا استعانة، وإنما هو أن يصرف همّة إلى

(١) الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، حنا الفاخوري: ١١٥-١١٦.

(٢) في تاريخ الأدب الجاهلي، د. علي الجندي: ٢٦٤.

(٣) العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف: ٤١٠.

الكلام... فتأتية المعاني أَرْسَالًا^(١)، وتتثال الألفاظ انشياًلاً. وكانوا أُمِّيَّينَ لا يكتبون، ومطبوعين لا يتكلمون... وخطبائهم للكلام أَوْجَدُ، والكلام عليهم أَسْهَلُ، وهو عليهم أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يفتقروا إلى تَحْقُظٍ، ويحتاجوا إلى تَدَارُسٍ^(٢)، وهي شهادة للخطيب بسهولة الكلام عليه، وقدرته الفائقة على تطويع الخطاب في خطبته.

موضوعات الخطابة الجاهلية:

كثرت موضوعات الخطبة عند أهل العصر الجاهلي، فَقَدْ عَرَفَ الجاهليون أَلْوَانًا مِنْ الْخُطَابَةِ، منها^(٣):

١. التحريض على القتال والمنازعات.
٢. الدعوة إلى السلام، والوئام، والصلح، وَقَضَى الخصومات.
٣. المفاخرة والمباهاة بالأنساب، والأحساب، وأيام القبيلة.
٤. الخطابة في الأسواق والمحافل العظام، والوفادة على الملوك والأمراء.
٥. التهنية في الأفراح.
٦. التعزية في الأحزان.
٧. الوعظ والإرشاد.

خصائص الخطيب الجاهلي وصفاته:

- للخطيب في العصر الجاهلي خصائص وصفات ينبغي توفرها فيه، منها^(٤):
١. الموهبة والاستعداد الفطري، وَمِنْ ذَلِكَ نَكَاءُ الخطيب، وسرعة بديهته.
 ٢. قدرة الخطيب على شَدِّ انتباه جمهور الخطابة إلى موضوعه، والتأثير في الْمُخَاطَبِينَ.
 ٣. أَنْ يَكُونَ الْخطيبُ جَزَلَ الألفاظ، بليغاً فصيحاً مع الطلاقة والتَّخْبِيرِ^(٥).
 ٤. أَنْ يَكُونَ الْخطيبُ سَهْلَ الْمَخْرَجِ، جَهْوَريَّ الصوت؛ ليسمعه الجمهور.

(١) أفواجاً مُتَّابِعَةً. انظر: لسان العرب، لابن منظور: ٢٨١/١١ (رَسَلَ).

(٢) البيان والتبيين، للجاحظ: ٢٠/٣.

(٣) انظر: الْقَنْ ومذاهبه في النثر العربي، د. شوقي ضيف: ٢٧، وفي تاريخ الأدب الجاهلي، د. علي الجندي: ٢٦٤-٢٦٥، والأدب الجاهلي، د. غازي طليمات، أ. عرفان الأشقر: ٥٤٣-٥٤٦، والأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب، د. عبد الإله الصائغ: ٥٠٢-٥٠٣.

(٤) انظر: البيان والتبيين، للجاحظ: ٣٦/١، والقَنْ ومذاهبه في النثر العربي، د. شوقي ضيف: ٣٣، والأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب، د. عبد الإله الصائغ: ٤٩٧-٤٩٨.

(٥) التَّحْبِيرُ: تحسين الصوت وتزيينه. انظر: الْمُخَصَّص، لابن سيده: ٣٨٣/١ (بَابُ الْمُخَطَّطِ مِنَ الثِّيَابِ)، ولسان العرب، لابن منظور: ١٥٧/٤ (حَبَّرَ).

٥. قوة شخصية الخطيب ومنزلته في أفئدة المُتَلَقِّينَ.
 ٦. هيئة الخطيب وقدراته، ومطاوعة صوته وإشاراته للمعاني التي تشغل خطابه.
 ٧. جُرأة الخطيب في قول ما يشاء، وقت يشاء، وكيف يشاء.
 ٨. ثقافة الخطيب الملونة بعلوم زمانه، مِنْ: أيام العَرَبِ وأشعارهم وأنسابهم ومواطنهم.
 ٩. كما أَنَّ للخطباء عادة الإشارة بالأيدي والأعناق والحواجب والعَصِي^(١).
- أرباب الخطابة الجاهلية:**

تكثر في كتب الأدب، وخاصة في كتاب البيان والتبيين للجاحظ أسماء طائفة كبيرة من خطباء العصر الجاهلي، ممن اشتهر بالفصاحة والبيان^(٢)، وَمِنْ أشهر خطباء عصر ما قبل الإسلام^(٣): (قُس^(٤) بن ساعدة الإيادي^(٥)) حتى قيل في الأمثال: "أَبْلَغُ مِنْ قُس^(٦)"، و(أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي التَّمِيمِي^(٧)) صاحب المثل الشهير: "رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَعُ مِنْ صَوْلٍ"^(٨)، و(أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ

(١) قال الجاحظ في البيان والتبيين ٣/٧٩-٨٠: "وَمِنْ شَأْنِ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنْ يَشِيرُوا بِأَيْدِيهِمْ وَأَعْنَاقِهِمْ وَحَوَاجِبِهِمْ، فَإِذَا أَشَارُوا بِالْعَصِي فَكَأَنَّهُمْ قَدْ وَصَلُوا بِأَيْدِيهِمْ أَيْدِيًا أُخَرَ... إِنَّ حَمَلَ الْعَصَا وَالْمُخَصَّرَةَ [عَصَا، أَوْ عَنَزَةً] دَلِيلٌ عَلَى التَّأَهُبِ لِلخُطْبَةِ، وَالتَّهْيِئِ لِلإِطْنَابِ وَالإِطَالَةِ، وَذَلِكَ شَيْءٌ خَاصٌّ فِي خُطْبَاءِ الْعَرَبِ، وَمَقْصُورٌ عَلَيْهِمْ، وَمَنْسُوبٌ إِلَيْهِمْ".

(٢) انظر: البيان والتبيين، للجاحظ: ١/٦٠-٦٦، ١/٢٥١-٢٨٨، وَالْقَفَّ وَمَذَاهِبُهُ فِي النُّثْرِ الْعَرَبِيِّ، د. شوقي ضيف: ٣٠.

(٣) انظر أشهر خطباء العصر الجاهلي في: البيان والتبيين، للجاحظ: ١/٦٠-٦٦، ١/٢٥١-٢٨٨، والأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، د. محمد هاشم عطية: ٧٢-٧٨، والعصر الجاهلي، د. شوقي ضيف: ٤١٣-٤١٩، والأدب الجاهلي وبلاغه الخطاب، د. عبد الإله الصائغ: ٤٩٩-٥٠٢، والأدب الجاهلي، أ. د. حسني عبد الجليل يوسف: ٤٩٢-٥٠٣.

(٤) ضَبِطَتْ كَلِمَةً (قُس) بِضَمِّ الْقَافِ لَا بِكسرها في: الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر الأُنباري: ٣٥١/٢، ومعجم ديوان الأدب، للفارابي: ٣/٢٠، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان الحميري: ١/٢١٦، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي: ٢٢١، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي: ٣٩١/١.

(٥) قُس بن ساعدة بن عمرو، مِنْ بني إِيَاد، خطيب العَرَبِ وشاعرها وحكيمها وحليمها في عصره، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عَلَا عَلَى شَرَفٍ وَخَطَبَ عَلَيْهِ، وَأَوَّلُ مَنْ اتَّكَأَ فِي خُطْبَتِهِ عَلَى سِيفٍ أَوْ عَصَا، وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي كَلَامِهِ: "أَمَّا بَعْدُ"، (ت ٢٣ ق. هـ). انظر ترجمته في: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي: ٢/٢٩٨، والوافي بالوَفَيَّاتِ، للصفدي: ١٨٠/٢٤.

(٦) انظر المثل في: الأمثال، لابن رِفاعَةَ الهاشمي: ٤، ومجمع الأمثال، للميداني: ١/١١١.

(٧) أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي بْنِ رِيَّاحِ بْنِ الْحَارِثِ التَّمِيمِيِّ، حَكِيمُ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، عَمَرَ طَوِيلًا، وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ، وَقَصَدَ الْمَدِينَةَ فِي مِائَةٍ مِنْ قَوْمِهِ يَرِيدُونَ الْإِسْلَامَ، فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ سَنَةَ ٩ هـ. انظر ترجمته في: الوافي بالوَفَيَّاتِ، للصفدي: ١٩٩/٩، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حَجَر: ١/٣٥٠.

التَّقْفِي^(٢)، و(هاني بن قبيصة الشَّيبَانِي^(٣))، و(عمرو بن كلثوم التغلبي^(٤)). "وقد أجمع علماء الأدب على مَتَانَةٍ (قُسٍ) وَ(أَكْنَم) وَأَنَّهُمَا أَرْعَى لِلْحَقِّ، وَأَبْرُّ بِالْمَكَارِمِ"^(٥).

نموذج من خُطْبِ العصر الجاهلي:

أَوَّلُ مَا يُوجِهُ الْبَاحِثُ مِنْ خُطْبِ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ خُطْبَةُ (قُسٍ بْنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِيِّ) فِي سَوْقِ عُكَازٍ، وَهُوَ مِنْ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ الْمَشْهُورِينَ، قَالَ فِيهَا: "أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَعُوا، إِنَّهُ مَنْ عَاشَ مَاتَ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ. لَيْلٌ دَاجٍ، وَنَهَارٌ سَاجٍ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، نُجُومٌ تَمُورُ، وَبَحَارٌ لَا تَغُورُ، وَسَقْفٌ مَرْفُوعٌ، وَمِهَادٌ مَوْضُوعٌ، وَجِبَالٌ مُرْسَاةٌ، وَأَرْضٌ مُدْحَاةٌ، وَأَنْهَارٌ مُجْرَاةٌ، إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَبْرًا، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ لَعِبْرًا. مَا بَالُ النَّاسِ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ؟ أَرْضُوا فَأَقَامُوا؟ أَمْ تُرْكُوا فَنَامُوا؟ يَا مَعْشَرَ إِيَادٍ، أَيُّنَ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ؟ وَأَيُّنَ الْفَرَاغَةِ الشَّدَادِ؟ أَلَمْ يَكُونُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ مَالًا؟ وَأَطْوَلَ أَجَالًا؟ طَحَنَهُمُ الدَّهْرُ بِكَلِيلِهِ"^(٦)، وَمَرَّقَهُمْ بِنَطَؤِلِهِ"^(٧).

تدعو الأفكار في خطبة (قُسٍ بْنِ سَاعِدَةَ) إِلَى التَّأَمُّلِ وَأَخْذِ الْعِبْرَةِ وَالْعِظَةِ، وَالتَّفَكُّرِ فِيمَا حَوْلَ الْإِنْسَانِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ وَكَائِنَاتٍ، وَرَكَّزَ (قُسٍ) عَلَى الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ، وَ"لَا شَكَّ أَنَّ لِهَذِهِ

(١) انظر المثل في: الفاخر في الأمثال، للمفضل بن سلمة: ٢٦٥، ومعجم ديوان الأدب، للفارابي: ٣/٣٩٩، وجمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري: ٩٢/٢.

(٢) أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي الصَّلْتِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ التَّقْفِي، شاعر جاهلي من الطائف، حكيم من حكماء العرب، قدم دمشق قبل الإسلام، لبس المسوح تعبدًا، وحرَّم على نفسه الخمر، ونبذ عبادة الأوثان في الجاهلية، (ت ٥٥هـ). انظر ترجمته في: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي: ١٤٢/٣، وخزانة الأدب، للبغدادي: ٢٤٧/١-٢٥٠ و٣٨٢.

(٣) هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود الشيباني، أحد الشعبان الفصحاء في أواخر العصر الجاهلي، كان سيد بني شيبان، مات قبل الإسلام. انظر ترجمته في: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي: ٢٣/٣، والكامل في التاريخ، لابن الأثير: ٥٤٧/١-٥٤٨، وخزانة الأدب، للبغدادي: ٣٨٥/١.

(٤) أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتَّاب، أمه ليلى بنت مهلهل أخي كليب، من قبيلة تغلب، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، كان من أعز الناس نفسًا، وهو من الفتاك الشعبان، (ت ٤٠ ق. هـ). انظر ترجمته في: الشعر والشعراء، لابن قتيبة: ٢٢٨/١، والكامل في التاريخ، لابن الأثير: ٤٦٢/١، وخزانة الأدب، للبغدادي: ٣٢٥-٣٢٦/١.

(٥) فن الخطابة وإعداد الخطيب، للشيخ علي محفوظ: ٢٣.

(٦) أي: بضربه. انظر: العين، للخليل بن أحمد: ٢٨٠/٥ (باب الكاف واللام).

(٧) أمثال العرب، للمفضل الضبي: ١١٣، والبحر الرُّخَّار (مُسْنَدُ الْبَرَّارِ)، للبرَّار: ١١/٤٧٠، والعقد الفريد، لابن عبد ربه: ٢١٥/٤، والأوائل، للعسكري: ٦٧.

الخطبة تأثيرًا على النفوس لما أثارت مِنْ وَعْيٍ وتفكيرٍ، وخاصّة ما لامست مِنْ جوانب الموت والفناء الذي تهتز له النفوس، وتخضع له القلوب"^(١).

خصائص الخطابة الجاهلية وسماتها:

تميزت الخطبة في العصر الجاهلي بمجموعة من الخصائص والسمات، أهمها^(٢):

١. الإيجاز في رَصّ العبارة، حتى تغنيك اللفظة عن كثير من العبارات.
٢. الإطناب في بعض الخطب.
٣. جزالة الألفاظ وفصاحتها.
٤. التركيز في الخطبة على الحِكم والنصائح والوصايا.
٥. الدقة في اختيار الألفاظ والعبارات القصيرة.
٦. اللجوء إلى السجع الموسيقي.
٧. العاطفة المؤثرة التي تتبع بين ثنايا الخطبة.
٨. احتواء الخطبة على ألوان البلاغة، مِنْ تشبيه واستعارة وكناية.
٩. مخاطبة العقل وإقامة الحجّة.
١٠. عدم تماسك الأفكار في أغلب الخطب، ممّا أدّى إلى كثرة الحِكم والأمثال في الخطبة الواحدة.

نستنتج - مِنْ مجموع ما سبق - أنّ العرب قَبْلَ الإسلامِ كانتْ لهم خطابة مؤثرة، ذات منزلة مرموقة، قال القلقشندي: "واعلم أنّه كان للعربِ بالخطبِ والنثر غايةُ الاعتناء"^(٣)، وهذا يدل على أن الخطابة احتلت عندهم مكانًا عاليًا، وحظًا وافراً، وعنايةً بالغةً.

ثانيًا: الخطابة في عصر صدر الإسلام

يُعَدُّ عَصْرُ صَدْرِ الإسلامِ العصرَ الثاني مِنْ عصور الأدب العربي، مُدَّتْهُ أربعة وخمسون عامًا هجريًا، يبدأ ببِيعَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ عام ٦١٠م، وينتهي بانتهاء عصر الخلفاء الراشدين، وقيام دولة بني أُمَيَّة عام ٤١هـ^(٤).

(١) أصول الخطابة والإنشاء، عطية محمد سالم: ٦٨-٦٩.

(٢) انظر: الخطابة، للإمام محمد أبو زهرة: ١٦-٢٠، والجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، حنا الفاخوري: ١١٨-١١٩، والحياة الأدبية في العصر الجاهلي، د. محمد عبد المُنعم خفاجي: ١٩١.

(٣) صُبْحُ الأعشى في صناعة الإنشاء، للقلقشندي: ٢٥٤/١.

(٤) انظر: الأدب العربي وتاريخه في عَصْرِ صَدْرِ الإسلام والدولة الأموية، د. محمود مصطفى: ٤، وتاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات: ٥، ودراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي، د. محمد عبد القادر أحمد: ٦، والنثر في عصر صدر الإسلام، د. يُسري عبد الغني عبد الله: ١٥.

تَغَيَّرَتْ أحوالُ الْعَرَبِ قاطِبَةً مُنْذُ بَعَثَةِ النَّبِيِّ ﷺ وظهورِ الإسلام، فَمَا أَنْ اشْتَدَّ عُودُ المسلمين وَصَلَبَ حَتَّى طَرَأَ تَغْيِيرٌ وَاضِحٌ وَكَبِيرٌ عَلَى الْحَيَاةِ بِشَتَّى أَطْيَافِهَا الدِّينِيَّةِ، وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالسِّيَاسِيَّةِ، فِدِينِيًّا: "تَغْلَغَلَ الدِّينُ فِي كُلِّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْعَصْرِ"^(١)، وَجَمَعَهُمُ الْإِسْلَامُ عَلَى إِلَهٍ وَاحِدٍ، هُوَ اللَّهُ ﷻ، وَقُدُوةً حَسَنَةً، وَقَائِدَ لَا يَلُوهُ قَائِدٌ، هُوَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ. وَاجْتِمَاعِيًّا: عَالَجَ الْإِسْلَامُ الْعَصْبِيَّةَ الْقَبِيلِيَّةَ إِلَى أَنْ اخْتَفَتْ أَوْ ضَمَرَتْ ضُمُورًا بَيِّنًا. وَسِيَاسِيًّا: "اجْتَمَعَ الْعَرَبُ تَحْتَ لُؤَاءٍ وَاحِدٍ لَا يَسِيطِرُ عَلَيْهِمْ إِلَّا الدِّينُ... وَجَعَلُوا الْحُكْمَ لَيْسَ مَظْهَرًا لِلْعَصْبِيَّةِ، وَلَكِنْ مَظْهَرًا لَوَحْدَةِ دِينِيَّةٍ، فَالْخَلَافَةُ لَا تَمَثِّلُ قَبِيلَةً، لَكِنْ تُنْفِذُ حُكْمَ اللَّهِ"^(٢).

فَقَدْ عَرَّضَ انْتِشَارُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاةَ الْعَرَبِيَّةَ لكَثِيرٍ مِنَ التَّطَوُّراتِ فِي حَيَاتِهِمُ الدِّينِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ، "وَكَانَ لِلْخُطَابَةِ بِطَبِيعَةِ الْأَمْرِ نَصِيبُهَا مِنْ هَذَا التَّطَوُّرِ الَّذِي أَصَابَ النَّثْرَ، وَمِنْ الْمَقْرَرِ أَنَّ الْخُطَابَةَ تَزْدَهَرُ إِبَّانَ الْأَحْدَاثِ كَمَا تَزْدَهَرُ فِي ظِلِّ النِّظَمِ السِّيَاسِيَّةِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ"^(٣).

وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ ظُهُورَ الْإِسْلَامِ كَانَ "إِذَائِنَّا بِتَطَوُّرٍ وَاسِعٍ فِي الْخُطَابَةِ، إِذْ اتَّخَذَهَا الرَّسُولُ ﷺ أَدَاةً لِلدَّعْوَةِ إِلَى الدِّينِ الْحَنِيفِ طَوَالَ مَقَامِهِ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ، حَيْثُ ظَلَّ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَامًا يَعْضُضُ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ قَرِيْشٍ، وَكَلَّ مِنْ يَلْقَاهُ فِي الْأَسْوَاقِ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ يَخْطُبُ فِي النَّاسِ دَاعِيًّا إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، مُحَاوِلًا بِكُلِّ طَاقَتِهِ أَنْ يَوْقِظَ ضَمِيرَهُمْ"^(٤).

وَقَدْ كَانَ الظُّفْرُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لِلشَّعْرِ، حَيْثُ اِهْتَمَوْا بِهِ اِهْتِمَامًا بِالْعَا، وَارْتَفَعَتْ عَنْدهُمْ مَكَانَةُ الشَّاعِرِ الْمُجِيدِ، كَأَصْحَابِ الْمُعَلَّقاتِ، "فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ صَارَتِ الدَّوْلَةُ لِلنَّثْرِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ

وقد ذكر الأستاذ محمود مصطفى في كتابه الأدب العربي وتاريخه (ص: ٦) أَنَّ مَدَّةَ عَصْرِ صدرِ الإسلامِ ثَلَاثَةٌ وَخَمْسُونَ عَامًا، قَائِلًا: "مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ بِمَكَّةَ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً قَبْلَ الْهَجْرَةِ، وَقَامَتِ الدَّوْلَةُ الْأُمَوِيَّةُ سَنَةَ ٤١ هـ مِنْهَا، فَمَجْمُوعُ مَا قَبْلَ الْهَجْرَةِ وَمَا بَعْدَهَا إِلَى قِيَامِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ هُوَ ٥٣ سَنَةً!!" وَهَذَا مُخَالَفٌ لِمَا عَلَيْهِ النُّصُوصُ الثَّابِتَةُ؛ لِأَنَّ مَدَّةَ الدَّعْوَةِ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: "بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً؛ فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ؛ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ" صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ، لِلْبَخَارِيِّ، بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ: ٥٧/٥، حَدِيثٌ رَقْمُ (٣٩٠٢).

(١) الْخُطَابَةُ، لِلْإِمَامِ مُحَمَّدٍ أَبُو زَهْرَةَ: ٣٨.

(٢) السَّابِقُ: ٤٠.

(٣) الْخُطَابَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي عَصْرِهَا الذَّهَبِيِّ، د. إِحْسَانُ النَّصِّ، ثَقْلًا عَنْ: أدب صدر الإسلام، د. مُحَمَّدُ خَضِرُ: ٣٥٣.

(٤) الْعَصْرِ الْإِسْلَامِي، د. شَوْقِي ضَيْف: ١٠٦.

الموافق للمجد الذي أخذ العرب في سبيله، فدعا به النبي ﷺ قومه إلى الإسلام، وراسل به الملوك، وكتب به العهود، وشرح به الدين، وكذلك فعل أصحابه من بعده في خطبهم حين الاستخلاف، وفي كتبهم بتولية عهودهم^(١).

كذلك فإن الإسلام جعل الخطابة شعيرة دينية لا يمكن الاستغناء عنها، فخُطبة الجمعة فرضٌ بدونها لا تصح الصلاة، كذلك شرعت الخطبة في الحج، والزواج، والاستسقاء، والجهاد، وغير ذلك، قال شوقي ضيف: "الرسول ﷺ أخطب العرب قاطبةً، وقد كان يخطب في قريش كثيرًا يدعوها إلى دينه الحنيف، والدخول في طاعة الله ومحبته، ولما هاجر إلى المدينة أصبحت الخطابة فريضة مكتوبة في صلاة الجمعة والعيدين، وبذلك عرّف العرب ضربًا منظمًا من الخطابة الدينية لم يكونوا يعرفونه في الجاهلية، إذ كانت خطابتهم اجتماعية، وكانت تدور غالبًا على المنافرات والمفاخرات، وقد دعا الإسلام إلى نبذ التفاخر، والتكاثر بالأحساب"^(٢).

حتى عدّ ابنُ خلدون كلامَ العربيّ الذي أدرك الإسلام قد فاق كلامَ الجاهليّ^(٣) شعراً ونثراً؛ ذلك لأنهم أدركوا الطبقة العالية من نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، قال ابن خلدون: "والطَّبْعُ السَّلِيمُ والدُّوقُ الصَّحِيحُ شاهدانِ بذلك للناقد البصير بالبلاغة، والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الإتيان بمثليهما؛ لكونها ولجت في قلوبهم، ونشأت على أساليبها نفوسهم، فنهضت طباعهم، وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة، ولا نشأ عليها... وتأمّل ذلك يشهد لك به دوقك إن كنت من أهل الدوق والبصر بالبلاغة"^(٤).

وهذا يدلّ على أنّ القرآن والسنة تأثيراً كبيراً في أسلوب العربي الذي أدرك الإسلام، فقد "كان في كلام الله ﷻ وحديث نبيه ﷺ سبيلٌ مُنهمِرٌ من المعاني، ومادّة واسعة من الأساليب، وسِمَطٌ منظومٌ من الألفاظ، فكان كلّ ذلك قدوةً للعرب حسنةً، هجروا به خُوشِيهم من اللفظ"^(٥). وهذا يبين ما كانت عليه الخطابة في عصر صدر الإسلام، وما لها من شأن كبير، وتأثير بالغ الأهمية، ومكانة مرموقة في حياة المسلمين، ففاقت منزلة الخطيب - غالباً - منزلة الشاعر.

(١) الأدب العربي وتاريخه في عصري صدر الإسلام والدولة الأموية، د. محمود مصطفى: ٤٣.

(٢) الفن ومذاهبه في النثر العربي، د. شوقي ضيف: ٥٢.

(٣) انظر: فن الخطابة ومهارات الخطيب، أ. د. إسماعيل علي محمد: ٥٢.

(٤) مقدمة ابن خلدون، لابن خلدون: ٧٩٨.

(٥) الأدب العربي وتاريخه في عصري صدر الإسلام والدولة الأموية، د. محمود مصطفى: ٤٣.

عناية الإسلام بالخطابة:

يَجِدُ الباحثُ في تاريخ الإسلام، والقارئ لِعَهْدِهِ الأوَّلِ اهتمامًا ملحوظًا بالخطابة، وعناية شديدة بها، فعندما "جاء الإسلام كانت عنايته بها أَشَدَّ، واهتمامه بها أقوى، كَيْفَ لا؟ ورسالته كلها مبناها على وَحْيٍ يُوحَى، وقرآن يُتْلَى، وقراءته عبادة، وكانت كبرى المعجزات إنما هي فصاحة وبلاغة... فتراجع أمامها فرسان البلاغة، وتراجع دونها أئمة البيان"^(١)؛ وذلك لأن الخطابة وسيلة من وسائل الدعوة.

"وَقَدْ نَوَّهَ القرآنُ الكريمُ عَنْ^(٢) مَدَى عِظَمِ الخطابة والبيان وَصِلَتْهُمَا بالرسالات والدعاة في غير ما موطن"^(٣)؛ فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾^(٤)، والخطابة أسلوب راقٍ مِنْ أساليب التبیین والتعليم والإفهام للأقوام.

كذلك أشار القرآن الكريم إلى مساندة الخطابة للرسالات النبوية، وذلك في قصة موسى عليه السلام حينما طلب مساندته في الخطاب بأخيه هارون، قال الله ﷻ حكايةً على لسان موسى: ﴿وَإِخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾^(٥).

مِنْ أَجْلِ هذا نَجِدُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ اتَّخَذَ الخطابة لُغَةً وَسِلَاحًا وَأُسْلُوبًا مِنْ أساليب الإيضاح والإفهام، وكذلك سار مِنْ بَعْدِهِ خلفاؤه الراشدون.

(١) أصول الخطابة والإنشاء، عطية محمد سالم: ١٨.

(٢) يرفض البعض التركيب: (نَوَّهَ عَنْ)؛ لاستعمال حرف الجر (عَنْ) بدلاً من حرف الجر (الباء). والصواب: أَنَّ التعبير (نَوَّهَ بِ) فصيح، و(نَوَّهَ عَنْ) صحيح. فقد استعملت المعاجم حرف الجر (الباء) مع الفعل (نَوَّهَ)، ففي المصباح المنير: ٦٣١/٢ (نَوَّهَ): "نَوَّهَ بِهِ تَتَوِيهًا: رَفَعَ دَكْرَهُ وَعَظَّمَهُ"، وفي المعجم الوسيط: ٩٦٥/٢ (باب النون): "نَوَّهَ بِالْحَدِيثِ: أَشَادَ بِهِ وَأَظْهَرَهُ"، ولكن أجاز اللغويون نيابة حروف الجر بعضها عن بعض، كما أجازوا تضمين فعل معنى فعل آخر فيتعدى تعديته، وفي المصباح المنير: ٣٧٠/٢ (طَرَحَ): "الفعل إذا تَضَمَّنَ معنى فعل جاز أن يعمل عمله". وقد أقرَّ مجمع اللغة المصري هذا وذاك، ومن الأمثلة على نيابة (عَنْ) عن حرف الجر (الباء) قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [سورة النجم: ٣]، وقول العرب: "رَمِيتَ عَنْ القوس؛ أي: رَمِيتَ بِهَا"؛ وبذا يمكن تصحيح الاستعمال المرفوض. انظر: معجم الصواب اللغوي، د. أحمد مختار عُمَر: ٧٧١/١.

(٣) أصول الخطابة والإنشاء، عطية محمد سالم: ١٩.

(٤) سورة إبراهيم: ٤.

(٥) سورة القصص: ٣٤-٣٥.

وَتَذَكُّرُ كُتُبِ التفسيرِ والسيرة النبوية أَنَّ النبي ﷺ كان له خطيبٌ هو (ثابتُ بنِ قيسٍ بنِ شماسٍ^(١))، حيثُ قَدِمَ على النبي ﷺ وَقَدْ بَنَى تَمِيمٌ، فَلَمَّا دَخَلَ الْوُقُودُ الْمَسْجِدَ، قَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ خُطِيبًا، فَلَمَّا انْتَهَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ: قُمْ؛ فَأَجِبِ الرَّجُلَ فِي خُطْبَتِهِ، فَقَامَ ثَابِتٌ، وَأَلْقَى خُطْبَتَهُ^(٢).

لذلك كله لا يجد الباحث غرابة أن تصير الخطابة "صفة لازمة للأنبياء والرسل فيما يبلغون عن الله من الدعوة إلى الهدى ودين الحق، وكيف كانت عماد القادة من هداة الأمم"^(٣)، فَجَدَّدَ الْإِسْلَامُ شَبَابَ الْخُطَابَةِ وَالْخُطَبَاءِ، وَاتَّخَذَهَا أُسْلُوبًا يَبِينُ مِنْ أَسَالِيْبِهِ فِي نَشْرِ دَعْوَتِهِ.

أَمَّا الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ ؓ فِي الدَّوْرَةِ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، إِذْ سَرَى فِي نَفُوسِهِمْ بَيَانُ الْقُرْآنِ بِتَرْغِيْبِهِ وَتَرْهِيْبِهِ، وَبَيَانُ الرِّسُولِ ﷺ بِمَوَاعِظِهِ وَتَشْرِيعَاتِهِ، وَتَسَرَّبَ هَذَا الْبَيَانُ إِلَى أَجْزَاءِ نَفُوسِهِمْ، وَأَخَذَ بِمَجَامِعِ قُلُوبِهِمْ^(٤)، وَفِي عَهْدِهِمْ كَثُرَتْ الْخُطَابَةُ "بِجَانِبِ خُطْبِ الْجُمُعِ وَالْأَعْيَادِ الْمَوَاقِفِ الَّتِي تَجَلَّتْ فِيهَا بَرَاعَةُ هَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءِ، كَمَوْقِفِ أَبِي بَكْرٍ ؓ حِينَ انْتَقَلَ الرِّسُولُ ﷺ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، وَمَوْقِفِهِ يَوْمَ السَّقِيْفَةِ^(٥)"^(٦).

فَكَانَ لِلصَّاحِبَةِ مِنَ "الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالسُّنَّةِ الْمَحْمُودَةِ، وَالْاِقْتِبَاسِ مِنْهُمَا دَائِمًا مَدَدٌ لَا يَنْقُذُ، وَمَعِينٌ لَا يَنْضَبُ"^(٧).

قال الجاحظ واصفًا الخطبة وخطباء هذا العصر: "وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل، وفي الكلام يوم الجمع آي من القرآن؛ فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والزفة، ولسن الموقع"^(٨).

(١) ثابتُ بنِ قيسٍ بنِ شماسٍ الخزرجي الأنصاري، صحابي، كان خطيبَ رسول الله ﷺ، جهير الصوت، شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، قُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ؓ سَنَةَ ١٢ هـ. انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: ٢٠٠/١، والمننظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي: ٨٨/٤-٨٩، والكمال في التاريخ، لابن الأثير: ٢١٥-٢١٦.

(٢) انظر الخطبة في: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي: ٢٥٦/٤، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٣٠٤/١٦، والسيرة النبوية، لابن هشام: ٥٦٢/٢، والروض الأنف في شرح السيرة النبوية، للسهيلي: ٣٨٥/٧-٣٨٦، وزاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم الجوزية: ٤٤٦/٣.

(٣) الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، د. محمد هاشم عطية: ٧٠.

(٤) العصر الإسلامي، د. شوقي ضيف: ١٢١.

(٥) انظر خطبة الصديق ؓ يَوْمَ سَقِيْفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ فِي: السيرة النبوية، لابن هشام: ٦٥٦/٢-٦٥٩، والروض الأنف في شرح السيرة النبوية، للسهيلي: ٥٨٧/٧-٥٩٠.

(٦) العصر الإسلامي، د. شوقي ضيف: ١٠٨.

(٧) فن الخطابة وإعداد الخطيب، للشَّيْخِ عَلِيِّ مَحْفُوظٍ: ٢٥.

(٨) البيان والتبيين، للجاحظ: ١١٥/١.

"وبالجملة فَقَدْ كانت الخطابة في الصِّدْرِ الأوَّلِ مِنَ الإسلام في أسمى طبقات الفصاحة والبلاغة، آخذة أسلوبًا حيًّا متينًا مؤثرًا مع إحكام في الصنعة، وحسن افتتاح، وجودة اختتام"^(١).
يَتَّبِعُ -مِمَّا سَبَقَ- أَنَّ الخطابة عاشَتْ في الصِّدْرِ الأوَّلِ مِنَ الإسلام أرقى مراحلها، وأندى أساليبها، ولاقت عناية واضحةً مِنَ النبي ﷺ، والخلفاء الراشدين ﷺ؛ فازدادَتْ بذلك بهاءً وتألُّقًا.

دواعي ازدهار الخطابة ورقيها في عصرِ صَدْرِ الإسلام:

مِنْ أَهمِّ عوامل ازدهار الخطابة ورقيها في البيئة الإسلامية ما يأتي^(٢):

١. الدعوة المُحمَّديَّة الجديدة: بُعِثَ النبي مُحَمَّدٌ ﷺ بِدينِ الإسلام في قومٍ، القول صناعتهم، والبلاغة جُلَّ عنايتهم، فناداهم بأبلغ القول، وخاطبهم بأروع الكلام، فأصبحت الخطابة أداة الدعوة، تشرح للناس أسرارها، وتبين المثل والقِيم التي أُنْتُ بها، فمنذ ذلك الحين أَهَلَّ على الخطابة زمان جديد، كان إيمانًا بارتقائها وعلو شأنها، فقد اعتمدت الدعوة الجديدة على الخطابة في نشرها، والدفاع عن مبادئها ضد خصومها.
٢. القرآن الكريم: هَزَّ أسلوبُ القرآن الكريم النَّفْسَ العربيَّة وأصاب شغافها، وتحدَّى أقوى البلغاء في العرب، فكان الخطباء يستشهدون بالقرآن الكريم؛ تقويةً لخطبهم.
٣. الحديث الشريف: وهو الكلام الذي يلي منزلة القرآن احترامًا وإجلالًا، وقد اجتمعت فيه فصاحة اللفظ وجودة المعنى وحسن الأداء، فاستفاد منه الخطباء في اختيار ألفاظهم.
٤. بيان الأحكام الشرعية: وذلك لَمَّا دخل الناس في دينِ الله أفواجًا كان النبي ﷺ يبين لهم أحكام دينهم، وهذا يحتاج إلى وسيلة الخطابة ليفهمهم ويوضح لهم ما يسألون عنه.
٥. المشاورة: حيث كان رسول الله ﷺ إذا أقدم على أمرٍ خطير استشار أصحابه، وتلك الشورى تكون بخطبة قيمة، كاستشارته ﷺ الصحابة ﷺ في فداء أسرى بدر.
٦. الجهاد في سبيل الله: فحينما اعتدى المشركون على المسلمين، أمر الله نبيَّه ﷺ أن يقاتل المشركين كافة، كما يقاتلونه كافة، فقاتلهم ﷺ حتى صار الدين كُلُّه لله، ومعلوم أن الجهاد يحتاج إلى حُطْبٍ ترفع منسوب الإيمان، وتهيج القلوب للقتال في سبيل الله.

^(١) فن الخطابة وإعداد الخطيب، للشيخ علي محفوظ: ٢٦.

^(٢) انظر: الخطابة، للإمام محمد أبو زهرة: ٤١-٤٦، والأدب العربي وتاريخه في عصرِ صَدْرِ الإسلام والدولة الأمويَّة، د. محمود مصطفى: ٤٤-٤٥، وأدب صَدْرِ الإسلام، د. واضح الصمد: ١٤٧-١٤٨، وفن الخطابة ومهارات الخطيب، أ. د. إسماعيل علي محمد: ٥٢.

٧. ولاية الأمر: كان أولياء الأمر يعنون بإطْلَاع المسلمين على سياستهم، وسنة حكمهم، وينتھزون الجمع والأعياد والمواسم، خصوصًا موسم الحج، يبينون فيها ما يريدونه من طاعة في الحق.

٨. الدعوة إلى الوحدة: كانت الدعوة إلى الوحدة الإسلامية غرضًا مقصودًا من أغراض الخطابة، وداعيًا حافزًا من دواعيها، فقد كانت الوسيلة لجمع المسلمين إذا توافروا.

٩. الفتن التي حدثت بين الصحابة بعد مقتل عثمان بن عفان وأيام خلافة علي بن أبي طالب ﷺ، حيث خَلَفَتْ معها ووراءها أحزابًا ومفاخراتٍ ومناظراتٍ ومحاوراتٍ.

١٠. الحرية الشخصية: حيث كفل الإسلام للعربي حريته الشخصية، بل نماها فيه، وسلك بها الطريق القويم، الذي يجعل تلك الحرية ثمرة صالحة، وقد سار الخلفاء الراشدون على سنن هذا الدين.

أثر القرآن الكريم والحديث الشريف في الخطابة:

يُجْمَعُ كَثِيرٌ مِنَ الدَّارِسِينَ وَالْبَاحِثِينَ أَنَّ أَهَمَّ سَبَبَيْنِ لارتقاء الخطابة وازدهارها في عهد صدر الإسلام راجعٌ إلى أمرين، هُما: القرآن الكريم، والحديث الشريف، وفي هذا قال الشيخ علي محفوظ: "الْفَضْلُ في ارتقاء الخطابة وتهذيبها يعود إلى الكتاب الحكيم، والحديث الشريف، فَقَدْ أَخَذَتِ اللغة العربية عند ظهور الإسلام صيغة دينية من القيام بالدعوة والنصح والإرشاد وتبيين العقائد الصحيحة، وقواعد الإسلام وأصوله"^(١).

وهذا يدل على أَنَّ الأثر الكبير في علو شأن الخطابة للقرآن الكريم والحديث النبوي، فَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ عوامل ارتقائها وسموها استمدادها من القرآن الكريم، وَسُنَّةُ الرَسُول ﷺ، وتأثر الخطباء ببلاغة القرآن والحديث النبوي الشريف"^(٢).

أثر القرآن الكريم في الخطابة في عصر صدر الإسلام^(٣):

١. استحدث القرآن الكريم في الخطب معاني جديدة لم تكن تُعْرِفُهَا مِنْ قَبْلُ، بل لم تكن تُعْرِفُ التعبير عنها، كالدعوة إلى الوحدةانية وَسَوْقِ الأدلة عليها، وحديث الدار الآخرة، والبعث والنشور، وقضية الإيمان والشرك والكفر والفسوق والزكاة، وغير ذلك.

٢. كان للقرآن أثرٌ قَوِيٌّ في هَجْرِ الألفاظ الوحشية والتراكيب المستغربة، واستبدالها بتراكيب القرآن العالية، وأساليبه المتينة السامية.

(١) فَنَّ الخطابة وإعداد الخطيب، للشيخ علي محفوظ: ٢٥.

(٢) فَنَّ الخطابة ومهارات الخطيب، أ. د. إسماعيل علي محمد: ٥٢.

(٣) انظر: الخطابة، للإمام محمد أبو زهرة: ٤٨-٥١، وَفَنَّ الخطابة وإعداد الخطيب، للشيخ علي محفوظ: ٢٦-

٢٧، ودراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي، د. محمد عبد القادر أحمد: ١٢-١٧.

٣. تأثر الشعراء والخطباء والكتاب بأساليب القرآن الكريم وطرائقه في التعبير ومناهجه في سوق الآراء وصياغة الحجج، وعرض القصص، والوصف والموعظة الحسنة، حيث أعانهم القرآن الحكيم على التفنن في أساليب الوعظ الخطابي عند حلول الأزمات.
٤. رَفَعَ القرآن الكريم مِنْ شأن النَّثَر، لا سِيَّما الْخُطابة، بَعْدَ أَنْ كانَ المقام الأول للشعر وَخَذَهُ مِنْ بين فنون الأدب.
٥. شاعت في أسلوب الأدباء والخطباء العذوبة والسلاسة في جزالة، مع الجمال والوضوح، وروعة التأثير، وقوة الحجة.
٦. التَّأَنَّقُ في صَوْغ أساليب الخُطبة، وإحكام نَظْمِها.
- أثر الحديث الشريف في الخطابة^(١):

١. أدخل رسول الله ﷺ كثيرًا من التراكيب البيانية الجديدة في الخُطب، وزاد فيها ألفاظًا جديدة^(٢).
٢. ساعدَ الحديثُ الشريفُ على تَهذيب ألسنة الخطباء، وتثقيف الطِّبَّاع، والقضاء على الغريب والتعقيد في البيان^(٣).
٣. أضاف الحديث الشريف إلى الخطباء ثروة من المعاني، وثروة من الأساليب.
٤. أخلَّ الحديث النبويَّ محلَّ الغريبِ السلاسة والسهولة والرونق والوضوح وسلامة الأسلوب، فَقَدْ قالَ ﷺ: "إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا"^(٤).
٥. قضى الحديث على سجع الكُهان، ورفع منزلة الخطابة، فَقَدْ كانَ النبي ﷺ لا يُعْغَى بالسَّجْع في خُطْبِهِ؛ فَرَطَّبَ الخطباء والكتَّاب والشعراء ألسنتهم بكلامه ﷺ، واقتبسوا منه،

^(١) انظر: الخطابة، للإمام محمد أبو زهرة: ٥٣، ودراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي، د. محمد عبد القادر أحمد: ١٩-٢٤.

^(٢) مثل قوله ﷺ في خطبة حجة الوداع: "اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَائِدٌ، أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَخْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، لَا يَمْلِكُنَّ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا، وَإِنَّ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقًّا: أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرْشَكُمْ أَحَدًا غَيْرَكُمْ، وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِأَحَدٍ تَكْرَهُوهُنَّ، فَإِنْ خِفْتُمْ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ". مُسْنَدُ أَحْمَد، لأحمد بن حنبل، حديث عم أبي حُرَّة الرَّقَاشِيِّ: ٣٠٠/٣٤، حديث رقم (٢٠٦٩٥)، وصحيح مُسْلِم، لِمُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ، بَابُ حُجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ: ٨٨٦/٢، حديث رقم (١٢١٨).

^(٣) لذلك قال النبي ﷺ: "مَنْ بَدَأَ جَفًّا". مُسْنَدُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، لأحمد بن حنبل، مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ٤٣٠/١٤، حديث رقم (٨٨٣٦)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٥٤٠/٢، حديث رقم (٢٢٤٠): "حَسَنٌ صَحِيحٌ".

^(٤) صحيح البخاري، للبخاري، بَابُ الْخُطْبَةِ: ١٩/٧، حديث رقم (٥١٤٦).

وحاولوا السير على نهجه، ولا سيما أولئك الذين تربّوا في مدرسة النبوة، وأثّر هذه المدرسة واضح في كلام الصحابة رضي الله عنهم وخطبهم.

صفات الخطيب في هذا العصر^(١):

اتصف الخطيب الإسلامي بما اتصف به الخطيب الجاهلي من فصاحة بيان، وجودة منطق، وسداد رأي، ووقار، ومراعاة لمقتضى الحال، وقوة شخصية، لكنه تميّز عنه بصفات أخرى، منها:

١. زاد الخطيب الإسلامي على الجاهلي بقوة الروح النابعة من الإيمان والعقيدة، بمقادير لا توزن بها أقدار الجاهليين، ف قوة نفس أبي بكر رضي الله عنه ونفوذه الشخصي، وما وهبه الله من قوة تأثير هي التي جمعت الوحدة الإسلامية إذ شارفت التمزق. وكان لا يسير عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في طريق إلا سار الشيطان في غيره؛ لمهابته وقوة نفسه وعظم روحه، فخطاباتهم تنبثق من هذه القوة وهذا الإيمان، فحكموا العرب بالدين والهيبة.
٢. ازداد الخطيب في البيئة الإسلامية علماً، إذ وجد في القرآن الكريم ينبوعاً علمياً لا ينضب، ووجد في السنة معيناً فكرياً لا يجف، ففكره أوسع من فكر الجاهلي، ونظرته أشمل وأعم، وشتان بين ظلام الجاهلية، وهدى الرحمن، وشتان بين عابد الأوثان، والخاضع للديان.
٣. كان الخطيب الإسلامي قريباً إلى النفوس، غير بعيد عنها؛ لأن أولئك القادة والصفوة المختارة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يحبون الله ويحبهم، أدلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، ومن أحبه الله ألقى عليه محبة الناس، ومن تواضع مع المهابة وقوة النفس أحبه الناس وهابوه؛ فيكون تأثيره فيهم أشد.
٤. وكان الخطيب الإسلامي -تهذيب الدين له ومخالطة بشاشة الإيمان لنفسه- حليماً واسع الصدر، لا يضيق صدره بالحق، فلا يمتنع عن أخذ الحقيقة من أي قبيل.
٥. اشتهر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبهم للفداء والتضحية، فقد فدوا النبي صلى الله عليه وسلم بأنفسهم، وآثروه على كل عرض من أعراض الحياة، وأحبوه أكثر من أنفسهم، وارتفعت أرواحهم في سبيل الله تعالى، ومن كان شأنه كذلك وثقت به القلوب، وتعلقت به النفوس، والثقة بالخطيب تسهل وصول كلامه إلى مواضع التأثير في السامعين.

موضوعات الخطبة:

تنوّعت موضوعات الخطابة في عصر صدر الإسلام الأول وكثرت، وهذه أشهرها وأهمها^(١):

(١) الخطابة، للإمام محمد أبو زهرة: ٦٥-٦٧.

١. الدعوة إلى الدين الإسلامي.
 ٢. الجهاد والحض على القتال.
 ٣. الخطب السياسية، وقد كانت حُطَبُ السَّقِيفَةِ إثر وفاة الرسول ﷺ باكورة الحُطَبِ السياسية.
 ٤. الوَعظ والإرشاد.
 ٥. الصلح والوئام.
 ٦. المحافل والوفود.
 ٧. التهنئة في الأفراح.
 ٨. التعزية في الأحزان.
- أغراض الخطابة الإسلامية:**

- للخطابة في عصر صدر الإسلام أهداف سامية، وغايات راقية، منها^(١):
١. نشر الإسلام، بدعوة الناس إلى الإيمان بالله تعالى، ورسوله ﷺ.
 ٢. الحث على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله؛ لتكون كلمة الله هي العليا.
 ٣. الحث على السعي في الحياة الدنيا؛ لتأمين العيش الكريم.
 ٤. توضيح نظم الحياة التي ينبغي أن تقوم عليها الدولة الإسلامية من مساواة في الحقوق، وعدالة اجتماعية.

نموذج من خطب النبي ﷺ:

كان النبي ﷺ يخطب في العرب؛ ليخرجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، وَقَدْ مَلَكَ مِنَ الْبَيَانِ وَالْفَصَاحَةِ مَا أَدْعَنَ بِهِ أَرْبَابَ الْبَلَاغَةِ؛ لامتلاك خطابه ﷺ "أزمة القلوب، وكأنما كانت المعاني والأساليب موقوفة بشخصها بين يديه، ليختار منها ما تهش له الأسماع وتُصْغِي له الأُفُئدة"^(٢).

وَمِنْ أَشْهُرِ حُطَبِ النَّبِيِّ ﷺ حُطْبَتُهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَهِيَ مشهورة، رَوَتْهَا كُتُبُ السُّنَّةِ وَالسِّيَرَةِ، سَأْنَقِلُ بَعْضًا مِنْهَا:

عَنْ أَبِي حُرَّةَ الرَّقَاشِيِّ، عَنْ عَمِّهِ، قَالَ: كُنْتُ آخِذًا بِزِمَامِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَوْسَطِ أَيَّامِ النَّشْرِ، أَدُودُ عَنْهُ النَّاسُ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلْ تَدْرُونَ فِي أَيِّ

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات: ١٧٦، وأدب صدر الإسلام، د. محمد خضر: ٣٥٩-

٣٦٣، وفن الخطابة ومهارات الخطيب، أ. د. إسماعيل علي محمد: ٥٣.

(٢) أدب صدر الإسلام، د. واضح الصمد: ١٤٩.

(٣) العصر الإسلامي، د. شوقي ضيف: ١١٥.

يَوْمٍ أَنْتُمْ؟ وَفِي أَيِّ شَهْرٍ أَنْتُمْ؟ وَفِي أَيِّ بَلَدٍ أَنْتُمْ؟" قَالُوا: فِي يَوْمٍ حَرَامٍ، وَشَهْرٍ حَرَامٍ، وَبَلَدٍ حَرَامٍ، قَالَ: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَهُ"، ثُمَّ قَالَ: "اسْمَعُوا مِنِّي تَعِيشُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، أَلَا لَا تَظْلِمُوا، إِنَّهُ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ، وَمَالٍ وَمَأْتَرَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي هَذِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ يُوضَعُ دَمُ رَبِيعَةَ بِنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلْتُهُ هَذَا، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ رِبَا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعًا، وَإِنَّ اللَّهَ قَضَى أَنْ أَوَّلَ رِبَا يُوضَعُ رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ، لَا تَظْلِمُونَ، وَلَا تُظْلَمُونَ، ... (١)".

يَتَبَيَّنُ مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي خُطْبَةِ وداعه العصماء أنها لا تشتمل على مواعظ فقط، بل تحتوي على تشريعاتٍ وتنظيمٍ لحياة الناس في هذه الأمة، وتبيينٍ لحدود "الحياة الإسلامية وما ينبغي أن يأخذ به المسلم نفسه في علاقاته الكبرى مع أفراد أمته وعلاقاته الصغرى مع أسرته" (٢)، وما ينبغي أن يكون عليه المسلمون في مجتمعهم متعاونين مُصلحين أينما حلّوا، ولعلَّ خُطْبَةَ الوداع هي خيرُ خُطْبَةٍ أُرْسَتْ قواعد المجتمع الإسلامي بأطرافه كافةً.

خصائص أسلوب خطابه ﷺ:

أُوتِيَ النَّبِيُّ ﷺ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، فَكَانَ يَعْزِّرُ عَنِ الْمَعَانِي الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى خُطْبٍ طَوِيلٍ بعباراتٍ يسيرة واضحة مفهومة، والقارئُ لِخُطْبِهِ -لا سيما خُطْبَةَ الوداع- يُمكنُ له أَنْ يَسْتَنْبِطَ خصائصَ أسلوبِهِ ﷺ فِي خُطَابَتِهِ، ومنها (٣):

١. ابْتَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ خُطْبِهِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ، وَالتَّوَهُدِ عَلَى اللَّهِ -تَعَالَى- ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى نَفْسِهِ

ﷺ (٤)، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: "لَمْ يَكُنْ يَخْطُبُ ﷺ خُطْبَةً إِلَّا افْتَتَحَهَا بِحَمْدِ اللَّهِ، وَيَتَشَهَّدُ فِيهَا

(١) مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ عَمِّ أَبِي حُرَّةٍ الرَّقَاشِيِّ: ٣٤/٣٠٠، حَدِيثُ رَقْمِ (٢٠٦٩٥)، وَانْظُرْ:

صَحِيحُ مُسْلِمٍ، لِإِسْلَامِ بْنِ الْحَجَّاجِ، بَابُ حُجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ: ٨٨٦/٢، حَدِيثُ رَقْمِ (١٢١٨)، وَالشَّرِيعَةُ، لِلْأَجُرِيِّ:

٢٢١٨/٥، حَدِيثُ رَقْمِ (١٧٠٤)، وَالسِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ، لِابْنِ هَشَامٍ: ٦٠٣/٢-٦٠٤.

(٢) الْعَصْرُ الْإِسْلَامِيُّ، د. شَوْقِي ضَيْف: ١٢٠.

(٣) انْظُرْ: الْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ، لِلْجَاهِظِ: ١٣/٢، وَالْأَدَبُ الْعَرَبِيُّ وَتَارِيخُهُ فِي عَصْرِ صَدْرِ الْإِسْلَامِ وَالدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ،

د. مُحَمَّدٌ مَصْطَفَى: ٤٢، وَالْعَصْرُ الْإِسْلَامِيُّ، د. شَوْقِي ضَيْف: ١١٦-١١٧.

(٤) قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: "تَبَعْتُ خُطْبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدْتُ أَوَائِلَ أَكْثَرِهَا: الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنُؤْمِنُ بِهِ،

وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَنُسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا

مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَوَجَدْتُ فِي بَعْضِهَا:

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَحْتَكُمُ عَلَى طَاعَتِهِ. وَوَجَدْتُ كُلَّ خُطْبَةٍ مِفْتَاحَهَا الْحَمْدُ إِلَّا خُطْبَةَ الْعِيدِ فَإِنَّ

مِفْتَاحَهَا التَّكْبِيرُ". عِيُونَ الْأَخْبَارِ، لِابْنِ قُتَيْبَةَ: ٢٥١/٢.

بِكَلِمَتِي الشَّهَادَةِ، وَيَذْكُرُ فِيهَا نَفْسَهُ بِاسْمِهِ الْعَلَمِ^(١)؛ فكان يستهلُّ خطبته بتقرير وحدانية الله، وأنه أتمَّ نعمته على الناس بإرساله إليهم كي يخرجهم مما هم فيه من غواية وضلالة ويدخلوا في رعايته الإلهية، فلا يعملوا عملاً بدونه.

٢. اتَّسَمَ أسلوبُ النَّبِيِّ ﷺ بالوضوح والبُعد عن الخيال.

٣. جانبُ ﷺ أصحابُ التَّقْيِيبِ^(٢)، واستعمل المبسوط في موضع البَسْطِ، والمقصود في موضع القَصْرِ.

٤. هَجَرَ ﷺ الغريبَ الوَحْشِيَّ، وَرَغِبَ عن الهَجِينِ السَّوْقِيِّ، فلم ينطقْ إِلَّا عن ميراثِ حكمة، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ إِلَّا بكلامٍ قَدْ حُفَّ بالعصمة، وشيَّدَ بالتأييد، ويُسَرَّ بالتوفيق^(٣).

٥. كان رسولُ الله ﷺ يوجز غالبًا؛ لِيُعْغَلَ عنه ما يُقال، ولأن الإيجاز أليق بعظمته، وقد نهى عن الثثرة والتَّقْيِيقِ^(٤).

٦. خَلَّتْ ألفاظُهُ ﷺ مِنَ اللفظِ المُسْتَكْرَه، والتركيبِ المُعْلَقِ.

٧. كان موضوعُ حديثِ النَّبِيِّ ﷺ أشرفَ الموضوعات، فهو بيانُ أغراضِ القرآن، وإيضاحُ مُبْهَمِهِ.

٨. تَجَنَّبَ النَّبِيُّ ﷺ السَّجْعَ الذي كان يلتزمه الكُهَّان.

٩. جاء كلامُهُ ﷺ نَقِيَّ اللفظِ، واضحَ الأسلوبِ، حَسَنَ الإيجازِ، حَسَنَ الإطنابِ.

١٠. رَبَطَتْ خُطْبُ النَّبِيِّ ﷺ الجمهورَ بالدارِ الآخرة، والجنَّةِ والنار.

١١. اشتملتْ خُطْبُهُ ﷺ على تشريعاتٍ قوامها مصلحة الجماعة، وأن يعيش المسلم متعاونًا متضامنًا في سبيل الخير.

(١) زاد المعاد في هُذِي خَيْرِ الْعِبَاد، لابن قَيِّمِ الْجَوْزِيَّة: ١٨١/١-١٨٢.

(٢) التقعيب كالتقعر وهو: التكلُّم بأقصى قعر الفم، يُقال لِلْمُنَشَّدِ: مُقَعَّبٌ مُقَعَّرٌ، وهو الذي يتكلَّم بأقصى حَلْقِهِ، ويفتحُ فاهُ كأنَّهُ قَعْبٌ. انظر: تاج العروس، للزبيدي: ٦٤/٤ (قَعْب).

(٣) قال الجاحظُ: "وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قَدَم، ولا بارت له حُجَّة، ولم يُقَمْ له خَصْمٌ، ولا أفحمه خطيبٌ، بل يبدؤ الخُطْب الطوال بالكلام القصار، ولا يلتبس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إِلَّا بالصدق، ولا يطلب الفلج [الفوز] إِلَّا بالحق، ولا يستعين بالخلابة [الخدعة بالحديث الرقيق]، ولا يستعمل المواربة [المُخَادَعَة]، ولا يهزم ولا يلزم". البيان والتبيين، للجاحظ: ١٣/٢.

(٤) قال الجاحظُ: "لَمْ يَسْمَعْ الناسُ بكلامٍ قَطُّ أَعَمَّ نَفْعًا، وَلَا أَقْصَدَ لَفْظًا، وَلَا أَعْدَلَ وَزْنًا، وَلَا أَجْمَلَ مَذْهَبًا، وَلَا أَكْرَمَ مَطْلَبًا، وَلَا أَحْسَنَ مَوْقِعًا، وَلَا أَسْهَلَ مَخْرَجًا، وَلَا أَفْصَحَ مَعْنَى، وَلَا أَبْيَنَ فِي فَحْوَى [دَلَالَة وَمَرْمَى] مِنْ كَلَامِهِ ﷺ". البيان والتبيين، للجاحظ: ١٣/٢-١٤.

أشهر الخطباء في هذا العصر^(١):

يُعَدُّ رسولُ الله ﷺ أشهرَ الخطباءِ بِلَا مُنَازَعٍ، مِمَّنْ فاقت بلاغته البُلغَاءَ، وكان الخلفاءُ الراشدون من بَعْدِهِ: أَبُو بَكْرٍ^(٢)، وَعُمَرُ^(٣)، وَعِثْمَانُ^(٤)، وَعَلِيٌّ^(٥) ﷺ "كُلُّهُمْ خُطَبَاءٌ مُفَوَّهِينَ، وكان عليُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَحْطَبَهُمْ"^(٦)، وَمِنْ خُطَبَاءِ هَذَا الْعَصْرِ الْمَشْهُورِينَ أَيْضًا: (ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ الشَّامِ الْأَنْصَارِيُّ)، وَ(سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ^(٧))، وَ(سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ^(٨)) سَيِّدُ الْخَزَرَجِ، وَ(الْحُبَابُ بْنُ

(١) انظر: فَنَّ الخطابة وإعداد الخطيب، للشيخ عليّ محفوظ: ٢٦، وتاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات: ١٧٦، وَأَدَبُ صُدْرِ الْإِسْلَام، د. مُحَمَّدُ خَضِر: ٣٧٥-٣٧٦.

(٢) أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ عِثْمَانُ بْنُ عَامِرٍ التَّيْمِيُّ الْقُرَشِيُّ، أَوَّلُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الرِّجَالِ، وَأَحَدُ أَعْظَمِ الْعَرَبِ، كَانَ خُطِيبًا لَسِنًا، حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ الْخَمْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَلَمْ يَشْرِبْهَا، (ت ١٣هـ). انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: ٩٦٣/٣-٩٧٧، وأُسْدُ الْغَايَةِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ، لابن الأثير: ٣١٠/٣-٣٢٣، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر: ١٤٥/٤-١٥٠.

(٣) أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بْنُ نَفِيلٍ الْقُرَشِيُّ الْعَدَوِيُّ، ثَانِي الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَأَوَّلُ مَنْ لُقِّبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، اشتهر بالفاروق، الصحابي الجليل، الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات، يضرب ببعده المثل، (ت ٢٣هـ). انظر ترجمته في: أُسْدُ الْغَايَةِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ، لابن الأثير: ١٣٧/٤، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر: ٤٨٤/٤-٤٨٦.

(٤) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَقِيلَ أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ بْنُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمِيَّةٍ، ثَالِثُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، لُقِّبَ بِذِي النُّوَرَيْنِ، وَهُوَ أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ، مِنْ كِبَارِ الرِّجَالِ الَّذِينَ اعْتَزَلُوا بِهِمُ الْإِسْلَامَ فِي عَهْدِ ظَهْرِهِ، (ت ٣٥هـ). انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: ١٠٣٧/٣-١٠٤٨، وأُسْدُ الْغَايَةِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ، لابن الأثير: ٥٧٨/٣، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر: ٣٧٧/٤-٣٧٩.

(٥) أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْهَاشِمِيُّ الْقُرَشِيُّ، رَابِعُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَأَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ وَصْهْرُهُ، وَأَحَدُ الشُّجْعَانِ الْأَبْطَالِ، وَمِنْ أَكْبَارِ الْخُطَبَاءِ وَالْعُلَمَاءِ بِالْقَضَاءِ، وَأَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا بَعْدَ خَدِيجَةَ، (ت ٤٠هـ). انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: ١٠٨٩/٣-١٠٩٤، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر: ٤٦٤/٤-٤٦٨.

(٦) سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنُ عَمْرٍو، مِنْ بَنِي الْحَارِثِ الْخَزْرَجِيِّ الْأَنْصَارِيِّ، صَحَابِيٌّ جَلِيلٌ، كَانَ أَحَدَ النُّقَبَاءِ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، وَشَهِدَ مَعْرَكَةَ بَدْرٍ، وَاسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ، (ت ٣هـ). انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: ٥٨٩/٢-٥٩١، وأُسْدُ الْغَايَةِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ، لابن الأثير: ٤٣٢/٢.

(٨) أَبُو ثَابِتٍ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ بْنِ دَلِيمٍ بْنِ حَارِثَةَ، صَحَابِيٌّ، سَيِّدُ الْخَزَرَجِ، وَأَحَدُ الْأُمَرَاءِ الْأَشْرَافِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، (ت ١٤هـ). انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: ٥٩٤/٢-٥٩٩، وأُسْدُ الْغَايَةِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ، لابن الأثير: ٤٤١/٢.

المُنْذِر^(١)، و(عمرو بن مِخْصَن^(٢))، و(عبد الرحمن بن عَوْف^(٣))، و(الزبير بن العَوَّام^(٤))، وابنه عبد الله بن الزبير^(٥)، و(عبد الله بن مسعود^(٦))، و(طلحة بن عُبَيْدِ اللَّهِ^(٧))، و(خالد بن الوليد^(٨))، و(النُّعْمَانُ بن مَقْرَن^(٩))، و(عبد الله بن عَبَّاس^(١٠))، و(معاوية بن أَبِي سُفْيَانَ^(١١)) ۞.

(١) أبو عَمْرٍو وَقِيلَ أَبُو عَمْرٍو الحُبَابُ بن المُنْذِر بن الجموح الأنصاري الخزرجي، صحابي، من الشجعان الشعراء، يُقال له: ذو الرأي، وهو صاحب المشورة يوم بدر، (ت ٢٠هـ). انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: ٣١٦/١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: ٦٦٥/١.

(٢) عمرو بن مِخْصَن - وفي بعض التراجم: مِخْصَن - ابن حُرْثَان بن قيس الأسدي، أخو عكاشة، من المهاجرين الأولين، شهد أحدًا، قيل: تُوَفِّي عام ٣٧هـ. انظر ترجمته في: معرفة الصحابة، لأبي نُعَيْم: ٢٦٧/١ و ٢٠٢٤/٤، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر: ٥٦٢/٤.

(٣) أبو مُحَمَّد عبد الرحمن بن عَوْف بن عبد عوف الزهري القرشي، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعلَ عُمَرُ ۞ الخلافةَ فيهم، (ت ٣٢هـ). انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: ٨٤٤/٢-٨٥٠، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: ٤٧٥/٣.

(٤) أبو عبد الله الزبير بن العَوَّام بن خويلد الأسدي القرشي، حواري رسول الله ۞، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من سلَّ سيفه في الإسلام، وهو ابنُ عَمَّةِ النَّبِيِّ ۞، وشهد بدرًا وأحدًا وغيرهما، قَتَلَهُ ابْنُ جُرْمُوزٍ غيلة يومَ الجَمَل سنة ٣٦هـ. انظر ترجمته في: معرفة الصحابة، لأبي نُعَيْم: ١٠٤/١-١١٠، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: ٥١٠-٥١٦/٢.

(٥) أبو بَكْرٍ وَقِيلَ أَبُو حُثَيْب عبد الله بن الزبير بن العَوَّام القرشي الأسدي، فارس قريش في زمنه، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة، وكان من خطباء قريش المعدودين، (ت ٧٣هـ). انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: ٩٠٥-٩٠٧/٣، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: ٢٤١/٣.

(٦) أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، من أكابر الصحابة فضلًا وعقلًا، وقُرْبًا من رسول الله ۞ وهو من السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة، وكان خادم النبي ۞، (ت ٣٢هـ). انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: ٩٨٧/٣-٩٩٤، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: ٣٨١/٣.

(٧) أبو مُحَمَّد طلحة بن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عثمان التيمي القرشي المدني، صحابي من الأجواد الشجعان، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، (ت ٣٦هـ). انظر ترجمته في: معرفة الصحابة، لأبي نُعَيْم: ٩٤/١، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: ٧٦٤-٧٧٠/٢.

(٨) أبو سُلَيْمَانَ خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، سيف الحق، الفاتح الكبير، الصحابي الجليل، كان من أشرف قريش في الجاهلية، أسلم قبل فتح مكة سنة ٧هـ، فَسَّرَ به رسول الله ۞، (ت ٢١هـ). انظر ترجمته في: معرفة الصحابة، لأبي نُعَيْم: ٩٢٥-٩٣٠/٢، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: ١٤٠/٢.

سِمَاتِ الْخُطَابَةِ وَخَصَائِصُهَا فِي هَذَا الْعَصْرِ:

امْتَارَتْ الْخُطَابَةُ فِي عَهْدِ الْإِسْلَامِ الْأَوَّلِ عَنْهَا فِي عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ بِأُمُورٍ، مِنْهَا^(١):

١. ابتداء الخطبة بِحَمْدِ اللَّهِ ﷻ، والثناء عليه - تَعَالَى - والصلاة والسلام على النبي المصطفى، فأصبح مِنْ سُنَنِ الْخُطْبَةِ أَنْ تَسْتَهْلَ بِحَمْدِ اللَّهِ، وتستفتح بالتمجيد، وأن توشح بآيات القرآن الكريم، وتزين بالصلاة على النبي ﷺ، قال الجاحظ: "على أَنْ خُطْبَاءُ السَّلَفِ الطَّيِّبِ، وأهل البيان مِنَ التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ مَا زَالُوا يسمون الْخُطْبَةَ التي لم تُبَدَأْ بالتحميد، وَتُسَنَّفَتْ بالتمجيد: "البِئْرَاءُ"، وَيُسَمَّوْنَ التي لم تُوشَّحْ بالقرآن، وَتُزَيَّنْ بالصلاة على النبي ﷺ: "الشُّوْهَاءُ"^(٢).
٢. أخذها وجهة دينية في مِثْلِ خُطْبِ الْجُمُعِ والأعياد والحج والوعظ والإرشاد.
٣. صفاء ألفاظها وسهولة عباراتها ومتانة أساليبها وتجنبها سجع الكهان.
٤. قوة تأثيرها ووصولها إلى سويداء القلوب وامتلاكها الوجدان والشعور بما يرقق القلوب القاسية.
٥. محاكاتها أسلوب القرآن الحكيم في الإقناع واستمدادها من آياته.

(١) أبو عمرو النُّعْمَانُ بن مُقَرَّر بن عائد المزني، صحابي مِنْ الْأُمَرَاءِ القادة الشجعان في الفتوح الإسلامية، كان معه لواء "مُزَيَّنَةٌ" يوم فتح مكة، (ت ٢١هـ). انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: ١٥٠٥/٤-١٥٠٧، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر: ٣٥٧/٦.

(٢) أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، خَبَرُ الْأُمَّةِ وترجمان القرآن، لَارَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وروى عنه أحاديث كثيرة، وَشَهِدَ مَعَ عَلِيٍّ الْجَمَلَ وَصِفَيْنَ، (ت ٦٨هـ). انظر ترجمته في: أُنْدُ الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: ٢٩١/٣، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر: ١٢١/٤-١٣١.

(٣) أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي، أَسْلَمَ يوم فتح مكة، مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار، كان فصيحاً حليماً وقوراً، (ت ٦٠هـ). انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: ١٤١٦/٣-١٤٢٢، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر: ١٢٠/٦-١٢٢.

(٤) قَنَّ الخطابة وإعداد الخطيب، للشيخ علي محفوظ: ٣١، والخطابة، للإمام محمد أبو زهرة: ٥٥-٦٠، والعصر الإسلامي، د. شوقي ضيف: ١١٢-١١٤، وأدب صدر الإسلام، د. محمد خضر: ٣٦٥-٣٧٢، وأدب صدر الإسلام، د. واضح الصمد: ١٤٩-١٥٣، وَقَنَّ الخطابة ومهارات الخطيب، أ. د. إسماعيل علي محمد: ٥٣.

(٥) البيان والتبيين، للجاحظ: ٦/٢. وقال قُدَامَةُ: "قَمِنَ أوصاف الْخُطْبَةِ أَنْ تُفْتَحَ الْخُطْبَةُ بالتمجيد، وَتُوشَّحَ بالقرآن، وبالسائر مِنَ الْأَمْثَالِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مما يزين الْخُطْبَ عند مستمعيها وتعظم به الفائدة فيها". نَقَدَ النثر، لِقُدَامَةَ بن جعفر: ٩٥.

٦. اتّباعها خطة سياسية في مثل تكوين الأحزاب وتأليف الجماعات وتوحيد الكلمة والتحريض على الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى.
 ٧. ابتعادها عن التنافر والتفاخر بالأحساب والأنساب ممّا كان سائداً قبل الإسلام
 ٨. اشتملت الخطب على الإيجاز في غير عجز، مع جزالة اللفظ وفصاحة العبارة، والابتعاد عن الألفاظ الغريبة الحوشية.
 ٩. صفت ألفاظ الخطابة وسهلت ورقّت وعذبت؛ وذلك لتأثر الخطباء بالقرآن والحديث، واقتنائهم طريقتيهما، وسلوكهم سبيلهما.
 ١٠. أصبح القرآن الكريم معيناً للخطباء والأدباء ينهلون منه ويقتبسون، ويسعون إلى محاكاة أسلوبه.
 ١١. كانت معاني الخطبة سلسلة متصلة الأجزاء، محكمة الأواصر، فأصبح للخطبة موضوع واحد، يجول فيه الخطيب ويصول.
 ١٢. مالت الخطب إلى القصر ما عدا الخطب السياسية.
 ١٣. ظهرت في أسلوب الخطابة الإسلامية قوة العاطفة وشدة إيمان الخطيب بما يقوله، وحرصه على إقناع المخاطبين برأيه واستمالتهم إليه.
 ١٤. امتازت الخطابة في صدر الإسلام بوحدة الموضوع، وبتوجيه الفكر وجهة جديدة تحت تأثير القرآن الكريم والحديث النبوي.
- نستنتج - من مجموع ما سبق - أنّ الخطابة في عصر صدر الإسلام كانت لها - بعد القرآن والسنة - المكانة المرموقة المؤثرة، وهذا يدل على أنها حازت رفعة مشهودة، وحظاً وافراً، وعناية كبيرة، واهتماماً ملحوظاً.
- الفرق بين الحديث النبوي والخطبة:**
- ثمة فرق بين الحديث النبوي والخطبة، فالحديث النبوي الشريف: كلّ ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية^(١).
- أما الخطبة فهي: فنّ نثريّ قوليّ، يقوم فيها الخطيب على مشافهة جمهور من المستمعين، مستنداً إلى الأدلة؛ لإقناعهم، والتأثير فيهم، أو وعظهم، مع حسن مراعاة مقتضى أحوالهم.
- فخطب النبي ﷺ تدرج تحت ظلة الحديث الشريف، فكُلّ خطبة حديث، ولكن ليس من الضرورة أن يكون كلّ حديث خطبة، فقد يكون الحديث خطبة، وربما لا يكون كذلك.

(١) انظر: معرفة أنواع علوم الحديث، المشهور بـ"مقدمة ابن الصلاح"، لابن الصلاح: ١١٦، والمُفَنع في علوم الحديث، لابن المُلقن: ١/١١٣، وفُتُح المغيْث بِشَرْح ألفية الحديث، للسخاوي: ١/١٣١-١٣٢.

الفصل الثاني

الدراسات اللغوية عند تشومسكي

المبحث الأول: الدراسات اللغوية في الغرب قبل تشومسكي:
المطلب الأول: الدراسات اللغوية في أوروبا وأمريكا قبل تشومسكي
المطلب الثاني: تشومسكي وأهم مؤلفاته وإنجازاته

١. مولده ونشأته

٢. أهم مؤلفاته اللغوية

المطلب الثالث: موقف تشومسكي من المدرسة الوصفية البنيوية
المبحث الثاني: مفهوم اللغة:

المطلب الأول: مفهوم اللغة عند الوصفيين

المطلب الثاني: مفهوم اللغة عند تشومسكي

المطلب الثالث: الاتفاق بين الوصفيين والتوليديين

المبحث الثالث: النحو التوليدي عند تشومسكي:

المطلب الأول: الفرق بين التوليد والتحويل في نظرية تشومسكي

المطلب الثاني: مميزات القواعد التوليدية التحويلية وخصائصها

المطلب الثالث: آراء نقدية حول النحو التوليدي

المبحث الأول

الدراسات اللغوية في الغرب قبل تشومسكي

- المطلب الأول: الدراسات اللغوية في أوروبا وأمريكا قبل تشومسكي
- المطلب الثاني: تشومسكي وأهم مؤلفاته وإنجازاته
١. مولده ونشأته
 ٢. أهم مؤلفاته اللغوية
- المطلب الثالث: موقف تشومسكي من المدرسة الوصفية البنيوية

المبحث الأول

الدراسات اللغوية في الغرب قَبْلَ تشومسكي

لعلَّ مِنْ أَهَمِّ الاكتشافات في الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ في القرن العشرين هو (النظرية التحويلية التوليدية) التي شغلت الباحثين، واهتمَّ بها الدارسون. وما ازدهرت هذه النظرية إلا بعد نظريات متتالية نادى بها أصحابها قَبْلَ تشومسكي Chomsky صاحب النظرية التحويلية التوليدية؛ لذلك لا بُدَّ مِنْ إطلالةٍ عَلَى حال الدراسات اللغوية في الغرب قَبْلَ تشومسكي.

المطلب الأول: الدراسات اللغوية في أوروبا وأمريكا قبل تشومسكي

مَرَّ الدَّرْسُ اللُّغَوِيُّ في العصر الحديث بمراحلٍ ثلاثٍ، كانت المرحلة الأولى حينما برز المنهج المقارن^(١) - في نهاية القرن الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر - عَلَى يد (وليم جونز William Jones ١٧٤٦-١٧٩٤م)^(٢) الذي مَهَّدَ الطريقَ لتأسيس المنهج المقارن^(٣)، ثُمَّ تابَعَهُ (رسموس راسك Rasmus Rask ١٧٨٧-١٨٣٢م)^(٤)، و(جاكوب جريم Jakob Grime ١٧٨٥-١٨٦٣م)^(٥)، و(فرانز بوب Franz Bopp ١٧٩١-١٨٦٧م)^(٦)، وكانت مَهْمَتُهُمْ "وَضَعَ

(١) "يتناولُ عِلْمُ اللُّغَةِ المقارنُ مجموعةً لغاتٍ تنتمي إلى أسرةٍ لغويةٍ واحدةٍ بالدراسة المقارنة". مَدْخُلٌ إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي: ١٩.

(٢) مستشرق بريطاني، وعالمٌ لُغَوِيٌّ، ومفكِّرٌ سياسي، وقاضٍ مشهور، قَدْ أَكْثَرَ في دراساته من المنهج المقارن، وَتَعَلَّمَ السنسكريتية ولغات أخرى كثيرة، واقترح أن هناك جذراً مشتركاً بين اللغات: السنسكريتية واليونانية واللاتينية. انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: د. زكي نجيب محمود وآخرين: ٣٦/٣، والمستشرقون، نجيب العقيقي: ٤٧٣/٢، والأعلام، للزركلي: ١٢٣/٨.

(٣) انظر: مناهج البحث اللغوي، (بحث مُحَكَّم)، د. عبد القادر شاكر، مجلة حوليات التراث، العدد التاسع، ٢٠٠٩م: ٧٢.

(٤) أَلَسْنِي دِنَمَارِكِيٌّ، قام بدراسة مائةٍ وأربعٍ عَشْرَةَ لُغَةً، وَانْتَنَيْنِ وَسَبْعِينَ لَهْجَةً. انظر: علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران: ٢٧٢.

(٥) متخصص لُغَوِيٌّ أَلْمَانِيٌّ، أول من قام بجمع القصص الشعبية في ألمانيا. انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: د. زكي نجيب محمود وآخرين: ١١٨٢ و ١٢٦٠ (المُلْحَق)، وعلم اللغة - مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران: ٢٧٢.

(٦) عالمٌ لُغَوِيٌّ وتربويٌّ مِنْ مملكة بروسيا، مِنْ أوائل مَنْ نادى بفكرة التَطَوُّر اللُّغَوِيِّ. انظر: علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران: ٢٧١، وتداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، أ. د. عبد الرزاق الصاعدي: ١٥٣/١.

تاريخ للتطور اللساني بواسطة التقاربات بين لغات تبدو مختلفة نسبياً^(١)؛ وذلك لأن العلماء قبل القرن الثامن عشر كانوا يهتمون "بدراسة فقه اللغتين: اللاتينية واليونانية، ويبحثون في أصل اللغة عموماً، ويقومون كل لغة بالنسبة إلى اللغات الأخرى، من جهات متعددة، كجمال الأسلوب، والثروة الكلامية"^(٢).

ولم تكن القرابة بين اللغات معروفة على نحو دقيق إلى أن اكتشفت اللغة السنسكريتية في الهند، حيث قورنت باليونانية واللاتينية^(٣)، كان ذلك حينما أعلن ولیم جونز عن آرائه في اللغة السنسكريتية "اللغة الهندية القديمة" وعلاقتها باللاتينية واليونانية.

ولكن أهم مرحلتين في تاريخ الدرس اللغوي الحديث المرحلتان الثانية والثالثة.

أما المرحلة الثانية فكانت مع بداية القرن العشرين، وهي مرحلة الوصف^(٤)؛ أي: وصف اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية، ويُعدّ العالم اللغوي السويسري (فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure)^(٥) أبرز من نظّر لها، وهو مؤسس المنهج الوصفي في علم اللغويات، كما يُعدّ دي سوسير أهم من أسس دعائم التطور الحقيقي للدراسات اللغوية الحديثة، وقد خالف أصحاب المنهج المقارن وأنصاره، "حيث أكد أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وليست كائناً حياً، فهي تخضع لما تخضع له علوم الاجتماع"^(٦).

(١) البُعد التداولي في العملية التواصلية (شعر عبد القادر الجزائري أنموذجاً) رسالة دكتوراة، عيسى بربار: ٢.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب: ١٨١.

(٣) مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي: ١٩.

(٤) "يتناول علم اللغة الوصفي بالدراسة العلمية لغة واحدة أو لهجة واحدة في زمن بعينه ومكان بعينه". مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي: ٢١.

(٥) عالم السنّي ولد في جنيف (١٨٥٧م)، وعاش في برلين، ثم انتقل إلى باريس، حيث عمل مديراً للدراسات اللغوية في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا، وألقى فيها محاضراته في علم اللغة العام ما بين (١٩٠٦-١٩١١م)، التي جمعتها بعد وفاته تلميذاه: (شارل بالي Charles Bally ١٨٦٥-١٩٤٧م) و(ألبرت سيشيهاي Albert Sechehay ١٨٧٠-١٩٤٦م) في كتاب باسم: (دروس في الألسنية العامة)، وترجم -أيضاً- إلى (محاضرات في علم اللغة العام). وقد مات دي سوسير عام (١٩١٣م). انظر: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، د. ميشال زكريا: ٢٢٣-٢٢٤، وفي نحو اللغة وتراكيها - منهج وتطبيق، د. خليل أحمد عمايرة: ٤٠، وسوسير رائد علم اللغة الحديث، د. محمد حسن عبد العزيز: ٩-١١.

(٦) البُعد التداولي في العملية التواصلية (شعر عبد القادر الجزائري أنموذجاً) رسالة دكتوراة، عيسى بربار: ٢.

فَسوسير عَارِضُ "الاتجاه المقارن، واتهم المقارنين بأنهم لم يصلوا إلا إلى فروضٍ متعارضة ومشوشة، وأنَّ منهجهم لم يكن تاريخياً حقاً"^(١)، وَيُنَسَبُ لِدِي سوسير علم اللغة العام^(٢).
وُوصِفَ منهجه بالبنائيِّ أو البنويِّ كما هو مشهورٌ بين أوساط الدارسين، لذلك يُسمَّى -أيضاً- مؤسس المنهج البنوي الذي انطلق منه علم اللغة المعاصر. وَتُسمَّى هذه المرحلة -كذلك- بِاسْمِ "اللسانيات البنويَّة".

إن فكرة البنوية عند دي سوسير تكمن في نظريته إلى اللغة بوصفها نظاماً أو هيكلًا مستقلاً عن صانعه أو الظروف الخارجية التي تحيط به. وينظر إلى هذا الهيكل من داخله من خلال مجموعة وحداته المكوَّنة له بوصفها تمثل كلاً قائماً بذاته. فاللغة هي شبكة واسعة من التراكيب والنظم، وهي أشبه شيء -كما وصفها سوسير- بِرُقْعَةِ الشطرنج التي لا تتحدَّد قيمُ قِطْعِها بمادتها المصنوعة منها، وإنما بمواقعها والعلاقات الداخلية بينها في هذه الرُقْعَةِ^(٣)؛ أي: لَوْ تَمَّ استبدال قطعةٍ من قِطْعِ الشطرنج بقطعةٍ من مادةٍ أخرى فلن يكون لهذا التغيير أثرٌ في نظام اللعبة ذاتها، لكن لو زاد عددُ القطع أو نقص فلا شكَّ أنَّ هذا سيغيِّر نظامَ اللعبة وقواعدها، كذلك لو تغيَّر موقع القطعة الداخلي على الرُقْعَةِ من مكانٍ لآخر فالتغيير حاصلٌ لا محالة.

فِكْرُ دِي سوسير البنوية الثلاث^(٤):

١. حلُّ دِي سوسير الرَّمَزِ إلى مُكوِّنَيْنِ: (الدَّال)، و(المَدْلُول).
٢. مَيَّزَ بين (اللغة)، و(الكلام).
٣. مَيَّزَ بين محوَرَيْنِ لدراسة اللغة (المحور التزامني)، و(المحور التتابعي).

^(١) سوسير رائد علم اللغة الحديث، د. محمَّد حسن عبد العزيز: ٤٤.

^(٢) "يتناول علمُ اللغة العامُ اللغةَ باعتبارها ظاهرة إنسانية عامَّة يشترك فيها كل البشر، وتتألف اللغة من أصوات تصدر من أعضاء النطق وهي مشتركة أيضاً بين كل البشر". مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي: ٢٦.

^(٣) انظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل: ٢٤-٢٥، ومشكلة البنية، د. زكريا إبراهيم: ٤٧.

^(٤) انظر الأفكار الثلاثة والفرق بين هذه الثنائيات في: دروس في الألسنية العامة، فرديناند دي سوسير، تعريب: صالح القرمادي، وآخرين: ٢٩ و ١٠٩، ومشكلة البنية، د. زكريا إبراهيم: ٤٤-٥٢، وسوسير رائد علم اللغة الحديث، د. محمَّد حسن عبد العزيز: ٧١-٨٣، ونظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل: ٢٠-٣٠، والتفكير اللُّغوي بين القديم والجديد، د. كمال بشر: ٩١-١٠٥.

أَهَمُّ مَا أَفَادَهُ دِي سوسير في الدراسات اللُّغوية^(١):

١. يُعَدُّ دِي سوسير أَوَّلَ مَنْ بدأ بتحديد الأُسُس العلمية، التي قام عليها علم اللغة الحديث.

٢. يُعَدُّ -كذلك- أَوَّلَ مَنْ دعا إلى دراسة اللغة بصفاتها أنظمة متواجدة في مكانٍ وزمانٍ مُحدَّدَيْن، وباعتبار العِلْم الذي يدرسهما عِلْمًا نقيضًا، أو مُتعارضًا مع علم اللغة التاريخي^(٢)، وهذا المنهج عُرف فيما بَعْدُ بالمنهج الوصفي.

٣. فَرَّقَ بين ثلاثة مصطلحات تتصل بالكلام الإنساني، أوَّلها "La Parole" وهو ما يمثل "كلام الفرد"، أو المنطوقات الفعلية نفسها؛ لأنه يصدر عن وعي، ولأنه نتاج فردي كامل. وثاني هذه المصطلحات "Le langage"، وهو اللغة بمعناها العام، أو هو مجموع الكلام الفردي والقواعد العامة للغة الإنسانية، أو هو نظام من المواصفات والإشارات التي يشترك فيها جميع أفراد مجتمع معين. وآخر هذه المصطلحات "La langue" وهو اللغة المعينة التي يراها دِي سوسير صالحة للدراسة العلمية؛ لأنه يُعَبَّر عن العادات التي يتعلمها الفرد مِنَ المجتمع الكلامي، ويتصل على أساسها بالآخرين ويتفاهم بها معهم.

٤. اقترح فكرة دراسة اللغة باعتبارها "نظامًا مِنَ العَلَامَات"؛ كي يتسَنَّى تطبيق مبادئ البحث العِلْمِي عليها.

٥. دعا إلى أَنْ يكون علم اللغة مستقلاً بذاته.

وَمِنْ أَشْهُر مَنْ تَأَثَّرَ بنظرية دِي سوسير العالم: (فرانز بوعز Franz Boas ١٨٥٨-١٩٤٢م^(٣))، وتلميذه (إدوارد سابير Edward Sapir ١٨٨٤-١٩٣٩م^(٤)).

(١) انظر: المدخل إلى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب: ١٨٤، والنحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ٢٧-٢٨، و٣٢، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، (رسالة دكتوراة)، إعداد: حمدان رضوان أبو عاصي: ٢.

(٢) "يبحثُ عِلْمُ اللُّغَةِ التاريخيُّ تَطَوُّرَ اللغة الواحدة عبر القرون، أو بمعنى أدقَّ التغيُّر في اللغة الواحدة على مدى الزمن". مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي: ٢٣.

(٣) أَلْسِنِي مُتَخَصِّصٌ في الأنثربولوجيا اللغوية الأمريكية "عِلْمُ الإنسان الاجتماعي والثقافي"، أَلْمَانِي الأَصْل، أمريكي الجنسية، أسهم في تطوير اتجاهات اللغويات الحديثة. انظر: اللغة والفكر والعالم، د. محيي الدِّين محسب: ١٢.

(٤) عالِمٌ باللغات، اهتم اهتمامًا كبيرًا باللغات الهندوأوروبية، يُعَدُّ أحد مؤسسي علم اللغة المعاصر في الغرب عامة، وفي الولايات المتحدة الأمريكية خاصة. انظر: في نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل عاميرة: ٤٢-٤٣.

وجاء بَعْدَهُمَا (ليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield ١٨٨٧-١٩٤٩م)^(١) الذي أسهم في تطوير المدرسة اللغوية البنوية، وتوضيح قوانينها، ووضع مناهجها الأساسية، وكان بلومفيلد من أتباع المدرسة السيكلوجية السلوكية في دراسة اللغة، مما جعله يرفض تركيز (سابير) على العقل^(٢). و"هؤلاء الثلاثة [دي سوسير، وسابير، وبلومفيلد] هم الذين وضعوا أسس علم اللغة الحديث"^(٣).

وَقَدْ عَرَفَ الدَّرْسُ الحديث عددًا كبيرًا من علماء اللغة في الغرب، منهم علماء مدرسة (كوبنهاجن) في الدانمارك، أمثال: (أوتو جيسبرسن Otto Jespersen ١٨٦٠-١٩٤٣م)^(٤)، و(لويس هلمسلف Louis Hjelmslev ١٨٩٩-١٩٦٥م)^(٥) صاحب نظرية دراسة "التركيبات الشكلية" المحضة في اللغة. ومن العلماء أيضًا علماء مدرسة (لندن)، منهم: (جون روبرت فيرث J. R. Firth ١٨٩٠-١٩٦٠م)^(٦) صاحب نظرية "سياق الحال"، والعالم الروسي (نيكولاي سركي تروبتسكوي N. S. Troubetskoy ١٨٩٠-١٩٣٨م)^(٧)، وتلميذه (رومان جاكبسون Roman Jakobson ١٨٩٦-١٩٨٢م)^(٨)، وغيرهم الكثير^(٩).

-
- (١) أَلْسُنِيّ أمريكي وُلِدَ في شيكاغو، اهتمّ باللغة السنسكريتية، ويُعَدُّ هو وزميله (سابير) من مؤسسي المنهج السلوكي. انظر: في نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل عمايرة: ٤٥-٤٦.
- (٢) انظر: المدخل إلى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب: ١٨٥-١٨٦، والنحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ٣٣-٣٨ (بِتَصَرُّفٍ في المَرْجِعَيْنِ).
- (٣) النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ٤١.
- (٤) عالمُ لُغَوِيَّاتٍ وصَوْتِيَّاتٍ دنماركيّ، له إسهامات في تطوير تعليم اللغات في مناهج أوروبا التعليمية الحديثة. انظر: اللغة، جوزيف فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص: ٤٤٩ و ٤٦٢ و ٤٦٥، ودراسات لغوية في أمهات كتب اللغة، أ. د. إبراهيم أبو سكين: ١٣٢.
- (٥) عالمُ أَلْسُنِيّ دنماركيّ، يُعَدُّ أبرز مؤسسي مدرسة كوبنهاجن اللسانية. انظر: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، د. ميشال زكريا: ١٤.
- (٦) لُغَوِيّ بريطاني، شغل منصب كرسي علم اللغة بجامعة لندن سنة ١٩٤٤م، له دور كبير في تطوير علم اللغة في بريطانيا في خمسينيات القرن العشرين. انظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد، د. كمال بشر: ١٤٤.
- (٧) عالمُ باللغات واللسانيات، وهو أحد مؤسسي حلقة (براغ) اللغوية، من أسرة روسية عريقة، وهو أول رئيس منتخب لجامعة موسكو عام ١٩٠٥م. انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان: ١٣٠، وعلم اللغة - مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران: ١٦٥ و ٢٧٨.
- (٨) أَلْسُنِيّ ألمانيّ، من مؤسسي نادي موسكو الألسني عام ١٩١٥م، عمل مدرسًا للألسنية العامة في معهد ماسشوتس. انظر: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، د. ميشال زكريا: ٢٤١.
- (٩) النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ٤١-٤٢ بِتَصَرُّفٍ.

وأما المرحلة الثالثة فهي مرحلة النظرية (التوليدية التحويلية)، وتُحدّد في بداية السّينيات من القرن العشرين، وقد أخذت صدى واسعاً لا يزال إلى يومنا هذا. ساد قبلها حركة اللغويين الوصفيين -كما ذكر سابقاً- التي أُطلق عليها (البنائية أو البنائية).
تزعّم (زيلج هاريس Zellig Harris ١٩٠٩-١٩٩٢م^(١)) - بعد حركة الوصفيين - المدرسة البنائية التوزيعية^(٢)، وكان أستاذاً وزميلًا للعالم (تشومسكي Chomsky)^(٣)، ويُعدّ الأخير رائد النظرية (التوليدية التحويلية).

تخطّى تشومسكي هدف البنوية التي تبنّت وصفت اللغة باتجاه تفسير البنية^(٤) اللغوية وتحليل تركيبها، وتحولها من بنية إلى أخرى، مستنداً إلى حدس^(٥) المتكلم، ومعرفته الضمنية بقواعد لغته؛ فقرر أنّ متكلم اللغة هو موضوع الدراسة الألسنية؛ لأنه قادر على إنتاج عدد لا متناه من الجمل^(٦). فاهتم تشومسكي بتحليل البنية وتفسيرها، واعتنى بالمتكلم وقدرته اللغوية.
وجاءت جهود تشومسكي تتمة لما بدأ به أستاذه هاريس في النحو^(٧)؛ حيث نشر هاريس في عام ١٩٥٢م مقالة بعنوان (قواعد التحويل) في صحيفة أمريكية، تحدث فيها عن استعمال

(١) متخصص ألسني، وُلد في روسيا، ثمّ قَدِمَ إلى الولايات المتحدة الأمريكية، دَرَسَ الألسنية في جامعة بنسلفانيا عام ١٩٤٢م، واعتنى باللغات السامية، وكان يدرسها ضمن المنهج البنائي الوصفي. انظر: الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، د. ميشال زكريا: ٢٥٨، وفي نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل عمايرة: ٤٨-٤٩.

(٢) "يُطلق هذا الاسم على اتجاهٍ لسانی ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية في حوالي سنة ١٩٣٠م، وهو مرتبط بتفكير دي سوسير. وأوجه التماثل بين التوزيعية والاتجاهات الأوروبية المعاصرة تسمح بوسمها على أنّها جميعاً من البدائل للبنوية". مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، كاترين فوك، وبيارلي قوفيك، ترجمة: د. المنصف عاشور: ٣٨.

(٣) انظر: في نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل عمايرة: ٥٢.

(٤) البنية: بنية الشيء، وهيئة البناء وتكوينه، ومنه بنية الكلمة؛ أي: صيغتها، ويُقال: بنية اللغة، وبنية المجتمع. ويجوز في كلمة (بنية) ضمّ البناء وكسرها. انظر: الصحاح، للجوهري: ٢٢٨٦/٦ (بنا)، والتلخيص في معرفة أسماء الأشياء، لأبي هلال العسكري: ١٧٥ (الباب السابع: في ذكر الدور والمنازل)، والمُخصّص، لابن سيده: ٥٠٤-٥٠٥ (البناء وما أشبهه). ومختار الصحاح، للرازي: ٤٠ (بني)، ولسان العرب، لابن منظور: ٩٤/١٤ (بني)، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي: ١٢٦٤ (فصل البناء).

(٥) الحدس: التخمين، والظن، والتنبؤ الغريزي، والإدراك الداخلي، والتقدير، والتوهم في معاني الكلام والأمور. و(الحدسية) مذهب يُقول باعتماد المعرفة على الحدس. انظر: الغين، للخليل بن أحمد: ١٣١/٣ (باب الحاء والسين والدال)، والصحاح، للجوهري: ٩١٥/٣ (حدس)، ولسان العرب، لابن منظور: ١٨٥/٤ (حدس)، والمعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة: ١٦١/١ (باب الحاء).

(٦) الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٢.

(٧) انظر: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، د. خليفة بوجادي: ٣٦.

الرموز لتحليل الجُمْل، من خلال إيجاد رموز للمباني الصرفية في الجملة تُبَيَّر أَمْر تحليل هذه المباني^(١). كذلك تحدث في المقالة عن الجملة التوليدية، وعن القواعد والقوانين اللازمة لتوليدها^(٢).

بهذا يكون هاريس مَنْ وَصَّعَ البذرة الأولى للنظرية التوليدية التحويلية، لكن السؤال المنطقي هنا: لماذا لم يستطع هاريس أَنْ يتوصَّل إلى النظرية التوليدية التحويلية على الرغم مِنْ وَضْعِهِ البذور الأولى لها؟ ذلك لأنَّ تشومسكي زاد آراءه تطويراً؛ فَطَغَتْ على آراء أستاذه هاريس، ولعلَّ مِنْ أَهَمِّ العوامل التي أدت إلى عدم توصل هاريس إلى النظرية التوليدية التحويلية مبكراً هو تَشَتَّتْ فِكْرُهُ بين اتِّبَاعِ منهج بلومفيلد الوصفي، ومحاولته للوصول إلى المعنى باتِّبَاعِ المنهج التوزيعي الذي تَبَنَّاهُ^(٣).

وَقَدْ تَمَثَّلَت البداية الساطعة للمنهج التوليدي التحويلي في عام ١٩٥٧م، حينما نشر تشومسكي كتابه الأول (البُنَى النُحْوِيَّة Syntactic Structures) وَتُرْجِمُ أحياناً بِاسْمِ (البُنَى التركيبية)، فَ"بَدَأَتْ ثَوْرَةٌ في الدرس اللغوي، ومنذ ذلك الحين تَغَيَّرَ اتجاه علم اللغة من المنهج الوصفي المحض إلى منهج آخر جديد هو ما يُعرف الآن بِ(النحو التحويلي Transformational Grammar)"^(٤).

وما زال أثر هذا المنهج "واضحاً حتى اليوم في دراسات وأبحاث علماء اللغة المعاصرين، حتى قيل: إِنَّ أَيْةَ نظريةٍ لُغَوِيَّةٍ لا يمكن أَنْ تتجاهل نظرية تشومسكي، بل إن مكانة أيّ نظرية وإنجازها في حقل الدراسات اللغوية المعاصرة يتحدَّد بمدى صلتها بنظرية تشومسكي قُرْباً وَبُعْداً، أَوْ نَقْداً وَتَعْدِيلاً"^(٥).

إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْبَاحِثِينَ وَالْمُخْتَصِّصِينَ يُصَنِّفُونَ تشومسكي بنظريته التوليدية التحويلية ضمن (لسانيات ما بَعْدَ البنيوية)؛ لِسَبَبَيْنِ:

"الأول: إِنَّ ما قَدَّمَهُ تشومسكي في نظريته يُعَدُّ نقطةَ تَحَوُّلٍ بارزة في الفكر اللساني، يتجاوز كثيراً ممَّا وضعه البَنِيويُّونَ قَبْلَهُ في دراسة اللغة.

(١) انظر: في نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل عمايرة: ٤٩.

(٢) انظر: السابق: ٤٩.

(٣) انظر: الألسنية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية، د. ميشال زكريا: ٢٤٥-٢٥٩، وفي نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل عمايرة: ٤٩.

(٤) النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١٠٩.

(٥) مقدمة مُترَجِّم كتاب: نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ٧.

الثاني: لم تُكُنْ دراسته لِلُّغَةِ تعتمد على بيان جوانب اللغة ذاتها فَحَسْبُ، وإنما يصنفها الدارسون ضمن إسهامات اللغويين أنفسهم في فلسفة اللغة؛ حيث يبحث في طبيعة اللغة، كيف يتعلمها الطفل؟ كيف تتطور القدرة اللغوية...؟^(١).

وَقَدْ استطاعت النظرية التوليدية التحويلية أَنْ تُحوِّلَ البحث اللغوي اللساني مِنْ منهج سلوكي نفسي إلى منهج عقلي، "هَمَّهُ استكشاف القدرة الكامنة وراء الحدث اللساني والسعي من أجل تعليله وتفسيره بدلاً مِنْ وَصْفِهِ وَصْفًا شَكْلِيًّا"^(٢).

المطلب الثاني: تشومسكي وأهم مؤلفاته وإنجازاته:

يحتل تشومسكي مكانة فريدة في علم اللغة المعاصر^(٣)، وَمَنْ يقرأ آراءَهُ وأقواله يدرك أَنَّهُ "يختلف عن سابقيه مِنَ البَنِيَوِيِّينَ الأمريكيِّينَ، فهو محسوب على التيار العقلاني في دراسة اللغة، حينما أعلن ذلك بشكل صريح، وتلك هي نقطة التحول البارزة في اللسانيات الأمريكية؛ حيث يَعُدُّ اللسانيُّونَ الذين قَبْلَهُ المادَّةَ اللسانية هي موضوع الدرس فتناولوها بالوصف والتحليل، أما عنده فهي وسيلة لا غاية في ذاتها -لأنه منطقي عقلائي، وَهُمْ وَصَّافُونَ تَجْرِبِيُّونَ- لمعرفة العقل البشري، وأشكال التفكير الإنساني"^(٤).

والسببُ في عَدِّه ضمن التيار العقلاني هو تأثره بالفيلسوف الفرنسي (رينيه ديكارت Rene Descartes ١٥٩٦-١٦٥٠م)^(٥)؛ لذلك جاءت آراء تشومسكي عن طبيعة اللغة عميقة للغاية، ومناقضة تمامًا للسطحية والشكلية التي تميزت بها آراء أسلافه المُباشِرِينَ عن البنية اللغوية^(٦).

(١) في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، د. خليفة بوجادي: ٣٥-٣٦.

(٢) البُعْدُ التداولي في العملية التواصلية (شعر عبد القادر الجزائري أنموذجًا) رسالة دكتوراة، عيسى بربار: ١٦.

(٣) نظرية تشومسكي اللغوية، تأليف: جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ٢٩.

(٤) في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، د. خليفة بوجادي: ٣٦.

(٥) رينيه ديكارت: أبو الفلسفة الحديثة، فيلسوف وعالم رياضيات وفيزياء، له نظامٌ في الرياضيات يُدعى بِاسْمِهِ: "نظام الإحداثيات الديكارتية"، وهو صاحب العبارة الشهيرة: "أنا أَفَكِّرُ إِذْنُ أنا موجودٌ". انظر ترجمته في: معجم الفلاسفة، إعداد: جورج طرابيشي: ٢٩٨-٣٠٤، وموسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، للأستاذ: روني إيلي ألفا: ٤٥١/١-٤٥٣.

(٦) انظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف خرما: ٩٢.

١. مَوْلِد تشومسكي ونشأته:

هو أفرايم نعوم تشومسكي Avram Noam Chomsky، وُلِدَ في فيلاديلفيا بولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية في السابع من ديسمبر عام ١٩٢٨م^(١)، لعائلةٍ يهوديةٍ - من أصلٍ روسيّ - متطرفةٍ سياسيًا. نزح والداه من روسيا في سنة ١٩١٣م؛ هربًا من تجنيد أبيه في الجيش القيصري تجنيدًا إجباريًا، وكانا متعلّمين تعليمًا عاليًا قبل وصولهما إلى أمريكا. وقد تعلّم تشومسكي مبادئ علم اللغة التاريخي من أبيه الذي كان أستاذًا للعبريّة في كلية جراتس؛ حيثُ اشْرَكَ ابنُهُ منذُ وَفَتْ مُبَكِّرٍ جدًّا في تصحيح طَبْعِ أعمالِهِ النُّحويّة^(٢).

"ومن الغريب حقًا أنّ كل الذين كتبوا عن حياة تشومسكي أو نظريته يتجاهلون هذه الفترة^(٣) من حياته العلمية ولا يتوقفون أمامها؛ فاللغة العبريّة هي إحدى اللغات السامية، ومن المعروف أنّ نُحاة العبرية الذين عاشوا في كنف المسلمين في الأندلس، مثل: سَعْدِيَا الفيومي^(٤)، ومروان بن الجناح^(٥) قد أقاموا درسهـم النحوي للغة العبرية على طريقة العرب ومنهجهم في درس العبرية"^(٦).

أكْمَلَ تشومسكي دراسته في جامعة بنسلفانيا عند أستاذه هاريس، ودَرَسَ علم اللغة والرياضيات والفلسفة في الجامعة ذاتها، حصل بعدها على درجة الماجستير في سنة ١٩٥١م،

(١) قَعُمُرُهُ الآنَ ٩٢ عامًا تقريبًا.

(٢) انظر: النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١١٠، ونظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١١، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٩.

(٣) يَقْصِدُ: الفترة التي قضاها تشومسكي مع أبيه يتعلم مبادئ علم اللغة التاريخي، وإشراكه في الأعمال اللغوية المتعلقة باللغة العبريّة.

(٤) أبو يعقوب سعيد بن يوسف الفيومي، المشهور بِ(سَعْدِيَا جون)، وُلِدَ في قَيْوَم مصر (٢٦٨هـ)، حاخام وفيلسوف يهودي مصري، تأثر بالمدرسة الكلامية ومذهب المعتزلة، قوي العقل والتفكير، دافع عن شرعية النبوة ووحداية الله، كما رفض الإيمان بالسَّحَرَة والمُتَجَمِّين، يُعَدُّ مؤسس الأدب العربي اليهودي، توفي في بغداد (٣٣٠هـ). انظر ترجمته في: الفهرست، لابن النديم: ٣٨-٣٩، واكتفاء القنوع بما هو مطبوع، لإدوارد كرنيليوس فاندليك: ١٨٦-١٨٧، وتراجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ: ١/١٨٥، وموجز دائرة المعارف الإسلامية، تحرير: م. ت. هوتسما، وآخرين: ٨/٢٤١٥، و٢٤/٧٣٧٥.

(٥) أبو الوليد مروان بن جناح القرطبي، يُعرف بالعبرية باسم (يونا)؛ أي: (يونس)، حاخام وَخَبَر وطبيب وَلُغوي ومؤلف يهودي أندلسي، له العناية بالمنطق والتوسع في اللغتين العربية والعبرانية، وُلِدَ في قرطبة، ومات في سرقسطة (٥١٥هـ). انظر ترجمته في: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، لإدوارد كرنيليوس فاندليك: ٢٢١، وهدية العارفين، لإسماعيل باشا الباباني: ٢/٤٢٨.

(٦) نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٢-١٣ مقدمة المُترجم.

كان عنوان بحثه: (دراسة مورفونيمية للعبرية الحديثة)^(١) لم تُنشر إلا بعد سنة ١٩٧٩م، ثم حصل على الدكتوراة من الجامعة نفسها -أيضاً- في سنة ١٩٥٥م ببحثٍ حملَ عنوان: (البنية المنطقية للنظرية اللغوية)، ولكنه قام بمعظم أبحاثه ودراساته لإعداد رسالته في جامعة هارفرد Harvard في الفترة من عام ١٩٥١ إلى ١٩٥٥م، وهناك بدأت صلاته بـ(رومان جاكسون)، و(موريس هالي Morris Halle ١٩٢٣-٢٠١٨م)^(٢).

ثم عُيِّنَ مُدَرِّسًا بعد حصوله على الدكتوراة في معهد (ماساتشوستس Massachusetts) للتكنولوجيا، دَرَسَ اللغة الفرنسية واللغة الألمانية إلى الطلاب الذين يتخصصون في مجال العلوم. ومنذ ذلك الوقت ظل يترقى في حياته العلمية حتى وصل إلى كرسي الأستاذية في علم اللغة واللغات الحديثة، وهو يُدَرِّسُ في هذا المعهد إلى الآن^(٣).

ولم تقتصر شهرة تشومسكي على الجانب العلمي، إنما تَعَدَّتْهُ إلى عالم السياسة، حيث انتقد سياسة بلاده تجاه العالم، فَمَعَ أَنَّ تشومسكي أمريكي الجنسية لكنه أكبر ناقد للسياسة الأمريكية الخارجية كاحتجازه على حرب فيتنام، حيث وَصَفَ حَرْبَ فيتنام بجرائم الحرب، وَمَعَ أَنَّهُ يهودي الأصل لكنّه كان أعلى صوتٍ في الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها في انتقاد السياسة الإسرائيلية وفي الانتصار للحق الفلسطيني. وَقَدِ اختارَ أَنْ يقفَ أمام الصهيونية وأمام إسرائيل، وَعَبَّرَ عن آرائه المُنَاصِرَةِ للشعب الفلسطيني في أكبر جامعات الولايات المتحدة، وساحات الكونجرس ومحافل الإيباك (معقل اللوبي الإسرائيلي)^(٤).

(١) Morphophonemics of modern Hebrew - Naom Chomsky mimeographed unpublished Master- sthesis – university of penna – Philadelphia – U.S.A. 1951.

(٢) أَلْسِنِي مِنْ أَصْلِ رُوسِيٍّ، اشترك مع (جاكسون) في وَضْعِ دراسات فونولوجية، وتعاونَ مع (تشومسكي) بصورة وثيقة أكثر من خمسٍ وعشرين سَنَةً في وَضْعِ فونولوجيا اللغة الإنجليزية. انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٩.

(٣) انظر: النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١١٠، وفي نَحْوِ اللغة وتراكيبها، د. خليل عمايرة: ٥٣، ونظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١١، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٩، ومناهج علم اللغة، من هرمان باول إلى ناعوم تشومسكي، تأليف: بريجيت بارتشت، ترجمة: أ. د. سعيد حسن بحيري: ٢٦٥-٢٦٦.

(٤) انظر: النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١١٠، ونظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١١، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٩، ومناهج علم اللغة، من هرمان باول إلى ناعوم تشومسكي، تأليف: بريجيت بارتشت، ترجمة: أ. د. سعيد حسن بحيري: ٢٦٥-٢٦٦.

(٥) انظر: مقدمة كتاب: ماذا يُريد العَمَّ سام؟! لناعوم تشومسكي، تعريب: عادل المعلم، تقديم: محمد حسين هيكال: ٦، ونظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٤.

ويبدو أنّ اهتمام تشومسكي السياسي يرجع إلى كونه وُلدَ يهوديًا في مجتمعٍ مسيحيٍّ، وَقَدْ تَكَوَّنَتْ آراؤُهُ السياسية مُبَكِّرًا فيما عُرِفَ بالمجتمع اليهوديِّ الثوريِّ في مدينة نيويورك، وكعادة معظم الأقليات اليهودية كان يميل إلى نزعات متطرفة، فَقَدْ كان فَوْضُوياً ثُمَّ أصبح اشتراكياً، ولكنَّ شهرته السياسية جاءت مِنْ نَقْدِهِ اللاذع للسياسة الأمريكية الخارجية ومُناهضته لها^(١). وَمِنْ المقالات السياسية التي انتقدَ فيها سياسة بلاده الخارجية: (مسؤولية المُتَقَعِّين)، و(حَوْل المقاومة)، و(على حدود العصيان المدني)^(٢).

٢. أَهَمُّ مَوْلفَات تشومسكي اللُّغوية:

تتابعتْ كُتُبُ تشومسكي وأبحاثه اللُّغوية، التي طَوَّرَ فيها نظريته، وأَثَرَتْ في اللُّغويِّين، أهمها:

١. البنية المنطقية للنظرية اللُّغوية ١٩٥٥م^(٣)، وهو بحثٌ الدكتوراة:
أشار فيه إلى قضايا التداخل بين الألسنية وعِلْم المنطق الرياضي، وركَّزَ على استقلالية البحث الألسني. ويحاول في هذا الكتاب أن يضع أساليب تقييم القواعد وتفسيرها بحيث تتوافق هذه القواعد مع الأساليب التي تتضمنها النظرية الألسنية العامة^(٤).
وَمَعَ أَنَّ البحثَ كُتِبَ في عام ١٩٥٥م إلا أَنَّهُ نُشِرَ -بَعْدَ عَشْرِينَ عامًا- في ١٩٧٥م، وتعود أسباب عَدَم نُشْرِهِ في عام ١٩٥٥م إلى أَنَّ دار النشر التابعة إلى معهد (ماساتشوستس) التكنولوجي قَدْ رَفَضَتْ نُشْرَ هذا الكتاب بِحُجَّة عدم تناوله قضايا نَهَم الاختصاصيين في مجال البحوث اللُّغوية^(٥)، وهذا الكتابُ غَيَّرَ مُتَرَجِّم.
٢. البنى النُحوية أو "التركييب النُحوية" ١٩٥٧م^(٦):
هو أَوَّلُ كتابٍ أعلن فيه تشومسكي آراءه، وعَرَفَ فيه الباحثين بعض ملامح نظريته الألسنية في دراسة اللغة، التي عُرِفَتْ -فيما بَعْدَ- بالنظرية التوليدية التحويلية^(٧). وَقَدْ تَرجمه للعربية د. يوثيل يوسف عزيز، وطُبِعَ في بغداد عام ١٩٨٧م.

(١) انظر: نظرية تشومسكي اللُّغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٤.

(٢) انظر: مناهج علم اللغة، من هرمان باول إلى ناعوم تشومسكي، تأليف: بريجيت بارتشت، ترجمة: أ. د. سعيد حسن بحيري: ٢٦٧.

(٣) Noam Chomsky (1955): The Logical Structure of Linguistic Theory – New York, London, Plenum 1975.

(٤) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٠-١١.

(٥) انظر: السابق: ١١-١٢.

(٦) Noam Chomsky (1957): Syntactic structures, The Hague, Paris 1976.

(٧) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١١.

تناول هذا الكتاب قضايا ذات أهمية، منها^(١):

أ. الدعوة إلى أن يُغيّر العالم اللُّغويّ هَدَفَهُ مِنْ وَصْفِ اللُّغَةِ وَصْفًا مَحْصًا -كَمَا كَانَ مشهورًا في مدرسة بلومفيلد- إلى هَدَفٍ تفسيريها، وتحليل تراكيبيها البنيوية، وتحوّلها مِنْ بنية إلى بنية أخرى بالاستناد إلى حَدْسِ الْمُتَكَلِّمِ، ومعرفته الضمنية بقواعد لُغَتِهِ.
ب. محاولة صوغ قواعد لُغوية بمقدورها إنتاج الجُمْل الصحيحة، ويرى تشومسكي أن النظرية اللغوية الصحيحة هي التي تُحَلِّل مقدرة المُتَكَلِّم على إنتاج الجُمْل -التي لَمْ يَسْمَعْهَا مِنْ قَبْلُ- وَعَلَى أَنْ يَفْهَمَهَا. كَمَا يَرى أَنَّ عَمَلَ اللُّغويّ يقتصر على صوغ قواعد وقوانين بمقدورها تيسير ذلك على مُتَكَلِّمِ اللُّغَةِ.

ت. الحديث عن قواعد عامّة تُسَمَّى في النظرية اللغوية بـ "القواعد"؛ أي: قواعد اللغات الطبيعية عامّة.

ث. التركيز على عِلْمِ التراكيب، والدعوة إلى استقلالية المستوى التركيبي عن المستويات الأخرى، كالمستوى الصرفي، والمستوى الصوتي من جهة، والمستوى الدلالي من جهة أخرى.

ج. قارَن تشومسكي - مِنْ خلال بحثه عن أساليب تقييم القواعد الأكثر ملاءمة للمعطيات اللغوية- بَيْنَ ثَلَاثِ قَوَاعِدَ شكلية، هي: (القواعد المحددة الحالات، والقواعد الرُّكنية، والقواعد التحويلية)^(٢)، وأكَّد أَنَّ الأخيرة هي القادرة على وَصْفِ اللُّغَةِ، وتفسير معطياتها.

٣. السُّبُل الشائعة في النظرية الألسنية ١٩٦٤م^(٣):

أظهر فيه تشومسكي التمايز بين النظرية التحويلية عن النظرية البنيوية، وانتقد فيه أساليب التحليل المستخدمة في دراسة اللغة آنذاك^(٤).

٤. ملامح النظرية التركيبية أو "جوانب مِنْ نظرية النُّحُو" ١٩٦٥م^(٥):

^(١) الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٢-١٣، وانظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، (رسالة دكتوراة)، إعداد: حمدان رضوان أبو عاصي: ٥-٦.

^(٢) انظر تفاصيل القواعد الثلاث في: المبحث الثالث مِنَ الفصل الثالث في الباب الأول، مِنْ هذا البحث، ص: ١٤٢-١٥٢، وانظر أيضًا: اللغة والمسؤولية، نعم تشومسكي، ترجمة: د. حسام البهنساوي: ٤٣-٤٦.

^(٣) Noam Chomsky (1964): Current Issues in Linguistic theory: The Hague, Mouton 1975.

^(٤) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، (رسالة دكتوراة)، إعداد: حمدان رضوان أبو عاصي: ٦.

^(٥) Noam Chomsky (1965): Aspects of the theory of syntax: Cambridge, Mass, The M. I. T. Press, 1998.

يُعَدُّ أَوَّلُ كِتَابٍ لِتَشُومسكي يُنَشَرُ فِي دَارِ نَشْرِ أَمْرِيكية، عَرَضَ فِيهِ أَهَمُّ آرَاءِ النُّظَرِيَّةِ التَّحْوِيلِيَّةِ، وَلَكِنْ بِصُورَةٍ مُوجِزَةٍ، وَقَدْ مَيَّزَ فِيهِ تَشُومسكي بَيْنَ (الْكَفَاءَةِ اللُّغَوِيَّةِ) وَ(الْأَدَاءِ الْكَلَامِيِّ) بِصُورَةٍ جَلِيَّةٍ، رَكَّزَ فِيهِ عَلَى مَفْهُومِ (أَصُولِيَّةِ الْجُمْلَةِ) وَمَيَّزَهُ عَنِ مَفْهُومِ (مَقْبُولِيَّةِ الْجُمْلَةِ). كَمَا اسْتَعْمَلَ -لأَوَّلَ مَرَّةٍ- مُصْطَلَحِي (الْبُنْيَةِ الْعَمِيقَةِ) وَ(الْبُنْيَةِ السُّطْحِيَّةِ)، وَسَمَّى نَظَرِيَّتَهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ بِـ "النُّظَرِيَّةِ النَّمُوذَجِيَّةِ"^(١). وَتَرَجَمَ الْكِتَابَ مَرْتَضَى جَوَادُ بَاقِرٍ، تَحْتَ عُنْوَانِ (جَوَانِبُ مِنْ نَظَرِيَّةِ النُّحُو)، وَطُبِعَ فِي الْعِرَاقِ عَامَ ١٩٨٥م.

٥. الأَلْسَنِيَّةُ الدِّيكَارْتِيَّةُ أَوْ عِلْمُ اللُّغَةِ الدِّيكَارْتِي "فَصْلٌ فِي تَارِيخِ الْفِكْرِ الْعَقْلِيِّ" ١٩٦٦م^(٢):
تَنَاقُلُ فِيهِ تَشُومسكي الْفِكْرَ الْعَقْلِيَّ وَالْمَخَطَّطَاتِ الذَّهْنِيَّةَ الْأَسَاسِيَّةَ الَّتِي يَفْرَضُهَا الْعَقْلُ عَلَى عَمَلِيَّةِ تَحْلِيلِ الْمَعَانِي وَعَلَى عَمَلِيَّةِ اكْتِسَابِ الطِّفْلِ لِلُّغَةِ مِنْ خِلَالِ الْمَعْطِيَّاتِ الْمَتَوَقَّعَةِ لِلتَّحْلِيلِ. وَيُظْهِرُ فِي الْكِتَابِ تَقَارُبَ نَظَرِيَّتِهِ مَعَ الْآرَاءِ الْفَلَسَفِيَّةِ الْعَقْلِيَّةِ كَأَرَاءِ دِيكَارْتِ. وَأَشَارَ -مِنْ خِلَالِ تَحْلِيلِهِ لآرَاءِ الْفَلَسَافَةِ الْعَقْلِيَّةِ- إِلَى الْأَبْعَادِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي تَقُومُ عَلَيْهَا الْأَلْسَنِيَّةُ التَّوَلِيدِيَّةُ التَّحْوِيلِيَّةُ^(٣). وَهُوَ كِتَابٌ غَيْرُ مُتَرَجِّمٍ.

٦. الْأَنْمَاطُ الصَّوْتِيَّةُ فِي اللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ ١٩٦٨م^(٤):
أَلْفَهُ تَشُومسكي بِالِاشْتِرَاكِ مَعَ اللُّغَوِيِّ (مُورِيسْ هَالِي)، تَتَّابَعًا فِيهِ فُونُولُوجِيَا^(٥) اللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ، وَالْفَرَضِيَّاتِ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي تَنْتَلِقُ مِنْهَا دَرَاةُ الْأَصْوَاتِ اللُّغَوِيَّةِ فِي اللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ، كَمَا تَتَّابَعًا النَّظَرِيَّةِ الْفُونُولُوجِيَّةِ التَّوَلِيدِيَّةِ التَّحْوِيلِيَّةِ^(٦). وَهَذَا الْكِتَابُ غَيْرُ مُتَرَجِّمٍ.

٧. اللُّغَةُ وَالْعَقْلُ أَوْ اللُّغَةُ وَالْفِكْرُ ١٩٦٨م^(٧):
عَرَضَ فِيهِ تَشُومسكي مَجْمَلَ أبحاثِهِ بِصُورَةٍ مُوجِزَةٍ، وَاحْتَوَى الْكِتَابُ عَلَى ثَلَاثِ مُحَاضَرَاتٍ كَانَتْ قَدْ أَلْقَاهَا فِي جَامِعَةِ (بِرْكَلِي) سَنَةَ ١٩٦٧م، تَتَنَاقُلُ أَثَرُ عِلْمِ اللُّغَةِ

(١) انظر: مقدمة مرتضى جواد باقر لترجمته كتاب "جوانب من نظرية النحو، لتشومسكي": ١٢-٢٢.

(٢) Noam Chomsky (1966): Cartesian Linguistics: A chapter in History of Rationalist thought, New York and London, Harper Row, 1969.

(٣) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٩-٢٠.

(٤) Noam Chomsky and M. Halle (1968): The sound pattern of English, New York and London, Harper Row, 1973.

(٥) أي: علم الأصوات اللغوية "النُطْقِيَّاتِ" Phonology.

(٦) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٢٠.

(٧) Noam Chomsky (1964): Language and mind: New York, Harcourt Brace Jevanovich, 1968.

- الحديث في الفكر الإنساني^(١). وَقَدْ تَرَجَمَتْهُ للعربية الباحثة العراقية: بَيْدَاء العلكاوي، وَطُبِعَ في العراق عام ١٩٩٦م تحت عنوان "اللغة والعقل".
٨. مسائل المعرفة والحرية ١٩٧١م^(٢):
- احتوى الكتاب على المحاضرتين اللَّتَيْنِ ألقاهما تشومسكي في ذكرى الفيلسوف الإنجليزي (برتراند راسل Bertrand Russell ١٨٧٢-١٩٧٠م)^(٣). وَقَدْ حَلَّلَ تشومسكي - في هذا الكتاب - القضايا الفكرية المرتبطة ببعض المسائل التي أثارها كتابات الفيلسوف (راسل)، مثل: آراء (راسل) المتعلقة باللغة، والحرية، والطبيعة البشرية^(٤).
٩. دراسات الدلالة في القواعد التوليدية ١٩٧٢م^(٥):
- عالج تشومسكي - في هذا الكتاب - بعض المآخذ التي اعترت نظريته مع تركيزه على الجانب الدلالي، وَقَرَّرَ فيه أَنَّ الدلالة يَتِمُّ تحديدها في البنية العميقة وبعض القواعد التحويلية "مراحل التحويل إلى البنية السطحية"، وكان قَدْ رَأَى - في السابق - أَنَّها تقتصر على البنية العميقة فقط^(٦). وهذا الكتاب غير مترجم.
١٠. تأملات حول اللغة ١٩٧٥م^(٧):
- أثار تشومسكي في هذه التأملات مسائل دراسة اللغة، وما تتضمنه هذه الدراسة؛ فيتساءل: كيف بإمكان الإنسان اكتساب اللغة؟ وَرَكَّزَ - في كتابه هذا - عَلَى أَنَّ نُمُو اللغة عند الإنسان شبيهة نوعاً ما بِنُمُو الجهاز الجسمي عنده^(٨). وهو كتاب غير مترجم.

(١) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٢١. وقد ترجم د. ميشال عنوان كتاب تشومسكي Language and mind باسم: اللغة والفكر.

(٢) Noam Chomsky (1971): Problems of Knowledge and Freedom, New York, Basic Books, 1971.

(٣) فيلسوف وعالم رياضيات إنجليزي، حصل على جائزة نوبل للأدب سنة ١٩٥٠م، مِنْ مؤلفاته المتنوعة: "مسائل الفلسفة"، و"مستقبل العلوم". انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٢١.

(٤) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٢١.

(٥) Noam Chomsky (1972): Studies on semantics in generative grammar, The Hague Mouton, 1975.

(٦) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٢١-٢٢.

(٧) Noam Chomsky (1975): Reflections on language, New York, Pantheon, 1977.

(٨) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٢١-٢٢.

١١. دراسات في الشكل والتفسير ١٩٧٧م^(١):

أجرى تشومسكي - في كتابه هذا- بعض التعديلات فيما يختص بقواعد التفسير الدلالي، فأشار إلى نوعين من قواعد التفسير الدلالي، هما^(٢):

أ. قواعد التفسير الدلالي التي هي جزء من قواعد الجملة، والتي تتناول مظاهر موضوع الكلام، ومظاهر التكرار؛ فتكوّن الشكل المنطقي.

ب. قواعد التفسير الدلالي التي يتم إجراؤها على الأشكال المنطقية والتي تتداخل مع بقية البنى التركيبية.

وهذا الكتاب غير مُترجم أيضاً.

١٢. اللغة والمسؤولية ١٩٧٩م^(٣):

توزّع الكتاب في قسمين رئيسيين، هما: علّم اللغة والسياسة، والنحو التوليدي. جمّع تشومسكي -في القسم الأول من الكتاب- بين اللغة والسياسة، وأجاب عن سؤال يتبادر إلى الذهن هو: ما علاقة اللغة بالسياسة؟ كما خصّص تشومسكي -في هذا القسم- دراسة الأصول الفلسفية والمناهج العلمية اللغوية التي أفادت منها النظرية التوليدية التحويلية، وتناول في القسم الثاني من كتابه الحديث عن القواعد التوليدية التحويلية^(٤). وقد تَرَجَمَ الكتاب للعربية د. حسام البهنساوي، وطُبِعَ في القاهرة عام ٢٠٠٥م.

١٣. المعرفة اللغوية "طبيعتها، وأصولها، واستخداماتها" ١٩٨٦م^(٥):

عرّض تشومسكي -في هذا الكتاب- أحدى صور تطوّر نظريته اللغوية، وهي الصورة المعروفة باسم "نظرية الربط العاملي"، وترتبط هذه الصورة بالصورة الأقدم للتفكير التحويلي، كما عرّض تصوّراً واقعياً للنحو الكلي، وبيّن دوره في تصوّر الأنحاء الخاصة باللغات المختلفة^(٦). وتَرَجَمَ الكتاب للعربية د. محمّد فتيح، وطُبِعَ في القاهرة عام ١٩٩٣م.

^(١) Noam Chomsky (1977): Essays on Form and Interpretation, Elsevier, north Holland Inc, 1980.

^(٢) انظر: الأسنوية التوليدية والتحويلية (النظرية الأسنوية)، د. ميشال زكريا: ٢٣.

^(٣) Noam Chomsky (1979): Language and Responsibility, Pantheon, January, 1979.

^(٤) انظر: مقدمة المُترجم د. حسام البهنساوي، لكتاب "اللغة والمسؤولية" لتشومسكي: ٩-١١.

^(٥) Noam Chomsky (1986): Knowledge of language: Its Nature, origin and use, 1986.

^(٦) انظر: تمهيد المُترجم د. محمّد فتيح، لكتاب "المعرفة اللغوية"، لتشومسكي: ٦.

١٤. بُنيان اللغة ٢٠٠٦م^(١):

هذا الكتاب عبارة عن محاضرة ضمن مجموعة محاضرات ألقاها تشومسكي في يناير ١٩٩٦م في جامعة ديلهي بالهند، وكانت هذه المحاضرة حول (اللغة والذهن)، فالكتاب تفريغ نصي لهذه المحاضرة، يتحدث عن مجال اللسانيات، واكتساب اللغة، ونظرية اللغة. وأُصدِرَ الكتاب في ٢٠٠٦م^(٢). وقد قام بترجمته إبراهيم الكلثم، وطُبِعَ في بيروت، عام ٢٠١٧م.

أما المقالات اللغوية فلتشومسكي مجموعة من أبرزها^(٣):

١. البنى المنطقية في اللغة ١٩٥٦م.

٢. اللغات المحدودة الحالات ١٩٥٨م، بالاشتراك مع جورج أرميتاج ميلر George A. Miller^(٤).

٣. بعض الخصائص الشكلية للقواعد ١٩٥٩م.

المطلب الثالث: موقف تشومسكي من المدرسة الوصفية البنيوية:

بنى تشومسكي نظرية لغوية جديدة، رَفَضَ -من خلالها- أغلب المبادئ التي اتَّكَأَتْ عليها المدرسة البنيوية الوصفية، وأَخَذَ عليها طائفة من المآخذ، أهمّها^(٥):

^(١) Noam Chomsky (2006): The Architecture of language, Oxford University Press, June, 2006.

^(٢) انظر: مقدمة المُترجم إبراهيم الكلثم لكتاب "بُنيان اللغة" لتشومسكي: ٧-١٤.

^(٣) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٦.

^(٤) جورج أرميتاج ميلر: أحد مؤسسي علم النفس المعرفي "الإدراكي"، وله إسهامات في علم اللغة النفسي، وُلِدَ في ١٩٢٠م، ومات سنة ٢٠١٢م. انظر: ويكيبيديا - الموسوعة الحرة، على الشبكة العنكبوتية "الإنترنت" (١٤/٨/٢٠٢٠م)، رابط الموقع: <https://ar.wikipedia.org/wiki/>، الاسم: (جورج أرميتاج ميلر

George A. Miller)، وقد اطلعتُ عليه يوم الأحد ١٣/٩/٢٠٢٠م، الساعة ٦:٣٠ مساءً.

^(٥) انظر هذه المآخذ في: جوانب من نظرية النحو، لتشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر: ١١ و ٢٨-٣٠، وأضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف خرما: ٩٢، والنحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١١٣، والألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، د. ميشال زكريا: ١٥٧-١٥٩، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٢ و ٢٦-٢٧، وقضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، د. مازن الوعر: ١٠٧-١١٠، والمدخل إلى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب: ١٨٧-١٨٨، والتفكير اللغوي بين القديم والجديد، د. كمال بشر: ٤١ و ١٢٦، وفي اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، د. خليفة بوجادي: ٣٥-٣٦، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، (رسالة دكتوراة)، إعداد: حمدان رضوان أبو عاصي: ٨-٩.

١. لم تتجاوز البنيوية الوصفية مرحلة الوصف للغة، حيث اقتصرَت على وصف اللغة دون الانتقال إلى تفسيرها؛ فالمنهج الوصفي لا يهتم بالجانب التفسيري في التحليل اللغوي، ومن ثم لا يستطيع أن يُميِّز الصحيح من غيره في الاستخدام اللغوي؛ لأنه غالبًا ما يكتفي بوصف ما لديه من مادة، لكن النظرية التوليدية التحويلية نظرية تفسيرية لا تكتفي بالوصف، يقول تشومسكي: "يمكن أن نقول: إنَّ النحو الذي يقترحه اللغوي هو نظرية تفسيرية تُقدِّم تفسيرًا لحقيقة أن متكلم اللغة المقصود سيفهم، أو يُفسَّر، أو يصوغ، أو يستعمل تعبيرًا معينًا بطرق معينة وليس بطرق أخرى، كما يمكن البحث عن نظريات تفسيرية أكثر عمقًا فالتكلم الأصلي يكتسب نحوًا معينًا على أساس أدلة مقيدة ومشوَّهة، بينما يعتمد النحو على نتائج تجريدية تمتد إلى خارج نطاق الأدلة"^(١).

٢. إنَّ المنهج الوصفي يعتمد على وسائل الاكتشاف، في حين يعتمد المنهج التحويلي على الحدس والتخمين، ثم إجراء الاختبار لتقويم الفروض المتضاربة، بالإضافة إلى أنَّ المنهج الوصفي ينقصه الشمول، ولا يستطيع حصر كلِّ ظواهر اللغة.

٣. إنَّ المنهج الوصفي البنيوي يرى أن لكلِّ لغة بُنيَّتها الخاصة بها، بينما يرى تشومسكي أن اللغات الطبيعية جميعها متشابهة في المستوى العميق، وعلى اللغوي أن يسعى إلى كشف هذه التشابهات الكلية.

٤. إنَّ الدراسة الوصفية للغة في شكل مستويات تُقلِّل من قوة الترابط، في حين يرى تشومسكي أن العلوم اللغوية مجموعة من الأنظمة المترابطة، والنحو بمثابة المركز.

٥. إنَّ المفاهيم التي يركز عليها المذهب السلوكي، مثل: "الحافز، والاستجابة للحافز، وتقوية الحافز، والتعميم" لا فائدة منها في تحليل قسم كبير من القدرات الإنسانية، وبالذات في المجال اللغوي^(٢)؛ حيث يرى أصحاب المدرسة الوصفية البنيوية أن هناك تشابهًا كبيرًا بين لغة الإنسان واستجابات الحيوان، فيرون أن وظيفتهما واحدة، وإن أقرروا بأن لغة الإنسان تمتاز بتفاضلية أكبر. وقد رَفَضَ تشومسكي التسليم بهذا الاتجاه وركز على أن اللغة الإنسانية تختلف بصورة جذرية عن أي تنظيم اتصالي يمكن ملاحظته عند الحيوان، وذهب إلى أن اللغة الإنسانية هي خاصية إنسانية ذاتية، ورَفَضَ -بناءً

(١) اللغة والعقل، لتشومسكي، ترجمة: ببداء العلكاوي: ٣٩-٤٠.

(٢) "يرى بلومفيلد ولفيف من السلوكيين أن اللغة عبارة عن وحدات صوتية تكيفها البيئة ولا دخل للأفكار فيها، فاللغة لا تتعدى في رأيهم شكلًا من أشكال الحافز والاستجابة للحافز، فمتكلم اللغة يسمع جملة أو يشعر بشعور معين فتحصل -عنده- استجابة كلامية، من دون أن ترتبط هذه الاستجابة بشكل من أشكال التفكير. فالاستجابة الكلامية مرتبطة بالحافز ولا تتطلب تدخُّل الأفكار". اللغة والفكر والمعنى، د. محمد بوعمامه، (بحث مُحَكَّم)، مجلة البحوث والدراسات، العدد الرابع، يناير ٢٠٠٧م: ٢٤٤-٢٤٥.

على ذلك - تفسير القدرة اللغوية تفسيراً آلياً؛ أي: إن الوصفية البنيوية تجعل الإنسان يُشَبَّه بالآلة، فاللغة - في نظرهم - أصوات يكيفها حافز البيئة، وهذا ما رفضه تشومسكي، فالحيوان يحاول إيصال نواياه إلى الحيوانات الأخرى عن طريق إصدار بعض الأصوات أو الصرخات، وهي محاولات لا تتخطى - في أفضل الأحوال - نتيجة طارئة لسلوك الحيوان، بمعنى أنَّ إشاراته غير مرتبطة بسلسلة كلامية منتظمة تُعَبِّرُ عن مشاعره وأفكاره وأحاسيسه كما هو موجود في لغة الإنسان.

٦. إنَّ تأثر الوصفية البنيوية بالمنهج السلوكي جعلها تنظر إلى اللغة على أنها سلوكٌ كلامي يتأثر بالعوامل الخارجية المحيطة بالإنسان، فكلُّ نُطقٍ صوتيٍّ للإنسان هو استجابة لمثيرٍ خارجيٍّ مُحيط. بينما تنظر التوليدية التحويلية إلى اللغة على أنها قدرة فطرية مناسبة للإنسان وحده.

٧. يستمدّ المنهج الوصفي البنيوي مادةَ بحثه من النصوص اللغوية، بينما يرى تشومسكي أنَّ يستمد اللغوي مادة بحثه من خلال مساءلةِ حَدْسِ المُتَكَلِّم؛ لأنَّ جُمْلَ اللغة غير متناهية، في حين أنَّ الجُمْلَ في النصوص اللغوية متناهية.

٨. تعتمد النظرية الوصفية البنيوية منهج "الاستقراء"؛ أي: وَصْفُ اللغة انطلاقاً من ملاحظة القضايا اللغوية وتصنيفها واستقصاء قواعدها. بينما ترفض التوليدية التحويلية اتخاذ "الاستقراء" منهجاً في طريقة دراستها؛ لأن هذا الأسلوب تنطلق من الواقع اللغوي إلى النظرية اللسانية، وهذا يعني أنه لا يشرح اللغة من الداخل، بل يصفها وصفاً خارجياً فقط. وَقَدْ اتَّخَذَ تشومسكي منهج "الاستنباط" في دراسة اللغة، وذلك بِوَضْعِ نموذجٍ يُعَسِّرُ القضايا اللغوية التي يمكن ملاحظتها مع دراسة العلاقات القائمة فيما بينها؛ فالنظرية التوليدية التحويلية تبدأ من الذهن البشري إلى الواقع اللغوي - بِعَكْسِ ما يراه الوصفيون - لتلائم بين ما هو ذهني فكري، وما هو واقعي لُغوي.

٩. أَهْمَلَتِ البنيوية الوصفية جانبَ المُتَكَلِّم وقدرته على إنتاج الجُمْلَ على حساب وَصْفِ اللغة ودراسة البنية، بل تكتفي بوصف الكلام وصفاً موضوعياً وتجريبياً، لَكِنَّ تشومسكي قَرَّرَ أَنَّ مُتَكَلِّمَ اللغة هو موضوع الدراسة الألسنية؛ لأنه قادر على إنتاج عَدَدٍ لا متناهٍ من الجُمْلَ، فَهُوَ - عِنْدَهُ - إنسانٌ مُتَكَلِّمٌ مُسْتَمِعٌ مِثَالِي.

١٠. اهْتَمَّتِ البنيوية الوصفية بالظواهر الشَّكْلِيَّةِ وَالْهَيْكَلِيَّةِ الْخَارِجِيَّةِ لِلْبُنْيَةِ وَلَمْ تَجْمَعْ - في الأغلب - بين اللفظ والمعنى، حيث يستبعد كثير من الوصفيين البنيويين "المعنى" من دراسة اللغة استبعاداً كُلِّيًّا، ويهتمون بالشكل الخارجي للغة، بينما يدعو تشومسكي إلى

- الاهتمام بالمعنى في التحليل اللغوي وَعَدَّه أمرًا ضروريًا عند شرح العلاقة بين الجمل ذات المستوى العميق الواحد مع المختلفة في تركيبها ذات المستوى السطحي.
١١. اقتصار المنهج الوصفي البنيوي على الجانب الشكلي في دراسة اللغة أدّى إلى إسقاط "الدلالة"، وقد دعا تشومسكي -في المقابل- إلى الاهتمام بالدلالة.
١٢. يَنْصَبُّ اهتمام اللُّغوي في المنهج الوَصْفِيّ البُنْيَوِيّ أساسًا عَلَى وحدات الجُمْلَة أو أجزائها، فكان تركيز البنيوية على البنية فَقَطْ، وَجَعَلَتْهَا محورَ دراستها اللغوية، بينما يَنْصَبُّ اهتمام اللُّغوي في المنهج التحويلي عَلَى الجملة كوحدةٍ واحدة، فَهُوَ يَبْدَأُ بِالْجُمْلَة أَوَّلًا، ثُمَّ ما يليها، وذلك بعكس المنهج الوصفي البنيوي.
١٣. رَفَضَتِ الوصفيةُ البنيويةُ المنهجَ التاريخيَّ في الدراسة اللغوية، وهذا يُناقِضُ الواقعَ الذي يحكي أَنَّ البنيةَ -التي هي موضوع دراسة البُنْيَوِيِّينَ- تَتَطَوَّرُ دلالاتها مِنْ زَمَنٍ إِلَى آخَرٍ حسب حاجة المجتمعات الناطقة بها.

المبحث الثاني

مفهوم اللغة

المطلب الأول: مفهوم اللغة عند الوصفيين.

المطلب الثاني: مفهوم اللغة عند تشومسكي.

المطلب الثالث: الاتفاق بين الوصفيين والتوليديين.

المبحث الثاني

مفهوم اللغة

اللغة مجموعة من الرموز أو الإشارات يَحْدُثُ بها التواصل الاجتماعي، وبدونها يكون هذا التواصل صَغْبًا أَوْ مُنْعَدِمًا، وَقَدْ عَرَّفَهَا ابْنُ جَنِّي فَقَالَ: "اللغة: أصواتٌ يُعَبَّرُ بها كُلُّ قَوْمٍ عن أغراضهم"^(١)، ووافقه في ذلك ابن منظور^(٢)، والشريف الجرجاني^(٣)، والسيوطي^(٤)، وهو اتفاقٌ على أنَّ مفهوم اللغة عند أغلب القدماء أصواتٌ يَتَوَصَّلُ مِنْ خلالها الْمُتَكَلِّمُونَ إلى مطالبهم وأغراضهم، وَمِنْ ثَمَّ فَهِيَ وسيلةٌ مِنْ وسائلِ التَّوَاصُلِ بينهم، لا يمكن الاستغناء عنها، حيثُ "إنَّ الرَّجُلَ العادي في القديم والحديث على سواء، يستخدم اللغة، ويقضي بها حاجاته، ويصرف بها شؤون حياته، وهو لا يدري طبيعتها، ولا يدري أسرارها، ولا يشغل نفسه بمشكلاتها"^(٥).

فباللغة - بالنسبة للإنسان - أداة تواصله، وتخطبه، وتبادل أحاسيسه وأفكاره، لا تَنفَك عنه، لذلك تحتل في حياتنا منزلة سامية، لا غنى عنها، وَسَاقَتَصِرَ -هنا- على مفهوم اللغة بين الوصفيين والتوليديين التحويليين.

المطلب الأول: مفهوم اللغة عند الوصفيين

١. يرى السيكولوجيون الوصفيون - أمثال: بلومفيلد - أنَّ اللغة عبارة عن "مجموعة من العادات الصوتية تتكيف بمثيرات البيئة"^(٦)؛ فَمُتَكَلِّمُ اللغة - في تقديرهم - حينما يستمع إلى جُمْلَةٍ معينة أو يشعر بدافع معين فإنه تُسْتَنَارُ فيه استجابة كلامية، مِنْ دُونِ أَنْ ترتبط هذه الاستجابة بأي شكلٍ مِنْ أشكال التفكير، بل ترتبط فقط بالمثيرات التي تُحَرِّكُهَا، فلا تَتَطَلَّبُ - مِنْ ثَمَّ - تَدخُّلُ الأفكار الذهنية أو القواعد النحوية؛ أي: لا تَدخُلُ لهذه الأفكار الذهنية أو القواعد النحوية عند أداء المُتَكَلِّمِ للكلام^(٧).

وهذا يدل على أنَّ اللغة - عند الوصفيين - سلوكٌ كلامي يتأثر بالعوامل الخارجية المحيطة بالإنسان؛ فَكُلُّ نَظْمٍ صَوْتِيٍّ لِلإنسان هو استجابة لمثيرٍ خارجيٍّ مُحيط.

(١) الخصائص، لابن جني: ٣٤.

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور: ٢٥١/١٥ - ٢٥٢ (لُغَا).

(٣) انظر: التعريفات، للشريف الجرجاني: ١٩٢ (باب اللام: اللغة).

(٤) انظر: المُرْهَر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي: ١١/١ و ١٦-١٧.

(٥) خاطرات مؤلفات في اللغة والثقافة، د. كمال بشر: ٢٨.

(٦) الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٢٦.

(٧) انظر: السابق: ٢٦.

فَلَا يَرَى الوصفيون - بِنَاءً عَلَى ذلك - اختلافًا كبيرًا بين لغة الإنسان واستجابات الحيوان، بَلْ يَرَوْنَ أَنَّ وظيفَتَهُما واحدة، مَعَ إقرارهم أَنَّ لُغَةَ الإنسان تمتاز بتفاضلية أكبر^(١).

٢. اهتم الوصفيون بالظواهر الشَّكْلِيَّة والهِيكَلِيَّة الخارجِيَّة لِلْبُنْيَةِ، بمعنى أَنَّهُم ينظرون إلى ظاهر اللغة، ويهتمون بالشكل الخارجي لها^(٢)، ويستبعدون "المعنى" من دراستهم للغة استبعادًا كاملاً.

٣. أدى اقتصار الوصفيين على الجانب الشكلي في دراسة اللغة إلى إسقاط "الدلالة"^(٣).

المطلب الثاني: مفهوم اللغة عند تشومسكي

١. يرى تشومسكي أَنَّ هناك اختلافًا واضحًا بين لغة الإنسان والتنظيم الاتصالي عند الحيوانات، فَقَدْ رَفَضَ التسليم بالاتجاه القائل بالتشابه بينهما، وركَّز على أَنَّ اللغة الإنسانية تختلف بصورة جذرية عَنِ أَيِّ تنظيمٍ اتصاليٍّ يمكن ملاحظته عند الحيوان، وَذَهَبَ إِلَى أَنَّ اللغة الإنسانية هي خاصَّة إنسانية ذاتية، وَرَفَضَ -بِنَاءً عَلَى ذلك- تفسير القدرة اللُّغوية تفسيرًا آليًا؛ أَي: إِنَّ الوصفية البنيوية تجعل الإنسان يُشَبَّه بِالآلَةِ، فاللغة -في نظرهم- أصوات يَكيفها حافز البيئة، وهذا ما رفضه تشومسكي، فالحيوان يحاول إيصال نواياه إلى الحيوانات الأخرى عن طريق إصدار بعض الأصوات أو الصرخات، وهي محاولات لا تتخطى -في أفضل الأحوال- نتيجة طارئة لسلوك الحيوان، بمعنى أَنَّ إشارته غير مرتبطة بسلسلة كلامية منتظمة تُعَبِّرُ عن مشاعره وأفكاره وأحاسيسه كَمَا هو موجود في لُغَةِ الإنسان^(٤).

وعن مفهوم اللغة عند تشومسكي قال ميشال زكريا هي: "مجموعة متناهية أو غير متناهية مِنَ الْجُمْلِ كُلِّها متناهية مِنْ حَيْثُ الطُّول، وَمَبْنِيَّةٌ عَنْ طَرِيقِ التَّنَاقُصِ بواسطة مجموعة عناصر متناهية"^(٥).

(١) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٢٦.

(٢) انظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف خرما: ٩٤، والنحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١١٢-١١٣، وفي اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، د. خليفة بوجادي: ٣٥-٣٦.

(٣) انظر: المراجع السابقة، الصفحات نفسها.

(٤) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٢٦-٢٧.

(٥) الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، د. ميشال زكريا: ٨٥.

وَتَنْظُرُ التوليدية التحويلية إلى اللغة على أنها قدرة فطرية مناسبة للإنسان وحده، فَيُفَضَّلُ في التحليل اللساني أَنْ يَصِفَ ويشرح هذه القدرة بوسائل فكرية ونفسية للتعرف إلى طبيعة اللغة ومدى فعاليتها؛ لهذا يَرَى تشومسكي أَنَّ أيَّ منهجٍ يحاول أَنْ يَشْرَحَ القدرة اللسانية للإنسان بمصطلح سلوكيٍّ خارجيٍّ فَقَطْ إنما هُوَ غُبْنٌ وإماتة لِلخَلْقِ اللُّغَوِيِّ اللامتناهي^(١)؛ ذلك لِأَنَّ "أَوْصَحَ ما يَتمَيِّزُ به الإنسان عن غيره مِنْ أنواع الحيوان هو قدرته عَلَى استخدام اللغة لا موهبة الذكاء أو التفكير"^(٢)؛ فاللغة -عِنْدَ تشومسكي- مِيزَةٌ إنسانية ذاتية^(٣).

٢. دعا تشومسكي إلى الاهتمام بباطن اللغة، وانتقدَ اقتصار الوصفين على الجوانب الشكلية من اللغة، فَقَدْ "نَشَأَ تشومسكي وتعلَّم في المدرسة البنوية، لكنه انقلب عليها؛ فانتقدَها لاقتصارها في نظره على الجوانب الشكلية الظاهرة مِنَ اللغة"^(٤). وَعَدَّ تشومسكي "المعنى" في التحليل اللُّغَوِيَّ أمرًا ضروريًّا في شَرْحِ العلاقة بين الجُمْلِ ذات المستوى العميق الواحد، والمختلفة في تركيبها عَلَى المستوى السطحي^(٥)، فَقَدْ يَكُونُ البحث في ظاهر اللغة خداعًا إذا نظرنا إلى المعنى الذي يؤديه التركيب الكلامي؛ فَمِنْ الممكن جِدًّا أَنْ تتشابه جملتان تشابهًا تامًّا مِنْ حيث المظهر أو التركيب الخارجي، بينما تختلفان اختلافًا جذريًّا في المعنى، فلو قلنا مثلًا:

أ. صُرَّاحُ الْمُجْرِمِ لَمْ يُؤْثِرْ فِي النَّاسِ.

ب. عِقَابُ الْمُجْرِمِ لَمْ يُؤْثِرْ فِي النَّاسِ.

فالجملتان مِنْ حيث الشكل الخارجي متشابهتان تمامًا، لَكِنْ المعنيان يختلفان اختلافًا جَذْرِيًّا، فمعنى الجُمْلَةِ الْأُولَى أَنَّ الْمُجْرِمَ هُوَ الْفَاعِلُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يَصْرُخُ، أَمَّا الثَّانِيَةُ فَالْمُجْرِمُ هُوَ الْمَفْعُولُ بِهِ الْحَقِيقِيُّ؛ لَوْقُوعِ الْعِقَابِ عَلَيْهِ^(٦).

٣. أَبْدَى تشومسكي اهتمامه بالدلالة، وَبَيَّنَ أَنَّ العلاقة القائمة بين التحليل اللُّغَوِيَّ والدلالة مسألة تجريبية، وَأَنَّ "أيَّ نظريةٍ لُغَوِيَّةٍ تختبر قيمتها وكفاءتها بمقدار ما تَكُونُ فِيهِ الْبَنَى

(١) انظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، د. مازن الوعر: ١٠٧-١١٠.

(٢) نظرية تشومسكي اللُّغَوِيَّة، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ٣٠.

(٣) انظر: الأسنوية التوليدية والتحويلية (النظرية الأسنوية)، د. ميشال زكريا: ٢٦-٢٧.

(٤) علم اللغة النفسي، د. عبد العزيز العصيلي: ٣١.

(٥) النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١١١-١١٢، والمدخل إلى علم اللغة، د. رمضان عبد التَّوَّاب: ١٨٨.

(٦) انظر: أضواء على الدراسات اللُّغَوِيَّة المعاصرة، د. نايف خرما: ٩٤-٩٥.

والتركيبة التي تُولِّدُها القوانين النحوية أساسًا للتأويل الدلالي؛ أي: إنه يريد أن يكون الوصفُ النحويُّ قادرًا على دعم الوصف الدلالي^(١).

المطلب الثالث: الاتفاق بين الوصفيين والتوليديين

تُؤمِّن المدرستان - الوصفية والتوليدية - أن "اللغة عبارة عن نظام يتكوَّن من عدة نُظُم"^(٢)، وهذه النُظُم عبارة عن مجموعة من العلامات أو الرموز يقوم الإنسان بنُطقها، وذلك عندما تتكوَّن أولًا من أصوات تُحدِّثها أعضاء النطق الإنساني ثم تُدرِكها الأذن. وهذه الأصوات تتركب بطريقة اصطلاحية في وحدات ذات دلالات تُسمِّيها الكلمات والجُمَل، وكل ذلك يُشكِّل في النهاية الاهتمام بدراسة اللغة الإنسانية بمستوياتها المتعددة: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، مع أن جميعها ذات وجود مستقل، لكنها تُصَبَّ في النهاية في نظام واحد متكاملٍ متناسِقٍ هو ما نُسَمِّيهِ النظام اللُّغوي^(٣).

جدول مختصر لتوضيح الفروق بين المنهج التوليدي والمنهج الوصفي:

بعد معرفة مأخذ المدرسة التوليدية التحويلية على المدرسة الوصفية البنيوية، والتعرف إلى رؤية كلتيهما للغة؛ فإنَّ الجدول الآتي يساعد على توضيح الفروق بينهما^(٤):

م.	المنهج الوصفي البنيوي	المنهج التوليدي التحويلي
١	منهج وصفي.	منهج نظري تفسيري.
٢	يرتكز على الاستقراء ^(٥) .	يرتكز على الاستنتاج الاستنباطي ^(٦) .
٣	ينطلق من البنية.	ينطلق من الجملة "القول، العبارة".

(١) مقدمة مرتضى جواد باقر لترجمته كتاب: جوانب من نظرية النحو، لنعوم تشومسكي: ١١.

(٢) نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ٦٤ (الحاشية).

(٣) انظر: نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ٦٤ (الحاشية).

(٤) انظر: اللغة والمسؤولية، نعوم تشومسكي، ترجمة: د. حسام البهنساوي: ٦٥-٦٧، واللغة ومشكلات المعرفة، نعوم تشومسكي، ترجمة: د. حمزة بن قبلان المزيني: ١٢١-١٢٣، ونظرية تشومسكي التحويلية التوليدية - الأسس والمفاهيم، (بَحْثٌ مُحْكَمٌ)، د. مختار درقاوي، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب والفلسفة، العدد الثالث عشر، ٢٠١٥م: ٥.

(٥) تبدأ الوصفية البنيوية من البنية "الواقع اللُّغوي" إلى الذَّهن البَشَري "المنتج للغة".

(٦) تبدأ التوليدية التحويلية من الذَّهن البَشَري في إنتاج اللغة إلى الواقع اللُّغوي.

٤	يُغْنَى بالبناء السطحي للكلام.	يُغْنَى بالعمليات الداخلية التي تسبق الكلام.
٥	نزعتة تجريبية.	نزعتة ذهنية "عقلية".
٦	اللغة آليّة.	اللغة عملية إبداعية حيوية.
٧	الغرض منه: وَصَفُ الوحدات اللسانية وتصنيفها إلى: (مورفيمات ^(١)) - فونيمات ^(٢) .	الغرض منه: تفسير الآلية الكامنة في الذهن، والقادرة على توليد عدد غير محدود مِنَ الجُمَل.
٨	إهمال الدور الإيجابي للمُتَكَلِّم وإقصاؤه.	الاهتمام بالخلق اللُّغَوِيّ اللامتناهي للمتكلّم.
٩	الانطلاق في تحليل اللغة مِنْ مُدَوَّنَة Corpus ^(٣) .	الانطلاق في تحليل اللغة مِنْ حَدْسِ المُتَكَلِّم لنحوية الجُمَلَة.

(١) المورفيم Morpheme: أصغر وحدة لغوية مُجَرَّدة تَحْمِلُ مَعْنَى، تُستخدم في بعض اللغات في سياق محدّد، كالعدد مثلاً الذي يشير إلى الفئة الدلالية لمُفْرَدَةٍ. انظر: اللغة وعِلْمُ اللغة، جون ليونز، ترجمة وتعليق: مصطفى التوني: ١٦٦-١٦٨، ومناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان: ١٧٠-١٧٣، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عُمَر: ١٣٢٥/٢. فمثلاً كلمة (المُعَلِّمُون) تتكوّن مِنْ عددٍ مِنَ المورفيمات، هي: (ال) التعريف، (علم) مورفيم معجمي يدل على العِلْمِ، و(مُعَلِّم) اسم فاعل، و(الواو والنون) مورفيم يدل على الجَمْع والإعراب.

ويرى آخرون أن الكلمة - في ملف القانون المعياري- هي نَفْسُهَا ما تُطْلَقُ عليه اللسانيات الحديثة (المورفيم) الذي تتشكل منه التراكيب اللغوية. انظر: المعجم المعياري لشبكات الفصائل النحوية، أ. د. عبد القادر عبد الجليل: ٧٢.

(٢) الفونيم Phoneme: وحدة الكلام الصُّغْرَى التي تساعد على تمييز نُطْقٍ لفظية عن نُطْقٍ لفظية أخرى، أو هي الوحدة الصوتية المُمَيَّزَة للمعنى. انظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان: ١٢٥-١٣١، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عُمَر: ١٧٥٥/٣. فالفونيم أصغر وحدة صوتية لأيّ لغة، لَكِنْ لا قيمة لها أو وظيفة إلّا القيمة أو الوظيفة الصوتية في تمييز المعنى، فإذا اسْتُبْدِلَ فونيم مكان فونيم آخَرِ أدّى ذلك إلى تغيير في المعنى، مثل: السين والرّاي في: سَال، زَالَ.

(٣) المُدَوَّنَة اللُّغَوِيَة Linguistic Corpus وتُترجم أيضًا إلى Linguistic Blog: هي مجموعة من النصوص اللغوية الشفهية أو المكتوبة الموثقة، من حيث المصدر والتاريخ والنوع كحدّ أدنى، وقد تكون المدونة يدوية أو مُحَوَّسَة، ويمكن تعريفها بأنها: مجموعة مِنْ نصوص اللغة الطبيعية. انظر: المُدَوَّنَات اللغوية العربية، لمجموعة مِنَ المُخْتَصِّين: ١٩-٢١.

١٠	اختزال افتراض العموميات والاختصار على وَصْفِ الصِّيغِ الملاحظة من خلال الفئات والأقسام الخاصة بكل لغة.	البحث عما هو مشترك في كل اللغات (الكليات اللغوية)، من خلال تفسير العمليات الداخلية.
١١	يَهْتَمُ بمظهر اللغة (السلوكي).	يَهْتَمُ بمظهر اللغة الحركي داخل ذهن المتكلم.
١٢	يحاول الإجابة عن سؤال: ما هي اللغة؟	يحاول الإجابة عن سؤال: كيف يتم إنتاج اللغة وإبراز المعنى؟

يَتَبَيَّنُ - مِنْ مَجْمُوعِ الآرَاءِ السَّابِقَةِ الَّتِي دَعَتْ لَهَا التَّوْلِيدِيَّةُ التَّحْوِيلِيَّةُ - أَنَّ آرَاءَهَا تُعَدُّ الْأَكْثَرُ مُوَافِقَةً مَعَ طَبِيعَةِ اللُّغَةِ، فَتَهْدَفُ هَذِهِ الْمَدْرَسَةُ إِلَى تَقْدِيمِ تَفْسِيرٍ يُوَضِّحُ الْقُدْرَةَ الْكَامِنَةَ خَلْفَ الْفِعْلِ اللَّسَانِيِّ.

المبحث الثالث

النحو التوليدي عند تشومسكي

المطلب الأول: الفرق بين التوليد والتحويل في نظرية تشومسكي
المطلب الثاني: مميزات القواعد التوليدية التحويلية وخصائصها
المطلب الثالث: آراء نقدية حول النحو التوليدي

المطلب الأول: الفرق بين التوليد والتحويل في نظرية تشومسكي

استطاع تشومسكي أن يقوم ببناء نظرية لغوية علمية، هي النظرية التوليدية التحويلية Transformational Generative Grammar، التي يرمز لها بالحرفين (T. G.). إنَّ النظرية التوليدية التحويلية تقوم على مبدئين كبيرين، لهما وجود في اللغات الإنسانية كافة، هما: التوليد، والتحويل، وبهما سُميت النظرية^(١).

والسؤال هنا: ما الذي قصده تشومسكي بمصطلح التوليد Generative، وبمصطلح التحويل Transformational؟

القواعد التوليدية Generative Grammar هي: "نظام من القوانين تتعاهد وصف تركيب جمل لغة ما، بطريقة غاية في الوضوح، وهذا الوضوح هو المزية الرئيسة لمثل هذه القواعد"^(٢).

وقد يتبادر إلى الذهن أن المقصود بكلمة (التوليد) هنا هو الإنتاج المادي للجمل^(٣)، وهذا ليس المراد، ولكن المقصود "بكلمة توليد المعنى نفسه، الذي نقصده حين نتكلم عن الآلة الحاسبة على سبيل المثال"^(٤)؛ أي: "أن يكون للقواعد القدرة الذاتية على تمييز الجمل الصحيحة من سواها، وبعبارة أخرى: كل تتابع كلمات يتمشى مع قوانين القواعد يكون جملة، وإلا فليس بجملة"^(٥). بمعنى أن التوليد هو القدرة على إنتاج عدد لا يحصى من الجمل، تبعاً لقواعد اللغة؛ للتمييز بين الجمل الصحيحة من غيرها.

ومن تعريفات التوليد: "انبثاق تركيب أو مجموعة من التراكيب، من جملة هي الأصل، وتسمى الجملة الأصل بالجملة التوليدية. وأهم وصف للجملة التوليدية أنها: الجملة التي تؤدي معنى مفيداً، مع كونها أقل عدداً ممكناً من الكلمات، ومع كونها أيضاً خالية من كل ضروب التحويل"^(٦).

ومن التعريفات الدقيقة للنحو التوليدي أنه: "مجموع القواعد التي من شأنها أن تقدم وصفاً واضحاً لكل البنى، ولا شيء غير بنى جمل اللسان، يسمى كل نحو توليدياً، حال ما تصاغ قواعده صياغة صحيحة، فتكون قادرة على توليد عدد لا نهائي من الجمل الممكنة بصورة آلية، وذلك انطلاقاً من عدد محدود من الوحدات والآليات البسيطة. تتبلور صياغة قواعد

(١) انظر: اللسانيات - المجال، والوظيفة، والمنهج، أ. د. سمير شريف إستيتية: ١٧٨.

(٢) قواعد تحويلية للغة العربية، د. محمد علي الخولي: ٢٣.

(٣) انظر: قواعد تحويلية للغة العربية، د. محمد علي الخولي: ٢٣.

(٤) الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٠٢.

(٥) قواعد تحويلية للغة العربية، د. محمد علي الخولي: ٢٣.

(٦) اللسانيات - المجال، والوظيفة، والمنهج، أ. د. سمير شريف إستيتية: ١٧٨.

النحو وَفَقْ حُدُوسِ الْفَاعِلِينَ الْمُتَكَلِّمِينَ، كَوْنُهُمْ مُزَوَّدِينَ بِأَحْكَامٍ لِلْمَقْبُولَةِ تَسْمَحُ لَهُمْ بِالْتَّمِيزِ بَيْنِ الْبَنَى الَّتِي تُمَثِّلُ جُمْلًا دَاخِلَ اللِّسَانِ، وَالْبَنَى الَّتِي لَا تَرْقَى لِمَثَلِ هَذَا الدَّورِ"^(١).

يُعَدُّ التَّعْرِيفُ الْأَخِيرُ دَقِيقًا شَامِلًا؛ لِأَنَّهُ يَرَى فِي التَّوْلِيدِ إِنْتَاجَ عَدَدٍ لَا مَحْدُودَ مِنَ الْجُمَلِ انْطِلَاقًا مِنْ عَدَدٍ مِنَ الْمَفْرَدَاتِ مَحْدُودٍ، مَعَ تَمْيِيزِهِ بَيْنَ الْجُمَلِ الْمَقْبُولَةِ وَغَيْرِ الْمَقْبُولَةِ، وَقَدْ جَعَلَ التَّعْرِيفُ التَّوْلِيدَ مِنَ الْيَمِينِ إِلَى الْيَسَارِ أَوْ الْعَكْسَ، بِمَعْنَى أَنَّهُ يَنْطَبِقُ عَلَى جَمِيعِ اللُّغَاتِ. فَنَظَرِيَّةُ تَشُومسْكِي قَائِمَةٌ عَلَى مَبْدَأٍ "لَا نِهَائِيَّةَ اللُّغَةِ"؛ أَيُّ: كَيْفَ تُنْتِجُ اللُّغَةُ جُمْلًا لَا حَدَّ لَهَا مِنْ عَنَاصِرٍ لُغَوِيَّةٍ مَحْدُودَةٍ؟"^(٢).

أَمَّا الْقَوَاعِدُ التَّحْوِيلِيَّةُ Transformational Grammar فَهِيَ: "أَيَّةُ قَوَاعِدَ تُعْطِي لِكُلِّ جُمْلَةٍ فِي اللُّغَةِ تَرْكِيبًا بَاطْنِيًّا، وَتَرْكِيبًا ظَاهِرِيًّا، وَتَرْبِطُ بَيْنَ التَّرْكِيبَيْنِ بِنِظَامٍ خَاصٍّ، يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ قَوَاعِدُ تَحْوِيلِيَّةٍ، وَلَوْ لَمْ تَصِفْ نَفْسَهَا بِهَذَا الْوَصْفِ"^(٣)؛ أَيُّ: مَفْهُومُ التَّحْوِيلِ فِي الْمَنْهَجِ التَّوْلِيدِيِّ يَقُومُ عَلَى تَحْوِيلِ جُمْلَةٍ مَا مِنَ الْمَسْتَوَى الذِّهْنِيِّ "الْعَمِيقِ" إِلَى الْمَسْتَوَى الظَّاهِرِ "السطحي"، وَبِنَاءٍ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُمْكِنُنَا أَنْ نَحْصَلَ عَلَى عَدَدٍ لَا نِهَائِيَّ مِنَ الْبَنَى اللَّغَوِيَّةِ السُّطْحِيَّةِ مُتَدَقِّقَةً مِنْ عَدَدٍ مَحْدُودٍ مِنَ الْبَنَى الذِّهْنِيَّةِ الْعَمِيقَةِ.

فَالْتَّحْوِيلُ - فِي أَبْسَطِ تَعْرِيفَاتِهِ - هُوَ: "تَحْوِيلُ جُمْلَةٍ إِلَى أُخْرَى، أَوْ تَرْكِيبُ إِلَى آخَرٍ، وَالْجُمْلَةُ الْمُحَوَّلُ عَنْهَا هِيَ مَا يُعْرَفُ بِالْجُمْلَةِ الْأَصْلِ. وَالْقَوَاعِدُ الَّتِي تَتَحَكَّمُ فِي تَحْوِيلِ جُمْلَةٍ الْأَصْلِ "الْبَنِيَّةِ الْعَمِيقَةِ" هِيَ الْقَوَاعِدُ التَّحْوِيلِيَّةُ"^(٤).

(١) المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ماري نوال غاري بريور، ترجمة: عبد القادر فهدم الشيباني: ٥٧-٥٨.

(٢) انظر: قراءة في كتاب المدارس اللسانية للدكتور أحمد عزوز، (بحث مُحَكَّم)، مجلة مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِدَمَشَقِ، المجلد ٨٧، الجزء الرابع، د. إبراهيم عطية: ١١٤٥، واللسانيات - المجال، والوظيفة، والمنهج، أ. د. سمير شريف إستيتية: ١٧٨.

(٣) قواعد تحويلة للغة العربية، د. محمد علي الخولي: ٢٢.

(٤) مِنَ الْأَنْمَاطِ التَّحْوِيلِيَّةِ فِي النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ، د. مُحَمَّدٌ حَمَاسَةٌ عَبْدُ الْلطِيفِ: ١٣.

عَرَفَ د. نعمان بوقرة القواعد التحويلية أنها: "جهاز يحتوي على أبجدية رموز هي بمثابة مُعْجَمِهِ، فمستخدمُ اللُّغَةِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْهَمَ جُمْلًا وَتَعْبِيرَاتٍ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ أَنْ سَمِعَهَا، وَأَبْسَطُ النَّمَاذِجِ الَّتِي عَرَضَهَا تَشُومسْكِي لِهَذِهِ الْقَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ الْمَحْدُودَةِ، وَهُوَ يَقُومُ عَلَى مَبْدَأٍ أَنَّ الْجُمْلَةَ تُؤَلَّدُ عَنْ طَرِيقِ سُلْسَلَةٍ مِنَ الْاِخْتِيَارَاتِ، تَبْدَأُ مِنَ الْيَسَارِ إِلَى الْيَمِينِ، بِمَعْنَى بَعْدِ الْاِنْتِهَاءِ مِنَ اخْتِيَارِ الْعَنْصَرِ الْأَوَّلِ؛ فَإِنْ كُلُّ اخْتِيَارٍ يَأْتِي عَقِبَ ذَلِكَ يَتَرَبَّطُ بِالْعَنَاصِرِ الَّتِي سَبَقَ اخْتِيَارَهَا مَبَاشَرَةً، وَبِنَاءٍ عَلَى ذَلِكَ يَجْرِي التَّرْكِيبُ النَّحْوِيُّ لِلْجُمْلَةِ". مُحَاضِرَاتُ فِي الْمَدَارِسِ اللَّسَانِيَّةِ الْمَعَاصِرَةِ، د. نعمان بوقرة: ١٥٨، وهذا التعريف غير جامع، فهو يجعل التوليد مقتصرًا على اللغات التي تنطلق من اليسار إلى اليمين؛ لأنه يشترط أن يكون النحو التوليدي منطلقًا من اليسار إلى اليمين، وَبِذَا يُخْرِجُ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ.

يُستنتج -مما سبق- أَنَّ كُلَّ قاعدةٍ تحويليةٍ توليديةٍ، وليس ضروريًا أَنْ تكونَ كُلُّ قاعدةٍ توليديةٍ تحويليةً، إذْ قَدْ تكونُ القاعدةُ التوليديةُ تحويليةً، وَقَدْ لَا تكونُ^(١).

وللقواعد التحويلية أربعة أنماطٍ مِنَ القوانين^(٢):

١. قوانين التركيب الأساسي أو قوانين التركيب الباطني: وهي قوانين تجريدية ذات صبغة شمولية.

٢. قوانين مُفْرَدَاتِيَّة: وهي القوانين التي يتم بواسطتها وصف مفردات اللغة من حيث معناها ومبناها.

٣. قوانين تحويلية: وهي القوانين التي يتم بموجبها تحويل التراكيب الباطنية إلى تراكيب ظاهرة.

٤. قوانين مورفيمية صوتية: وهي القوانين التي تضع الكلمات التي في التركيب الظاهري بصيغتها النهائية من ناحية صوتية.

ولتوليد جملة ما يتم تطبيق هذه القوانين بصورة تسلسلية؛ فبواسطة قوانين التركيب الأساسي يتم اختيار التركيب الباطني المُنَوَّى استعماله، وَبَعْدَ ذلك يُكَسَى العَظْمُ لَحْمًا بواسطة اختيار الكلمات المُراد استعمالها ضمن ذلك التركيب الباطني عن طريق تطبيق القوانين المفرداتية، وَبَعْدَ هذا يجري تطبيق القوانين التحويلية التي تُحوِّل التركيب الباطني "الذهني" إلى تركيب ظاهري "سطحي"، وَبَعْدَ ذلك يتم تطبيق القوانين المورفيمية الصوتية؛ لإعطاء الجُمْلَةَ شَكْلَهَا النهائي الأخير.

المطلب الثاني: مميزات القواعد التوليدية التحويلية وخصائصها

للقواعد التوليدية والتحويلية مميزات وخصائص تُبَيِّرُ استخدامها بدلاً مِنْ استخدام النظرية النَّحْوِيَّة التقليدية (Traditional Grammar)، أشهر هذه المميزات والمبررات^(٣):

١. إِنَّ القواعدَ التوليديةَ والتحويليةَ قواعدُ عِلْمِيَّةٌ، تتناول وَصْفَ كفاءةِ مُتَكَلِّمِ اللغة، وليست قواعد تربوية تهدف إلى تقديم التعريفات، والرسوم التخطيطية، والتمارين، والقواعد التي

(١) انظر: قواعد تحويلية لِلُّغَةِ العربية، د. محمد علي الخولي: ٢٤.

(٢) انظر: السابق: ٢٢-٢٣.

(٣) انظر: قواعد تحويلية لِلُّغَةِ العربية، د. محمد علي الخولي: ٢٤-٢٧، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٠١، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، (رسالة دكتوراة)، إعداد: حمدان رضوان أبو عاصي: ١١.

- تُساعد مُتَعَلِّمُ اللُّغَةِ على اكتساب المعرفة باللغة؛ فتعتمد القواعد التوليدية التحويلية على الأساليب العِلْمِيَّة في البحث، وعلى التجريد في الصياغة.
٢. بالرغم من أن هذه القواعد تسعى إلى صياغة قواعد وقوانين كُليَّة لِجَمِيع اللغات الطبيعية؛ فإنها تتصف بالبساطة والشمول وسهولة التطبيق.
٣. اعتمادها على العقلانية؛ فهي ليست تجريبية استكشافية، بالإضافة إلى تَبَيُّها منهج التحليل والتفسير للظواهر اللُّغوية، وليس مجرد الوصف فقط.
٤. لا تُنظَرُ القواعد التحويلية إلى الجُمْلَةِ على أنها مُكوَّنة من عناصر متجاوزة فقط، بل على أنها مُشْتَقَّة من تركيب آخر عبر عملية تحويل خاصة، وهذه النظرة أقرب إلى طبيعة اللغة وحقيقتها من سواها من القواعد.
٥. تستطيع هذه القواعد أن تُقدِّم تفسيراً مقنعاً لقدرة المرء أن يُنتِج عدداً لا نهائياً من الجُمْل الجديدة وَيُفْهَمُ؛ أي: الجُمْل التي يسمعها أو يُنتجها لأول مرة.
٦. تركِّز هذه القواعد على المقدرة اللُّغوية الكامنة خلف الأداء اللُّغوي الفعلي للجُمْلَة، ومع ذلك فإنها لا تُهمل دراسة ذلك الأداء، فهي نظرية ذهنية تهتم بالحقيقة الذهنية المتمركزة خلف الأداء اللُّغوي الفعلي. وبهذا تكون هذه القواعد قواعِدَ لُغوية صِرْفَةً؛ لأنها تتعامل مع المقدرة اللُّغوية، غير متأثرة بالمؤثرات النفسية والاجتماعية في تحليلها لِلُّغَة.
٧. إن القواعد التحويلية تقبل وجهة النظر القائلة بأن النظرية اللُّغوية يجب أن تختصَّ بشكلٍ رئيسٍ بمتكلمٍ ومستمعٍ نَمُوذَجِيَّين، في مجتمع لُغوي كامل التجانس، كامل المعرفة بلغته وغير متأثر بظروف لا علاقة لها بالقواعد اللُّغوية ذاتها، مثل: محدودية الذاكرة، وتشتت الانتباه، وعثرات اللسان، والأخطاء الناجمة عن الجهل بأصول اللغة.
٨. للقواعد التحويلية القدرة على تفسير تركيب الجُمْل المُعَقَّدة، وَوَصْفِ البُنَى النحوية، وتفسيرها بطريقة أفضل من النظريات الأخرى.
٩. تستطيع هذه القواعد أن تُفسِّر إمكانية احتمال الجُمْلَة الواحدة لأكثر من دلالة واحدة، وأن تزيل اللَّبْسَ الناجم عن ذلك، مثل: (استكروا استغلال البلاد الصناعية) فهذه الجُمْلَة لها معنيان متناقضان، الأول: البلدان الصناعية تستغل سواها من البلدان غير الصناعية. والآخر: البلدان الصناعية هي الضحية؛ أي: هي التي تستغلها بلدان أخرى.
١٠. كما تستطيع أن تُفسِّر كيف يفهم المرء الجُمْلَة فهمًا كاملاً رغم حذف بعض أجزائها، مثل: (اكتُب الدرس)، فالفاعل غير ظاهر في الجُمْلَة إلا أنه مفهوم لدى المتكلم والسامع على حدٍّ سواء.

١١. في قدرتها تفسير: كَيْفَ أَنَّ بِنْيَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ فِي الشَّكْلِ وَالتَّرَكِيبِ تَتَّصِمَانِ الدَّلَالَةَ نَفْسَهَا، مثل: (أَكَلَ الْوَلَدُ النِّفَاحَةَ)، و(أَكَلَتِ النِّفَاحَةُ مِنَ الْوَلَدِ)، فبالرغم من اختلاف الجملتين في التركيب الظاهري؛ فإنَّهُمَا مترادفتان في المعنى بسبب وجود تركيب باطني واحد لهاتين الجملتين.

١٢. في قدرتها أَنْ تُفَسِّرَ: كَيْفَ أَنَّ الْبِنْيَةَ التَّرَكِيبِيَّةَ نَفْسَهَا يُمَكِّنُ أَنْ تَتَّخِذَ قِرَاءَةً وَاحِدَةً أَوْ قِرَاءَتَيْنِ أَوْ لَا تَتَّخِذَ أَيَّ قِرَاءَةٍ، مثال ذلك: (عَلِيٌّ وَعَدَ زَيْدًا أَنْ يَتَأَدَّبَ) و(عَلِيٌّ سَأَلَ زَيْدًا أَنْ يَتَأَدَّبَ) فَإِنَّ هَاتَيْنِ الْجُمْلَتَيْنِ مُتَشَابِهَتَانِ ظَاهِرِيًّا فِي التَّرَكِيبِ، غَيْرَ أَنَّهُمَا غَيْرُ مُتَوَازِيَتَيْنِ فِي الْمَعْنَى، فَالَّذِي سَيَتَأَدَّبُ فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى هُوَ (عَلِيٌّ)، وَلَكِنِ الَّذِي سَيَتَأَدَّبُ فِي الثَّانِيَةِ هُوَ (زَيْدٌ). وَبِنَاءً عَلَيْهِ فَإِنَّ الْمَرَّةَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمِيزَ عَنْ طَرِيقِ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ الْجُمْلَةَ الصَّحِيحَةَ مِنْ غَيْرِهَا نَحْوِيًّا، رَغْمَ أَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ تَتَّخِذُ أَشْكَالًا وَتَرَكَيبًا لَا حَصَرَ لَهَا.

لا يعني -ما سَبَقَ ذِكْرُهُ- أَنَّ النِّظَرِيَّاتِ الْآخَرَى "الَّتَاتُحِيلِيَّةَ" لَا تُفَسِّرُ أَيًّا مِنَ الظَّاهِرِ السَّابِقَةِ، إِنَّمَا الْمَقْصُودُ أَنَّ الْقَوَاعِدَ التَّحْوِيلِيَّةَ تُفَسِّرُ هَذِهِ الظَّاهِرَ بِطَرِيقَةٍ أَكْثَرَ وَضُوحًا، وَأَكْثَرَ انْتِظَامًا، وَأَكْثَرَ كِفَاءَةً. إِنَّ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ رِيَاضِيَّةً فِي نَهْجِهَا: (المَفْرُوضُ - الْعَمَلُ - النَتِيجَةُ - الْبَرَهَانُ)، هَكَذَا شَأْنُ الرِّيَاضِيَّاتِ، وَحَدُوثُهَا تَحْدُو الْقَوَاعِدَ التَّحْوِيلِيَّةَ الَّتِي تَبْدَأُ بِالْمُدْخَلِ، ثُمَّ التَّحْوِيلِ، ثُمَّ الْمُخْرَجِ، عَلَى نَحْوِ تَتَابُعِيٍّ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الرِّيَاضِيَّاتِ وَالْقَوَاعِدَ التَّحْوِيلِيَّةَ تَتَشَابَهُ فِي أُمُورٍ، هِيَ: كِلَاتَاهُمَا تَرْتَكِزُ عَلَى نَظَرِيَّةٍ، وَكِلَاتَاهُمَا تَتَّبِعُ طَرِيقَةً تَتَابُعِيَّةً مَنْطِقِيَّةً مَنْهَجِيَّةً، وَكِلَاتَاهُمَا تَسْتَخْدِمُ الرَّمُوزَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَسْمِيَّاتٍ مَعْيِنَةٍ^(١).

المطلب الثالث: آراء نقدية حول النحو التوليدي

سَيَتَطَرَّقُ الْبَاحِثُ إِلَى آرَاءِ طَائِفَةٍ مِنَ اللُّغَوِيِّينَ حَوْلَ نَظَرِيَّةِ النُّحُو التَّوْلِيدِيَّةِ، وَقَدْ قَامَ الْبَاحِثُ بِعَرَضِ نَمُودَجِينَ، الْأَوَّلُ: الْعُلَمَاءُ الْمُتَثَوِّنُونَ عَلَى النَظَرِيَّةِ، وَالْآخَرُ: الْمُتَنَقِّدُونَ لِلنَظَرِيَّةِ، وَذَلِكَ مِنْ بَابِ الْإِنْصَافِ وَالْمَوْضُوعِيَّةِ فِي وَجْهَاتِ النَّظَرِ.

أولاً: الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ أَثْنَوْا عَلَى نَظَرِيَّةِ تَشْوِمُسْكِي:

١. آراءُ نَمُودَجِينَ مِنَ اللُّغَوِيِّينَ الْغَرِبِيِّينَ:

(١) انظر: قواعد تحويلية للغة العربية، د. محمد علي الخولي: ٢٧.

١. جورج موانان: يرى موانان أنَّ النظرية التوليدية تلقي ضوءاً وراثياً على أصل الكلام، وطرح موانان سؤالاً هو: لماذا يتعلَّم أغبي الناس التحدُّث، في حين لا يصلُّ أبداً إلى ذلك أمهزُ القرَدَة؟ ثُمَّ صرَّح أنَّ النظرية التوليدية تعمل بشكلانية رياضية^(١).

فيرى جورج موانان أنَّ مفهوم النحو التوليدي شيء فطري لا يمكن أن يتوفَّر إلَّا عند البشر، بمعنى أنه خاصية بشرية، كما أثنى على نظرية تشومسكي، وعدَّها أقرب النظريات لعلم الرياضيات.

٢. جون ليونز: يعتقد ليونز أنَّ النحو التوليدي "ينظر بدقة شديدة إلى كل كلمة تنتمي إلى طبقة "class" معينة من الكلام، كأن تكون اسماً أو فعلاً، بمعنى أنه لا بُدَّ من تحديد الكلمة من الناحية النحوية تحديداً دقيقاً، ومعنى هذا أيضاً أنَّ القواعد النحوية -مثل تلك التي وضعها تشومسكي- تتطلب تحديداً دقيقاً لكل كلمة في الثروة اللفظية؛ أي: لا بُدَّ أن تخضع كل كلمة لفئة نحوية syntactic class، أو طبقات نحوية تنتمي إليها، وليس بكافٍ في هذا الصدد أن نضع تعريفاً يقول -مثلاً-: إنَّ الاسم هو كُلُّ ما يشير إلى شخصٍ أو مكانٍ أو شيءٍ، ثُمَّ ننفذ أيدينا تاركين الأمر لأي شخص يريد تطبيق القواعد النحوية أن يقرر إذا ما كانت كلمة ما تندرج تحت هذا التعريف أم لا؟"^(٢).

يؤكد ليونز على دقة القواعد التوليدية في طبيعة الكلمة نحويًا، ووضَّح أن الكلمة لا تُعرف طبيعتها إذا قُمنَّا بوضع تعريفات عامة لكل عنصرٍ من عناصر الجملة، كما فعَّل في تعريف الاسم، إنما الأمر يتطلب أن تكون ممارسة فعلية لكل عنصرٍ من عناصر الجملة^(٣).

٢. آراء نموذجين من اللغويين العرب:

١. حنفي ناصر، ومختار لزعر:

يرى حنفي ومختار أنَّ النظرية التوليدية قامت على أنقاض الاتجاه التوزيعي فيما يأتي^(٤):

أ. يحاول تشومسكي في نظريته اللسانية هذه إحياء بعض المفاهيم التقليدية العائدة إلى القواعد الفلسفية أو اللسانية الديكارتية كما يسميها في كثير من السياقات.

(١) انظر: مفاتيح الألسنية، جورج موانان، تعريب: الطيب البكوش، تقديم: صالح القرمادي: ١١١، والجذور

العربية للنحو التوليدي - دراسة تأصيلية، (رسالة ماجستير)، إعداد: كريمة خوازم: ٣١.

(٢) نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٠٢-١٠٣.

(٣) انظر: الجذور العربية للنحو التوليدي - دراسة تأصيلية، (رسالة ماجستير)، إعداد: كريمة خوازم: ٣٢.

(٤) انظر: اللسانيات - منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، حنفي ناصر، ومختار لزعر: ٦٧-٦٨. نقلاً

عن: الجذور العربية للنحو التوليدي - دراسة تأصيلية، (رسالة ماجستير)، إعداد: كريمة خوازم: ٣٣.

ب. المقصود باللسانيات الديكارتية كل الأبحاث اللغوية المتأثرة بمنهجية ديكارت.
ت. يرى تشومسكي أن الدراسات اللسانية التوزيعية والوصفية بشكل عام أخطأت حينما ابتعدت عن المبادئ الفلسفية المتأثرة بفكر ديكارت.
ث. إن تشومسكي بعد أن استنفذ المعطيات النظرية الخاصة بالمبادئ التوزيعية، قال بضرورة العودة إلى المسائل التي أثارها القدماء وإعادة استكشافها وتبني منطلقاتها العقلية.

ج. إن عودة تشومسكي إلى تلك المبادئ العقلانية الديكارتية لا ينم عن رغبة في إحياء القديم أو التمسك به جُملةً وتفصيلاً، بل إن التطوّر الذاتي لواقع اللسانيات هو الذي قاده إلى مثل هذا السلوك والإقرار بعدة مبادئ فلسفية أساسية رآها تخدم فعلاً الحدث اللساني في الوقت الذي ابتعدت عنه اللسانيات التوزيعية كُليّةً. لذلك نجد هذه النظرية التوليدية التحويلية قد استطاعت أن تعرّج بالبحث اللساني في منهج يتوخّى معطيات الجانب النفسي السلوكي إلى منهج عقلي، همّه الوحيد من الدراسة اللغوية هو استكشاف تلك القدرة الكائنة وراء البحث الفعلي لحركة اللسان ثم بعدها السعي من أجل تعليله وتفسيره بدلاً من وصفه وتقريره.

أَكَّدَ المؤلّفان حنيفي ومختار - فيما سبق - أنّ النظرية التوليدية التحويلية تنتقد المبادئ التوزيعية، وتُنْثِي على المنهجية الديكارتية، كما أكّدا على أهمية المنهج العقلي لنظرية تشومسكي؛ لأنّ همّه الوحيد من الدراسة اللغوية هو استكشاف القدرة الكامنة وراء البحث الفعلي لحركة اللسان، ثم بعدها السعي من أجل تعليله وتفسيره، بدلاً من وصفه وتقريره كما في النظريّتين الوصفية والتوزيعية.

٢. سمير إستيتية: يرى إستيتية أن النظرية التوليدية كانت "ثورة على البنيوية في دراسة اللغة، وتمتاز هذه النظرية - من بين النظريات المعاصرة - بأنها تطورت في مدة قصيرة تطوّراً سمح لها بتعديل رؤى مؤسّسها عدة مرات؛ استناداً إلى الدراسات التي أسهمت في هذا التعديل، وبدلاً من أن ينطوي نعوم تشومسكي مؤسس هذه النظرية على نفسه، فقد تقبّل الدراسات الناقدة لهذه النظرية، وعمل على إسقاط بعض المبادئ التي كان قد تبناها، عند وضع نظريته، وزاد عليها مبادئ وآراء لم تكن فيها من قبل"^(١).
فَيرى إستيتية أنّ نظرية تشومسكي كانت بمثابة ثورة على البنيوية^(٢) في مجال دراسة اللغة، ومما يُمدح به تشومسكي - مؤسس النظرية التوليدية التحويلية - أنه كان يتقبل

(١) اللسانيات - المجال، والوظيفة، والمنهج، أ. د. سمير شريف إستيتية: ١٧٣.

(٢) انظر: الجذور العربية للنحو التوليدي - دراسة تأصيلية، (رسالة ماجستير)، إعداد: كريمة خوازم: ٣٤.

الآراء والدراسات التي تنتقد بعض مبادئ نظريته، ولم تأخذ العزة برفضها، بل كان يطور في هذه النظرية.

كما ذكر إستيتية أن تشومسكي لاحظ "أنّ الإمكانات الموجودة في اللغات الإنسانية تجعل الناطقين بها قادرين على الإبداع، ويظهر هذا الإبداع في ابتكار جمل وتراكيب لم يكونوا قد سمعوها من قبل، وهم في الوقت نفسه على قدر كبير من الوعي اللغوي، قدر يجعلهم قادرين على فهم التراكيب الجديدة التي لم يسمعوها من قبل. وليست مسألة الإبداع اللغوي جديدة في ذاتها عند أهل العلم في اللغة، فقد ذكرها من قبل أعلام، مثل: همبولت^(١)، وسوسير، غير أن الجديد عند تشومسكي هو أنه جعل النظر في الإبداع أساساً من أسس بناء نظريته، وركناً من أركانها"^(٢).

يُنْبِئُ إستيتية على اهتمام تشومسكي بفكرة الإبداع اللغوي، الذي يُعَدُّ أساساً -عنده- من أسس بناء نظرية النحو التوليدي وجوهرها، ومع أن هناك من سبق تشومسكي لهذه الفكرة، إلا أن هذا الإبداع اللغوي^(٣) قادّه إلى فكرة النحو العالمي the universal grammar؛ فقد "أوحى النظر في التفكير الإبداعي في اللغات الإنسانية إلى تشومسكي بفكرة النحو العالمي، وهي فكرة ظلت تُلَازِم تفكيره في المراحل المختلفة من مراحل بناء النظرية وتطويرها حتى استقرت على ما هي عليه الآن"^(٤).

امتح إستيتية -فيما سبق- تشومسكي على نظريته حول التفكير الإبداعي في اللغات الإنسانية، حيث قاده الإبداع إلى فكرة النحو العالمي^(٥).

(١) ويلهلم فون همبولت Wilhelm von Humboldt: فيلسوف ولغوي وناقد أدبي وسياسي، ألماني الجنسية، وُلِدَ عام ١٧٦٧م، يُعَدُّ مؤسس جامعة همبولت في برلين، كَتَبَ بحثاً عن اختلافات الكلام الإنساني، ظهر سنة ١٨٣٦م؛ أي: بعد موت مؤلفه بسنة، ويعد هذا البحث أول كتاب كبير عن علم اللغة العام، تُوفِّيَ في ١٨٣٥م. انظر ترجمته في: قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: د. زكي نجيب محمود وآخرين: ٢٩٨/٣، ومعجم الفلاسفة، إعداد: جورج طرابيشي: ٧١٨، وعلم اللغة - مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران: ٢٧٤.

(٢) اللسانيات - المجال، والوظيفة، والمنهج، أ. د. سمير شريف إستيتية: ١٧٣-١٧٤.

(٣) الصفة الإبداعية لِلْغَةِ تعني: "مقدرة الإنسان على إنتاج جمل لا حصر لها دون أن يكون قد سمعها من قبل". المدارس اللسانية المعاصرة، د. نعمان بوقرة: ١٤٣.

(٤) اللسانيات - المجال، والوظيفة، والمنهج، أ. د. سمير شريف إستيتية: ١٧٤.

(٥) انظر: الجذور العربية للنحو التوليدي - دراسة تأصيلية، (رسالة ماجستير)، إعداد: كريمة خوازم: ٣٥.

ثانيًا: العلماء الذين انتقدوا نظرية تشومسكي:

على الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ نظرية تشومسكي لاقت ترحيبًا واسعًا، وشهرة كبيرة في البحث اللساني فإنّها لم تَسَلَمْ مِنْ بعض الانتقاد.

فَقَدْ نَصَّ تشومسكي -مَثَلًا- عَلَى أَنَّنا نُؤَلِّدُ مُرَوِّدِينَ بِمَعْرِفَةٍ قَبْلِيَّةٍ، وَأَنَّنا لَا نَتَعَلَّمُ شَيْئًا جَدِيدًا، وَإِنَّمَا نَتَذَكَّرُ فَقَطْ، وَنَقُومُ بِالتَّعَرُّفِ إِلَى مَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي عَقُولِنَا. وَقَدْ انتقد كثير من اللسانيين هذا الرأي؛ لأن الإنسان في الواقع يتعلّم أشياء لا تُحصى عن طريق الخبرة في عالمه الخارجي^(١). وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ انتقدوا نظرية تشومسكي عالم من الغرب، وآخر من الغرب:

١. د. جفري سامسون:

قال سامسون في أثناء حديثه عن الحُدْسِ والاستبطان: "إنَّ الاستبطان الخاص بالتركيب لَا يَعْمَلُ عَلَيْهِ كَثِيرًا؛ لِأَنَّ اللساني لَا يَهْدَفُ إِلَّا إِلَى تَعْلِيلِ أَحْكَامِهِ الْخَاصَّةِ بِتَرَاكيبِ لُغَتِهِ"^(٢). ثُمَّ قَالَ مُنْتَقِدًا: "وَمِنْ الْمَفَارِقَاتِ أَنَّ تشومسكي يَبَيِّنُ كَيْفَ يُمْكِنُ لِلتَّحْلِيلِ النُّحْوِيِّ أَنْ يَكُونَ عِلْمًا مِنَ الْعُلُومِ بِطَرَحِهِ فِكْرَةَ السَّلَامَةِ النُّحْوِيَّةِ فِي اللُّغَةِ كَخَاصِيَّةِ ذَاتِ مَدَى مُحَدَّدٍ تَمَامًا مَعَ أَنَّهَا لَا نَهَائِيَّةٌ. لَكِنَّهُ بِدَعْوَتِهِ لِاتِّبَاعِ مَنَهْجِ الْحَدْسِ إِنَّمَا يُؤَكِّدُ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ أَنَّ التَّحْلِيلَ النُّحْوِيِّ لَمْ يَعْذُ عِلْمِيًّا فِي وَاقِعِ الْأَمْرِ. وَمِنْ حُسْنِ الْحَظِّ أَنَّ حَلَّ هَذِهِ الْمَشْكَلَةِ بَسِيطٌ إِنْ كَانَ بِالْإِمْكَانِ إِقْنَاعُ اللُّسَانِيِّينَ بِنَبْئِيَّتِهِ، وَيَتِمَّتْ بِوَجُوبِ تَوَقُّفِ اللُّسَانِيِّينَ عَنِ كِتَابَةِ شَتَّى أَنْوَاعِ النُّحُو؛ لَكِي يُؤَلِّدُوا السَّلَاسِلَ الَّتِي يَشْعُرُونَ أَنَّهَا سَلِيمَةٌ نُحْوِيًّا، وَيَجِبُ عَلَيْهِمْ بَدَلًا عَنْ ذَلِكَ أَنْ يَقِيمُوا قَوَاعِدَهُمْ عَلَى مَا يُلَاحِظُونَهُ مَنْطُوقًا أَوْ مَكْتُوبًا أَوْ كِلَيْهِمَا مَعًا"^(٣).

فَإِذَا سَامَسُونُ أَنَّ تشومسكي حِينَمَا قَامَ بِدِفَاعِهِ عَنْ مَنَهْجِ الْاِسْتَبْطَانِ "الْحَدْسِ" فَإِنَّهُ قَدْ حَكَّمَ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ عَلَى عَدَمِ عِلْمِيَّةِ التَّحْلِيلِ التَّرْكِيبِيِّ فِي الْوَقْتِ الْعَمَلِيِّ، ثُمَّ أَخْبَرَ سَامَسُونُ أَنَّ حَلَّ هَذِهِ الْمَشْكَلَةِ بَسِيطٌ، وَهُوَ أَنْ يَقْتَنَعَ اللُّسَانِيُّونَ بِالتَّوَقُّفِ عَنِ كِتَابَةِ الْقَوَاعِدِ لِتَوَلِيدِ الْجُمَلِ الَّتِي يَشْعُرُونَ أَنَّهَا سَلِيمَةٌ نُحْوِيًّا، بَلْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَبْنُوا قَوَاعِدَهُمْ عَلَى مَا يُلَاحِظُونَهُ حَالِ النُّطْقِ أَوْ الْكِتَابَةِ أَوْ كِلَيْهِمَا فِي آنٍ وَاحِدٍ.

ثُمَّ تَابَعَ سَامَسُونُ قَائِلًا: "اتَّجَهَتْ الْمَدْرَسَةُ التَّشُومْسُكِيَّةُ نَحْوَ التَّرْكِيزِ عَلَى الْإِنْجِلِيزِيَّةِ وَعَدِدِ قَلِيلٍ مِنَ اللُّغَاتِ الْأُورُوبِيَّةِ الْأُخْرَى اخْتِصَارًا لِلْوَقْتِ، وَبِذَلِكَ بَذَلُوا مِنَ الْوَقْتِ أَقَلَّ مِمَّا بَذَلَهُ

(١) انظر: اللسانيات - النشأة والتطور، أ. أحمد مومن: ٢٣٦، ومدارس اللسانيات - التسابق والتطور، جفري

سامسون، ترجمة: د. محمد زياد كبة: ١٥٩.

(٢) اللسانيات - النشأة والتطور، أ. أحمد مومن: ٢٣٦.

(٣) مدارس اللسانيات - التسابق والتطور، جفري سامسون، ترجمة: د. محمد زياد كبة: ١٦٠.

الوصفيون في دراسة اللغات الغريبة. وَمِنْ الواضح أَنَّ هذه السياسة تُقلِّل كثيرًا مِنْ فُرص النجاح في تطوير نظرية الكليات اللُّغوية حتى لو كان الحَدْسُ مقبُولًا كأساسٍ لتحليلِ آيَّةٍ لُغَةٍ مِنْ اللغات^(١).

وَمِنْ هذا المنطلق رأى سامسون أَنَّ المغالطة التي وقع فيها تشومسكي فيما يخص المنهج هي نَفْسُها التي وقع فيها السلوكيون، فإذا كان السلوكيون المتشددون يعتقدون أَنَّ الباحث لا يجوز له أَنْ يستعمل الاستبطان "الحَدْس" كدليل، وَمِنْ ثَمَّ لا يوجد شيء يُمكن استبطانه؛ فَإِنَّ تشومسكي يرى بأنَّ لنا عقولًا معقَّدة التركيب، والاستبطانُ هو الوسيلة الوحيدة للوصول إليها، واستنتجَ مِنْ هذا أَنَّ الدليلَ عن طريق الاستبطانِ مقبُولٌ في التنظير العِلْمِيّ، وفي الحقيقة إِنَّ الاعتراضَ عَلَى الاستبطان في العِلْم لا يَدُلُّ على عَدَم وجوده، بَلْ إِنَّ الاستبطانَ قَدْ يكون عرضة للخطأ، مِثْلُه مِثْلُ المشاهدة، فَضْلًا عَنْ كَوْنِه لا يُمكن أَنْ يُنْتقدَ كَمَا تُنْتقدُ المشاهدة^(٢).

كَمَا انتقدَ سامسون منهجَ تشومسكي المَبْنِيَّ عَلَى الحَدْس، وذلك لِأَنَّهُ يؤدي -عنده- إلى الابتعاد عن فَهْمِ عِلْمِ الدلالة، حيثُ قال: "إِلَّا أَنْ منهج تشومسكي المبني على الحَدْسِ عاملٌ أَسْهَمَ في سوء فهمه لطبيعة عِلْمِ الدلالة، فعندما يُحَكِّمُ المُتَكَلِّمُ الأَصْلِي حَدْسَهُ حول النَّحْوِ في لغته فَإِنَّهُ يُصدر أحكامًا تقريبية غامضة ومتفرقة نوعًا ما، ويقترب من الحقيقة إلى حَدٍّ مُعَيَّن. يقول تشومسكي: إن هناك بنية نحوية معقدة ودقيقة وواضحة تمام الوضوح تقترب منها هذه الإشارات. وهو مُحَقِّقٌ في قوله هذا، مع أننا لا نملك سببًا لافتراض أَنَّ المُتَكَلِّمَ يعرف تلك البنية معرفة ضمنية"^(٣).

فيرى سامسون أَنَّ منهج التوليديين القائم عَلَى الحَدْسِ سببٌ في سُوءِ فَهْمِ طبيعة عِلْمِ الدلالة؛ وذلك لِأَنَّ الحَدْسَ يجعل المتكلم يُصدر -غالبًا- أحكامًا تقريبية غير دقيقة، فَالْوُطْلُبُ إلى المُتَكَلِّمِ أَنْ يُحَكِّمَ حَدْسَهُ حول معاني كلماته؛ لِأَصْدَر -مرّة ثانية- عباراتٍ عامّةً وغامضةً ومتفرقة، وَمِنْ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يتخيل التشومسكيون -مرّة أخرى- وجود عبارة دقيقة وكاملة تنتظر التعبير عنها، أَمَّا علم الدلالة فلا وَجُودَ لِمِثْلِ هذه العبارة^(٤).

(١) مدارس اللسانيات - التسابق والتطور، جفري سامسون، ترجمة: د. محمد زياد كبة: ١٥٨.

(٢) انظر: اللسانيات - النشأة والتطور، أ. أحمد مومن: ٢٣٧، ومدارس اللسانيات - التسابق والتطور، جفري

سامسون، ترجمة: د. محمد زياد كبة: ١٥٩.

(٣) مدارس اللسانيات - التسابق والتطور، جفري سامسون، ترجمة: د. محمد زياد كبة: ١٦٤-١٦٥.

(٤) السابق: ١٦٥.

٢. د. سمير إستيتية:

حيث قال عن تشومسكي مُنْتَقِدًا بَعْدَ الحديث عن الإبداع اللُّغويّ الذي قَادَهُ إلى فكرة النحو العالمي: "وَقَدْ أَغْرَقَ - ولا أقولُ بِالْعَ - في وَصْفِ العلاقة بين اللغة والعقل الإنساني، مِنْ حَيْثُ إِنَّ آليَةَ أحدهما مرتبطة بآلية الآخر، فكلاهما قائمٌ على تصوّر الواقع والتعامل معه، ولما كان هذا الارتباط موجودًا عند البشر جميعًا، فإنّ التفكير بإنجاز نَحْوٍ عالميٍّ أُمِرَ ضروري زيادة على كونه ممكنًا"^(١).

مع أنّ إستيتية امتدح -فيما سَبَقَ- تشومسكي على نظريته حول التفكير الإبداعي في اللغات الإنسانية، إلّا أنه انتقده أنْ أغرقَ وأطالَ كثيرًا في وصف العلاقة بين اللغة والعقل الإنساني.

تعقيب:

مهما يَكُنْ مِنْ انتقادٍ فإنَّ نظرية القواعد التوليدية التحويلية قَدْ بلغتْ شهرة واسعة، واهتمامًا ملحوظًا مِنَ اللسانيّين والباحثين الذين يحترمون هذه النظرية ويتبنون آراءها، وفي هذا قال ليونز: "إن الثورة التشومسكية لا يمكن أن تكون إلا ثورة ناجحة"^(٢).

حتى سامسون فإنَّ انتقاده السابق ما هو إلا في بدايات ظهور نظرية تشومسكي، بمعنى: إنها لم تكتمل -يَوْمَهَا- وتتضجُّ عَلَى ما هي عليه اليوم، لذلك ختم سامسون كلامه عن النظرية التوليدية التحويلية: "مِنَ المُؤَكَّد أنه ليس في نقاش تشومسكي المؤيِّد للنظرية العقلانية ما يُبَرِّر الطريقة التي تحوَّلَتْ فيها ليس طاقات حفنة مِنَ المُتَحَمِّسين فحسب، بل طاقات العِلْم برمتها، ولما يربو على عقدٍ مِنَ الزمن عن مهمة تسجيل الجوانب المختلفة لِلُّغَاتِ العَالَمِ ووصفها ضمن الإطار الخاص بِكُلِّ منها، وانصرفَتْ تلك الطاقات إلى وضع كل لغة داخل هيكل عقيم منفرد...، وَمِنْ حُسْنِ الحَظِّ أنه في نهاية السبعينيات ظهرت بوادر كثيرة تُنمُّ عن أنّ العِلْم بدأ يعودُ إلى شكلٍ جماعيٍّ سليم"^(٣).

يُسْتَنْبِطُ -مِنْ جميع آراءِ اللُّغويّين الغَرْبِيِّين والعَرَبِ التي عُرِضَتْ آنفًا- أنّ نظرية القواعد التوليدية التحويلية تَحْظَى بِقَبُولٍ كبيرٍ بين أوساط اللُّغويين، وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ الشهرة ما لَمْ تبلغه نظرية لسانية أخرى، فالانتقادات السابقة وإنْ كانتْ جديرةً بالاهتمام -كالاعتماد على منهج الحَدْس، وَكَإِغراقِ وَصْفِ العلاقة بين اللغة والعقل الإنساني- إلّا أنّها قليلة أمام ثناء اللُّغويّين الكبير وَمَدْحِهِم الذي حازَتْ عليه النظرية التوليدية.

(١) اللسانيات - المجال، والوظيفة، والمنهج، أ. د. سمير شريف إستيتية: ١٧٤.

(٢) اللسانيات - النشأة والتطور، أ. أحمد مومن: ٢٣٨.

(٣) مدارس اللسانيات - التسابق والتطور، جفري سامسون، ترجمة: د. محمّد زياد كبة: ١٧٢-١٧٣.

الفصل الثالث

النظرية التوليدية التحويلية

ويُقسم إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الركائز الأساسية في النظرية التوليدية التحويلية

المطلب الأول: الاتجاه العقلي

المطلب الثاني: الفطرة اللغوية

المطلب الثالث: القدرة الإبداعية في اللغة

المطلب الرابع: الكلّيات النحويّة (القواعد الكلّيّة العامّة)

المطلب الخامس: مفهوم النحوية عند تشومسكي

المبحث الثاني: المبادئ الرئيسة في النظرية التوليدية التحويلية

المطلب الأول: التوليد والتحويل

المطلب الثاني: الكفاءة والأداء

المطلب الثالث: البنية العميقة والبنية السطحية

المبحث الثالث: القواعد التوليدية التحويلية

المطلب الأول: مفهوم القواعد التوليدية والتحويلية

المطلب الثاني: طرائق تحليل الجملة عند تشومسكي

المطلب الثالث: مُكوّنات القواعد التوليدية والتحويلية

المطلب الرابع: المراحل التاريخية للنظرية التوليدية التحويلية

المطلب الخامس: الجُملة بين علماء العرب والغرب، وطرائق تحليلها في ضوء النظرية

المبحث الأول

الركائز الأساسية في النظرية التوليدية التحويلية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الاتجاه العقلي

المطلب الثاني: الفِطْرَةُ اللُّغَوِيَّة

المطلب الثالث: القدرة الإبداعية في اللغة

المطلب الرابع: الكَلِّيَّات النَّحْوِيَّة (القواعد الكَلِّيَّة العامة)

المطلب الخامس: مفهوم النحوية عند تشومسكي

المبحث الأول

الركائز الأساسية في النظرية التوليدية التحويلية

تمهيد: مقتضيات بناء النظرية العلمية لِلُّغَةِ عند تشومسكي

يُعَدُّ دي سوسير -كَمَا مَرَّ سَابِقًا فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ- رائدَ علم اللغة الحديث في النصف الأول من القرن العشرين، وقد كان يغلب على الدراسات في هذا النِّصْفِ الانحصر في التصنيف؛ أي: تصنيف المعطيات اللغوية وترتيبها؛ لأنها مدرسة اعتنت بوصف الظواهر اللغوية.

لكنَّ مدرسة دي سوسير الوصفية لم تَطْرُقْ باب النشاط التنظيري الذي دعا إليه تشومسكي رائد علم اللغة الحديث في النصف الثاني من القرن العشرين، وانصبَّ اهتمامه عليه، حيث انتشرت نظريته انتشارًا واسعًا بين أوساط الباحثين والدارسين، فقد ارتبط الدرس اللغوي الحديث بِاسْمِ تشومسكي صاحب النظرية التحويلية التوليدية، المَرْمُوزُ لها بالرمز (T. G)، حينما اجتهد فَحَوَّلَ الظواهر اللغوية من النشاط العلمي التصنيفي إلى النشاط العلمي التنظيري^(١).

وقد استطاع تشومسكي بناء نظرية لغوية، وهذا ليس بالأمر السهل -كما يُعْتَقَدُ- بسبب تداخل المعطيات العائدة إلى اللغة، ولأنَّ اللغة -كما يُصَرِّحُ تشومسكي- ظاهرةٌ بِالْغَةِ التعقيد، وَلِأَنَّ دراستها تقتضي بناء نظرية بإمكانها أَنْ تُفَسِّرَ القضايا اللغوية^(٢).

إنَّ نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية تتدرج "في إطار النشاط العلمي التنظيري؛ فتضع أُنْمُودَجًا^(٣) مُتكامِلًا يُمكنُ الباحث الألسني -اللُّغَوِي- من اعتماد تفسيرٍ جَلِيٍّ وواضحٍ، يُبَيِّنُ

(١) النشاط العلمي التصنيفي: ملاحظة أكبر عدد ممكن من المعطيات المُعَدَّة للدراسة وتصنيفها وفق ترتيب معين وبهدف تبين الصلات أو العلاقات القائمة فيما بينها، ويقتصر عمل الباحث اللغوي -في هذا النُّهْج- على ملاحظة أكبر عدد ممكن من الكلام الخَطِّي أو الشفوي. أمَّا النشاط العلمي التنظيري: فَيَنْحَطُّ هدفُ التصنيف حيث يسعى إلى وَضْعِ نظريات عامة أو نماذج فرضية واستنباطية، من خلال عدد محدود من الملاحظات أو الاختبارات، وتهدف هذه النظريات إلى تحليل المعطيات المتوافرة وتفسيرها، كما تَتَكَهَّنُ بمعطيات جديدة. انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٩٣.

(٢) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٩٢-٩٣، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ١٢.

(٣) يرفض البعض استخدام (أنموذج) ظنًا منهم عدم ورودها في لسان العرب، وَيُعَصِّلُونَ استعمال (نموذج)، وكلاهما صحيح، والدليل على صحة استخدام كلمة (أنموذج) أَنَّ الزمخشري قد أطلق هذا الاسم على أحد =

كيف يستطيع الإنسان أن يصيغ عددًا غير مُتَنَاهٍ مِنْ جُمَلٍ لُغَةٍ مَعِيَّةَةٍ، وَفَقَ طَرِيقَةً مُخْتَصَّةً، وَمِنْ خِلَالِ عِدَدٍ مَحْدُودٍ مِنَ الْقَوَاعِدِ^(١).

وَيُقَسَّرُ النِّشَاطُ الْعِلْمِيُّ التَّنْظِيرِيُّ الْوَاقِعَ الْمُرَادَ دِرَاسَتَهُ، وَإِنَّ الْوَاقِعَ الْمَدْرُوسَ فِي الْمَجَالِ اللَّغَوِيِّ هُوَ اللُّغَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ. وَإِنَّ بِنَاءَ نَظَرِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ لُغَوِيَّةٍ يَمُرُّ بِالْمَرَاكِحِ الْخَمْسِ الْآتِيَةِ^(٢):

١. التَّحَسُّسُ بِوُجُودِ ظَاهِرَةٍ مَعِيَّةَةٍ.
 ٢. وَصْفُ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ بِدَقَّةٍ وَالتَّوَسُّعُ فِي مَعْطِيَّاتِهَا وَالتَّعْبِيرُ عَنْهَا بِصُورَةٍ فِكْرِيَّةٍ.
 ٣. وَضْعُ الْفَرَضِيَّاتِ التَّفْسِيرِيَّةِ.
 ٤. إِخْضَاعُ الْفَرَضِيَّاتِ لِلتَّجْرِبَةِ.
 ٥. وَضْعُ الْفَرَضِيَّاتِ الْجَدِيدَةِ.
- وَسَيُسَلِّطُ الْبَاحِثُ -فِي الْمَطَالِبِ الْآتِيَةِ- الصَّوْءَ عَلَى الرِّكَائِزِ الْأَسَاسِيَّةِ السَّائِدَةِ فِي النِّظَرِيَّةِ التَّوَلِيدِيَّةِ التَّحْوِيلِيَّةِ؛ لِإِعْطَاءِ فِكْرَةٍ عَامَّةٍ حَوْلَ النِّظَرِيَّةِ.

المطلب الأول: الاتجاه العقلي

إِنَّ أَهَمَّ اتِّجَاهٍ يَمِيزُ تَشَوُّمَسْكِ فِي نَظَرِيَّتِهِ اللَّغَوِيَّةِ سَعْيُهُ لِإِقَامَةِ نَظَرِيَّةٍ عَامَّةٍ لِلُّغَةِ تَصْدُرُ عَنْ اتِّجَاهٍ عَقْلِيٍّ، وَقَدْ بَدَأَ هَذَا الْإِتِّجَاهُ خَافِتًا أَوَّلَ الْأَمْرِ فِي كُتَابَاتِهِ الْأَوَّلَى ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ قَوِيَ وَصَارَ أَسَاسَ الْمَنْهَجِ كُلِّهِ، وَهَذِهِ النِّظَرِيَّةُ الْعَقْلِيَّةُ تَنْبَنِي فِي لُجَّتِهَا عَلَى مَا يُمْكِنُ تَسْمِيَتِهِ بِـ "لَا نِهَائِيَّةِ اللُّغَةِ"، فَهُوَ يَرَى أَنَّ كُلَّ لُغَةٍ تَتَكُونُ مِنْ مَجْمُوعَةٍ مَحْدُودَةٍ مِنَ الْأَصْوَاتِ وَالرَّمُوزِ الْكِتَابِيَّةِ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهَا تَنْتُجُ أَوْ تُولَدُ جُمْلًا لَا نِهَائِيَّةَ لَهَا^(٣).

وَأَبْدَى تَشَوُّمَسْكِ اِهْتِمَامَهُ بِالْمَجَالِ الْعَقْلِيِّ الَّذِي تَقُومُ عَلَيْهِ نَظَرِيَّتُهُ التَّوَلِيدِيَّةُ التَّحْوِيلِيَّةُ مِنْ خِلَالِ كُتْبِهِ فِي هَذَا الْمَضْمَارِ، وَهِيَ: "عِلْمُ اللُّغَةِ الدِّيكَارْتِيَّةِ"، وَ"اللُّغَةُ وَالْعَقْلُ"، وَالْكِتَابُ الْأَوَّلُ غَيْرَ مُتَرَجِّمٍ، أَمَّا الثَّانِي فَمُتَرَجِّمٌ، وَقَدْ خَصَّصَهُ لِبَحْثِ الْإِسْهَامَاتِ اللَّغَوِيَّةِ، وَالْإِتِّبَاطِ الْوَثِيقِ بَيْنَ اللَّغَةِ وَالْعَقْلِ، وَدَوْرَ الْعَقْلِ فِي فَهْمِ الْجُمْلَةِ وَتَحْلِيلِهَا، حَيْثُ قَالَ: "يَنْشَأُ فِي الْعَقْلِ نِظَامٌ مِنَ الْقَضَايَا

كُتِبَ قَسْمَاهُ: (الْأَنْمُودَج)، وَكَذَلِكَ سَمَّى السِّيُوطِيُّ أَحَدَ كُتُبِهِ بِاسْمِ: (الْأَنْمُودَجِ اللَّيْبِ فِي خُصَائِصِ الْحَبِيبِ ﷺ)، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الزَّمْخَشَرِيَّ وَالسِّيُوطِيَّ إِمَامَانِ مِنْ أُمَّةِ اللَّغَةِ.

(١) انظر: الْأَسْنِيَّةُ التَّوَلِيدِيَّةُ وَالتَّحْوِيلِيَّةُ (النَّظَرِيَّةُ الْأَسْنِيَّةُ)، د. مِشَالُ زَكْرِيَا: ٩٣.

(٢) لِّلْإِسْتِزَادَةِ وَالتَّوَسُّعِ فِي الْمَرَاكِحِ الْخَمْسِ انظر: الْأَسْنِيَّةُ التَّوَلِيدِيَّةُ وَالتَّحْوِيلِيَّةُ (النَّظَرِيَّةُ الْأَسْنِيَّةُ)، د. مِشَالُ زَكْرِيَا: ٩٤-٩٦.

(٣) انظر: النُّحُو الْعَرَبِيَّةُ وَالدَّرْسُ الْحَدِيثُ، د. عَبْدُ الرَّجَاحِيِّ: ١١٣-١١٤، وَالْقَوَاعِدُ التَّحْوِيلِيَّةُ فِي دِيْوَانِ الْحَطِيبَةِ، حَمْدَانُ رِضْوَانُ أَبُو عَاصِي: ١٤.

المعبرة عن معنى جملة معينة حالماً تُدرك هذه الجملة كإشارة مادية، ثم يرتبط الاثنان بعمليات شكلية معينة تُدعى بالمصطلحات الحديثة: التحويلات النحوية^(١).

ويرتبط امتلاك الإنسان لِلُّغَةِ -عند تشومسكي- مِنْ خلال التنظيم العقلي، وينفي ما ذهبت إليه المدرسة الوصفية أَنَّ لغة الإنسان موجودة أصلاً عند الحيوان لكن الإنسان أعلى ذكاءً، إذ يقول: "يرتبط امتلاك اللغة -بحسب علمنا- بنوع من التنظيم العقلي، وليس مجرد درجة أعلى من الذكاء، الأمر الذي يدحض الرأي القائل بأن اللغة البشرية مجرد أنموذج أكثر تعقيداً لشيء موجود أساساً في عالم الحيوان"^(٢)؛ لذلك يُلحُ تشومسكي على الدراسة العميقة لِلُّغَةِ البشرية، هذه المَلَكَةُ الفريدة.

ويرجع الباحثون تأثر تشومسكي بقضية الاتجاه العقلي في إنتاج اللغة بِالْفَيْلسُوفَيْنِ: الفرنسي (ديكارت ت ١٦٥٠م)^(٣)، والألماني (هوبولت ت ١٨٣٥م)^(٤)، حيث كان يرى الأول أَنَّ الإنسان يختلف عن الحيوان في أَنَّ له عقلاً، وَأَنَّ أهم خصائص هذا العقل هو إنتاج اللغة. ورأى الثاني أَنَّ اللغة نتاج العقل، وهي الصوت المنطوق الذي يُعَبَّرُ به الْمُتَكَلِّمُ عن فِكْرَةٍ، وهي اللغة، التي تَنِمُّ داخلياً في الذهن ويظهر أثرها خارجياً بالأصوات والكلمات والجُمَلِ^(٥).

وتتجه نظرية تشومسكي إلى الإنسان "صاحب اللغة أو إلى ما يسميه تشومسكي بِالْمُتَكَلِّمِ السامع المثالي، في مجتمع لغوي متجانس يعرف لغته معرفة كاملة. وهذا الشرط ضروري؛ لأن الهدف هو معرفة القوانين الإنسانية التي تجعل الإنسان يَتَمَيَّزُ بهذه (القدرة) على اللغة"^(٦).

يتضح -مِمَّا سَبَقَ- أَنَّ فكرة العقل المُنتِجِ لِلُّغَةِ تُمَثِّلُ حَجَرَ الأساس لنظرية تشومسكي، وقد قادته هذه الفكرة اللغوية إلى قضايا أخرى جديدة مُهمَّة، وهي^(٧):

(١) اللغة والعقل، نعوم تشومسكي، ترجمة: بيدا العلكاوي: ٤١.

(٢) اللغة والعقل، نعوم تشومسكي، ترجمة: بيدا العلكاوي: ٩٥.

(٣) سبقَتْ ترجمته في الفصل الثاني، ص: ٧٩.

(٤) سبقَتْ ترجمته في الفصل الثاني، ص: ١٠٦.

(٥) في نَحْوِ اللغة وتراكيبها، د. خليل عمايرة: ٥٥. وانظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ١٥.

(٦) انظر: النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١١٤-١١٥.

(٧) انظر: جوانب من نظرية النحو، لتشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر: ٥٠ و ٦٧، ونظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ٧٧-٧٨، والنحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١١٩، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٤٧-٥٠، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ١٥-١٦.

١. رَفُضَ ما كان عليه المنهج الوصفي الذي تبنته المدرسة الوصفية البنيوية.
٢. استعمال مصطلحات جديدة، مثل: (الكفاءة)، و(الأداء).
٣. التركيز على بُنْيَتَيْنِ في الجُملة، هُما: (البنية العميقة) و(البنية السطحية).
٤. الاهتمام في دَوْر (القُدرة الإبداعية) لِلُغَةِ الإنسانية.
٥. إضفاء صبغة إنسانية للدراسات اللغوية؛ لأن المناهج الوصفية لا تقدم شيئاً مُهمّاً في فهم اللغة التي هي أهم سبيل إلى فهم طبيعة الإنسان. فَرَبَطُ اللغة بالعقل أضفى على نظرية تشومسكي جانباً إنسانياً، وهذا الملمح الإنساني لم يُوجَد في المدرسة الوصفية السلوكية.
٦. الدعوة للعودة إلى النحو القديم، على خلاف ما نادى به المدرسة الوصفية التي انتقدت النحو القديم وَعَدَّتْهُ تقليدياً صَادِراً عن تصورات عقلية، في حين أنّ تشومسكي ربط بين اللغة والعقل، ودعا إلى ضرورة العودة إلى مناهج النحو القديمة، وقد أشار إلى جهود العرب القدماء؛ لأن هذه المناهج كانت أقرب إلى الإنسان^(١).
٧. تغيير المفاهيم حول قضية اكتساب الطفل لِلُغَتِهِ. وهذا ما سَيَتَّأَوَّلُهُ الباحثُ في المطلب التالي.

المطلب الثاني: الفِطْرَةُ اللُّغَوِيَّةُ

ظَلَّتْ فكرة الفطرة اللغوية الكامنة في ذهن المُتَكَلِّمِ مَسيطرَةً على تفكير تشومسكي، ويبدو أنّ "النقطة الرئيسة في نظرية تشومسكي والتي قادت تفكيره إلى ما تبعها من أفكار هي فكرة الفطرية اللغوية في ذهن الإنسان، مُتَّخِذاً إيّاها من المقابلة بين الإنسان وغيره من الحيوانات؛ فالإنسان غير السَّوِيِّ -فَضْلاً عن الذكيِّ القادر- يستطيع إنتاج الجُمْل والتعبير عما في نفسه، في حين أنّ أذكى الحيوانات وأكثرها تدرباً لا يستطيع ذلك"^(٢).

وقد كان سائداً عند السلوكيين "أنّ عملية اكتسابِ الطفلِ للغة تتدرجُ ضمن إطار نظرية التعلُّم، فاللغة -بِتَصَوُّرِهِمْ- شَكْلٌ مِنْ أشكال السلوك الإنساني؛ لِذَا لا يُقَرَّرُ بوجودِ أيّ تباين بين مسار تعلُّمها ومسار تعلُّم أيّ مهارة سلوكية أخرى... فالاستجابات اللفظية تتولّد عبر المُثير أو الحافز الفيزيائي وتتعرّز خلال محاولات الطفل التلقُّظ بها، ويتلقّى الطفل التعزيزات الإيجابية -

^(١) انظر: النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١١٩.

^(٢) في نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل عمايرة: ٥٥.

فقط- في حال قيامه بالاستجابة الكلامية الصحيحة. وتتقدّم عملية اكتساب اللغة بقدر ما تتوفّر الاستجابات الصحيحة هذه وتتعرّز^(١).

لكنّ الأمر مغاير عند تشومسكي وأتباعه، ففَرَّزُوا جُمْلَةً مِنَ النتائج، أهمّها^(٢):

١. إنّ اكتساب الطفل لِلْبَنَى اللُّغَوِيَّة يَتِمّ - بالنسبة للأطفال الطَبِيعِيِّين في البيئة اللُّغَوِيَّة الواحدة- على نسقٍ واحدٍ. فَمِنَ المناسب الأخذ بعَيْن الاعتبار أنّ كل إنسان سَوِيّ يكتسب اللغة في حين أنّ القَرْد - وإنْ بَلَغَ حَدًّا مِنَ الذكاء- لا يمكنه أن يكتسب الأصول الأكثر تبسيطاً في اللغة.

٢. يَتِمّ اكتساب الطفل لِلْعَتِه عن طريق ما يسمعه مِنْ محيطه وما يحاول تَكْلُمُهُ، ولا يحتاج -في الحقيقة- إلى مَنْ يمدّه بصورة منظّمة بالمادة اللُّغَوِيَّة.

٣. إنّ الطفل السَّوِيّ ينطق في السنة الأولى مِنْ عمره ببعض الكلمات المنفردة، ثُمَّ يَرْكِبُ جُمْلًا مكوّنة مِنْ كلمتين أو ثلاث في عمر السنة والنصف إلى السنتين، وفي السنة الرابعة يكون قد اكتسب -تقريباً- بَنَى لُغَتِهِ بمجملها. فهو يكتسب لغة محيطه بسرعة مذهشة؛ لذا يتضح أنّ عَمَلَ الطفل في مرحلة اكتساب اللغة عَمَلٌ ذاتي خَلَق، وهو خاصيّة إنسانية مُميّزة.

٤. مع أنّ اللغة التي يكتسبها الطفل هي إلى حَدٍّ كبير مُعَقَّدة فإنه ينبغي ألاّ تتعدّى خصائصها بصورة أساسية قدرات الطفل الطَبِيعِيَّة على استيعابها، وإلاّ استحال عليه اكتسابها.

٥. لا يكتشف الطفل اللغة واستعمالها -فقط- بل يكتشف -في الوقت ذاته- محتوى الكلام، ويمتلك تقنية التواصل اللُّغَوِي مع محيطه.

٦. إنّ الطفل الذي يكتسب لغة البيئة المحيطة به يكتسب -في ذاته- الكفاية اللُّغَوِيَّة في لغته؛ أي: يكتسب صورة ضمنية لقواعد اللغة التي تتيح له إنتاج جُمَل اللغة وتفهمها. يقول تشومسكي: "وَمِنَ الواضح أنّ الطفل الذي نَعَلَّمَ اللغة قَدْ طَوَّرَ تمثيلاً داخلياً لنظام القوانين التي تقرر كيف تصاغ الجُمَل، وكيف تستعمل وتُفهم. ونستطيع القول: إنّ الطفل طَوَّرَ ومثَّل داخلياً [في ذاته] قواعد توليدية، بالمعنى الذي وصفناه. وقد فعل الطفل ذلك استناداً إلى ملاحظة ما يمكن أن نطلق عليه المادة اللُّغَوِيَّة الأوَّلِيَّة"^(٣).

(١) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٥٠-٥١.

(٢) انظر: السابق: ٤٧-٤٩، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ١٧-١٨.

(٣) جوانب من نظرية النحو، لتشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر: ٤٨.

وانظر: Noam Chomsky: Aspects of the theory of syntax, P. 25.

ولعلنا إذا نظرنا بعمقٍ إلى "علاقة الطفل باللغة في مرحلة اكتسابه لها خَرَجْنَا بانطباع حادّ في أنّ ذهن الطفل مهياً -بشكل من الأشكال- لإتمام عملية التكلم؛ فهو يمتلك في ذاته كفاية تتلقّى المظاهر اللغوية التي يسمعها في عائلته وفي بيئته ويقوم بتحويلها إلى كلامٍ هو -في الواقع- مختلف عن كلام الكبار من حيث مظهره"^(١).

المطلب الثالث: القدرة الإبداعية في اللغة

أُشيرَ إلى مفهوم القدرة الإبداعية في اللغة في أثناء الحديث عن الاتجاه العقلي في نظرية تشومسكي؛ لأنها نتيجة مترتبة على الاتجاه العقلي، وَقَدْ عَرَّفَ ليونز هذه القدرة فقال: "الإبداع أو القدرة الإبداعية؛ أي: قدرة اللغة الإنسانية غير المحدودة ونعني بها الطاقة أو القدرة التي تجعل أبناء اللغة الواحدة قادرين على إنتاج وفهم عددٍ كبيرٍ"^(٢) بل غير محدود من الجمل التي لم يسمعوها قط، ولم ينطق بها أحدٌ مِنْ قَبْلُ"^(٣).

تقوم لغة الإنسان -إِذَنْ- على تنظيم منفّح غير منغلق من العناصر، تظهر بوضوح في السمة الإبداعية من خلال قدرة المتكلم على إنتاج عددٍ وفهمه، لا نهائي من الجمل، لم يسبق له سماعها قَبْلًا، وتختص هذه المقدرة بالإنسان، لذلك لا نجدها عند أيّ كائن حيٍّ آخَرَ^(٤).

تُرَكِّزُ النظرية التشومسكية على المُتَكَلِّم الذي يميّز بهذه القدرة على اللغة التي تُعَدُّ مِنْ أهمّ خصائصه الواضحة.

وَقَدْ مرَّ سابقًا في الفصل الأول^(٥) موقف المدرسة التوليدية من المدرسة الوصفية البنيوية، حيث يركز مفهوم اللغة عند الوصفيين على المذهب السلوكي القائم على: "الحافز، والاستجابة للحافز، والتعميم، ...؛ فَرَأَوْا أَنَّ هناك تشابهًا بين لغة الإنسان واستجابات الحيوان، لكن تشومسكي رفض هذا الاتجاه وركّز على أن اللغة ظاهرة إنسانية خاصّة ذاتيّة، فهناك فَرْقٌ واضحٌ بين قدرة الإنسان الإبداعية في لغته، وبين استجابات الحيوانات.

(١) انظر: الأسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الأسنية)، د. ميشال زكريا: ٥٠.

(٢) الأصوب أن تكون الترجمة: "على إنتاج عددٍ كبيرٍ وفهمه؛ لِتَجَنَّبِ الفصل بين المُتَصَايِقَيْنِ.

(٣) نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ٥٧.

(٤) انظر: الأسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الأسنية)، د. ميشال زكريا: ٢٩.

(٥) في المطلب الثالث، من الفصل الأول، في الباب الأول، وكان عنوان المطلب: موقف تشومسكي من المدرسة الوصفية البنيوية، ص: ٨٧-٩٠.

فَيُلْحَظُ اهتمام تشومسكي بالقدرة الإبداعية للإنسان في اللغة، وأن هذه الخاصية لا يتمتع بها سوى الإنسان، لذا نجده يقول: "لقد حاولتُ أن أُوحي بأن دراسة اللغة يمكن أن تُقدّم -كما أفترض- تقليدًا منظوريًا متميزًا لدراسة العمليات العقلية البشرية، فالجانب الإبداعي في استعمال اللغة عندما يُدرّس بعناية واحترام للحقائق يُظهرُ أنَّ الأفكارَ الحالية عن العادة والتعميم كعاملين محدّدين للسلوك أو المعرفة غيرُ وافيةٍ أبدًا، وتعرّزُ تجريدية البنية اللغوية هذا الاستنتاج، كما تضيف أن العقل في كل من الإدراك والتعليم يقوم بدور فعال في تحديد ماهية المعرفة المكتسبة"^(١).

ويظهر من نظرية تشومسكي مميزات الجانب الإبداعي الخلاق في اللغة، وهي^(٢):

١. إن استعمال اللغة الطبيعي تجديدي؛ فالسلوك اللغوي للإنسان له ميزة الابتكار والتجديد، فأغلب ما يستعمله الإنسان في لغته تعابير متجددة، وليس تردادًا لما سبق أن سمعه.
 ٢. استعمال اللغة العادي ليس -فقط- تجديديًا وغير مُتناهٍ، بل هو متحرر من كل المثيرات الخارجية والداخلية، بمعنى: أن استعمال اللغة لا يخضع لأي حافز ملحوظ.
 ٣. يُثبت الاستعمال اللغوي تماسك اللغة وملاءمتها لظروف التكلّم. وهذا التماسك مظهرٌ أساسي من مظاهر اللغة الإنسانية الإبداعية.
 ٤. إن القدرة الإبداعية في اللغة ظاهرة عادية يتميز بها الإنسان بصورة طبيعية، ولا ينبغي حصرها -فقط- في الأعمال الخالقة في مجال الإبداع اللغوي أو الأدبي.
- يتضح -مما تقدّم- أنَّ لغة الإنسان تقوم على تنظيم منفتح غير مغلق من العناصر، حيث تتجلى مقدرة المتكلم الإبداعية من خلال إنتاجه وفهمه لجملٍ غير متناهية. وهذه المقدرة الإبداعية ترتبط بشكل أساسي بتنظيم قوانين لغوية يُتيح لمن يدركه أن ينتج بواسطته الجمل غير المتناهية، وأن يفهم كذلك -بموجب التنظيم نفسه- الجمل التي ينتجها الآخرون. وعدد قوانين هذا التنظيم محدود ومع ذلك يُنتج قوانينه على أوسع نطاق، بإنتاج عدد غير محدود من الجمل، وتحدد قوانين هذا التنظيم تبعًا لقدرات الإنسان الذاتية^(٣). وهذا التوليد للجمل عملية إبداعية يتميز بها الإنسان -سواء أكان ذكيًا أو أبله- عن باقي المخلوقات، وترفع عنه صفة الآلية التي تَبْنِيها المدرسة الوصفية.

(١) اللغة والعقل، نعوم تشومسكي، ترجمة: بيداء العلكاوي: ١٢٦. وانظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ١٩.

(٢) انظر: الأسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الأسنية)، د. ميشال زكريا: ٣١.

(٣) انظر: السابق: ٢٩، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ٢٠.

فيمكن القول باختصار: إنّ المقدرة الإبداعية استعمالاً لنظام اللغة استعمالاً ابتكارياً تجددياً لا مجرد تقليد سلبي لقواعده^(١).
والإبداعية نوعان^(٢):

١. إبداعية تغيير نظام اللغة، ومحلها التأدية. فكل الانحرافات الاجتماعية والنفسية - كضعف الذاكرة، والثقافة، والتعب، ... التي يظهر فيها الاختلاف من فردٍ لآخر - قد تؤدي إلى تغيير في ملكة هذا المتكلم.

٢. الإبداعية التي تحكمها القواعد وتوجهها، ومجالها الملكة. وهي التي تسمح للمتكلم بتوليد جميلٍ لا نهائية.

وتهتم أعمال تشومسكي - كما يظهر على أعماله - بالنوع الثاني من الإبداعية؛ لأنه يسير وفق نظام لغوي يُعنى بالملكة الخاصة بالإنسان دون غيره.
ويجدر أن ننبّه إلى أن فكرتي (الفطرة اللغوية)، و(القدرة الإبداعية في اللغة) قادتنا تشومسكي إلى فرضية أخرى، هي: (القواعد الكلّية) أو (النحو الكلّي) التي سأحدث عنها في المطلب التالي.

المطلب الرابع: الكلّيات النحويّة (القواعد الكلّية العامة)

نُرجعُ النظرية اللغوية اللغات الإنسانية - على اختلاف أنواعها - إلى أصلٍ واحدٍ، هي نظرية قديمة تكشف بعض الأساطير حول اللسان في (بابل)، حيث كانت اللغة الإنسانية واحدة قبل ذلك، كما ترددت فكرة الأصل الواحد أو المشترك للغات الإنسانية عند اليونان والرومان والعرب، فقد لاحظ ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ) تشابهاً بين اللغات العربية والعبرانية والسريانية. أما في عصر النهضة الأوروبية فقد قامت هذه النظرية على دراسات علمية وفلسفية، ثم قسمت اللغات الإنسانية إلى عائلات بناءً على التشابه الصوتي والصرفي والنحوي، وكان التركيب النحوي هو الأساس الذي أُقيمت عليه نظرية العائلات اللغوية^(٣).

وفي القرن العشرين أُهملت هذه الفكرة على يد المدرسة الوصفية البنيوية، لكن يرجع الفضل إلى تشومسكي الذي استطاع أن يبلور نظرية لغوية عامة، تبحث عن المشتركات في

(١) انظر: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، د. شفيقة العلوي: ٤٧.

(٢) انظر: السابق: ٤٨-٤٩.

(٣) نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ٢٣٨، حاشية رقم (١). وانظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ٢١.

اللغات الطبيعية، عُرِفَتْ هذه النظرية بِاسْمِ (الْكُلِّيَّاتِ النَّحْوِيَّةِ)، أو (النَّحْوِ الْكُلِّيِّ)، أو (القواعد الْكُلِّيَّةِ العامة).

ويبدو تأثُر تشومسكي بالمذهب الفلسفي والعقلي - في إقامة نظريته - واضحًا، حيث قال: "يؤكد المختصون بالنحو الفلسفي أن اللغات لا تختلف إلا قليلًا في بناها العميقة، برغم وجود اختلاف واسع في المظاهر السطحية، واستنادًا إلى هذا الرأي فإن البنية الأساسية للعلاقات والفصائل النحوية، ولجوانب معينة من الفكر، والعقلية البشرية لا تتغير تغيرًا جوهريًا من لغة إلى أخرى برغم أن اللغات قد تختلف فيما بينها في التعبير الشكلي عن العلاقات النحوية، عن طريق التصريف، أو ترتيب الكلمات"^(١)، فيؤكد تشومسكي وجود أصول عامة تجمع اللغات الإنسانية كلها، يتضح ذلك -أيضًا- من قوله: "وخلاصة القول: إن نظريات النحو الفلسفي والتوسعات الأخيرة الحاصلة فيها تفترض أن اللغات، برغم الفرق الواضح بينها في التعبير الشكلي، لن تختلف فيما بينها إلا بمقدار ضئيل جدًا عندما نكتشف بناها العميقة"^(٢).

وأشار تشومسكي إلى تأثره بالفيلسوف الفرنسي ديكارت، فقد حصر الأخير اهتمامه بالمبادئ الكلية للبنية اللغوية وبالطرق الطبيعية التي يعبر فيها الإنسان عن أفكاره^(٣).

"إن اعتقاد تشومسكي بأهمية دراسة الكليات في اللغة الإنسانية جعل الفلاسفة وعلماء النفس يولون اهتمامًا كبيرًا في السنوات الأخيرة، الأمر الذي أكسب اللسانيات أهمية أكثر من ذي قبل. ويقول تشومسكي: إن تفسير اشتراك جميع لغات العالم بقلب واحد -على افتراض أنها فعلاً تشترك في هذا- يكمن في أن تركيب العقل البشري الموروث يجبره على استعمال لغات من هذا النوع بالتحديد"^(٤).

(١) اللغة والعقل، نعوم تشومسكي، ترجمة: بيدا العلكاوي: ١٠١.

(٢) اللغة والعقل، نعوم تشومسكي، ترجمة: بيدا العلكاوي: ١٠٢.

(٣) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٧٤، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ٢٢.

وقد جاء بعد (ديكارت) علماء تأثروا بهم تشومسكي في الجانب الفلسفي والعقلي، أهمهم: (دي مارسيه Du Marsais ت ١٧٢٩م)، و(بوزه Beauzee ت ١٧٦٧م)، و(بيتي Beattie ت ١٧٨٨م)، حيث رأوا أن القواعد العامة نتاج العلم العقلي، وأن اللغات جميعها تحتوي على مجموعة من الخصائص المشتركة فيما بينها، وأن هذه الخصائص مُحَقَّقة الوجود في كل لغة. انظر: جوانب من نظرية النحو، نعوم تشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر: ٢٩، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٧٤-٧٦، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ٢٢.

(٤) مدارس اللسانيات - التسابق والتطور، جفري سامسون، ترجمة: د. محمد زياد كبة: ١٥٤.

وهناك مجموعة من المَحَطَّات التي استلهمها تشومسكي من آراء الفلاسفة العقلانيين، وأهم هذه المحطات والأسس^(١):

١. اشتراك جميع اللغات في وحدات فونولوجية "صوتية" ونحوية ودلالية كلية شاملة، وهو ما أطلق عليه تشومسكي "الأصول الكلية الثابتة للنظرية اللغوية".

٢. اللغات ملتصقة بالتجهيز البيولوجي القائم ضمن عملية اكتساب اللغة واستعمالها؛ أي: تهدف إلى تبين خصائص اللغة الإنسانية.

٣. النظرية اللغوية تدرس الملكة اللغوية عند الإنسان؛ لأنها خاصية إنسانية؛ فالملكة اللغوية الإنسانية متجانسة برغم تنوع الجنس البشري.

٤. اللغات الإنسانية وإن تنوعت إلى حد كبير - تبقى - في جوهرها - الوسيلة المتيسرة للإنسان لتحقيق عملية التواصل في مجتمعه؛ فجميع اللغات البشرية تسأل وتُأْمَرُ وتَتَعَجَّبُ وتُنْفِي... إلخ.

٥. وجود بعض الظواهر المتشابهة بين لغات متنوعة لا جامع بينها تاريخياً، وأظهرت الدراسات اللغوية أن هذا التماثل بين اللغات - بصورة أساسية - في المستوى العميق، في حين أن التباينات في مستوى يقارب المستوى السطحي.

٦. إن اللغات - مع تنوعها إلى حد كبير - تنتظم - في الحقيقة - في العمليات الشكلية نفسها التي تُكوِّن الجمل النحوية؛ لذا اتخذ تشومسكي من هذا النوع من التماثل الملحوظ بين اللغات البشرية دليلاً كافياً لدعم نظريته اللغوية العقلانية.

والسؤال الذي لا بُدَّ من الإجابة عنه الآن هو: ما الكُلِّيَّات النَّحْوِيَّةُ أو النحو الكُلِّيَّ "العالمي" الذي دعا إليه تشومسكي؟

قال تشومسكي في تعريفه للقواعد الكُلِّيَّة إنها: "قائمة على عدد قليل من المبادئ العامة نوعاً (ما)، يجب أن يكون كافياً لتحقيق نتائج أنظمة القواعد المعقدة والمسببة الخاصة بكل لغة على حدة"^(٢).

وقال -أيضاً- في كتابه اللغة والعقل: "النحو الكلي يُشَكِّلُ -إِذَنْ- نظرية تفسيرية من نوعٍ أعمق من النحو الخاص بلغة معينة، يمكن أن يُعَدَّ هو الآخر نظرية تفسيرية"^(٣).

(١) انظر: نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ٢٣٦-٢٣٨، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٧٢-٧٣، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ٢٢-٢٣.

(٢) المعرفة اللغوية، نعوم تشومسكي، ترجمة: د. محمد فتوح: ٢٧٥.

(٣) اللغة والعقل، نعوم تشومسكي، ترجمة: بيداء العلكاوي: ٤٠.

ثم يفسر تشومسكي المقصود بكلمة القواعد الكلّية فيقول: "ونعني بكلمة القواعد الكلّية تنظيم الشروط الذي تقوم عليه القواعد -قواعد اللغات-... تحتوي القواعد الكلية على الشروط التي يجب أن تتوفر في كلّ لغة إنسانية وعلى المبادئ التي تُفصّل كيفية تفسيرها"^(١).

وليس المقصود بالكلّية أنها قائمة -بالضرورة- في جميع اللغات، ولكن بمعنى أنه يُمكن تحديدها بمعزل عن ورودها في لغة خاصة معيّنة، بل تُلحظ -بصورة عامة- عندما تردّ في لغة (ما)، انطلاقاً من التعريف الذي يُعنيها في إطار النظرية العامة^(٢).

فالقواعد الكلية -إذن- هي: "التي تقوم بضبط الجمل المُنتجة وتنظيمها بقواعد وقوانين لغوية عامة، تخضع لها الجمل التي ينتجها المتكلم ويختار ما يتصل بلغته من قوالب وقواعد من بين الأطر الكلية العامة في ذهنه، والتي هي كلية شمولية عالمية "Universals"، متساوية عند بني البشر تكون في الإنسان منذ ولادته ويسمّيها تشومسكي: صيغة "جهاز/ أداة" اكتساب اللغة "Linguistic Aquisition Device"^(٣).

والسؤال المُهم في هذه الفرضية: ماذا تتضمن القواعد الكلّية؟ ومِمّ تتكوّن؟ أو بالأحرى ما موضوع القواعد الكلّية؟

أجاب ميشال زكريا قائلاً: "تحتوي القواعد الكلّية على كل المعلومات والقضايا التي يأتي بها الطفل إلى مسار عملية اكتسابه اللغة. وبما أن اكتساب اللغة يقتضي تعلّم قواعد بصورة ضمنية فإنه ينبغي أن تقوم القواعد الكلّية بتحديد الشكل الذي تتخذه قواعد اللغة وأنواع القوانين التي تندرج فيها والنمط الذي تُصاغ عليه هذه القواعد والعلاقات التي تتشابه فيها"^(٤).

أي أن القواعد الكلّية فطريّة ذهنيّة كلّيّة "عالمية"، وليس كما رآها السلوكيون أنها اكتساب بالتقليد والمحاكاة والتخزين في الذهن الذي يولد صفحة بيضاء^(٥).

ويمكن القول: "إنّ القواعد الكلّية تحتوي على المبادئ الكلّية القائمة بصورة مشتركة ضمن كفاية متكلم أيّة لغة من اللغات الإنسانية؛ فهي صورة معيّنة عن جوهر اللغة البشرية وتحتوي على المبادئ الدائمة والثابتة والقائمة ضمن الفكر الإنساني، والتي لا تتغيّر نسبةً لتنوع البشر"^(٦).

(١) اللغة والعقل، نعوم تشومسكي، ترجمة: ببداء العلكاوي: ٩٧.

(٢) انظر: الأسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الأسنية)، د. ميشال زكريا: ٨٤.

(٣) في نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل عمايرة: ٥٦.

(٤) الأسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الأسنية)، د. ميشال زكريا: ٧٧-٧٨.

(٥) انظر: في نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل عمايرة: ٥٦.

(٦) الأسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الأسنية)، د. ميشال زكريا: ٧٨.

فقواعد النحو الكُلِّي هي: "التي تقوم بضبط الجمل بعد توليدها لتجعلها جملاً نحوية أو غير نحوية، يدركها المتكلم والسامع المثالي في لغة معينة"^(١).
ولأجل إيضاح مفهوم (القواعد الكلية) يُوردُ تشومسكي مثالين مشهورين لديه؛ ليبين الجملة الصحيحة والجملة غير الصحيحة^(٢):

1- Colorless green ideas sleep furiously.

الأفكار الخضراء التي لا لون لها تنام بشدة.

2- Furiously sleep ideas green colorless.

بشدة تنام الخضراء التي لا لون لها الأفكار.

فيدرك المتكلم/ السامع في الجملة الأولى أنها بلا معنى؛ ولكنها تنتظم كلماتها طبقاً لقواعد اللغة الإنجليزية، أما في الجملة الثانية فيدرك المتكلم/ السامع أنها جملة بلا معنى ولا انتظام في مفرداتها، طبقاً لقواعد النحو في اللغة الإنجليزية؛ فليست جملة نحوية^(٣).

مكوّنات النحو الكُلِّي:

تتضمن القواعد الكلية من مكوّنات القواعد الخاصة، وهي:

١. المكوّن التركيبي "النحوي" الكُلِّي:

يحتوي المكوّن التركيبي الكلي على القواعد التركيبية التي يُمكن تحديدها بعيداً عن ورودها في لغة معيّنة. وتندرج -ضمن هذه القواعد- الفئات النحوية، مثل: الاسم، والفعل، وصيغة الماضي... التي يتمّ من خلالها وصْفُ التراكيب اللغوية. ويعنى هذا المكوّن بتحديد مجموعة لا متناهية من العناصر الصّوغيّة المجردة التي تتضمّن كلّ منها المعلومات ذات الصلة بتأويل واحدٍ لجملة معيّنة^(٤).

٢. المكوّن الفونولوجي "الصوتي" الكُلِّي:

يختص المكوّن الصوتي الكلي بلحْظِ كلّ العناصر الصوتية التي تقوم بدور ملائم في اللغات الإنسانية، كما يهتم بتحديد قوانين تنصّ على طرق توافق هذه العناصر

(١) في نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل عمايرة: ٥٦.

(٢) انظر: البنى النحوية، نوم تشومسكي، ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيز: ١٩.

(٣) انظر: في نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل عمايرة: ٥٧.

(٤) انظر: جوانب من نظرية النحو، نعوم تشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر: ٣٩، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٨٤-٨٥.

الصوتية. ويحدد المكون الصوتي الصيغة الصوتية لجملة مؤدّة بواسطة القوانين النحوية. ويهتم -أيضاً- بالسّمات الصوتية العامة، مثل: الهمس، والجهر، ... إلخ^(١).

٣. المكوّن الدلالي الكلّي:

يختص هذا المكوّن بتحديد التأويل الدلالي لجملة معينة، بمعنى: أنه يصل تركيباً ولّدَهُ المكون النحوي بتمثيل أو صورة دلالية معينة. وعلى هذا فإنّ المكوّنين الصوتيّ والدلاليّ مؤوّلان فقط. كما يهتم هذا المكوّن بتفصيل القوانين الدلالية المشتركة والمقبولة في اللغات المختلفة. إلّا أن هذا المكون لم يحظ -حتى الآن- بالدراسات الدلالية المتطورة، كما حدّث مع المكوّنين السابقين^(٢).

أنواع القواعد الكلية اللغوية:

يتضح أنّ القواعد الكلية تكوّن الهيكلية العظمية لبنية القوانين التي تخضع لها كل لغة إنسانية، كما تحتوي -بصفة أساسية- على الكليات اللغوية الواجب توفرها في قواعد اللغات^(٣). وهناك ثلاثة أنواع من الكليات اللغوية^(٤):

١. الكليات الجوهرية: تتكون من مجموعة فئات مثبتة ومجرّدة تؤخذ منها العناصر

الخاصة بكل لغة. مثل: السمات الدلالية في مجال علم الدلالة: [+إنسان] [+ذكر].

فالكليات الجوهرية تختص بالمفردات المتعلقة بوصف اللغات.

٢. الكليات الصورية: تتكوّن من مجموعة الشروط والقوانين المشتركة بين اللغات،

وتتص على طرق توافق الكليات الجوهرية وفق أنواع متنوعة من القواعد. فالكليات

الصورية تتناول خصائص القوانين المؤلّفة قواعد اللغة.

٣. الكليات التنظيمية: تتناول ارتباط القوانين بعضها ببعض وعلاقة المستويات اللغوية

فيما بينها.

(١) انظر: جوانب من نظرية النحو، نعوم تشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر: ٣٩، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٨٤-٨٥.

(٢) انظر: جوانب من نظرية النحو، نعوم تشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر: ٣٩، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٨٥.

(٣) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٨٧.

(٤) انظر الأنواع الثلاثة للكلّيات اللغوية في: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٨٧-٨٨.

أهمية القواعد الكلية "النحو الكلي" في الدراسات اللغوية:

١. الإسهام في تطوير نظرية اكتساب المعرفة التي تراعي -بصورة أساسية- النشاط الذهني الذاتي^(١).
٢. تَرْوِدُنَا مبادئ القواعد الكلية برسمٍ تخطيطيٍ محددٍ تلتزم به اللغات الإنسانية، حيث تقوم القواعد الكلية بدورٍ مِصْفَاةٍ تعزل كُلَّ قاعدةٍ لا تتلاءمُ وخصائص اللغة الإنسانية^(٢).
٣. يُعْطِي النحو الكلي تَصَوُّراً واقعيّاً يُبَيِّنُ -بِدَوْرِهِ- تَصَوُّرَ الأنحاء الخاصة وتشكيلها "أنحاء اللغات المختلفة"، على نمطٍ يجعل النظرية النحوية الخاصة بكل لغة تتضمن وحدات أو نظريات أصغر، هي: (نظرية السين البارية، ونظرية الثيتا، ونظرية الربط، ونظرية الحالة)^(٣).
٤. تُحَدِّدُ القواعدُ الكليةُ شروطاً معينةً لأيِّ لغةٍ، تُبَيِّنُ كيفية استخدام النَحْوِ لتلك اللغة.

ما مدى صلاحية تطبيق القواعد الكلية على اللغات العالمية لا سيَّما العربية؟

وُجِّهَتْ لفرضية النحو الكلي بعض الانتقادات، منها: أنها تصلح للغة الإنجليزية دون سواها، لكن تشومسكي طبقها بنجاح على اللغة الفرنسية واليابانية. وقد ظهرت بعد الثمانينيات من القرن العشرين مؤلفات كثيرة تقتفي أثر النظرية التشومسكية، وتُطَبِّقُ قواعدها وتحليلاتها للجملة^(٤).

كما تلتقي نظرية تشومسكي مع طرائق التحليل عند علمائنا الأوائل، فمنهج النظرية وإن كان قائماً على الفرضيات والحدس إلا أنه يصلح للتطبيق على العربية، وكثير من طرائق تحليل النظرية تلتقي مع تحليلات علماء العربية القدماء وتطبيقاتهم^(٥).

(١) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٨٣.

(٢) انظر: السابق: ٨٣.

(٣) انظر: مقدمة مترجم كتاب: المعرفة اللغوية، لنعوم تشومسكي، ترجمة: د. محمد فتوح: ٦. وللاستزادة حول النظريات الأربع المذكورة انظر الكتاب نفسه: ٢٩٦-٣٦٩.

(٤) انظر: نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ٢٩٧-٢٩٨، ومقدمة مترجم كتاب: المعرفة اللغوية، لتشومسكي، ترجمة: د. محمد فتوح: ٩-١٠، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ٢٧.

(٥) وهذا ما سيفعله الباحث - إن شاء الله تعالى - في هذه الرسالة التي تُدرُسُ القواعد التحويلية في خُطْبِ النبي ﷺ.

المطلب الخامس: مفهوم النحوية عند تشومسكي

إن كلمة "النَّحْو" عند النحاة التقليديين "كانت تشمل الصرف والتركيب، وأصبحت تشمل -عند تشومسكي- فضلاً عن الصَّرفِ والتركيبِ الدلالة والفونولوجيا "المجال الصوتي".

أما حدُّ النحو -في النظرية التشومسكية- فهو جهازٌ لتوليد الجُمْلِ النحوية الصحيحة في اللغة. وحسب (ليونز) فإن استعمال هذه المصطلحات، مثل: "(جهاز) و(توليد) في هذا المقام قد أضلَّ كثيراً من القراء، حيث فهموا من كلامه أن النَّحْوَ جهازٌ إلكترونيٌّ أو آليٌّ، يُكرَّر أو يفحص سلوك المتكلم عندما يتلفظ آيةً جُمْلَةً"^(١).

يتناول النحو عند تشومسكي "المبادئ والعمليات التي بها تُبنى الجُمْلُ في اللغات المختلفة، وتهدف الدراسة النحوية لِلْغَةِ ما إلى بناء نظامٍ للقواعد يمكن اعتباره وسيلة من وسائل إنتاج جُمْلِ اللغة التي قُيدَ التحليل"^(٢).

فالنحو عند تشومسكي: "هو تنمية الملكة اللغوية كمُكوِّنٍ للحالة القارّة في ظروف تجريبية تبتعد عن ظروف الحياة العادية، وبالأخص ظروف تجانس التجربة اللسانية"^(٣).
فهناك ما يدل على أن "المعرفة في هذه المرحلة القارّة يمكن تمثيلها بواسطة نسقٍ من القواعد يرسم خصائص العبارات اللغوية. وهذا النسق نحوٌ توليدي يقدم تمثيلات مختلفة لهذه العبارات، وعلى الأخص تمثيلاً صوتياً وتمثيلاً دلاليّاً"^(٤).

وعرّف الراجحي النحوية قائلًا: "النحوية في اللغة؛ أي: القواعد التي على أساسها تكون جملة ما مقبولة لدى صاحب اللغة؛ ومعنى ذلك أن هدف النحو هو أن يميّز كُلَّ ما هو (نحوي) مما (ليس نحويًا) في اللغة؛ أي: أن النحو ينبغي أن ينتظم كل الجمل التي تكون مقبولة نحويًا، على أن ينتظم كل هذه الجمل النحوية فحسب"^(٥).

وهذا يعني أن مصطلح النحويّة^(٦) Grammaticality -عند تشومسكي باختصار- يتناول اللغة بمجموعها: النحوي والصرفي والصوتي والدلالي؛ لتكوين جملة مقبولة نحويًا، واستبعاد غير الصحيحة نحويًا.

(١) اللسانيات - النشأة والتطور، أ. أحمد مومن: ٢٠٨-٢٠٩.

(٢) البنى النحوية، نوم تشومسكي، ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيز: ١٣ مقدمة المؤلف.

(٣) اللسانيات واللغة العربية - نماذج تركيبية ودلالية، د. عبد القادر الفاسي الفهري: ٤٤/١.

(٤) السابق: ٤٥/١.

(٥) النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١١٥-١١٦. وانظر: محاضرات في المداس اللسانية المعاصرة، د. شفيقة العلوي: ٤٩.

(٦) أما مفهوم النحو عند تشومسكي فعبارة عن: "تحركٍ لمنوالٍ نحويٍّ بأكمله يمكن من توليد أجزاء الكلام التي لا حصر لها من الجُمْلِ الفصيحة في لغة من اللغات ولهذه اللغة وحدها. والنظرية التوليدية تتكوّن من قواعد =

وينبغي الانتباه إلى أن "اللغة لا متناهية، إذ يمكن اعتبارها مجموعة لا متناهية من المزاوجات بين الأصوات والمعاني، وليس هناك حدود لمعرفة هذه المزاوجات. إلا أن معرفتنا هذه يمكن تمثيلها عن طريق نسقٍ مُتتاهٍ من القواعد، يحدد خصائص هذا العدد اللامحدود من الجمل التي نبنيها"^(١).

لِذَا نَقَلَ تشومسكي عنايته من دراسة اللغة إلى دراسة النحو المُمثَّل في الدِّماغ، وهذه الفكرة ترجع -في أصلها- إلى ديكرت. فالنحو واقعي بهذا المعنى؛ لأنه موجود في دماغ المتكلم، واللغة ليست كذلك، بل تبدو كأنها ظاهرة عارضة يمكننا تصورها كما نريد^(٢).

وقد أشار ليونز إلى أمرٍ قد يبدو فيه تعارض في الظاهر "وهو أن المرء ليس ملزماً بتصور تشومسكي المثالي عند توليد جميع الجمل، والجمل فقط في اللغة؛ لأنَّ وَضْعَ حدودٍ فاصلة -بين سلسلة متتابعة من الكلمات وبين سلسلة أخرى على أساس أن^(٣) إحداها صحيحة نحويًا والأخرى غير صحيحة نحويًا- أمرٌ من الصعب البتَّ فيه بشكلٍ قاطع، ولكن من السهل أن نقرر دائماً أنَّ سلسلة معينة من الكلمات من الممكن أن تُولِّدَها قواعدُ اللغة"^(٤).

فالنحوية -عند تشومسكي- تعني نظامًا من القواعد يتمكّن المتكلم عن طريقه إنتاج جُمَلٍ صحيحة نحويًا في لغته مع اشتمالها على الجوانب الصوتية والدلالية والصرفية، مميزًا الجمل غير الصحيحة نحويًا. فلو قلنا: (البابُ يشربُ الذاكرةَ) لكانت جملة صحيحة التركيب نحويًا لكنها غير صحيحة معنويًا، بعيدًا عن القراءة المجازية هُنا.

وإذا نظرنا إلى الجملتين الآتيتين، وقد سَبَقَ الحديثُ عنهما وتَرَجَمَتْهُما في المطلب السابق:

1- Colourless^(٥) green ideas sleep furiously.

2- Furiously sleep ideas green colourless.

تحدد سلسلة من الكلمات أو الأصوات المتتالية التي يمكن قبولها أو رَفْضُها". انظر: المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، د. محمد الصغير بناني: ٨١.

(١) اللسانيات واللغة العربية - نماذج تركيبية ودلالية، د. عبد القادر الفاسي الفهري: ٤٥/١.

(٢) انظر: السابق: ٤٦/١.

(٣) في الكتاب المُترجم (أَو)، وليس (أَنْ)، ولعلَّه سَهْوٌ، والصواب ما أثبتُّه؛ لتناسُبِ السياق لذلك. انظر: نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ٨٩.

(٤) نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ٨٩.

(٥) تُكتب (colorless) أمريكيًا، وكذلك (colourless) بريطانيًا كما أثبتناها سابقًا، وتَرَجَمَتْها على الحالتين: عديم اللون.

فَيُلْحَظُ "أنهما لا تَدُلَّانِ على معنى، ولكن الإنجليزي يشعر أن الجملة الأولى (نحوية)، والثانية (غير نحوية)؛ لأن البنية السطحية في الأولى تتوافق مع قوانين البنية العميقة عنده"^(١).
أَمَّا إِذَا تَأَمَّلْنَا "الجملة الأربع التالية فإننا نلاحظ أنها جميعاً ذات معنى، ولكن الإنجليزي يعتبر الجملتين الأولىين فقط نحويتين"^(٢):

- 1- Have you a book on modern music?^(٣)
- 2- The book seems interesting.^(٤)
- 3- Read you a book on modern music?^(٥)
- 4- The Child seems sleeping.^(٦)

يتضح -مما سبق- أن النحوية تُعْنَى بإنتاج المتكلم جملاً لا نهاية لها من عناصر لغوية محددة، مع التمييز بين ما هو صحيح مقبول نحوياً مما ليس مقبولاً نحوياً.
والمقصود بالجملة الصحيحة نحوياً في نظرية تشومسكي هي الجملة الموافقة لقواعد اللغة في مستوياتها الثلاثة، يقول ميشال زكريا: "إن الجملة -لكي نعتبرها أصولية- يجب ألا تتحرف بالنسبة لأية قاعدة من القواعد التي تُعين توافق العناصر اللغوية في مستويات اللغة الثلاثة: المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي"^(٧).

وهذا يوضح الفرق بين تشومسكي والوصفيين، فالنحو -عنده- لا بُدَّ أن يهتم بمفهوم (الحدس) عند المتكلم؛ وذلك لأنه ليس آلة تصدر أصواتاً وفقاً لعوامل خارجية، إنما هناك شيء داخلي يجعله يتحرك وهو متحرر من هذه العوامل. فـ "الحدس" ليس عنصراً ثانوياً في الدرس

(١) انظر: النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١١٦-١١٧.

(٢) انظر: السابق: ١١٧.

(٣) الترجمة: هل لديك كتاب عن الموسيقى الحديثة؟

(٤) الترجمة: الكتاب يبدو مثيراً للاهتمام.

(٥) هذا التركيب ليس نحوياً في اللغة الإنجليزية؛ لأن التركيب بهذه الطريقة غير صحيح؛ لاحتياج الجملة لفعل مساعد، مثل: (can) أو (do)، مع أنها ذات معنى، ومعناها: (اقرأ لك كتاباً عن الموسيقى الحديثة؟).

والتركيب الصحيح لها في الإنجليزية: Can you read a book on modern music?

أو: Do you read a book on modern music?

(٦) هذا التركيب ليس نحوياً في اللغة الإنجليزية؛ لأنه بحاجة إلى مصدر في الإنجليزية، مع أن الجملة ذات معنى، ومعناها: (الطفل يبدو نائماً).

(٧) انظر: الأسس التوليدية والتحويلية (النظرية الأسنسية)، د. ميشال زكريا: ١٠٨.

وَقَدْ فَزَّقَ العلماء بين أنواع من الجمل، أشهرها: الفرق بين الجملة الصحيحة نحوياً والجملة الأكثر قبُولاً. وبين الجملة المُمْكِن تفسيرها والجملة الملحوظة في المُدَوَّنة. وبين الجملة الأصولية والجملة المنحرفة. للاستزادة حول هذه الفروق انظر: جوانب من نظرية النحو، نعوم تشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر: ٣٤-٣٨، والأسس التوليدية والتحويلية (النظرية الأسنسية)، د. ميشال زكريا: ١١٠-١١٣.

اللغوي، وإنما هو عنصر جوهري. وهذا كله ناتج أن تشومسكي من التيار العقلاني الذي يرى أن العقل الإنساني وسيلة المعرفة، في حين أن الوصفيين ينتمون إلى التجريبيين فيرون أننا نصل إلى المعرفة عن طريق التجربة^(١).

قال ميشال زكريا مُعرِّفًا الحَدَسَ اللُّغَوِيَّ الخاص بمتكلم اللغة: "هو مقدرة المتكلم على أن يُدلي بمعلومات حول مجموعة متعاقبة من الكلمات من حيث هي تُؤلف جملة صحيحة في اللغة أو جملة منحرفة عن قواعد اللغة"^(٢).

وعرّف خليل عمايرة الحَدَسَ المتعلّق بالباحث فقال: "هو حَدَسُ الباحث للوصول إلى نية المتكلم القادر على إنتاج الجمل من جهة، وعلى الحكم بصحة أو خطأ ما يسمع، وحَدَسُ الباحث أيضًا في الوصول إلى معرفة المتكلم بلغته معرفة ضمنية بالملاحظة وغيرها من وسائل البحث؛ ليتوصل إلى استنباط قواعد اللغة وقوانينها"^(٣).

وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ فَوَائِدَ اللُّغَوِ المنظم إلى الحَدَسِ اللُّغَوِي الخاص بمتكلم اللغة أمران، أحدهما: يتيح الحَدَسُ للباحث اللغوي ملاحظة القضايا المثيرة للاهتمام، والآخر: يتيح له - أيضًا - استنباط القوانين اللغوية من خلال هذا الحَدَسِ اللُّغَوِي^(٤).

"فالحكم على استقامة العبارة "الجملة" نحوياً راجعٌ إلى حَدَسِ المتكلم، ولكي يكون حدسه إطاراً مرجعياً يحتكم إليه، لا بد أن تكون لغة العبارة هي لغة المتكلم. وَمِنْ هُنَا أَضَحَّتِ المَكانَةُ التي أفردها تشومسكي للحَدَسِ دليلاً على القطيعة التامة التي نشبت بينه وبين الأبحاث السلوكية، التي تحدد المعنى من خلال القرائن المحيطة بالتخاطب، أما النظرية التوليدية فقد أعادت للمتكلم اعتباره ومكانته في التعبير، كما رَدَّتْ إليه المعنى"^(٥).

معايير اختيار قواعد تحويلية على قواعد تحويلية أخرى:

إذا كانت القواعد التحويلية تستند إلى نظرية وقوانين نحوية، فلا بُدَّ مِنْ وجود معايير تقرر أفضلية قواعد تحويلية على قواعد تحويلية أخرى، وهذه المعايير هي^(٦):

(١) انظر: النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١١٨.

(٢) الأسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الأسنية)، د. ميشال زكريا: ٩٨.

(٣) في نَحْوِ اللغة وتراكيبها، د. خليل عمايرة: ٦٠.

(٤) انظر: الأسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الأسنية)، د. ميشال زكريا: ٩٨، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ٢٩.

(٥) نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية - الأسس والمفاهيم، (بَحْثٌ مُحَكَّمٌ)، د. مختار درقاوي: ٦.

(٦) انظر: قواعد تحويلية لِلُّغَةِ العربية، د. محمد علي الخولي: ٤٣-٤٦، والأسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الأسنية)، د. ميشال زكريا: ١٠٥-١٠٨، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان أبو عاصي: ٣٢.

١. الكفاية: أن تكون الجُمْل التي تنتجها القواعد تحت التقييم جُمْلًا صحيحة لُغويًا. وإذا كانت صحيحة فَقَدْ اجتازت فَحْصَ الكفاية، وإلَّا فهذا يدل على أن هناك خللاً ما في تلك القواعد.
٢. المنهجية: هي أن تستند القواعد إلى نظرية لُغوية متسقة ثابتة لها معايير واضحة للتقييم الذاتي، وتجعل هذه المنهجية القواعد أقرب إلى العلم.
٣. الوضوح: أن تكون القواعد واضحة لا غموض فيها اعتمادًا على أن القارئ يفهمها دون شرح، وعلى أنها بديهية أو مفهومة ضمنيًا.
٤. العالمية: هي أن تركز القواعد على نظرية عامة. والمقصود بالنظرية العامة أن تكون النظرية غير مرتبطة بلغة معينة ذلك الارتباط الذي يجعلها غير صالحة للتطبيق على لغات أخرى. فإذا ارتبطت قواعد معينة بلغة ما، وعجزت تلك القواعد عن الاتصال أو الاقتراب من اللغات الأخرى فهذا يحرمها من العمومية والعالمية، التي هي بلا شك أحد خصائص العلم الرئيسية.
٥. البساطة والسهولة: وهي تشمل^(١):
 - أ. عدد العناصر: كلما قلَّ عددُ المكونات اللغوية كان ذلك أفضل شرطًا ألا يؤثر ذلك على المعايير السابقة.
 - ب. عدد القوانين: كلما قلَّ عددُ القوانين -أي: ما تشمله القواعد من أسس وتعميمات- كان ذلك أفضل شريطة عدم الإخلال بالمعايير السابقة.
 - ت. البساطة الشاملة: أن يؤدي تبسيط جزء من القواعد إلى تبسيط الأجزاء الأخرى، وإلَّا فإنَّ هذا التبسيط سينقلب في النهاية إلى تعقيدٍ كُلِّيٍّ.
 - ث. بساطة القوانين: أن يكون القانون الواحد معقولًا من حيث طوله وشروط تطبيقه.
 - ج. قوة القوانين: أن يكون بالإمكان دمج قانونين أو أكثر في قانون واحد؛ فإنَّ هذا الدمج يجعل القانون الناتج أقوى وأشمل.
 - ح. تجنب القوانين الاعتبارية: من الواجب أن يتجنب اللُغوي تَبَنِّي قانون (ما)، من أجل التخلص من ورطة معينة، أو للتخلص من مشكلة دون النظر في تأثير ذلك على القواعد بوجه عام.

(١) انظر: قواعد تحويلية لِلُّغَةِ العربية، د. محمد علي الخولي: ٤٥-٤٦.

المبحث الثاني

المبادئ الرئيسة في النظرية التوليدية التحويلية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التوليد والتحويل

المطلب الثاني: الكفاءة والأداء

المطلب الثالث: البنية العميقة والبنية السطحية

المبحث الثاني

المبادئ الرئيسة في النظرية التوليدية التحويلية

لا شكَّ أنَّ أيَّ نظريةٍ علميةٍ تقوم على مبادئٍ وأُسُسٍ؛ لتنهض بها في مَصَافِّ العلوم الإنسانية أو الطبيعية، وقد أدَّى تشومسكي دورًا بالغ الأهمية في الدرس اللساني الحديث، حتى أحدثت نظريته التوليدية التحويلية ثورةً لغويةً علميةً، وبات عالمًا لغويًا - في زماننا - يُشار إليه بالبنان، لأنه استطاع أن يبني نظرية لغوية علمية، وبلغت شهرة النظرية التشومسكية "التوليدية التحويلية" مبلغًا كبيرًا وشهرة واسعة بين الباحثين واللغويين المُحدِّثين والمعاصرين. وقد بنى تشومسكي نظريته على مبادئٍ رئيسةٍ، سأتناولها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: التوليد والتحويل

تقوم النظرية التوليدية التحويلية على مبدئين من أهم مبادئ النظرية التشومسكية، هما: (التوليد Generative) و(التحويل Transformational)، حيث يُرمز للنظرية بالرمز (T. G). وقد سبقَ الحديث - عن هذين المبدئين - في الفصل الثاني^(١)؛ لذلك لن أطيل الكلام عنهما هنا.

المقصود بمصطلح التوليد Generative: "انبثاق تركيب أو مجموعة من التراكيب، من جملة هي الأصل، وتسمى الجملة الأصل بالجملة التوليدية. وأهم وصف للجملة التوليدية أنها: الجملة التي تؤدي معنى مفيدًا، مع كونها أقل عددًا ممكنًا من الكلمات، ومع كونها أيضًا خالية من كلِّ ضروب التحويل"^(٢).

فالتوليد إنتاج عدد لا محدود من الجمل انطلاقًا من عدد من المفردات محدود، مع تمييزه بين الجمل المقبولة الصحيحة وغير المقبولة تبعًا لقواعد اللغة.

أما مصطلح التحويل Transformational فهو: "تحويل جملة إلى أخرى، أو تركيب إلى آخر، والجملة المُحوَّل عنها هي ما يُعرف بالجملة الأصل. والقواعد التي تتحكم في تحويل جملة الأصل "البنية العميقة" هي القواعد التحويلية"^(٣).

يُستنتج - مما سبق - أنَّ كلَّ قاعدة تحويلية هي توليدية، وليس ضروريًا أن تكون كلُّ قاعدة توليدية تحويلية، إذ قد تكون القاعدة التوليدية تحويلية، وقد لا تكون^(٤).

(١) انظر للاستزادة: المبحث الثالث في الفصل الثاني في الباب الأول من هذه الدراسة، ص: ٩٩-١٠٣.

(٢) اللسانيات - المجال، والوظيفة، والمنهج، أ. د. سمير شريف إستيتية: ١٧٨.

(٣) من الأنماط التحويلية في النحو العربي، د. محمد حماسة عبد اللطيف: ١٣.

(٤) انظر: قواعد تحويلية للغة العربية، د. محمد علي الخولي: ٢٤.

المطلب الثاني: الكفاءة والأداء

يُمَثَّلُ مفهومًا (الكفاءة Competence) و(الأداء Performance) حَجَرَ الزاوية - عند تشومسكي - في نظريته التوليدية التحويلية، وَقَدْ جاء هذان المفهومان نتيجةً متطوّرة عن الثنائية التي تحدّث عنها دي سوسير وهي (اللغة) و(الكلام)، وكذلك نتيجة للاتجاه العقلي الذي تبناه تشومسكي في بناء نظريته - كما مرّ سابقًا - في دراسة اللغة. حيث يرى تشومسكي "أنّ اللغة لها وجهان، أحدهما: ذهني خالص، سَمَاءُ (الكفاية)، والآخر: عملي منطوق مسموع، سَمَاءُ (الأداء)"^(١).

والكفاءة اللغوية - عند تشومسكي - هي: "معرفة المتكلّم - السامع بِلُغَتِهِ"^(٢). وَقِيلَ هي: "القدرة على بناء أنموذج لغوي ذهني مشترك بين المرسل والمستقبل، سَدَاهُ الصوت، وَلُحْمَتُهُ الدلالة، وعلى أساسه تتمثّل القواعد اللغوية"^(٣). فَنُمَثِّلُ الكفاءة اللغوية الجانبَ الذهنيّ الباطنيّ عند المتكلّم والسامع في معرفته لِلُغَتِهِ، وقدرته على إنتاج الجُمَلِ. وَمِنْ تعريفاتها أيضًا: "القدرة التي تتكوّن لدى الفرد المتكلّم، وتُمكنُهُ مِنَ التعبير عن نفسه، والإتيان بعددٍ لا نهائيّ مِنَ الجُمَلِ"^(٤). وَعَرَفَ تشومسكي القدرة فقال: "مجموعة قواعد (عقلية) يستطيع المرء بها أن ينتج عددًا غير محدودٍ مِنَ الجُمَلِ"^(٥).

أما الأداء الكلامي فقال تشومسكي: "استعمال اللغة في مواقف حقيقية"^(٦). وَعَرَفَهُ آخرون: "التحقيق العينيّ لهذا التمكن اللغوي؛ أي: الكلام المنطوق أو المكتوب الذي قد يختلف أو يتفق وقواعد اللغة بشكلٍ أو بآخر، تبعًا لظروف الكلام أو المتكلّم"^(٧). فالكفاءة أو الكفاية اللغوية هي فطرة كامنة في المتكلّم مع قدرته على إنتاج جُمَلٍ لا نهاية لها. أما الأداء فهو توظيف المتكلّم لهذه الفطرة والقدرة بشكلٍ مكتوب أو منطوق.

(١) اللسانيات - المجال، والوظيفة، والمنهج، أ. د. سمير شريف إستيتية: ١٧٧.

(٢) جوانب من نظرية النحو، نعوم تشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر: ٢٨.

(٣) اللسانيات - المجال، والوظيفة، والمنهج، أ. د. سمير شريف إستيتية: ١٧٧.

(٤) مُعْجَم اللسانيات الحديثة، تأليف: سامي عياد حنا، وآخرين: ٧٩.

(٥) البنى النحوية، نعوم تشومسكي، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز: ٥ مقدمة المترجم.

(٦) جوانب من نظرية النحو، نعوم تشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر: ٢٨.

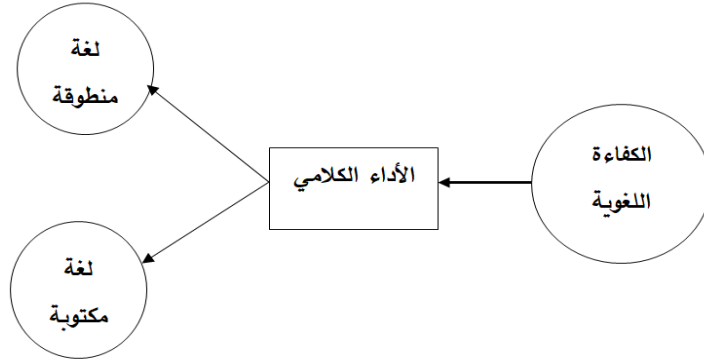
(٧) مُعْجَم اللسانيات الحديثة، تأليف: سامي عياد حنا، وآخرين: ٧٩.

يمكن القول باختصار: إنَّ الكفاءة نظامٌ عقليّ يتمثّل في المعرفة اللغوية الباطنية للفرد؛ أي: مجموعة القواعد التي تَعَلَّمَهَا. والأداء هو: الاستعمال الفِعْلِيُّ الآنِي لِلُّغَةِ في المواقف الحقيقية لعملية التكلّم في المنطوق والمكتوب^(١).

مما سبق يتبين ما يأتي:

(الكفاية = الوجه الباطن، وهو القدرة العقلية على إنتاج الجُمْل)، (الأداء = الوجه الظاهر، وهو الجُمْلُ المُنتَجَة).

وَيُمْكِنُ لِلْبَاحِثِ أَنْ يُمَثِّلَ ذَلِكَ بِالرَّسْمِ الْآتِي:



وَيَرَى لِيُونَزُ أَنَّ اسْتِعْمَالَ تشومسكي لِـمُصْطَلَحِي الكفاءة والأداء دليلٌ على تطوّر ملحوظ في فكره من مرحلة الإيمان بالمذهب التجريبي إلى مرحلة الالتزام بالمذهب العقلي^(٢).

المطلب الثالث: البنية العميقة والبنية السطحية

تُقسم الجملة من حيثُ البنية -عند تشومسكي- إلى قسمين رئيسيين، هما: (البنية العميقة) التي تعبر عن الفكرة العقلية أو المعنى المراد، و(البنية السطحية) التي تعبر عن شكل الجملة أمام القارئ أو صوتها أمام السامع.

و(البنية العميقة) وتُسَمَّى (البنية الباطنية التَّخْتِيَّة) هي: "القواعد التي أوجدت هذا التتابع -تتابع الكلمات الصادر من المتكلم- وهي التي تتمثل في ذهن المتكلّم المستمع المثالي؛ أي: هي عبارة عن حقيقة عقلية يعكسها التتابع اللفظي للجملة؛ أي: الجملة السطحية"^(٣). وعرفها خليل عمايرة بأنها: "الأساس الذهني المجرد لمعنى معين، يوجد في الذهن ويرتبط بتركيب جُمْلِيٍّ أصولي"^(٤).

(١) انظر: الأسنوية التوليدية والتحويلية (النظرية الأسنوية)، د. ميشال زكريا: ٣٣، واللسانيات - النشأة والتطور، أ. أحمد مومن: ٢١٠.

(٢) انظر: نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ٧٧-٧٨.

(٣) انظر: السابق: ١٦٠.

(٤) انظر: في نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل أحمد عمايرة: ٥٨.

فالبنية العميقة تتعلق بالعمليات العقلية الكامنة خلف الجملة الظاهرة التي نسمعها أو نقرأها. وهذا يدل على الارتباط الوثيق بين البنية العميقة والمعاني والأفكار الذهنية حتى تتكوّن الصورة الدلالية^(١)؛ وذلك لأنّ المعاني لا يعرفها السامع أو يحسّ بها إلا عندما يتمّ تحويل الكلام من العملية الذهنية إلى كلام ظاهر مكتوب أو منطوق.

أمّا (البُنْيَةُ السَّطْحِيَّة) وتُسَمَّى (البُنْيَةُ الظَّاهِرِيَّة) فَهِيَ: "البنية الظاهرة عبر تتابع الكلمات التي تصدر عن المتكلّم"^(٢).

فالبنية السطحية تتمثّل في الأداء الواقعي الظاهر للجملة المسموعة أو المكتوبة؛ أي: أنّ البنية السطحية نتيجة للبنية الذهنية العميقة. وهذا يدل على أن العلاقة بين البنيتين تكاملية تماثلية؛ ولذلك قال تشومسكي: "يُمْكِنُ أَنْ نَفْتَرِضَ أَنَّ كُلًّا مِنَ الْبُنْيَتَيْنِ الْعَمِيقَةِ وَالسَّطْحِيَّةِ سَتَكُونَانِ مُتَمَاثِلَتَيْنِ عَلَى الدَّوَامِ"^(٣).

فَلَوْ قُلْنَا مَثَلًا: (يَشْرَحُ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ بِقَلَمٍ يَكْتُبُ بِهِ عَلَى السَّبُّورَةِ) فَإِنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ الْمَنْطُوقَةَ -السطحية- تتكوّن في الأصل من ثلاث جُمَلٍ -عميقة- أصولية (نَوَاة)، تُجَسِّدُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا مَعْنًى عَقْلِيًّا فِي ذَهْنِ الْمُتَكَلِّمِ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ هِيَ^(٤):

أ. (يَشْرَحُ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ).

ب. (يَكْتُبُ الْمُعَلِّمُ بِالْقَلَمِ).

ت. (يَكْتُبُ الْمُعَلِّمُ عَلَى السَّبُّورَةِ).

"تُمَثِّلُ الْجُمْلَةُ الثَّلَاثُ -في مجموعها- علاقة بين نقاط رئيسة: (المُعَلِّمُ، الدَّرْسُ، السَّبُّورَةُ، القلم)، وهذه -الركائز- هي البنية العميقة، التي يأتي دور تجسيدها متتابعة منطوقة بنية سطحية، وتأتي هذه البنية السطحية متألّفة من الجُمَلِ النَّوَاةِ الثَّلَاثُ لِتُكَوِّنَ جُمْلَةً تَحْوِيلِيَّةً مَعْبَرَةً عَنِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْكَلِمَاتِ السَّابِقَةِ، كَمَا يَلِي: (يَشْرَحُ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ بِقَلَمٍ يَكْتُبُ بِهِ عَلَى السَّبُّورَةِ)... فالبنية السطحية هي الكلام المنطوق المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقواعد التحويلية في اللغة، فَبِهَا تَنْتَظِمُ الْكَلِمَاتُ فِي جُمَلٍ يُعَبِّرُ بِهَا الْمُتَكَلِّمُ عَنْ عِلَاقَةٍ ذَهْنِيَّةٍ مَجْرَدَةٍ (معنى) بكلمات محسوسة منطوقة"^(٥).

(١) انظر: نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٥٩ (حاشية المترجم)، وعلم الدلالة بين النظر والتطبيق، د. أحمد نعيم الكراعين: ٩٤.

(٢) نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٥٩ (حاشية المترجم).

(٣) جوانب من نظرية النحو، نعم تشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر: ٣٩.

(٤) انظر: في نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل أحمد عمايرة: ٥٨.

(٥) في نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل أحمد عمايرة: ٥٨-٥٩.

وقد ساق تشومسكي المثال التالي: "(الله الذي لا يُرى خَلَقَ العَالَمَ المَرئيّ) فهذه جملة تحويلية، وهي البنية السطحية لمعانٍ ذهنية مجردة يُمكن تمثيلها بالجمال النواة -العميقة- التالية:

أ. (الله لا يُرى)^(١).

ب. (العَالَمَ مَرئيّ).

ت. (خَلَقَ اللهُ العَالَمَ).

ويتم هذا التحويل بواسطة عددٍ من العناصر التي تُستخدَم لِربطِ الجُمْلِ النّواة -العميقة- ببعضها"^(٢).

وكذلك لو قلت: (ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا) فهذه جملة توليدية سطحية منطوقة أو مكتوبة، منبثقة عن عناصر أصلي هي البنية العميقة: (ضَرَبَ، زيد، عمرو)، ويمكن إنتاج جمل أخرى من الجملة السابقة، مثل:

أ. (ضَرَبَ عَمْرًا زَيْدٌ).

ب. (عَمْرًا ضَرَبَ زَيْدٌ).

ت. (زَيْدٌ ضَرَبَ عَمْرًا).

ث. (ضُرِبَ عَمْرُو).

وهذه الجُمْلُ الأربعة جُمْلٌ تحويلية عن الجمل التوليدية النّواة: (ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا)، وهكذا... و"مِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ البنية العميقة ضمنية، وتتمثل في ذهن المتكلم - السامع؛ فهي حقيقة عقلية قائمة، يعكسها التتابع الكلامي المنطوق الذي يُكوِّن البنية السطحية. من هنا ترتبط البنية العميقة بالدلالات اللغوية؛ أي: أنها تُحدِّد تفسير الجمل الدلالي، في حين ترتبط البنية السطحية بالأصوات اللغوية المتتابة وتحدد تفسير الجمل من الناحية الصوتية"^(٣).

ويتضح الفرق بين البنيتين العميقة والسطحية، حيث إن العميقة^(٤):

١. تُمثِّلُ التفسيرَ الدلالي للجملة.

٢. إنها البنية التي يمكن أن تُحوَّل بواسطة قواعد تحويلية إلى بنية سطحية.

وأمَّا البنية السطحية فإنها^(٥):

(١) المقصود: لا يُرى اللهُ - تعالى - بالعينِ المُجرَّدة في الدنيا، وَقَدْ خَلَقَ لنا هذا الكونَ المُشاهدَ أمامَ أعينِنَا، أمَّا في الآخرة فرؤية المؤمنين لربهم مُحَقَّقة ثابتة بالقرآن الكريم والسُّنة النبويَّة. وجملة (الله لا يُرى) هي للتمثيل على البنية العميقة.

(٢) انظر: في نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل أحمد عاميرة: ٥٩.

(٣) الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٦٤.

(٤) انظر: المدارس اللسانية المعاصرة، د. نعمان بوقرة: ١٥٨.

(٥) انظر: السابق: ١٥٨.

١. تتابع العملية التوليدية التي يقوم عليها المكون التركيبي.
٢. هي الشكل الصوتي النهائي للتتابع الكلامي المنطوق فعلياً.
٣. ترتبط بالأصوات اللغوية المتتابعة، ويتم تحديد التفسير الصوتي للجمل عبرها.
- وتجدر الإشارة إلى أنّ النظرية التوليدية التحويلية تشتمل على ثلاثة مكونات: (المكون التركيبي)، و(المكون الدلالي)، و(المكون الفونولوجي)، حيث يعمل المكونان الأول والثاني على البنية العميقة، ويعمل المكون الثالث على البنية السطحية^(١).
- وتحظى البنية العميقة بأهمية كبيرة في النظرية التوليدية التحويلية، يقول جون ليونز: "لا بُدّ لنا أن نعرف تمامًا أنّ فكرة التركيب العميق في نظرية تشومسكي ما زالت تقوم بدورها الهامّ في النحو، وهو الدّورُ نفسه الذي تقوم به في بناء قواعد النحو التحويلي"^(٢).
- وتتميز البنية العميقة بمجموعة من الخصائص، منها^(٣):
١. إنها البنى الأولى المولدة في قاعدة النحو (عن طريق القواعد التركيبية والقواعد المعجمية).
٢. إنها المجال الوحيد للإدراج المعجمي "الملء المعجمي" Lexical insertion.
٣. إنها البنى التي تُؤوّل دلاليّاً.
٤. إنها البنى التي يمكن أن تحوّل بواسطة تحويلات إلى بنى سطحية سليمة البناء.
٥. تُعيّن الكليات اللغوية الصورية؛ لأن الكليات اللغوية تنتمي بصفة أساسية إلى البنية العميقة.
٦. تُحدّد الوظائف النحوية، وتُرتّب عناصر الجملة.
٧. تشترك اللغات الإنسانية باحتوائها على بنى عميقة.

(١) سيأتي الحديث عن هذه المكونات وعملها في المبحث الثالث من هذا الفصل، ص: ١٥٣-١٧١.

(٢) انظر: نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٩٩.

(٣) انظر: اللسانيات واللغة العربية - نماذج تركيبية ودلالية، د. عبد القادر الفاسي الفهري: ٦٨/١، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٦٤، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان أبو عاصي: ٤٥.

المبحث الثالث القواعد التوليدية التحويلية

وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: مفهوم القواعد التوليدية والتحويلية
- المطلب الثاني: طرائق التحليل اللغوي للجملة عند تشومسكي
- المطلب الثالث: مكونات القواعد التوليدية والتحويلية
- المطلب الرابع: المراحل التاريخية للنظرية التوليدية التحويلية
- المطلب الخامس: الجملة بين علماء العرب والغرب، وطرائق تحليلها في ضوء النظرية

المبحث الثالث

القواعد التوليدية التحويلية

المطلب الأول: مفهوم القواعد التوليدية والتحويلية

تتخذ كلمة "قواعد Grammar" في علم اللغة الحديث مفهوماً مختلفاً عما تتخذه في الدراسات اللغوية القديمة، ففي الدراسات القديمة تعني "قواعد": القوانين التي تُشرع الاستعمال اللغوي وتحافظ على سلامته وفق مقاييس معيارية ثابتة، لكن كلمة "قواعد" في علم اللغة الحديث تعني: وصف اللغة وصفاً موضوعياً في ذاتها ومن أجل ذاتها. فلم تعد -مع نشوء الألسنية "علم اللغة الحديث"- تعني القوانين التي يجب اتباعها في التعبير والكتابة حسب الأصول المراجعة، بل اتخذت معنى دراسة اللغة دراسةً علميةً موضوعية^(١).

ومع مجيء علم اللغة التوليدي والتحويلي صار مفهوم كلمة "قواعد" يعني: "نظاماً من القوانين تتعهد وصف تركيب جمل لغة ما، بطريقة غاية في الوضوح"^(٢)، وهذا المفهوم من تعريفات القواعد التوليدية كما مرّ سابقاً في الفصل الثاني.

و"القواعد التحويلية عبارة عن جهاز يحتوي على أبجدية رموز هي بمثابة مُعْجَمِه، فمستخدم اللغة يستطيع أن يفهم جملاً وتعبيرات لم يُسبق له أن سَمِعَهَا، وأبسط النماذج التي عرضها تشومسكي لهذه القواعد النحوية المحدودة، "وهو يقوم على مبدأ أنّ الجمل تولّد عن طريق سلسلة من الاختيارات"^(٣)، فلو قلنا: (هذا الرَّجُلُ اشْتَرَى بَعْضَ الْخُبْزِ)، فلو اخترنا كلمة (هؤلاء) بدل (هذا) كان يجب إبتاع هذه الكلمة بصيغة الجمع (الرِّجَالُ)، وكذلك نُنْبِغُ (الرِّجَالُ) بِ(اشْتَرَوْا) وهكذا دَوَالِيكَ، فعملية بناء الجُمْلَة وتوليدها يعتمد على مبدأ الاختيار"^(٤).

نستطيع أن نَتَصَوَّرَ -من خلال المثال السابق- النَّحْوَ كأنّه جهازٌ يتحرّك من خلال عمليات اختيارية لا وُجُوبِيَّة. لكن يتبيّن -في النموذج السابق- عَجْزٌ عن توليد نوع معين من الجُمْل، ومن ثمّ اقترح تشومسكي قواعد أخرى سَمَّاها (قواعد تركيب أركان الجُمْلَة)، وهذا النموذج أقوى من النموذج السابق؛ ذلك لأنه يستطيع القيام بما لا يقوم به النموذج الأوّل^(٥).

(١) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (الجُمْلَة البسيطة)، د. ميشال زكريا: ٧، حاشية رقم (١).

(٢) قواعد تحويلية لِلُّغَة العربية، د. محمّد علي الخولي: ٢٣.

(٣) انظر: نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز: ١٠٣.

(٤) المدارس اللسانية المعاصرة د. نعمان بوقرة: ١٤٦.

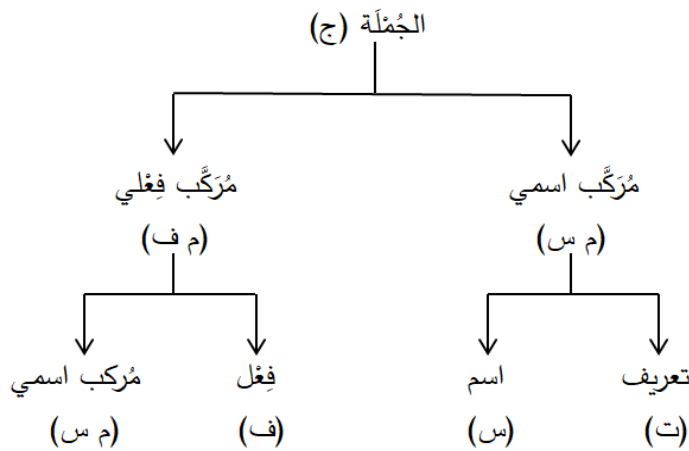
(٥) انظر: المدارس اللسانية المعاصرة د. نعمان بوقرة: ١٤٦.

فالقواعدُ التوليديةُ -بمعنى آخر- هي: نظام من القوانين يمكنه توليد جُمَل اللغة، وله القدرة على وصف تراكيب اللغة وصفاً دقيقاً، مُميّزاً بين الجُمَل الصحيحة نحويّاً Grammatical التي يسمح بها، من الجُمَل غير الصحيحة نحويّاً Ungrammatical التي يمنع ظهورها.

إنَّ النَحْوَ - في النظرية التوليدية التحويلية - ليس المعرفة "غير الواعية بقواعد اللغة فحسب، بل إنه القدرة على اكتشاف هذه القواعد، ووصف اللغة بواسطته"^(١). وبذلك يكون للقواعد التوليدية والتحويلية مهمتان^(٢):

الأولى: توليد "إنتاج" الجُمَل التي يمكن استخدامها في اللغة أو تعدادها، وهذه هي مهمة القواعد التوليدية التي تكمن ضمن الكفاءة اللغوية، وتتمثل هذه القواعد في صورة قاعدة إعادة الكتابة، بمعنى أنها تعيد كتابة رَمَزٍ يُشيرُ إلى عنصرٍ مُعيّنٍ من عناصر الكلام بِرَمَزٍ آخر أو بِعِدَّةِ رموزٍ أخرى، مثل:

الجُمْلَة (ج) ← مُرَكَّب اسمي (م س) + مُرَكَّب فعلي (م ف) = (زَيْدٌ حَفِظَ القَصِيْدَةَ).
 مُرَكَّب اسمي (م س) ← تعريف + اسم (س) = (زَيْدٌ).
 مُرَكَّب فعلي (م ف) ← فِعْل (ف) + مُرَكَّب اسمي (م س) = (حَفِظَ القَصِيْدَةَ).



ويمكن قراءة تلك القواعد على النحو الآتي:

تتكوّن الجُمْلَة من مُرَكَّب اسمي (م س)، و مُرَكَّب فعلي (م ف). ويتكوّن المُرَكَّب الاسمي من تعريف واسم، ويتكوّن المُرَكَّب الفعلي من فِعْلٍ و مُرَكَّب اسمي، ويتكوّن المُرَكَّب الاسمي الأخير من تعريفٍ واسمٍ، وهو كلمة (القصيْدَة) في المثال السابق؛ فالتعريف: (ال)، والاسم:

^(١) محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، د. شفيقة العلوي: ٤٠.

^(٢) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ٥٨-٥٩.

(قصيدة). ثُمَّ تستبدل هذه الرموز بمفرداتٍ مُعْجَمِيَّةٍ حتى نصل إلى جُمْلَةٍ، مِثْل: (زَيْدٌ حَفِظَ القصيدة)، أو مِثْل جُمْلَةٍ: (المُؤْمِنُ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ)، أو غيرهما... وهكذا.

المهمة الثانية: وصف العلاقة بين التركيب العميق "الباطن"، والتركيب السطحي "الظاهر". وَيُسَمَّى هذا النوع من القواعد قواعد تحويلية، أو قوانين تحويلية Transformational Rules. وهي تعمل على البنى، أو التراكيب المُولَّدة مِنَ القواعد التوليدية السابقة الذِّكْر.

وَمِنْ أَهَمِّ خصائص القواعد التحويلية قدرتها عَلَى كَشْفِ الترابط بين الجمل التي تختلف في بناها التركيبية، وعلى كشف معاني الجمل الضمنية العائدة للسياق، كما أنه بإمكان هذه القواعد الكشف عن: كيف أنَّ مجموعة جُمَلٍ متشابهة في بناها التركيبية تختلف في معانيها. وَمِنْ أمثلة النوع الأول -أي: البنى المختلفة في بناها التركيبية والمتفقة في معانيها- قولنا:

- يبدو أنَّ صحة المريض تَتَحَسَّنُ سريعًا.

- تَتَحَسَّنُ صحة المريض بسرعة.

- صحة المريض تَتَحَسَّنُ سريعًا.

فَيَنْتَضِحُ أَنَّ الجُمْلَةَ الثَّلَاثَ السابقة تختلف في بناها التركيبية، ولكنها مُتَّحَوِّلة عن معنى عميق واحد، أو بنية عميقة واحدة، وهي: (تبدو صحة المريض مُتَّحَسِّنَةً بسرعة).

وَمِنْ أمثلة النوع الثاني -وهو كَشْفُ المعاني الضمنية المستفادة مِنَ السياق- ما يظهر في أغلب الجمل التي تحمل معاني مجازية، والجمل التي تحمل معاني بلاغية ضمنية تستفاد من السياق، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾^(١)، فَعَمَى الدنيا مجازي.

أما النوع الثالث -وهو الجمل المتشابهة في بناها التركيبية، والمختلفة في معانيها- فهو كقولنا:

- تَنَفَّسَ الصُّبْحُ بِإِشْرَاقِهِ الْجَمِيلِ. (مركب فعلي + مركب اسمي + مركب حرفي)

- تَنَفَّسَ المريضُ بِأَنَابِيْبِ الْإِنْعَاشِ. (مركب فعلي + مركب اسمي + مركب حرفي).

وكقولنا أيضًا:

- ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ (مركب فعلي + مركب اسمي + مركب حرفي).

- ضَرَبَ مُحَمَّدٌ رَجُلًا بِالْعَصَا الْغَلِيظَةِ (مركب فعلي + مركب اسمي + مركب حرفي).

يمكننا -مِنْ خلال الأمثلة السابقة وغيرها- معرفة قدرة القواعد التوليدية والتحويلية عَلَى اكتشاف الصلات المختلفة بين الجُمَلِ بأنواعها الْمُتَعَدِّدَةِ.

(١) سورة الإسراء: ٧٢.

المطلب الثاني: طرائق التحليل اللغوي للجملة عند تشومسكي

إنَّ اختلاف المناهج التي تتبعها المدارس اللغوية في وَصْفِ اللغة وتحليلها وتفسيرها عائدٌ إلى الاختلاف حول قضيتين أساسيتين، هما: (الكفاءة اللغوية) و(الأداء). فتؤلي المدرسة البنوية (الأداء) الأهمية الكبرى، وتُهمَلُ (الكفاءة) لدى المُتَكَلِّم. أما المدرسة التحويلية بريادة تشومسكي فإنها لا تهمل (أداء المتكلم)، لكنها تُولي (الكفاءة) الأهمية القصوى.

لذا أصرَّ تشومسكي على أن يكون النموذج الصالح لتحليل اللغة ودراساتها مبنياً على (كفاءة المتكلم المثالي)، مع اشتماله على التركيب والدلالة والفونولوجيا معاً، على أن يكون هذا النموذج قادراً على إنتاج الجمل الصحيحة لُغَوِيًّا، ومتصفاً بالعالمية "العمومية"^(١).

وإنَّ تشومسكي -كما هو معلوم- يرفض وصف اللغة وصفاً ظاهرياً شكلياً كما هو الحال مع الوصفية البنوية، فاقترح بديلاً عن ذلك طرائقَ ثلاثاً للتحليل اللُّغوي، واختار في نهاية المطاف الطريقة الثالثة التي عدّها الأنسب في دراسة اللغة وتحليلها. وهذه الطرائق الثلاث التي اقترحها تشومسكي:

١. طريقة القواعد النحوية المحدودة.

٢. طريقة قواعد تركيب أركان الجملة "النموذج الركني".

٣. طريقة النحو التحويلي.

وهذا تفصيلها وبيانها:

أولاً: طريقة القواعد النحوية المحدودة Finite State Grammar^(٢):

تُعَدُّ هذه الطريقة أبسط النماذج النحوية، حيث تَدَّهَبُ إلى أن أبسط هذه النماذج القواعد القادرة على توليد عددٍ لا محدودٍ مِنَ الجُمَل، بواسطة عددٍ محدودٍ من القواعد المكررة التي تعمل وَفْقَ عددٍ محدودٍ من المفردات. وهذا النموذج يندرج ضمن ما يُسمَّى بِ(القواعد النحوية المحدودة)، أو (الآلية المحدودة الحالات)^(٣).

"إن الأجهزة التي تولد اللغات بهذه الطريقة تُعرف في علم الرياضيات بعمليات "ماركوف" ذات الحالة المحدودة"^(٤).

(١) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ٤٨.

(٢) انظر: مقدمة مُترجم كتاب: جوانب من نظرية النحو، لتشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر: ٨، ونظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٠٣-١١١، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٢٧-١٣٠، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان أبو عاصي: ٤٨-٥١.

(٣) انظر: نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٠٣.

(٤) البنى النحوية، نوم تشومسكي، ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيز: ٢٧.

وهذا النموذج البسيط من النحو التوليدي المسمى بنموذج القواعد النحوية المحدودة يقوم على مبدأ يقول: "إن الجمل تولد عن طريق سلسلة من الاختيارات، تبدأ من اليسار إلى اليمين -في اللغة الإنجليزية- أي: عند الانتهاء من اختيار العنصر الأول فإن كل اختيار يأتي عقب ذلك يرتبط بالعناصر التي سبق اختيارها مباشرة، وبناءً على ذلك يجري التركيب النحوي للجملة"^(١).

وَمَثَلُ جون ليونز بالجملة من اللغة الإنجليزية، هي:

(^(٧)This man has brought some bread)، التي يتم توليدها على النحو الآتي^(٣):

تم اختيار كلمة (^(٤)This) لكي تقع في صدر الجملة، وتم اختيارها من بين مجموعة من الكلمات في الإنجليزية التي تصلح أن نبدأ بها وتكون في صدر أي جملة، مثل: (The) أو (^(٥)That) أو (^(٦)Some) أو (a).

ثم تأتي -بعد ذلك- كلمة (man)؛ لأنه يجوز أن تقع بعد كلمة (This)، وكذلك كلمة (has)، حيث تجوز -أيضاً- أن تأتي بعد كلمة (That) أو كلمة (man) وهكذا إلى آخر الجملة السابقة^(٧).

لكن لو بدأنا بكلمة (that) بدلاً من كلمة (This) لتحل محل صدر الجملة؛ فإن الاختيارات المترتبة على ذلك لا تتأثر بذلك الاختيار الأول لكلمة (that). بينما إذا بدأنا بكلمة مثل: (^(٨)those) أو (^(٩)these) لكي تحتل الصدارة في الجملة فلا بد لنا من اختيار كلمة مثل (men)، ثم كلمة (have).

وإذا بدأنا الجملة بكلمة (the) لكي نستهل بها الجملة، فعندنا خياران، إما كلمة (man) مع كلمة (has) بعدها، أو كلمة (men) وبعدها (have) ... وهكذا.

(١) نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٠٣.

(٢) الترجمة: (لَقَدْ جَلَبَ هَذَا الرَّجُلُ بَعْضَ الْخُبْزِ)، أو (هَذَا الرَّجُلُ جَلَبَ بَعْضَ الْخُبْزِ).

(٣) انظر: نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٠٣-١٠٤.

(٤) ضمير: هذا، هذه، هو، هؤلاء، هُنَّ، ...

(٥) تأتي بمعنى: (أَنْ، لَكي، على الرغم مِنْ). وتأتي ضميراً: (هذا، هذه، ذلك، الذي، تلك، ذاك، ...).

(٦) بعض، حوالي، ...

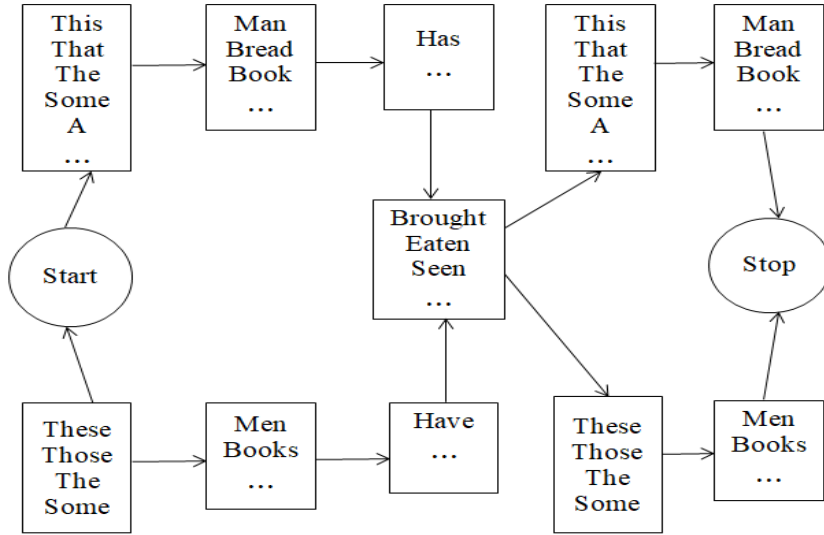
(٧) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ٤٩.

(٨) ضمير: هؤلاء، هُمْ، هُنَّ، أولئك، ...

(٩) ضمير: هؤلاء، هي، ...

وهذا المنوال شبيهة بطريقة تحويل الجملة في اللغة العربية من المفرد إلى المثنى إلى الجمع، ومن المذكر إلى المؤنث^(١)، مثل: (هذا المُسْلِمُ يَعْبُدُ رَبَّهُ، هذه المُسْلِمَةُ تَعْبُدُ رَبَّهَا، هذان المُسْلِمَانِ يَعْبُدَانِ رَبَّهُمَا، هاتان المُسْلِمَتَانِ تَعْبُدَانِ رَبَّهُمَا).

يوضح الرسم البياني الآتي آلية عمل هذه الطريقة^(٢):



وَقَدْ بَيَّنَّ تشومسكي أَنَّ هذه الطريقة "القواعد النحوية المحدودة" غير ملائمة لتحليل اللغوي، وذلك للأسباب الآتية^(٣):

١. إِنَّ هذه الطريقة قائمة على افتراض أَنَّ توليد الجمل يتم عبر توليد الكلمة بعد الكلمة من اليسار إلى اليمين "في الإنجليزية"؛ مما يجعل هذا النموذج غير قادر على التعامل مع بنى متعددة من بنى اللغات الإنسانية.
٢. لا تُفيد هذه الطريقة "النموذج الماركوفي" بأيّ معلومات فيما يختص ببنية الجملة، وَمِنْ ثَمَّ فهي لا تصلح لبناء قواعد اللغة الطبيعية.
٣. ارتبط بناء هذا النموذج "الماركوفي" بالمدرسة الوصفية البنيوية في الخمسينيات من القرن العشرين، ومعلوم أَنَّ هذه المدرسة تنظر إلى اللغة على أنها لائحة من العادات الكلامية؛ وهذه النظرة قاصرة تجعلها تتعارض مع مبادئ النظرية التوليدية التحويلية التي تتبنى إنتاج القواعد لعددٍ غير متناهٍ من الجمل مع تفهمها.
٤. ينحصر هذا النموذج الماركوفي -فقط- في مستوى الكلام السطحي، مُهْملاً -مِنْ ثَمَّ- مستوى الكلام العُمقي "العميق".

^(١) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ٥٠، حاشية رقم (١).

^(٢) انظر: نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٠٥.

^(٣) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٢٩-١٣٠.

ثانيًا: طريقة قواعد تركيب أركان الجملة "النموذج الركني" Phrase Structure Grammar^(١):

هذا النموذج الثاني -من نماذج النحو التوليدي- الذي يقدمه تشومسكي، بعدما رأى أن النموذج الأول غير ملائم للدراسة والتحليل اللغوي. ويُسمَّى هذه الطريقة (Phrase Structure)، ويرمز إليها بـ(P.S)^(٢).

باستطاعة النموذج الركني (PS) توليد عددٍ من الجمل لا يستطيعها النموذج الأول "الماركوفي". "وترجع فكرة هذه الطريقة الثانية -طريقة قواعد تركيب أركان الجملة- إلى طريقة الإعراب التقليدية، وهي تشبه طريقة التحليل الإعرابي في النحو العربي إلى حدٍّ كبير"^(٣). ويُعدّ هذا النموذج الركني أكثر تعقيدًا من النموذج الماركوفي، ويندرج ضمن هذا النموذج التحليل بالعودة إلى المؤلفات المباشرة، الذي يدرس الجملة بالعودة إلى مؤلفاتها المباشرة^(٤).

ولتوضيح الأمر صَرَبَ ميشال زكريا مثالًا على الجملة الآتية: (سافرَ الرَّجُلُ إِلَى الْجَبَلِ)؛ فهذه الجملة مكوّنة من مؤلفات كلامية معيّنة: (سافر): مركب فعلي، (الفاعل = الرجل): مركب اسمي، (إلى الجبل): مركب حرفي، ويتضح أنّ كُلَّ مُكوّنٍ من مكوّنات هذه الجملة مُكوّن بدوره من مكوّنات أخرى، فالمركب الاسمي مُكوّن من التعريف (ال)، ومن الاسم (رَجُل)^(٥).

وتُتملّل الجملة السابقة برسمٍ تخطيطي على شكلٍ علبة ذات مداخل متعددة (مُخَطَّط خانات)^(٦):

(١) انظر: البنى النحوية، نوم تشومسكي، ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيز: ٣٥-٤٧، ونظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١١٣-١٣٣، والنحو العربي والدرس الحديث، د. عبّده الراجحي: ١٣٢-١٣٦، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٣٠-١٣٣، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان أبو عاصي: ٥٢-٥٥.

(٢) انظر: نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١١٣، والنحو العربي والدرس الحديث، د. عبّده الراجحي: ١٣٢.

(٣) النحو العربي والدرس الحديث، د. عبّده الراجحي: ١٣٢.

(٤) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٣٠.

(٥) انظر: السابق: ١٣١.

(٦) انظر: السابق: ١٣١.

سافر	الرجل	إلى	الجبل
سافر	ال	إلى	الجبل
فعل ماضي	تعريف	اسم	حرف
مركب فعلي	مركب اسمي	مركب حرفي	

يُعادلُ مفهومُ المكونات المباشرة مفهومُ القوس المعقوف في الرياضيات والمنطق الرمزي؛ فلو أخذنا معادلة على الشكل الآتي:

$$س \times (ع + ف)$$

فإننا نقوم بعملية الجمع قبل عملية الضرب، لكن إذا أخذنا معادلة على الشكل التالي:

$$س \times ع + ف$$

فنقوم بعملية الضرب قبل عملية الجمع؛ لعدم وجود القوسين. ومن المعلوم أن الترتيب في العمليات الحسابية -كالترتيب بين عمليّتي الجمع والضرب- يُؤثّر على الحاصل من هذه العمليات^(١).

يُلاحظُ الأمر نفسه فيما يتعلق باللغة، كالجملّة الآتية: (استراحةُ القدسِ الكبرى)؛ فهذا التعبير يتخذ معنيين مختلفين في التحليل إلى المكونات المباشرة، فنَقْهَمُ الجملّة السابقة على أنّ كلمة (الكبرى) نعتٌ لكلمة (القدس)، وَقَدْ تَقْهَمُ على أنّ كلمة (الكبرى) نعتٌ لكلمة (استراحة). والجدير بالذكر أنّ الوصفين قاموا بتحليل المكونات المباشرة للجملّة، فكانت طريقة (بلومفيلد) تقوم على تحليل الجملّة إلى عناصرها الأساسية؛ أي: مكوناتها المباشرة، وذلك عن طريق الخانات، فلو قُلْتُ: (شَرَحَ المُعَلِّمُ الدَّرْسَ) فطريقةُ الخانات -عنده- لمعرفة عناصر الجملّة كالآتي^(٢):

شَرَحَ		المُعَلِّمُ		الدَّرْسَ	
شَرَحَ	ال	مُعَلِّمُ	ال	درس	ال
فِعْلٌ	تعريف	اسم	تعريف	اسم	تعريف
رُكْنٌ فعلي	رُكْنٌ اسمي		رُكْنٌ اسمي		
الجُمْلَةُ					

^(١) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٣١-١٣٢. فلو كانت (س=٣)، و(ع=٥)، و(ف=٧)؛ فإنّ الحاصل في المعادلة الأولى هو (٣٦)، بينما الحاصل في المعادلة الثانية هو (٢٢).

^(٢) انظر: نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ٦٢-٧٢، والألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، د. ميشال زكريا: ٩٢، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان أبو عاصي: ٥٢-٥٣. والرُكْن عند د. ميشال = المُرْكَب، فَرُكْنٌ اسمي؛ أي: مُرْكَبٌ اسمي.

لَكِنَّ تشومسكي وضع قواعد تركيب الجملة مضيئاً لها إضافات مهمة تمثلت في الطريقة التالية^(١):

الجملة ————— مركب اسمي (م س) + مركب فعلي (م ف).

المركب الاسمي ————— أداة تعريف + اسم.

المركب الفعلي ————— فِعْل + المركب الاسمي.

أداة تعريف ————— ال.

اسم: (رَجُل، كُرّة، واعِظٌ، ...).

فِعْل: (ضَرَبَ، أَخَذَ، فَهَمَ، ...).

لذلك فإن جملة (الطالبُ فَهَمَ الدَّرْسَ) تُطَبِّق عليها القواعد السابقة هكذا:

الطالبُ + فَهَمَ الدَّرْسَ

↓ ↓
مركب اسمي + مركب فعلي.

ال + طالبُ + فَهَمَ + الدَّرْسَ.

ال + طالبُ + فَهَمَ + ال + دَرْسَ.

يعتمد تشومسكي قواعد توليدية على شكل إعادة كتابة؛ لترجمة العلاقات القائمة بين المكونات، فيحصل على ما يسميه قواعد رُكْنِيَّة "مُرْكَبِيَّة". وهذه القواعد تُسَمَّى قواعد إعادة كتابة؛ أي: إنها تُعيد كتابة رمز برمز آخر إلى أن يتم توليد الجملة. ومعروف أن الهدف الرئيس هو توليد الجمل؛ لذا تبدأ القواعد الركنية برمز (جملة)^(٢).

إن طريقة الخانات هي الطريقة التي اعتمدها بلومفيلد بيد أن تشومسكي عدلَ عَنْ طريقة الخانات إلى طريقة الشجرة أو ما يُسَمَّى (المُشَجَّر)^(٣)؛ وذلك لأنها تقوم بتوضيح العلاقات بين العناصر الأساسية التي حُلِلَتْ، بحيث تُعاد كتابة التركيب الذي اخترناه وَفُق الرموز الموضوعية له، المُسمَّاة (قواعد إعادة الكتابة)، فَلَوْ تناولنا الجملة الآتية:

(١) انظر: البنى النحوية، نوم تشومسكي، ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيز: ٣٧، ونظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٢١، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٣٣.

(٢) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٣١-١٣٢.

(٣) انظر: مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، كاترين فوك، وبيارلي قوفيك، ترجمة: د. المنصف عاشور: ٨٠.

(ضَرَبَ الرَّجُلُ الْكُرَةَ The man hit the ball) فَسَنَجِدُهَا مُكَوَّنَةً مِنْ^(١):

S: NP + VP (جملة)

NP: T + NP (عبارة اسمية)

VP: V + VP (عبارة فعلية)

V: hit (فعل)

N: man, ball (اسم)

T: the (أداة)

ويقابل التقسيم السابق في العربية:

الجملة: عبارة اسمية + عبارة فعلية.

العبارة الاسمية: أداة + اسم.

العبارة الفعلية: فعل + عبارة اسمية.

فعل: ضَرَبَ.

اسم: رَجُلٌ، كُرَةٌ.

أداة: ال.

وتمرّ هذه الرموز على قواعد إعادة الكتابة^(٢):

S: NP + VP

الجملة: عبارة اسمية + عبارة فعلية

T + N + VP

أداة + اسم + عبارة فعلية

The + N + V + NP

ال + اسم + فعل + عبارة اسمية

The + man + V + NP

ال + رَجُلٌ + فعل + عبارة اسمية

The + man + hit + NP

ال + رَجُلٌ + ضَرَبَ + عبارة اسمية

The + man + hit + T + N

ال + رَجُلٌ + ضَرَبَ + أداة + اسم

The + man + hit + The + N

ال + رَجُلٌ + ضَرَبَ + ال + اسم

The + man + hit + The + ball

ال + رَجُلٌ + ضَرَبَ + ال + كُرَةٌ

يُمكن أَنْ يُسْتَنْتَجَ - مِنْ خِلالِ الْمُشَجَّرِ - أَنَّ (the man) بمثابة المبتدأ، و (hit the ball)

خبر المبتدأ، و (the ball) مفعول به للفعل: (hit)، فالأصل: (الرَّجُلُ ضَرَبَ الْكُرَةَ The man

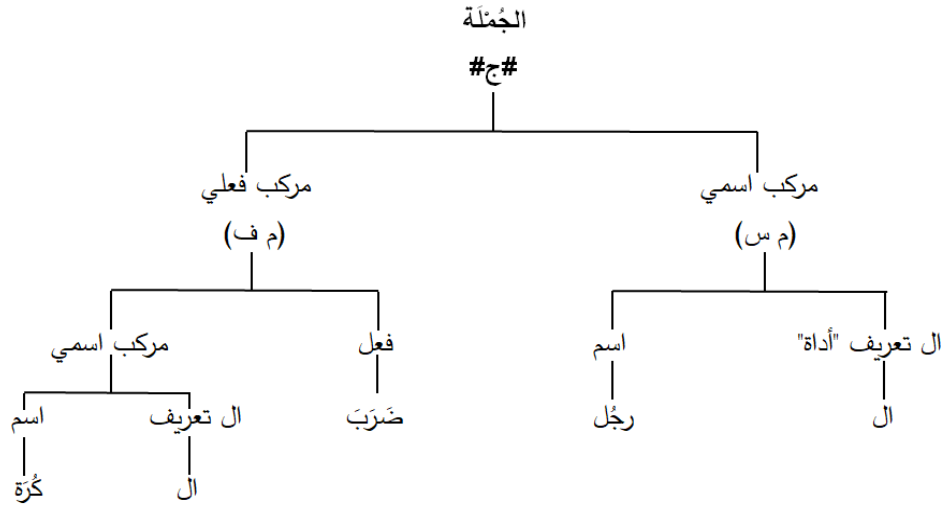
^(١) انظر: البنى النحوية، لتشومسكي، ترجمة: د. يوثيل عزيز: ٣٧، ونظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز،

ترجمة: د. حلمي خليل: ١٣٦ و ١٤٨-١٥٠، ومبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، كاترين فوك، وبيارلي

قوفيك، ترجمة: د. المنصف عاشور: ٨٠، والنحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١٣٤-١٣٥.

^(٢) انظر: البنى النحوية، لتشومسكي، ترجمة: د. يوثيل عزيز: ٣٨-٤٠.

(hit the ball)، وهذه الجملة الأساسية عُرضةً للتحويل؛ فتتحوّل مِنْ حالةٍ لأخرى، حسب دخول أحد عناصر التحويل، كالحذف، أو الزيادة، أو الاستبدال، أو التقديم والتأخير... إلخ. ويكون تحليل الجملة السابقة بطريقة الرسم الشجري كالآتي^(١):



إنَّ النموذجَ الركنيَّ "الطريقة الثانية" قادرٌ -إلى حدِّ كبير- على توليد كُلِّ الجُمَلِ الأصولية في اللغة، إلا أنه قد ظهرتْ فيه نقاطُ ضَعْفٍ جَعَلَتْ مِنْ تشومسكي يُقَرِّرُ أَنَّ هذا النموذجَ -رَغْمَ قدرته على وصفِ الجملِ الصحيحة نحويًّا- غيرُ صالحٍ لتحليلِ اللغة ودراستها كما يتطلَّب الأمر^(٢)، وهذه نقاطُ الضعف^(٣):

١. يصف النموذج الركني بعض الجمل بصورة مُعَقَّدة أحيانًا.
٢. لا تتضمن القواعد الركنية قواعدَ باستطاعتها حذف العناصر أو تبديل مواقعها فيما بينها، فترتب على ذلك عَجْزٌ عن تحليل العلاقات القائمة بين جمل مختلفة.
٣. لا يمكن للنموذج الركني أن يتجاوز الوصف البنوي العائد إلى الجمل الظاهرة.
٤. لا يدرس النموذج الركني العلاقات القائمة بين الجمل، وَمِنْ ثَمَّ لا يمكنه أَنْ يُفَسِّرَ: كيفَ أَنَّ أكثرَ مِنْ جملة واحدة تشترك في المعنى نفسه رغمَ أَنَّ وصفها البنوي مختلف.
٥. لا يستطيع النموذج الركني أَنْ يُفَسِّرَ: كيفَ أَنَّ جملة معينة يمكن أَنْ تحتل أكثرَ مِنْ تفسير واحد؛ وذلك لأن هذا النموذج لا يَتَخَطَّى وَصْفَ الجملة مِنْ حيثُ البنية، وَمِنْ ثَمَّ لا يُقَرُّ بوجود المستوي العميق للجملة، لكنه يعتني -فقط- بالمستوى السطحي لها.

^(١) انظر: البنى النحوية، لتشومسكي، ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيز: ٤٠. وبالنسبة للإشارة ##ج# فيشير الرمز

الأول إلى بداية الجملة، ويشير الثاني إلى نهايتها.

^(٢) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان أبو عاصي: ٥٥.

^(٣) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٣٣-١٣٤.

بالرغم من استطاعة النموذج الركني -إلى حد كبير- تحليل كل الجمل الأصولية في اللغة؛ فإنَّ تشومسكي وَجَدَهُ لا يَفِي -بصورة كاملة- بمتطلبات البحث اللُّغوي، مما دفعه إلى البحث عن نموذجٍ آخَرَ، يمكنه توليد كُلِّ الجمل الأصولية، وهذا هو "النموذج التحويلي" الذي لا تظهر فيه نقاط الضعف كما في النموذج الركني، بل هو أقدر على الوفاء بمتطلبات النظرية اللُّغوية التي يرنو إليها تشومسكي^(١)، وتُقَدِّم طريقة النحو التحويلي "النموذج التحويلي" نظامًا أكثر بساطة في دراسة الجُمْل وتحليلها. وهذه هي الطريقة الثالثة التالية.

ثالثًا: طريقة النحو التحويلي Transformational Grammar^(٢):

هذه الطريقة صارت عنوانًا للمنهج النحوي كله، الذي تطلع له تشومسكي، وهي الطريقة التي تعرف بطريقة النحو التحويلي، ويرمز لها بالرمز: (T.G.). "ويتخطى هذا النموذجُ التحويليُّ النموذجَ الركنيَّ، ويتم ذلك بمفهوم جديد هو مفهوم (التحويل)، وتندرج القواعد التوليدية والتحويلية ضمن هذا النموذج التحويلي الذي يُبْقَى على عمل القواعد الركنية في تأدية الوصف البنيوي، ويلجأ إلى القواعد التحويلية التي تُقَدِّم الشكل النهائي للجُمْلَة"^(٣).

والقواعد التوليدية هي التي تقوم على توليد البنى العميقة وإنتاجها، أمَّا القواعد التحويلية فهي التي تقوم بتحويل البنى العميقة -التي أُنتِجَتْ مِنْ القواعد التوليدية- إلى بنى سطحية "جمل ظاهرة"، وهي التي تُسَمَّى (القوانين التحويلية)^(٤). وتقصد هذه الطريقة إلى تحليلين: تحليل (البنية العميقة) لِلُّغَةِ بِعَدِّهَا الجانب (المنطقي) أو (العقلي) لها، ثم إلى تحليل (البنية السطحية)؛ لذا فهي تحاول أن تصل إلى عامل (الحَدْس) عند متكلم اللغة^(٥).

إن طريقة التحويل من البنية العميقة إلى السطحية أهم فكرة في منهج تشومسكي، أو هي الفكرة الجوهرية الأساسية التي يقوم عليها منهجه؛ لأنه ينظر إلى اللغة على أنها نتاج عقلي

(١) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان أبو عاصي: ٥٥.

(٢) انظر: البنى النحوية، لتشومسكي، ترجمة: د. يوثيل عزيز: ٤٩-٦٦، ونظرية تشومسكي اللُّغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٣٥-١٦٥، والنحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١٣٦-١٤١، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٣٥-١٣٦، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان أبو عاصي: ٥٥-٥٦.

(٣) الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٣٥.

(٤) سياًتي الحديث عنها بالتفصيل في المطلب الثالث من هذا الفصل، ص: ١٥٣-١٧١.

(٥) انظر: النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١٣٦-١٣٧.

قبل أن يكون سلسلة من الأصوات المنطوقة^(١). كما أن طريقة النحو التحويلي (T.G) تتخطى الضعف الكامن في الطريقتين الأوليين.

وتستخدم طريقة النموذج التحويلي (T.G.) الرموز التي تَبْنِيهَا الطريقة الثانية "النموذج الركبي P. S" مع بعض التوسع والتطوير، فقد وصل عدد القواعد في النموذج التحويلي اثنتي عشرة قاعدة، لِتَحْوِي كُلَّ مَا يُمكن أَنْ تُولَدَ مِنْ الجمل النحوية مُستخدمةً (قواعد إعادة الكتابة)، و(رَاسِمَ أركانِ الجملة) المرتبط بها^(٢).

فإذا تم تطبيق قواعد تركيب الجملة أُنتِجَتْ لنا "سلسلة تُسمَّى في علم اللغة التحويلي "السلسلة العميقة"، وهي ليست جُملة، ثم يأتي دور القواعد التحويلية؛ لِتُحوَّلَ هذه السلسلة العميقة -عن طريق بعض القوانين الاختيارية أو الإجبارية^(٣)- إلى بنية سطحية، أو ما يعرف بالجملة اللغوية المنطوقة^(٤).

كما أن هذه الطريقة تُقدِّمُ فُرَصًا أوسع للاختيار عن القواعد في الطريقة الثانية؛ ذلك لأنها شملت عناصر الأفراد، والجمع، والأزمنة، والأفعال المساعدة، وهناك ميزة حَسَنَةٌ في هذه الطريقة، وهي اشتغالها على البناء للمعلوم، والبناء للمجهول^(٥)، فَيُمكنُ أَنْ تُولَدَ التركيب الآتي:

the + man + present + may + have + open + the door.

يقابلها في العربية: ال + رَجُلٌ + موجود + فعل مساعد "قَدْ، رُبَّمَا، ... " + فعل مساعد + افتح + الباب.

والتركيب السابق ليس جملة، لكنه يُمثِّل (البنية العميقة) للجملة المبنية للمعلوم، والمبنية للمجهول:

أ. المبنية للمعلوم:

(The man may have opened the door الباب يُكُونُ الرَّجُلُ فَتَحَ البابَ)

ب. المبنية للمجهول:

(The door may have been opened by the man قَدْ يَكُونُ البابُ فَتَحَ بِوِاسْطَةِ الرَّجُلِ^(٦))

(١) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ٥٦.

(٢) انظر: نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٤٠-١٤١، والنحو العربي والدرس

الحديث، د. عبده الراجحي: ١٣٧. سيأتي الحديث بالتفصيل عن الخطوات المستعملة مع رموز هذه الطريقة عند الحديث عن (قواعد التكوين) في المطلب الثالث مِنْ هذا الفصل، ص: ١٥٣-١٦٩.

(٣) سيأتي الحديث عن القوانين الإجبارية والاختيارية، عند الحديث عن أنواع القوانين التحويلية، في المطلب

الثالث: (مكونات القواعد التوليدية والتحويلية)، مِنْ هذا الفصل، ص: ١٥٣-١٧١.

(٤) القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ٥٦.

(٥) انظر: النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١٣٧-١٣٨.

وَقَدْ طَوَّرَ تشومسكي هذه الطريقة بإضافة (العنصر الدلالي) لهذه القواعد، حيث عَدَّ الدلالة جزءاً أساسياً في التحليل النحوي.

وَيُمْكِنُ للطريقة الثالثة (T.G) أَنْ تُؤَلَّدَ عددًا لا محدود من (البنى العميقة) للجُمْلِ، و"ينبغي أَنْ نشير أَنَّ هناك فَرْقًا بين (الفاعل) بمعناه النحوي، وَبَيْنَ معناه (المنطقي) أو (العقلي). إِنْ (الفاعل المنطقي) يُمَثَّلُ (البنية العميقة) التي تُحَلَّلُ وَفَقًا للتفسير الدلالي، أَمَّا (الفاعل النحوي) فيُمَثَّلُ (البنية السطحية) وهي تُحَلَّلُ وَفَقًا للتفسير الصوتي"^(١)، كقولنا: (وَهَبَ زَيْدٌ خَالِدًا ثَوْبًا) فهذه جملة سطحية، الفاعل النحوي فيها: (زيدٌ)، وهذه الجملة مُسْتَلَّةٌ مِنَ البنية العميقة: (أَخَذَ خَالِدٌ مِنْ زَيْدٍ ثَوْبًا)؛ فيكون الفاعل العقلي "المنطقي": (خالد)؛ وعليه فَإِنَّ للجملة السابقة فاعِلَيْنِ: نحوي وهو: (زيدٌ)، وعقلي "منطقي" هو: (خالد).

ويطرح هنا سؤال: ما الإطار العام الذي تعمل ضمنه التحويلات من الناحية الشكلية؟ والإجابة: "تُطَبَّقُ التحويلات على تتابع كلمات حاصل من خلال القواعد الرُّكنية ويُمكن تمثيل هذا التتابع بواسطة مؤشرات رُكنية مُجَرَّدة. تحوّل التحويلات الرُكنية المتتابعة هذه إلى مؤشرات رُكنية متتابعة أيضًا؛ فيتم الحصول -إذن- على مؤشرات رُكنية جديدة هي مؤشرات رُكنية مشتقة. وَعَدَدُ المؤشرات الرُكنية المشتقة يساوي عدد التحويلات التي يتم تطبيقها، ويتم في النهاية الحصول على مؤشر ركني مشتق نهائي عندما لا تعود المؤشرات الرُكنية تخضع لتحويل جديد"^(٢).

يُعَدُّ هذا النموذج "النموذج التحويلي" مهمًّا جدًّا في النظرية التشومسكية، فهو يحتوي على ثلاثة مُكوِّنات: (التركيبي والدلالي والفونولوجي)، ولا بُدَّ مِنْ دراستها وتبسيط الضَّوِّعِ عليها؛ لِذَا أَرْجَأْتُ الحديثَ المُفَصَّلَ عنها لتوضيحها في المطلب التالي: (مُكوِّنات القواعد التوليدية والتحويلية).

(١) هذه ترجمة للجملة الإنجليزية المذكورة؛ لأنَّه يُذكر في اللغة الإنجليزية: (by the man) وأمثالها، والصواب -في النحو العربي- أَنْ يُقال: (فُتِحَ البابُ)؛ إذ لا يجوز أَنْ يكون الفاعل مجهولاً وهو مذكورٌ في الجملة، بمعنى: أَنه لا يُلْجَأُ إلى المبني للمجهول إِلَّا إذا كان الفاعل مجهولاً، أو إذا لم نَكُنْ نَعْلَمُهُ.

(٢) انظر: النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١٣٩.

(٣) الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٣٥-١٣٦. وسيتضح الأمر أكثر في المطلب الثالث من هذا الفصل، عند الحديث عن طريقة عَمَلِ المُكوِّنات الثلاثة (التركيبي والدلالي والفونولوجي)، ص: ١٦٨-١٧١.

المطلب الثالث: مُكوّنات القواعد التوليدية والتحويلية

تتكوّن القواعد التوليدية والتحويلية من مُكوّنات ثلاثة مترابطة مُنظّمة: (المُكوّن التركيبيّ - المُكوّن الدلاليّ - المُكوّن الفونولوجيّ)، ولكلّ مُكوّن منها نظامٌ من القواعد يُتيح تحليل اللغة، وهذا تفصيل المُكوّنات الثلاثة:

أولاً: المُكوّن النّحويّ "التركيبيّ" Syntactic Component^(١):

هو المُكوّن المسؤول والوحيد -في القواعد التوليدية والتحويلية- عن توليد البنى العميقة للجمل وتكوينها، ويتألف هذا المكون من مكونين: "المكون الأساس"، و"المكون التحويلي".

١. المُكوّن الأساس Base Component^(٢):

يحتوي هذا المكون على جُزأين، هما: (مجموعة قواعد بناء أو تكوين)، و(مُعْجَم) يشتمل على المداخل المُعجمية.

أ. قواعد التكوين Structural Rules:

إن قواعد التكوين هي القواعد نُفسها التي قام تشومسكي بعرضها في النموذج الثاني -نموذج تركيب أركان الجملة^(٣)- لكن مع شيءٍ من الزيادات؛ لِتَتواءم مع النموذج التحويلي. "توفّر هذه القواعد تكوين المعلومات اللازمة لتوليد الجمل الصحيحة والمحتملة الصّوغ في اللغة، وتتخذ هذه القواعد شكل قاعدة إعادة الكتابة؛ أي: أنها تُعيد كتابة رمز يُشير إلى عنصر معين من عناصر الكلام برمزٍ آخر أو بعده رموز^(٤)".

وهذه القواعد -كما عرضها تشومسكي في كتابه Syntactic Structures- هي^(٥):

١. الجُمْلَة ← مُرْكَب اسمي + مُرْكَب فِعْلي.

(١) انظر: البنى النحوية، نوم تشومسكي، ترجمة: د. يوثيل عزيز: ٨٣-٨٤ و ٩٢، ومقدمة المترجم مرتضى جواد باقر لكتاب: جوانب من نظرية النحو، لتشومسكي: ١٢ والكتاب نفسه: ١٣٤ و ١٣٩-١٤٢، والمعرفة اللغوية، تشومسكي، ترجمة: د. محمّد فتّيح: ١١، ونظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٣٦، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٤٥-١٤٦، ومناهج علم اللغة، من هـرمان باول إلى ناعوم تشومسكي، تأليف: بريجيت بارتشت، ترجمة وتعليق: أ. د. سعيد حسن بحيري: ٢٧٨-٢٨٠، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ٦٠-٦٦.

(٢) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٤٥.

(٣) سَنَق الحديث عنها في المطلب الثاني من هذا المبحث، ص: ١٤٥-١٥٠.

(٤) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٤٦.

(٥) انظر: البنى النحوية، نوم تشومسكي، ترجمة: د. يوثيل عزيز: ٨٣-٨٤ و ٩٢، ونظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٣٦، ونظرية تشومسكي التحويلية التوليدية - الأسس والمفاهيم، (بَحْثٌ مُحْكَمٌ)، د. مختار درقاوي: ٨.

٢. المُرَكَّب الفِعْلي ← فِعْل + مُرَكَّب اسمي.

٣. المُرَكَّب الاسمي ← { مُرَكَّب اسمي مُفْرَد }
{ مُرَكَّب اسمي جَمْع }

٤. مُرَكَّب اسمي مُفْرَد ← أداة تعريف + اسم.

٥. مُرَكَّب اسمي جَمْع ← أداة تعريف + اسم + علامة الجَمْع.

٦. أداة تعريف ← ال.

٧. الاسم ← رَجُل، طَالِب، كِتَاب، بَاب، ...

٨. الفِعْل ← فِعْل مُسَاعِد + فِعْل.

٩. الفِعْل ← دَرَسَ، حَفِظَ، ...

١٠. زمن الفِعْل ← ماضٍ، مضارع، أمر.

١١. المُسَاعِد ← صِيغ الفِعْل.

١٢. صِيغ الفِعْل ← س، سوف، قَدْ، ...

والمقصودُ بصيغ الفعل في اللغة الإنجليزية الأفعالُ المساعدة، مثل: can, will.

وقد لُوْحِظَ على هذه القواعد "أنها أنسب إلى الإنجليزية منها إلى العربية، مما دفع

التحويليين العرب إلى وضع قواعد تكوين تتلاءم والبناء الطبقى للجملة العربية^(١)^(٢).

وقام تشومسكي بالتعديل على نظريته عام ١٩٦٥م حيث رغب في تطوير هذه القواعد

في كتابه "جوانب من نظرية النحو Aspects^(٣)"، فصارت تتكوّن الجُمْلَة -عنده- مِنْ (مركب

اسمي + مركب مسند)، ويتكوّن المركب المسند مِنْ (فعل مساعد + مركب فعلي...) وهكذا.

ثمّ أضاف إلى هذه القواعد ما سَمَّاهُ: القواعد الصنفيّة^(٤) Categorical Rules، وقواعد

التصنيف الجزئي Sub Categorization Rules، التي تحدد انتقاء الفعل وَفُقًا لفاعله

ومفعوله، وكذلك تعدد صنف الفعل من حيث الأصناف النحوية، التي يوجد معها في المركب

الفعلّي^(٥).

(١) سيأتي الحديث عنها في المطلب الخامس من المبحث الثالث من هذا الفصل، ص: ١٨١-١٩٦.

(٢) القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ٦١.

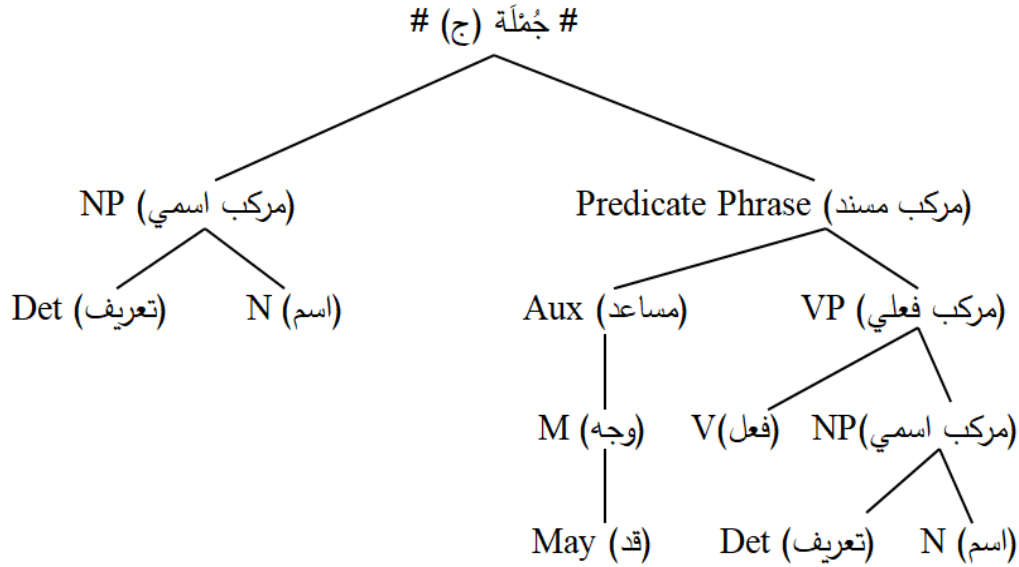
(٣) Noam Chomsky (1965): Aspects of the theory of syntax: Cambridge, Mass, The M. I. T. Press, 1998.

(٤) كان اسمها عند تشومسكي: قوانين بنية العبارة "المُرَكَّب". انظر: مقدمة المترجم مرتضى جواد باقر لكتاب:

جوانب من نظرية النحو، لتشومسكي: ١٢.

(٥) انظر: مقدمة المترجم مرتضى جواد باقر لكتاب: جوانب من نظرية النحو، لتشومسكي: ١٢.

وتتخذ هذه القواعد التكوينية -بما تحتويه من قواعد صنفية، وأخرى تصنيفية جزئية عند تشومسكي- صورة مؤشِّر أركانِ الجُمْلَةِ، أو المُشَجَّر لتحليل الجملة إلى مُؤَلَّفَاتِها "مُرَكَّبَاتِها" المباشرة بشكل مجرد يبين مختلف العلاقات القائمة بين عناصر التركيب، وانتماء المؤلَّفات "المُرَكَّبَات" إلى فئات معينة^(١)، وهي كالآتي^(٢):



يُلَحَظُ أنَّ هذه القواعد -كما ذُكِرَ آنفًا حتى بعد التعديل- غير متلائمة مع البناء الطبقي للجُمْلَةِ العربية، ممَّا سيجبر التحويليين العرب على التغيير فيها سواء أكان ذلك بالزيادة أم بالنقصان^(٣).

ب. المُعْجَم Lexicon:

يُعَدُّ المُعْجَمُ الجزءَ الثاني من المكوّن الأساس، وهو عبارة عن: "مجموعة المفردات المعجمية -الكلمات- في اللغة مع خصائصها النحوية والصوتية والدلالية، وكذلك قوانين إدراج هذه المفردات في السلسلة النحوية، التي تولدها القوانين الأولى في المواضع، التي تتطابق صفاتها مع صفات هذه المفردات"^(٤)؛ أي: أنَّ معجم اللغة يتكوّن مِنْ لائحة من المفردات المعجمية، لكلِّ

^(١) القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ٦١.

^(٢) انظر: جوانب من نظرية النحو، تشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر: ٩٥ و ١٣٧.

^(٣) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ٦٢.

^(٤) مقدمة المترجم مرتضى جواد باقر لكتاب: جوانب من نظرية النحو، لتشومسكي: ١٢، وانظر: الكتاب نفسه:

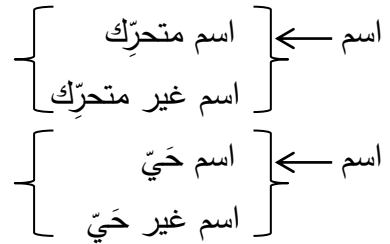
مفردة خصائصها الصوتية والتركيبية "النحوية" والدلالية. وتولد قواعد التكوين مشيرًا ركنيًا يرتد إلى الجملة^(١).

وإذا أردنا تبين طبيعة عمل "المعجم" وأهميته في "المكون الأساس" فيمكننا التمثيل بالجملتين الآتيتين^(٢):

أ. أَكَلَ الرَّجُلُ النَّقَّاحَةَ.

ب. أَكَلَتِ النَّقَّاحَةُ الرَّجُلَ.

الجملتان كلتاهما جيّدة التركيب؛ وذلك لأن بناءهما التركيبي "النحوي" واحد: (فعل + فاعل + مفعول)؛ أي: (فعل + مركب اسمي + مركب اسمي)، ومع أن الجملة الثانية جيدة التركيب فإنها غير مقبولة، ويعود سبب انحرافها عن الأصولية إلى أنّ الفعل "أَكَلَ" لا يتّخذ - عادةً - اسمًا غير متحرك في موقع فاعله^(٣)، أو غير حيّ، لذلك فأهمية السمات الذاتية التي تتكوّن منها المفردات المعجمية تلعب دورًا أساسيًا في تحديد أصولية التراكيب، إذ تقوم هذه السمات مقام قواعد تفريع؛ فسمّة [+متحرك] مثلاً تُعيّن ضمن فئة الاسم فئتين متفرعتين عنه: فئة الأسماء المتحركة، وفئة الأسماء غير المتحركة [-متحرك]، أو غير ذلك من السمات، مثل: [+حَيّ]، [-حَيّ]^(٤). وهذا يبين أهمية دور المعجم في قواعد الأساس؛ لأنه "يُعطي لكل كلمة معنىً أوليًا"^(٥). وبالإمكان اعتماد قاعدة التفريع الآتية:



(١) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٣٧-١٣٨ و ١٤٨، و مناهج علم اللغة، من هرمان باول إلى ناعوم تشومسكي، تأليف: بريجيت بارثشت، ترجمة وتعليق: أ. د. سعيد حسن بحيري: ٢٨٠-٢٨١.

(٢) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٤٨-١٤٩.

(٣) أي: يكون فاعله - عادةً - متحرّكًا.

(٤) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ٦٢.

(٥) نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية - الأسس والمفاهيم، (بَحْثٌ مُحَكَّمٌ)، د. مختار درقاوي: ١٠. والمعنى الأولي؛ أي: متحرك أو غير متحرك، راشد أو غير راشد، حي أو غير حي، ... إلخ.

يتضح الأمر أكثر عند تطبيق تلك السمات على جملة (أَكَلَ الرَّجُلُ النَّقَاحَةَ)، وذلك من خلال التمثيل الآتي^(١):

أَكَلَ: [+فعل]، [+متعدّ]، [+مستمر]، [+نشاط]، [+عمل] ... إلخ.
الرَّجُلُ: [+اسم]، [+عام]، [+إنسان]، [+متحرّك]، [+مذكر]، [+مفرد]، [+راشد] ... إلخ.
النقّاحة: [+اسم]، [+عام]، [-إنسان]، [-متحرّك]، [-مذكر]، [+مفرد]، [-راشد] ... إلخ.
ال: [+تعريف]، [+مُحدّد]، [+مفرد]، [+مذكر] ... إلخ.
يتبيّن أن القواعد التفريعية هي التي تُفرّع المستويات اللغوية العليا إلى مستويات لغوية دنيا^(٢)، ومع تطور النظرية التوليدية تم إدخال مفهوم السمة معادلًا لقاعدة التفريع، فعند تحديد الاسم تكون السمات الآتية^(٣):

[+ - عام]، [+ - متحرك]، [+ - إنسان]، [+ - راشد] ...
[+ - محسوس]، [+ - معدود] ...
[+ - مذكر]، [+ - مُعرّف] ...

حيث إن إشارة (+) ترمز إلى وجود هذه السمة في الاسم، أما الإشارة (-) فترمز إلى عدم وجودها في هذا الاسم، وكذلك لو قلنا: (سَكَّتَ الغَضْبُ)، فكلمة (الغضب) تحمل السمات الآتية: (+معنوي)، (-إنسان)، (-حي)، في حين أن الفعل (سَكَّتَ) يأخذ فاعلاً سماته: (+إنسان)، (+حي).

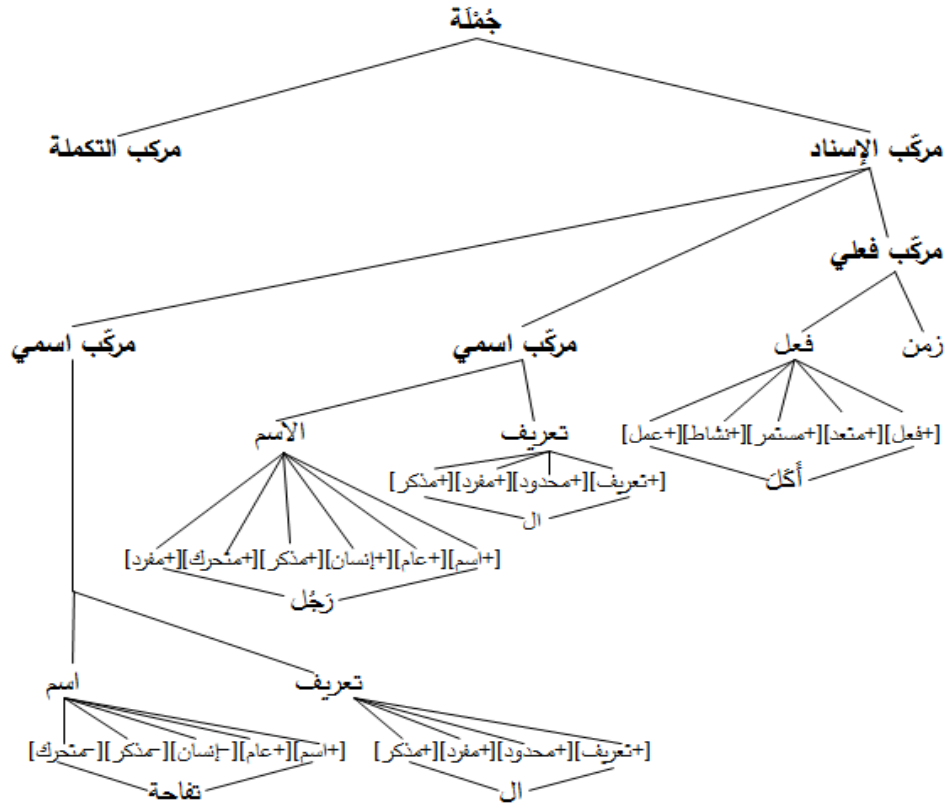
واستنادًا إلى عمل المكوّن الأساس بجزأيه: (قواعد التكوين)، و(المعجم) -أي: المداخل المعجمية التي وردت بصورة مُجرّاة في جملة (أَكَلَ الرَّجُلُ النَّقَاحَةَ) - يُمكن تمثيل هذه الجملة بالشجر الآتي، الذي يحتوي على (قواعد التكوين)، وعلى (السمات المعجمية)^(٤):

(١) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٥٠، ونظرية تشومسكي التحويلية التوليدية - الأسس والمفاهيم، (بَحْثٌ مُحَكَّمٌ)، د. مختار درقاوي: ١٠.

(٢) انظر: نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، د. مازن الوعر: ٥٢-٥٣.

(٣) انظر: مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، د. ميشال زكريا: ١١٤.

(٤) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٥١، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ٦٢-٦٣.



يَتَّضِحُ مِنَ الرَّسْمِ الشَّجَرِيِّ السَّابِقِ لِلجُمْلَةِ الْمَذْكُورَةِ أَنَّ الْمَكُونِ الْأَسَاسَ يَتَأَلَّفُ مِنْ (قَوَاعِدِ تَكْوِينِ) وَ(مَعْجَمِ)، فَقَوَاعِدُ التَّكْوِينِ تَتَمَثَّلُ فِي:

[الجملة ← مركب الإسناد + مركب التكلمة]

[مركب الإسناد ← مركب فعلي + مركب اسمي + مركب اسمي]

[مركب فعلي ← زمن + فعل] ... وهكذا.

أَمَّا (المعجم) فَيَتَمَثَّلُ فِي الصِّفَاتِ التَّرْكِيْبِيَّةِ "النَّحْوِيَّةِ" وَالدَّلَالِيَّةِ وَالفُونُولُوجِيَّةِ، مِثْلُ:

[فعل] و[مُتَعَدٍّ] و[مستمر] و[نشاط] و[اسم] و[متحرك] و[مذكر] و[مذكر] ...

وهكذا.

وَقَدْ لَخَصَ تَشَوُّمُسْكِي طَبِيعَةَ عَمَلِ الْمَكُونِ الْأَسَاسِ بِجُزْأَيْهِ فِي كِتَابِهِ جَوَانِبُ مِنْ نَظَرِيَّةِ النَّحْوِ الذِّي أَلْفَهُ عَامَ ١٩٦٥م، حَيْثُ قَالَ: "يَتَكَوَّنُ الْمَكُونُ الْجَزْئِيُّ الصَّنْفِيُّ مِنَ [الْمَكُونِ] الْأَسَاسِ مِنْ تَتَابَعِ مِنْ قَوَانِينِ إِعَادَةِ كِتَابَةِ مَتَحَرَّرَةٍ مِنَ السِّيَاقِ. إِنَّ وَظِيفَةَ هَذِهِ الْقَوَانِينِ هِيَ -أَسَاسًا- تَحْدِيدُ نِظَامٍ مَعِينٍ مِنَ الْعِلَاقَاتِ النَّحْوِيَّةِ الَّتِي تَحْدُدُ التَّأْوِيلَ الدَّلَالِيَّ، وَتَعْيِينُ نَسْقٍ تَحْتِي مَجْرَدٍ لِلْعُنَاصِرِ يَجْعَلُ عَمَلِ الْقَوَانِينِ التَّحْوِيلِيَّةِ مُمَكِّنًا، وَقَدْ تَكُونُ قَوَانِينُ الْأَسَاسِ عَمُومِيَّةً [عَالَمِيَّةً^(١)] إِلَى

(١) حَيْثُ يَجِبُ أَنْ تَرْتَكِزَ الْقَوَاعِدُ عَلَى نَظَرِيَّةٍ عَامَّةٍ، وَلَيْسَتْ مَرْتَبُطَةً بِلُغَةٍ مَعْيَنَةٍ، يَمْنَعُهَا مِنَ الْقُدْرَةِ عَلَى التَّطْبِيقِ عَلَى اللُّغَاتِ الْآخَرَى فَعَالَمِيَّةً الْقَوَاعِدُ تَعْطِيهَا الْقُدْرَةَ عَلَى كَشْفِ حَقَائِقِ اللُّغَاتِ عَامَّةً، وَتَمْنَحُ الْبَحْثَ اللُّغَوِيَّ آفَاقًا وَاسِعَةً وَقُدْرَةً شَامِلَةً. انْظُرْ: الْقَوَاعِدُ التَّحْوِيلِيَّةُ فِي دِيْوَانِ حَاتِمِ الطَّائِي، د. حَسَامُ الْبَهْنَسَاوِي: ١٠٢.

حدّ كبير، وهكذا فهي ليست جزءًا من قواعد خاصة بلغة معينة... أما المُعجم فيتكون من مجموعة ليس فيها نسق من المواد المعجمية وبعض قوانين الفيض [الحشو] Redundancy. وتكون كل مادة معجمية مجموعة من السمات. إن بعض هذه السمات هي سمات فونولوجية مأخوذة من مجموعة عمومية [عالمية] معينة من السمات الفونولوجية (نظام السمات المميزة)... إن بعض السمات هي سمات دلالية^(١).

خلاصة القول: يتضمّن المكوّن الأساس أمرين^(٢):

أ. مكوّن فرعي خاص بالفئات: يحتوي على قواعد إعادة الكتابة التي تتعامل مع الفئات الكلامية (الجملة، الركن "المركب" الفعلي، الاسم، ...).

ب. مكوّن فرعي خاص بالمفردات المعجمية: يحتوي على المعجم الذي تندرج ضمنه السمات الفونولوجية والتركيبية والدلالية، والذي يُلحظ تفريع الفئات وإدراج المفردات.

٢. المكوّن التحويلي Transformational Component:

هو المكوّن الثاني من المكون التركيبي "النحوي"، ويشتمل على مجموعة قوانين تسمى القوانين التحويلية، وتسمى أحيانًا القوانين التكميلية Supplementary Rules؛ لأن دورها في التطبيق يأتي بعد قوانين التكوين التي تسمى عند تشومسكي القوانين الابتدائية Elementary Rules^(٣).

والقوانين التحويلية هي عبارة عن قوانين متشعبة يُبدّل كل منها مشيرًا رُكنيًا بمشيرٍ ركني آخر؛ أي: يُبدّل فيها مؤشر الجملة بمؤشر آخر. وتدرس القوانين التحويلية العلاقات القائمة بين الجمل^(٤).

والمكوّن التحويلي "هو الذي يحوي القوانين التحويلية التي تعمل على هذه السلاسل النحوية التي أُدرِجَتْ فيها المفردات بحيث تُغيّر أدلتها النظامية من دليل نظامي إلى دليل نظامي آخر ذي بنية أخرى"^(٥).

(١) جوانب من نظرية النحو، نعوم تشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر: ١٧٧-١٧٨.

(٢) انظر: الأسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الأسنية)، د. ميشال زكريا: ١٥٢.

(٣) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ٦٢.

(٤) انظر: الأسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الأسنية)، د. ميشال زكريا: ١٥٢.

(٥) مقدمة المترجم مرتضى جواد باقر لكتاب: جوانب من نظرية النحو، لتشومسكي: ١٢.

أمّا وظيفة القوانين التحويلية فإنّ إحدى وظائفها الرئيسة "تحويل التركيب الباطني المجرد الذي يحتوي على معنى الجملة إلى التركيب الظاهري المحسوس الذي يجسد مبنى الجملة وشكلها شبه النهائي"^(١).

وأهم شرط للقوانين التحويلية هو أن "يخضع تطبيق القوانين التحويلية لشرط أساسي هو قابلية التركيب للتحليل structural analysability. وهذا يعني أن القانون التحويلي يجري تطبيقه على تركيب من الممكن تحليله إلى عناصر سبق ظهورها في التركيب الباطني، وبعبارة أخرى: لا بُدّ من وجود وَصْفٍ تركيبِيّ structural description قابلٍ للتحليل؛ استناداً لعناصر التركيب الباطني"^(٢).

أنواع القوانين التحويلية:

تصنف القوانين التحويلية إلى نوعين: قوانين إجبارية "وُجُوبية" Obligatory Rules، وإلى قوانين اختيارية "جَوَازية" Optional^(٣).

أ. أما القوانين الإجبارية فهي التي لا بُدّ من تطبيقها على كل جملة في اللغة؛ لتصبح جُمْلَةً صحيحة نحويّاً؛ فإنّ كان هناك قانون لوضع الحركات على الأسماء في اللغة العربية فلا شكّ أنّ مثل هذا القانون سيكون إجباريّاً؛ لأنّ وَضَعَ الحركات الصحيحة أمر جوهري بالنسبة لكل جملة في العربية تشتمل على أسماء^(٤)، كإضافة علامة جمع المذكر السالم "ون - ين" للمفرد في العربية^(٥)، حين نقول: ذَهَبَ الْمُعَلِّمُونَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ، وكإضافة "s" إلى الفعل في الإنجليزية؛ للتناسب والموافقة مع العدّد حينما نقول: The teacher explains the lesson^(٦).

ب. وأما القوانين الاختيارية فهي التي يجوز تطبيقها جوازاً، كقانون يقوم بتحويل المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول، فهذا القانون لا شكّ أنه اختياري^(٧)، وكتحويل الجملة الركنية إلى جملة منفية أو استفهامية... إلخ.

وهناك مَنْ يَقَسِّم القوانين التحويلية إلى: قوانين مفردة، وقوانين مزدوجة "معّمة"، فالقانون المفرد: قانون يتناول تحويل تركيب واحد فقط، وهو إمّا أن يكون اختياريّاً، وإمّا أن يكون

(١) قواعد تحويلية لِلُّغَةِ العربية، د. محمّد علي الخولي: ٣٨.

(٢) السابق: ٣٩-٤٠.

(٣) انظر: السابق: ٤٠.

(٤) انظر: السابق: ٤٠-٤١.

(٥) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ٦٤.

(٦) الْمُعَلِّمُ يُشْرِخُ الدَّرْسَ.

(٧) انظر: قواعد تحويلية لِلُّغَةِ العربية، د. محمّد علي الخولي: ٤٠.

إجباريًا. والقانون المزدوج: قانون يتناول تحويل تركيبين عن طريق دمج تركيب ثانوي في تركيب رئيسي لتكوين جملة مركبة، أو عن طريق إضافة تركيب إلى آخر بواسطة العطف. مع العلم أن أكثر القوانين التحويلية مفردة^(١).

ومن أهم القوانين والقواعد التحويلية -في نظرية تشومسكي- العمليات الآتية^(٢):

١. قواعد الحذف Deletion:

مثل: (أ + ب ← ب)؛ بمعنى أن الجملة كانت تحتوي على عنصرين، هما: (أ+ب)، ثم تحوّلت عن طريق هذه القاعدة والعمليّة التحويلية إلى جُمْلَةٍ تحتوي على عنصر واحد فقط، هو (ب) فقط، أمّا (أ) ← (∅)؛ أي أن: (أ) حُذِفَتْ، وذلك مثل: (قَرَعَ الطَّالِبُ البابَ) ← (قُرِعَ البابُ).

فجملة (قُرِعَ البابُ) مُتَحَوِّلَةٌ مِنْ بَنِيَّةٍ عميقة هي: (قَرَعَ ∆ البابَ)، فيقال مثلاً: (قَرَعَ الطَّالِبُ البابَ)، أو (قَرَعَ المَعْلَمُ البابَ)، أو ...، بواسطة تحويل حذف العنصر (∆)^(٣).

٢. قواعد التعويض "الإحلال، الاستبدال" Replacement:

مثل: (أ ← ب)، حيث يُعوّض الرمز (ب) بالرمز المتروك (أ). وهذه القواعد تُشبه قانون "تعويض المكان" -كما يرى الخولي- وهو قانون إجباري، ومثّل لذلك^(٤): (على الطاولة كتاب على الطاولة) ← (هناك كتاب على الطاولة).

٣. قواعد التوسّع "التَّمْدُد" Expansion:

مثل: (أ ← ب+ج)، حيث تمّدد (أ) وأصبح رمزين هما (ب+ج)، وهذه العملية تختلف عن التعويض التي يتم فيها استبدال رمز واحد برمز واحد فقط^(٥).

(١) انظر: قواعد تحويلية للغة العربية، د. محمد علي الخولي: ٤١. وعُرف مترجم كتاب "جوانب من نظرية النحو" القوانين البسيطة المفردة بأنها: القوانين التي تعمل على سلسلة جُمْلِيَّة واحدة، بمعنى أنها تعمل على دليل نظمي واحد، كتحويل المبني للمجهول مثلاً. والقوانين المعممة بأنها: القوانين التي تعمل على أكثر من دليل نظمي، فتدخل الواحد منها بالآخر أو تربط بينهما وبدون حدّ. انظر: مقدمة المترجم مرتضى جواد باقر لكتاب: جوانب من نظرية النحو، لتشومسكي: ١١.

(٢) انظر هذه الأنماط والعمليات التحويلية في: النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١٤٠-١٤١، وقواعد تحويلية للغة العربية، د. محمد علي الخولي: ٣٨-٣٩، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٥٤-١٥٦.

(٣) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٥٦.

(٤) يسمى د. الخولي هذا القانون بـ(تعويض المكان)، وظيفته: يعوض ظرف المكان الأول في منتج القانون التحويل الإجباري باستعمال (هنا - هناك - هنالك) لتسد مسد أي ظرف مكاني، وصورة التغير التركيبي له: (تعويض المكان + محور + مكان) فيتحوّل إلى: (تعويض المكان + محور). انظر تفاصيل هذا القانون: قواعد تحويلية للغة العربية، د. محمد علي الخولي: ١٢٧-١٢٨.

ولها شكل آخر هو: (أ+ب_١ ← أ+ب_٢)، حيث (ب_٢) هي توسيع (ب_١)، ومثال ذلك في العربية: (عَلِمْتُ شَيْئًا) فتصير بواسطة هذا القانون ← (عَلِمْتُ أَنَّ زَيْدًا مُغَادِرٌ)؛ فجملة (أَنَّ زَيْدًا مُغَادِرٌ) هي توسيع وتمتدُّ لكلمة (شَيْئًا)، ويتم التوسيع إلى حَدِّ كبيرٍ في الجُمْلِ المُندرجة في جُمْلٍ أُخرى^(١).

٤. قواعد الاختصار "التَقْلُص" Reduction:

مثل: (أ+ب ← ج)، وهذا القانون عكس قاعدة التمدُّد السابقة، إذ تَقْلُص الرمزان (أ+ب) وصارا رمزًا واحدًا هو (ج)، ومثال ذلك: (شَاهَدْتُ زَيْدًا مُسَافِرًا إِلَى الْحَجِّ) فَتُخْتَصَر الجملة - عن طريق هذا القانون - إلى: (شَاهَدْتُ أَمْرًا).

٥. قواعد الزيادة "الإضافة، الجَمْع" Addition:

مثل: (أ ← أ+ب)، فَبَقِيَّت (أ) على حالها في الطرف الأيمن والطرف الأيسر، ولكن أُضِيفَ إليها (ب)، وهذا يختلف عن قانون التمدُّد؛ لأن الرمز الأيمن في التمدُّد يختفي مِنَ الطرف الأيسر في حين يُرى الرمز الأيمن - في قانون الزيادة - يتكرَّر في الطرف الأيسر^(٢)، ومثال ذلك: (أَكَلَ الْوَلَدُ التَّفَاحَةَ) يمكن تحويلها - عن طريق هذا القانون - إلى: (التَّفَاحَةُ أَكَلَهَا الْوَلَدُ)، حيثُ زِيدَ الضميرُ العائدُ إلى (التَّفَاحَةُ) بعد أن تمَّ تقديمها على الجملة.

يَتَضَح أَنَّ هذا التحويل يقوم بِنَقْلِ المركب الاسمي ويترك ضميرًا في الموقع الذي كان يحتله الاسم؛ فالضمير هو الذي يُزاد في المؤشر المركب المشتق^(٣).

٦. قواعد إعادة الترتيب "الإبدال، التَبَاوُل" Permutation:

يقوم هذا القانون التحويلي بإبدال موقع مركَّب كلامي، مثل: (أ+ب ← ب+أ)، كقولنا: (سَافَرَ زَيْدٌ إِلَى الْفُدُسِ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ) حيث تتحوَّل - عن طريق هذه القاعدة - إلى: (فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ سَافَرَ زَيْدٌ إِلَى الْفُدُسِ)؛ فالجملة الثانية مُنْحَوَّلَةٌ مِنَ الجملة الأولى بواسطة إجراء تحويل نَقَلَ مركَّب التكلمة (فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ). إذ يقوم هذا التحويل بِنَقْلِ مركَّب التكلمة بصورة اختيارية إلى موقعٍ آخَرَ في الجُمْلَةِ^(٤). بمعنى أنه لم يَحْدُث شيءٌ ولم يُضَفْ شيءٌ، بل انعكس الترتيب في الجملة فقط^(٥).

(١) انظر: قواعد تحويلية لِلْغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، د. محمد علي الخولي: ٣٨.

(٢) انظر: الأُسْنِيَّة التوليدية والتحويلية (النظرية الأُسْنِيَّة)، د. ميشال زكريا: ١٥٥.

(٣) انظر: قواعد تحويلية لِلْغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، د. محمد علي الخولي: ٣٨-٣٩.

(٤) انظر: الأُسْنِيَّة التوليدية والتحويلية (النظرية الأُسْنِيَّة)، د. ميشال زكريا: ١٥٦.

(٥) انظر: السابق: ١٥٤-١٥٥.

(٦) انظر: قواعد تحويلية لِلْغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، د. محمد علي الخولي: ٣٩.

٧. قواعد التقديم Fronting:

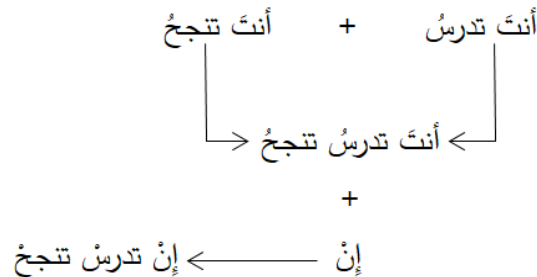
مثل: (أ+ب ← ج ← ب+أ+ج)، حيث جرى -هنا- تعديل وَضْعِ الرمز (ب)، وهو الرمز الثاني في الطرف الأيمن، إذ جرى تقديمه فصارَ الرمزَ الأوَّلَ في الطرف الأيسر^(١)، مثل: (ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا) فتصبح بواسطة هذا القانون: (زَيْدٌ ضَرَبَ عَمْرًا)، والفرق بين هذا القانون وقانون الزيادة أنَّ قانون الزيادة يُزاد فيه الضمير العائد إلى مُتَقَدِّم، أما في قانون التقديم فلا زيادة، إنما تقديم لكلمة على أخرى.

٨. قواعد النسخ Copying:

مثل: (أ+ب ← ب+أ+ب)، حيث يُنسخُ الرمز الثاني (ب)، وَيُوضَعُ هذا الرمز المنسوخ في أول الطرف الأيسر؛ أي: أنَّ (أ+ب) في الطرف الأيمن موجودة -أيضًا- في الطرف الأيسر، مسبوقة بالرمز (ب)، وهو الرمز المنسوخ عن الرمز الأصلي (ب)^(٢) الذي في الطرف الأيمن.

٩. قواعد الدَّمَج Combining:

مثل: (أ+ب ← أ ب)، وهذا شائع في اللغة العربية وفي اللغات الأخرى، ويظهر بوضوح في أسلوب الشرط؛ لأنه يعمل على دَمَجِ جملتين -كل واحدة منهما ذات دلالة خاصة- في جملة واحدة لا تستقل إحداها بوجودها دون الأخرى، ولا تؤدي المعنى الذي كانت تؤديه مستقلةً، بل تؤديه ووجوده مرتبط بوجود غيره؛ فلا يعود له شيء من الاستقلال الذي كان له مِنْ قَبْلُ. ففي جملة الشرط: (إِنْ تَدْرُسُ تَنْجَحُ) نَجِدُ أَنَّ أَصْلَ هذه الجملة جملتان، كل واحدة منهما ذات معنى مستقل، والجملتان هما: (أَنْتَ تَدْرُسُ)، و(أَنْتَ تَنْجَحُ)، ثُمَّ تصيران جملة واحدة، هي: (أَنْتَ تَدْرُسُ تَنْجَحُ)، ثُمَّ أُدْخِلَ حرف الشرط عليها، وَاسْتَكْنَ الضميرُ فصارتُ الجملة: (إِنْ تَدْرُسُ تَنْجَحُ)^(٣)، كما يظهر في المَخْطَّط الآتي^(٤):



(١) انظر: قواعد تحويلية لِلْغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، د. محمد علي الخولي: ٣٩.

(٢) انظر: السابق: ٣٩.

(٣) اللسانيات - المجال، والوظيفة، والمنهج، أ. د. سمير شريف إستيتية: ٢٥١-٢٥٢.

(٤) انظر: السابق: ٢٥٢.

وقد اقتضت النظرية التشومسكية -في تطوراتها الأخيرة- على أربعة قوانين، هي: (الحذف، والزيادة، وإعادة الترتيب، والتقديم)، ثُمَّ تَرَكْنَهَا. أَكَّدَ ذلك محمد فتيح حين قال: تخلصت النظرية مِنْ كثيرٍ مِنَ القواعد التحويلية، بل تخلصت منها كلها عدا قاعدة "تقديم الألف" المتعلقة بتقديم العناصر المعجمية. وقد ساعد هذا على التخلص مِنْ ألوان العَنْتِ والتَّعْسُفِ التي كان يمثلها الكثير مِنَ القواعد التحويلية^(١).

"وقد يظن بعض الباحثين أن التحويلات النحوية هي (النحو التحويلي)، وليس الأمر كذلك بكل تأكيد، إلا أن يكون من قبيل تسمية الكل ببعض أجزائه. والتحويلات النحوية مظهر من مظاهر النحو التكاملي"^(٢).

كما أن تسويغ مثل هذه الحركة التحويلية دليل على "أن الأركان اللغوية قد احتفظت بأدوارها ووظائفها الدلالية، وحركاتها الإعرابية. وهكذا فعندما تنتقل هذه الأركان اللغوية فإنها ستحمل معها الصفات الدلالية (الأدوار الدلالية) والصفات النحوية (الحركات الإعرابية)"^(٣).

ثانيًا: المكوّن الدلالي Semantic component^(٤):

يحتوي هذا المكوّن على مجموعة مِنَ القوانين التي تُعطي الجملة تأويلًا دلاليًا، فهو مكون توضيحي تفسيري، يُفسّر البنية العميقة للجملة التي تتولّد مِنَ المكوّن الأساس، ويلتمس تحليل البنى التركيبية من الناحية الدلالية؛ لذا يُعَدّ هذا المكوّن مكوّنًا تفسيريًا، حيث يقوم بالربط بين معنى الكلمات وبين التمثيل الدلالي العائد إلى البنى العميقة بصورة خاصة؛ إذ يُفسّر هذه البنى^(٥).

(١) انظر: مقدمة المترجم د. محمد فتيح لكتاب: المعرفة اللغوية، لتشومسكي: ٣٨.

(٢) اللسانيات - المجال، والوظيفة، والمنهج، أ. د. سمير شريف إستيتية: ٢٤٥.

(٣) نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، د. مازن الوعر: ١٠٧.

(٤) انظر: مقدمة المترجم مرتضى جواد باقر لكتاب: جوانب من نظرية النحو، لتشومسكي: ١٣-١٤ و ١٨٥، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٣٩-١٤٥. "والجدير بالذكر أن المكون الدلالي أُضيف إلى النظرية التشومسكية في المرحلة الثانية من مراحل تطور هذه النظرية، وهي ما أطلق عليه تشومسكي "النظرية النموذجية" التي تناولها في كتابه Aspects". انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ٦٧.

(٥) انظر: مقدمة المترجم مرتضى جواد باقر لكتاب: جوانب من نظرية النحو، لتشومسكي: ١٣، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٣٩.

ويتناول المكوّن الدلالي القضايا المتعلقة بالدلالة أو بالمعنى؛ فيدرس دلالات العناصر اللغوية ويستلزم وَضْع مجموعة قواعد متناهية بإمكانها تحليل الجمل المحتملة واللامتناهية، وتقديم التفسير الواضح الذي يشرح كيف يستطيع متكلم اللغة أن يفهم الجُمْل المُكوّنة في لغته^(١). ولا تقتصر دلالة الكلمة على مدلول الكلمة فقط، بل تحتوي على المعاني كلها التي قد تتخذها ضمن السياق اللغوي؛ لأن الكلمات -في الواقع- لا تتضمن دلالة مطلقة إنما تتحقّق دلالتها في السياق التي تَرِدُ فيه، وترتبط أيضًا بدلالة الجملة بدلالات مفرداتها وببنيتها التركيبية، ومثال ذلك قولنا^(٢):

-اللَّهُمَّ عَبْدُكَ يَسْأَلُكَ الْمَغْفِرَةَ.

استنادًا إلى تركيب الجملة السابقة فإنه يمكن القول: إنّ كلمة (عَبْدُكَ) تُعادلُ هنا ضمير المتكلم، فتشارك الجملة السابقة في المعنى نَفْسِهِ مَعَ الجملة التالية:

-اللَّهُمَّ (أَنَا) أَسْأَلُكَ الْمَغْفِرَةَ.

وَمِنْ ثَمَّ لَا يُرَادُ إطلاقًا الجملة التالية:

-اللَّهُمَّ (طَلَب) عَبْدُكَ (زَيْدٌ مِنِّي) أَنْ أَتَضَرَّعَ إِلَيْكَ وَأَقُولَ إِنَّهُ يَسْأَلُكَ الْمَغْفِرَةَ.

يَتَّضِحُ -مِمَّا سَبَقَ- أَنَّ المكوّن الدلالي يقوم بتحليل البنى التركيبية "النحوية" من الناحية الدلالية.

ويحتوي المكوّن الدلالي على شيئين: المُعْجَم "قائمة بمفردات اللغة"، وقوانين الإسقاط^(٣).

أ. المَعْجَم اللُّغَوِيُّ مِنَ الناحية الدلالية:

وظيفة المعجم اللغوي تعيين دلالة الكلمة في إطار السياق العام للجملة، فكل إشارة لغوية تحتوي على دالّ ومدلول، ولا يكون للدالّ أو لأيّ لفظة مكوّنة من مقاطع صوتية وجود في اللغة ما لم تتضمن اللفظة معنى لها^(٤).

تحتوي كل جملة على مجموعة من المعاني التي تتخذها نسبة إلى دلالة أجزائها وطريقة تركيبها الدلالي، يستتبع ذلك أنّ مدخل المفردة المُعْجَمِي يحتوي على تمثيل دلالي عائد إلى كُلِّ معنى من معاني المفردة، والتمثيل الدلالي العائد إلى دلالة المفردة يُؤخذ من حيث هو مجموعة التمثيل الدلالي العائد إلى معانيها^(٥).

(١) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٣٩.

(٢) انظر: السابق: ١٤٠.

(٣) انظر: السابق: ١٤٠.

(٤) انظر: مقدمة المترجم مرتضى جواد باقر لكتاب: جوانب من نظرية النحو، لتشومسكي: ١٤، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٤٠-١٤١.

(٥) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٤١.

يُسند المُعجم اللغوي مَعْنَى أَوَّلِيًّا إلى المفردات اللغوية، ويخصّها بصفاتٍ صوتية وتركيبية ودلالية، ويتحدد معنى المفردات بما يُسمّى "المدخل المُعجمي". ويحتوي المكون الدلالي على مجموعة صفات دلالية مهمتها تحديد معنى المفردة، مثل كلمة (مائدة) أو (كرسي)، حيث تُعطي للسامع أو القارئ السمات المُعجمية الآتية: (شيء) (فيزيائي) (جامد) (مصنوع) (متاع) (محمول) ... إلخ، ويمكن اختزال هذه السمات إلى عددٍ محدود^(١). فمهمة المعجم إعطاء كل كلمة معنى أوليًا.

ب. قواعد الإسقاط Projection Rules:

هي قوانين تُشكّل قدرة المتكلم على استدلال معنى الجُمْل من خلال معنى المفردات^(٢)؛ فهي القواعد التي تقوم بِعَدِّ القراءات التي تُسند إلى مختلف مفردات الجملة، وتوضحها في ضوء البنية العميقة النحوية والمشيريات الدلالية العائدة لكلٍ من مؤلفات "مُرَكَّبَات" هذه البنية التي تولدت من المكون التركيبي؛ فقواعد الإسقاط -إذن- تقرن بين المفردات المعجمية والبنية التركيبية المولدة؛ فيتوصل بهذه الطريقة إلى مدلول الجملة. وعلى سبيل المثال إذا كان المكون النحوي يعطي البنية التركيبية الآتية: ج ← (ف + م س + م س)، فستقوم قواعد الإسقاط بإعطاء هذا التركيب المفردات التالية: جملة ← (أَكَلَ + الولدُ + التفاحة)، وتمنع ظهور جملة مثل: (أَكَلَتْ + التفاحةُ + الولدُ)، ويحدث ذلك عن طريق مَزَجِ قواعد الإسقاط بقواعد المعجم في المكون الدلالي، وبقواعد المعجم في المكون التركيبي^(٣).

يمثل كل عنصر من عناصر الجملة السابقة بمؤشر دلالي على النحو الآتي^(٤):

أَكَلَ: [+فعل]، [+تام]، [+متعدّد]، [+مستمر]، [+نشاط]، [-مركب اسمي متحرك] ... إلخ.

ال: [+تعريف]، [+مُحدّد]، [+مفرد أو جمع]، [+مذكر أو مؤنث] ... إلخ.

ولد: [+اسم]، [+عام]، [+حيّ]، [+إنسان]، [+متحرّك]، [+مذكر]، [+مفرد] ... إلخ.

التفاحة: [+اسم]، [+عام]، [+مؤنث]، [+شيء]، [-إنسان]، [-مذكر]، [+مفرد] ... إلخ.

(١) انظر: الأسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الأسنية)، د. ميشال زكريا: ١٤٠-١٤١.

(٢) انظر: السابق: ١٤٠.

(٣) انظر: السابق: ١٤٣-١٤٤.

(٤) انظر: السابق: ١٤٤، ونظرية تشومسكي التحويلية التوليدية - الأسس والمفاهيم، (بَحْثٌ مُحَكَّمٌ)، د. مختار

درقاوي: ١٠.

ثالثاً: المكوّن الصَوْتِيّ "الفونولوجي" Phonological Component^(١):

يحتوي المكوّن الفونولوجي على مجموعة من القواعد والقوانين الصوتية والصرفية التي تُعطي البنية السطحية شكلها الصوتي والصرفي النهائي، عن طريق إعطاء كل مورفيم شكله المحدد، ويقصد بالمورفيم: أصغر وحدة كلامية لها مَعْنَى مستقل.

مع العلم أنّ عَمَل المكون الفونولوجي لا يكون إلا بعد الفراغ من عَمَل المكوّن التركيبي "النحوي" والمكوّن الدلالي؛ لذلك فإنّ مجال عَمَل المكون الفونولوجي هو البنية السطحية -فقط- للجُمْلَة^(٢).

في حين أنّ مجال عَمَل المكوّنين التركيبي والدلالي يُنصَب على البنية العميقة.

إن القوانين الصوتية والصرفية تدمج المورفيمات في كلمات أو تعطي المورفيمات ذاتيّتها الصوتية التي قد تختلف من وضعٍ لآخر، مثل^(٣):

ال + شمس —→ أش + شمس
ال + قمر —→ أل + قمر

مثل هذه التغييرات يُعهد بها إلى القوانين الصرفية الصوتية التي تُعطي لكل مورفيم في البنية السطحية -الذي نتج بفعل القوانين التحويلية- شكله الصوتي النهائي.

ويتكوّن المكوّن الفونولوجي من: (المعجم الفونولوجي) و(القواعد الفونولوجية)^(٤).

١. المعجم الفونولوجي: يتكوّن معجم اللغة من لائحة المورفيمات، ويخصّص المورفيم من حيث طريقة التلقّظ به، كما يُخصّص أيضاً من حيث دلالاته وخصائصه التركيبية؛ لذا يختص المكون الفونولوجي بتحديد المورفيم من ناحية التلقظ به.

٢. القواعد الفونولوجية: تتناول التغيرات التي تطرأ على المقطع الصوتي وتُحدّد القضايا الآتية:

أ. أيّ مقطع يتغيّر من الناحية الفونولوجية؟

ب. كيف يتغيّر المقطع؟

ت. في ظل أيّ شروط يتم هذا التغيّر؟

(١) انظر: مقدمة المترجم مرتضى جواد باقر لكتاب: جوانب من نظرية النحو، لتشومسكي: ١٣-١٤، وانظر

الكتاب نفسه: ١١٤-١٢٠، وقواعد تحويلية للغة العربية، د. محمد علي الخولي: ٤١-٤٢، والألسنية

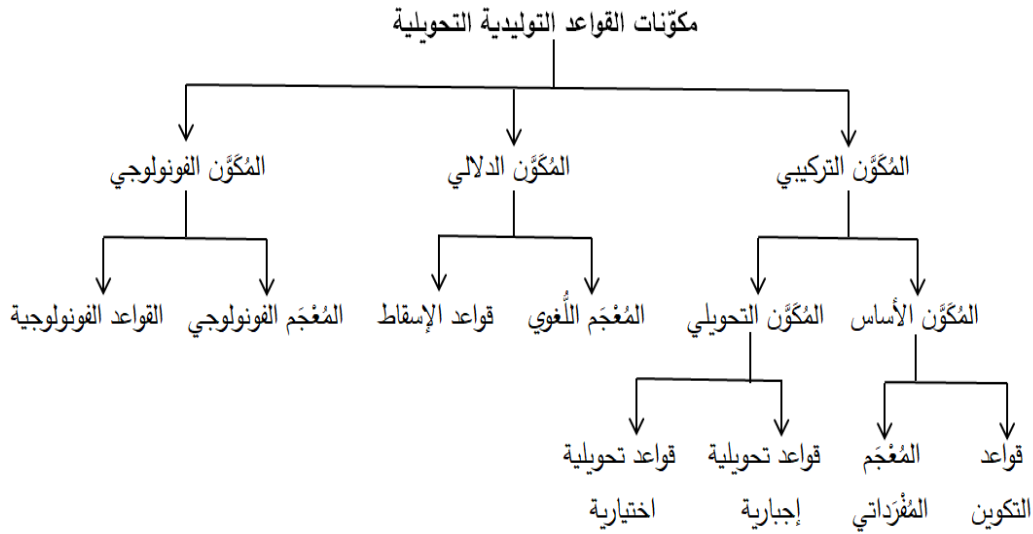
التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٣٧-١٣٩.

(٢) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ٦٧.

(٣) انظر: قواعد تحويلية للغة العربية، د. محمد علي الخولي: ٤٢.

(٤) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٣٧-١٣٨.

يُوضَّح الشكل الآتي المكونات الثلاثة للقواعد التوليدية التحويلية:



طريقة عَمَلِ المكوّنات الثلاثة (التركيبي والدلالي والفونولوجي):

تعمل المكوّنات الثلاثة السابقة وفق الأمور الآتية^(١):

أولاً: عَمَلُ المكوّن التركيبي "النحوي":

يُؤلّد هذا المكوّن -وهو المكون الأساس في القواعد التوليدية التحويلية- مجموعةً بنّى

تركيبية غير متناهية. ويتم هذا التوليد على النحو الآتي:

أ. تُقوّم قواعد التكوين بتوليد المؤشرات المُركَّبِيَّة "الرُّكْنِيَّة" على مرحلتين:

الأولى: تُؤلّد قواعد إعادة الكتابة تتابع فئات كلامية يُمكن تمثيلها بواسطة مؤشر الجملة "الرسم الشجري".

الثانية: تقوم قواعد التفريع بإعادة كتابة كل فئة من الفئات التي ولّدتها قواعد إعادة الكتابة، بواسطة سمات ذاتية وسياقية.

ب. تُقوّم قواعد استبدال المفردات المعجمية بإدراج مفردات مكوّنة من مُركَّب سمات فونولوجية وتركيبية ودلالية في موقع الرموز المركّبة التي ولّدتها قواعد إعادة الكتابة وقواعد التفريع. وتسمى البنية التي نحصل عليها -حينئذٍ- بالبنية العميقة للجملة.

ت. تُحوّل التحويلات التي يتضمنها المكوّن التحويلي البنية العميقة إلى بنية سطحية يُمكن تفسيرها فونولوجياً. بمعنى أنّ المخرجات التي تصدر عن المكون التركيبي تكوّن المدخلات التي يتعامل معها المكون الفونولوجي.

^(١) انظر: جوانب من نظرية النحو، تشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر: ١٧٧-١٨٠، ونظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٥٨-١٦١، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٥٧-١٦٠.

ثانيًا: عَمَلُ المَكُونِ الدلالي:

يتناول هذا المكون المؤشرات المُرَكَّبِيَّةَ التي تولِّدها قواعد التكوين العائدة إلى المكون التركيبي في البنية العميقة. ويعمل المكون الدلالي وفق الآتي:

أ. تُقَرَّنُ المُدْخَلَاتُ المعجمية كُلٌّ مفردة أو مقطع صوتي "مورفيم" في البنية اللغوية بدلالاته، وذلك على شكل مُرَكَّبٍ سمات.

ب. تُقَوِّمُ قواعد التكرار الدلالية بتوسيع هذه السمات.

ت. تُفَسِّرُ قواعد الإسقاط الدلالية التي تتناول البنية العميقة ومعاني المدخلات المعجمية العائدة إلى مورفيمات هذه البنية؛ فتجتمع بين دلالة المورفيمات "المقاطع الصوتية، المفردات" وتفسير القراءات التي تقترن بهذه المقاطع الصوتية، وَمِنْ ثَمَّ يَنْتُجُ بَنَى تركيبية عميقة محددة الدلالة.

فالمَكُونُ الدلالي يقوم بتخصيص معنى شامل، لكل تركيب لغوي، انطلاقًا من المعاني الفردية العائدة إلى المورفيمات التي تؤلفه.

ثالثًا: عَمَلُ المَكُونِ الفونولوجي:

إِنَّ المُدْخَلَاتِ التي يتناولها المكون الصوتي "الفونولوجي" هي البنى السطحية للجملة، ويعمل المكون الفونولوجي على النحو الآتي:

أ. يُقَدِّمُ المعجم السمات الفونولوجية الخاصة التي تُضفي على المُرَكَّبَاتِ تمثيلًا فونولوجيًا مناسبًا.

ب. تُقَوِّمُ قواعد التكرار بضبط التمثيل الفونولوجي العائد إلى هذه المُرَكَّبَاتِ في البنية السطحية.

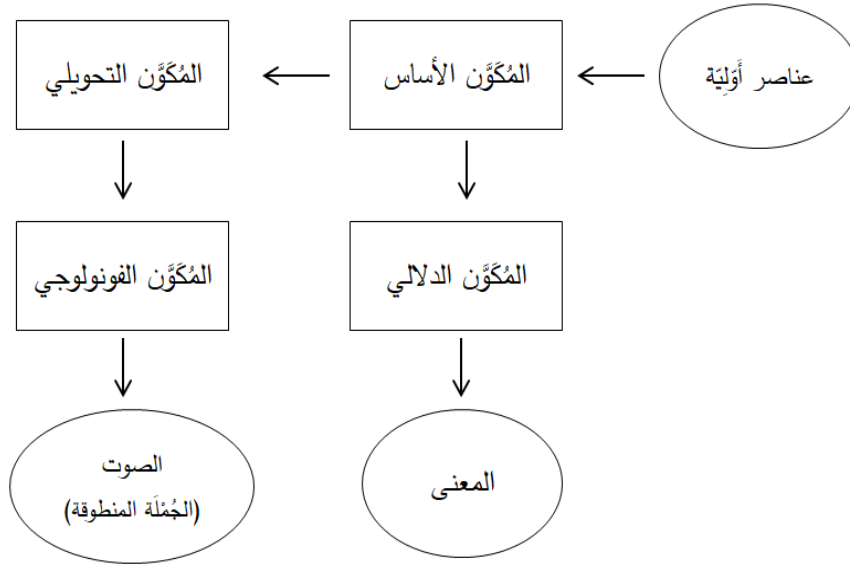
ت. تُقَوِّمُ القواعد الفونولوجية بتحليل التغيرات الصوتية الحاصلة من خلال تتابع السمات الفونولوجية الخاصة بكلِّ مُؤَلَّفٍ "مُرَكَّبٍ".

يُقَوِّمُ المَكُونُ الفونولوجي -إذن- بتخصيص كل تركيب لغوي بتمثيل فونولوجي خاص. وقد وُضِّحَ تشومسكي طريقة عمل المكونات الثلاثة قائلًا: "وخلاصة القول لقد اقترحنا أن يكون شكل القواعد على النحو التالي: تحتوي القواعد على مكون نحوي "تركيبي"، ومكون دلالي، ومكون فونولوجي "صوتي"، وهذان الأخيران تأويليان، ولا يلعبان أيَّ دورٍ في التوليد المتسلسل لِلْبَنَى الجُمْلِيَّةِ. يتكوَّن المكون النحوي "التركيبي" مِنْ: مَكُونٍ أساس ومَكُونٍ تحويلي، ويحتوي الأساس على مكون جزئي صنفى ومُعْجَم. ويولِّد الأساس بَنَى عميقة، وتدخل البنى العميقة المَكُونُ الدلالي، وتتلقَّى تأويلًا دلاليًا، ثُمَّ توصل -تُحوَّل- إلى بنية سطحية بواسطة القوانين التحويلية، وهذه البنية تتلقى تأويلًا صوتيًا بواسطة المَكُونُ الفونولوجي. وهكذا فالقواعد

تعين تأويلاً دلاليّاً للإشارات، ويتوسّط في هذا الربط بين الإشارات وتأويلها الدلالي القوانين المتكررة في المكوّن -التركيبى- النحوي^(١).

ويُظهِر الشَّكْلانِ الآتيانِ عَمَلَ هذه المكوّنات الثلاثة:

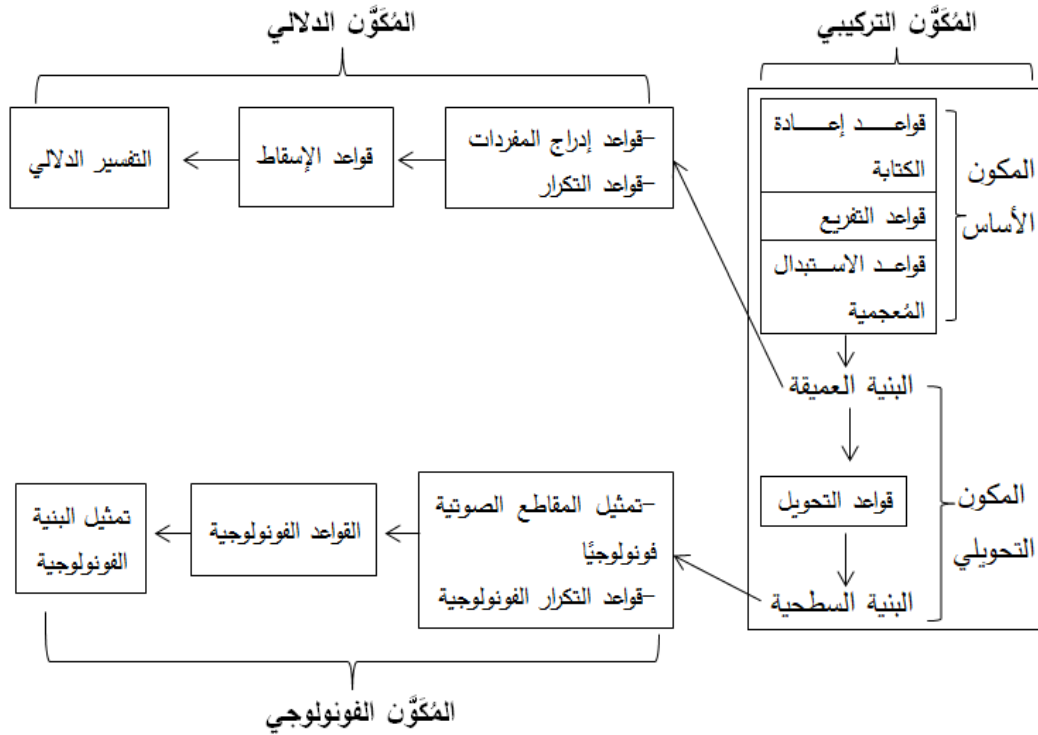
الشكل الأول^(٢):



^(١) جوانب من نظرية النحو، نعوم تشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر: ١٧٧.

^(٢) انظر: النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١٣٩.

الشكل الثاني^(١):



المطلب الرابع: المراحل التاريخية للنظرية التوليدية التحويلية:

مرّت نظرية تشومسكي من عام ١٩٥٧م^(٢) إلى عام ١٩٨٦م^(٣) بأربع مراحل تطوّريّة، ثمّ تَطَوَّرَتْ بعدَ عام ١٩٩٠م في مرحلةٍ جديدة؛ فصارتُ خَمْسَ مراحل، وهي باختصار:

المرحلة الأولى: المباني التركيبية (١٩٥٧ - ١٩٦٥م)

المرحلة الثانية: النظرية النموذجية (١٩٦٥ - ١٩٧٠م)

المرحلة الثالثة: النظرية النموذجية الموسعة (١٩٧١ - ١٩٨٠م)

المرحلة الرابعة: نظرية الربط العاملي (١٩٨١ - ١٩٩٠م)

المرحلة الخامسة: منهج الثنائيات الصغرى (بَعْدَ عام ١٩٩٠م)

وهذا تفصيل المراحل التاريخية للنظرية:

^(١) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٦١، ومناهج علم اللغة، منْ هرمان باول إلى ناعوم تشومسكي، تأليف: بريجيت بارتشت، ترجمة وتعليق: أ. د. سعيد حسن بحيري: ٢٧٩.

^(٢) هو تاريخ صدور كتاب "البنى التركيبية" لتشومسكي، الذي مثّل الصورة الأولى للقواعد التوليدية.

^(٣) هو تاريخ صدور كتاب "المعرفة اللغوية - طبيعتها، وأصولها، واستخدامها" لتشومسكي، ويمثّل صورةً للمرحلة الرابعة منْ مراحل تطور النظرية التشومسكية.

المرحلة الأولى: المباني التركيبية Syntactic Structures (١٩٥٧ - ١٩٦٥م):

يُعدّ كتاب البنى التركيبية ١٩٥٧م "الدستور الأول للنظرية، والذي استطاع تشومسكي - من خلاله - تحديد الإطار النظري"^(١)؛ لذلك فإنّ هذه المرحلة هي الصورة الأولى للنحو التوليديّ التحويليّ في فكر تشومسكي، ومن أهمّ خصائص هذه المرحلة^(٢):

١. اعتماد قوانين بنية "تركيب" الجملة التي بإمكانها توليد الجمل المختلفة، وذلك بأن تعمل هذه القوانين على الأصناف النحوية، وليس على العلاقات النحوية؛ فتبدأ بالجملة بصفتها أكبر وحدة لغوية "الوحدة النحوية الكبرى"، وتنتهي بأصغر وحدة نحوية لا تتجزأ؛ أي: يبتدئ أول قانون بإعادة كتابة الجملة إلى مكوناتها المباشرة "اسمية ثم فعلية بالنسبة للإنجليزية، والعكس بالنسبة للعربية"، ثم تليه القوانين الأخرى التي تعمل على الأصناف النحوية الأصغر حتى نصل إلى الوحدات النحوية التي تتجزأ. وهذه القوانين مُحرّرة كليّة من السياق. ثم تُقدّم هذه المجموعة من القوانين المفردات المعجمية، وذلك بإعادة كتابة الوحدات النحوية الصغرى كمفردات معجمية.
٢. تقوم القوانين التحويلية بتغيير بنية السلاسل الجملية التي تم توليدها عن طريق القوانين الأولى "السابقة" إلى بنى أخرى تسمى البنى السطحية، وتنقسم هذه القوانين - في هذه المرحلة - إلى قوانين تحويلية بسيطة مفردة، وقوانين أخرى معقدة لأكثر من جملة مُدخلة، وإلى قوانين إجبارية، وقوانين اختيارية^(٣).
٣. تُعطي مجموعة القوانين الفونيمية الصرفية كلّ مفردة معجمية تولدت من القوانين التحويلية خواصّها الصوتية، والصرفية الذاتية والسياقية.
٤. لم يتناول تشومسكي في هذه المرحلة العلاقة بين النحو والدلالة بشيء من التفصيل، إذ لا توجد في قوانين هذه المرحلة وقواعد قوانين دلالية؛ فقد كانت العلاقة بين التركيب "النحو" والدلالة واضحة لتشومسكي، وهي أن القواعد ذات كيان مستقل عن الدلالة،

(١) المدارس اللسانية المعاصرة، د. نعمان بوقرة: ١٤٤.

(٢) انظر: مقدمة مرتضى جواد باقر لترجمته كتاب: جوانب من نظرية النحو، لتشومسكي: ١٠-١٢، واللسانيات واللغة العربية، د. عبد القادر الفاسي الفهري: ٦٥/١-٦٧، والمدارس اللسانية المعاصرة، د. نعمان بوقرة: ١٤٨-١٥٠، واللسانيات "المجال، والوظيفة، والمنهج"، أ. د. سمير شريف إستيتية: ١٨٢، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ٧٠.

(٣) القوانين الإجبارية هي: التي تعمل حين يكون للسلسلة الجملية وصف بنيوي يطابق الوصف البنيوي لهذه التحويلات المذكورة. أمّا القوانين الاختيارية فهي: التي يكون عملها اختياريًا، كتحويل النفي أو الاستفهام أو البناء للمجهول. انظر: مقدمة مرتضى جواد باقر لترجمته كتاب: جوانب من نظرية النحو، لتشومسكي:

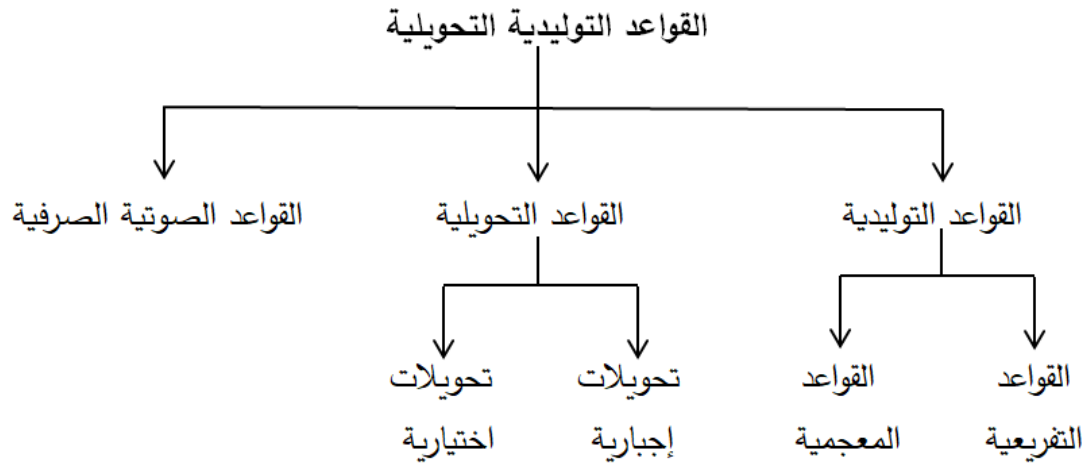
وكان يقصد -من وراء ذلك- المُمَايَزة بين النحو والدلالة، وليس الاستغناء عن الدلالة في التحليل اللُّغَوِيّ.

يتضح -مِمَّا سَبَقَ- أَنَّ تشومسكي كان مهتمًا في هذه المرحلة بتحليل ثلاثة مُكوِّناتٍ للتركيب اللغوية، هي^(١):

أ. القواعد التوليدية: التي تجعل البنية العميقة أساسًا في توليد التركيب اللغوية. وتبعًا لذلك ينظر الباحث -بمقتضى هذه النظرية- في القواعد التقريعية التي تجعل البنى السطحية فروعًا للبنى العميقة. ولا يستطيع الباحث أَنْ يفعل ذلك بعيدًا عن المعاني المعجمية للألفاظ.

ب. القواعد التحويلية: وتشمل القواعد التحويلية الإجبارية "الوُجُوبِيَّة"، والقواعد التحويلية الاختيارية "الجَوَازِيَّة".

ت. القواعد الصوتية الصرفية: التي تدل على المباني الصرفية المختلفة، باعتبار التأثيرات الصوتية في تكوينها. ولم يتناول تشومسكي العلاقة بين الدلالة والنحو "التركيب".
يُوضَحُ المُشَجَّرُ الآتي مُكوِّنات المرحلة الأولى:



المرحلة الثانية: النظرية النموذجية Standard Theory (١٩٦٥ - ١٩٧٠م):

تبدأ هذه المرحلة من سنة ١٩٦٥م حين ظهر كتاب "جوانب النظرية التركيبية"^(٢) *Aspects de la Theorie Syntaxique* لتشومسكي، حيث اقترح فيه تشومسكي "نظرية" أكثر اتساعًا للقواعد التحويلية، وتختلف -في الوقت ذاته- عن النظرية التي قال بها في كتابه

^(١) اللسانيات "المجال، والوظيفة، والمنهج"، أ. د. سمير شريف إستيتية: ١٨٢. وانظر: المدارس اللسانية المعاصرة، د. نعمان بوقرة: ١٤٨-١٥٠.

^(٢) تُرجمَ العنوانُ أيضًا بِ: أَوْجُه النظرية التركيبية، وكذلك: مظاهر، وملامح، بَدَلًا مِنْ: جوانب.

الأول: المباني التركيبية^(١)؛ فقد أطلق على نظريته اسم النظرية النموذجية "الأصلية"، وأدخل - عليها في هذه المرحلة - كثيراً من التعديلات، وأهم مبادئ هذه المرحلة ومكوناتها ما يأتي^(٢):

١. المكون التركيبي:

أصبح في إمكان قواعد التكوين "تركيب الجملة" في هذا النموذج أن تولّد الجمل المتداخلة، أو المكتنفة داخل الجملة الأصلية، بعد أن كانت هذه المهمة من وظائف التحويلات المعممة في المرحلة الأولى، مما أدى إلى الاستغناء عن هذا النوع من التحويلات نهائياً.

وانفصل المعجم عن قواعد تركيب الجملة في هذا النموذج؛ فأصبحت قوانين "التعويض المعجمية" هي التي تحلّ المفردات المعجمية محلّ الرموز المركبة، التي تنتجها قوانين التصنيف الجزئي حين تتطابق سمات المفردة المعجمية مع سمات الرمز المركّب. وقد عرض تشومسكي في كتابه Aspects - في هذه المرحلة - بديلاً آخر أكثر بساطة وقوة لا يحتاج فيه إلى قوانين التصنيف الجزئي، غير أنه لم يعمل به في كتابه المذكور سابقاً، وعمل به في مؤلفاته التي تلت بعد ذلك، ويسمح هذا البديل لقواعد بناء التركيب إنتاج سلسلة تنتهي بعناصر فراغية تحلّ محلّها المفردات المعجمية التي تتناسب مع السياق الذي تقع فيه.

وأُسندت - في هذه المرحلة - وظيفة جديدة للقوانين التحويلية وهي تصفية الجملة؛ أي: عزّل الجمل الصحيحة نحويّاً عن الجمل غير الصحيحة نحويّاً.

٢. المكون الدلالي:

من أهمّ المكونات التي أضافها تشومسكي وأعطاهها حقّها من الاهتمام المكون الدلالي، وقد أوّماً إليه سابقاً، وهذا يدلّ على تغير موقفه تجاه الدلالة، حيث أصبح لها - في هذه المرحلة من مراحل تطوّر النظرية - مكانة مع المكونات الأخرى. وهذا النموذج الجديد بلّوره تشومسكي عام ١٩٦٥م، وأطلق عليه اسم النموذج المعياري Standard Model.

(١) نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية - الأسس والمفاهيم (بحث مُحكّم)، د. مختار درقاوي: ٩.

(٢) انظر: مقدمة مرتضى جواد باقر لترجمته كتاب: جوانب من نظرية النحو، لتشومسكي: ١٢-١٥، واللسانيات واللغة العربية، د. عبد القادر الفاسي الفهري: ١/٦٧-٧٢، والمدارس اللسانية المعاصرة، د. نعمان بوقرة: ١٥٠-١٦١، واللسانيات "المجال، والوظيفة، والمنهج"، أ. د. سمير شريف إستيتية: ١٨٣، ونظرية تشومسكي التحويلية التوليدية - الأسس والمفاهيم (بحث مُحكّم)، د. مختار درقاوي: ٩-١٠، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ٧٠.

وَيُفَسَّرُ المستوى الدلالي البنية العميقة، وَهِيَ: البنية الأولى التي تَمَّ إنتاجها مِنْ قواعد المَكُونِ التركيبي، وَتُعَدُّ البنية العميقة بنيةً ضمنية مجردة في عَقْلِ المُتَكَلِّمِ.

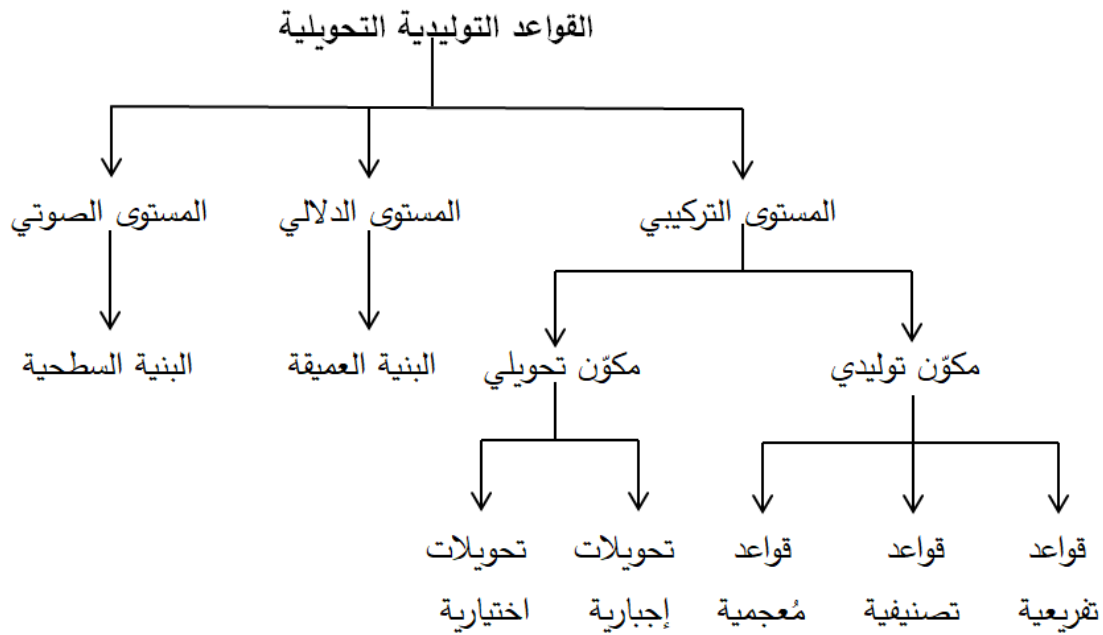
٣. المَكُونُ الصوتي:

ويظهر منطوقاً في البنية السطحية التي يقوم بتفسيرها، والبنية السطحية هِيَ: الجُمْلَة كما هي مستعملة في عملية التواصل؛ أَي: إنها مجموعة مِنَ العلامات اللسانية الملفوظة أو المكتوبة، تتميز بأنها تختلف مِنْ لُغَةٍ إِلَى أُخْرَى. وَتُشَكِّلُ البنيتَانِ العميقة والسطحية مفتاحاً مِنْ مفاتيح اللسانيات التوليدية.

٤. الكفاءة والأداء:

تَحَدَّثُ تشومسكي - في هذه المرحلة - عن الكفاءة اللغوية والأداء الكلامي، وتعني الكفاءة: المعرفة اللغوية الباطنية للمُتَكَلِّمِ. أمَّا الأداء فَهُوَ: الاستعمال الفِعْلِي لِلُّغَةِ في المواقف الحقيقية.

يُوضَحُ المُشَجَّرُ الآتي مستويات المرحلة الثانية ومكوناتها^(١):



المرحلة الثالثة: النظرية النموذجية الموسعة Extended Standard Theory (١٩٧١ - ١٩٨٠م):

لم يمضِ وقتٌ طويل على ظهور النظرية النموذجية التي يمثلها كتاب Aspects of the theory of syntax حتى وقع انتقاد كبير للنظرية النموذجية، كان سببه علاقة النحو

^(١) انظر: نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية - الأسس والمفاهيم (بحث مُحَكَّم)، د. مختار درقاوي: ١٠.

بالدلالة، وتَمَثَّلُ مَا عَابَتْهُ هَذِهِ النَّظَرِيَّةُ عَلَى النَّظَرِيَّةِ السَّابِقَةِ لَهَا فِي فَضْلِهَا بَيْنَ الْبُنْيَةِ الْعَمِيقَةِ وَالتفسير الدلالي.

فَوَجَدَ تشومسكي "أَنَّ النَّظَرَ فِي الْبُنْيَةِ لَا يَحُلُّ الْمَشْكَلَةَ الدَّلَالِيَّةَ لِلتَّرَاكِيْبِ؛ فَتَوَجَّهَ إِلَى تَعْدِيلِ النَّظَرِيَّةِ، وَانصَرَفَ إِلَى إِبْرَازِ الدَّلَالِيَّةِ الْمُعْجَمِيَّةِ، وَتَقْدِيمِهَا عَلَى الْقَوَاعِدِ التَّحْوِيلِيَّةِ، وَقَدْ وَضَعَ فَرَضِيَّتَيْنِ، هُمَا:

أ. الْفَرَضِيَّةُ الْمُعْجَمِيَّةُ: وَهِيَ قَائِمَةٌ عَلَى اعْتِبَارِ مَعَانِي الْمَفْرَدَاتِ الْأَصْلِيَّةِ، وَكُلِّ مَا اشْتَقَّ مِنْهَا.

ب. الْفَرَضِيَّةُ التفسيرية: وَهِيَ قَائِمَةٌ عَلَى اعْتِبَارِ رُؤْيَا الْمُتَكَلِّمِ، مِنْ تَرْكِيزٍ وَقَصْدٍ وَاهْتِمَامٍ أَوْ نَقِيضِ ذَلِكَ"^(١).

وَقَدْ تَمَيَّزَتْ -هَذِهِ الْمَرْحَلَةُ- بِظُهُورِ نِظَرِيَّتَيْنِ دَلَالَتَيْنِ تَقَارِبَانِ الْمَعْنَى فِي اللُّغَةِ، الْأُولَى: النَّظَرِيَّةُ الدَّلَالِيَّةُ التفسيرية "التأويلية"، وَهَذَا الْمَذْهَبُ يَتِمَثَّلُ فِي تَشُومسكي وَمُؤَيِّدِيهِ، وَالثَّانِيَّةُ: النَّظَرِيَّةُ الدَّلَالِيَّةُ التوليدية، وَهُوَ مَذْهَبُ الْمُخَالِفِينَ لَهُمْ. وَلَا تُشَكِّلُ النَّظَرِيَّتَانِ -فَقَطْ- تَعْدِيلًا لِلْجَانِبِ الدَّلَالِيِّ، بَلْ تَسْعِيَانِ -أَيْضًا- إِلَى إِعَادَةِ صِيَاحَةٍ لِكُلِّ نَمُودَجٍ لُغَوِيٍّ"^(٢).

أَمَّا مَفْهُومُ هَاتَيْنِ النَّظَرِيَّتَيْنِ فَهُوَ كَمَا يَأْتِي"^(٣):

أ. النَّظَرِيَّةُ الدَّلَالِيَّةُ التفسيرية: تَرَى أَنَّ الْوُضُفَةَ الْأَسَاسِيَّةَ لِلْمَكُونِ الدَّلَالِيِّ هِيَ إِسْنَادُ التفسير الدَّلَالِيِّ الْمَلَائِمِ لِلْمَتَوَالِيَّاتِ الَّتِي يُولَدُهَا التَّرْكِيبُ بِوَسْطَةِ الْمَعْلُومَاتِ الْمُرَكَّبِيَّةِ عَلَى أَنَّ يَتِمُّ هَذَا التفسير عَلَى مَسْتَوَى الْبُنْيَةِ الْعَمِيقَةِ دُونَ الْبُنْيَةِ السُّطْحِيَّةِ؛ فَجُمْلَةٌ (ضُرِبَ زَيْدٌ) مُشْتَقَّةٌ مِنْ الْبُنْيَةِ الْعَمِيقَةِ الْمَبْنِيَّةِ لِلْمَعْلُومِ (ضُرِبَ "أ" زَيْدًا) حَيْثُ "أ" مَجْهُولٌ، فَهَاتَانِ الْجُمْلَتَانِ الْمُرْتَبِطَتَانِ بِقَاعِدَةٍ تَحْوِيلِيَّةٍ تَرْجِعَانِ إِلَى بُنْيَةٍ دَلَالِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، مَعَ أَنَّ الْأُولَى مَبْنِيَّةٌ لِلْمَجْهُولِ وَالثَّانِيَّةُ مَبْنِيَّةٌ لِلْمَعْلُومِ؛ أَيْ: مَعَ اخْتِلَافِهِمَا سَطْحًا، وَهَذَا الْاِخْتِلَافُ هُوَ الْجَاعِلُ فِي إِسْنَادِ التفسير الدَّلَالِيِّ إِلَى الْبُنْيَةِ الْعَمِيقَةِ؛ فَيَرْكُزُ هَذَا الْمَنْهَجُ عَلَى الْمَعْطِيَّاتِ الدَّلَالِيَّةِ الَّتِي تَقْدِمُهَا التَّرَاكِيْبِ. وَيُعَدُّ هَذَا الْمَنْهَجُ اسْتِكْمَالًا لِلنَّقْصِ الَّذِي كَانَ مَوْجُودًا فِي الْمَرْحَلَةِ السَّابِقَةِ أَكْثَرَ مِنْ كَوْنِهِ تَصْحِيحًا لِخَطَأٍ كَانَ فِيهَا.

(١) اللسانيات "المجال، والوظيفة، والمنهج"، أ. د. سمير شريف إستيتية: ١٨٤.

(٢) انظر: نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية - الأسس والمفاهيم (بحث مُحَكَّم)، د. مختار درقاوي: ١١.

(٣) انظر: المدارس اللسانية المعاصرة، د. نعمان بوقرة: ١٦١-١٦٢، واللسانيات "المجال، والوظيفة، والمنهج"، أ. د. سمير شريف إستيتية: ١٨٤، ونظرية تشومسكي التحويلية التوليدية - الأسس والمفاهيم (بحث مُحَكَّم)، د. مختار درقاوي: ١١.

ب. النظرية الدلالية التوليدية: تسعى هذه النظرية إلى معرفة كيفية ارتباط المفاهيم الدلالية مع بعضها داخل الجمل للتعبير عن معان جديدة، ولمعرفة ذلك تمّ الاستعانة - بالإضافة إلى النموذج الذاكرة الدلالية- بقواعد الربط بين المفاهيم داخل الجمل، والتي تكفل لنا في النهاية توليد جمل ذات معنى. فلو عَقَدْنَا مقارنة بين جُمْلَة (حَطَّم زَيْدُ الجَهَازَ)، و(حَطَّمَتِ المِطْرَقَةُ الجَهَازَ) نخلص إلى أنَّ البناء يعوزه علاقات معينة يَعبِها أبناء اللغة؛ لأن منطوق الجُمْلَتَيْنِ جَعَلَ كُلاً مِنْ (زيد) و(المِطْرَقَة) فاعلاً؛ لذلك تقرر إيجاد أو إثراء التحليل اللغوي بأدوات تستطيع النفاذ بشكل أعمق إلى لبّ الظاهرة.

وفيما يأتي أهم خصائص هذه المرحلة (النظرية النموذجية الموسعة)^(١):

أ. أصبح التمثيل الدلالي في النظرية النموذجية الموسعة يعتمد على البُنْيَتَيْنِ العميقة والسطحية معاً، في حين أنه كان يعتمد في النظرية النموذجية السابقة على العميقة وَحْدَهَا.

ب. ظهر مبدأ جديد في هذه المرحلة لم يكن معروفاً من قَبْلُ، وهو مبدأ الآثار "traces" في التمثيل التركيبي، وهذا المبدأ امتدادٌ طبيعي للنظرية المعيارية الموسعة نُقِلَ من الحاجة إلى التحويلات في النحو. والمقصود بالآثار -هنا- ما يتركه نُقْلُ المركب الاسمي من فراغٍ يحمل القرينة نَفْسَهَا التي يحملها العنصر المنقول.

ت. تمّ في هذه المرحلة التقليل من الإسراف في استخدام القواعد التحويلية، كما كان الشأن في النظرية النموذجية السابقة.

المرحلة الرابعة: نظرية الرّبط العاملي Government – Binding Theory (١٩٨١ - ١٩٩٠م):

يُعَدُّ هذا المنهج تَطَوُّراً كبيراً في نظرية تشومسكي، وَقَدْ قام منهجه هذا على مجموعة من التَصَوُّرات النظرية، وَسَمَّى كُلَّ تَصَوُّرٍ منها (theory)، وليس المقصود أن كل واحد من هذه التصورات نظرية مستقلة، بل هو يقصد بكلمة (theory) وَهُوَ يَصِفُ بها كُلَّ تَصَوُّرٍ: فكرة أو فرضية.

ويرمز تشومسكي لهذه المرحلة في الإنجليزية بالرمز (G. B.)، وقد رسم صورتها في مؤلفاته منذ سنة ١٩٨١م وما بعدها. وَمِنْ تلك المؤلفات كتابه (محاضرات في الرّبط والعَمَل

(١) انظر: مقدمة د. محمد فتّيح لترجمته كتاب: المعرفة اللغوية - طبيعتها، وأصولها، واستخدامها، لتشومسكي: ١٠-٧، واللسانيات واللغة العربية، د. عبد القادر الفاسي الفهري: ٧٤-٧٥، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ٧٢.

Lectures on Government and Binding) الذي صدر سنة ١٩٨١م، وكتابه الذي صدر سنة ١٩٨٦م بعنوان (المعرفة اللغوية Knowledge Of Language)؛ فقام بتحديد المصطلحات التي كانت غائمة في المراحل السابقة كمصطلح النحو والنحو الكلي، ودور الأخير في الاكتساب اللغوي وبناء الأنحاء الخاصة.

ويتكوّن منهج الربط العاملي من الفرضيات النظرية الأساسية الآتية^(١):

أ. فرضية زمرة السينات x - bar theory

ب. فرضية الأدوار المحورية θ - theory

ت. فرضية الحالة case theory

ث. فرضية الربط binding theory

ج. فرضية العامل government theory

وفيما يأتي تلخيص لأهمّ سمات هذه المرحلة وخصائصها^(٢):

١. تقليص قواعد البنية التركيبية لصالح المعجم، ومن ثمّ تخلصت مما تمثله هذه القواعد من نسخ للخصائص الانتقائية والمقولية للعناصر المعجمية.

٢. وضحت نظرية الربط العاملي أنه بالإمكان توسيع نطاق الخصائص المعجمية بتطبيقها على عناصر معجمية أخرى غير الأفعال كالأوصاف: (أسماء الفاعلين، والمفعولين، ... إلخ)، والحروف، والأسماء.

٣. تخلصت النظرية من كثير من القواعد التحويلية، بل تخلصت منها جميعها عدا قاعدة (نقل الألف Move a) المتعلقة بتقديم العناصر المعجمية، وقد ساعد هذا على التخلص من ألوان العنت التي كان يمثلها الكثير من القواعد التحويلية.

٤. ذكرت النظرية كثيراً من المبادئ العامة المفيدة في التعليل لصور التمثيل الدلالي، والتمثيل التركيبي.

٥. قدّمت النظرية ألواناً من البنى التركيبية للأنحاء الخاصة التي تفتح آفاقاً جديدة للدرس التركيبي العربي، كالبنى التالية التي كان يعلل لها تحويلياً - أي: في صورة قواعد تحويلية معينة - في أحد أطوار النظرية السابقة:

(١) انظر: اللسانيات "المجال، والوظيفة، والمنهج"، أ. د. سمير شريف إستيتية: ١٨٥. وللاستزادة حول وصف هذه الفرضيات النظرية السيّات انظر المرجع نفسه: ١٨٥-١٨٧.

(٢) انظر: المعرفة اللغوية "طبيعتها، وأصولها، واستخدامها، نعوم تشومسكي، ترجمة وتعليق: د. محمد فتوح: ٣٨-٣٩، واللسانيات واللغة العربية، د. عبد القادر الفاسي الفهري: ٣٤١-٣٤٧، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ٧٢-٧٣.

- أ. تراكيب المصادر الصريحة، وتراكيب المصادر المؤولة.
- ب. مُركّبات أسماء الفاعلين والمفعولين.
- ت. مُركّبات أشباه المصادر، مثل: أسماء المصادر.
- ث. الجُمْل المبنية للمجهول.
- ج. مركبات ضمير الشأن، وما يُفسّره مِنْ مصدر مؤول، كقولنا مثلاً: إِنَّهُ لَمِنْ التَّعَسُّفِ أَنْ تُطَبَّقَ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ.
٦. تحتوي هذه النظرية على مبدئين مهمين، هما: التطابق، والعناصر الفارغة، والمقصودُ بالعناصر الفارغة عنصرُ الأثر "Trace" وعنصرُ الضَمّ "Pro". والأثرُ هو ما يتركه نقل المركب الاسمي أو الحرفي إلى "البؤرة"؛ أي: مقدمة الجملة من فراغ يطلق عليه "مركب اسمي فارغ" لا يعلوه عنصر معجمي، ويرتبط بالعنصر المعجمي المنقول، كنقل المفعول في قولنا: (مُحَمَّدًا صَافَحْتُ ... "ه"). أمّا "الضَمّ" فهو نوعٌ خاصٌّ مِنَ الضمائر ليس له مضمون صوتي، ويظهر في البنية التكوينية مكانَ المُركّبات الاسمية، ففي قولنا: (ضَرَبْتُ)، وقولنا: (أَرَادَ زَيْدٌ ضَرَبَهُ)، فالفاعل المستتر في كُلِّ مِنَ الفِعْلِ: (ضَرَبَ) والمصدر (ضَرَبَ) هُوَ "ضَمّ" عند تشومسكي^(١).

المرحلة الخامسة: منهج الثنائيات الصغرى Minimal Pairs (بَعْدَ عام ١٩٩٠م):^(٢)

يُعَدّ منهج الثنائيات الصغرى أحدث تعديل يجريه تشومسكي على تصوّره للغة؛ فَقَدْ وَصَّعَ مَعَالِمَ هذا التّصوُّر عام ١٩٩١م، وأخرجه للجمهور عام ١٩٩٣م، خاصة ورقته البحثية الموسومة بـ: (برنامج الحد الأدنى للنظرية اللغوية A minimalist Program for Linguistic Theory)، والذي طُبِعَ في معهد (M. I. T)، ثُمَّ تَبَعَ ذلك مؤلفات عدّة لتشومسكي وزملائه؛ لتطويع هذا البرنامج وتعديله.

^(١) يَزِي د. الفهري أَنَّ الاختلاف الموجود - بين طبيعة نظرية العمل التي اقترحها تشومسكي بخصوص عنصر "الضَمّ" وبين طبيعة عَمَلِ الفِعْلِ في اللغة العربية- يجعلنا نقول: إِنَّ نظرية تشومسكي في هذه النقطة غير صالحة للتطبيق على العربية، وهي تحتاج -في هذا المضمار- إلى تعديل. انظر: اللسانيات واللغة العربية، د. عبد القادر الفاسي الفهري: ٣٤١/٢-٣٤٧.

^(٢) انظر: اللسانيات "المجال، والوظيفة، والمنهج"، أ. د. سمير شريف إستيتية: ١٨٧-١٨٨، وتراكيب أسلوب النداء في العربية - دراسة وصفية تحليلية في ضوء علم اللغة التوليدي، (بحث مُحَكَّم)، مجلة الجامعة الإسلامية - غزة، المجلد السادس عشر، العدد الأول، يناير ٢٠٠٨م، د. حمدان رضوان أبو عاصي: ٢٢١.

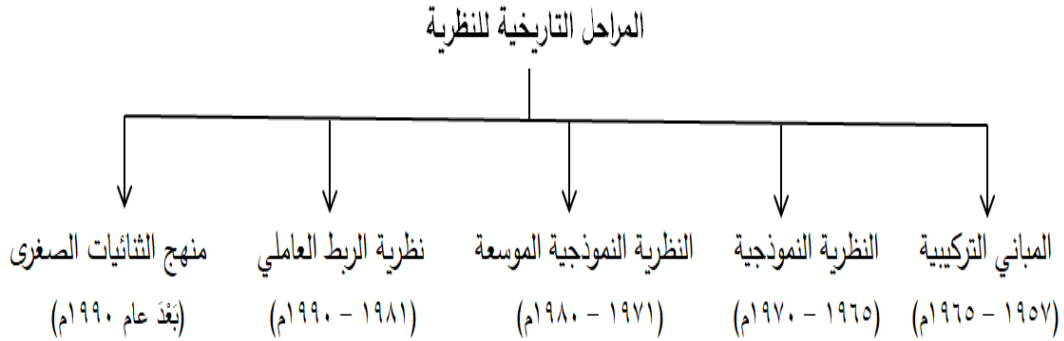
يقوم هذا التصور -في هذا المنهج- على افتراضٍ مُؤدَّاهُ أنَّ اللغة مجموعة كبيرة من النظائر الصغرى المتقابلة. وكُلُّ مجموعة (X) منها تُقابل مجموعة (Y)، وهذا يعني -فيما يقصده تشومسكي- أن وجود إحداها بحاجة إلى وجود الأخرى.

وقسمةُ اللغةِ على هذا الأساس نتيجةٌ حتمية؛ وذلك لِكَوْنِ اللغة ذات بُعْدَيْن:

أولهما: (X) قائم على أداء منطوق مُدرَك بالحس؛ فيكون مُدرَكًا بالسمع منطوقًا، ومُدرَكًا بالنظر مكتوبًا. ويتألف هذا البُعد من الرموز الصوتية والكتابية. ويظهر تحققه منطوقًا مسموعًا في النبر (stress)، وطبقة الصوت (pitch)، والتنغيم (intonation)، ويُسمَّى تشومسكي هذا البُعدَ المستوى الصوتي phonetic level.

وثانيهما: (Y) قائم على المفاهيم والأداءات القصدية، وهذا البُعد منطقي لا نُطقي، ويظهر تحققه في بناء الجُمْل والتراكيب على نحوٍ مُنظَّم مُنسَق، ويظهر التحقق منه في أن يَعودَ الضمير على مُقَدِّم أو مُتَأَخِّر، وفي رَبْطِ الكلمات والجُمْل بعضها ببعض، وَعَدَدَ الكلمات التي تقرر أداء المعنى على نحو واضح مفهوم، وغير ذلك مما يتصل بالبُعد المنطقي؛ وذلك لبناء التراكيب والجُمْل.

والشكل الآتي يُوَضِّح المراحل التاريخية للنظرية:



المطلب الخامس: الجُملة بين علماء العرب والغرب، وطرائق تحليلها في ضوء النظرية

يُقسَم هذا المطلب إلى ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الجُملة عند العلماء العرب.

المسألة الثانية: الجُملة عند العلماء الغربيين.

المسألة الثالثة: طرائق تحليل الجملة العربية وتكوينها في ضوء المنهج التحليلي.

ظَلَّتِ الجُملة محطَّ اهتمام علماء اللغة القدماء والمعاصرين، العرب والغرب، فاختلّفت نظرتهم إلى مفهومها، وطبيعة بنائها، واختلفت طريقة تحليل المعاصرين لها وَفَقَّ النظرية التوليدية التحليلية. وما يأتي بيان ذلك:

المسألة الأولى: الجُملة عند العلماء العرب:

يُعَدُّ مفهوم الجملة مِنَ الأسس التي تحدّث عنها علماءنا القدماء والمُحدّثون، وهذا بيان ذلك:

١. مفهوم الجُملة عند العلماء العرب القدماء:

لمفهوم الجملة عند علمائنا العرب القدماء اتجاهان رئيسان^(١)، هما:

الاتجاه الأول: ويمثله ابن جني (ت ٣٩٢هـ)، والزمخشري (ت ٥٣٨هـ).

يرى أصحاب هذا الاتجاه أَنَّ الجُملة مُرَادِفَةٌ لِمَفْهُومِ الكلام، فقد قال ابن جني: "أَمَّا الكلامُ فَكُلُّ لَفْظٍ مُسْتَقِلٍّ بِنَفْسِهِ، مُفِيدٍ لِمَعْنَاهُ، وهو الذي يُسَمِّيهِ النحويون الجُمْلَ، نحو: (زَيْدٌ أَخوكَ)، و(قام محمّدٌ)، و(ضربَ سعيدٌ)، و(في الدَّارِ أبوكَ)، و(صَه)، ... فَكُلُّ لَفْظٍ اسْتَقَلَّ بِنَفْسِهِ، وَجَنِبَتْ مِنْهُ ثَمَرَةٌ مَعْنَاهُ فَهُوَ كَلَامٌ"^(٢)؛ أي: الجملة والكلام - عند ابن جني - متساويان، وَهُمَا: كل لفظ مفيد فائدة يحسن السكوت عليها.

أَمَّا الزمخشري فَعَرَّفَ الجُملة قائلًا: "الكلامُ هو المُركَّبُ مِنْ كَلِمَتَيْنِ أُسْنِدَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الأُخْرَى، وَذَلِكَ لَا يَتَأَتَّى إِلَّا فِي اسْمَيْنِ، كَقَوْلِكَ: (زَيْدٌ أَخوكَ)، و(بَشْرٌ صَاحِبُكَ)، أَوْ فِي فِعْلٍ وَاسْمٍ، نَحْوُ قَوْلِكَ: (ضَرَبَ زَيْدٌ)، و(انْطَلَقَ بَكْرٌ)، وَيُسَمَّى الجُملة"^(٣)، فالجملة - عند الزمخشري - ما تركَّبَ مِنْ كَلِمَتَيْنِ، بحيث تكونان اسمين أو فعل واسم، مع المعنى المفيد لهما.

وقال شارحُ المُفَصَّلِ ابنُ يَعِيشَ (ت ٦٤٣هـ) حِينَ عَرَّفَ الجُملة: "اعْلَمْ أَنَّ الكلامَ عند النحويين عبارةٌ عن كُلِّ لَفْظٍ مُسْتَقِلٍّ بِنَفْسِهِ، مُفِيدٍ لِمَعْنَاهُ، وَيُسَمَّى الجُملة، نَحْو: (زَيْدٌ أَخوكَ)،

(١) انظر: القواعد التحليلية في ديوان حاتم الطائي، د. حسام البهنساوي: ٨٩-٩١، والقواعد التحليلية في ديوان

الخطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ٧٤-٧٦.

(٢) الخصائص، لابن جني: ١٨/١.

(٣) المُفَصَّل في صَنَعَةِ الإعراب، للزمخشري: ٢٣.

وَقَامَ بَكْرٌ)، وهذا معنى قول صاحب الكتاب: الْمُرْكَبُ مِنْ كَلِمَتَيْنِ أُسْنَدَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى^(١)، وتعريف ابن يعيش كتعريف ابن جني.

فَسَوَّى أَصْحَابُ هَذَا الْإِتِّجَاهِ بَيْنَ الْجُمْلَةِ وَالْكَلَامِ، فَهُمَا -الْكَلَامُ وَالْجُمْلَةُ- عِنْدَهُمْ: كُلُّ مَا تَرَكَّبَ مِنْ كَلِمَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، الْمَفِيدُ فَائِدَةً يَحْسُنُ السُّكُوتَ عَلَيْهَا، مِثْلُ: (نَمَا الزَّرْعُ)، أَوْ (زَيْدٌ قَائِمٌ)، مَعَ أَنَّ هَذَا التَّعْرِيفَ خَاصٌّ بِمَفْهُومِ الْكَلَامِ، كَمَا أَقَرَّ بِذَلِكَ ابْنُ مَالِكٍ، وَابْنُ عَقِيلٍ^(٢).

الْإِتِّجَاهُ الثَّانِي: وَيُمَثِّلُهُ الرَّضِيُّ (ت ٦٨٦هـ)، وَابْنُ هِشَامٍ (ت ٧٦١هـ).

يَرَى أَصْحَابُ هَذَا الْإِتِّجَاهِ أَنَّ مَفْهُومَ الْجُمْلَةِ مُخْتَلِفٌ عَنِ مَفْهُومِ الْكَلَامِ، وَقَدْ عَرَفَ الرَّضِيُّ الْجُمْلَةَ بِقَوْلِهِ: "الْفَرْقُ بَيْنَ الْجُمْلَةِ وَالْكَلَامِ أَنَّ الْجُمْلَةَ: مَا تَضَمَّنَ الْإِسْنَادَ الْأَصْلِيَّ"^(٣)، سِوَاهُ كَانَتْ مَقْصُودَةً لِدَاتِهَا أَوْ لَا^(٤)، كَالْجُمْلَةِ الَّتِي هِيَ خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ، وَسَائِرُ مَا ذُكِرَ مِنَ الْجُمْلِ؛ فَيُخْرِجُ الْمَصْدَرَ، وَأَسْمَاءَ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ، وَالصِّفَةَ الْمَشْبَهَةَ، وَالظَّرْفَ، مَعَ مَا أُسْنَدَتْ إِلَيْهِ. وَالْكَلَامُ: مَا تَضَمَّنَ الْإِسْنَادَ الْأَصْلِيَّ، وَكَانَ مَقْصُودًا لِدَاتِهِ؛ فَكُلُّ كَلَامٍ جُمْلَةٌ وَلَا يَنْعَكُسُ"^(٥).

فَيَعُدُّ الرَّضِيُّ كُلَّ كَلَامٍ جُمْلَةً، وَلَيْسَ كُلُّ جُمْلَةٍ كَلَامًا، فَلَوْ قُلْنَا: (حَضَرَ زَيْدٌ) فَهَذِهِ جُمْلَةٌ وَكَلَامٌ، لَكِنْ لَوْ قُلْنَا: (التَّلْمِيزُ الْقَاوُءُ جَمِيلٌ) فَجُمْلَةٌ الْخَبَرِ "الْقَاوُءُ جَمِيلٌ" لَا تُعَدُّ -عِنْدَهُ- كَلَامًا بَلْ جُمْلَةً فَقَطُّ.

وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ فِي تَعْرِيفِهِ لِلْجُمْلَةِ: "الْكَلَامُ هُوَ: الْقَوْلُ الْمُفِيدُ بِالْقَصْدِ، وَالْمُرَادُ بِالْمَفِيدِ مَا دَلَّ عَلَى مَعْنَى يَحْسُنُ السُّكُوتَ عَلَيْهِ. وَالْجُمْلَةُ: عِبَارَةٌ عَنِ الْفِعْلِ وَفَاعِلِهِ، كَ (قَامَ زَيْدٌ)، وَالْمُبْتَدَأُ وَخَبَرُهُ، كَ (زَيْدٌ قَائِمٌ)، وَمَا كَانَ بِمَنْزِلَةِ أَحَدِهِمَا، نَحْوُ: (ضَرَبَ اللَّصُّ)، وَ(أَقَامَ الزَّيْدَانِ)، وَ(كَانَ زَيْدٌ قَائِمًا)، وَ(ظَنَنْتُهُ قَائِمًا)؛ وَبِهَذَا يَظْهَرُ لَكَ أَنَّهُمَا لَيْسَا مُتَرَادِفَيْنِ كَمَا يَتَوَهَّمُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ"^(٦). فَيَرَى ابْنُ هِشَامٍ أَنَّ الْكَلَامَ مَا أَفَادَ فَائِدَةً يَحْسُنُ السُّكُوتَ عَلَيْهَا، فَإِنْ لَمْ يُفِذْ حِينَ السُّكُوتِ عَلَيْهِ فَلَيْسَ بِكَلَامٍ، أَمَّا الْجُمْلَةُ فَمُرْكَبَةٌ مِنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ وَمَا كَانَ بِمَنْزِلَةِ أَحَدِهِمَا.

(١) شَرْحُ الْمُفَصَّلِ، لِابْنِ يَعِيشَ: ٧٢/١.

(٢) انْظُرْ: شَرْحُ ابْنِ عَقِيلٍ عَلَى أَلْفِيَةِ ابْنِ مَالِكٍ، لِابْنِ عَقِيلٍ، تَحْقِيقٌ: مُحَمَّدٌ مُحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ: ١٤/١ - ١٥.

(٣) كَاسْنَادِ الْفِعْلِ إِلَى الْفَاعِلِ، مِثْلُ: (حَضَرَ الضَّيْفُ).

(٤) الْجُمْلَةُ الْمَقْصُودَةُ لِدَاتِهَا: هِيَ الْجُمْلَةُ الْمُسْتَقْلِلَةُ بِذَاتِهَا، نَحْوُ: (زَيْدٌ قَائِمٌ). أَمَّا الْمَقْصُودَةُ لِغَيْرِهَا: فَهِيَ الْجُمْلَةُ غَيْرُ الْمُسْتَقْلِلَةِ، نَحْوُ: الْجُمْلَةُ الْوَاقِعَةُ خَبَرًا (الشَّجَرَةُ أَوْرَاقُهَا خَضْرَاءُ)، أَوْ نَعْتًا (جَاءَ طَالِبٌ يَضْحَكُ)، أَوْ حَالًا (جَاءَ الطَّالِبُ يَضْحَكُ)، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ. انْظُرْ: شَرْحُ الرَّضِيِّ عَلَى الْكَافِيَةِ، لِلرَّضِيِّ، تَحْقِيقٌ: د. يَوْسُفُ حَسَنُ عُمَرَ: ٣٢/١.

(٥) شَرْحُ الرَّضِيِّ عَلَى الْكَافِيَةِ، لِلرَّضِيِّ، تَحْقِيقٌ: د. يَوْسُفُ حَسَنُ عُمَرَ: ٣٣/١.

(٦) مَعْنِي اللَّيِّيبِ عَنْ كُتُبِ الْأَعَارِيبِ، لِابْنِ هِشَامٍ الْأَنْصَارِيِّ: ٤٩٠.

ثُمَّ تَحَدَّثَ ابْنُ هِشَامٍ عَنْ انْقِسَامِ الْجُمْلَةِ إِلَى صُغْرَى وَكُبْرَى؛ فَقَالَ: "الْكُبْرَى هِيَ: الْأَسْمِيَّةُ الَّتِي خَبَرَهَا جُمْلَةٌ، نَحْوُ: (زَيْدٌ قَامَ أَبُوهُ)، وَ(زَيْدٌ أَبُوهُ قَائِمٌ)، وَالصُّغْرَى هِيَ: الْمَبْنِيَّةُ عَلَى الْمُبْتَدَأِ، كَالْجُمْلَةِ الْمُخْبَرِ بِهَا فِي الْمَثَالَيْنِ"^(١)، وَيَقْصِدُ بِالْجُمْلَةِ الْمَخْبَرِ عَنْهَا؛ أَيُّ: الْوَاقِعَةُ خَبَرًا فِي الْمَثَالَيْنِ اللَّذَيْنِ ضَرِبَهُمَا: "قَامَ أَبُوهُ"، وَ"أَبُوهُ قَائِمٌ".

وَاسْتَكْمَلَ ابْنُ هِشَامٍ قَائِلًا: "وَقَدْ تَكُونُ الْجُمْلَةُ صُغْرَى وَكُبْرَى بِاعْتِبَارَيْنِ، نَحْوُ: (زَيْدٌ أَبُوهُ غُلَامُهُ مُنْطَلِقٌ)، فَجَمْعُ هَذَا الْكَلَامِ جُمْلَةٌ كُبْرَى لَا غَيْرَ، وَ"غُلَامُهُ مُنْطَلِقٌ" صُغْرَى لَا غَيْرَ؛ لِأَنَّهَا خَبَرٌ، وَ"أَبُوهُ غُلَامُهُ مُنْطَلِقٌ" كُبْرَى بِاعْتِبَارِ "غُلَامُهُ مُنْطَلِقٌ"، وَصُغْرَى بِاعْتِبَارِ جُمْلَةِ الْكَلَامِ"^(٢).

٢. مفهوم الجُمْلَة عند العلماء العرب المُحدثين:

يُعَدُّ الدُّكْتُورُ إِبْرَاهِيمُ أَنْيسُ (ت ١٣٩٧هـ)، والدُّكْتُورُ مَهْدِي الْمَخْزُومِي (ت ١٤١٤هـ) مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَرَبِ الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ عَرَّفُوا الْجُمْلَةَ.

حَيْثُ عَرَّفَهَا إِبْرَاهِيمُ أَنْيسُ فَقَالَ: "الْجُمْلَةُ فِي أَقْصَرِ صُورِهَا هِيَ: أَقَلُّ قَدْرٍ مِنَ الْكَلَامِ يَفِيدُ السَّمَاعَ مَعْنَى مُسْتَقْلًا بِنَفْسِهِ، سِوَاءِ تَرْكِبِ هَذَا الْقَدْرِ مِنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ أَكْثَرٍ، ... كُلُّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَشْتَرِطَ فِي الْكَلَامِ لِنَلَّا يَكُونَ لَعَوًا هُوَ حَصُولُ الْفَائِدَةِ وَتَمَامِهَا"^(٣).
فَمَفْهُومُ الْجُمْلَةِ عِنْدَ أَنْيسٍ هُوَ كُلُّ تَرْكِيبٍ مِنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ أَكْثَرٍ يَحْصُلُ مِنْهُ كَلَامٌ مَفْهُومٌ تَامٌ.

أَمَّا د. مَهْدِي الْمَخْزُومِي فَعَرَّفَ الْجُمْلَةَ بِقَوْلِهِ: "الْجُمْلَةُ هِيَ الصُّورَةُ اللَّفْظِيَّةُ الصُّغْرَى"^(٤) لِلْكَلامِ الْمُفِيدِ فِي آيَةٍ لُغَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ، ... وَالْجُمْلَةُ التَّامَّةُ الَّتِي تُعْبَرُ عَنْ أَبْسَطِ الصُّوَرِ الذَّهْنِيَّةِ التَّامَّةِ الَّتِي يَصِحُّ السَّكُوتُ عَلَيْهَا"^(٥).

يَدُورُ تَعْرِيفُ الْجُمْلَةِ عِنْدَ الْمَخْزُومِيِّ حَوْلَ التَّرْكِيبِ الَّذِي يُوْدِي إِلَى كَلَامٍ تَامٍ يَحْسُنُ السَّكُوتُ عَلَيْهِ.

إِنَّ تَعْرِيفَاتِ كُلِّ مِنْ أَنْيسٍ وَالْمَخْزُومِيِّ لَا تَخْرُجُ بَعِيدًا عَنْ تَعْرِيفَاتِ الْقَدَمَاءِ لِلْجُمْلَةِ.

(١) مُغْنِي السَّيِّبِ عَنْ كُتُبِ الْأَعَارِيبِ، لِابْنِ هِشَامِ الْأَنْصَارِيِّ: ٤٩٧.

(٢) السَّابِقُ: ٤٩٧.

(٣) مِنْ أَسْرَارِ اللُّغَةِ، د. إِبْرَاهِيمُ أَنْيسٍ: ٢٧٧.

(٤) كَقَوْلِكَ: "زَيْدٌ لِمَنْ سَأَلَ: "مَنْ حَضَرَ مَعَكَ؟"، وَكَقَوْلِنَا: "صَهْ" لِمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ.

(٥) فِي النُّحُوِّ الْعَرَبِيِّ - نَقْدٌ وَتَوْجِيهٌ، د. مَهْدِي الْمَخْزُومِيِّ: ٣١.

كما أنّ طرائق تحليل الجملة - عند علمائنا العرب القدماء - تبدأ من الكلمة المفردة أولاً، ثمّ إلى الجملة، على عكس التوليديّين كما سيتبيّن.

أما عناصر الإسناد في الجملة العربية فَمُسْنَدٌ وَمُسْنَدٌ إِلَيْهِ، فالجملة الاسمية (الْعِلْمُ نُورٌ) الْعِلْمُ: مُسْنَدٌ إِلَيْهِ؛ لَأَنَّهُ أُسْنِدَ إِلَيْهِ النُّورُ، وَنُورٌ: مُسْنَدٌ؛ لَأَنَّهُ أُسْنِدَ إِلَى الْعِلْمِ. أمّا الجملة الفعلية (نَمَا الزَّرْعُ) فالْمُسْنَدُ: نَمَا؛ لَأَنَّهُ أُسْنِدَ إِلَى الزَّرْعِ، وَالْمُسْنَدُ إِلَيْهِ: الزَّرْعُ، حَيْثُ أُسْنِدَ إِلَيْهِ النُّمُو.

المسألة الثانية: الجُمْلَةُ عند العلماء الغَرْبِيِّينَ:

يتوزع مفهوم الجملة بين تيارين رئيسيين في الغرب، هما: البنيوية، والتوليدية التحويلية، وهذا بيان ذلك:

١. مفهوم الجُمْلَةُ عند البُنْيَوِيِّينَ:

اهتم بلومفيلد (ت ١٩٤٩م)، وهوكيت (ت ٢٠٠٠م) بتعريف مفهوم الجملة. حيث عَرَّفَ بلومفيلد الجُمْلَةَ بأنّها: "عبارة عن شَكْلٍ لُغَوِيٍّ مُسْتَقِلٍّ، وغير متضمن في شكل لُغَوِيٍّ آخَرٍ، وَفَقًا لِمَقْتَضِيَّاتِ التَّرْكِيْبِ النُّحَوِيِّ"^(١). أمّا الجُمْلَةُ عند هوكيت Hockett فهي: "عبارة عن شكل لُغَوِيٍّ، لا يُوَلَّفُ مُرَكَّبًا مع أيّ شكل لُغَوِيٍّ آخَرٍ، أو هي بعبارة أخرى: مُكوِّنٌ Constitute، وليست مُكوِّنًا Constituent"^(٢). يُلْحَظُ مِنْ تَعْرِيفِ البُنْيَوِيِّينَ لِلْجُمْلَةِ مِنْ النَاحِيَةِ النُّحَوِيَّةِ "أَنَّهَا تُعَدُّ أَكْبَرَ وَحْدَةٍ يُمْكِنُ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْهَا التَّحْلِيلُ اللُّغَوِيُّ، وَهِيَ قَابِلَةٌ لِأَنْ تُحَلَّلَ إِلَى مَكُونَاتٍ، بَيِّنُ أَنَّهَا لَيْسَتْ مُكوِّنًا لِأَيِّ شَكْلٍ لُغَوِيٍّ آخَرَ"^(٣).

ويتضح أن أصحاب المنهج البنيوي قاموا بتعريف الجملة اتفاقًا مع مفهوم البنيوية التي تبدأ من الأصوات وتنتهي بالجملة، "وعلى الرغم من اعترافهم بأن الجملة يمكن أن تحلل إلى مكوناتها الصغرى بَيِّنُ أَنَّ تحليلهم يبدأ بالمكونات الصغرى، حيث يتكون منها الهيكل البنائي الأكبر وهو الجملة، التي لا تسمح بأن تكون مكونًا لأي بناء لُغَوِيٍّ آخَرَ"^(٤).

٢. مفهوم الجملة عند التوليديّين التحويليّين (تشومسكي)

^(١) Leonard Bloomfield, Language, P. 170.

وانظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف خرما: ٢٣٤ و ٢٥٨-٢٦١.

^(٢) Hockett: A Course in Modern Linguistics, P. 199.

^(٣) القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، د. حسام البهنساوي: ٩٤-٩٥.

^(٤) السابق: ٩٥.

عَرَفَ الْجُمْلَةَ رَائِدُ النَّظَرِيَّةِ التَّوَلِيدِيَّةِ التَّحْوِيلِيَّةِ (تشومسكي) بأنها: "ما تحتوي على سلسلة من الأدلة النظامية، يجري توليد كُلِّ واحدٍ منها مِنْ قَبْلِ الأساس في المَكُونِ النحوي"^(١). وقال أيضًا: "الْجُمْلَةُ مجموعة سلاسل المكونات الأساسية، وليس السلاسل المَتَكُونَةُ مِنْ وحدات صوتية"^(٢).

يتضح أن المنهج التوليدي التحولي يجعل من الجملة قمة الدراسات اللغوية، ولا يمكن أن تبدأ الدراسات اللغوية إلا بها؛ وذلك لأنَّ أتباع هذا المنهج ينطلقون في تحليلاتهم مِنَ الْجُمْلَةِ ابتداءً^(٣)، فَهُمْ يَعُدُّونَ الْجُمْلَةَ الْمَكُونَةَ الْأَسَاسِيَّ الَّذِي يَحْتَوِي عَلَى مَكُونَيْنِ: الْمَكُونِ الْفُونُولُوجِي، وَالْمَكُونِ الدَّلَالِي. وعلى هذا الأساس تبدأ النظرية التوليدية في طرائق تحليل الْجُمْلَةِ مِنَ الْجُمْلَةِ وتنتهي بأصغر وحدة صوتية فيها.

فَالْجُمْلَةُ -في نَظَرِ تشومسكي- تُسْتَنْبَطُ مِنْهَا الْقَوَاعِدُ الَّتِي تُسَهِّلُ عَلَى النَّاظِقِينَ بِلُغَةٍ مَا أَنْ يُؤَلِّدُوا صَبِيغًا سَلِيمَةً، وَتَتَكَوَّنُ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنْ بُنْيَانَيْنِ: ذَهْنِيَّةٍ عَمِيقَةٍ، وَسَطْحِيَّةٍ ظَاهِرَةٍ. وَيُذَلِّلُ الْخَوْلِي تَعْرِيفَ الْجُمْلَةِ فِي مَفْهُومِ النَّظَرِيَّةِ التَّحْوِيلِيَّةِ فَيَقُولُ: "هي كُلُّ مَا تُنتِجُهُ الْقَوَاعِدُ التَّحْوِيلِيَّةُ ذَاتَهَا. إِنَّ كُلَّ الْقَوَاعِدِ التَّحْوِيلِيَّةِ بِقَوَانِينِهَا الْبَاطِنِيَّةِ، وَالْمَفْرَدَاتِيَّةِ [الدَّلَالِيَّةِ]، وَالتَّحْوِيلِيَّةِ، وَالْمُورْفِيْمِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ مُسَخَّرَةٌ لِتَعْرِيفِ الْجُمْلَةِ وَفَرْزِهَا عَنِ اللَّأْجُمْلَةِ"^(٤)، فَكُلُّ مَا تُنتِجُهُ الْقَوَاعِدُ التَّحْوِيلِيَّةُ هُوَ جُمْلَةٌ.

يَتَبَيَّنُ -مِمَّا سَبَقَ- أَنَّ مَفْهُومَ الْإِنْجَلِيزِيَّةِ عِنْدَ التَّوَلِيدِيِّينَ مَتَكُونَةٌ مِنْ: (مَرْكَبٍ اسْمِيٍّ، وَمَرْكَبٍ فَعْلِيٍّ)، وَتَرْتِيبُهَا: (فَاعِلٌ + فَعْلٌ + مَفْعُولٌ بِهِ)، وَقَدْ يَتَقَدَّمُ الْمَفْعُولُ بِهِ عَلَى الْفَعْلِ وَالْفَاعِلِ: (مَفْعُولٌ بِهِ + فَعْلٌ + فَاعِلٌ). أَمَّا الْجُمْلَةُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَعَلَى نَوْعِيَّهَا، الْإِسْمِيَّةِ وَيَكُونُ فِيهَا التَّرْتِيبُ: (مَبْتَدَأٌ + خَبَرٌ)، وَقَدْ يَتَقَدَّمُ الْخَبَرُ لِمُغْرَضٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ. وَالْجُمْلَةُ الْفَعْلِيَّةُ وَيَكُونُ تَرْتِيبُهَا: (فَعْلٌ + فَاعِلٌ + مَفْعُولٌ) إِنْ كَانَ الْفَعْلُ مُنْعَدِّيًّا، وَقَدْ يَتَقَدَّمُ الْمَفْعُولُ بِهِ عَلَى الْفَعْلِ وَالْفَاعِلِ: (مَفْعُولٌ بِهِ + فَعْلٌ + فَاعِلٌ). وَإِنْ كَانَ الْفَعْلُ لَازِمًا جَاءَ تَرْتِيبُ الْجُمْلَةِ: (فَعْلٌ + فَاعِلٌ).

أقسام الجملة في النحو التحولي^(٥):

(١) جوانب مِنْ نَظَرِيَّةِ النَّحْوِ، تشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر: ٤٠.

(٢) جوانب مِنْ نَظَرِيَّةِ النَّحْوِ، تشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر: ٣٩.

(٣) انظر: القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، د. حسام البهناوي: ٩٥-٩٦.

(٤) انظر: قواعد تحويلية لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، د. مُحَمَّدٌ عَلِي الْخَوْلِي: ٣١.

(٥) انظر: نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٥٣-١٥٥، والقواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، د. حسام البهناوي: ٨٧-٨٨ (حاشية رقم ٣ ص ٨٧)، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ٧٦.

١. **جملة بسيطة Simple Sentence**: تتكوّن مِنْ مسند إليه، ومسند.
٢. **جملة مُركّبة Compound Sentence**: تتكوّن مِنْ جملتين بسيطتين بينهما أداة رَبط؛ لتربط بينهما، مثل: العطف.
٣. **جملة تركيبية "مُعقّدة" Complex Sentence**: وهي مكوّنة مِنْ جملتين، إحداهما: جملة رئيسة "مستقلة"، وتؤدي المعنى كاملاً بمفردها، والأخرى: جملة فرعية "غير مستقلة" أو أكثر، والفرعية لا تؤدي معنى كاملاً بمفردها.

المسألة الثالثة: طرائق تحليل الجملة العربية وتكوينها في ضوء المنهج التحليلي

أوضح الخولي أنّ هناك أكثر مِنْ فَرَضِيَّةٍ لتحليل اللغة حيث قال: "لا توجد قواعد تحويلية واحدة لِلُغَةِ ما؛ لأن القواعد هي في أساسها فَرَضِيَّة (hypothesis). وحيث إنّ هناك العديد من اللغويين الذين يعملون على لغة واحدة، فإنه من المتوقع وجود عدة فرضيات مختلفة تحاول كُلُّ منها تحليل تلك اللغة؛ ولهذا فإن النظرية التحويلية قد وضعت معايير للمفاضلة بين فرضية وأخرى"^(١).

والقواعد التي تبناها التوليديون لا تتلاءم -غالبًا- مع الجملة العربية؛ لذلك لَجَّؤُوا إلى إقامة قوانين خاصة بالجملة العربية، لكنهم اختلفوا في الطريقة التي يتم بها صَوْغ هذه القوانين^(٢).
فالفَرَضِيَّة التي وضعها تشومسكي هي^(٣):

١. جملة ← جملة اسمية + جملة خبرية
٢. جملة خبرية ← فعل مساعد + جملة فعلية + (مكان) + (زمان)
٣. جملة فعلية ← فعل $\left[\begin{array}{l} \text{جملة اسمية + (جار ومجرور) + (حال)} \\ \text{جملة} \\ \text{خبر} \end{array} \right]$
٤. خبر ← $\left[\begin{array}{l} \text{صفة} \\ \text{اسم} \end{array} \right]$
٥. جار ومجرور ← اتجاه، مكان، تكرار، زمن
٦. جملة اسمية ← (مُعَرِّف) + اسم + (جملة)

^(١) قواعد تحويلية لِلُغَةِ العربية، د. محمّد علي الخولي: ٤٧.

^(٢) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ٧٧.

^(٣) انظر: قواعد تحويلية لِلُغَةِ العربية، د. محمّد علي الخولي: ٦٧-٦٨.

وهذه نماذج للقوانين التي اختارها الباحثون التحويليون المُحدِّثون لتكوين الجملة العربية وتركيبها:

١-فَرْضِيَّة تشارلز فيلمور Charles Fillmor^(١):

اختار الخولي فرضية فيلمور من بين عددٍ من فرضيات التركيب، التي تناولت العلاقات بين تراكيب اللغة الإنجليزية. وسبَّب اختياره لها أنها تتمتع بقدر أوفر من المزايا، وأهمّ معيارين هُما: (البساطة) و(العالمية)، حيث ينبغي أن تكون الفرضية صالحة للغة العربية أيضًا؛ أي: أن تكون الفرضية ذات صبغة عالميّة، وهي أكثر الفرضيات -في رأيه- مُلاءمةً للغة العربية^(٢). وقد عَقَدَ الخولي مقارنةً بين فَرْضِيَّة تشومسكي وفَرْضِيَّة فيلمور، ثُمَّ أَقَرَّ أَنَّ فرضية الأخير أكثر ملاءمة لطبيعة تكوين الجملة العربية وبنائها للأسباب الآتية^(٣):

إنَّ القانون الأول في فرضية تشومسكي يختص باللغة الإنجليزية التي يسبق الاسم فيها الفعل في معظم الأحوال، ولهذا لا يمكن أن يُعَدَّ القانون الأول قانونًا ذا صبغة عالمية. إنَّ القوانين التشومسكية تُرَكِّزُ عَلَى "المُسْنَدِ إليه" المبتدأ Subject، و"المُسْنَدِ" الخبر Predicate. وفي الواقع إنَّ مفهومي المبتدأ والخبر يتصلان بالتركيب السطحي "البنية السطحية" أكثر من اتصالهما بالتركيب الباطني "البنية العميقة"؛ ذلك لأن مفهومي المبتدأ والخبر يتعلقان بأمور الترتيب النهائي لعناصر الجملة، ولا يكشفان الكثير عن العلاقات المعنوية.

تُفَرِّقُ فرضية تشومسكي بين المُركَّب الاسمي والجار والمجرور، وسيتضح في فرضية فيلمور أنَّ فيلمور أثبت في فرضيته أنَّ جميع المركبات الاسمية هي -أساسًا- جار ومجرور على مستوى التركيب الباطني "البنية العميقة". أمَّا فرضية فيلمور -قَبْلَ أَنْ يُجْرِيَ عليها الخولي تعديلًا- فتتكوَّن من خمسة قوانين تركيبية، هي:

(١) تشارلز فيلمور: لُغَوِيٌّ وأستاذ جامعي أمريكي، عَمِلَ في جامعة كاليفورنيا، وُلِدَ عام ١٩٢٩م، وَتُوُفِّيَ في ٢٠١٤م. انظر: ويكيبيديا - الموسوعة الحرة، على الشبكة العنكبوتية "الإنترنت" (٢٠٢٠/٨/١٨م)، رابط الموقع: <https://ar.wikipedia.org/wiki/>، الاسم: (تشارلز جاي فيلمور Charles J. Fillmor)، وقد اطلعتُ عليه يوم الأحد ١٣/٩/٢٠٢٠م، الساعة ٦:٣٠ مساءً.

(٢) انظر: قواعد تحويلية لِلُغَةِ العربية، د. محمد علي الخولي: ٦١-٦٢، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ٧٧-٧٨.

(٣) انظر: قواعد تحويلية لِلُغَةِ العربية، د. محمد علي الخولي: ٦٨-٦٩.

قانون (١)^(١):

الجملة ← (مشروطة) + مساعد + جوهر.

إشارات وتوضيحات حول القانون الأول (١):

أ. السهم ← : يعني أن الجملة تساوي أو تعوض بما يتبع على الجانب الأيسر من السهم.

ب. المشروطة: هي الكلمات والتعابير التي تكون -غالبًا- في بداية الجملة؛ لترتبط بين هذه الجملة والجملة السابقة ولتوضح نوع العلاقة المنطقية بين الجملتين، كقولنا في بداية الجملة: (ولهذا)، و(علاوةً على ذلك)... إلخ.

ت. القوسان الهلاليان حول المشروطة: يشيران إلى أَنَّ صَمَّ المشروطة إلى الجملة أمرٌ اختياري.

ث. مساعد: هذا المصطلح غير موجود في القواعد العربية التقليدية، لكنه موجود في قواعد اللغة الإنجليزية، ويشار إليه بـ (auxiliary)، وَيُعَدُّ الكلمة التي تساعد أفعالاً أخرى في الصياغة والمعنى.

ج. جوهر: يستعمل للدلالة على صُلْب الجملة؛ أي: على الجملة دون المشروطة ودون أفعال مساعدة، وبعبارة أخرى؛ فإن جوهر الجملة هو ذلك الجزء الأساسي منها الذي يحمل معناها الرئيس.

قانون (٢)^(٢):

المشروطة ← { الروابط الخارجية
ظروف الزمان
أدوات الاستفهام
أدوات النفي }

إشارات وتوضيحات حول القانون الثاني (٢):

أ. القوسان الحاصران [] : يدلان على إمكانية اختيار واحد أو أكثر من العناصر المذكورة داخل القوسين.

ب. الروابط الخارجية Sentence Adverbials: هي تلك الكلمات أو التعابير التي تأتي في أول الجملة غالبًا؛ لترتبط بين هذه الجملة والجملة السابقة ولتوضح نوع العلاقة

(١) انظر: قواعد تحويلية للغة العربية، د. محمد علي الخولي: ٦٢-٦٣.

(٢) انظر: السابق: ٦٣.

المنطقية بين الجملتين. كقولنا في بداية الجملة: (ولهذا)، و(بناءً على ذلك)، و(على كل حال)، و(بالرغم من ذلك)... إلخ.

قانون (٣)^(١):

الجوهر ← فِعْل + (محور) + (مفعول به غير مباشر) + (مكان) + (أداة) + (فاعل)
إشارات وتوضيحات حول القانون الثالث (٣):

- أ. المحور: هو مصطلح يدل على الكلمة التي هي محور التركيز في الجملة.
- ب. مفعول به غير مباشر: يشير إلى ما يماثل المفعول به الأول في اللغة العربية. فعند القول: (أَعْطَيْتُ زَيْدًا كِتَابًا) يكون (زَيْدًا) هو مفعول به أول ترتيبًا، ويكون في الوقت نفسه المفعول به غير المباشر؛ لأن الفعل وقع أول ما وقع من ناحية فعلية على (الكتاب)، الذي هو المفعول به الثاني ترتيبًا، ولكنه المفعول به المباشر فعليًا.
- ت. مكان: يقصد به مكان وقوع الفعل، وهو بذلك يطابق ظرف المكان في اللغة العربية، سواء أكان الظرف كلمة أم شبه جملة.
- ث. أداة: وهي الأداة التي يتم بها حدوث الفعل، مثل: (حَرَثَ بِالْفَأْسِ)، فالْفَأْسُ هو الأداة لتنفيذ الفعل.
- ج. فاعل: يشير إلى الفاعل الحقيقي لا إلى الفاعل النحوي "الظاهري"، فلو قلنا: (فَتَحَ الْمُفْتَاحُ الْبَابَ) فلا يكون (المفتاح) فاعلاً هنا بمعنى الفاعل المقصود حسب دلالة الاصطلاح، بل هو الأداة. أما الفاعل الحقيقي فهو الشخص الذي استعمل المفتاح، وهذا الفاعل ليس مذكورًا في الجملة.

قانون (٤)^(٢):

{

محور
مفعول غير مباشر
مكان
أداة
فاعل
}
← العبارة الاسمية (مركب اسمي)

إشارات وتوضيحات حول القانون الرابع (٤):

- أ. القوسان الحاصران []: يدلان على أنَّ أيَّ عنصر داخلهما يجري تعويضه بالعبارة الاسمية.

^(١) انظر: قواعد تحويلية للغة العربية، د. محمد علي الخولي: ٦٣-٦٤.

^(٢) انظر: السابق: ٦٥.

ب. السهم: يدل على التعويض، وهذه هي دلالة السهم في جميع قوانين التركيب الأساسي.
ت. العبارة الاسمية "المركب الاسمي": وهي العبارة المكوّنة من الاسم وتوابعه. وسيتم توضيحها في القانون الخامس التالي.

قانون (٥)^(١):

العبارة الاسمية "المركب الاسمي" ← حرف جرّ + (مُعَرِّف) + (جملة) + اسم.

إشارات وتوضيحات حول القانون الخامس (٥):

- أ. حرف الجر: يشار إليه بكلمة جرّ أو جارّ.
- ب. مُعَرِّف: من أمثلة: (ال) التعريف، وضمانر الإضافة في كلمات، مثل: كتابي، كتابك، كتابه، وهذه الضمانر المتصلة تسد مسد (ال) التعريف.
- ت. إضافة عنصر (جملة) في الطرف الأيسر من هذا القانون يجعل القانون الخامس قانونًا تكراريًا؛ لأن (جملة) ظهرت أيضًا في الجانب الأيمن من القانون الأساسي الأول. وهذا التكرار ضروري لتكوين الجملة المركبة؛ أي: الجملة التي تحتوي على جملة.
- ث. الأقواس في الطرف الأيسر من القانون الخامس: تشير إلى الاختيار بشأن (المُعَرِّف) و(الجملة)، إذ يجوز أن يحتوي المركب الاسمي على مُعَرِّفٍ أو جُمْلَةٍ، ويجوز ألا تحتوي على أيٍّ منهما.
- ج. لا بُدَّ أن يحتوي المركب الاسمي في التركيب الأساسي الباطني "البنية العميقة" على عنصرين، هُما: جارّ واسم؛ أي: جارّ ومجرور.

٢-فَرْضِيَّةُ فَيْلْمُورِ الْمُعَدَّلَةِ، للدكتور محمد علي الخولي:

عدَّ الخولي أن فرضية فِلمُور قد وُضِعَتْ -أساسًا- لِلُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ؛ لذا لا بُدَّ مِنْ إِدْخَالِ بعض التعديلات عليها؛ لِجَعْلِهَا -وَفَقَّ مَا رَأَى- أَكْثَرَ ملاءمةً لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وقال: "من الممكن عدم تعديلها، ولكن ذلك يستلزم إدخال مزيد من القوانين التحويلية في المستقبل. وبهذا التعديل نضمن تقليل عدد القوانين في القواعد ككُلٍّ، كما نضمن تبسيط القواعد بمجملها"^(٢).
أما التعديلات التي أجراها الخولي فتشملُ الْجَانِبَيْنِ الْآتِيَيْنِ^(٣):

١. تحويل عنصر (فَعْل) في القانون الأساسي الثالث إلى (عبارة فعلية = مركّب فعلي).
وسبب هذا التعديل هو أن (فَعْل) في فرضية فلمور تشمل ما يقابل الفِعْل "verb" في

(١) انظر: قواعد تحويلية لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، د. محمد علي الخولي: ٦٥-٦٦.

(٢) قواعد تحويلية لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، د. محمد علي الخولي: ٦٦.

(٣) انظر: السابق: ٦٦-٦٧.

اللغة العربية، ولكن (عبارة فعلية؛ أي: مركب فعلي) يقصد بها أنها تشمل الفعل والصفة "adjective"؛ لأنَّ هناك تشابهاً في دَوْرِ الفِعْلِ والصفة -كَمَا يَرَى الخولي- يُبَزَّر دمجهما في عنصر واحد في أحد قوانين التركيب الأساسي.

٢. أما التعديل الثاني فهو تغييرُ وَضْعِ عنصر (جُمْلَة) في القانون الخامس من موقعه قبل الاسم إلى موقع بعد الاسم. وسببُ هذا التعديل -حسب ما رأى الخولي- يتعلَّق بالتبسيط، حيثُ إنَّ الجملة إذا وَصَفَتِ الاسم في العربية فإنها تتبعه. فالتعديل -الذي أجراه الخولي- مُتَعَلِّقٌ بالقانونين: (٣) و(٥)، وبموجب هَذَيْنِ التعديلين يُصبح الأمر كالآتي^(١):

أ. قانون (٣): الجوهر ← عبارة فعلية + (محور) + (مفعول غير مباشر) + (مكان) + (فاعل)

ب. قانون (٥): العبارة الاسمية ← جارٍ ومجرور + (مُعَرِّف) + اسم + (جُمْلَة)

٣-فرضية ميشال زكريا:

يرى ميشال أنَّ قوانين البناء "التكوين" التي تليق لتحليل الجملة العربية هي^(٢):

قانون (١) جُمْلَة ← رُكْن^(٣) الإسناد + ركن التكملة.

قانون (٢) رُكْن الإسناد ← ركن فعلي + ركن اسمي + ركن اسمي + ركن حرفي.

قانون (٣) ركن التكملة ← [ركن حرفي]
[ركن اسمي]

قانون (٤) ركن فعلي ← زمن + فِعْل

قانون (٥) ركن اسمي ← تعريف + اسم

قانون (٦) ركن حرفي ← حرف جر + ركن اسمي

ويُمكن استبدال الفئات الكلامية على النحو الآتي:

فِعْل ← (Δ)

اسم ← (Δ)

تعريف ← (Δ)

حرف جر ← (Δ)

(١) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان أبو عاصي: ٨٠.

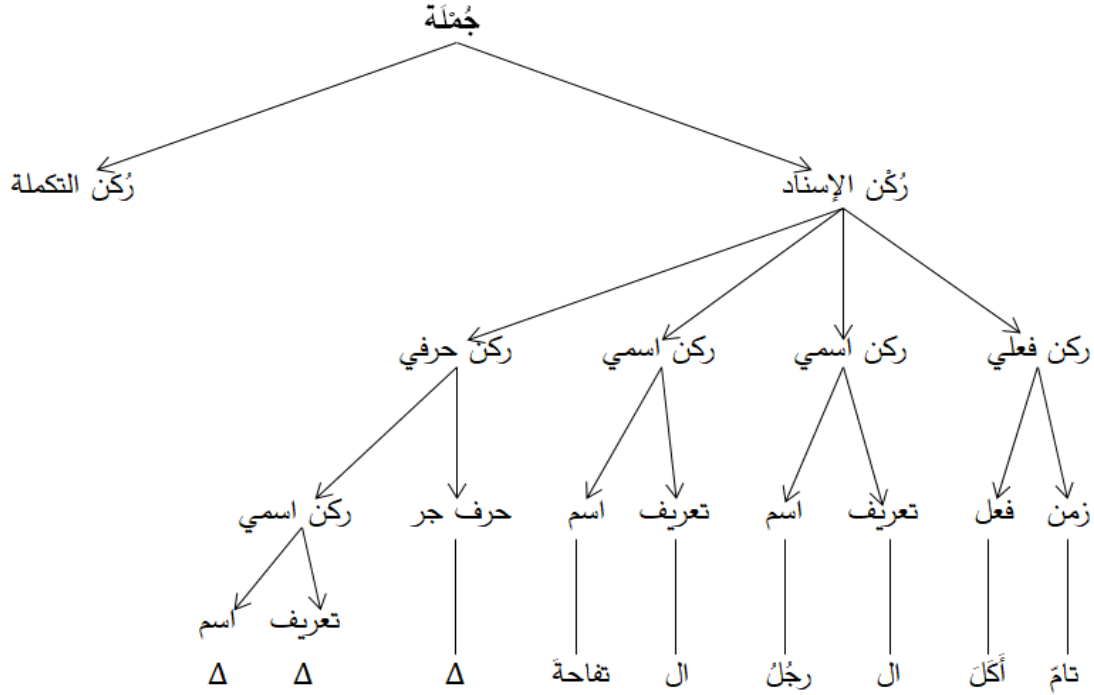
(٢) انظر: الأسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الأسنية)، د. ميشال زكريا: ١٤٦-١٤٨.

(٣) مصطلح (رُكْن) -عند د. ميشال- يُقَابَلُهُ مصطلح (مُرْكَب) عند آخرين، ف(رُكْن فعلي)؛ أي: مُرْكَب فعلي، وهكذا.

حيث (Δ) عنصر مُستعار يُمكن إعادة كتابته على النحو التالي:

(Δ) ← س ع

و(س ع) هي السمات المتنوعة التي بإمكان (Δ) أن تُستبدل بها. ولا تتجاوز وظيفة العنصر المُستعار القيامَ بتعيين الموقع الكلامي الذي يتم إدخال المفردة المُعجمية فيه. وضرب ميشال زكريا مثالا جُملةً: (أَكَلَ الرَّجُلُ التَّفَاحَةَ)، مُستخدِماً المُشَجَّرَ الآتي^(١):



يتضح أن الجملة -عند ميشال- تتكوّن من مركب إسناد ومركب تكملة. والمقصود بالإسناد هنا: الفعل، والفاعل، والمفعول، ثمّ ما يتبع الفعل من جار ومجرور أو ظرف. أمّا المركب الفعلي فيتكوّن من: زمن الفعل وحدثه. والفعل والفاعل يشكلان مركباً اسمياً مستقلاً.

أمّا مركب التكملة فهو الكلام الذي يَنْبُعُ مُرَكَّبُ الإسناد.

وأشار ميشال إلى أنّ قواعد البناء تحتوي على (قواعد عائدة)؛ أي: على قواعد تحتوي على عنصر عائِد. يُسمّى عنصراً عائداً العنصر الذي يظهر على يمين السهم وعلى يساره في الوقت نفسه، وهذه صورته:

^(١) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٤٨. وانظر: القواعد التحويلية في

ديوان الحطيئة، حمدان أبو عاصي: ٨١.

(ج ← ... ج ...); بمعنى أنه يمكننا توليد جملة ثانية تكون أطول من الجملة الأولى، وذلك بإضافة جُمْلٍ إضافية في مواقع مناسبة من الجملة الأولى، وهذا يدل على أنه بالإمكان إنتاج عددٍ غير مُتناهٍ من الجُمْلِ^(١).

٤-فرضية عبد القادر الفاسي الفهري:

يرى الفهري أن أصل الرتبة في اللغة العربية هو: (فعل + فاعل + مفعول)، فالترتيب في العربية يكون من نمط: ف + فا (مَفْ^١ + مَفْ^٢)؛ أي: إن البناء التكويني -عنده- للجملة العربية: فعل + فاعل (مفعول به أول + مفعول به ثانٍ)^(٢)، واستدلَّ على ذلك بأدلة. وما ذَكَرَهُ يتعلق بالجملة الفعلية.

أمَّا الجملة الاسمية فَيَقْتَرِضُ الفهري القانونَ البنائي الآتي^(٣):

$$\text{ج} \leftarrow \text{م. س} \left[\begin{array}{c} \text{م. س} \\ \text{م. ح} \end{array} \right] \dots$$

توضيحات حول القانون السابق:

ج: جملة.

م. س: مركب اسمي.

م. ح: مركب حرفي.

...: مركبات التكملة في الجملة غير المركبات السابقة.

ثُمَّ جَمَعَ الفهريُّ هاتين القاعدتين (الجملة الاسمية والجملة الفعلية) في قاعدة واحدة، هي:

$$\text{ج} \leftarrow \left[\begin{array}{c} \text{ف} \dots \\ \text{م. س} \dots \end{array} \right]$$

عَلَمًا بِأَنَّ (م. س) -عِنْدَ الفهري- هو الفاعل.

٥-فرضية محمد فتيح:

تَبَنَّى فتيح وجهةَ نَظَرٍ تشومسكي في تحديد مكونات الجملة، ورَأَى أَنَّ تحليل مكونات الجملة العربية هو^(١):

(١) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٤٨.

(٢) انظر: اللسانيات واللغة العربية - نماذج تركيبية ودلالية، د. عبد القادر الفاسي الفهري: ١٠٥/١-١٠٨.

(٣) انظر: السابق: ١٣٣/١-١٣٦.

ج ————— ← مسند + مركب اسمي.

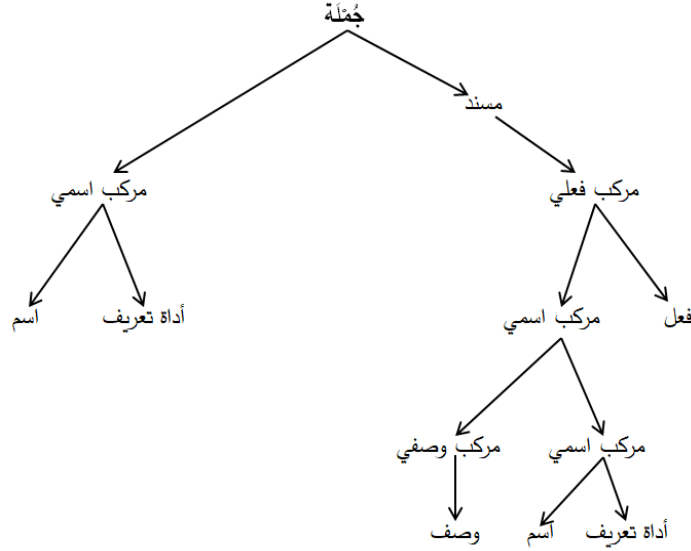
مركب اسمي ← أداة تعريف + اسم.

مسند ————— ← مركب فعلي.

مركب فعلي ← فعل + مركب اسمي.

مركب اسمي ← مركب اسمي + مركب وصفي.

وتُولَدُ هذه القواعدُ الصورةَ البنيويةَ التي يمثلها الرسم الشجري الآتي:



يَتَّبِعُ -مِمَّا سَبَقَ- ما يأتي:

أ. نَبَنَى فُتَيْحَ -كَمَا صَرَّحَ- فرضية تشومسكي التي رفضها ميشال والفهري.

ب. اقترح قواعدَ تركيبيةَ لتوليد الجملة الفعلية البسيطة المتعدي فِعْلُهَا لمفعول واحد، التي لا تختلف عن القواعد السابقة إلا بإضافة مركب (الجار والمجرور) إلى المركب الفعلي، فتكون -عِنْدَهُ- القاعدة:

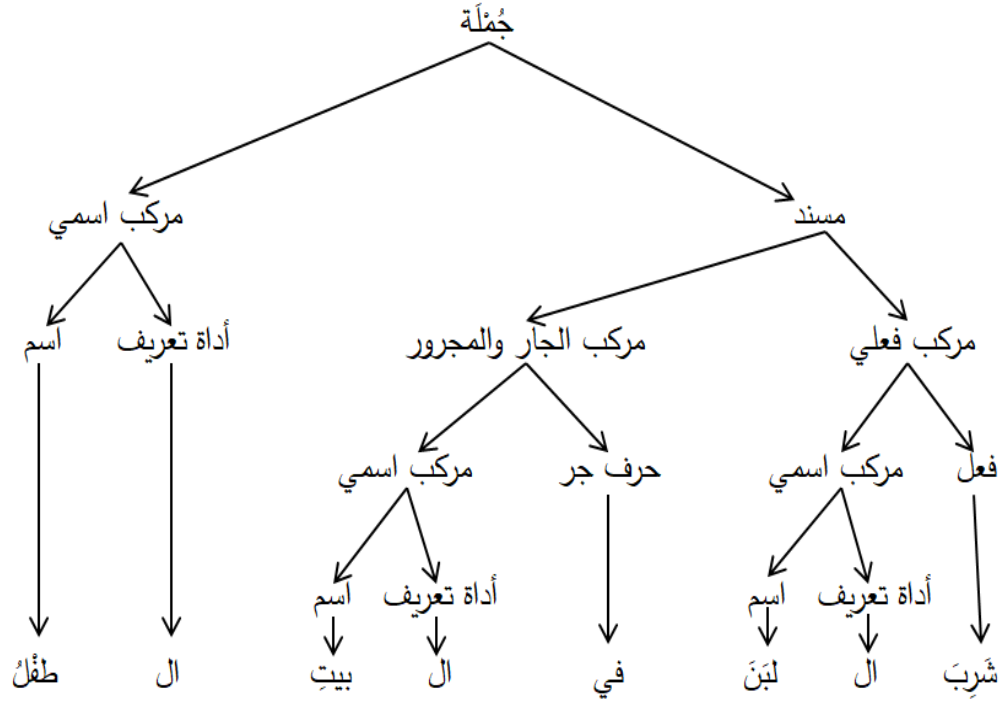
مسند ————— ← مركب فعلي + مركب الجار والمجرور.

ت. يرى أَنَّ هذه القوانين تُولَدُ عَدَدًا لا نهائيًا مِنَ الْجُمَلِ، مثل جملة: (شَرِبَ الطِّفْلُ اللَّبَنَ فِي الْبَيْتِ)، وَمَثَلُهَا بالرسم الشجري الآتي^(١):

(١) انظر: مقدمة مترجم كتاب: المعرفة اللغوية - طبيعتها وأصولها واستخدامها، نوم تشومسكي، ترجمة وتعليق:

د. محمد فتّيح: ١٢-١٣.

(٢) انظر: مقدمة مترجم كتاب: المعرفة اللغوية، نوم تشومسكي، ترجمة وتعليق: د. محمد فتّيح: ٢٧.



ث. عدّ فتيح هذه القوانين الأنسب لتحليل التكوين الطبقي للجملة العربية البسيطة المتعدي فعلها إلى مفعول واحد، وقد ذكر مميزات كثيرة لهذه القوانين^(١).

الفرضية المُعْتَمَدَة في تحليل مكونات الجملة العربية في هذا البحث:

سيعتمد الباحث - إن شاء الله تعالى - فرضية محمد فتيح في تحليل البناء الطبقي للجملة الواردة في خطب النبي ﷺ؛ لأن فتيح تلاقى الأخطاء التي وقع فيها سابقوه، مع إجراء بعض التعديلات إن لزم الأمر، ما دامّ التعديل في صالح التحليل اللغوي للجملة العربية^(٢)، لاسيّما أنّ اللغة العربية لها خصائصها التي تميزها عن غيرها من اللغات، فالدكتور فتيح جعل المركب الفعلي مكوّنًا من الفعل والمفعول. وسأعتمد في التحليل بأن يكون المركب الفعلي مكوّنًا من الفعل والفاعل؛ فارتباطهما معًا - في العربية - أقوى من ارتباط الفعل بالمفعول. وكذلك تغيير كلمة (مسند) إلى تركيب الإسناد؛ فهو يشتمل على المسند والمسند إليه.

أمّا تحليل مكونات الجملة العربية التي سأقومُ بتناولها واعتمادها فهي:

١. تتكون الجملة من مركبين رئيسيين، هما:

أ. المركب الفعلي: وهو الفعل والفاعل والمفعول به، أو هو الزمن والحدث.

ب. المركب الاسمي: ويشمل أداة التعريف والاسم، وقد يكون المفعول به أو الفاعل.

^(١) انظر: مقدمة مترجم كتاب: المعرفة اللغوية، نوم تشومسكي، ترجمة وتعليق: د. محمد فتيح: ٢٧-٢٩.

^(٢) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان أبو عاصي: ٨٤.

٢. مركبات أخرى: تُدرج تحت مركب التكملة أو تحت المركبين السابقين، مثل: المركب الوصفي، ومركب الجار والمجرور، والمركب الإضافي... وغير ذلك.

خلاصة القول:

١. تتمتع اللغة العربية ببعض الخصوصيات التي تميز كل لغة عن غيرها^(١).
٢. تصف القواعد التوليدية التحويلية اللغات وتحللها، ومن بينها اللغة العربية، وهذه القواعد لديها القدرة على هذا الوصف والتحليل أكثر من غيرها^(٢).
٣. ثبت نجاح تطبيق القواعد التوليدية التحويلية على جمل اللغة العربية، فلا تشريب لدراسة الجملة العربية وفق النظرية التوليدية التحويلية.
٤. وُضعت النظرية التحويلية في الأصل للغة الإنجليزية، لكن ثبت نجاح تطبيقها على جمل العربية؛ لذا يجب مراعاة طبيعة بناء الجملة العربية وخصائصها عند تطبيق النظرية.
٥. يُعدّ تطبيق النظرية التوليدية التحويلية على الأعمال النثرية -خاصة حديث رسول الله ﷺ- مجالاً رحباً لهذا التطبيق؛ لما يمثله من علاقة بين النظرية والتطبيق، حيث تتناول هذه الدراسة حُطَبَ النَّبِيِّ ﷺ. وأحاديث النبي ﷺ تُعدّ نثرًا مُقدَّرًا مُحْتَرَمًا؛ فهي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي. وهذا يبين مدى صلاحية تطبيق نظرية حداثة على نصوص الأحاديث الشريفة.

^(١) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، (رسالة دكتوراة)، إعداد: حمدان رضوان أبو عاصي: ٨٥.

^(٢) انظر: السابق: ٨٥.

الفصل الرابع

العلاقة بين النظرية التحويلية والنحو العربي

- المبحث الأول: تأثر النحو التوليدي بالنحو العربي
- المبحث الثاني: آراء المؤيدين لتأثر تشومسكي بالنحو العربي ومناقشتها
- المبحث الثالث: آراء المعارضين لتأثر تشومسكي بالنحو العربي ومناقشتها

الفصل الرابع

العلاقة بين النظرية التحويلية والنحو العربي^(١)

الناظر إلى تراث علماء النحو الأوائل يجد جهداً منقطع النظير، من تأليف للكتب الأصول، وشروحات وتوضيحات، ودروس ومناظرات، حتى أرسوا قواعد النحو العربي، وبات صرحاً شامخاً شديد البنيان، فيدرك المتأمل قيمة هذا التراث الزاهر الزاخر لا سيما النحو واللغة. ويمكن القول إن النحو العربي نظرية لغوية إلا أن أفكار هذه النظرية وأسسها كانت متناثرة في كتب النحو العربي، ولو جمعت هذه الأفكار والمبادئ لكوّنت وانتظمت في نظرية لغوية، لا شك أنها لا تقلّ متانةً عن نظريات اللغة الحديثة والمعاصرة كالتحويلية التوليدية. ويلحظ الباحثون تأثراً واضحاً للنظرية التشومسكية بالنحو العربي، وهذا ما سيتناوله الباحث في هذا الفصل.

المبحث الأول: تأثر النحو التوليدي بالنحو العربي

سأركز في هذا المبحث -بِعَوْنِ اللَّهِ- على مظاهر من تأثر النحو التوليدي بالنحو العربي، ولن يُسلّط الباحث الضوء على كل ظاهرة؛ لأن الحديث سيطول إن تناولنا بالدراسة الشاملة كل فكرة وظاهرة، وإنما سأكتفي بأبرز مظاهر هذا التأثير المُثبتة في تراث علماء اللغة الأوائل تلميحاً أو تصريحاً، وذلك في سبّ ظواهر ومبادئ، هي:

أولاً: الاشتقاق

عرّض تشومسكي -كما مرّ سابقاً في الفصل الثالث- طريقة القواعد النحوية المحدودة Finite State Grammar، حيث تذهب إلى أن أبسط هذه النماذج القواعد القادرة على توليد عددٍ لا محدود من الجمل، بواسطة عددٍ محدود من القواعد المكررة التي تعمل وفق عددٍ محدود من المفردات.

وهذا النموذج يقوم على مبدأ توليد الجمل "عن طريق سلسلة من الاختيارات، تبدأ من اليسار إلى اليمين -في اللغة الإنجليزية- أي: عند الانتهاء من اختيار العنصر الأول فإن كل اختيار يأتي عقب ذلك يرتبط بالعناصر التي سبق اختيارها مباشرة، وبناءً على ذلك يجري التركيب النحوي للجملة"^(٢).

(١) استقدت في هذا الفصل من: الجذور العربية للنحو التوليدي عند تشومسكي - دراسة تأصيلية، (رسالة ماجستير)، للباحثة: كريمة خوارم، جامعة قاصدي مرباح ورقلة - الجزائر، ٢٠١٢ - ٢٠١٣ م.

(٢) نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٠٣.

وَمَثَلُ جُون لِيُونَز بِالْجُمْلَةِ مِنَ اللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ، هِيَ: (١) This man has brought (some bread)، الَّتِي يَتِمُّ تَوْلِيدُهَا عَلَى نَحْوِ ذِكْرِ سَابِقًا فِي أَثْنَاءِ شَرْحِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ وَتَحْلِيلِهَا (٢).
وَلَوْ تَنَاوَلْنَا جُمْلَةً: (صَرَبَ الرَّجُلُ الْكُرَةَ) (The man hit the ball) فَسَنَجِدُهَا مُكَوَّنَةً مِنْ (٣):

الجملة: عبارة اسمية + عبارة فعلية.

العبارة الاسمية: أداة + اسم.

العبارة الفعلية: فعل + عبارة اسمية.

فعل: صَرَبَ.

اسم: رَجُلٌ، كُرَةٌ.

أداة: ال.

وَتَمَرُّ هَذِهِ الرَّمُوزُ عَلَى قَوَاعِدِ إِعَادَةِ الْكِتَابَةِ فِي الشَّكْلَيْنِ الْآتِيَيْنِ (٤):

الشكل الأول:

S: NP + VP	١. الجملة: عبارة اسمية + عبارة فعلية
T + N + VP	٢. أداة + اسم + عبارة فعلية
The + N + V + NP	٣. ال + اسم + فعل + عبارة اسمية
The + man + V + NP	٤. ال + رَجُلٌ + فعل + عبارة اسمية
The + man + hit + NP	٥. ال + رَجُلٌ + صَرَبَ + عبارة اسمية
The + man + hit + T + N	٦. ال + رَجُلٌ + صَرَبَ + أداة + اسم
The + man + hit + The + N	٧. ال + رَجُلٌ + صَرَبَ + ال + اسم
The + man + hit + The + ball	٨. ال + رَجُلٌ + صَرَبَ + ال + كُرَةٌ

يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَنْتَجَ - مِنْ خِلَالِ الْمُشَجَّرِ - أَنَّ (the man) بِمِثَابَةِ الْمَبْتَدَأِ، وَ (hit the ball) خَيْرُ الْمَبْتَدَأِ، وَ (the ball) مَفْعُولٌ بِهِ لِلْفِعْلِ: (hit)، فَالْأَصْلُ: (الرَّجُلُ صَرَبَ الْكُرَةَ) The man (hit the ball)، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ الْأَسَاسِيَّةُ عُزْصَةٌ لِلتَّحْوِيلِ.

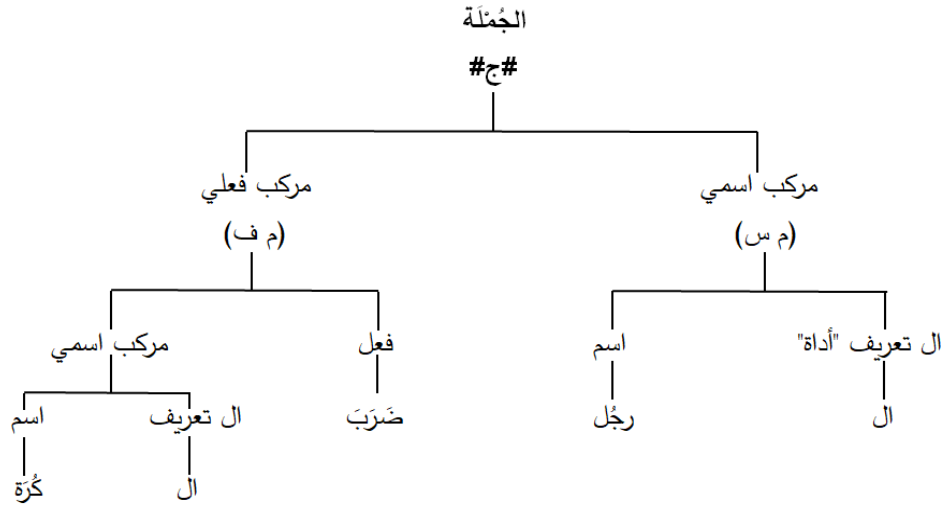
(١) الترجمة: (لَقَدْ جَلَبَ هَذَا الرَّجُلُ بَعْضَ الْخُبْزِ)، أَوْ (هَذَا الرَّجُلُ جَلَبَ بَعْضَ الْخُبْزِ).

(٢) انظر: المبحث الثالث في الفصل الثالث في الباب الأول من هذه الرسالة، ص: ١٤٢-١٤٤.

(٣) انظر: البنى النحوية، لتشومسكي، ترجمة: د. يوثيل عزيز: ٣٧، ونظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٣٦ و ١٤٨-١٥٠، ومبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، كاترين فوك، وبيارلي قوفيك، ترجمة: د. المنصف عاشور: ٨٠، والنحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١٣٤-١٣٥.

(٤) انظر: البنى النحوية، لتشومسكي، ترجمة: د. يوثيل عزيز: ٣٨-٤٠.

الشكل الثاني (التحليل الشجري)^(١):



عَلَّقَ تشومسكي - على الشكلين السابقين - أنَّ الرسم في الشكل الثاني يقدم للقارئ معلومات أقل من الاشتقاق في الشكل الأول؛ لأنه لا يذكر الترتيب الذي استخدمت به القواعد التي في الشكل الأول. فإذا حصلنا على الاشتقاق الذي في الشكل الأول نستطيع إنشاء الشكل الثاني بأسلوب فريد، ولكن العكس ليس صحيحاً، إذ نستطيع أن نكتب اشتقاقاً نلخصه في الشكل الثاني باتباع ترتيب آخر لتطبيق القواعد. فالرسم في الشكل الثاني لا يحتوي إلا على الأجزاء الجوهرية من الشكل الثاني لتحديد بنية العبارة (التحليل إلى المكوّنات) للجُمْلَة المُشْتَقَّة (الرَجُلُ ضَرَبَ الكُرّة)^(٢).

أما الاشتقاق في العربية فَيُعَدُّ مصطلحاً لُغَوِيّاً يحمل في ظلاله معنى (التوليد)، وقد عَرَفَ علماء اللغة الاشتقاق بأنه: "أَخَذُ كَلِمَةٍ مِنْ أُخْرَى بِتَغْيِيرٍ (مَا)، مَعَ التَّنَاسُبِ فِي الْمَعْنَى. وَقِيلَ: هُوَ رَدُّ كَلِمَةٍ إِلَى أُخْرَى؛ لَتَنَاسُبِهِمَا فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى"^(٣). وأكد الكَفَوِيُّ أَنَّ الاشتقاق "مِنْ أَصْلِ خَوَاصِ كَلَامِ الْعَرَبِ؛ فَإِنَّهُمْ أَطْبَقُوا عَلَى أَنَّ التَّفَرُّقَةَ بَيْنَ اللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ وَالْعَجَمِيِّ بِصِحَّةِ الْإِشْتِقَاقِ"^(٤).

بل نجد أَنَّ ابن دُرَيْدٍ (ت ٣٢١هـ) أَوَّلُ مَنْ أَفْرَدَ تصنيفاً في هذا المجال، وَسَمَّاهُ (الاشتقاق).

(١) انظر: البنى النحوية، لتشومسكي، ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيز: ٤٠.

(٢) انظر: السابق: ٤٠.

(٣) الكَلَيَّات - مُعْجَم فِي الْمَصْطَلَحَاتِ وَالْفُرُوقِ اللَّغَوِيَّةِ، لِلْكَفَوِيِّ: ١١٧.

(٤) السابق: ١١٧.

فالاشتقاق في دلالاته الوضعية هو: "توليد لبعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها، ويوحي بمعناها المشترك الأصيل، مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد"^(١). حيث وجد العلماء أَنَّ لِكُلِّ لَفْظٍ نشأةً وميلادًا، وأنَّ في كُلِّ لَفْظٍ اشتقاقًا وتوليدًا^(٢).

الخلاصة:

إنَّ المفهوم الاصطلاحي للاشتقاق في تراثنا العربي لا يتفق كثيرًا مع مفهوم الاشتقاق عند تشومسكي، فتعريفات الاشتقاق في اللغة العربية متعلقة بالجانب الصرفي على مستوى الكلمة، بينما الاشتقاق الذي تحدثت عنه النظرية التشومسكية منحصر في الجانب التركيبي، فلا اتفاق ظاهر بين مصطلح الاشتقاق عند اللغويين العرب وعند تشومسكي. لكن هناك نقطة اتفاق والتقاء بينهما من حيث النهاية والمُخرجات^(٣)، وهو أَنَّ الاشتقاقَ "التوليدَ" - عند تشومسكي - إنتاجُ شيءٍ (جُمْلٍ) جديدٍ مِنْ أصلٍ سابقٍ أَوْ مِنْ أصلٍ مفرداتٍ محددة، سواء كان هذا التوليد في الجُمْلِ أو المفردات، وقد تبين في مفهوم الاشتقاق في العربية أنه "توليدٌ لبعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد يحدد مادتها، ويوحي بمعناها المشترك الأصيل"^(٤).

ثانيًا: الحَدْسُ

يُعَدُّ الحَدْسُ اللُّغَوِيُّ وجهًا مِنْ أوجه التوليد، والحَدْسُ - كما ذكر سابقًا في الفصل الثالث - هو: "مقدرة المُتَكَلِّمِ عَلَى أَنْ يُدَلِّيَ بمعلومات حول مجموعة متعاقبة من الكلمات من حيث هي تُؤلف جملة صحيحة في اللغة أو جملة منحرفة عن قواعد اللغة"^(٥).

وَيَتَعَلَقُ حَدْسُ الباحث في الوصول إلى نِيَّةِ المُتَكَلِّمِ القادر على إنتاج الجُمْلِ مِنْ ناحية، وعلى الحُكْمِ بالصحة أو الخطأ لِمَا يَسْمَعُ^(٦).

وَمِنْ تعريفات الحَدْسِ -أيضًا- أنه "القدرة أو الطاقة التي تُمَكِّن المتكلم أو اللساني من التمييز بين أنواع الجمل؛ لاستخراج ما هُوَ نَحْوِيٌّ وَطَرْدٌ غَيْرُ النَحْوِيِّ. ترتبط -هذه القدرة-

(١) دراسات في فقه اللغة، د. صبحي إبراهيم الصالح: ١٧٤.

(٢) انظر: السابق: ١٦٩.

(٣) انظر: الجذور العربية للنحو التوليدي عند تشومسكي - دراسة تأصيلية، (رسالة ماجستير)، للباحثة: كريمة خوازم: ٤٥.

(٤) دراسات في فقه اللغة، د. صبحي إبراهيم الصالح: ١٧٤.

(٥) الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٩٨.

(٦) انظر: في نَحْوِ اللغة وتراكيبها، د. خليل عمايرة: ٦٠.

ارتباطاً عضوياً بالملكة، وهذه القدرة هي ما يُعرَفُ بالحدس^(١)، ويُعدّ هذا الحدس نوعاً من الملكة اللسانية الإنسانية.

فالحُكْمُ عَلَى استقامة الجملة نحوياً راجعٌ إلى حدس المتكلم، ولكي يكون حدسه إطاراً مرجعياً يُحتَكَمُ إليه، لا بُدَّ أن تكون لغته الجملة هي لغة المتكلم^(٢).

أرادت النظرية التشومسكية أن تبرهن أن الإنسان (المتكلم) عند سماعه لفعلٍ أو اسم أو جملة فإنه يمتلك القدرة (الحدس) على فهم المقصود، فلو قلنا: (يجري) و(ينام) فيدرك الإنسان المتكلم والمخاطب بالحدس الفرق بين الفعلين، حتى الطفل يُدرك الفرق -دون كثير تلميحات أو شروحات- بالقدرة اللغوية، وهي ما يُعرَفُ بالحدس الذي يُعدّ جزءاً من الملكة اللسانية الإنسانية. وإذا عُذْنَا بالذاكرة للوراء فإننا سنجد في تراثنا العربي مَنْ تحدّث عن الملكة أو القدرة اللغوية عند المتكلم التي سمّاها تشومسكي بالحدس. ومن العلماء الذين تناولوا هذه الظاهرة ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) في مقدمته، حيث يقول في الفصل السابع والخمسين تحت عنوان: "في أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ: قد قدّمنا أنه لا بُدَّ من كثرة الحفظ لمن يروم تعلّم اللسان العربي، وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ. فمن كان محفوظه من أشعار العرب الإسلاميين شعراً حبيباً أو العتابي أو ابن المعتز أو... تكون ملكته أجود وأعلى مقاماً ورتبةً في البلاغة ممّن يحفظ شعراً من المتأخرين... لنزول طبقة هؤلاء عن أولئك. يظهر ذلك للبصير الناقد صاحب الذوق. وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسموع تكون جودة الاستعمال من بعده ثمّ إجادة الملكة من بعدهما. فبارتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام ترتقي الملكة الحاصلة؛ لأنّ الطبع إنّما ينسج على منوالها وتنمو قوى الملكة بتغذيتها"^(٣).

ثمّ واصل ابن خلدون كلامه حول الملكات الإنسانية: "فالملكة الشعرية تتشأ بحفظ الشعر، وملكة الكتابة بحفظ الأسجاع والترسيل، والعلمية بمخالطة العلوم والإدراكات والأبحاث والأنظار،... وللنفس في كلّ واحدٍ منها لونٌ تتكيّف به، وعلى حسب ما نشأت الملكة عليه من جودة أو رداءة تكون تلك الملكة في نفسها، فملكة البلاغة العالية الطبقة في جنسها إنّما تحصل بحفظ العالي في طبقته من الكلام..."^(٤).

(١) في نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل عمايرة: ٦٠.

(٢) انظر: نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية - الأسس والمفاهيم، (بحثٌ مُحَكَّمٌ)، د. مختار درقاوي: ٦.

(٣) مقدمة ابن خلدون، لابن خلدون، تحقيق: أ. خليل شحادة: ٧٩٦.

(٤) السابق: ٧٩٦-٧٩٧.

وساق ابن خلدون القصة الآتية ليؤكد صدق مقالته عن جودة الملكة التي يتمتع بها متكلم اللغة : "أخبرني صاحبنا الفاضل أبو القاسم بن رضوان كاتب العلامة بالدولة المرينية قال: ذكرْتُ يوماً صاحبنا أبا العباس بن شُعَيْب كاتب السلطان أبي الحسن، وكان المقدم في البصر باللسان لعده، فأنشدته مطلع قصيدة ابن النحوي، ولم أنسبها له، وهو هذا:

لَمْ أَدْرِ حِينَ وَقَفْتُ بِالْأَطْلَالِ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ جَدِيدِهَا وَالْبَالِي

فَقَالَ لِي عَلَى الْبَدِيهَةِ: هَذَا شِعْرُ فَقِيهِ، فَقُلْتُ لَهُ: وَمِنْ أَيْنَ لَكَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: مِنْ قَوْلِهِ: مَا الْفَرْقُ؟ إِذْ هِيَ مِنْ عِبَارَاتِ الْفُقَهَاءِ وَلَيْسَتْ مِنْ أَسَالِيبِ كَلَامِ الْعَرَبِ، فَقُلْتُ لَهُ: اللَّهُ أَبُوكَ، إِنَّهُ ابْنُ النَّحْوِيِّ"^(١).

يَتَضَحُّ -مِمَّا سَبَقَ- أَنَّ ابْنَ خَلْدُونٍ يَرَى أَنَّ الْحَدْسَ "الْمَلَكَةَ/ الْقُدْرَةَ اللُّغَوِيَّةَ" يَكُونُ بِجُودَةٍ الْمَحْفُوظِ، مِنْ شِعْرِ لِمَنْ رَغِبَ فِي الشَّعْرِ، وَمِنْ أَسْجَاعٍ وَتَرْسِيلٍ لِمَنْ أَرَادَ الْأَدَبَ وَالْكِتَابَةَ، ... وَهَكَذَا، ثُمَّ بِسْمَاعِ الْجَيِّدِ وَالذَّرْبَةِ وَالتَّمَرُّنِ عَلَى اسْتِعْمَالِهِ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَهَا -الْحِفْظُ وَالسَّمَاعُ وَالِاسْتِعْمَالُ- إِجَادَةُ الْحَدْسِ "الْمَلَكَةَ اللُّغَوِيَّةَ"؛ أَيُّ: أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَلَقَّى اللُّغَةَ فَيَمَارِسُهَا مُسْتَعْدِمًا فِي هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ -بِلَا شَكٍّ- عَقْلُهُ، وَيَتِمُّ هَذَا بِأَلِيَّةٍ حَدْسِيَّةٍ "مَلَكِيَّةٍ" تَوَلِيدِيَّةٍ، وَهُوَ مَا نَادَى بِهِ تَشُومُسْكِي^(٢).

وَالْمُتَأَمِّلُ فِي الشَّاهِدِ الَّذِي ضَرَبَهُ ابْنُ خَلْدُونٍ يَتَبَيَّنُ لَهُ كَيْفَ أَدَّى حَدْسُ السَّامِعِ وَمَلَكَتُهُ اللُّغَوِيَّةُ إِلَى تَصْنِيفِ الشَّاعِرِ فُورَ سَمَاعِهِ بَيِّنًا وَاحِدًا لِلْوَهْلَةِ الْأُولَى، فَلَوْ لَمْ يَمْتَلِكْ هَذَا الْحَدْسَ لَمَا اسْتَطَاعَ مَعْرِفَةَ الْفَنَاءِ الَّتِي يَنْتَمِي إِلَيْهَا الشَّاعِرُ.

ثالثًا: الحذف

يُعَدُّ الْحَذْفُ أَحَدَ أَهَمِّ الْقَوَاعِدِ التَّحْوِيلِيَّةِ فِي النِّظَرِيَّةِ التَّشُومُسْكِيَّةِ، وَقَدْ ذُكِرَ ذَلِكَ فِي الْفَصْلِ الثَّالِثِ، الَّذِي جَاءَ فِيهِ أَنَّ قَوَاعِدَ الْحَذْفِ Deletion يُمَثَّلُ لَهَا بِالرَّمُوزِ أَوْ بِالْمَعَادِلَةِ الْآتِيَةِ:

(أ + ب ← ب)؛ بِمَعْنَى أَنَّ الْجُمْلَةَ كَانَتْ تَحْتَوِي عَلَى عِنَصَرَيْنِ، هُمَا: (أ+ب)، ثُمَّ تَحَوَّلَتْ عَنْ طَرِيقِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ وَالْعَمَلِيَّةِ التَّحْوِيلِيَّةِ إِلَى جُمْلَةٍ تَحْتَوِي عَلَى عِنَصَرٍ وَاحِدٍ فَقَطْ، هُوَ (ب) فَقَطْ، أَمَّا (أ) ← (∅)؛ أَيُّ أَنَّ: (أ) حُذِفَتْ، وَذَلِكَ مِثْلُ: (قَرَعَ الطَّالِبُ الْبَابَ) ← (قَرَعَ الْبَابَ).

^(١) مقدمة ابن خلدون، لابن خلدون، تحقيق: أ. خليل شحادة: ٧٩٧.

^(٢) انظر: الجذور العربية للنحو التوليدي عند تشومسكي - دراسة تأصيلية، (رسالة ماجستير)، للباحثة: كريمة خوازم: ٥٥.

فجملته (قَرَعَ البابُ) مُتَحَوِّلَةٌ مِنْ بَنِيَّةٍ عميقة هي: (قَرَعَ Δ البابُ)، فيَقَالُ مثلاً: (قَرَعَ الطَّالِبُ البابَ)، أو (قَرَعَ المُعَلِّمُ البابَ)، أو ...، بواسطة تحويل حذف العنصر (Δ)^(١).
فيذكر التحويليون مثلاً جملة:

(ريتشارد عَنِيدٌ مِثْلُ أَبِيْنَا. (Richard is as stubborn as our father is.)
يقول التحويليون: إِنَّ (كَأَبِينَا our father is) مأخوذة مِنْ بَنِيَّةٍ عميقة هي: (كَأَبِينَا عَنِيدُ (our father is stubborn)، وذلك بقاعدة تحويلية تحذف الصفة المكررة التي هي: (عَنِيدُ (stubborn)^(٢).

أما ظاهرة الحذف في العربية فهي كثيرة في لسان العرب. وَنَحْدُ الحَذْفَ مَبْنُوثًا فِي كِتَابِ اللَّهِ -تَعَالَى- وَفِي أَقْوَالِ الْعَرَبِ مِنْ شِعْرِ وَنَثَرٍ، حَتَّى فِي لَهْجَتِنَا الْعَامِيَّةِ الْيَوْمِ. وَقَدْ تَنَبَّهَ لِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ النُّحَاةُ وَالْبَلَاغَاءُ.

ويكون الحذف للحرف أو الاسم أو الفعل أو الجملة أو شِبْهَهَا. وَمِنْ أَمْثَلَةِ حَذْفِ الْحَرْفِ مَا جَاءَ فِي سُورَةِ يُوسُفَ: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾^(٣)، والتقدير: لَا تَفْتَأُ، بِحَذْفِ حَرْفِ النَفْيِ (لَا)، وَجَمْلَةٍ (لَا تَفْتَأُ أَنْتَ...) هِيَ الْبَنِيَّةُ الْعَمِيقَةُ.

وَمِنْ أَمْثَلَةِ حَذْفِ الْأَسْمِ وَشِبْهِ الْجَمْلَةِ قَوْلُهُ -تَعَالَى- عَلَى لِسَانِ أَبِي الْأَنْبِيَاءِ: ﴿قَالَ سَلَامٌ قَوْمُ مُكْرُونَ﴾^(٤)، والتقدير: قَالَ عَلَيْكُمْ سَلَامٌ، أَنْتُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ.

وهذا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الحَذْفَ مَعْرُوفٌ لَدَى الْعَرَبِيِّ، فَكَيْفَ يَخَاطَبُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ قَوْمًا بِأَشْيَاءَ لَمْ يَعْرِفُوهَا أَوْ يَعْهَدُوهَا.

وَقَدْ عَقَّدَ سَيَبُويَه (ت ١٨٠هـ) بَابًا تَحْدِثُ فِيهِ عَنِ الحَذْفِ لِكثْرَةِ اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ لَهُ، فَقَالَ: "هَذَا بَابٌ يُحَذَفُ مِنْهُ الْفِعْلُ لِكثْرَتِهِ فِي كَلَامِهِمْ"^(٥).

ثُمَّ بَيَّنَّ سَبَبَ الحَذْفِ عِنْدَ الْعَرَبِ قَائِلًا: "وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: (كُلُّ شَيْءٍ وَلَا شَتِيمَةٌ حَرٌّ)؛ أَيْ: أَنْتَ كُلُّ شَيْءٍ وَلَا تَرْتَكِبُ شَتِيمَةً حَرٌّ؛ فَحَذَفَ لِكثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِمْ إِيَّاهُ"^(٦).

(١) انظر: الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ١٥٦.

(٢) النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١٤٩.

(٣) سورة يوسف: ٨٥.

(٤) سورة الذاريات: ٢٥.

(٥) الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون: ٢٨٠/١.

(٦) السابق: ٢٨١/١.

وَمِنْ أَسْبَابِ الحَذْفِ -أيضاً- قوله: "وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَرَبَ يَسْتَحْفُونَ فَيَحذفُونَ التَّنوينَ والنونَ، ولا يَتَغَيَّرُ مِنَ الْمَعْنَى"^(١)، وقوله: "فَحَذَفُوا الْكَلَامَ اسْتِحْفَافًا"^(٢)، وقوله: "وما حُذِفَ فِي الْكَلَامِ لَكثَرَةِ اسْتِعْمَالِهِمْ كَثِيرٌ"^(٣)، وقوله كذلك: "كَمَا يَحذفُونَ ما يَكْثُرُ اسْتِعْمَالُهُمْ إِيَّاهُ"^(٤).

ولابن جني (ت ٣٩٢هـ) كلامٌ لطيفٌ تحتَ عنوانٍ سَمَّاهُ: "بابٌ في شِجَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ: اعْلَمْ أَنَّ مَعْظَمَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الحَذْفُ وَالزِّيَادَةُ وَالتَّقْدِيمُ وَالتَّأخِيرُ وَالْحَمْلُ عَلَى الْمَعْنَى وَالتَّحْرِيفُ... .. وَعَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ- ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾"^(٥)؛ أَي: فَضَرَبَ فَانْفَجَرَتْ"^(٦).

ويجدر التنويه إلى أَنَّ تَقْدِيرَ المَحذُوفِ قد يَخْتَلِفُ مِنْ شَخْصٍ لِآخَرٍ، حَيْثُ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ: "قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: فَضَرَبَهُ بِعَصَاهُ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا، فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ ثَلَاثُ أَعْيُنٍ"^(٧). وَقَالَ الصَّابُونِيُّ: "فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ الْحَجَرَ، فَتَفْجَرَتْ مِنْهُ عَيُونٌ بِقَدْرِ قِبَائِلِهِمْ"^(٨). وَهَذِهِ التَّقْدِيرَاتُ الْمُتَعَدِّدَةُ مِنَ الْمَفْسَرِينَ لِلْمَحذُوفِ هِيَ أَسَاسُ الْإِبْدَاعِ فِي التَّوْلِيدِ النَحْوِيِّ.

واعتنى البلاغيون -كما النحاة- بظاهرة الحذف لكثرة وُروِدها في لسان العرب، فَقَدْ عَقَّدَ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيُّ (ت ٤٧١هـ) فِي دَلَائِلِ الْإِعْجَازِ بَابًا عَنِ الحَذْفِ وَنُكْتِهِ فَقَالَ: "الْقَوْلُ فِي الحَذْفِ: هُوَ بَابٌ دَقِيقُ الْمَسْأَلَةِ، لَطِيفُ الْمَأْخِذِ، عَجِيبُ الْأَمْرِ، شَبِيهُ بِالسِّحْرِ؛ فَإِنَّكَ تَرَى بِهِ تَرَكَّ الذِّكْرِ أَفْصَحَ مِنَ الذِّكْرِ، وَالصَّمْتُ عَنِ الْإِفَادَةِ أَزِيدَ لِلْإِفَادَةِ؛ وَتَجْدُكَ أَنْطَقَ مَا تَكُونُ إِذَا لَمْ تَنْطِقْ، وَأَنْتُمْ مَا تَكُونُ بَيَانًا إِذَا لَمْ تَبَيَّنْ"^(٩). فَمَنْ يَتَقَن -عِنْدَ الْجُرْجَانِيِّ- اسْتِعْمَالَ الحَذْفِ فِي مَوَاضِعِهِ هُوَ الْفَصِيحُ الْبَلِغُ.

يَتَبَيَّنُ لِكُلِّ ذِي لُبٍّ أَنَّ ظَاهِرَةَ الحَذْفِ الَّتِي يُقَدِّمُهَا تَشَوْمَسْكِي قَدْ سَبَقَهُ فِيهَا النَحْوُ الْعَرَبِيُّ، بَلْ إِنَّ الحَذْفَ ظَاهِرَةً تَشْتَرِكُ بِهَا اللُّغَاتُ الْبَشَرِيَّةُ، وَفِي هَذَا قَالَ الرَّاجِحِيُّ عَنِ الحَذْفِ إِنَّهُ: "ظَاهِرَةٌ مُشْتَرَكَةٌ فِي اللُّغَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ، حِينَ يَمِيلُ الْمَتَكَلِّمُ إِلَى حَذْفِ الْعُنَاوِرِ الْمَكْرَرَةِ، أَوِ الَّتِي يُمْكِنُ

(١) الْكِتَابُ، لِسَيَبَوِيهِ: ١٦٥/١.

(٢) السَّابِقُ: ١١٢/٢.

(٣) السَّابِقُ: ١٣٠/٢.

(٤) السَّابِقُ: ٣٦٩/٢.

(٥) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ٦٠.

(٦) الْخَصَائِصُ، لِابْنِ جَنِي: ٢٦٢/٢-٢٦٣.

(٧) تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، لِابْنِ كَثِيرٍ، تَحْقِيقُ: مُحَمَّدٌ حَسِينُ شَمْسِ الدِّينِ: ١٧٨/١.

(٨) صَفْوَةُ التَّفَاسِيرِ، مُحَمَّدٌ عَلِيُّ الصَّابُونِيِّ: ٥٣/١.

(٩) دَلَائِلُ الْإِعْجَازِ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي، عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيُّ، تَحْقِيقُ: مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ: ١٤٦.

فَهْمُهَا مِنَ السِّياقِ. والطريقة التي يقدِّمها المنهج التحويلي في تفسير ظاهرة الحذف هي هي التي قدِّمها النحو العربي^(١).

رابعاً: التقديم والتأخير

مَرَّ -مَعَنَا في الفصل الثالث- نوعان من القواعد التحويلية:

الأول: قواعد إعادة الترتيب "الإبدال، التبادل" Permutation:

يقوم هذا القانون التحويلي بإبدال موقع تركيب كلامي، مثل: (أ+ب ← ب+أ)، كقولنا: (سَافَرَ زَيْدٌ إِلَى الْقُدْسِ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ) حيث تتحوَّل -عن طريق هذه القاعدة- إلى: (في السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ سَافَرَ زَيْدٌ إِلَى الْقُدْسِ)؛ فالجملتان الثانية مُتَحَوِّلَتَانِ مِنَ الْجُمْلَةِ الْأُولَى بِوَاسِطَةِ إِجْرَاءِ تَحْوِيلٍ نَقَلَ مَرْكَبَ التَّكْمِلَةِ (فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ). إذ يقوم هذا التحويل بنقل مركب التكملة بصورة اختيارية إلى موقع آخر في الجملة^(٢). بمعنى أنه لم يحدث شيء ولم يُضَفْ شيء، بل انعكس الترتيب في الجملة فقط^(٣).

الثاني: قواعد التقديم Fronting:

مثل: (أ+ب+ج ← ب+أ+ج)، حيث جرى -هنا- تعديل وضع الرمز (ب)، وهو الرمز الثاني في الطرف الأيمن، إذ جرى تقديمه فصار الرمز الأول في الطرف الأيسر^(٤)، مثل: (ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا) فتصبح بواسطة هذا القانون: (زَيْدٌ ضَرَبَ عَمْرًا). أما ظاهرة التقديم والتأخير في العربية فهي كثيرة في كلام العرب، وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية وشعر العرب ونثرهم.

والتقديم والتأخير هو نَقْلٌ لِلْفِطْرِ مِنْ رُتْبَتِهِ الْمَعْهُودَةِ فِي الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فالمبتدأ قبل الخبر رتبة، فإذا تقدَّم الخبر على المبتدأ وَقَعَ التقديم والتأخير في الجملة؛ تقديم للخبر، وتأخير للمبتدأ. وَعَرَفَ ابْنُ جَنِّي التقديم والتأخير في الخصائص قائلاً: "انتقالك في المادة الواحدة من تركيب إلى تركيب؛ أغني به: حال التقديم والتأخير"^(٥).

وَقَدْ تَنَبَّه سببويه لظاهرة التقديم والتأخير فقال في باب: "الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول: وذلك قولك: (ضَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ زَيْدًا) فَعَبَّدَ اللَّهُ ارْتَفَعَ هَا هُنَا كَمَا ارْتَفَعَ فِي (ذَهَبَ زَيْدٌ)، وَشَغَلَتْ (ضَرَبَ) بِهِ كَمَا شَغَلَتْ بِهِ ذَهَبَ، وَانْتَصَبَ (زَيْدٌ)؛ لَأَنَّهُ مَفْعُولٌ تَعَدَّى إِلَيْهِ فَعَلُ الْفَاعِلِ.

(١) النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١٤٩.

(٢) انظر: الأسنوية التوليدية والتحويلية (النظرية الأسنوية)، د. ميشال زكريا: ١٥٤-١٥٥.

(٣) انظر: قواعد تحويلية للغة العربية، د. محمد علي الخولي: ٣٩.

(٤) انظر: السابق: ٣٩.

(٥) الخصائص، لابن جني: ٦٨/١.

فإن قَدِّمْتَ المفعول وأَخَرْتَ الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك: (ضَرَبَ زيدًا عَبْدُ اللَّهِ)؛ لأنك إنما أَرَدْتَ به مُؤَخَّرًا ما أَرَدْتَ به مُقَدِّمًا، ولم تُرِدْ أَنْ تشغل الفعل بأول منه وإن كان مُؤَخَّرًا في اللفظ...^(١).

ثُمَّ وَصَّحَ سيبويه أَنَّ التقديم والتأخير كثير في كلام العرب، وَبَيَّنَ سَبَبَ استعمال هذه الظاهرة، حيث قال: "وهو عربيٌّ جَيِّدٌ كثير، كأنهم إنما يُقَدِّمُونَ الذي بَيَّانُهُ أَهَمُّ لهم، وَهُمْ بَيَّانِيهِ أَغْنَى، وإن كانوا جميعًا يُهَمِّانِهِمْ وَيُعْنِيَانِهِمْ"^(٢).

وَتَنَبَّهَ - كذلك - أهلُ البلاغة لأهمية التقديم والتأخير وأثره في المعنى وذهن المتكلم ونَفْسِهِ: "فإذا وَجَبَ لِمَعْنَى أَنْ يكونَ أَوَّلًا في النَّفْسِ وَجَبَ لِلْفِظِ الدَّالِّ عليه أَنْ يكونَ مِثْلَهُ أَوَّلًا في النُّطْقِ"^(٣)؛ لذلك "لا يُتَصَوَّرُ أَنْ تَعْرِفَ لِلْفِظِ مَوْضِعًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْرِفَ مَعْنَاهُ، ولا أَنْ تَتَوَخَّى في الألفاظ - مِنْ حَيْثُ هي أَلْفَاظٌ - ترتيبًا وَنَظْمًا، وَأَنَّكَ تَتَوَخَّى التَّرتِيبَ في المعاني وتُعْمَلُ الْفِكْرُ هناك، فإذا تَمَّ لك ذلك أَتْبَعْتَهَا الألفاظَ وَقَفَوْتَ بها آثارها، وَأَنَّكَ إذا فَرَعْتَ مِنْ تَرْتِيبِ المعاني في نَفْسِكَ لَمْ تَحْتَجْ إلى أَنْ تستأنفَ فِكْرًا في ترتيب الألفاظ، بَلْ تَجِدُهَا تَتَرْتَّبُ لَكَ بِحُكْمِ أَنَّهَا حَدَمٌ للمعاني، وتابعةٌ لها، ولا حِقَّةٌ بها"^(٤).

فَجُمْلَةُ (ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا) إنَّ أَرَادَ المتكلمُ التَّركِيزَ والعناية بالضارب والاهتمام به فَسَيَقُولُ: (زَيْدٌ ضَرَبَ عَمْرًا)، وَإِنْ أَرَادَ التَّركِيزَ والعناية بالمضروب فَسَنَجِدُهُ يقولُ: (عَمْرًا ضَرَبَ زَيْدٌ).

وَمِنْ الأمثلة المشهورة في التقديم والتأخير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾^(٥)، حيث تقدَّم المفعول (إِيَّا) على الفعل والفاعل (نَعْبُدُ)؛ لتخصيص المعبود بالعبادة دُونَ سِوَاهُكَ، والبنية العميقة - في غَيْرِ كلامِ اللَّهِ تعالى - هي: (نَحْنُ نَعْبُدُ اللَّهَ).

قال الجرجاني في باب التقديم والتأخير، مُبَيِّنًا جمالَ هذه الظاهرة: "القول في التقديم والتأخير: هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المَحاسن، واسعُ التَّصَرُّف، بعيدُ الغاية، لا يَزَالُ يَفْتَرُّ لك عن بدِيعَةٍ، ويُفْضِي بك إلى لطيفة، ولا تَزَالُ تَرى شِعْرًا يروِّفُكَ مَسْمَعُهُ، وَيَلْطِفُ لَدَيْكَ مَوْقِعُهُ، ثم

(١) الكتاب، لسيبويه: ٣٤/١.

(٢) السابق: ٣٤/١.

(٣) دلائل الإعجاز في عِلْمِ المعاني، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود مُحَمَّد شاکر: ٥٢.

(٤) السابق: ٥٣-٥٤.

(٥) سورة الفاتحة: ٥.

تتظَرُّ فتجدُ سببَ أن راقَكَ ولطفَ عندكَ، أن قُدِّمَ فيه شيءٌ، وحَوَّلَ اللفظُ عن مكانٍ إلى مكانٍ"^(١).

ثُمَّ بَيَّنَّ الجُرْجَانِيُّ نَوْعَيِ التَّقديمِ فقال: "واعلمُ أنَّ تقديمَ الشيءِ على وجهين: تقديمٌ يُقالُ إنه على نِيَّةِ التَّأخيرِ... ..، وتقديمٌ لا على نِيَّةِ التَّأخيرِ... .."^(٢).

يَتَّضِحُ -مِنْ مَجْمُوعِ ما ذُكِرَ سابقًا- أنَّ تَقْعِيدَ النِّحَاةِ والبِلاغِيَّينَ العَرَبِ الأوائل -لِظَاهِرَةِ التَّقديمِ والتَّأخيرِ في كُتُبِهِم وعِنايَتِهِم بها- سابِقٌ لِمَا ذَكَرَهُ التَّحْوِيلِيُّونَ مِنْ قَوَاعِدِ إِعَادَةِ التَّرْتِيبِ وقَوَاعِدِ التَّقديمِ، "والْحَقُّ أَنَّ العَرَبَ القَدَماءَ قَدْ عَنُوا بِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ عِنايَةً بِاللِّغَةِ، وَأَخَذُوا يَحْكُمُونَ القَوَانِينَ الَّتِي تَنْظُمُهَا؛ فَبَحَثُوا قَضِيَّةَ التَّقديمِ والتَّأخيرِ وتأثيرِها على تَرْكِيبِ الجُمْلَةِ مِنْ حَيْثُ الإِعْمَالُ أَوْ الإِلْغَاءُ، وَمِنْ حَيْثُ التَّغْيِيرُ الدَّلَالِيُّ"^(٣).

فَكِلَاهُمَا -قَوَاعِدِ إِعَادَةِ التَّرْتِيبِ وقَوَاعِدِ التَّقديمِ- الوُجْهُ الآخَرُ لظَاهِرَةِ التَّقديمِ والتَّأخيرِ في اللُّغَةِ.

خامسًا: الزيادة

مِنْ قَوَاعِدِ النِّظَرِيَّةِ التَّولِيدِيَّةِ التَّحْوِيلِيَّةِ قَوَاعِدُ الزِّيَادَةِ "الإِضافة، الجَمْعُ" Addition، مِثْلُ: (أ ← +ب)، فَبَقِيََّتْ (أ) على حَالِهَا في الطَّرْفِ الأَيْمَنِ والطَّرْفِ الأَيْسَرِ، وَلَكِنْ أُضِيفَ إِلَيْهَا (ب)^(٤).

وَأَشَارَ التَّحْوِيلِيُّونَ إِلَى أَنَّ بَعْضَ التَّرْكِيبَاتِ النِّظْمِيَّةِ تَدْخُلُ فِيهَا كَلِمَاتٌ لَا تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى فِي البُنْيَةِ العَمِيقَةِ، وَإِنَّمَا تَقْدِمُ وَظِيفَةُ تَرْكِيبِيَّةٍ زَائِدَةٍ، وَهِيَ لَوْنٌ مِنْ أَلْوَانِ الزَّخَارِفِ لِلْجُمْلَةِ، وَيُمَثِّلُونَ لِذَلِكَ بِكَلِمَاتٍ نَحْوُ: (there)، (it)، وَمِنْ أَمْثَلَةٍ (there):

(هناك الكثير من الناس خارج العمل. (There are many people out of work.

فكلمة (there) لا تقدم دلالة في العمق هنا، وإنما هي فاعل (سطحي) للفعل الموجود

في الجملة؛ أي: أنها نوع من الزيادة، ومن ثم فإن التركيب في الجملة هو:

(كثير من الناس خارج العمل. (Many people are out of work.

فهي -هنا- زيادة في التركيب؛ لأنها تُقَدِّمُ -فقط- فاعلاً في البنية السطحية^(٥)؛ أي: أَنَّ المقصودَ بهذه الزيادة: "زيادة في المنطوق على نظيره في البنية العميقة"^(٦).

(١) دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني: ١٠٦.

(٢) السابق: ١٠٦-١٠٧.

(٣) النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١٥٥.

(٤) انظر: قواعد تحويلية للغة العربية، د. محمد علي الخولي: ٣٨-٣٩.

(٥) انظر: النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١٥٢-١٥٣.

(٦) الاتجاهات النحوية لدى القدماء - دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، د. حليلة أحمد عمارة:

والسؤال هنا: هل تحدّث النحاة الأوائل عن ظاهرة الزيادة "الجمع"؟

تنبّه نحاة العربية الأوائل إلى ظاهرة "الزيادة" في الجملة، و"أشاروا إلى أنّ ما يُزاد في الكلام لا يضيف معنًى، وخروج بعضه من اللام كدخوله فيه، وإنما هو زيادة قد تضيف فائدة تركيبية كالتوكيد أو قوة الرّبط أو الفرق أو غير ذلك، وهكذا كان حديثهم عن الواو المقحمة، وعن حروف الجر الزائدة، وعن ضمير الفصل، وعن زيادة (كانَ) أو (ما)^(١)، وكزيادة (هل) في الجملة: (هَلْ شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ) فالبنية العميقة للجملة هي: (شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ)، ثُمَّ دَخَلَ الحرف (هَلْ)؛ فانقلبت الجملة إلى معنى الاستفهام.

وهذه الزيادة نوعان:

الأول: زيادة تُفْضِي إلى معنًى جديد، كَأَنْ تقول: (تَجَاهَلَ) فزيادة التاء والألف أدت إلى معنى جديد، وهو: التظاهر بالجهل، وكذلك زيادة الهمزة والسين والتاء في (اسْتَعْفَرَ) دلّت على معنى جديد، وهو: الطلب؛ فكلُّ زيادةٍ في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى.

الثاني: زيادة لا تُؤدّي إلى معنًى جديد ولا تُغَيِّرُ فيه، كزيادة (هل) في الاستفهام، و(الباء) في خبر ليس، وحروف النفي نحو: (لا، لم، ما، ...) التي تنفي حكم الجملة. ومن أمثلة هذا النوع: الزيادة بالضمير المنفصل كما في قوله ﷺ: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(٢)، فالضمير (أَنْتَ) زائد، وليس فاعلاً للفعل؛ لأن الفاعل ضمير مستتر وجوباً في فعل الأمر تقديره: (أَنْتَ)، أمّا ضمير الفصل (أَنْتَ) المذكور في الآية فزائد لغرض التوكيد.

وهذا النوع الثاني هو الزيادة التي أَرادها التحويليّون واعتنوا بها. وَقَدْ تَنَبَّهَ لها النحاة الأوائل؛ فَتَحَدَّثَ سيبويه عن هذه الظاهرة، مِنْ ذَلِكَ مَثَلًا قَوْلُهُ فِي الْبَاءِ الزَّائِدَةِ: "هذا باب ما يُجْزَى على الموضع لا على الاسم الذي قَبْلَهُ: وذلك قولك: (لَيْسَ زَيْدٌ بِجَبَانٍ وَلَا بَخِيلًا)، و(ما زيدٌ بأخيك ولا صاحبك). والوجه فيه الجرُّ؛ لِأَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تُشْرِكَ بَيْنَ الْخَبَرَيْنِ، وليس ينقض إِجْرَاؤُهُ عَلَيْكَ الْمَعْنَى. وَأَنْ يَكُونَ آخِرُهُ عَلَى أَوَّلِهِ أَوْلَى، لِيَكُونَ حَالُهُمَا فِي الْبَاءِ سَوَاءً كحَالِهِمَا فِي غَيْرِ الْبَاءِ، مع قُرْبِهِ مِنْهُ... لِأَنَّ الْبَاءَ دَخَلَتْ عَلَى شَيْءٍ لَوْ لَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهِ لَمْ يُخْلَ بِالْمَعْنَى وَلَمْ يُحْتَجْ إِلَيْهَا وَكَانَ نَصَبًا. أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: (حَسْبُكَ هَذَا)، وَ(بِحَسْبِكَ هَذَا)؛ فَلَمْ تُغَيَّرِ الْبَاءُ مَعْنَى"^(٣).

وكأنَّ سيبويه يُشير إلى البنية العميقة، فَهُوَ يُؤَكِّدُ -في كلامه السابق- أَنَّ الحرفَ الزائد -الذي ضَرَبَ بِهِ أَمَثَلَهُ- لم يُغَيِّرِ المعنى.

(١) النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١٥٣.

(٢) سورة البقرة: ٣٥، وسورة الأعراف: ١٩.

(٣) الكتاب، لسيبويه: ٦٦/١-٦٨.

سادسًا: البنية العميقة والبنية السطحية:

نقسم الجملة من حيث البنية -عند تشومسكي- إلى قسمين رئيسيين، هما: (البنية العميقة) التي تعبر عن الفكرة العقلية أو المعنى المراد، و(البنية السطحية) التي تعبر عن شكل الجملة أمام القارئ أو صوتها أمام السامع.

حيث يُقَرَّرُ النحو التحويلي أَنَّ المتكلم في كلامه بُنَيَّان، إحداهما عميقة، والأخرى سطحية، فـ "كان لا بُدَّ من "التحويل" بقواعده المختلفة؛ لكي يقوم بدور نقل البنية العميقة من عالم الفكرة المجردة إلى عالم التحقيق الصوتي، فإن هذه الفكرة نفسها التي أدت إلى ضرورة "التحويل" في المنهج التحويلي الحديث قد وجدتُ بشكلٍ أو بآخر في الفكر النحوي العربي القديم"^(١).

وتناول نحاة العربية الأوائل التوافق بين "البنية العميقة" المُقدَّرة، و"البنية السطحية" الظاهرة، فهناك دائماً "نموذج" أو "معيّار" أو "أصل" تجريدي في الغالب يحاول "الكلام" الحي تنفيذه وإخراجه إلى حيّز الوجود. وقد جمع النحويون القدماء بين النموذج التجريدي والتعبير الواقعي المنطوق، وجعلوا أحدهما -وهو النموذج المجرد- أساساً للآخر، وحاسبوا الكلام المنطوق بمقياس هذا النموذج المجرد"^(٢).

وما يَعْنِيَا في هذه الظاهرة المفهوم لا المصطلح بذاته؛ أي: المفهوم من البنيتين العميقة والسطحية، وليس المصطلح الخاص بهما؛ فلم يذكرهما باللفظ، إنما بالمعنى والمفهوم؛ لذا نجدُ النحاة يقولون: "أصله كذا"، أو "قياسه كذا"، أو "تأويله كذا"، أو "على نيّة كذا" التي تدل على شيء واحد، هو أن هناك "بنية عميقة" ذهنية باطنية، وراء "بنية سطحية" منطوقة أو مكتوبة.

أدرك سيبويه (ت ١٨٠هـ) هذه الظاهرة من غير أن يُفصِّحَ عنها باصطلاحها الحديث، لكنّ مفهومها ماثلاً أمام ناظرَيْهِ، حيث قال: "هذا بابٌ يُحَدَفُ منه الفعل لكثرته في كلامهم حتى صار بمنزلة المثل: وذلك قولك: (هذا ولا زعمائك)؛ أي: (ولا أتوهم زعمائك)... ومن ذلك قول العرب: (كلّيهما وتمراً)، فذا مثلاً قد كثر في كلامهم واستعمل، وتركّز الفعل لما كان قبل ذلك من الكلام، كأنه قال: (أعطني كلّيهما وتمراً). ومن ذلك قولهم: (كلّ شيءٍ ولا شتيمة حرّ)؛ أي: (أنت كلّ شيءٍ ولا ترتكب شتيمة حرّ)... ومن العرب من يقول: (كلّاهما وتمراً)، كأنه قال: (كلّاهما لي ثابتان وزدني تمراً)"^(٣).

(١) من الأنماط التحويلية في النحو العربي، د. محمد حماسة عبد اللطيف: ٢١.

(٢) السابق: ٢١.

(٣) الكتاب، لسبويه: ٢٨٠/١-٢٨١.

إنَّ استنباطَ أكثرِ مِنْ تقديرٍ هو إبداعٌ في لغة العَرَبِ، عاينَهُ سيبويه فلم يُهملهُ، حيث أعطى لقول العرب: (كَلَيْهِمَا وَتَمَرًا) و(كِلَاهُمَا وَتَمَرًا) تقديرين مناسبين لكلِّ قولٍ، فقدَّر في الأولى النصب: (أَعْطِنِي كَلَيْهِمَا وَتَمَرًا)، وفي الثانية الرفع: (كِلَاهُمَا لِي ثَابِتَانِ وَزِدْنِي تَمَرًا)، وهو أَمْرٌ مُسْتَسَاغٌ نادتْ به النظرية التشومسكية؛ فَتَعَدُّ القراءات والتأويلات الصحيحة يفتحُ فضاءات النَّصِّ أمامَ القارئِ المتلقي والسامع.

فيذكر سيبويه المقابلات المفترضة "العمق" للجملِ المنطوقة "السطح"، وَقَدْ تحوّلت من العمق إلى السطح بوسائل التحويل "قواعد التحويل".

ويوضح الجدول الآتي كلامَ سيبويه السابق^(١):

الجملة المنطوقة (السطحية/ المُستعملة)	وسيلة التحويل (قاعدة التحويل)	الجملة المفترضة (العميقة/ الأصل)
هذا ولا زَعَمَاتِكَ.	الحذف	هذا ولا أَنَوَهُم زَعَمَاتِكَ.
كَلَيْهِمَا وَتَمَرًا.	الحذف	أَعْطِنِي كَلَيْهِمَا وَتَمَرًا.
كِلَاهُمَا وَتَمَرًا.	الحذف	كِلَاهُمَا لِي ثَابِتَانِ وَزِدْنِي تَمَرًا.
كُلَّ شَيْءٍ وَلَا شَتِيمَةً حَرًّا.	الحذف	أَنْتَ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا تَرْتَكِبُ شَتِيمَةً حَرًّا.

وَتَحَدَّثَ -أيضًا- الأشموني (ت ٩٠٠هـ) عن التحويل في تعريفه تمييزَ الجملة، إذ يقول: "فتمييزُ الجملة: رَفْعُ إِبْهَامٍ ما تضمنته مِنْ نسبة عامل -فِعْلًا كَانَ، أو ما جرى مجراه مِنْ مصدر، أو وَصْفٍ، أو اسمِ فِعْلٍ- إلى معموله مِنْ فاعل أو مفعول، نحو: (طَابَ زَيْدٌ نَفْسًا)، ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾^(٢)، والتمييز في مثله مُحَوَّلٌ عن الفاعل، والأصل: (طَابَتْ نَفْسُ زَيْدٍ)، وَ(اشْتَعَلَ شَيْبُ الرَّأْسِ)، ونحو: (غَرَسْتُ الْأَرْضَ شَجَرًا)، و﴿فَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾^(٣)، والتمييز فيه مُحَوَّلٌ عن المفعول، والأصل: (غَرَسْتُ شَجَرَ الْأَرْضِ)، و﴿فَجَرْنَا عُيُونُ الْأَرْضِ﴾، وتقول: (عَجَبْتُ مِنْ طَيْبِ زَيْدٍ نَفْسًا)، و(زَيْدٌ طَيِّبٌ نَفْسًا)^(٤). وقال مُوَضِّحًا غَرَضًا مِنْ أغراض التحويل: "الغالب في التمييز المنصوب بفعلٍ متصرف كونه فاعلًا في الأصل، وَقَدْ حُوِّلَ الإسناد عنه إلى غيره؛ لِقَصْدِ المبالغة"^(٥).

(١) انظر: مِنَ الأنماط التحويلية في النحو العربي، د. محمد حماسة عبد اللطيف: ٢٤.

(٢) سورة مريم: ٤.

(٣) سورة القمر: ١٢.

(٤) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، للأشموني: ٤٦/٢-٤٧.

(٥) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، للأشموني: ٥٢/٢.

تتضح -عند علمائنا الأوائل- طريقة التحويل التي اتبعوها في تحويل جملة إلى أخرى، وذلك لأغراض يرمي إليها المتكلم، ويكشف نصّ الأشموني وَمِنْ قَبْلِهِ سيبويه جانباً من التحويل في اللغة العربية، مِنْ البنية العميقة إلى البنية السطحية^(١).

المبحث الثاني: آراء المؤيدين لتأثير تشومسكي بالنحو العربي ومناقشتها

قبل الولوج إلى آراء المؤيدين لفكرة تأثر تشومسكي بالنحو العربي والتعرف إلى أقوالهم، يحسن أن ينظر إلى رأي تشومسكي نفسه صاحب النظرية التوليدية التحويلية، هل استفاد من النحو العربي وتأثر بعلومه ومصنفات علماء العربية الأوائل؟ يتضح ذلك من خلال إجابة تشومسكي عن أسئلة أجراها معه د. مازن الوعر:

أجرى د. مازن الوعر حواراً مع د. تشومسكي في معهد كامبردج ماسيتوسيتش بتاريخ ١٩٨٠/١/٣١، وطرح عليه مجموعة من الأسئلة، ما يعيننا منها سؤالان: الخامس، والثاني عشر؛ لعلاقتها بفكرة تأثر النحو التوليدي بالنحو العربي، أمّا السؤال الخامس فكان: "نعتقد نحن العرب أن الجهود التي بذلها اللغويون العرب في علم اللسان البشري في العصور المتقدمة إنما هي جهود مهمة أسهمت إلى حدّ كبير في بناء علم اللسان الحديث، ما هي آراؤك حول هذه القضية؟"^(٢)؛ فأجاب تشومسكي: "قبل أن أبدأ بدراسة اللسانيات العامة كنتُ أشتغل ببعض البحوث المتعلقة باللسانيات السامية، وما زلتُ أذكرُ دراستي للأجروميّة منذ عدّة سنوات خلت، أظنُّ أكثر من ثلاثين سنة، وقد كنتُ أدرس هذا مع الأستاذ فرانز روزنتال Franz Rosenthal، الذي يدرس الآن في جامعة يال Yale، لقد كنتُ وقتذاك طالباً في المرحلة الجامعية أدرسُ في جامعة بنسلفانيا وكنتُ مهتماً بالتراث: النحو العربيّ والعبريّ الذي نشأ في

(١) انظر: مِنْ الأنماط التحويلية في النحو العربي، د. محمد حماسة عبد اللطيف: ٢٧.

وقد اعتنى -كذلك- بالبنية العميقة والبنية السطحية عبدُ القاهر الجرجاني قَبْلَ تشومسكي، وللاستزادة -حول جهود الجرجاني في هذا المضمار- انظر مثلاً:

أ. المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، أ. د. خليل أحمد عمايرة: ٢٩١-٣٠٦.

ب. الجُملة في ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة "النص القرآني أُمُودَجاً"، د. نورية شيخي: ٢٣١-٢٤٣.

ت. الدُّرس اللُّغوي عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، د. أحمد إسماعيل عبد الكريم: ٦-٧.

(٢) لقاء مع نعوم تشومسكي، د. مازن الوعر، مجلة اللسانيات - مجلة في علم اللسان البشري، العدد السادس:

٧٢، نُقلًا عن: الجذور العربية للنحو التوليدي عند تشومسكي - دراسة تأصيلية، (رسالة ماجستير)،

للباحثة: كريمة خوازم: ٦٨.

بعض ما كنت قد قرأته من تلك الفترة، ولكنني لا أشعر أنني كُفءٌ للحديث عن البحوث اللسانية التي كان العرب قد أسهموا بها لبناء علم اللسان الحديث"^(١).

يعترف تشومسكي في إجابته السابقة أنه استفاد من جهود علماء النحو العربي الأوائل، فقد درس الآجرومية في النحو -حينما كان طالباً في الجامعة- مع الأستاذ فرانز، وأوضح أنه مهتمّ بالنحو العربي والعبري، فهُمَا مِنَ اللغات السامية، كما أنّ تشومسكي من أصل يهودي، وقد استفاد من والده في الاشتراك معه في البحث عن قضايا النحو العبري، وسَيَّبِنَ الباحث - في الفقرات والاقتباسات القادمة- أنّ نحاة اليهود قد ترسّموا خطأ العرب في دراسة اللغة.

لكنّ المفاجأة كانت عندي -في أثناء بحثي- هي أنّ تشومسكي دَرَسَ كتابَ سيبويه وليس الآجرومية كما أثبت د. مازن الوعر. أكّد ذلك د. حمزة المزيني في سؤال أرسله لتشومسكي يسأله حول الادعاء بأنه دَرَسَ الآجرومية؟ فكان جواب تشومسكي غير المتوقّع هو: "درستُ مع روزنتال سيبويه لا الآجروميّة. وكنتُ الطالب الوحيد في ندوته العلميّة الأسبوعية في جامعة بنسلفانيا"^(٢).

وهذه حقيقة واضحة قوية، لا مجال للشك فيها ومعها، فتشومسكي هو الذي يُقرّ بذلك، ومعلوم أنّ كتابَ سيبويه (ت ١٨٠هـ) أوّل كتابٍ نحويّ يصل إلينا، والباحثون الغربيون قبل العرب يعترفون بالقيمة العلمية الكبيرة التي يحتويها هذا الكتاب، وقد انكب عليه الدارسون شرحاً وتعليماً وتوضيحاً. واطلاعُ تشومسكي عليه ليس اطلاعاً عادياً بل هي مُدرسة وتعلّم -كما ذكّر- مع أستاذه روزنتال. ولا نغفل أنّ تشومسكي صرّحَ باهتمامه في النحو العربيّ والعبريّ، وكان أوّل اهتماماته دراسته لكتاب سيبويه.

أما السؤال الثاني عشر الذي طُرِحَ على تشومسكي فهو: "إلى أيّ مدى أسهم التراث العبري القديم في صياغة نظريتك في النحو التوليدي والتحويلي ثمّ في صياغة نظرية الصوتيات

(١) لقاء مع نعوم تشومسكي، د. مازن الوعر، مجلة اللسانيات - مجلة في علم اللسان البشري، العدد السادس: ٧٢، نقلًا عن: الجذور العربية للنحو التوليدي عند تشومسكي - دراسة تأصيلية، (رسالة ماجستير)، للباحثة: كريمة خوازم: ٦٨، وانظر: نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٣ مقدمة المترجم.

(٢) مقال إلكتروني على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) بعنوان: كذبة الآجرومية، د. حمزة المزيني، الإثنين ١٠ محرم ١٤٤١هـ - ٢٠١٩/٩/٩م، وقد اطلعُ عليه يوم السبت ٢٨/١٢/٢٠١٩م، الساعة ٦:٥٠ صباحاً،

موجود على الرابط: <https://hmozainy.blogspot.com/2019/09/>

التوليدية؟^(١)؛ فأجاب تشومسكي قائلاً: "كما ذكرتُ مِنْ قَبْلُ أَنَّ دراستي المبكرة كانت متعلقة بدراسة النحو العبري في العصور الوسطى، فقد كان والدي مختصاً في النحو العبري والعربي في القرون الوسطى، وقد درستُ هذا النحو على يديه، وباعتباري طالباً في الجامعة فقد درستُ النحو العربي الحديث كما درستُ النحو العربي في القرون الوسطى كذلك، فإذا أردتُ بعض التفاصيل حول هذا الموضوع فقد كتبتُ حول هذه القضية في مقدمة كتابي المسمى بِ(البنية المنطقية للنظرية اللسانية The Logical Structure of Linguistic Theory) ناقشتُ في هذه المقدمة كيف أن بعضاً من دراستي المبكرة في صغري لنحو القرون الوسطى كان قد قادني إلى بعض الأفكار حول البنية التنظيمية اللغوية التي دخلت بعد ذلك في نظرية الصوتيات التوليدية ونظرية النحو التوليدية، وكانت هذه الأفكار في الواقع هي المثل المعبرة التي احتذيتها في الأربعينات^(٢)، وأول بحثٍ كَتَبْتُهُ في النحو التوليدي هو ما كَتَبْتُهُ في النحو التوليدي لِلُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ، واعتمدتُ فيه على هذه الأفكار، وكان ذلك في أواخر الأربعينات^(٣)."

أَكَّد تشومسكي -في كلامه السابق- أَنَّهُ دَرَسَ النحو العبري في العصور الوسطى، وأَنَّهُ استفاد مِنْ تخصص والده في النحو العبري والعربي في القرون الوسطى، كما درسَ هذا النحو على يديه، والعلاقة المتينة معروفة بين النحَّوين؛ لأنهما ينحدران مِنْ أصل واحد (السامية)، وبينهما تشابه كبير. وسؤال د. الوعر كان ذكياً، فلم يسأل تشومسكي عن أثر النحو العربي في نظريته، بل سأله عن مساهمة التراث العبري في صياغة نظريته وتشكيلها^(٤)، ومعلوم كم هي العلاقة بين النحو العبري والنحو العربي، حيث أثبتَ أَنَّ ذلك قَدْ قاده إلى بعض الأفكار حول البنية التنظيمية اللغوية.

(١) لقاء مع نعوم تشومسكي، د. مازن الوعر، مجلة اللسانيات - مجلة في علم اللسان البشري، العدد السادس: ٧٩، نُقِلَ عن: الجذور العربية للنحو التوليدي عند تشومسكي - دراسة تأصيلية، (رسالة ماجستير)، للباحثة: كريمة خوازم: ٦٩.

(٢) الصواب: (الأربعينيات)؛ لأنَّ لَفْظَ الْعَقْدِ تُلْحَقُ بِهِ ياءُ النَّسَبِ عند الْجَمْعِ.

(٣) لقاء مع نعوم تشومسكي، د. مازن الوعر، مجلة اللسانيات - مجلة في علم اللسان البشري، العدد السادس: ٧٩-٨٠، نُقِلَ عن: الجذور العربية للنحو التوليدي عند تشومسكي - دراسة تأصيلية، (رسالة ماجستير)، للباحثة: كريمة خوازم: ٦٩.

(٤) انظر: الجذور العربية للنحو التوليدي عند تشومسكي - دراسة تأصيلية، (رسالة ماجستير)، للباحثة: كريمة خوازم: ٦٨.

ولا بُدَّ هُنَا أَنْ أَدْكُرَ علماء اللغة المُحَدِّثِينَ الذي يؤيدون فكرة تَأَثَّر تشومسكي بالنحو العربي، ومنهم: د. سيد فرج راشد:

يقول د. راشد: قد تميّزت الحركة اللغوية والأدبية داخل المجتمع الإسلامي بنشاطٍ متعدّد الاتجاهات، حيث بحث المسلمون في القرآن لفظاً ومعنى وقراءةً وتجويداً؛ فظهر علم النحو والصرف والبلاغة والتجويد. إلى هذا الوقت كان اليهود يعتمدون التلقين في دراستهم للتوراة والقراءة لها. ففتنوا بمناهج المسلمين؛ فظهرت لأول مرة في تاريخهم مؤلفات في النحو والصرف، فمن ناحية اليهود الذين ترسّموا خطأ العرب في دراسة اللغة (سعديا سعيد بن يوسف الفيومي ت ٢٦٨هـ) الذي ألف كتاباً في اللغة هو (كتاب اللغة)، ومع أنه فقد إلا أن الأخبار تتحدث أنه كان يتناول فيه اللغة العبرية وقواعدها مقتعياً أثر اللغويين العرب في تأليفهم في كتب النحو العربي^(١).

ويُكْمَلُ د. راشد كلامه عن ناحية اليهود في القرن العاشر الميلادي فذكر منهم: (مناحم بن سروق)، و(أبو زكريا بن داود حيوج ت ٤٢٢هـ) الذي ألف كتاباً في الصرف سمّاه: (كتاب الأفعال الجوفاء والمُضَعَّفة)، وأهم شيوخ ناحية اليهود (أبو الوليد مروان بن جناح القرطبي ت ٥١٥هـ)، ولعلَّ أهم أعماله (اللّمع) الذي كتّبه بالعربية في النحو، بالإضافة إلى تأليفه مُعْجَماً للعبرية سمّاه: (كتاب الأصول)، وَقَدْ جَمَعَ الكتابَيْنِ في كتابٍ واحدٍ هو: (كتاب التنقيح)؛ حيث يُتِمُّ أحدهما الآخر في فهم اللغة العبرية^(٢).

وتقسم الجملة في العبرية إلى جملة بسيطة (ويسمى بها بعض اللغويين بالجملة النواة) مثل: (الولد صغير)، وجملة غير بسيطة (وهي الجملة المركّبة) وتحتوي على جملة فرعية داخلها. والجملة البسيطة تتكون من: مبتدأ وخبر، أو فاعل وفعل ومفعول به. والجملة الاسمية تتكوّن من: مبتدأ وخبر دون الحاجة إلى فعل يربطهما، والجملة الفعلية: يعبر عنها بالفعل وحده بوصفه جملة مفيدة يحسّن السكوت عليها، موجود في جميع اللغات إذا فهم الفاعل المُسْتَتِر، ففي العربية أستطيع القول (قِفْ) وتكوّن جملة مفيدة، وأحصل على النتيجة نفسها إذا قلت في الإنجليزية (stop)، وكذلك في العبرية إذا قلت: (قِفْ لا تِلَا). والجملة الفعلية في العبرية تتكوّن من: فاعل ثم فعل ثم مفعول به^(٣).

(١) انظر: اللغة العبرية قواعد ونصوص، د. سيد فرج راشد: ١٨-١٩ (مقدمة المؤلف).

(٢) انظر: السابق: ١٩ (مقدمة المؤلف).

(٣) انظر: اللغة العبرية قواعد ونصوص، د. سيد فرج راشد: ٢٥٣-٢٥٦.

"فيجب علينا ألا نغفل دور اللغة العبرية وتأثيرها بالنحو العربي ومعرفة تشومسكي لها معرفة تامة، حيث تُعدُّ اللغة العبرية الواسطة بين اللغة العربية واللغات الأوروبية"^(١).
وقد ذكر الباحث -في بداية الفصل الثاني- أن تشومسكي قد تعلّم مبادئ علم اللغة التاريخي من أبيه الذي كان أستاذًا للعبرية في كلية (جراتس)؛ حيث اشترك ابنه منذ وقت مبكر جدًا في تصحيح طبع أعماله النحوية^(٢)، ولا ننسى أن تشومسكي يهودي الأصل، وهو مُطلّع جيّد على الإنتاج اللغوي اليهودي لا سيّما أن رسالة الماجستير التي كتبها كانت عن العبرية، التي عنوانها: (المورفونيمات "الصيغ الصرفية" في العبرية الحديثة Morphophonemics of modern Hebrew).

حتى قيل: "ومن الغريب حقًا أن كل الذين كتبوا عن حياة تشومسكي أو نظريته يتجاهلون هذه الفترة"^(٣) من حياته العلمية ولا يتوقفون أمامها؛ فاللغة العبرية هي إحدى اللغات السامية، ومن المعروف أن نواة العبرية الذين عاشوا في كنف المسلمين في الأندلس، مثل: (سَعْدِيَا الفيومي)، و(مروان بن الجناح) قد أقاموا درسهم النحوي للغة العبرية على طريقة العرب ومنهجهم في درس العربية^(٤).

وقد أكّد ذلك تشومسكي نفسه في إجابته عن سؤال د. الوعر -كَمَا مرَّ مَعْنَا- حينما قال تشومسكي: "دراستي المبكرة كانت متعلقة بدراسة النحو العبري في العصور الوسطى، فقد كان والدي مختصًا في النحو العبري والعربي في القرون الوسطى، وقد درستُ هذا النحو على يديه، وباعتباري طالبًا في الجامعة فقد درستُ النحو العربي الحديث كما درستُ النحو العربي في القرون الوسطى كذلك"^(٥).

أراد د. راشد أن يُثبِت -بطريقة لا مباشرة- تأثّر تشومسكي بالنحو العربي، حيث أكّد في بداية كلامه ونُقولاته تأثّر نواة اليهود بنواة العرب الأوائل، وتشومسكي يهودي -كما هو

(١) تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي، (بحث مُحكَّم)، د. جاسم علي جاسم: ٧٩.

(٢) انظر: النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي: ١١٠، ونظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١١، والألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا: ٩.

(٣) يقصّد: الفترة التي قضاها تشومسكي مع أبيه يتعلم مبادئ علم اللغة الاجتماعي، وإشراكه في الأعمال اللغوية المتعلقة باللغة العبرية.

(٤) نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٢-١٣.

(٥) لقاء مع نعوم تشومسكي، د. مازن الوعر، مجلة اللسانيات - مجلة في علم اللسان البشري، العدد السادس: ٧٩، نُقلًا عن: الجذور العربية للنحو التوليدي عند تشومسكي - دراسة تأصيلية، (رسالة ماجستير)، للباحثة: كريمة خوازم: ٦٩.

معلوم- وقد اطلع على علوم قومه، فرسالته في الماجستير كانت عن العبرية الحديثة، وأهم تأثرٍ لتشومسكي هو في تقسيم الجملة؛ فالجملة في العبرية تقسم إلى جملة بسيطة (الجملة النواة)، وجملة غير بسيطة (الجملة المركبة)، وهذا ما تمّ بيانه في الفصل الثالث حينما قُورِنَ بين تناول اللغويين العرب وتشومسكي للجملة.

المبحث الثالث: آراء المعارضين لتأثر تشومسكي بالنحو العربي ومناقشتها

يرى بعضُ الباحثين والعلماء العرب المُحدّثين أنّ تشومسكي في نظريته التحويلية لم يتأثر بالنحو العربي، ويعارضون فكرة تأثره به، ومن هؤلاء:

١. د. حمزة بن قبلان المزيني:

يقول د. المزيني: "من خلال حديث شخصي مع الباحث د. أحمد المتوكل -أستاذ الدلائيات الحديثة في قسم اللغة الفرنسية في جامعة محمد الخامس في الرباط- كان قد قال لي: بأنه أرسل رسالة الدكتوراة التي وضعها، والتي تدور حول النظرية الدلالية عند العرب القدامى إلى عالم اللسانيات الأمريكي تشومسكي، وقد كان تعليق تشومسكي عليها -في رسالة بعثها إلى د. المتوكل- بأن ما قاله العرب القدماء في حقل الدلائيات يُعدّ فكرًا فلسفيًا عميقًا لا بدّ من الأخذ به في الفكر الدلالي المعاصر، وقد وعدّ تشومسكي المتوكل بأنه سيعتمد هذه النظرية في الأعمال التي يقوم بها في المستقبل"^(١).

ما قاله تشومسكي -بأن العرب القدماء أصحاب فكرٍ فلسفي عميقٍ، ويجب الأخذ به في الفكر الدلالي المعاصر- ليس دليلًا أنّه لم يطلع على شيء من علوم العربية، فقد ثبت أنه اهتم بالعربية والعربية، وأنه درس كتاب سيبويه، أهم كتاب في النحو. بل كلامه دليلٌ على أنه لم يتعمّق في الجانب الدلالي، وقد مرّ معنا سابقًا -في الفصل الثالث- أن تشومسكي لم يعمّق كثيرًا بالحقل الدلالي في بداية وضعه لنظريته، ثمّ بعد التطوير أُدخِلَ المُكوّن الدلالي إليها مع المُكوّنين: التركيبي "النحوي" والفونولوجي "الصوتي"، وقد بسطتُ القول -بفضل الله- حول مكونات النظرية في الفصل الثالث، كما بيّنّا أنّ تشومسكي أضاف المكون الدلالي في المرحلة الثانية من نظريته ١٩٦٥ - ١٩٧٠م، وهي مرحلة: النظرية النموذجية Standard Theory.

ويرى د. المزيني: "أن القول الذي يقضي بأخذ تشومسكي عن النحويين العرب لا دليل عليه. وقد قال تشومسكي نفسه إنه لم يطلع على المنجزات النحوية واللغوية التي وصل إليها

(١) تشومسكي في عيد ميلاده السبعين، د. حمزة بن قبلان المزيني، مقال في صحيفة الرياض السعودية - ثقافة اليوم، الخميس ٢٥/٨/١٤٢٠هـ - ١٩٩٨م: ٣، نقلًا عن: الجذور العربية للنحو التوليدي عند تشومسكي - دراسة تأصيلية، (رسالة ماجستير)، للباحثة: كريمة خوازم: ٦١.

العلماء العرب القدماء^(١)؛ فيعترف المزيني بفضل تشومسكي وأنه صاحب ثورة لسانية في علم اللسان الحديث^(٢).

سأناقش قول المزيني من كلامه هو الذي أكدّه بِنَفْسِهِ في إحدى مقالاته حينما سأل تشومسكي عن دراسته للأجرومية في النحو فكان جواب تشومسكي له: "دَرَسْتُ مَعَ روزنتال سيبيويه لا الأجرومية"^(٣). وَقَدْ أَثْبَتُ هذا في ردودٍ سابقة.

لنا أن نتخيل القول الأول للمزيني وقد أصدره عام ١٩٩٨م، ثم يعترف الآن في عام ٢٠١٩م -أي: بَعْدَ إحدى وعشرين سنة- بدراسة تشومسكي لكتاب سيبيويه! فلماذا تَعَجَّلَ وقتها وقال: القول الذي يقضي بأخذ تشومسكي عن النحويين العرب لا دليل عليه؟! ولماذا يُصِرّ المزيني أن تشومسكي لم يَسْبِقْ له أن اطلّغ على إنجازات العلماء العرب؟! وتشومسكي نفسه يقول: لم أدرُسِ الأجروميّة -مع أن قراءتها كافية دليلاً على اطلاعه على النحو العربي- بل دَرَسْتُ مع أستاذي كتاب سيبيويه!

ويزعم د. المزيني -حسب فَهْمِهِ لِكُتُبِ د. تمام حسان- أن الأخير لا يرى صلةً بين النحو العربي ونظرية تشومسكي؛ فيقول: "مِنَ البَاحِثِينَ الذين لا يرون صلةً بين النحو العربي وتشومسكي الدكتور تمام حسان، فَقَدْ عُرِفَ د. حسان بدراساته عن أصول التنظير النحوي العربي في كتبه المتعددة، ولم يذكر في أيٍّ منها فيما أعلم تشابهاً بين النحو العربي والنظرية التوليدية... بل عرض تطبيقاً لنموذج النحو التوليدي على اللغة العربية مأخوذاً من كتاب تشومسكي، ثم قال: وهكذا يبدو أن النموذج التحويلي يمكن أن يطبق على اللغة العربية، ويمكن للغة العربية أن يُعاد وصفها أساساً من خلاله"^(٤).

لا يُعَدُّ ما نَقَلَهُ د. المزيني عن د. تمام دليلاً كافياً، فَعَدَمُ ذِكْرِ التشابه -بين النحو العربي والنظرية التوليدية في كُتُبِ د. تمام حسان- ليس دليلاً علمياً مُقْنَعاً يجعلنا نتبنى أو نعتقد أن د. تمام من المُعَارِضِينَ لفكرة التأثير، فَهُوَ لم يُثَبِّتْ وَلَمْ يَنْفُ. أمّا اعترافه بإمكانية تطبيق

(١) تشومسكي في عيد ميلاده السبعين، د. حمزة بن قبالان المزيني: ٤، نُقِلًا عن: تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي، (بحث مُحَكَّم)، د. جاسم علي جاسم: ٧٣.

(٢) انظر: تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي، (بحث مُحَكَّم)، د. جاسم علي جاسم: ٧٣.

(٣) مقال إلكتروني على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) بعنوان: كذبة الأجرومية، د. حمزة المزيني، الإثنين ١٠ محرم ١٤٤١هـ - ٢٠١٩/٩/٩م، وقد اطلعتُ عليه يوم السبت ٢٨/١٢/٢٠١٩م، الساعة ٦:٥٠ صباحاً، موجود على الرابط: <https://hmozainy.blogspot.com/2019/09/>

(٤) تشومسكي في عيد ميلاده السبعين، د. حمزة بن قبالان المزيني: ٣-٤، نُقِلًا عن: الجذور العربية للنحو التوليدي عند تشومسكي - دراسة تأصيلية، (رسالة ماجستير)، للباحثة: كريمة خوازم: ٦٤.

النموذج التحويلي على اللغة العربية وإمكانية إعادة وصفها من خلاله فهذا -في ظنّي- دليلٌ منه على سعة اللغة العربية، وقدرة بنائها التركيبي المميّز على التعامل مع النظريات اللغوية حتى لو كانت حداثيّة، فاللغة العربية ساميّة بشريّة، عايشت أجيالاً وقرونًا غابرة ولا تزال.

٢. د. نهاد الموسى:

عقب د. نهاد الموسى على كلام د. المزيني^(١) قائلاً: "وهنا يعترف المزيني بفضل تشومسكي وأنه صاحب ثورة لسانية في علم اللغة الحديث، وكما هو واضح فإن هذه الحالات تدل بشكل صريح على أنّ تشومسكي لم يسبق له أن اطلّع على إنجازات العلماء العرب قبل أن يقرأ ما كتبه هذا الباحثان العربيان المعاصران -الوعر^(٢) والمتوكّل- عن تلك الإنجازات، فهؤلاء العلماء يؤكدون بأن تشومسكي لم يتأثر بالنحو العربي، ويُعلّلون إجاباتهم بالرسائل المرسلة إليه والتعليق عليها من قبله شخصياً، ولقناعاتهم الخاصة بنظريته اللسانية الرياضية الحديثة"^(٣).

لا أحد ينكر أنّ تشومسكي صاحب ثورة لغوية في علم اللغة الحديث، لكن السؤال: كيف لم يطلع تشومسكي على إنجازات العلماء العرب من قبل وقد أثبت د. الوعر ذاته في حوارٍ له مع تشومسكي أن تشومسكي درّس الأجرومية في النحو؟! ثمّ أثبت د. المزيني أنّ تشومسكي درّس الكتاب لسيبويه وليس الأجرومية!

ويذكر د. المزيني كلاماً عن د. الموسى، يُظهر فيه رُفُض الأخير فكرة تأثر تشومسكي بالنحو العربي: "ويجب أن أُشير هنا إلى أنّ الدكتور الموسى كان -في تتبعه مسار المفاهيم النحوية العربية حتى وصلت إلى تشومسكي- حذراً جدّاً، فقد أطرّ كلامه بأدق ما يمكن من التحفظ فهو يقول [أي: الموسى]: وليس تقرير الشبه بين ابن هشام وهومبليت ثم تشومسكي من

(١) يُقصدُ كلام د. المزيني السابق: "إن القول الذي يقضي بأخذ تشومسكي عن النحويين العرب لا دليل عليه، وما يقوله تشومسكي نفسه من عدم اطلاعه على المنجزات النحوية واللغوية التي وصل إليها العلماء العرب القدماء".

(٢) يُقصدُ تعليق تشومسكي على رسالة الدكتوراة لمازن الوعر حينما علّق عليها تشومسكي في رسالة أرسلها للوعر في ٢٦ نيسان ١٩٨٢م قائلاً: "إنه من الواضح أنّ هذه الدراسة هي دراسة جدّية ورائعة ومهمّة... لقد دهشتُ بشكلٍ خاصٍ من تلك التعليقات اللغوية التي وردت في ثنايا هذه الدراسة والتي كان قد قالها العرب القدماء، إنّ هذا وحده يجعل هذه الدراسة إسهاماً قيماً جدّاً لتطوير الدراسات اللسانية الغربية". انظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، د. مازن الوعر: ١٥٩-١٦١، نقلاً عن: الجذور العربية للنحو التوليدي عند تشومسكي - دراسة تأصيلية، (رسالة ماجستير)، للباحثة: كريمة خوازم: ٦٣. ويدلّ كلام تشومسكي على أنّه لم يطلّع على كلّ إسهامات علماء العربية، وهذا أمر طبيعي.

(٣) نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، د. نهاد الموسى: ٥٤-٥٥، نقلاً عن: الجذور العربية للنحو التوليدي عند تشومسكي - دراسة تأصيلية، (رسالة ماجستير)، للباحثة: كريمة خوازم: ٦٢.

هذه الجهة محتاجًا إلى أن يُنكَّفَ له التأويل^(١)، ثم علق في الحاشية: "وإن التشابه يُعزى بالتأمل، ويقوى معه الهاجس بأن هذه المسألة قد تكون بعض ما ورد على العرب من العرب في إطار انتقال العالم العربي إلى الغرب اللاتيني"^(٢).

يرى د. الموسى أن ربط الشبه بين النحو العربي ونظرية تشومسكي هو تكلف وعنت، فالأمر -في رأيه- يَدْخُلُ في إطار انتقال ثقافات العرب إلى الغرب ليس إلّا. وقد يكون كلام د. الموسى صحيحًا إذا حاولنا إثبات كل جزئية في نظرية تشومسكي بتشابهها مع النحو العربي، لكن الحقيقة أن هناك نقاط التقاء بينهما كما يبيّن ذلك في المبحث الأول من هذا الفصل. وذلك لأنّ د. الموسى نفسه قال: "يتجاوز القول بتشابه النحو العربي مع النظرية اللسانية التوليدية إلى النظر في إمكان أخذ تشومسكي عن النحو العربي"^(٣). فهو يؤكد أنّ هناك إمكانية لأن يكون تشومسكي قد استفاد من النحو العربي وأخذ عنه ولو القليل.

الخاتمة: رأي الباحث في فكرة تأثر تشومسكي بالنحو العربي من عدمها

يرى الباحث أنه لا خلاف بين الدارسين اليوم أنّ تشومسكي أحدث تغييرًا وثورة في علم اللغويات الحديث، ويبقى السؤال الذي يثيره الكثيرون: استلهم تشومسكي نظريته من تراث العرب اللغوي والبلاغي أم لم يسبقه في هذه النظرية أحد؟ ذكر الباحث سابقًا أنّ تشومسكي كان مولعًا باللغة العبرية واستفاد من مرافقة والده ومساعدته في الأعمال الخاصة باللغة العبرية، فضلًا عن أنّه يهوديّ الأصل، كما درس النحو العربي، وقد صرّح بذلك حينما قال: "كان والدي مختصًا في النحو العبري والعربي في القرون

(١) نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، د. نهاد الموسى: ٥٤-٥٥، نقلًا عن: تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي، (بحث مُحَكَّم)، د. جاسم علي جاسم: ٧٣، وانظر: تشومسكي في عيد ميلاده السبعين، د. حمزة بن قبلان المزيني: ٤.

(٢) نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، د. نهاد الموسى: ٥٤، نقلًا عن: الجذور العبرية للنحو التوليدي عند تشومسكي - دراسة تأصيلية، (رسالة ماجستير)، للباحثة: كريمة خوازم: ٧٣، وانظر: تشومسكي في عيد ميلاده السبعين، د. حمزة بن قبلان المزيني: ٤.

(٣) نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، د. نهاد الموسى: ٥٤-٥٥، نقلًا عن: تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي، (بحث مُحَكَّم)، د. جاسم علي جاسم: ٧٣.

الوسطى، وقد درستُ هذا النحو على يديه، وباعتباري طالباً في الجامعة فقد درستُ النحو العربي الحديث كما درستُ النحو العربي في القرون الوسطى كذلك^(١).

فهذه إشارة إلى اهتمامه بالنحو العربي والعبري معاً، والعربية والعبرية من اللغات السامية، وتتميز السامية بمجموعة خصائص مشتركة، منها:

١. "إنَّ أغلب الكلمات يرجع في اشتقاقها إلى أصل ذي ثلاثة أحرف.
٢. التشابه في تكوين الاسم من حيث عدده ونوعه، وفي تكوين الفعل من حيث زمنه وتجدره وزيادته، وصحته وعلته.
٣. التشابه في الضمائر وفي طريقة اتصالها بالأسماء والأفعال والحروف.
٤. التشابه في المشتقات، كاسمي الفاعل والمفعول، واسمي الزمان والمكان، واسم الآلة.
٥. التشابه في صوغ الجمل وتركيبها^(٢).

فلماذا لا يكون تشومسكي استفاد من القاسم المشترك بين النحويين ما دام التشابه بين خصائصهما كبيراً؟ إما باطلاعه المباشر وإما عن طريق الترجمة، يقول د. المزيني: "والرأي السديد الذي لا لبس فيه ولا مرأ، وهو أنَّ الدراسات اللغوية العربية انتقلت إلى الغرب عن طريق ترجمة الأعمال اللغوية العربية إلى العبرية واللغات الأوروبية في العصر الأندلسي"^(٣). ليس هذا من باب التضارب في أقوال المزيني إنما هي إشارة إلى انتقال الإنجازات اللغوية العربية - عبر الترجمة - إلى العبرية التي هي أقرب إلى العربية منها إلى الإنجليزية. ويرى د. الوعر أنَّ هناك طائفة من اللغويين الغربيين أقرّوا بالتأثر بالتراث اللغوي العربي: "قد أثبت باحثون لسانيون غربيون مُعتدّلون ومُنصفون، أمثال: (روبنز، وتشومسكي، وكوك) تأثّر اللسانيات الحديثة بالتراث اللغوي العربي، وذلك عن طريق وسائل مختلفة، سواء أكانت مباشرة: الاطلاع على التراث اللغوي العربي باللغة العربية، أم غير مباشرة: عن طريق

(١) لقاء مع نعوم تشومسكي، د. مازن الوعر، مجلة اللسانيات - مجلة في علم اللسان البشري، العدد السادس: ٧٩، نُقلًا عن: الجذور العربية للنحو التوليدي عند تشومسكي - دراسة تأصيلية، (رسالة ماجستير)، للباحثة: كريمة خوازم: ٧٣.

(٢) دروس اللغة العبرية، د. ربحي كمال: ١٩-٢٠.

(٣) تشومسكي في عيد ميلاده السبعين، د. حمزة بن قبالان المزيني: ٤، نُقلًا عن: الجذور العربية للنحو التوليدي عند تشومسكي - دراسة تأصيلية، (رسالة ماجستير)، للباحثة: كريمة خوازم: ٦٥.

ترجمة أعمال النحاة واللغويين والبلاغيين العرب إلى لغاتٍ أجنبية كثيرة، وخاصة اللغة الألمانية^(١)، فهو يرى أن ترجمة التراث العربي أكثره من العربية إلى الألمانية.

إنّ مجموع ما ذُكِرَ آنفًا لا يدع مجالًا للشكّ أنّ تشومسكي قد اطلع على المصنفات النحوية والبلاغية في تراث العرب الزاخر واستفاد منها.

أما قوانين التحويل التي اعتمدها تشومسكي في نظريته من حذف وتقديم وتأخير واستبدال و...، فكما مرّ في المباحث السابقة أن علماء العربية قد سبقوه في ذلك، وأحيانًا بالمفهوم لا المصطلح نفسه، قال ابن جني: "باب في شجاعة العربيّة: اعلم أنّ معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف..."^(٢).

وَحَسَنٌ أَنْ أُذَكِّرَ هُنَا بِقَوْلِ الْمُسْتَشْرِقِ الْأَلْمَانِيِّ يُوْهَانَ فَاك: "وَلَقَدْ تَكَفَّلَتِ الْقَوَاعِدُ الَّتِي وَضَعَهَا النُّحَاةُ الْعَرَبُ فِي جَهْدٍ لَا يَعْرِفُ الْكَلَّلَ، وَتَضَحِيَّةٍ جَدِيدَةٍ بِالْإِعْجَابِ؛ بَعْرُضِ اللُّغَةِ الْفَصْحَى وَتَصْوِيرِهَا فِي جَمِيعِ مَظَاهِرِهَا مِنْ نَاحِيَةِ الْأَصْوَاتِ وَالصِّيغِ، وَتَرْكِيبِ الْجُمْلِ، وَمَعَانِي الْمَفْرَدَاتِ عَلَى صُورَةٍ مُحِيطَةٍ شَامِلَةٍ، حَتَّى بَلَغَتْ كُتُبُ الْقَوَاعِدِ الْأَسَاسِيَّةِ عِنْدَهُمْ مَسْتَوًى مِنَ الْكَمَالِ لَا يَسْمَحُ بِزِيَادَةٍ لِمُسْتَزِيدٍ"^(٣).

ويعدّ كتاب سيبويه "منطلق التحليل النحوي العربي في تاريخ الدراسات النحوية التركيبية، ولو استطاع العرب فهم كتاب سيبويه فهم روايةٍ ودرايةٍ وعمقٍ؛ لنبشوا حقائق نحوية من هذا الكتاب لا تقل أهمية عن الحقائق النحوية التي أتى بها عالم اللسانيات الأمريكي نوم تشومسكي، ولكن هذا يحتاج إلى جهدٍ كبيرٍ جدًّا"^(٤).

لذلك فإنّ "العقل العربي مارس كلّ ألوان الاجتهاد وأنواعه، وبعض هذه الاجتهادات كانت حريّةً بالتطوير والإثراء، وليس التجاهل والاحتقار"^(٥).

يمكننا -إذن- القول: "كلّ معطيات علم اللغة كما طوّره سوسير -وتشومسكي- لم تكن فتحًا جديدًا، وكان يجب ألا تكون كذلك بالنسبة للمثقف العربي لو أنه في حماسه للتحديث وانبهاره بمُنجزات العقل الغربي لم يتجاهل تراثه العربي"^(٦).

(١) صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات، د. مازن الوعر، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتّاب العرب - دمشق، المجلد ١٢، العدد ٤٨، يوليو ١٩٩٢م: ٩٥.

(٢) الخصائص، لابن جني: ٢٦٢/٢.

(٣) العربية - دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فاك، ترجمة: عبد الحليم النجار: ٢.

(٤) صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات، مجلة التراث العربي، د. مازن الوعر: ٩٣.

(٥) المرايا المقعرة، د. عبد العزيز حمودة: ٢٤٧.

(٦) السابق: ٢٥٧.

لكن على الباحث العلمي الجاد أن يكون مُنصِّفًا متجربًا من الهوى؛ فأقول: حتى لو استفاد تشومسكي في نظريته كلها من النحو العربي فهذا ليس سبباً في حقه، ولا مدمّة في جهده، ولا يليق بنا ازدراء أي نوع من أنواع الإبداع عنده أو عند غيره؛ لما أحدثه في نظريته التحويلية من تقديم جديد في تحليل التراكيب اللغوية، بل -في ظني- أنه إنتاج بصورة جديدة، وتحليل للغة غفلنا -في زماننا- عنه، وقصّرنا فيه؛ لتراخينا وإهمالنا للقراءة الجادة لتراثنا اللغوي والبلاغي والنقدي، واستنباط دُرِّه ونفائسه التي شهد لها الغرب قبل الشرق. فلماذا لم نسبق تشومسكي في ثورته اللغوية التي أحدثها؟ ما أسرعنا أن نقول: هذا العالم لم يأت بجديد!

كثيراً ما يُقال: (إن القوانين التحويلية موجودة في النحو العربي)، وهذا أمر لا يمكن إنكاره، لكن لا بُدَّ من العلم أن هذه القوانين التحويلية التي ذكرها تشومسكي من حذف وتقديم وتأخير ليست هي المبادئ الرئيسة فقط التي قامت عليها نظريته، بل عالَجَ أموراً لغوية عالقة، منها: كيف تُنتج اللغة؟ وتوسّع في قضايا جديدة بالعناية، منها: الاتجاه العقلي، وطرائق تحليل الجملة، ومكونات القواعد التوليدية والتحويلية، والكفاءة والأداء، والفطرة اللغوية، ... إلخ، فلا يُعقل أن يُقال: إنَّ قوانين التحويل موجودة في تراثنا، ونغفل -في الوقت نفسه- ما في النظرية من إيجابيات؛ بمعنى أن هناك نقاط التقاء جليّة بين النظرية التشومسكية والنحو العربي، ولكن ليس في مجموع النظرية كلها؛ لأنها قدّمت شيئاً جديداً بشهادة الباحثين اللغويين العرب، يقول د. حلمي خليل عنها: "نظرية علمية أثّرت في الفكر اللغوي الإنساني منذ أكثر من ربع قرن، وما زال أثرها واضحاً حتى اليوم في دراسات وأبحاث علماء اللغة المعاصرين"^(١).

لكنني لا أقف أبداً مع الذين ينفون الصلة مطلقاً بين نظرية تشومسكي والتراث اللغوي والبلاغي؛ فهذا -عندي- من الانبهار بالغالب كما قال ابن خلدون: "إن المغلوب مولى أبداً بالاقتراء بالغالب"^(٢).

كما أُؤيِّد د. الموسى في قوله: "وليس تقرير الشبه بين ابن هشام وهومبليت ثم تشومسكي من هذه الجهة محتاجاً إلى أن يُنكَّفَ له التأويل"^(٣)؛ ففي ربط كل جزئية من القواعد التوليدية التحويلية بتراث العرب اللغوي عنّت وتكلف ظاهراً. ولا أُؤيِّد د. الموسى في وصفه أن تشومسكي

(١) نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ٧ مقدمة المترجم.

(٢) مقدمة ابن خلدون، لابن خلدون: ١٨٤.

(٣) نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، د. نهاد الموسى: ٥٤، نقلاً عن: تأثير الخليل ابن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي، (بحث مُحكَّم)، د. جاسم علي جاسم: ٧٣، وانظر: تشومسكي في عيد ميلاده السبعين، د. حمزة بن قبلان المزيني: ٤.

لم يَسْتَقْدِ مِنَ النُّحَاةِ أَوْ لَا يَوْجِدُ شَبَهَ بَيْنِ النَّظَرِيَّةِ وَإِبْدَاعِ النُّحَاةِ؛ لِأَنَّ تَشُومُسْكِي نَفْسُهُ اعْتَرَفَ بِدِرَاسَتِهِ لِكِتَابِ سِيبُويِه مَعَ أَسْتَاذِهِ رُوزَنْتَال!

فَيَجْدُرُ أَنْ يَكُونَ مَوْقِفُنَا وَسْطًا بَيْنَ قَوْمٍ يَجْزَعُونَ مِنْ أَيْ وَافِدٍ جَدِيدٍ مِنَ الثَّقَافَةِ الْأُورُوبِيَّةِ، الَّذِي يَعُدُّونَهُ مَسْحًا لِلهُوِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، أَوْ غَرْوًا فِكْرِيًّا دَخِيلًا، وَبَيْنَ قَوْمٍ يَطِيرُونَ فَرْحًا بِأَيِّ ثَقَافَةٍ وَافِدَةٍ جَدِيدَةٍ لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَتْ قَادِمَةً إِلَيْنَا مِنَ الْغَالِبِ؛ فَيَرُونَ أَنَّ التَّمَسُّكَ بِتَرَاثِنَا سَبَبٌ فِي تَخَلُّفِنَا.

وَيَحْسُنُ بِنَا أَلَّا نَنْبَهَرَ بِكُلِّ الْمَصْطَلَحَاتِ اللُّغَوِيَّةِ الْغَرَبِيَّةِ انْبَهَارًا يَدْفَعُنَا إِلَى أَنْ نَهْجَرَ تَرَاثِنَا اللُّغَوِيَّ الْمَتِينِ، أَوْ نَقْطَعَ الْوَشَائِجَ مَعَ مَاضِينَا الْمُشْرِقِ، وَنَتَنَكَّرَ لِلْجُهْدِ الْأَصِيلَةِ الَّتِي بَذَلَهَا عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ الْأَوَائِلِ، حَتَّى نَصِلَ إِلَى الْقَطِيعَةِ الْمَعْرِفِيَّةِ مَعَ الصَّرْحِ اللُّغَوِيِّ الْعَرَبِيِّ. وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ نُقَرِّ أَنْ تَشُومُسْكِي أَبْدَعَ فِي نَظَرِيَّتِهِ التَّوْلِيدِيَّةِ التَّحْوِيلِيَّةِ، بَلِ الْحَقِيقَةِ الْيَوْمِ الَّتِي لَا يُمْكِنُنَا الْإِخْتِبَاءُ مِنْهَا هِيَ: "يُقَيِّسُ أَيُّ لِسَانِي الْيَوْمَ مَكَانَتَهُ الْفِكْرِيَّةَ إِلَى مَكَانَةِ تَشُومُسْكِي. الَّذِي يُقَالُ إِنَّهُ أَحْدَثَ ثَوْرَةً فِي اللِّسَانِيَّاتِ"^(١)؛ لِذَا يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَكُونَ أَكْثَرَ وَعِيًّا، وَنَنْطَلِقَ مِنْ زَاوِيَتَيْنِ فِي آنٍ وَاحِدٍ، هُمَا: عَيْنٌ عَلَى التَّرَاثِ الْأَصِيلِ، وَعَيْنٌ عَلَى الْمُفِيدِ النَّافِعِ فِي الْحَدَاثَةِ.

(١) مدارس اللسانيات - التسابق والتطور، جفري سامسون، ترجمة: د. محمد زياد كبة: ١٣٥.

الباب الثاني

الوصف التحليلي للتراكيب المَحَوَّلة الإنشائية وغير الإنشائية في خُطْبِ النبي ﷺ

الفصل الأول: التراكيب الإنشائية الطلبية المَحَوَّلة في خُطْبِ النبي ﷺ

المبحث الأول: تركيب الاستفهام

المبحث الثاني: تركيب الأمر

المبحث الثالث: تركيب النهي

المبحث الرابع: تركيب النداء

المبحث الخامس: تركيب التمني

الفصل الثاني: التراكيب الإنشائية غير الطلبية المَحَوَّلة في خُطْبِ النبي ﷺ

المبحث الأول: تركيب التعجب

المبحث الثاني: تركيب القسم

المبحث الثالث: تركيب المدح والذم

المبحث الرابع: تركيب الرجاء

المبحث الخامس: تركيب الدعاء

الفصل الثالث: التراكيب غير الإنشائية المَحَوَّلة في خُطْبِ النبي ﷺ

المبحث الأول: تركيب النفي

المبحث الثاني: تركيب الشرط

المبحث الثالث: تركيب التوكيد

المبحث الرابع: تركيب التعليل

المبحث الخامس: تركيب الحال

المبحث السادس: تركيب المفعول المطلق ونائبه

الفصل الأول

التركيب الإنشائية الطلبية المَحَوَّلَة في خطب النبي ﷺ

وَيُقَسَّمُ إلى خمسة مباحث:

المبحث الأول: تركيب الاستفهام

المبحث الثاني: تركيب الأمر

المبحث الثالث: تركيب النهي

المبحث الرابع: تركيب النداء

المبحث الخامس: تركيب التمني

الفصل الأول

التراكيب الإنشائية الطلبية المَحْوَلَة في خطب النبي ﷺ

تمهيد: الخبر والإنشاء في اللغة العربية

ينقسم الكلام - عند البلاغيين - في العربية إلى نوعين: (الخبر) و (الإنشاء).
أولاً: الخبر: هو كُلُّ كلامٍ يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ والكُذْبَ لِذَاتِهِ^(١). فَإِنْ كان الكلام مطابقاً للواقع كان قائله صادقاً، وهذا الخبر الصادق، وإن كان الكلام غير مطابق له كان قائله كاذباً، وهذا الخبر الكاذب^(٢)؛ لَذَا فَإِنَّ: "الصدق مُطَابَقَةُ الحُكْمِ للواقع، والكذب ضِدُّهُ"^(٣). فَلَوْ قِيلَ مَثَلًا: (زَيْدٌ مُسَافِرٌ) ثُمَّ تَأَكَّدَتْ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ فوجدته صحيحاً فالخبر صادقٌ، وإن وجدته كاذباً؛ أي: أَنَّ زَيْدًا لم يُسَافِرْ فالخبر كاذبٌ.

وللخبر غرضان رئيسان، هما^(٤):

١. فائدة الخبر: وهو إفادة المُخَاطَبِ الحُكْمَ الذي تَصَمَّنَتْهُ الجُمْلَةُ؛ أي: أَنَّ الجملة الخبرية تحمل للمخاطب فائدةً جديدةً، كقول النبي ﷺ: "الصَّلَاةُ نُورٌ"، وقوله ﷺ: "الصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ"، وقوله ﷺ: "الصَّبْرُ ضِيَاءٌ"^(٥)، وكقولك: (المسافة بين بيتي ومكان عملي مائة تسبيحة).
٢. لازم الفائدة: وهو إفادة المُخَاطَبِ أَنَّ المُتَكَلِّمَ عالمٌ بالحُكْمِ. فالمخاطب -هنا- لم يَعْرِفْ خَبْرًا جديدًا كان غائبًا عنه، كقول خديجة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ"^(٦)؛ فالنبي ﷺ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَصِلُ رَحِمَهُ ويصدق في حديثه، لكنَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ

(١) مفتاح العلوم، للسكاكي: ١٦٤، وجواهر البلاغة، للهاشمي: ٥٥.

(٢) انظر: مفتاح العلوم، للسكاكي: ١٦٤-١٧٠ و ٤٣٧-٤٣٨، وعِلْمُ المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ٤٦، والبلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَكَة: ١/١٧١.

(٣) الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة، لأبي يحيى الأنصاري: ٧٤.

(٤) انظر: علوم البلاغة، أحمد المراغي: ٤٦، وعِلْمُ المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ٥٠، والبلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَكَة: ١/١٧٣.

(٥) هذه الجُمْلَةُ الخبرية مِنْ أَصْلِ حديث النبي ﷺ: "الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ تَمْلَأَانِ -أَوْ تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ، أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتَثِفُهَا أَوْ مُؤَبِّقُهَا". صحيح مسلم، للإمام مسلم، باب فَضْلِ الوضوء: ٢٠٣/١، حديث رقم: (٢٢٣).

(٦) هذه الجملة الخبرية مِنْ أَصْلِ حديثٍ طَوِيلٍ قَالَتْ فِيهِ خَدِجَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- لِلنَّبِيِّ ﷺ: "... أَتَشِيرُ، فَوَاللَّهِ لَا يُحْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الصَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، ...". صحيح البخاري، للإمام البخاري، باب "مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى"=

خديجة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَعْلَمَتْهُ أَنَّهَا تَعْرِفُ عَنْهُ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ. وَمِنْ أَمْثَلَةِ هَذَا الْغَرَضِ: أَنْ تَقُولَ لِشَخْصٍ أَخْفَى عَلَيْكَ سَفَرَهُ فَعَلِمْتَ ذَلِكَ؛ فَقُلْتَ لَهُ: (قَدْ سَافَرْتَ أُمْسٍ). وَقَدْ يَخْرُجُ الْخَبَرُ عَنِ الْغَرَضَيْنِ الْأَصْلِيَّيْنِ السَّابِقَيْنِ إِلَى أَغْرَاضٍ أُخْرَى تُفْهَمُ مِنَ السِّيَاقِ، مِنْهَا^(١):

١. إظهار التَّحَسُّرِ عَلَى أَمْرٍ مَحْبُوبٍ:
كَقَوْلِ امْرَأَةِ عِمْرَانَ: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ﴾^(٢)، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: "قَوْلُهَا: "إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ" لَفْظُ خَبَرٍ فِي ضِمْنِهِ التَّحَسُّرُ وَالتَّلَهُفُ. وَإِنَّمَا تَلَهُفَتْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُحَرِّزُونَ الْإِنَاثَ لِلْخِدْمَةِ"^(٣)، فَقَدْ حَاطَبَتْ أُمَّ مَرْيَمَ "رَبِّهَا عَلَى سَبِيلِ التَّحَسُّرِ عَلَى مَا فَاتَهَا مِنْ رَجَائِهَا، وَخِلَافُ مَا قَدَّرَتْ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَرْجُو أَنْ تَلِدَ ذَكَرًا يَصْلُحُ لِلْخِدْمَةِ"^(٤)؛ أَيْ: لِلْخِدْمَةِ فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ.

٢. إظهار الضعف:

كَقَوْلِهِ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾^(٥).

٣. المدح:

كَقَوْلِ الطَّالِبِ مَادِحًا مُعَلِّمَهُ: أَنْتَ شَمْسٌ بَيْنَ أَصْحَابِكَ النُّجُومِ.

٤. الاسترحام والاستعطاف:

كَقَوْلِ مَنْ دَنَا أَجَلُهُ: دَعَوْتُكَ عِنْدَ كَثْرَةِ ذُنُوبِي، وَالْمَوْتُ قَرِيبٌ مِنِّي.

وَمِنْ الْأَغْرَاضِ أَيْضًا: الْفَخْرُ، وَالْوَعْدُ، وَالْوَعِيدُ، وَالتَّحْذِيرُ، ... إلخ، الَّتِي تُفْهَمُ مِنْ سِيَاقِ

الْكَلَامِ.

وَالْخَبَرُ -حَسَبَ حَالِ الْمَخَاطَبِ- ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ، هِيَ^(٦):

١٧٣/٦، حَدِيثٌ رَقْمٌ: (٤٩٥٣)، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ، لِلْإِمَامِ مُسْلِمٍ، بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ١٣٩/١، حَدِيثٌ رَقْمٌ: (١٦٠).

^(١) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني: ٦٥-٦٧، وجواهر البلاغة، للهاشمي: ٥٦-٥٧، وعلم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ٦٤-٦٦، والبلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّاكَة: ١٧٣-١٧٥.

^(٢) سورة آل عمران: ٣٦.

^(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي: ٤٢٤-٤٢٥.

^(٤) البحر المحيط في التفسير، لأبي حَيَّان الأندلسي: ١١٦/٣.

^(٥) سورة مَرْيَمَ: ٤.

^(٦) انظر: جواهر البلاغة، للهاشمي: ٥٧-٥٨، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي: ٤٣-٤٥، وعلم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ٦١-٦٣، والبلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّاكَة: ١٧٨-١٨٠.

١. **الخَبَرُ الابتدائي:** هو الخبر الذي يخلو من المؤكّدات؛ لأنّ المخاطَب خالي الذهن من هذا الخبر، وهو غير مُتَرَدّد فيه، ولا مُنكّر له. ففي هذه الحالة لا يحتاج الخبر إلى مُؤكّد واحد، كقول تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١)، وكقولنا: (زيدٌ قائمٌ) إخبارًا بقيامه.

٢. **الخَبَرُ الطَّلبي:** هو الخبر الذي يكون فيه المخاطَب مُتَرَدّدًا شاكًا، فَيَحْسُنُ تأكيد الكلام المُلقَى إليه تقويةً للحكم، وتشبيهًُا لصدقه في نفسِ المُخاطَب، كقولهِ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾^(٢)، وكقولنا: (إنَّ زيدًا قائمٌ) إخبارًا لِمَنْ تَرَدَّد: قائمٌ زِيدٌ أَمْ جَالِسٌ؟

٣. **الخَبَرُ الإنكاري:** هو الخبر الذي يكون فيه المخاطَب مُنكّرًا له، مُعْتَقِدًا خلافه؛ فيجب في هذه الحال تأكيد الكلام بأكثر مِنْ مُؤكّد، كقولهِ تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾^(٣)، وكقولنا: (إنَّ زيدًا لقائمٌ) إخبارًا لِمَنْ أَنْكَرَ قيامه.

ثانيًا: الإنشاء: هو كُلُّ كلامٍ لا يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ والكِذْبَ لِذَاتِهِ؛ وذلك لأنّه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجودٌ خارجي يطابقه أو لا يطابقه^(٤). كقول المعلم للطالب: (اكتب واجبك) فلا يمكن أن توصف هذه العبارة بالصدق أو الكذب؛ لأنّ المتكلّم لا يُعلم المخاطَب بحصول شيء أو عدم حصوله. وهذا يدل على أنّ للإنشاء نسبةً كلامية لا تتحقّق إلا إذا نطقنا بها، وليس له نسبة خارجية في الواقع، فالإنشاء يتحقّق بعد الطلب "النطق بالجملة"؛ لِذَا قال الهاشمي: "الإنشاء: هو ما لا يَحْصُلُ مضمونه ولا يَتَحَقَّقُ إِلَّا تَلَقُّطًا بِهِ"^(٥).

وفي مضممار التفريق بين الخبر والإنشاء قال القزويني: "وَوَجْهُ الحصر أنّ الكلام إما خبر أو إنشاء، لأنّه إمّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج. الأوّل الخبر، والثاني الإنشاء"^(٦).

والإنشاء قسمان، هما:

١. **الإنشاء الطلبي:** هو ما يَسْتَدْعِي مطلوبًا غير حاصِلٍ وقت الطلب^(٧). وهو خمسة أنواع: (الاستفهام، والأمر، والنهي، والدعاء، والتمني).

(١) سورة الكهف: ٤٦.

(٢) سورة النحل: ٩٠.

(٣) سورة غافر: ٥٩.

(٤) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني: ٨١/١-٨٣، وجواهر البلاغة، للهاشمي: ٦٩، وعلم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ٦٩.

(٥) جواهر البلاغة، للهاشمي: ٦٩.

(٦) الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني: ٥٥/١-٥٧.

٢. الإنشاء غير الطلبي: هو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصلٍ وقت الطلب^(١). وله أساليب متعددة، أشهرها: (صَيِّغُ التَّعْجُبِ، وَصَيِّغُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ، وَصَيِّغُ الْعُقُودِ، وَالْقَسَمِ، وَالرَّجَاءِ). أما الفرق بين الإنشاء الطلبي وغير الطلبي فهو أنَّ الإنشاء الطلبي "يتأخر وجود معناه عن وجود لفظه، فإذا أَمَرْتَ الْأُمَّ وَلَدَهَا قَائِلَةً: (اغْسِلْ يَدَيْكَ وَفَمَكَ قَبْلَ الْأَكْلِ وَبَعْدَهُ) فَإِنَّ لَفْظَ الْأَمْرِ (اغْسِلْ) قَدْ سَبَقَ إِلَى الْوُجُودِ قَبْلَ وُجُودِ مَعْنَاهُ؛ أَيُّ: قَبْلَ قِيَامِ الْمَأْمُورِ بِتَنْفِيزِ مَا أَمَرَ بِهِ، وَهُوَ (غَسَلَ الْيَدَيْنِ وَالْفَمِ). أما الإنشاء غير الطلبي فهو ما يقترن فيه الوجودان، بمعنى أنَّ يتحقق وجود معناه في الوقت الذي يتحقق فيه وجود لفظه؛ أَيُّ: فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَتِمُّ اللَّفْظُ بِهِ، فَإِذَا قَالَ شَخْصٌ لآخَرَ: (زَوَّجْتُكَ ابْنَتِي)؛ فَقَالَ الْآخَرُ: (قَبِلْتُ هَذَا الزَّوْاجَ) فَإِنَّ مَعْنَى الزَّوْاجِ أَوْ وُجُودَهُ يَتَحَقَّقُ فِي وَقْتِ التَّلَفُّظِ بِكَلِمَةِ الْقَبُولِ (قَبِلْتُ)"^(٢).

التركيب التي اعتنت بها هذه الدراسة:

قسّم الباحث -في هذا الباب- الدراسة إلى قسمين:

الأول: التراكيب الإنشائية بنوعيّها:

١. الإنشائية الطلبية -وهي موضوع هذا الفصل- وسنتناول فيها: (الاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء، والتمني).

٢. الإنشائية غير الطلبية -وهي موضوع الفصل الثاني- والتي ستدرس: (صَيِّغُ التَّعْجُبِ، وَصَيِّغُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ، وَالْقَسَمِ، وَالرَّجَاءِ، وَالِدَعَاءِ). وثَبَّتَ -الباحث من خلال الدراسة لكتاب (خُطَبُ الرِّسُولِ ﷺ، لِلشَّيْخِ: مُحَمَّدٌ خَلِيلُ الْخَطِيبِ^(٤)) الذي هو موضوع الدراسة التحليلية- أنَّ أكثر التراكيب الإنشائية وُروداً في هذه الخُطَبِ هي: تراكيب (الأمر)، ثُمَّ (النداء)، ثُمَّ (الاستفهام)، ثُمَّ (النَّهْيُ)، ثُمَّ (القَسَمِ)، ثُمَّ (الدَّعَاءِ)، ثُمَّ (الرَّجَاءِ)، ثُمَّ (المَدْحِ وَالذَّمِّ)، ثُمَّ (التَّعْجُبِ)، ثُمَّ (التمني) وهو أقلها وُروداً، أما (صَيِّغُ الْعُقُودِ) فَلَمْ تَرُدْ فِي هَذِهِ الْخُطَبِ^(٥).

(١) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للقرويني: ٥٢/٣، وجواهر البلاغة، للهاشمي: ٧٠، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي: ٢٤٩/٢.

(٢) انظر: جواهر البلاغة، للهاشمي: ٧٠، وعلم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ٧١.

(٣) علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ٧٤.

(٤) الكتاب الذي سَيُطَبَّقُ عليه الباحثُ القواعدَ التحويليةَ هو: (خُطَبُ الرِّسُولِ ﷺ، ٥٧٤ خُطْبَةٌ مِنْ كُنُوزِ الدُّرَرِ وَجَوَامِعِ الْكَلِمِ)، الموسوم بِـ (إِتْحَافِ الْأَنَامِ بِخُطَبِ رَسُولِ الْإِسْلَامِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)، جَمَعَهَا وَشَرَحَهَا: مُحَمَّدٌ خَلِيلُ الْخَطِيبِ، دار الفضيلة - القاهرة، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م، د. ط.

(٥) سيأتي بيانُ كُلِّ تركيبٍ في موضعه مع المكونات التي دَخَلَ عليها.

الثاني: التراكيب غير الإنشائية - وهي موضوع الفصل الثالث - وستدرس: (النفى، والشرط، والتوكيد، والتعليل، والحال، والمفعول المطلق ونائبه).

وَقَدْ بَلَغَ مجموعُ التراكيب جميعها -الإنشائية وغير الإنشائية- في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ (سِتَّةَ آلَافٍ وَخَمْسَ مِائَةٍ) تركيبٍ.

ويبين الجدول الآتي عددَ التراكيب الإنشائية وغير الإنشائية في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ مِنْ الأكثرِ إلى الأقلِ استخدامًا:

م	التراكيب	عدد الاستخدام
١	التراكيب غير الإنشائية	٤٤٤٤
٢	التراكيب الإنشائية الطلبية	١٨٤٩
٣	التراكيب الإنشائية غير الطلبية	٢٠٧
	المجموع	٦٥٠٠

التراكيب الإنشائية الطلبية:

بَلَغَ عددُ التراكيب الإنشائية الطلبية في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ (أَلْفًا وَثَمَانِي مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَأَرْبَعِينَ) تركيبًا.

ويبين الجدول الآتي عددَ التراكيب الإنشائية الطلبية في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ مِنْ الأكثرِ إلى الأقلِ استخدامًا:

م	التراكيب الإنشائية الطلبية	عدد الاستخدام
١	الأمر	٨١٩
٢	النداء	٥٠٩
٣	الاستفهام	٣٥٥
٤	النهي	١٦٥
٥	التمني	١
	المجموع	١٨٤٩

وَقَدْ اسْتَنْتَيْتُ -في هذه الفصل- التراكيب الإنشائية الطلبية التي تَلَفَّظَ بها الصحابة أو غيرهم كَرُوَاةَ الحديث، مُقْتَصِرًا بذلك على التراكيب الإنشائية الطلبية التي نُسِبَتْ لرسولِ الله ﷺ وَتَلَفَّظَ بها في هذه الخُطَبِ.

ويجدد التنبيه إلى أَنَّ مفهوم خُطَبِ النبي ﷺ لا يقتصر على خُطَبِ يومِ الجُمُعَةِ، إنما كانت له ﷺ خُطَبٌ في الجهاد، أو الحج، أو ينادي "الصلاة جامعة" في أمور تَهَمُّ الأمة، ثُمَّ يَقِفُ فيخطبُ بالمسلمين، وهكذا.

وتكمن في أثناء تحليل التراكيب مشكلة، وهي أَنَّ لِكُلِّ تركيبٍ صورتين، الأولى حقيقية "حسية"، والأخرى مجازية "معنوية"، فتركيب الأمر -مثلاً- يخرج كثيراً عن معناه الحقيقي إلى معنى يُفهم من السياق كالتعجيز والإباحة والتهديد والتحقير و...؛ فهذه -بلا شكٍ- معانٍ مجازية، وهذا ينطبق على باقي التراكيب كالاستفهام والنهي و...، وهذه هي المشكلة؛ فلو كان عندنا أسلوبُ أمرٍ -مثلاً- يَحْمِلُ معنى التحقير؛ فأَيُّ المعنيتين تَحَوَّلَ عن الآخر: الأمر أم التحقير؟! وأَيُّ المعنيتين يُمَثِّلُ البنية العميقة؟ وأَيُّهما يُمَثِّلُ البنية السطحية؟

والأجدر والأولى أَنَّ نَعتمد المعنى الحقيقي مُمَثِّلاً للبنية العميقة للتركيب؛ أَي: صورة التركيب الظاهرة هي البنية العميقة، والمعنى المجازي "المعنوي" -كالتحقير مثلاً- هو البنية السطحية للجملة، فيصبح معنى "التحقير" مُحَوَّلاً عن الأمر، وهكذا في باقي التراكيب؛ لأنَّ "المعاني الحسية أَسْبَقُ في الوجود وأَجْدَرُ بِأَنَّ تُعَدَّ المعاني الحقيقية، وغيرها لها عن طريق المجاز"^(١)؛ أَي: أَنَّ المعنى المجازي "المعنوي" فَرَعٌ للمعنى الحقيقي "الحسي".

طريقة التحليل المُتَّبَعَة في هذه الدراسة:

اتَّبَعْتُ في التحليل التحويلي للتركيب المُحوَّلة في (خُطْبُ الرسول ﷺ) ما يأتي:

١. شَرَحَ مُوجَزٌ للتركيب نَفْسَهُ -كالاستفهام مثلاً- قَبْلَ الولوج في التحليل الشجري، مِنْ خلال تعريف التركيب "الأسلوب" وخصائصه وأنواعه و... إلخ.

٢. رَسَمَ شجري للتركيب المُحوَّل يوضح البنية العميقة للتركيب، بناءً على مكونات الجملة، نحو:

(المركب الاسمي ← تعريف + اسم)، (المركب الفعلي ← فعل + مركب اسمي)، ثم توضيح البنية السطحية التي تحولت عن البنية العميقة للجملة، من خلال الأسهم المشيرة لذلك في عملية التحويل.

٣. ذَكَرُ السمات الذاتية والانتقالية لِلْفُظَّةِ الواردة في الرسم الشجري.

٤. ذَكَرُ كُلَّ قانون تحويلي اسْتُعْمِلَ في تحويل الجملة مِنْ البنية العميقة إلى البنية السطحية.

٥. شَرَحَ مُوجَزٌ للقوانين التحويلية التي تَمَّ التحويل عِبْرَهَا مِنْ البنية العميقة إلى البنية السطحية في التركيب.

^(١) في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس: ١١٩، وانظر: الكتاب نفسه: ١٩٣، وفصول في فقه العربية، د.

رمضان عبد التواب: ٣٢٨.

المبحث الأول تركيب الاستفهام

أولاً: تعريف الاستفهام

الاستفهام (لُغَةً): مصدر الفعل اسْتَفْهَمَ؛ أي: طَلَبَ الْفَهْمَ، قال ابن منظور: "أَفْهَمَهُ الْأَمْرَ وَفَهَّمَهُ إِيَّاهُ: جَعَلَهُ يَفْهَمُهُ، وَاسْتَفْهَمَهُ: سَأَلَهُ أَنْ يُفَهِّمَهُ، وَقَدْ اسْتَفْهَمَنِي الشَّيْءُ فَأَفْهَمْتُهُ، وَفَهَّمْتُهُ تَفْهِيمًا"^(١).

الاستفهام (اصطلاحاً): هو طَلَبُ الْعِلْمِ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا مِنْ قَبْلُ^(٢) بِأَحَدِ أَلْفَاظِهِ.

الاستفهام مِنْ حَيْثُ الْحَقِيقَةُ وَالْمَجَازُ نَوْعَانِ:

أ. الاستفهام الحقيقي: هو طَلَبُ الْعِلْمِ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا مِنْ قَبْلُ.

ب. الاستفهام المجازي: وهو استفهام لا يُرِيدُ الْمُسْتَفْهِمُ لَهُ جَوَابًا، إِنَّمَا يُورِدُهُ إِيصَالًا لِمَعَانٍ أُخْرَى؛ أي: يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معانٍ أُخْرَى تُسْتَفَادُ مِنَ السِّيَاقِ وَالْقِرَائِنِ، مِنْهَا: النفي، والتقرير، والتوبيخ، والافتخار، والتهديد، والنهي، والتمني، وغير ذلك.

ثانيًا: وظيفة الاستفهام:

للاستفهام وظيفتان: طلب التصديق، وطلب التصوُّر:

١. طلب التصديق: والتصديق يَسْأَلُ عَنِ الْجُمْلَةِ الَّتِي تَقَعُ بَعْدَ كَلِمَةِ الْاسْتِفْهَامِ: أَصَادِقَةٌ هِيَ أَمْ غَيْرُ صَادِقَةٍ؛ وَلِذَا يُجَابُ عَنْهَا بِـ (نَعَمْ) أَوْ (لَا)، وَيَسْتَعْمَلُ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ حُرَفَانِ: (الهمزة، وَهَلْ). وَلَا تَسْتَعْمَلُ (هَلْ) إِلَّا لَطَلَبِ التَّصْدِيقِ فَقَطْ. وَهَذَانِ الْحُرَفَانِ "الهمزة، وَهَلْ" يَتَقَفَّانِ فِي أَشْيَاءٍ وَيَخْتَلِفَانِ فِي أَشْيَاءٍ؛ فَهَمَا يَتَقَفَّانِ فِي دَخُولِهِمَا عَلَى الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ، مِثْلُ: (أَمَحَمَّدٌ مُسَافِرٌ؟)، (أَسَافِرَ مُحَمَّدٌ؟)، (هَلْ مُحَمَّدٌ مُسَافِرٌ؟)، (هَلْ سَافَرَ مُحَمَّدٌ؟)^(٣). فَالتَّصْدِيقُ هُوَ: طَلَبُ تَعْيِينِ الْحُكْمِ. وَالْجُمْلَةُ السَّابِقَةُ أَنْتَ تَسْأَلُ فِيهَا عَنِ الْحُكْمِ، وَهُوَ سَفَرُ مُحَمَّدٍ مِنْ عَدَمِهِ، فَيَأْتِي الْجَوَابُ بِـ (نَعَمْ) أَوْ (لَا).

(١) لسان العرب، لابن منظور: ٤٥٩/١٢ (فَهَمَ).

(٢) جواهر البلاغة، للهاشمي: ٧٨.

(٣) انظر: مفتاح العلوم، للسكاكي: ٣٠٨، والإيضاح، للقزويني: ٦٠-٥٦/٣، والجنى الداني، للمرادي: ٣٠، وعلم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ٩١، والتطبيق النحوي، د. عبده الراجحي: ٣٠١.

٢. طلب التصوُّر: تستخدمُ في هذا النوعِ (الهمزة) و(بقيةُ كلمات الاستفهام ما عدا هَلْ)؛ لأننا هنا لا نسأل عن صدق الجملة المُستفهم عنها، بل نسأل عن تصوُّر المُستفهم عنه^(١).

فالتصوُّر هو: طَلَبُ تعيينِ المُفردِ، كقولنا: (أَزِيدُ ناجِحَ أم حمزة؟)، (أَنجَحَ زيدٌ أم رَسَبَ؟)، (متى الاجتماعُ؟)، فالسائل -هنا- لا يعرفُ الناجحَ مِنَ الراسبِ، فيريدُ تعيينَ أحدهما من خلال سؤاله، فتأتي الإجابةُ بأحدهما، فيقال مثلاً: (زيدٌ) في الأولى، و(نَجَحَ) في الثانية. وكذلك لا يُعرف موعِد الاجتماعِ، فتأتي الإجابة بالموعِد، فيقال مثلاً: العاشرة صباحاً.

ثالثاً: كلمات الاستفهام:

١. حَرْفاً الاستفهام (الهمزة، وَهَلْ):

جميعُ الكلمات التي تستعمل في الاستفهام أسماءٌ، ما عدا كلمتَيْنِ: (الهمزة، وَهَلْ)، وهُمَا حرفان مبنيان لا محلَّ لهما مِنَ الإعراب.

٢. أسماء الاستفهام:

أما أسماء الاستفهام فهي على قسمين، أحدهما: أسماء الاستفهام الظرفية بِقِسْمَيْهَا: الظرفية المكانية، وَهَمَّا: (أَيْنَ، أُنَى)، والظرفية الزمانية، وَهَمَّا: (مَتَى، أَيَّانَ). والآخر: أسماء الاستفهام غير الظرفية، وهي: (مَا، مَاذَا، كَيْفَ، أَيْ، كَمْ، مَنْ، مَنْ ذَا).

تأصيلٌ نَحْوِيٌّ مُوجَزٌ لكلماتِ الاستفهام:

١. الهمزة:

هي أُمُّ بابِ الاستفهام -كَمَا يَعُدُّها جمهور النُّحاة- ولها الصدارة في الكلام، كما لغيرها من ألفاظ الاستفهام، وهي أعم وأصل لكلمات الاستفهام، والهمزة تدخل على الأسماء والأفعال لطلب التصديق^(٢).

يقول سيبويه: "لأنَّها حرفُ الاستفهام الذي لا يزول عنه إلى غيره، وليس للاستفهام في الأصل غيره. وإنما تركوا الألف في: (مَنْ)، و(مَتَى)، و(هَلْ)، ونحوهنَّ حيث أَمِنُوا الالتباسَ، ألا ترى أنك تُدخلها على (مَنْ) إذا تَمَّتْ بصلتها، كَقَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٣) (٤). ولأصالتها استأثرتْ بالتقديم على أحرف العطف: (الواو) و(الفاء) و(ثمَّ)^(٥).

(١) انظر: مفتاح العلوم، للسكاكي: ٣٠٨، والإيضاح، للقرظيني: ٦٠-٥٦/٣، والجنى الداني، للمرادي: ٣٤١،

وعلم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ٨٩-٩٢، والتطبيق النحوي، د. عبده الراجحي: ٣٠٢.

(٢) انظر: الكتاب، لسيبويه: ١٨٧/٣، والجنى الداني، للمرادي: ٣١.

(٣) سورة فُصِّلَتْ: ٤٠.

(٤) الكتاب، لسيبويه: ٩٩/١.

وتدخل على الجملة المثبتة، والجملة المنفية، تقول: (أَحْضَرَ خَالِدٌ؟)، (أَلَمْ يَحْضُرْ خَالِدٌ؟)، (أَخَالِدٌ حَاضِرٌ؟) (أَلَيْسَ خَالِدٌ حَاضِرًا؟).

و(الهمزة): حرف استفهام مبني على الفتح لا محل له من الإعراب.

حذف الهمزة:

الهمزة أصل ألفاظ الاستفهام وأُمُّهَا كما ذكر النحاة، لذا تختص بجواز حذفها من الجملة^(١) ويبقى معنى الاستفهام قائمًا؛ وذلك لوجود قرينة لفظية تدل عليه، وهي (أَمْ) المعادلة للهمزة، فإذا لم يذكر المعادل في الكلام وهو (أَمْ) فلا تُحذف الهمزة.

ويجوز حذف الهمزة من الجملة اعتمادًا على القرينة الدالة على ذلك، من خلال سياق الكلام ومعناه، ويُعرف ذلك من صوت الْمُتَحَدِّثِ المُسْتَفْهِمِ في جملة الاستفهام^(٢)، كقولنا: (زَيْدٌ حَاضِرٌ؟)، (زَيْدٌ حَاضِرٌ أَمْ غَائِبٌ؟)، والتقدير في الأولى: (أَزَيْدٌ حَاضِرٌ؟)، وفي الثانية: (أَزَيْدٌ حَاضِرٌ أَمْ غَائِبٌ؟).

وقد تخرج الهمزة عن الاستفهام الحقيقي إلى مَعَانٍ جديدة^(٣)، تُفهم من سياق الكلام،

مثل:

أ. التقرير والتثبيت، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾^(٤).

ب. الإهانة والتحقير، نحو: ﴿وَإِذَا مَرَأُوكَ إِنِّي تَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾^(٥).

ت. التهكم والسخرية، مثل: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾^(٦).

ث. الوعيد والتهديد، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تُهْلِكِ الْوَلَدَيْنِ﴾^(٧).

ج. التسوية، كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾^(٨).

(١) انظر: الجَنَى الدَّانِي، للمرادي: ٩٧.

(٢) همع الهوامع، للسيوطي: ٦٩/٢.

(٣) انظر: مغني اللبيب، لابن هشام: ١٩.

(٤) انظر: مغني اللبيب، لابن هشام: ٢٤، وعلم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ٩٦-١٠٧، والبلاغة العربية،

عبد الرحمن حَبَنَّكَ: ٢٨٨/١.

(٥) سورة التين: ٨.

(٦) سورة الفرقان: ٤١.

(٧) سورة هود: ٨٧.

(٨) سورة المُرْسَلَات: ١٦.

(٩) سورة المنافقون: ٦.

ح. الإنكار التذيبي "الإبطالي"، نحو: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَيِّنِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾^(١).

خ. الإنكار التوبيخي^(٢)، كقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾^(٣)، وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿أَعْبُدُون مَا نَحْنُ تَحْتُونَ﴾^(٤).

د. الأمر، نحو: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ﴾^(٥)؛ أي: أَسْلَمُوا.

ذ. الاستبطاء، نحو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٦)، إلى غير ذلك من معانٍ تُسْتَنْبَطُ مِنْ سياق الكلام.

٢. هَلْ:

حرف يستفهم به، مختص بطلب "التصديق"، فلا يستفهم به إلا عن مضمون الجملة؛ ولذلك لا يكون جواب (هَلْ) إلا بِ (نَعَمْ) أو بِ (لَا). وهي تدخل على الجملة الاسمية، نحو: (هَلْ عَمَزُوا قَاعِدًا؟)، وعلى الجملة الفعلية، نحو: (هَلْ دَرَسَ زَيْدٌ؟)^(٧).

و (هَلْ): حرف استفهام مبني على السكون لا محل له من الإعراب.

وزهب فريق من النحاة إلى أَنَّ (هَلْ) قد تكون بمعنى (إِنَّ) في التوكيد، يقول ابن هشام: "وذكر جماعة من النحويين أَنَّ (هَلْ) تكون بِمَنْزِلَةِ (إِنَّ) فِي إِفَادَةِ التَّوَكِيدِ وَالتَّحْقِيقِ، وَحَمَلُوا عَلَى ذَلِكَ: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾^(٨) ﴿٩﴾. وَقَدْ تَأْتِي (هَلْ) بِمَعْنَى (قَدْ) لِلتَّأْكِيدِ وَالتَّثْبِيتِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(١٠) ﴿١١﴾؛ أي: قَدْ أَتَى.

(١) سورة الإسراء: ٤٠.

(٢) يُلْحَظُ أَنَّ الإنكار التوبيخي يتعلّق بالأفعال، والإنكار التذيبي يتعلّق بالأقوال، فَتَحْنُ تُؤَيِّخُ وَتُلَوِّمُ مَنْ ارْتَكَبَ فِعْلًا قَبِيحًا، وَتُكَذِّبُ مَنْ قَالَ قَوْلًا غَيْرَ صَادِقٍ؛ لذلك قال ابن هشام بعد الإنكار التوبيخي: "يَقْتَضِي أَنَّ مَا بَعْدَهَا -أي: الهمزة- واقعٌ وَأَنَّ فَاعِلَهُ مَلُومٌ"، وقال بعد الإنكار التذيبي: "يَقْتَضِي أَنَّ مَا بَعْدَهَا -أي: الهمزة- غير واقعٍ وَأَنَّ مُدَّعِيَهُ كَاذِبٌ". مغني اللبيب، لابن هشام: ٢٤-٢٥.

(٣) سورة البقرة: ٤٤.

(٤) سورة الصافات: ٩٥.

(٥) سورة آل عمران: ٢٠.

(٦) سورة الحديد: ١٦.

(٧) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٣٤١.

(٨) سورة الفجر: ٥.

(٩) مغني اللبيب، لابن هشام: ٤٦٢.

(١٠) سورة الإنسان: ١.

- وَقَدْ تَخْرَجَ (هَلْ) عَنِ الْإِسْتِفْهَامِ الْحَقِيقِيِّ إِلَى مَعَانٍ أُخْرَى^(١)، تُفْهَمُ مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ، مِثْلُ:
- أ. التَّمَنِّي، نَحْوُ: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُعَاءٍ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾^(٢).
- ب. الْأَمْرُ، نَحْوُ: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٣)؛ أَيْ: أَسْلِمُوا.
- ت. النَّفْيُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٤).
- ث. التَّشْوِيقُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُجْزِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾^(٥).

مقارنة بين (الهمزة) و(هَلْ)^(٦):

١. تَتَفَرَّدُ (الهمزة) بِأَنَّهَا تَرِدُ لَطَلِبِ النَّصْرِ، مِثْلُ: (أَزِيدُ فِي الدَّارِ أَمْ خَالِدٌ؟)؛ وَلِذَلِكَ انْفَرَدَتْ بِمَعَادِلَةِ (أَمْ) الْمُتَّصِلَةِ؛ لِأَنَّهَا يُطْلَبُ بِهَا تَعْيِينَ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ، أَمَّا (هَلْ) فَلَا يُطْلَبُ بِهَا ذَلِكَ؛ لِذَا لَا يُقَالُ: (هَلْ زَيْدٌ جَاءَ أَمْ عَمْرُو؟)، لَأَنَّ (هَلْ) لِلتَّصْدِيقِ، وَالتَّصْدِيقُ يَسْأَلُ عَنِ الْجُمْلَةِ الَّتِي تَقَعُ بَعْدَ كَلِمَةِ الْإِسْتِفْهَامِ: أَصَادِقَةٌ هِيَ أَمْ غَيْرُ صَادِقَةٍ؛ وَلِذَلِكَ يُجَابُ عَنْهَا بِـ (نَعَمْ) أَوْ (لَا).
٢. تَتَفَرَّدُ (الهمزة) -أَيْضًا- بِأَنَّهَا تَدْخُلُ عَلَى الْمَنْفِيِّ، نَحْوُ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٧)، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(٨). وَلَا تَدْخُلُ (هَلْ) عَلَى مَنْفِيٍّ، فَلَا يُقَالُ: (هَلْ لَيْسَ الرَّجُلُ بِمُسَافِرٍ).
٣. تَرِدُ (الهمزة) بِالْإِنْكَارِ، وَالتَّوْبِيخِ، وَالتَّعَجُّبِ، بِخِلَافِ (هَلْ). وَهَذِهِ الْأَغْرَاضُ الْبَلَاغِيَّةُ تُفْهَمُ مِنَ السِّيَاقِ.

^(١) هذا رأي ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وَالْكَسَائِيُّ، وَالْفَرَّاءُ، وَالْمُبَرِّدُ، وَالزَّمَخْشَرِيُّ، لَكِنْ ذَكَرَ بَعْضُ النُّحَاةِ أَنَّ (هَلْ) لَمْ تُسْتَعْمَلْ لِلتَّقْرِيرِ وَالتَّنْبِيهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا انْفَرَدَتْ بِهِ (الهمزة). انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٣٤٥، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٤٦٠.

^(٢) انظر: مغني اللبيب، لابن هشام: ٤٥٨-٤٦٢، والجنى الداني، للمرادي: ٣٤٣-٣٤٥.

^(٣) سورة الأعراف: ٥٣.

^(٤) سورة هود: ١٤، وسورة الأنبياء: ١٠٨.

^(٥) سورة الرحمن: ٦٠.

^(٦) سورة الصَّف: ١٠.

^(٧) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٣٤١-٣٤٣، ومفتاح العلوم، للسكاكي: ٣٠٨-٣١١، والإيضاح، للقرطبي:

٥٥/٣، ومغني اللبيب، لابن هشام: ١٨-٢٧، وَهَمَعَ الْهَوَامِعُ، لِلْسَّيُوطِيِّ: ٥٨٢/٢-٥٨٣.

^(٨) سورة الزُّمَر: ٣٦.

^(٩) سورة الشُّرَح: ١.

٤. قد يُراد بالاستفهام بِ (هَلْ) النَّفْيُ، كقولك: (هَلْ يَقْدِرُ عَلَى هَذَا غَيْرِي؟)؛ أَي: لَا يَقْدِرُ. ويعين ذلك دخول (إِلَّا)، نحو قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِيَّاكَ الْكَفُورَ﴾^(١).
٥. تتقدّم (الهمزة) على أحرف العطف (الفاء) و(الواو) و(ثم)، إذا وقعت في جملة معطوفة؛ لأنّ لها الصدارة، نحو: (دَرَسَ زَيْدٌ أَوْ دَرَسَ خَالِدٌ؟)؛ فنقول: (أَفَدَرَسَ زَيْدٌ؟)، (أَوْ دَرَسَ زَيْدٌ؟)، (أَتَمَّ دَرَسَ زَيْدٌ؟). في حين أنّ (هَلْ) تقع بعد حرف العطف.
٦. لا تُعاد (الهمزة) بعد (أَمْ)، أمّا (هَلْ) فيجوز أن تُعاد وألّا تُعاد، وقد اجتمع الأمران في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾^(٢).
٧. تدخل (الهمزة) على (إِنَّ)، كقوله تعالى ﴿قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾^(٣)، ولا يصحّ ذلك مع (هَلْ)، فنقول: (أَإِنَّهُ لَمُجْتَهِدٌ؟)، ولا نقول: (هَلْ إِنَّهُ لَمُجْتَهِدٌ؟).
٨. تدخل (الهمزة) على الجملة الشرطية بخلاف (هَلْ)، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^(٤)، وكقولك: (أَلِنْ نَجَحَ خَالِدٌ تُكْرِمُهُ؟)، ولا نقول: (هَلْ إِنْ نَجَحَ خَالِدٌ تُكْرِمُهُ؟).
٣. أَيْنَ:

اسم استفهام يُستفهم به عن المكان^(٥). وهو ظرف مبني على الفتح، تأتي بعده الأسماء والأفعال على حد سواء، مثل: (أَيْنَ زَيْدٌ؟)، و(أَيْنَ يَقِفُ زَيْدٌ؟). ونقول في إعرابه: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب ظرف مكان.

وقد تخرج (أَيْنَ) عن الاستفهام الحقيقي إلى معانٍ أخرى، تُفهم من السياق، مثل:

أ. التوبيخ والتقريع، نحو قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(٧).

(١) سورة سَبَأ: ١٧.

(٢) سورة الرُّعْد: ١٦.

(٣) سورة يُوسُف: ٩٠.

(٤) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٥) الكتاب، لسيبويه: ٢٧٨/١.

(٦) سورة الأنعام: ٢٢.

(٧) سورة القصص: ٦٢.

ب. التمني، نحو: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يُؤْمِدُ أَيْنَ الْمَفْرُ﴾^(١)؛ أي: "لَيْتَ لِي فِرَارًا فِي مَكَانِ نَجَاةٍ، وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُهُ"^(٢)، وهناك مَنْ عَدَّ الاستفهام في "أَيْنَ الْمَفْرُ؟" على حقيقته، قال الألوسي: "وَجَوَزَ إِبْقَاؤُهُ عَلَى حَقِيقَةِ الاستفهام؛ لدهشته وتحيرهِ"^(٣)؛ أي: لِدَهْشَةِ الْإِنْسَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَحْيِيرِهِ.

٤. أَنَّى:

اسم استفهام يُستفهم به عن المكان. وقد ذهب سيبويه إلى أنه يكون بمعنى (كَيْفَ، وَأَيْنَ)^(٤)، ووافقه النحاة في معناها. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿يَا مَرْبِّمُ أُنَى لَكَ هَذَا﴾^(٥)، بمعنى: (مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟). وكذلك: ﴿أُنَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾^(٦)، والمعنى: (كَيْفَ يَكُونُ لِي غُلَامٌ؟). وأضاف الزركشي معنى ثالثاً وهو (مَتَى)^(٧)، واستدل بقوله تعالى: ﴿أُنَى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٨)، وَيَجُوزُ -هُنَا- أَنْ يَكُونَ معناها: (كَيْفَ)؛ أي: (كَيْفَ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا؟).

و(أُنَى): ظرف مبني على السكون، تأتي بعده الأسماء والأفعال والحروف. ونقول في إعرابه: اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب ظرف مكان. وَقَدْ تَخَرَّجَ (أُنَى) عن الاستفهام الحقيقي إلى مَعَانٍ أُخْرَى^(٩)، مثل: أ. الاستبعاد، مثل: ﴿أُنَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾^(١٠)، وَنَحْوُ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(١١).

(١) سورة القيامة: ١٠.

(٢) التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور: ٣٤٥/٢٩.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: ١٥٤/١٥.

(٤) الكتاب، لسيبويه: ٢٣٥/٤.

(٥) سورة آل عمران: ٣٧.

(٦) سورة آل عمران: ٤٠.

(٧) البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ٢٥٠/٤.

(٨) سورة البقرة: ٢٥٩.

(٩) انظر: الإيضاح، للقزويني: ٧٩/٣، والطرارز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للعلوي: ١٦٠/٣،

والتحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور: ٣٦/٣ و ١١٢/١٨.

(١٠) سورة الدخان: ١٣.

(١١) سورة البقرة: ٢٥٩.

ب. التعجب، كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا مَرْثَقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا﴾^(١).

٥. مَتَى:

اسم استفهام يُستفهم به عن الزمان الماضي والمستقبل، وهو مبني لتضمنه معنى (الهمزة)^(٢). نقول: (متى الاجتماع؟)، و(متى قام زيد؟)، و(متى يقوم زيد؟). وهو ظرف مبني على السكون، تأتي بعده الأسماء والأفعال. ونقول في إعرابه: اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب ظرف زمان.

وَقَدْ تَخْرَجَ (مَتَى) عَنِ الاسْتِفْهَامِ الْحَقِيقِيِّ إِلَى مَعَانٍ أُخْرَى^(٣)، مثل:

أ. الاستبعاد والتكذيب، نحو: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤).

ب. الاستبطاء، كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْزِئِينَ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(٥)، إلى غير ذلك من المعاني التي تفهم من السياق.

٦. أَيَّانَ:

اسم استفهام يُستفهم به عن الزمان المُسْتَقْبَل^(٦)، يأتي بعده الأسماء والأفعال. ويكون بمعنى (مَتَى)، قال الزمخشري: "(أَيَّانَ) بِمَعْنَى (مَتَى) إِذَا اسْتَفْهِمَ بِهَا"^(٧)، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾^(٨)؛ أَيَّ: متى وُقُوعها؟ وكقوله تعالى:

^(١) سورة آل عمران: ٣٧.

^(٢) الكتاب، لسيبويه: ٢٣٣/٤.

^(٣) انظر: الإيضاح، للقرطبي: ٦٨/٣، وجواهر البلاغة، للهاشمي: ٨٤، وعلم المعاني، د. عبد العزيز عتيق:

١٠١.

^(٤) سورة يونس: ٤٨. وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي خَمْسِ سُورٍ أُخْرَى.

^(٥) سورة البقرة: ٢١٤.

^(٦) ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي: ١٨٦٥/٤.

^(٧) المفصل في صنعة الإعراب، للزمخشري: ٢١٦.

^(٨) سورة الأعراف: ١٨٧، وسورة النازعات: ٤٢.

﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾^(١)؛ أَي: متى يوم القيامة؟ وَتُسْتَعْمَلُ (أَيَّانَ) غَالِبًا "فِيمَا يُرَادُ تَفْخِيمُ أَمْرِهِ، وَتَعْظِيمُ شَأْنِهِ"^(٢)، كَمَا فِي الْآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ^(٣).

و(أَيَّانَ) ظَرْفٌ مَبْنِي عَلَى الْفَتْحِ، نَقُولُ فِي إِعْرَابِهِ: اسْمُ اسْتِفْهَامٍ مَبْنِي عَلَى الْفَتْحِ فِي مَحَلِّ نَصْبِ ظَرْفِ زَمَانٍ.

وَأَكْثَرُ مَا تَخْرُجُ (أَيَّانَ) عَنِ اسْتِفْهَامِ الْحَقِيقِيِّ إِلَى مَعْنَى التَّفْخِيمِ وَالتَّهْوِيلِ كَمَا ذَكَرَ أَنْفَاءً، وَقَدْ عَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ اسْتِفْهَامَ فِي الْآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ لِلْإِسْتِغْنَاءِ وَالْإِنْكَارِ وَالتَّكْذِيبِ؛ أَي: يَسْأَلُ هَذَا الْكَافِرُ الْفَاجِرُ تَكْذِيبًا وَعِنَادًا وَشَكًّا وَاسْتِغْنَاءًا مَتَى يَكُونُ هَذَا الْيَوْمُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ؟^(٤).

٧. مَا:

اسْمُ اسْتِفْهَامٍ يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَنْ غَيْرِ الْعَاقِلِ^(٥)، فِي الْإِفْرَادِ وَالتَّثْنِيَةِ وَالْجَمْعِ، وَالتَّذْكِيرِ وَالتَّنْثِيثِ، مِثْلُ: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾^(٦)، وَكَقَوْلِنَا: (مَا الَّذِي تُرِيدُهُ؟).

أَوْ يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَنْ حَقِيقَةِ الشَّيْءِ أَوْ صِفَتِهِ، سَوَاءً أَكَانَ الشَّيْءُ عَاقِلًا أَمْ غَيْرَ عَاقِلٍ^(٧)، وَمِثَالُ (مَا) لِلسُّؤَالِ عَنِ الْحَقِيقَةِ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٨)، وَكَذَلِكَ: ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾^(٩)، أَمَّا السُّؤَالُ عَنِ الصِّفَةِ فَتَنَحُّ صِفَاتِ الْإِدْمِيعِيَّةِ فِي قَوْلِنَا: (مَا زِيدٌ؟) بِمَعْنَى: أَيُّ شَيْءٍ؟، فَيَقَالُ: (كَرِيمٌ أَوْ بَخِيلٌ)^(١٠)؛ لِذَا قَالَ الْمُبَرِّدُ: "هِيَ سُؤَالٌ عَنْ ذَاتٍ غَيْرِ الْإِدْمِيعِيَّةِ، وَعَنْ صِفَاتِ الْإِدْمِيعِيَّةِ"^(١١).

(١) سورة الذاريات: ١٢.

(٢) الكليات، للكفوي: ٢٢٢.

(٣) انظر: مفتاح العلوم، للسكاكي: ٣١٣، والإيضاح، للقرطبي: ٦٧/٣.

(٤) انظر: التبيان في أيمان "أقسام" القرآن، لابن قيم الجوزية: ٤٣٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٤٦٨/٣ و٣٨٨/٧، وصفوة التفاسير، للصابوني: ٤٦٠/٣ و٤٦٤ و٤٩١.

(٥) انظر: المقتضب، للمبرد: ٢٩٥/٢.

(٦) سورة البقرة: ٦٨.

(٧) انظر: الكتاب، لسيبويه: ٣٠٩/٢.

(٨) سورة الشعراء: ٢٣.

(٩) سورة القارعة: ٢.

(١٠) انظر: المقتضب، للمبرد: ٥٢/٢.

(١١) المقتضب، للمبرد: ٤١/١.

وَتُخَذَفُ أَلْفٌ (ما) الاستفهامية إذا سُبقت بحرف جر، مع إبقاء الفتحة دليلاً عليها، نحو: (فِيمَ)، وَ(بِمَ)، وَ(عَمَّ)، وَ(إِلَامَ)^(١)، كما في قوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾^(٢).

وتخرج (ما) عن الاستفهام الحقيقي إلى أغراض بلاغية أخرى، مثل^(٣):
 أ. التعظيم والتفخيم والتهويل، كقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ﴾^(٤).
 ب. التحقير، كقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أُتِمَّ لَهَا عَاكِفُونَ﴾^(٥).

ت. التعجب، نحو: ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾^(٦).
 ث. الإنكار، نحو: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾^(٧)، قال الخازن: "(فِيمَ): إنكارٌ لسؤالهم؛ أي: فِيمَ هذا السؤال؟"^(٨)، يقصد سؤالهم عن موعد وقوع الساعة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾^(٩).

ج. التحسر والأسى، كقول الشاعر في رثاء بغداد بعد أن اجتاحتها التتار:
 مَا لِلْمَنَازِلِ أَصْبَحَتْ لَا أَهْلَهَا أَهْلِي وَلَا جِيرَانُهَا جِيرَانِي؟^(١٠)
 ٨. ماذا:

أصلها مَكُونٌ مِنْ (مَا) وَ(ذَا). أَمَّا (مَا) فَاسْمٌ اسْتِفْهَامٌ يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَنْ غَيْرِ الْعَاقِلِ.

(١) انظر: مغني اللبيب، لابن هشام: ٣٩٣، وهمع الهوامع، للسيوطي: ٤٦١/٣.

(٢) سورة النازعات: ٤٣.

(٣) انظر: جواهر البلاغة، للهاشمي: ٨٤، وعلوم البلاغة، للمرآغي: ١٤٤.

(٤) سورة الحاقة: ١-٢.

(٥) سورة الأنبياء: ٥٢.

(٦) سورة الفرقان: ٧.

(٧) سورة النازعات: ٤٣.

(٨) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن: ٣٩٣/٤. وانظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود: ١٠٥/٩.

(٩) سورة النازعات: ٤٢.

(١٠) البيت لأبي المناقب شمس الدين محمد بن أحمد الكوفي، الشهير بالحنفي الواعظ (٦٧٥هـ) في: فَوَاتِ الْوَفَيَّاتِ، لابن شاکر الکتبی: ٢٣٣/٢، وجواهر البلاغة، للهاشمي: ٨٤.

وَأَمَّا (ذَا) فَـ "تُسْتَعْمَلُ لِلْعَاقِلِ بَعْدَ (مَا) أَوْ (مَنْ) الِاسْتِفْهَامِيَّتَيْنِ"^(١)، كَقَوْلِهِ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ إِخْوَةِ يُوسُفَ: ﴿وَأَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ﴾^(٢)، ونحو قولك: (ماذا في الدَّارِ؟).

وتقترن (ما) بِـ(ذَا)، فتصير (ماذا)، وفي ذلك أَوْجُهُ^(٣):

أ. أَنْ تكون (ما) استفهامية، و(ذا) اسم إشارة، نحو: (ماذا التَّبَاطُؤُ؟)؛ أي: ما هذا التَّبَاطُؤُ؟
ب. أَنْ تكون (ما) استفهامية، و(ذا) موصولة بمعنى (الذي)، نحو قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾^(٤)، وكقولنا: (ماذا في الكتابِ؟).

ت. أَنْ تكون (ماذا) كلّها استفهاماً على التركيب بمنزلة اسمٍ واحدٍ، كقولك: (لِمَاذَا جِئْتَ؟)، واللام في (لِمَاذَا): حرف جرٍ للتعليل.

ث. أَنْ تكون (ما) زائدة، و(ذا) اسم إشارة. أَوْ (ما) اسم استفهام، و(ذا) زائدة، وهذان الوجهان محلّ خلاف عند النحاة، وَلَهُمَا فِيهِمَا شَوَاهِدٌ وَتَخْرِجَاتٌ^(٥).

وقد تخرج (ماذا) عن الاستفهام الحقيقي إلى معانٍ أخرى تفهم من السياق، مثل^(٦):

أ. الاستحقار والإنكار، نحو: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾^(٧).

ب. الإنكار والنفي، كقوله تعالى: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾^(٨).

^(١) إرشاد السالك إلى حَلِّ أَلْفِيَةِ ابْنِ مَالِكٍ، لِإِرْهَانِ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ: ١٤٨/١.

^(٢) سورة يوسف: ٧١.

^(٣) انظر: الكتاب، لسيبويه: ١٨/٢، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٣٩٥-٣٩٨، وجمع الهوامع، للسيوطي: ٨٤/١.

^(٤) سورة البقرة: ٢١٩.

^(٥) انظر: مغني اللبيب، لابن هشام: ٣٩٧-٣٩٨.

^(٦) انظر: مفتاح العلوم، للسكاكي: ١٨٤، ومفاتيح الغيب، للفخر الرازي: ٣٦٥/٢، والإيضاح، للقزويني: ١٩/٢، والتحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور: ٣٦٤-٣٦٥ و٥٤/٥.

^(٧) سورة البقرة: ٢٦.

^(٨) سورة يونس: ٣٢. قال ابن عاشور: "وَالِاسْتِفْهَامُ هُنَا إِنْكَارِيٌّ فِي مَعْنَى النَّفْيِ، وَلِذَلِكَ وَقَعَ بَعْدُهُ الِاسْتِثْنَاءُ فِي قَوْلِهِ: "إِلَّا الضَّلَالُ"؛ فَالْمَعْنَى: مَا الَّذِي يَكُونُ إِثْرُ انْتِفَاءِ الْحَقِّ؟ وَلَمَّا كَانَ الِاسْتِفْهَامُ لَيْسَ عَلَى حَقِيقَتِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا تَرَدُّدٌ فِي الْمُسْتَفْهَمِ عَنْهُ تَعَيَّنَ أَنَّهُ إِنْكَارٌ وَإِبْطَالٌ؛ فَلَمَّا وَقَعَ الِاسْتِثْنَاءُ مِنْهُ بِقَوْلِهِ: "إِلَّا الضَّلَالُ"؛ فَالْمَعْنَى: لَا يَكُونُ إِثْرُ انْتِفَاءِ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ، إِذْ لَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُمَا. فَلَمَّا كَانَ اللَّهُ هُوَ الرَّبُّ الْحَقُّ تَعَيَّنَ أَنَّ غَيْرَهُ مِمَّا تُسَبِّتُ إِلَيْهِ الْإِلَهِيَّةُ بَاطِلٌ، وَغَبَرَ عَنِ الْبَاطِلِ بِالضَّلَالِ؛ لِأَنَّ الضَّلَالَ أَشْنَعُ أَنْوَاعِ الْبَاطِلِ". التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور: ١٥٨/١١-١٥٩.

ت. الإنكار التوبيخي، كقوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوِ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَانْفَقُوا مِمَّا مَرَرَتْهُمْ
اللَّهُ﴾^(١).

٩. كَيْفَ:

اسم استفهام يُستفهم به عن الحال^(٢). وتأتي مع الأسماء والأفعال، نحو: (كيف اجتهدك؟)، و(كيف يتحقق الخشوع؟).

وقد تخرج (كيف) عن الاستفهام الحقيقي إلى معانٍ أخرى تفهم من السياق، مثل^(٣):
أ. التوبيخ والتعجب، كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ
يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٤).

ب. التعجب، كقول المتنبي مخاطباً الحمى وَقَدْ أَصَابَتْهُ:

أَبْنَتْ الدَّهْرَ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ فَكَيْفَ وَصَلَتْ أَنْتِ مِنَ الرِّحَامِ؟!^(٥)

ت. الاستبعاد، كقول جرير في رثاء ابنه سَوَادَةَ:

قَالُوا نَصِيْبِكَ مِنْ أَجْرٍ فَقُلْتُ لَهُمْ كَيْفَ الْعَزَاءُ إِذَا فَارَقْتُ أَشْبَالِي؟^(٦)

ث. النفي، كقول الشاعر:

كَيْفَ الرَّجَاءُ مِنَ الْخُطُوبِ تَخْلُصًا مِنْ بَعْدِ مَا أَنْشَبَنِي فِي مَخَالِبَا؟^(٧)

١٠. أَيَّ:

اسم استفهام مُعَرَّب، يُستعمل للعاقل وغير العاقل، يُسأل به عن بعضٍ مِنْ كُلِّ، ويأخذ معناه مِمَّا يُضَافُ إِلَيْهِ، كما أَنَّ (أَيَّ) ملازمة للإضافة^(٨)، كما في الحديث: "سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ؟"^(٩)، وكقولك: (أَيُّ الْخَيْلِ سَتَرْكَبُ؟).

(١) سورة النساء: ٣٩.

(٢) انظر: الكتاب، لسيبويه: ٢٧٨/١، والمقتضب، للمبرد: ٦٣/٣.

(٣) انظر: الإيضاح، للقرظي: ٧٩/٣، وعلم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ١٠١-٩٦.

(٤) سورة البقرة: ٢٨.

(٥) البيت للمتنبي في ديوانه: ٤٨٤، والدُّرُّ الفريد، للمستعصي: ١٠٧/٢. وَبِنْتُ الدَّهْرِ: الحمى، وبنات الدهر: شذائده. انظر: ديوان المتنبي: ٤٨٤ حاشية رقم (٦).

(٦) البيت لجرير في ديوانه: ٥٨٤/٢، والكامل في اللغة والأدب، للمبرد: ١٧٨/١. وكلمة: "نَصِيْبِكَ" بالنصب لا غير؛ لأنه مفعول بإضمار فعل تقديره: احفظْ نَصِيْبِكَ، أَوْ احْرُزْ نَصِيْبَكَ. انظر: تعليق محمد أبو الفضل إبراهيم في تحقيقه للكامل في اللغة والأدب، للمبرد: ١٧٨/١.

(٧) البيت للمتنبي في ديوانه: ١٠٩، والمنصف للसारق والمسروق منه، لابن وكيع: ٥٢٥.

(٨) انظر: الكتاب، لسيبويه: ٤٠٤-٤٠٧، والمقتضب، للمبرد: ٢٩٦-٢٩٩، والمرتل في شرح الجمل، لابن الخشاب: ٢٧١، وشرح المفصل، لابن يعيش: ١٥٢/٢.

وجميع أسماء الاستفهام مبنية ما عدا (أَيّ) فهي معربة؛ لأنها ملازمة للإضافة، مثل:
(أَيّ كِتَابٍ شَرَحْتَ؟)، و(أَيّ طَالِبٍ غَاب؟).

وقد تخرج (أَيّ) عن الاستفهام الحقيقي إلى أغراض بلاغية أخرى، كالتعظيم، نحو:
أَصَاغُونِي وَأَيّ فَتَى أَصَاغُوا؟
لَيَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ تُعْرِ^(٢)

١١. كم:

تأتي (كم) خبرية واستفهامية. والخبرية تدل على الكثرة، كقولك: (كم كِتَابٍ قَرَأْتُ).
والمراد -هنا- الاستفهامية، و(كم) الاستفهامية: اسم يُستفهم به عن العدد، فهو واقع على كُلِّ مَعْدُودٍ^(٣). وهي اسم استفهام مبهم، تقتصر إلى مُمَيِّز، ويكون تمييزها مفردًا منصوبًا؛ لذا تحتاج (كم) الاستفهامية إلى ما يوضح إبهامها^(٤). وتأتي مع الأسماء والأفعال، ومثالها: (كم كِتَابًا قَرَأْتُ؟)، وقد يُحذف المميز فيقال: (كم مَالِك؟)؛ أي: (كم دِرْهَمًا مَالِك؟)^(٥).
ويرى الكسائي والفراء من الكوفيّين أنّ "(كم) بَوَجْهَيْهَا -الاستفهامية والخبرية- مُرَكَّبَةٌ من (كاف) التَّشْبِيهِ و(ما) الاستفهامية، وَحُذِفَتْ أَلِفُهَا كَمَا تُحذف مَعَ سَائِرِ حُرُوفِ الْجَرِّ نَحْو: (بِمَ)، و(لِمَ)، و(عَمَّ)، كَثُرَ الاسْتِعْمَالُ لَهَا فَأَسْكَنْتْ وَحْدَتْ لَهَا بِالتركيب معنًى غير الذي كان لكل واحد من مفرديهما كَمَا قَالَه النحويون فِي (الْوَلَا) وَ(هَلَّا)"^(٦)، لكنّ البصريّين يرونها مفردة لا مُركبة، واحتجوا فقالوا: "إنما قلنا إنها مفردة؛ لأنّ الأصل هو الإفراد، وإنّما التركيب فَرْعٌ، وَمَنْ تَمَسَّكَ بالأصل خرج عن عَهْدَةِ المطالبة بالدليل، وَمَنْ عَدَلَ عن الأصل افتقر إلى إقامة الدليل؛ لعدوله عن الأصل، واستصحاب الحال أحد الأدلة المعتبرة"^(٧). والصواب -الذي تميل إليه النَّفْسُ- أنها مفردة كما قال البصريون؛ لإمكان دخول حرف الجر عليها، فنقول: (بكم دِرْهَمًا بَعْتَ دَارَكَ؟)،

(١) صحيح مسلم، للإمام مسلم، باب بيان تفاضل الإسلام، وأَيّ أَمُورِهِ أَفْضَلُ: ٦٦/١، حديث رقم: (٤٢).

(٢) البيت للعزجيّ في ديوانه: ٣٤، والصاحح، للجوهري: ٤٨٥/٢. والصواب ما أثبتته مِنْ كَثَرِ سَيِّنٍ (سِدَادٍ)، وهكذا هي في الديوان وغيره من المراجع؛ لأنّ (السَّدَاد) يَفْتَحُ السَّيْنِ: الإصَابَةُ والقُصْدُ، والسَّدَادُ فِي الدِّينِ: القُصْدُ فِيهِ. و(السِّدَاد) يَكْسِرُ السَّيْنِ: البُلْغَةُ، وَكُلُّ مَا سَدَدَتْ بِهِ خَلًّا فَهُوَ سِدَادٌ. انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: ١٩٥/١٢، والمزهر، للسيوطي: ٢٥٥/٢.

(٣) انظر: الكتاب، لسبويه: ١٥٦-١٥٨، والمقتضب، للمبرد: ٥٥/٣-٦٠.

(٤) انظر: المقتضب: ٦٢/٣، واللمحة في شرح الملحّة، لابن الصائغ: ٤٣٧/١، والمساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل: ١٠٦/٢.

(٥) انظر: المفصل في صنعة الإعراب، للزمخشري: ٢٢٥.

(٦) همع الهوامع، للسيوطي: ٦٠٢/٢.

(٧) الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات الأنباري: ٢٤٥/١.

و(بِكُمْ دِرْهَمًا اشْتَرَيْتَ ثَوْبَكَ؟)^(١)؛ فَلَوْ كَانَتْ مُرَكَّبَةً مِنْ حَرْفِ الْجَرِّ وَالتَّشْبِيهِ (الكاف) و(ما) الاستفهامية لَمَا صَلَحَ دُخُولُ حَرْفِ جَرٍّ عَلَى حَرْفِ جَرٍّ آخَرَ.

وتشترك (كم) الخبرية والاستفهامية فِي خَمْسَةِ أُمُورٍ، وهي: "الاسمية، والإبهام، والافتقار إِلَى التَّمْيِيزِ، والبناء، ولُزُومُ التصدير"^(٢). لكنهما تَفْتَرِقَانِ فِي خَمْسَةِ أُمُورٍ أَيْضًا، وهي^(٣):

أ. إِنَّ الْكَلَامَ مَعَ (كم) الخبرية مُحْتَمَلٌ لِلتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، بِخِلَافِ الْكَلَامِ مَعَ (كم) الاستفهامية.

ب. إِنَّ الْمُتَكَلِّمَ بِ (كم) الخبرية لَا يَطْلُبُ جَوَابًا؛ لِأَنَّهُ مُخْبِرٌ، وَالمُتَكَلِّمُ بِ (كم) الاستفهامية يَحْتَاجُ جَوَابًا؛ لِأَنَّهُ مُسْتَحْبِرٌ.

ت. إِنَّ الْأِسْمَ الْمُبْدَلَ مِنَ الْخَبَرِ لَا يَقْتَرِنُ بِالْهَمْزَةِ بِخِلَافِ الْمُبْدَلَ مِنَ الْاسْتِفْهَامِ، فَيُقَالُ فِي الْخَبَرِ: (كَمْ كِتَابٌ لِي خَمْسُونَ بَلْ سِتُّونَ)، وَفِي الْاسْتِفْهَامِ: (كَمْ مَالُكَ أَعَشْرُونَ أَمْ ثَلَاثُونَ؟).

ث. إِنَّ تَمْيِيزَ (كم) الخبرية مُفْرَدٌ أَوْ مَجْمُوعٌ، نَقُولُ: (كَمْ كِتَابٌ قَرَأْتُ)، وَ(كَمْ كُتُبٌ مَلَكَتُ)، وَلَا يَكُونُ تَمْيِيزُ الْاسْتِفْهَامِ إِلَّا مُفْرَدًا خِلَافًا لِلْكَوْفِيَّيْنِ، فنَقُولُ: (كَمْ كِتَابًا قَرَأْتُ؟).

ج. إِنَّ تَمْيِيزَ الْخَبَرِ وَاجِبُ الْجَرِّ، وَتَمْيِيزُ الْاسْتِفْهَامِ مَنصُوبٌ.

وقد تخرج (كم) الاستفهامية عن الاستفهام الحقيقي إِلَى أَغْرَاضٍ بِلَاغِيَةٍ أُخْرَى، نَقُومُ مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ، مِثْلُ^(٤):

أ. الْاسْتِبْطَاءُ، كَقَوْلِكَ لِمُخَاطَبٍ دَعَوْتُهُ فَأَبْطَأَ فِي الْاسْتِجَابَةِ: (كَمْ دَعَوْتُكَ؟)؛ "فليس المراد - هُنَا - الاستفهام عن عدد مرات الدعوة أو النداء، وإنما المراد أَنَّ تَكَرَّرَ الدَّعْوَةُ قَدْ بَاعَدَ

(١) انظر: المقتضب، للمبرد: ٥٦/٣، والأصول في النحو، لابن السراج: ٣٢٤/١، وهمع الهوامع، للسيوطي: ٦٠٣/٢. ويجوز جَرُّهُ بِ (مِنْ) مُضْمَرَةٍ؛ لدخول حرف جر ظاهر وهو (الباء)، فنقول: (بِكُمْ دِرْهَمٌ بَعْتَ دَارَكَ؟)، والتقدير: (بِكُمْ مِنْ دِرْهَمٍ بَعْتَ دَارَكَ؟)، ونقول: (بِكُمْ دِرْهَمٌ اشْتَرَيْتَ ثَوْبَكَ؟)؛ أَي: (بِكُمْ مِنْ دِرْهَمٍ اشْتَرَيْتَ ثَوْبَكَ). انظر: شمس العلوم، لنشوان الحميري: ٥٧١٠/٩، وشرح ألفية ابن مالك "تحرير الخصاصة"، لابن الوردي: ٦٦٧/٢، وتوضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ١٢٤/١، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٦٧/٣.

(٢) مُغْنِي اللَّيْبِ، لابن هشام: ٢٤٣.

(٣) انظر: مُغْنِي اللَّيْبِ، لابن هشام: ٢٤٤-٢٤٥.

(٤) انظر: مفتاح العلوم، للسكاكي: ٣١٤، وتحقيق الفوائد الغياثية، للكُرْمَانِي: ٥٩١/٢، وعلم المعاني، د. عبدالعزيز عتيق: ١٠٠.

بين زمن الإجابة وزمن السؤال، وفي ذلك إبطاء^(١)، وَمِنْ أَمْثَلَةِ الاستبطاء: (كَمْ انْتَضَرْتُكَ؟).

ب. الإنكار، كَقَوْلِكَ لِمُخَاطَبٍ يُكَرِّرُ دُعَاكَ بِلا ضرورةٍ ولا فائدةٍ: (كَمْ تَدْعُونِي؟).

ت. التهديد، كَقَوْلِكَ لِمُخَاطَبٍ ازداد سَخَطُكَ عليه: (كَمْ أَهْلُمُ؟).

١٢. مَنْ - مَنْ ذَا:

(مَنْ): اسم استفهام يُستفهم به عن العاقل^(٢). ويكون محلها الرفع أو النصب أو الجر؛

أَي: تُعرب حسب موقعها في الجملة^(٣). وتدخل على الأسماء والأفعال، مثل: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا

يَا مُوسَى﴾^(٤)، وكقولنا: (مَنْ جاء؟).

وقال ابن هشام: "(مَنْ) الاستفهامية أَشْرَبَتْ معنى النَّفْيِ، وَمِنْهُ: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا

اللَّهُ﴾^(٥) "أَي: أَنَّ الاستفهام بِ (مَنْ) خَرَجَ - فِي الْآيَةِ - إِلَى معنى النفي.

وقد تخرج (مَنْ) عن الاستفهام الحقيقي إلى أغراض بلاغية أخرى كالتعظيم، نَحْوُ قَوْلِ

طَرَفَةَ:

(١) علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ١٠٠.

(٢) انظر: اللمع في العربية، لابن جني: ٢٢٨، وشرح التسهيل، لناظر الجيش: ٧٣٨/٢، وارتشاف الضرب، لأبي حيان الأندلسي: ٦٩٢/٢.

ولا تُسْتَعْمَلُ (مَنْ) فيما لا يَعْقِلُ إِلَّا فِي حَالَتَيْنِ: "إحدهما: أَنْ تنزل منزلة مَنْ يَعْقِلُ، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ

مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ﴾ [الأحقاف: ٥]؛ فعَبَّرَ بِ(مَنْ) عن الأصنام؛ لتتزيلها منزلة مَنْ يعقل.

الثانية: إِذَا جاء مَعَ مَنْ يعقل بشمولٍ أو اقترانٍ، أَمَّا الشمولُ فكقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَنْ فِي

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٤١]، وكقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ مِرْجَلَيْنِ﴾ [النور: ٤٥]؛ لِأَنَّ الماشي

على رجله عاقل كالإنسان وغير عاقل كالطائر. وَأَمَّا الاقترانُ فكقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ

مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾ [النور: ٤٥]، ثُمَّ قال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ مِرْجَلَيْنِ﴾. قال ابن الضائع: "قوله تعالى:

"فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ" مِمَّا غَلَبَ فِيهِ مَنْ يَعْقِلُ عَلَىٰ مَنْ لَا يَعْقِلُ؛ لاختلاطهما، وذلك أَنَّ كُلَّ دَابَّةٍ هُنَا

يَعْمُ العاقل وغيره؛ فَغَلَبَ مَنْ يَعْقِلُ، فَقِيلَ: "فَمِنْهُمْ مَنْ"؛ لِأَنَّ "هُمْ" ضمير العاقلين؛ فلَمَّا كان المذكور بعد

"مِنْهُمْ" بعض هذا الضمير الَّذِي هو العاقل عَبَّرَ عنه بلفظ مَنْ يعقل أَيْضًا؛ تَتِمِيمًا لِلتَّغْلِيظِ". شرح التسهيل،

لناظر الجيش: ٧٣٨/٢-٧٤٠.

(٣) انظر: اللمع في العربية، لابن جني: ١٤٨.

(٤) سورة طه: ٤٩.

(٥) سورة آل عمران: ١٣٥.

(٦) مغني اللبيب، لابن هشام: ٤٣١.

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَى؟ خَلْتُ أَنَّنِي غُنِيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ^(١)
(مَنْ ذَا): وتُسْتَعْمَلُ للعاقل، و(مَنْ) اسم استفهام مبني، أمَّا (ذَا) فَمِنْ النُّحَاةِ مَنْ عَدَّهَا
اسمَ إشارةٍ بمعنى (هذا)، كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا﴾^(٢). وَعَدَّهَا آخَرُونَ:
اسمًا موصولًا^(٣)، كقولنا: (مَنْ ذَا يُوَاسِي الْحَزِينَ؟).

وقد تخرج (مَنْ ذَا) عن الاستفهام الحقيقي إلى أغراض بلاغية أخرى كالتعظيم^(٤)، نحو
قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٥)، ورأى فريق من العلماء أَنَّ الاستفهامَ في الآية
للنفي، والتقديرُ عندهم: لَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَدِّمَ أَحَدٌ عَلَى الشَّفَاعَةِ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ^(٦)، وَكِلَا الْفَرِيقَيْنِ
مُصِيبٌ؛ لِأَنَّ مَنْ نَفَى إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُعْظَمَ، ذَاكَ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ الْأَصْنَامَ تَشْفَعُ
لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَجَاءَتْ الْآيَةُ تُعْظِمُ اللَّهَ وَتُظْهِرُ كِبْرِيَاءَهُ مَعَ نَفْيِ الشَّفَاعَةِ لِأَحَدٍ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِ
مَنْه عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٧).

تركيب الاستفهام في المفهوم التحويلي:

يوجد اختلاف في تحليل تركيب الجملة الاستفهامية في النحو التحويلي عنه في النحو
العربي القديم، فيلتقيان في نقاط، ويفترقان في أخرى، وَأَهْمُ الْأُمُورِ الَّتِي يَرْكُزُ عَلَيْهَا التَّحْوِيلِيُّونَ
فِي تَحْلِيلِهِمْ لَجُمْلَةِ الْاسْتِفْهَامِ قِضَايَا ثَلَاثَ، وَهِيَ^(٨): (المعنى الذي يُؤَدِّيهِ تركيب الاستفهام)،
و(طرائق تأدية هذا المعنى)، و(طبيعة الجملة الاستفهامية)، وهذا توضيحها:

١. المعنى الذي يُؤَدِّيهِ تركيب الاستفهام:

-
- (١) البيت لطرفة بن العبد في ديوانه: ٢٤، والكامل في اللغة والأدب، للمبرد: ٩٧/١.
(٢) سورة البقرة: ٢٤٥، وسورة الحديد: ١١.
(٣) انظر: توضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ٤٣٩/١، وأوضح المسالك، لابن هشام: ١٦٦-١٦٨، وشرح
التصريح على التوضيح، للوقاد: ١٦٤/١.
(٤) انظر: الإيضاح، للقزويني: ٨٠/٣، وجواهر البلاغة، للهاشمي: ٨٤.
(٥) سورة البقرة: ٢٥٥.
(٦) انظر: مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، لفخر الدين الرازي: ١١/٧، والبحر المحيط في التفسير، لأبي حيان
الأندلسي: ٦١٠/٢، وعلم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ٩٦.
(٧) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي: ٦١٠/٢.
(٨) انظر: في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل عمايرة: ١٠٨، وأسلوبا النفي والاستفهام في
العربية، د. خليل عمايرة: ١٠، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ١١٠-١١٢.

يتعامل التحويليون مع الاستفهام على أساس المعنى، فهو عندهم باب من أبواب المعنى، حيث يطلب المُخاطَبُ مِنَ المُخاطَبِ أَنْ يُعْلِمَهُ بشيءٍ لم يكن معلوماً له مِنْ قَبْلُ، وهذا هو -عند النحاة والبلاغيين- الاستفهام الحقيقي.

لكن لو خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازي آخر فإن كلمة الاستفهام "لا تكون للاستفهام، وإنما هي للمعنى الذي جاءت له في الجملة. يدل السياق على هذا المعنى، والسياق عنصر رئيس من عناصر المعنى"^(١).

فَلَوْ خَرَجَتْ (هَلْ) الاستفهامية -مثلاً- إلى معنى التشويق فلا تكون (هَلْ) حينئذٍ للاستفهام، إنما للتشويق، ولا يكون الكلام إنشائيًا طلبيًا أو غير طلبيًا؛ ذلك لأن المتكلم ليس جاهلاً بالحكم يسأل عن شيء لم يكن يعلمه مِنْ قَبْلُ، بل هو عالم به، لكنه أراد أن يُثِيرَ شَوْقَ المُخاطَبِ، وَمِنْ أمثلة ذلك: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُجِيبُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾^(٢)، وهذا لا خلاف فيه بين السادة النحاة والتحويليين.

٢. طرائق تأدية الاستفهام:

يقوم أسلوب الاستفهام على طرائق ثلاث، وهي^(٣): (كلمات الاستفهام)، و(كلمة تدل على الاستفهام)، و(التنغيم الصوتي).

أما الطريقة الأولى وهي (كلمات الاستفهام) فإنه يختلف مفهوم الاستفهام بين النحاة والتحويليين، فَيُقَسَّمُ الاستفهام -عند النحاة- إلى حرفين: (الهمزة، وَهَلْ)، وأسماء: (ما، وأين، وكيف، ... إلخ). في حين ينظر التحويليون إلى كلمات الاستفهام على أنها عناصر أو مركبات استفهامية، وأن ما يُسَمَّى في عرف النحاة أسماء استفهام لا علاقة له بالاسمية ولا الفعلية، ولا تحتاج إلى محل إعرابي، وأنها من أدوات المعاني، تقوم بنقل الجملة وتحويلها من معنى إلى آخر تحمله، ف(أَيْنَ) -مثلاً- تُحوِّلُ الجملة من الإخبار المحايد إلى جملة تحويلية طلبية تحمل معنى السؤال عن المكان، و(كيف) تحول الجملة إلى معنى السؤال عن الحال... وهكذا^(٤).

^(١) في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل عمايرة: ١١٣، وأسلوبا النفي والاستفهام في العربية، د.

خليل عمايرة: ١٥.

^(٢) سورة الصف: ١٠.

^(٣) انظر: في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل عمايرة: ١٠٨، وأسلوبا النفي والاستفهام في

العربية، د. خليل عمايرة: ١٠، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ١١٠-

١١٢.

^(٤) انظر: في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل عمايرة: ١١٥ و ١٣٥، وأسلوبا النفي والاستفهام

في العربية، د. خليل عمايرة: ١٧ و ٣٧، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي:

١١٠.

وكلمات الاستفهام في النظرية التحويلية "عناصر موضوعة في الأصل اللغوي للدلالة على هذا المعنى بنفسها، وليست نائبة عن غيرها مِنْ فِعْلٍ أَوْ اسْمٍ"^(١).
أما الطريقة الثانية مِنْ طرائق تأدية الاستفهام فهي (الكلمة الدالة على الاستفهام)، وَيُسَمَّى (الاستفهام غير المباشر)؛ ويقصد به: "تعبير المتكلم عن معنى الاستفهام بغير استعمال أداة من أدوات الاستفهام، وبغير تنغيم؛ فيستعمل المتكلم لذلك فِعْلاً أَوْ اسْماً يفيد هذا المعنى"^(٢)، نحو: (أَسْأَلُ عَنْ زَيْدٍ)، أَوْ (أَسْتَفْهِمُ عَنْ الطَّالِبِ)، أَوْ أَيْ فِعْلٍ كهذا المعنى، مثل: (أَسْأَلُ، يَسْأَلُ، يسألني، ...)، أَوْ أَيْ اسْمٍ مِنْ هذا القبيل، مثل: (استفهامي عن ...)، و(سؤالي عن ...).

وَرَدَ هذا النوع من الاستفهام في القرآن الكريم، منه ما هو متبوع بِ(نُعْمَة صوتية) في الجملة التالية له، نَحْو: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾^(٣)، ومنه ما جاء دون نُعْمَة صوتية ودون حرف استفهام، نَحْو: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾^(٤)؛ فأفاد الفعلان السابقان (يَسْأَلُونَ) معنى السؤال والاستفهام مِنْ غير وجود لعنصرٍ مباشرٍ -كالْحَرْفِ أَوْ الاسم- في إفادة الاستفهام^(٥).
أما الطريقة الثالثة مِنْ طرائق تأدية الاستفهام فهي (التنغيم الصوتي)، وهو ما يسمى عند النحاة العرب بالاستفهام محذوف الكلمة "الحرف أو الاسم"، والتنغيم: هو "ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام"^(٦)، وتعتمد اللغة العربية كغيرها مِنَ اللغات عَلَى التنغيم الصوتي في نَقْل المعنى^(٧)؛ إذْ هذا دَأْبُ اللغات الطبيعية في تحديد معانيها؛ فتحيّة الترحيب التي تُلقِيها: (مَرْحَبًا) تحملُ أكثر مِنْ معْنَى وَفَقَّ التنغيم الصوتي، مِنْ إشعارٍ بِالرَّضَى، أَوْ بالغضب وعدم الارتياح، وَمِنْ أمثلة الاستفهام بالتنغيم الصوتي قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي

(١) القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ١١١.

(٢) في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل عمايرة: ١٥٢، وأسلوبا النفي والاستفهام في العربية، د. خليل عمايرة: ٥٤.

(٣) سورة البقرة: ٢١٧.

(٤) سورة البقرة: ١٨٩.

(٥) انظر: في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل عمايرة: ١٥٢، وأسلوبا النفي والاستفهام في العربية، د. خليل عمايرة: ٥٤.

(٦) مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان: ١٦٤.

(٧) انظر: في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل عمايرة: ١٤٩، وأسلوبا النفي والاستفهام في العربية، د. خليل عمايرة: ٥١.

جَاعِلِكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ^(١)؛ فالسؤال الذي اعتمد على النغمة الصوتية: "وَمِنْ ذُرِّيَّتِي؟"، والجواب: "لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ".

كما أننا نستعمل التنغيم الصوتي في حياتنا اليومية، فنقول مثلاً: (هِيَ جَمِيلَةٌ جِدًّا)، فحينما نقولها بِنَغْمَةٍ صَاعِدَةٍ فِي أَوَّلِهَا، هَابِطَةٍ فِي آخِرِهَا؛ فإننا نعني بذلك جُمْلَةً خَبَرِيَّةً، ولكن إذا قُلْنَاهَا بِنَغْمَةٍ هَابِطَةٍ فِي أَوَّلِهَا، صَاعِدَةٍ فِي آخِرِهَا؛ فإننا نعني بذلك جملة استفهامية، وهذا يدل على أَنَّ المعنى يختلف مَعَ أَنَّ الصيغة واحدة، وهذا كله يدل دلالة واضحة على أَنَّ التنغيم الصوتي يكشف عن المعنى المقصود^(٢).

وَمِنْ الأمثلة أَيْضًا: (أَنْتَ نَاجِحٌ)، و(أَنْتَ نَاجِحٌ؟)، و(أَنْتَ نَاجِحٌ!)، فالأولى خبرية، والثانية استفهامية، والأخيرة تعجبية، ولا يمكن التفريق بينها إلا بالتنغيم الصوتي.

٣. طبيعة الجملة الاستفهامية:

إن جملة الاستفهام في المفهوم التحويلي هي جملة تحويلية، تحولت من معنى الإخبار المحايد إلى المعنى الجديد الذي يحمله الاستفهام فيها، أَكَّدَ ذلك د. عميرة حين قال: "والذي نراه أَنَّ جملة الاستفهام جملة تحويلية اسمية أو فعلية، لها أصل توليدي يقصد به الإخبار، ولكن يحذف منها أحد أركانها الرئيسة (الفاعل، أو الخَبَر)؛ فتبقى جملة تحويلية بالحذف، ثم يدخل عليها عنصر الاستفهام، الذي هو دائماً أداة، ولا علاقة له بالاسمية، كما لا علاقة له بالفعلية"^(٣).

فَلَوْ أَخَذْنَا -مَثَلًا- جملة (أَكَانَ زَيْدٌ مُسَافِرًا؟) فنجدها جملة تحويلية أصلها توليدي وهو: (زَيْدٌ مُسَافِرٌ)، ثم دخل عليها عنصر التحويل الذي يشير إلى الزمن الماضي (كَانَ)؛ فأصبحت جملة تحويلية اسمية: (كَانَ زَيْدٌ مُسَافِرًا)، ووجود (كَانَ) في صَدْرِهَا لا يخرجها مِنْ أَطْرِ الجملة الاسمية، ولكنه أخرجها مِنَ الإطار التوليدي إلى الإطار التحويلي، ثُمَّ دَخَلَ عليها عنصر تحويلي آخر، وهو (همزة الاستفهام)؛ فتحولت إلى: (أَكَانَ زَيْدٌ مُسَافِرًا؟)^(٤).

(١) سورة البقرة: ١٢٤.

(٢) انظر: في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل عميرة: ١٤٨-١٤٩، وأسلوب النفي والاستفهام في العربية، د. خليل عميرة: ٥٠-٥١.

(٣) في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل عميرة: ١١٥، وأسلوب النفي والاستفهام في العربية، د. خليل عميرة: ١٧، وانظر: قواعد تحويلية لِلُّغَةِ العربية، د. محمد علي الخولي: ٢٠٨-٢١٠.

(٤) انظر: في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل عميرة: ١٢١-١٢٣، وأسلوب النفي والاستفهام في العربية، د. خليل عميرة: ٢٣-٢٤، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ١١٢.

أما لو كانت الجملة نحو: ﴿مَا لَوْهَا﴾^(١)، فإن أصلها التوليدي: (لُون + Ø "محذوف")؛ أي: مبتدأ + Ø محذوف وهو الخبر، وهذا الخبر هو الذي يظهر في إجابة السؤال السابق، فنجيب: لَوْنُهَا أبيض، أو أصفر، أو ...، ثم دخل عليها عنصر الاستفهام؛ فصارت الجملة (ما لَوْنُهَا؟)، وتحليله كالآتي: (عنصر استفهام + مبتدأ + Ø محذوف)، وينطبق ذلك -أيضاً- على الآية: ﴿مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾^(٢)، وعلى قولنا: (ما زَيْدٌ؟)، وهذه الجمل قائمة على الحذف غالباً^(٣).

وستعتمد هذه الدراسة -إن شاء الله تعالى- هذا التحليل في تحليل تركيب الاستفهام؛ لأنه يُعَيِّرُ بوضوح عن صيغة الاستفهام، مع سهولة تطبيقه وقدرته على نقل المعنى المطلوب من تركيب الاستفهام وفق السياق والقرائن.

أَوْدُ أَنْ أُشِيرَ -هنا- إلى ما ذهب إليه د. عميرة من أن أسماء الاستفهام لا علاقة لها بالاسمية، ولا تحتاج إلى محل إعرابي، وأن اسم الاستفهام -في نظره- عنصر تحويل زائد، لا علاقة له بالاسمية، إنما هي أداة ليس غير^(٤).

لكن التحليل يشهد بخلاف ذلك، وهو أن اسم الاستفهام له موقع الاسم في الجواب، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ اسْمِيَّتَهُ كَمَا أَخَذَ مَوْقِعَهُ الْإِعْرَابِي، فحينما نسأل: (ما اسمُكَ؟)، فيأتي الجواب: (اسمي زَيْدٌ؟) فَقَدْ حَلَّتْ (ما) محلَّ الاسم (زيد)، وَحَلَّتْ -أيضاً- محلَّه في موقعه الإعرابي الواقع خبراً للمبتدأ، وعليه فإن (ما) تأخذ الحُكْمَ الإعرابي وهو الخبرية.

وَمِنْ الآراء التحليلية لكلمات الاستفهام ما رآه د. الفهري أن عنصر الاستفهام كان موجوداً أصلاً داخل بنية الجملة، مؤلّوداً فيها، ثم انتقل إلى ما وَصَفَهُ النحاة بأنه صَدْرُ الكلام^(٥)؛ فحينما نسأل (ما اسمُكَ؟)؛ فالتقدير: (اسمُكَ هُوَ الَّذِي أَسْأَلُ عَنْهُ) أَوْ (لَمْ أَعْرِفْ اسْمَكَ) أَوْ أي تقدير مناسب، فيأتي السؤال مُصَرِّحاً مُصَدِّراً باسم الاستفهام: (ما اسمُكَ؟).

(١) سورة البقرة: ٦٩، والآية بتمامها: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾.

(٢) سورة الانفطار: ١٧ و ١٨. والآيتان بتمامهما: ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَذْرَكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾.

(٣) انظر: في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل عميرة: ١٣٠-١٣١، وأسلوبا النفي والاستفهام في العربية، د. خليل عميرة: ٣٢-٣٣، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ١١٢.

(٤) انظر: في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل عميرة: ١٣٠-١٣١ و ١٣٥، وأسلوبا النفي والاستفهام في العربية، د. خليل عميرة: ٣٢-٣٣ و ٣٧.

(٥) انظر: اللسانيات واللغة العربية، د. عبد القادر الفاسي الفهري: ١/١١١.

والاستفهام - كما هو معلوم - إمّا بالحرّفين (الهمزة، وَهَلْ)، وَهُمَا حرفان لا محلّ لهما من الإعراب، وإمّا بالأسماء بنوعيّها الظرفية وغير الظرفية: (مَتَى، وَأَيْنَ، وَمَا، وَمَنْ، ...) وهي أسماء لها محلّ من الإعراب. فالاستفهام على قسمين: مُرَكَّبَات حَرْفِيَّة، وَمُرَكَّبَات اِسْمِيَّة.

تراكيب الاستفهام الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ^(١):

يُعَدُّ تركيب الاستفهام ثالث التراكيب الإنشائية -الطلبية وغير الطلبية- استخدامًا في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ بعد الأمر والنداء؛ ولا سيما أنّ الاستفهام -عند خروجه عن معناه الأصلي- يحمل معاني بلاغية تُفهم من سياق الجملة، كالنفي، والتعجب، والتمني، والتعظيم، والتقرير، والتحقيق، والاستبطاء، والتسوية، والإنكار، والوعيد، والتشويق، والأمر، والنهي، والتحضيض، وغيرها من الأغراض البلاغية، وهذا لا شك أنه يدل على قدرة تركيب الاستفهام احتمال هذه المعاني التي يصبو إليها أيّ خطيبٍ مُفَوِّهٍ بليغٍ؛ فكيف إن كان الخطيب هو سَيِّدُ الْبُلَغَاءِ الْفُصَحَاءِ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ؟

ولم يحمل الاستفهام في معظم هذه الخُطَبِ المعنى الحقيقي، إنما وَرَدَ لِمَعَانٍ مَجَازِيَّةٍ بلاغية.

وَقَدْ بَلَغَتْ تراكيب الاستفهام في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ (ثَلَاث مِائَةٍ وَخَمْسَةَ وَخَمْسِينَ) تركيبًا، منها: (مِائَةٌ وَخَمْسَةَ عَشَرَ) تركيبًا بالهمزة^(٢)، وَ(ثَمَانِيَّةٌ وَخَمْسُونَ) تركيبًا بِهَلْ^(٣)، وَ(اِثْنَا عَشَرَ) تركيبًا بِأَيْنَ^(٤)، وَ(تَرْكِيْبٌ وَاحِدٌ) بِأَيَّ^(٥)، وَ(تَرْكِيْبٌ وَاحِدٌ) بِمَتَى^(٦)، وَ(سِتَّةٌ وَثَمَانُونَ) تركيبًا

(١) الكتاب الذي سَيُطَبِّقُ عليه الباحثُ القواعدَ التحويليةَ هو: (خُطَبُ الرسول ﷺ، ٥٧٤ خطبة من كنوز الدُرر وجوامع الكلم)، الموسوم بـ (إتحاف الأنام بخُطَبِ رسول الإسلام سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)، جَمَعَهَا وَشَرَحَهَا: مُحَمَّدٌ خَلِيلُ الْخَطِيبِ.

(٢) انظر مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣) فِي خُطَبِ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٧، وَخُطْبَةٌ (٢٧): ١٩، وَخُطْبَةٌ (١٢١): ٦٦، وَخُطْبَةٌ (١٧٣): ٨٩، وَخُطْبَةٌ (٢٤٧): ١٢٤-١٢٥، وَخُطْبَةٌ (٤٦٠): ٢٣٨-٢٣٩، وَخُطْبَةٌ (٥١١): ٢٦٥، وَخُطْبَةٌ (٥٣٠): ٢٧٩-٢٨١، وَخُطْبَةٌ (٥٣٢): ١٨٣-١٨٤، وَخُطْبَةٌ (٥٣٤): ٢٨٤-٢٨٥.

(٣) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٧): ٢٧-٢٨، وَخُطْبَةٌ (٦٧): ٣٩، وَخُطْبَةٌ (١١٦): ٦٢-٦٤، وَخُطْبَةٌ (١٧٢): ٨٨-٨٩، وَخُطْبَةٌ (٢٨٧): ١٤٥-١٤٦، وَخُطْبَةٌ (٢٩٢): ١٤٨، وَخُطْبَةٌ (٤٠٠): ٢٠١-٢٠٢، وَخُطْبَةٌ (٥٣٠): ٢٧٩-٢٨١، وَخُطْبَةٌ (٥٤٣): ٢٩٣-٢٩٦، وَخُطْبَةٌ (٥٥١): ٣٠١.

(٤) هي: خُطْبَةٌ رَقْمُ (١٤٦): ٧٧-٧٨، وَخُطْبَةٌ (٢١٠): ١٠٧-١٠٨، وَخُطْبَةٌ (٤٦٠): ٢٣٨-٢٣٩، وَخُطْبَةٌ (٥١٥): ٢٦٧-٢٦٨ وفيها أربعة مواضع، وَخُطْبَةٌ (٥٣٤): ٢٨٤-٢٨٥، وَخُطْبَةٌ (٥٤١): ٢٩١-٢٩٢ وفيها موضعان، وَخُطْبَةٌ (٥٤٢): ٢٩٢-٢٩٣، وَخُطْبَةٌ (٥٦١): ٣٠٧.

(٥) هي: خُطْبَةٌ رَقْمُ (١٤٦): ٧٧-٧٨.

(٦) هي: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٥٣): ١٢٨.

بِمَا^(١)، وَ(أَرْبَعَةَ عَشَرَ) تَرْكِيبًا بِمَاذَا^(٢)، وَ(ثَمَانِيَةَ) تَرَكَيبٍ بِكَيْفَ^(٣)، وَ(ثَمَانِيَةَ) تَرَكَيبٍ بِأَيِّ^(٤)، وَ(خَمْسَةَ وَعِشْرُونَ) تَرْكِيبًا بِمَنْ^(٥).

كَمَا وَرَدَ (ثَمَانِيَةَ عَشَرَ) تَرْكِيبًا بِحَذْفِ أَلِفِ "مَا" الِاسْتِفْهَامِيَةِ^(٦)، وَ(ثَمَانِيَةَ) تَرَكَيبٍ بِحَذْفِ حَرْفِ الِاسْتِفْهَامِ، وَهُوَ مَا يُعْرَفُ بِ(التَّنْغِيمِ الصَوْتِيِّ)^(٧).

وَوَرَدَ (تَرْكِيبٌ وَاحِدٌ) بِالِاسْتِفْهَامِ غَيْرِ الْمُبَاشَرِ عَنْ طَرِيقِ فِعْلٍ يَفِيدُ الِاسْتِفْهَامَ، وَهُوَ (سَأَلَ)^(٨). وَلَمْ يَرِدْ -فِي هَذِهِ الْخُطَبِ- الِاسْتِفْهَامُ بِ(كَمْ)، وَ(أَيَّانَ)، وَ(مَنْ ذَا).

يُبَيِّنُ الْجَدُولُ الْآتِي كَلِمَاتِ الِاسْتِفْهَامِ الْوَارِدَةِ فِي كِتَابِ خُطَبِ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ الْأَكْثَرِ إِلَى الْأَقَلِّ اسْتِخْدَامًا:

م	كلمة الاستفهام	عدد الاستخدام

^(١) منها: خطبة رقم (١٣): ١٢-١٣، خطبة (٣٤): ٢٢، خطبة (٢٣٨): ١٢١-١٢٢، خطبة (٢٦٠): ١٣١-١٣٢، خطبة (٢٨٨): ١٤٦-١٤٧، خطبة (٣٩٢): ١٩٦، خطبة (٤٦٨): ٢٤٣-٢٤٤، خطبة (٥٣٠): ٢٧٩-٢٨١، خطبة (٥٣١): ٢٨١-٢٨٣، خطبة (٥٥٩): ٣٠٥-٣٠٦.

^(٢) هي: خطبة رقم (٢٠٠): ١٠١-١٠٢، خطبة (٢٩٦): ١٥٠ وفيها موضعان، خطبة (٣١٠): ١٥٦-١٥٧، خطبة (٣٣٠): ١٦٩-١٧٠ وفيها ثلاثة مواضع، خطبة (٣٥٧): ١٨٠، خطبة (٣٧٣): ١٨٧-١٨٨ وفيها موضعان، خطبة (٤٧٩): ٢٤٨-٢٤٩، خطبة (٥٠٢): ٢٦٠-٢٦١، خطبة (٥٤٠): ٢٩١، خطبة (٥٧٠): ٣١٢-٣١٤ لكنها مكذوبة مِنْ صُنْعِ الْوَضَّاعِينَ.

^(٣) هي: خطبة رقم (٢٧): ١٩، خطبة (١٩٣): ٩٧-٩٨، خطبة (٢٨٨): ١٤٦-١٤٧، خطبة (٣١٠): ١٥٦-١٥٧، خطبة (٣٢٧): ١٦٦-١٦٧ وفيها موضعان، خطبة (٣٥٥): ١٧٩-١٨٠، خطبة (٥٣٠): ٢٧٩-٢٨١.

^(٤) هي: خطبة رقم (١٢١): ٦٦ وفيها ثلاثة مواضع، خطبة (٢٦٣): ١٣٣-١٣٤، خطبة (٢٨٦): ١٤٤-١٤٥، خطبة (٣١٠): ١٥٦-١٥٧، خطبة (٥٣٠): ٢٧٩-٢٨١ وفيها موضعان.

^(٥) منها: خطبة رقم (٣٤): ٢٢ وفيها موضعان، خطبة (٦٢): ٣٦، خطبة (١٨١): ٩٢ وفيها موضعان، خطبة (٣١٠): ١٥٦-١٥٧، خطبة (٤٥٥): ٢٣٤-٢٣٦، خطبة (٤٦٠): ٢٣٨-٢٣٩، خطبة (٥٢٦): ٢٧٣، خطبة (٥٢٩): ٢٧٦-٢٧٩.

^(٦) هي: خطبة رقم (٢٣): ١٧-١٨، خطبة (٢٥): ١٨، خطبة (٧١): ٤١، خطبة (٩٣): ٥٠-٥١ وفيها موضعان، خطبة (٩٤): ٥١ وفيها موضعان، خطبة (١٩٣): ٩٧-٩٨، خطبة (٣٥٧): ١٨٠، خطبة (٣٧٠): ١٨٥ وفيها موضعان، خطبة (٤٠٩): ٢٠٦-٢٠٧، خطبة (٤٦٨): ٢٤٣-٢٤٤ وفيها ثلاثة مواضع، خطبة (٥٤٢): ٢٩٢-٢٩٣ وفيها ثلاثة مواضع.

^(٧) وهي: خطبة رقم (٥٦): ٣٣، خطبة (١٨٤): ٩٣ وفيها موضعان، خطبة (٢٢٢): ١١٢-١١٣ وفيها موضعان، خطبة (٣٩٠): ١٩٥، خطبة (٤٠٨): ٢٠٦ وفيها ثلاثة مواضع، خطبة (٥٣٠): ٢٧٩-٢٨١.

^(٨) هي: خطبة رقم (٢٨٧): ١٤٥-١٤٦.

١	الهمزة	١١٥
٢	ما	٨٦
٣	هَلْ	٥٨
٤	مَنْ	٢٥
٥	(ما) الاستفهامية محذوفة الألف	١٨
٦	ماذا	١٤
٧	أَيَّنْ	١٢
٨	التثنية الصوتي "حذف حرف الاستفهام"	٨
٩	كَيْفَ	٨
١٠	أَيَّ	٨
١١	استفهام غير مباشر	١
١٢	مَتَى	١
١٣	أَنَّى	١
١٤	كَمْ الاستفهامية	—
١٥	أَيَّانَ	—
١٦	مَنْ ذَا	—
	المجموع	٣٥٥

عَرِّضْ لنماذج الاستفهام الواردة في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ:

أولاً: الاستفهام بالمُرَكَّبِ الحَرْفِيِّ في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ

١. الاستفهام بالهمزة:

وَرَدَ تركيبُ الاستفهام بالهمزة في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ (مَائَةٌ وَخَمْسَ عَشْرَةَ) مَرَّةً، وتحتل الهمزة المرتبة الأولى في كلمات الاستفهام المستخدمة في الخُطْبِ. وقد جاءت في حالات متعددة، حيث دَخِلَتْ على الاسم والفعل والحرف. وقد بَلَغَ عَدَدُ دخولِ همزة الاستفهام على المركب الفعلي (مَائَةٌ وَعَشْرَةَ) تراكيب، وهي النسبة الأكبر، ودخلت الهمزة على المركب الاسمي في (ثلاثة) تراكيب، ودخلت على شبه الجملة في (تَرْكِيبَيْنِ اثْنَيْنِ).

أما المركب الفعلي الذي دخلت عليه همزة الاستفهام فقد جاء متنوعاً، فهناك المُرَكَّبُ المبدوء بفعلٍ مُثَبَّت، وهناك المركب المبدوء بفعلٍ تامٍّ منفيٍّ، وهناك المركب المبدوء

بفعل ناقص متصرف مثبت، وهناك المركب المبدوء بفعل ناقص متصرف منفي،
وهناك المركب المبدوء بفعل ناقص جامد دال على النفي.

وَمِنْ أَمْثَلَةِ دُخُولِ الْهَمْزَةِ عَلَى الْمَرْكَبِ الْفَعْلِيِّ الْمَبْدُوءِ بِفَعْلٍ مُضَارِعٍ مُثَبَّتٍ مَا جَاءَ فِي
خُطْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الدَّجَالِ: "أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، أَنْتَ شَهِدُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ:
نَعَمْ"^(١). وَمِنْ أَمْثَلَةِ دُخُولِهَا عَلَى الْمَرْكَبِ الْفَعْلِيِّ الْمَبْدُوءِ بِفَعْلٍ مَاضٍ مُثَبَّتٍ: "قَالَ: أَقَاتَلَهُ
الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ"^(٢).

وَمِنْ أَمْثَلَةِ دُخُولِ الْهَمْزَةِ عَلَى الْمَرْكَبِ الْفَعْلِيِّ الْمَبْدُوءِ بِفَعْلٍ تَامٍ مِنْفِي خُطْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي
الْأَنْصَارِ الَّتِي قَالَ فِيهَا: "أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلْفَ
اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمُنٌ وَأَفْضَلُ، ..."^(٣).

وَمِنْ أَمْثَلَةِ دُخُولِ الْهَمْزَةِ عَلَى الْمَرْكَبِ الْفَعْلِيِّ الْمَبْدُوءِ بِفَعْلٍ نَاقِصٍ مُتَصَرِّفٍ مُثَبَّتٍ
خُطْبَتِهِ ﷺ فِي عَشِيرَتِهِ بِمَكَّةَ: "أَرَأَيْتُكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ،
أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا"^(٤).

وَمِنْ أَمْثَلَةِ دُخُولِ الْهَمْزَةِ عَلَى الْمَرْكَبِ الْفَعْلِيِّ الْمَبْدُوءِ بِفَعْلٍ نَاقِصٍ مُتَصَرِّفٍ مِنْفِي مَا
جَاءَ فِي خُطْبَتِهِ ﷺ لِلْأَنْصَارِ: "يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمُ اللَّهُ بِي؟ قَالُوا:
بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ"^(٥).

(١) خُطْبُ الرِّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٧٦-٢٧٩، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٢٩). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ
أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ: ٥٤٧/٤٥-٥٤٨، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٧٥٦٨)، وَسَنَنُ ابْنِ
مَاجَهَ، لِابْنِ مَاجَهَ، بَابُ فِتْنَةِ الدَّجَالِ وَخُرُوجِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَخُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ: ١٣٥٩/٢، حَدِيثٌ رَقْمُ
(٤٠٧٧).

(٢) خُطْبُ الرِّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٧٩-٢٨١، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٣٠). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحُ
مُسْلِمَ، لِمُسْلِمَ، بَابُ قِصَّةِ الْجَسَّاسَةِ: ٢٢٦٢/٤، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٩٤٢)، وَسَنَنُ أَبِي دَاوُدَ، لِأَبِي دَاوُدَ، بَابُ فِي
خَبَرِ الْجَسَّاسَةِ: ١١٨/٤، حَدِيثٌ رَقْمُ (٤٣٢٦).

(٣) خُطْبُ الرِّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٣٢، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٥). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ
ابْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ: ٢٥٣/١٨-٢٥٥، حَدِيثٌ رَقْمُ (١١٧٣٠)، وَصَحِيحُ مُسْلِمَ، لِمُسْلِمَ،
بَابُ إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصَبُّرُ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ: ٧٣٨/٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٠٦١).

(٤) خُطْبُ الرِّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٧، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ،
لِلْبُخَارِيِّ، بَابُ "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ": ١١١/٦، حَدِيثٌ رَقْمُ (٤٧٧٠)، وَصَحِيحُ مُسْلِمَ،
لِمُسْلِمَ، بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ": ١٩٣/١، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٠٨).

(٥) خُطْبُ الرِّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٣١، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٤). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ
ابْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ: ١٠٥/١٨، حَدِيثٌ رَقْمُ (١١٥٤٧)، وَصَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، لِلْبُخَارِيِّ، بَابُ
غَزْوَةِ الطَّائِفِ: ١٥٧/٥، حَدِيثٌ رَقْمُ (٤٣٣٠).

وَمِنْ أَمْثَلَةِ دُخُولِ الْهَمْزَةِ عَلَى الْمَرْكَبِ الْفَعْلِيِّ الْمَبْدُوءِ بِفَعْلٍ نَاقِصٍ جَامِدٍ دَالٍّ عَلَى النِّفْيِ قَوْلُهُ ﷺ فِي إِحْدَى خُطْبَيْهِ: "أَلَسْتُ أَوَّلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ"^(١). وَقَدْ خَرَجَ الْاسْتِفْهَامُ فِي الْأَمْثَلَةِ السَّابِقَةِ كُلِّهَا إِلَى غَرَضٍ بِلَاغِيٍّ، وَهُوَ: التَّقْرِيرُ. أَمَّا دُخُولُ هَمْزَةِ الْاسْتِفْهَامِ عَلَى الْمَرْكَبِ الْأِسْمِيِّ فَقَدْ جَاءَ مُتَنَوِّعًا، فَهَنَّاكَ الْمَرْكَبَ الْأِسْمِيَّ الْمَبْدُوءَ بِالْمَبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ، وَهَنَّاكَ الْمَرْكَبَ الْأِسْمِيَّ الْمَبْدُوءَ بِالْشَرْطِ غَيْرِ الْجَازِمِ. وَمِنْ أَمْثَلَةِ دُخُولِ الْهَمْزَةِ عَلَى الْمَرْكَبِ الْأِسْمِيِّ الْمَبْدُوءِ بِالْمَبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ خُطْبَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي نَهْيِهِ عَنْ كِتَابَةِ شَيْءٍ مَعَ الْقُرْآنِ: "خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعْصُوبًا رَأْسُهُ، فَرَقِيَ دَرَجَاتِ الْمَنْبَرِ، فَقَالَ: "مَا هَذِهِ الْكُتُبُ الَّتِي بَلَّغَنِي أَنْتُمْ تَكْتُبُونَهَا؟ أَكِتَابٌ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ؟"^(٢). وَقَدْ أَفَادَ الْاسْتِفْهَامُ مَعْنَى الْإِنْكَارِ.

وَمِنْ أَمْثَلَةِ دُخُولِ الْهَمْزَةِ عَلَى الْمَرْكَبِ الْأِسْمِيِّ الْمَبْدُوءِ بِالْشَرْطِ غَيْرِ الْجَازِمِ خُطْبَةُ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَمَا رَزَى مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ؛ فَقَالَ: "أَكُلَّمَا نَفَرْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَلَفَ أَحَدُهُمْ لَهُ نَبِيبٌ كَنَابِيبِ النَّيْسِ يَمْنَحُ إِحْدَاهُنَّ الْكُتْبَةَ مِنَ اللَّبَنِ؟ وَاللَّهِ لَا أَقْدِرُ عَلَى أَحَدِهِمْ إِلَّا نَكَلْتُ بِهِ"^(٣). وَأَفَادَ الْاسْتِفْهَامُ الْإِنْكَارَ. وَ(كُلَّمَا) ظَرْفِيَّةٌ شَرْطِيَّةٌ غَيْرُ جَازِمَةٍ، أَوْ: (كُلُّ): ظَرْفُ زَمَانٍ، وَ(مَا): مَصْدَرِيَّةٌ، وَتَكُونُ (كُلَّمَا) فِي مَحَلِّ جَرٍّ مُضَافٍ إِلَيْهِ؛ أَيْ: الْمَصْدَرُ الْمُؤَوَّلُ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بِإِضَافَةِ (كُلِّ) إِلَيْهِ، وَالتَّقْدِيرُ: كُلَّ وَقْتٍ نَفِيرٍ...

أَمَّا دُخُولُ هَمْزَةِ الْاسْتِفْهَامِ عَلَى مَرْكَبٍ شَبَهَ الْجُمْلَةَ "الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ" فَمِنْ أَمْثَلَتِهِ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سَجَلًا، كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عَذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً؛ فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ؛ فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنَّاكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجَلَاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظَلِّمُ، قَالَ: فَتَوَضَّعَ السِّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ

(١) خُطْبَةُ الرَّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٦٥، خُطْبَةُ رَقْمٍ (٥١١). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: ٢٦٨/٢-٢٦٩، حَدِيثُ رَقْمٍ (٩٦١)، وَسَنَنُ ابْنِ مَاجَةَ، لِابْنِ مَاجَةَ، فَضْلُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: ٤٣/١، حَدِيثُ رَقْمٍ (١١٦).

(٢) خُطْبَةُ الرَّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٨٢، خُطْبَةُ رَقْمٍ (١٥٩). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ ﷺ: ١٥٦/١٧-١٥٧، حَدِيثُ رَقْمٍ (١١٠٩٢)، وَالْمَعْجَمُ الْأَوْسَطُ، لِلطَّبْرَانِيِّ، مِنْ اسْمِهِ مُحَمَّدٌ: ٢٨٧/٧، حَدِيثُ رَقْمٍ (٧٥١٤).

(٣) خُطْبَةُ الرَّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٢٤-١٢٥، خُطْبَةُ رَقْمٍ (٢٤٧). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ السَّوَامِيِّ: ٣٩٩/٣٤، حَدِيثُ رَقْمٍ (٢٠٨٠٣).

وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ؛ فَطَاشَتِ السِّجَالُثُ وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ^(١).
والشاهد: (أَفَلَاكَ عُدْرٌ؟)، وهو استفهام يفيد النفي.

٢. الاستفهام بهل:

وَرَدَ تركيب الاستفهام بالحرف (هَلْ) في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ (ثَمَانِي وَخَمْسِينَ) مَرَّةً،
وَتُعَدُّ (هَلْ) الكلمة الثالثة الأكثر استخدامًا -في الخُطَبِ- بعد (الهمزة) و(ما)
الاستفهاميَّتين.

ودخلت (هَلْ) على المركب الاسمي في (تَرْكِيبَيْنِ اثْنَيْنِ)، ودخلت على المركب الفعلي
في (أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ) تركيبًا، ودخلت على مركب شبه الجملة في (اثْنِي عَشَرَ) تركيبًا.
وَمِنْ أَمْثَلِهِ دُخُولُ (هَلْ) على المركب الفعلي المبدوء بفعلٍ ماضٍ خُطْبَةُ الرسول ﷺ في
أَحَدِ عُمَالِ الصَّدَقَةِ: "مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِي لِي؟ ... ثُمَّ رَفَعَ
يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتِي إِبْطِيهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ، هَلْ بَلَّغْتُ؟" مَرَّتَيْنِ^(٢). والشاهد: (هَلْ
بَلَّغْتُ؟).

وَمِنْ أَمْثَلِهِ دُخُولُ (هَلْ) على المركب الفعلي المبدوء بفعل مضارع قوله ﷺ في خطبته
على لسان الدَّجَالِ حِينَ السُّؤَالِ عَنْ نَحْلِ بَيْسَانَ: "هَلْ يُثْمَرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ"^(٣).
أَمَّا دُخُولُ (هَلْ) على المركب الاسمي فقوله ﷺ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ مِنْ
دِينِهِمُ الصَّلَاةَ، وَآخَرَ مَا يَبْقَى الصَّلَاةَ، وَأَوَّلَ مَا يُحَاسِبُونَ بِهِ الصَّلَاةَ، ... ثُمَّ قَالَ:
انظُرُوا هَلْ زَكَاتُهُ تَامَةٌ؟"^(٤).

(١) خُطِبَ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٨٩، خُطْبَةٌ رَقْمُ (١٧٣). وأصل الحديث في: سنن الترمذي،
للترمذي، بَابُ مَا جَاءَ فِيْمَنْ يَمُوتُ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: ٢٤/٥، حديث رقم (٢٦٣٩)، وصحيح ابن
حِبَّانَ، لابن حِبَّانَ، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا- يَنْفَضُّهُ قَدْ يَغْفِرُ لِمَنْ أَحَبَّ مِنْ عِبَادِهِ ذُنُوبَهُ بِشَهَادَتِهِ لَهُ
وَلِرَسُولِهِ ﷺ: ٤٦١/١، حديث رقم (٢٢٥). وثروى (كُفَّةً): بِكُسْرِ الْكَافِ وَفَتْحِهَا. انظر: شرح مصابيح السنة
للالإمام البغوي، لابن المَلَك: ٤٨/٦، حديث رقم (٤٣١٠).

(٢) خُطِبَ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٧-٢٨، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٧). وأصل الحديث في: صحيح
البخاري، للبخاري، باب هدايا العُمَالِ: ٧٠/٩، حديث رقم (٧١٧٤)، وصحيح مسلم، لمسلم، باب تحريم
هدايا العُمَالِ: ١٤٦٣/٣، حديث رقم (١٨٣٢).

(٣) خُطِبَ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٧٩-٢٨١، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٣٠). وأصل الحديث في: صحيح
مسلم، لمسلم، باب قصة الجَسَّاسَةِ: ٢٢٦٢/٤، حديث رقم (٢٩٤٢)، وَسُنَنُ أَبِي دَاوُدَ، لِأَبِي دَاوُدَ، بَابُ فِي
خَبَرِ الْجَسَّاسَةِ: ١١٨/٤، حديث رقم (٤٣٢٦).

(٤) خُطِبَ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٣٩، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٦٧). وأصل الحديث في: مسند أبي يَعْلَى
المَوْصِلِيِّ، لِأَبِي يَعْلَى، حَدِيثُ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: ١٥٣/٧، حديث رقم (٤١٢٤).

وَأَمَّا دُخُولُ (هَلْ) عَلَى مَرْكَبِ شِبْهِ الْجُمْلَةِ فَمِثَالُهُ مَا جَاءَ فِي خُطْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ الدَّجَالِ: "هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ"^(١).

ثَانِيًا: الاستفهام بالمَرْكَبِ الاسْمِيِّ فِي كِتَابِ خُطْبِ الرُّسُولِ ﷺ:
١. أَيْنَ:

وَرَدَ تَرْكِيبُ الاسْتِفْهَامِ بِالْإِسْمِ (أَيْنَ) فِي كِتَابِ خُطْبِ الرُّسُولِ ﷺ (اِثْنَتَيْ عَشْرَةَ) مَرَّةً. ودخلت (أَيْنَ) على المركب الاسمي في (عَشْرَةَ) تراكيب، ودخلت على المركب الفعلي في (تَرْكِيبَيْنِ اِثْنَيْنِ)، وَلَمْ يَرِدْ فِي هَذِهِ الْخُطْبِ- دُخُولُ (أَيْنَ) عَلَى مَرْكَبِ شِبْهِ الْجُمْلَةِ. وَمِنْ أَمْثَلِهِ دُخُولُ (أَيْنَ) عَلَى الْمَرْكَبِ الْفَعْلِيِّ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "يُخْرِجُ الدَّجَالُ فَيَتَوَجَّهُ قَبْلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَتَلَقَّاهُ مَسَالِحُ الدَّجَالِ؛ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ نَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ؛ ..."^(٢). والشاهد: (أَيْنَ نَعْمِدُ؟).

وَمِنْ أَمْثَلِهِ دُخُولُ (أَيْنَ) عَلَى الْمَرْكَبِ الْاسْمِيِّ مَا رَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمَنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ فَقَالَ: "إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا؛ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَيَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ... وَقَالَ: أَيْنَ هَذَا السَّائِلُ؟" وَكَأَنَّهُ حَمَدَهُ، ..."^(٣). والشاهد: (أَيْنَ هَذَا السَّائِلُ؟).

٢. أُنَى:

وَرَدَ تَرْكِيبُ الاسْتِفْهَامِ بِالْإِسْمِ (أُنَى) فِي كِتَابِ خُطْبِ الرُّسُولِ ﷺ (مَرَّةً وَاحِدَةً) فَقَطْ، وَقَدْ دَخَلَتْ فِيهِ (أُنَى) عَلَى مَرْكَبِ اسْمِيٍّ، وَمِثَالُهُ مَا جَاءَ فِي إِكْرَامِ الْوَالِدَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَزَاءً

^(١) خُطْبُ الرُّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٧٩-٢٨١، خُطْبَةُ رَقْمِ (٥٣٠). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ قِصَّةِ الْجَسَّاسَةِ: ٢٢٦٢/٤، حَدِيثُ رَقْمِ (٢٩٤٢)، وَسُئِنَ أَبِي دَاوُدَ، لِأَبِي دَاوُدَ، بَابُ فِي خَبَرِ الْجَسَّاسَةِ: ١١٨/٤، حَدِيثُ رَقْمِ (٤٣٢٦).

^(٢) خُطْبُ الرُّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٨٤-٢٨٥، خُطْبَةُ رَقْمِ (٥٣٤). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ فِي صِفَةِ الدَّجَالِ، وَتَحْرِيمِ الْمَدِينَةِ عَلَيْهِ وَقَتْلِهِ الْمُؤْمِنِ وَإِحْيَائِهِ: ٢٢٥٦/٤، حَدِيثُ رَقْمِ (٢٩٣٨).

^(٣) خُطْبُ الرُّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٠٧-١٠٨، خُطْبَةُ رَقْمِ (٢١٠). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ، لِلْبَخَارِيِّ، بَابُ الصَّدَقَةِ عَلَى الْيَتَامَى: ١٢١/٢، حَدِيثُ رَقْمِ (١٤٦٥)، وَصَحِيحِ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ تَخَوُّفِ مَا يَخْرُجُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا: ٧٢٧/٢، حَدِيثُ رَقْمِ (١٠٥٢).

قراءة ابنيهما في الدنيا للقرآن: "...؛ فَإِنْ كَانَ أَبَوَاهُ مُسْلِمَيْنِ كُسِيَا حُلَّةً خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؛ فَيَقُولَانِ: أَنَّى هَذِهِ لَنَا؟ فَيُقَالُ: بِمَا كَانَ وَلَدُكُمَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ" ^(١).
٣. متى:

وَرَدَ تركيب الاستفهام بالاسم (متى) في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ (مَرَّةً وَاحِدَةً) فقط، وقد دخلت فيه (متى) على مركبٍ فعليٍّ، ومثاله حديث معاوية بن حيدة قال: خُطِبَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فقال: "حَتَّى مَتَى تَرْعَوُونَ عَنْ ذِكْرِ الْفَاجِرِ؟..." ^(٢).
٤. أَيْان:

لَمْ يَرِدِ الاستفهام بِ (أَيْان) في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ.
٥. ما:

وَرَدَ تركيب الاستفهام بالاسم (ما) في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ (سِتًّا وَثَمَانِينَ) مَرَّةً. ودخلت (ما) على المركب الاسمي في (وَاحِدٍ وَسِتِّينَ) تركيبًا، ودخلت على المركب الفعلي في (سِتَّةَ عَشَرَ) تركيبًا، ودخلت على مركب شبه الجملة في (تِسْعَةَ) تراكيب. وَمِنْ أَمْثَلِهِ دخول (ما) على المركب الفعلي المبدوء بفعلٍ ماضٍ ما جاء في إحدى خطبه ﷺ على لسان الدجال: "أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ: مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ" ^(٣). وكذلك قول النبي ﷺ: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأَتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتُ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ؛ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ،..." ^(٤). والشاهد: (مَا فَعَلَ؟)، و(مَا عَمِلْتُ فِيهَا؟).

^(١) خُطَبُ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٧٧-٧٨، خُطْبَةٌ رَقْمُ (١٤٦). وأصل الحديث في: المعجم الكبير، للطبراني، حديث إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر عن عبد الرحمن بن غنم: ٧٢/٢٠، حديث رقم (١٣٦).

^(٢) خُطَبُ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٢٨، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٥٣). وأصل الحديث في: شُعَبُ الْإِيمَانِ، للبيهقي: ١٦٤/١٢، حديث رقم (٩٢١٩)، وَالدَّرَرُ الْمُنتَثِرَةُ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَشْتَهَرَةِ، للسيوطي: ٢٠٧، حديث رقم (٤٤٩). وقال عن الحديث البيهقي: "وَهُوَ إِنْ صَحَّ فَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ فَاجِرًا مُعْلِنًا بِفُجُورِهِ، أَوْ فَاجِرًا يَأْتِي بِشَهَادَةٍ، أَوْ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي أَمَانَةٍ فَيُحْتَاجُ إِلَى بَيَانِ حَالِهِ لِئَلَّا يَقَعَ الْإِعْتِمَادُ عَلَيْهِ" شعب الإيمان، للبيهقي: ١٦٤/١٢.

^(٣) خُطَبُ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٧٩-٢٨١، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٣٠). وأصل الحديث في: صحيح مسلم، لمسلم، باب قصة الجَسَّاسَةِ: ٢٢٦٢/٤، حديث رقم (٢٩٤٢)، وَسُنَنُ أَبِي دَاوُدَ، لأبي داود، باب في خَبَرِ الْجَسَّاسَةِ: ١١٨/٤، حديث رقم (٤٣٢٦).

^(٤) خُطَبُ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٧٥-٧٦، خُطْبَةٌ رَقْمُ (١٤٣). وأصل الحديث في: صحيح مسلم، لمسلم، باب مَنْ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالشُّعْمَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ: ١٥١٣/٣، حديث رقم (١٩٠٥).

وَمِنْ أَمْتَلَةٍ دَخُولِ (ما) عَلَى الْمَرْكَبِ الْفَعْلِيِّ الْمَبْدُوءِ بِفَعْلٍ مُضَارِعٍ مَا رُويَ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ يَقُولُ: "أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، مَا يَحْمِلُكُمْ عَلَى أَنْ تَتَابَعُوا فِي الْكَذِبِ كَمَا يَتَتَابَعُ الْفَرَّاشُ فِي النَّارِ؟" (١).

وَمِنْ أَمْتَلَةٍ دَخُولِ (ما) عَلَى الْمَرْكَبِ الْأِسْمِيِّ مَا رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَيِّدِي زَوْجَنِي أَمْتَهُ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا. قَالَ: فَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَنْبَرَ؛ فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يُزَوِّجُ عَبْدَهُ أَمْتَهُ ثُمَّ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا؟! إِنَّمَا الطَّلَاقُ لِمَنْ أَخَذَ بِالسَّاقِ" (٢). وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ لِلتَّعَجُّبِ وَالْإِنْكَارِ.

وَمِنْ أَمْتَلَةٍ دَخُولِ (ما) عَلَى مَرْكَبٍ شَبَهَ الْجُمْلَةَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: "أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِي كَفِّهِ مِرَّةٌ بَيْضَاءٌ، فِيهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذِهِ الْجُمُعَةُ، يَعْزِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ ﷻ لِتَكُونَ لَكَ عِيدًا، وَلِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ، تَكُونُ أَنْتَ الْأَوَّلُ، وَيَكُونُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مِنْ بَعْدِكَ، قُلْتُ: مَا لَنَا فِيهَا؟ قَالَ: لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ، ... (٣). وَالشَّاهِدُ قَوْلُهُ: (مَا لَنَا فِيهَا؟).

(ما) الاستفهامية محذوفة الألف:

وَرَدَّ تَرْكِيبُ الاسْتِفْهَامِ بِ (ما) الاسْتِفْهَامِيَةِ مُحْذُوفَةِ الْأَلْفِ فِي كِتَابِ خُطْبِ الرَّسُولِ ﷺ (ثَمَانِي عَشْرَةَ) مَرَّةً.

وَدَخَلَتْ عَلَى الْمَرْكَبِ الْأِسْمِيِّ فِي (ثَلَاثَةِ) تَرَكَيبٍ، وَدَخَلَتْ عَلَى الْمَرْكَبِ الْفَعْلِيِّ فِي (خَمْسَةِ عَشَرَ) تَرَكَيبًا.

وَمِنْ أَمْتَلَةٍ دَخُولِ (ما) الاسْتِفْهَامِيَةِ مُحْذُوفَةِ الْأَلْفِ عَلَى الْمَرْكَبِ الْفَعْلِيِّ حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ... فَقَالَ: "لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ؟" (٤).

(١) خُطْبُ الرَّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٣١-١٣٢، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٦٠). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدِ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ: ٥٥٠/٤٥، حَدِيثُ رَقْمُ (٢٧٥٧٠).

(٢) خُطْبُ الرَّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٢١-١٢٢، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٣٨). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ، لِابْنِ مَاجَهَ، بَابُ طَلَاقِ الْعَبْدِ: ٦٧٢/١، حَدِيثُ رَقْمُ (٢٠٨١)، وَسُنَنِ الدَّارَقُطْنِيِّ، لِلدَّارَقُطْنِيِّ، كِتَابُ الطَّلَاقِ وَالْخُلْعِ وَالْإِلَاءِ وَغَيْرِهِ: ٦٨/٥، حَدِيثُ رَقْمُ (٣٩٩٣).

(٣) خُطْبُ الرَّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٤٥-٤٦، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٨٤). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدِ الْبَزَّازِ "الْبَحْرُ الزَّخَّارُ"، لِلْبَزَّازِ، مُسْنَدُ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: ٦٨/١٤، حَدِيثُ رَقْمُ (٧٥٢٧).

(٤) خُطْبُ الرَّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٨، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٥). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ، لِلْبَخَارِيِّ، بَابُ "لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ": ١٦٩/٦، حَدِيثُ رَقْمُ (٤٩٤٢).

وَمِنْ أَمْثَلِ دُخُولِ (مَا) الِاسْتِفْهَامِيَةِ مَحْذُوفَةِ الْأَلِفِ عَلَى الْمَرْكَبِ الْإِسْمِيِّ شَوَاهِدُ ثَلَاثَةٌ^(١)، لَكِنَّا أَحَادِيثَ مَوْضُوعَةٍ لَا تَصِحُّ. وَمِنْ هَذِهِ الشَّوَاهِدِ: مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِأُمِّ عَلْقَمَةَ عَنِ ابْنِهَا عَلْقَمَةَ: "... فَمَا حَالُكَ وَحَالُهُ؟ فَقَالَتْ: إِنِّي عَلَيْهِ سَاخِطَةٌ وَاجِدَةٌ، قَالَ: وَلِمَ ذَلِكَ؟ ..."^(٢). وَالشَّاهِدُ: (لَمْ).

٦. ماذا:

وَرَدَ تَرْكِيبُ الِاسْتِفْهَامِ بِ (مَاذَا) فِي كِتَابِ خُطَبِ الرَّسُولِ ﷺ (أَرْبَعُ عَشْرَةَ) مَرَّةً. وَدَخَلَتْ (مَاذَا) عَلَى الْمَرْكَبِ الْإِسْمِيِّ فِي (تَرْكِيبٍ وَاحِدٍ) فَقَطْ، وَدَخَلَتْ عَلَى الْمَرْكَبِ الْفِعْلِيِّ فِي (ثَمَانِيَةِ) تَرْكِيبٍ، وَدَخَلَتْ عَلَى مَرْكَبٍ شَبَّهِ الْجُمْلَةَ فِي (خَمْسَةِ) تَرْكِيبٍ. وَمِنْ أَمْثَلِ دُخُولِ (مَاذَا) عَلَى الْمَرْكَبِ الْفِعْلِيِّ مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي إِحْدَى خُطَبِهِ الَّتِي يَرْوِيهَا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ ﷺ: "... فَمَاذَا قَدَّمْتَ؟ ..."^(٣). وَمِنْ أَمْثَلِ دُخُولِ (مَاذَا) عَلَى الْمَرْكَبِ الْإِسْمِيِّ مَا جَاءَ فِي إِحْدَى خُطَبِهِ ﷺ: "... إِنِّي مَسْئُولٌ، وَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ، فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ ..."^(٤). أَمَّا أَمْثَلُ دُخُولِ (مَاذَا) عَلَى مَرْكَبٍ شَبَّهِ الْجُمْلَةَ فَخَمْسَةُ تَرْكِيبٍ، وَهِيَ أَحَادِيثُ مُنْكَرَةٌ لَا تَصِحُّ، وَمِنْ شَوَاهِدِهَا: "... فَمَاذَا لِي عَلَيْكَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَاذَا لَكَ عَلَيَّ؟ ..."^(٥).

٧. كَيْفَ:

وَرَدَ تَرْكِيبُ الِاسْتِفْهَامِ بِ (كَيْفَ) فِي كِتَابِ خُطَبِ الرَّسُولِ ﷺ (ثَمَانِيَةِ) مَرَّاتٍ.

^(١) خطبة رقم (١٩٣)، و(٣٧٠) وفيها موضعان، انظر: خُطَبُ الرَّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٩٧-٩٨ و١٨٥-١٨٦.

^(٢) خُطَبُ الرَّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٩٧-٩٨، خُطْبَةُ رَقْمِ (١٩٣). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْكِبَائِرِ، لِلذَّهَبِيِّ: ٤٥-٤٦، وَالزَّوْجَرِ عَنْ اقْتِرَافِ الْكِبَائِرِ، لِلْهَيْتَمِيِّ: ١١٢-١١١/٢.

^(٣) خُطَبُ الرَّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٠١-١٠٢، خُطْبَةُ رَقْمِ (٢٠٠). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مَسْنَدِ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، بَقِيَّةُ حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: ١٢٤/٣٢، حَدِيثِ رَقْمِ (١٩٣٨١)، وَصَحِيحِ ابْنِ حَبَانَ، لِابْنِ حَبَانَ، ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَنْ سُؤْلِ الرَّبِّ -جَلَّ وَعَلَا- عَبْدَهُ فِي الْقِيَامَةِ عَنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ: ٣٦٦/١٦، حَدِيثِ رَقْمِ (٧٣٦٥).

^(٤) خُطَبُ الرَّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٦٠-٢٦١، خُطْبَةُ رَقْمِ (٥٠٢). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ، لِلطَّبْرَانِيِّ، حَدِيثِ أَبِي الطَّفِيلِ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ عَنْ حَذِيفَةَ بْنِ أَسِيدَ: ١٨٠/٣، حَدِيثِ رَقْمِ (٣٠٥٢).

^(٥) خُطَبُ الرَّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٨٧-١٨٨، خُطْبَةُ رَقْمِ (٣٧٣). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ، لِلأَصْفَهَانِيِّ: ٣١٦/١٠، وَجَامِعِ الْأَحَادِيثِ، لِلْسَيُوطِيِّ: ٢٤٥/١٠، حَدِيثِ رَقْمِ (٩٥٥٣).

ودخلت (كيف) على المركب الفعلي - فقط - في هذه التراكيب الثمانية. ومن أمثلة دخولها على المركب الفعلي المبدوء بفعل ماضي: "قال: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرَنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ"^(١).

ومن أمثلة دخول (كيف) على المركب الفعلي المبدوء بفعل مضارع ما جاء في حديث عفو الأخ عن أخيه: "... كَيْفَ تَصْنَعُ بِأَخِيكَ وَلَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْءٌ؟..."^(٢).

٨. أي:

وَرَدَ تركيبُ الاستفهام بِ (أَيَّ) في كتابِ خُطْبِ الرسول ﷺ (ثَمَانِي) مَرَّاتٍ.

ودخلت (أَيَّ) على المركب الاسمي في التراكيب الثمانية، ولم يَرِدْ دخولها على المركب الفعلي أو مركب شبه الجملة.

وَمِنْ أمثلة دخول (أَيَّ) على المركب الاسمي قولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عندما قامَ في الصَّحَابَةِ يَوْمَ حَجَّهِ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ مُحْضَرَمَةٍ فَقَالَ: "أَيُّ يَوْمٍ يَوْمُكُمْ هَذَا؟..."^(٣).

٩. كم الاستفهامية:

لَمْ يَرِدِ الاستفهامُ بِ (كَمْ) في كتابِ خُطْبِ الرسول ﷺ.

١٠. مَنْ:

وَرَدَ تركيبُ الاستفهام بِ (مَنْ) في كتابِ خُطْبِ الرسول ﷺ (خَمْسًا وَعِشْرِينَ) مَرَّةً.

ودخلت (مَنْ) على المركب الاسمي في (تِسْعَةَ عَشَرَ) تركيبًا، ودخلت على المركب الفعلي في (سِتَّة) تراكيب، وَلَمْ يَرِدْ دخولها على مركب شبه الجملة.

أَمَّا (مَنْ ذَا) فَلَمْ يَرِدِ الاستفهامُ بِهَا في كتابِ خُطْبِ الرسول ﷺ.

وَمِنْ أمثلة دخول (مَنْ) على المركب الاسمي ما جاء في إحدى خُطْبِ الرسول ﷺ للتحذير من فتنة الدَّجَالِ: "... وَيَقُولُ لَهُ الْحَبِيثُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، وَأَنْتَ عَدُوُّ اللَّهِ،..."^(١).

^(١) خُطْبِ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٧٩-٢٨١، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٣٠). وأصل الحديث في: صحيح مسلم، لمسلم، باب قصة الجَسَّاسَةِ: ٢٢٦٢/٤، حديث رقم (٢٩٤٢)، وَسُنَنُ أَبِي دَاوُدَ، لأبي داود، باب في خَبَرِ الْجَسَّاسَةِ: ١١٨/٤، حديث رقم (٤٣٢٦).

^(٢) خُطْبِ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٥٦-١٥٧، خطبة رقم (٣١٠). وأصل الحديث في: المستدرك على الصحيحين، للحاكم، كتاب الأهلوال: ٦٢٠/٤، حديث رقم (٨٧١٨).

^(٣) خُطْبِ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٦٦، خطبة رقم (١٢١). وأصل الحديث في: مسند أحمد، لأحمد ابن حنبل، أَحَادِيثُ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: حديث رَجُلٍ: ٤٨٢/٣٨، حديث رقم (٢٣٤٩٧)، وصحيح البخاري، للبخاري، باب الخطبة أيام منى: ١٧٧/٢، حديث رقم (١٧٤٢)، وصحيح مسلم، لمسلم، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال: ١٣٠٦/٣، حديث رقم (١٦٧٩).

وَمِنْ أَمْثَلِ دُخُولِ (مَنْ) عَلَى الْمَرْكَبِ الْفَعْلِيِّ الْمَبْدُوءِ بِفَعْلٍ مَاضٍ مَا رَوَّتُهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- حَيْثُ قَالَتْ: لَمَّا دُكِرَ مِنْ شَأْنِي الَّذِي ذُكِرَ، وَمَا عَلِمْتُ بِهِ، قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَاطِبِيَّاءَ، وَمَا عَلِمْتُ بِهِ، فَتَشَهَّدَ، فَحَمِدَ اللَّهَ ﷻ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا بَعْدُ، أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي نَاسٍ أَبْنُوا أَهْلِي"^(١)، وَإِنَّمَا اللَّهُ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي سُوءًا قَطُّ، وَأَبْنُوهُمْ بِمَنْ؟ ..."^(٢). والشاهد: (أَبْنُوهُمْ بِمَنْ؟)؛ أَي: اتَّهَمُوهُمْ بِمَنْ؟ والتقدير: بِمَنْ اتَّهَمُوا رُوحي؟

كَذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ رَبِّهِ ﷻ: "فَيَقُولُ: يَا عَبْدِي، مَنْ خَلَقَكَ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ،... مَنْ أَنْزَلَكَ فِي جَبَلٍ وَسَطَ اللَّجَّةِ وَأَخْرَجَ لَكَ الْمَاءَ الْعَذْبَ مِنَ الْمَاءِ الْمَالِحِ؟ ..."^(٣).

وَمِنْ أَمْثَلِ دُخُولِ (مَنْ) عَلَى الْمَرْكَبِ الْفَعْلِيِّ الْمَبْدُوءِ بِفَعْلٍ مُضَارِعٍ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: "... مَنْ أَكْفَيْهِ بَعَثَ كَذًّا؟ مَنْ أَكْفَيْهِ بَعَثَ كَذًّا؟ ..."^(٤).

ثالثاً: الاستفهام بالتنغيم الصوتي "الاستفهام محذوف الحرف"

وَرَدَ تَرْكِيبُ الْاسْتِفْهَامِ بِ (التنغيم الصوتي) وهو الاستفهام محذوف الحرف في كتاب خُطْبِ الرُّسُولِ ﷺ (ثمانِي) مَرَّاتٍ. أما الحرف المحذوف فَيَقْدَرُ بِالْهَمْزَةِ. وَقَدْ دَخَلَ عَلَى الْمَرْكَبِ الْاسْمِيِّ فِي (أَرْبَعَةٍ) تَرَكَيبٍ، وَدَخَلَ عَلَى شَبْهِ الْجُمْلَةِ فِي (أَرْبَعَةٍ) تَرَكَيبٍ أَيْضًا.

وَمِنْ أَمْثَلِ دُخُولِ (الاستفهام محذوف الحرف) عَلَى الْمَرْكَبِ الْاسْمِيِّ مَا قَالَهُ ﷺ لِلَّذِينَ اسْتَقَلُّوا عِبَادَتَهُ: "أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذًّا وَكَذًّا؟ أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ، وَأَنْفَاكُمُ لَهُ، لَكِنِّي

(١) سَبَقَ تَخْرِيجُ الْحَدِيثِ، ص: ٢٥٦، حَاشِيَةُ (١)، وَهِيَ خُطْبَةٌ رَقْم (٥٢٩).

(٢) أَي: اتَّهَمُوا أَهْلَ بَيْتِي وَرَمَوْهُمْ بِخَلَّةٍ سُوءٍ، فَالْمُتَّهَمُ أَبْنٌ، وَالْمُتَّهَمُ مَأْبُونٌ، يُقَالُ: أَبْنَهُ يَأْبُنُهُ وَيَأْبُنُهُ بضم الباء وكسرهما. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: ١٧/١ (أَبْنٌ)، ولسان العرب، لابن منظور: ٣/١٣ (أَبْنٌ).

(٣) خُطْبُ الرُّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٣٤-٢٣٦، خُطْبَةٌ رَقْم (٤٥٥). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ، لِلْبَخَارِيِّ، بَاب "إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ...": ١٠٧/٦، حَدِيثٌ رَقْم (٤٧٥٧)، وَصَحِيحِ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابٌ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ وَقَبُولِ تَوْبَةِ الْقَافِرِ: ٢١٣٧/٤، حَدِيثٌ رَقْم (٢٧٧٠).

(٤) خُطْبُ الرُّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٣٠٠، خُطْبَةٌ رَقْم (٥٥٠). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ، لِلْحَاكِمِ، كِتَابُ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ: ٢٧٨/٤، حَدِيثٌ رَقْم (٧٦٣٧).

(٥) خُطْبُ الرُّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٢، خُطْبَةٌ رَقْم (٣٤). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ ابْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ: ٤٨٧/٣٨، حَدِيثٌ رَقْم (٢٣٥٠٠)، وَسُئِنَ أَبِي دَاوُدَ، لِأَبِي دَاوُدَ، بَابٌ فِي الْجَعَائِلِ فِي الْغَزْوِ: ١٦/٣، حَدِيثٌ رَقْم (٢٥٢٥).

أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي" ^(١).
والتقدير: (أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟).

وَمِنْ أَمْثَلَةِ دُخُولِ (الاستفهام محذوف الحرف) عَلَى مَرْكَبٍ شَبَهَ الْجُمْلَةِ: "قَالَ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ" ^(٢). والتقدير: (أَقَدْ كَانَ ذَلِكَ؟) ^(٣).

رابعًا: الاستفهام غير المباشر

ويكون بالكلمة الدالة على الاستفهام، نَحْو: (نَسْأَلُ، أَسْأَلُ، سَأَلَ، سُئِلَ، نَسْتَفْهِمُ، أَسْتَفْهِمُ، ... وهكذا). وقد ورد الاستفهام غير المباشر -في كتاب خُطْبِ الرَسُول ﷺ- في (مَوْضِعٍ وَاحِدٍ): اسْتُخْدِمَ فِيهِ الْفِعْلُ الْمَاضِي (سَأَلَ)، وَهُوَ حَدِيثُ الرَّجُلِ الَّذِي قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ ثُمَّ تَابَ فَقَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ، حَيْثُ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: "...؛ فَانْطَلَقَ يُرِيدُهَا حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ الْقَرَيْنَتَيْنِ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، فَسَأَلَتِ الْمَلَائِكَةُ رَبَّهَا عَنْهُ؟ فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَيَّ أَيُّ الْقَرَيْنَتَيْنِ كَانَ أَقْرَبَ فَأَكْتُبُوهُ مِنْ أَهْلِهَا" ^(٤).

خامسًا: نماذج تحليلية لتراكيب الاستفهام في كتاب خُطْبِ الرَسُول ﷺ

إِضَاءَاتٌ حَوْلَ رَمُوزِ التَّحْلِيلِ ^(٥):

الرمز	معناه التحليلي
# ج #	يشير إلى أَنَّ الجملة محصورة بين الرمزين # #، ويشير الرمز الأول إلى بداية الجملة، والرمز الأخير إلى نهايتها. أما ج فتشير إلى الجملة المراد تحليلها.
م س	مركب اسمي.

^(١) خُطْبُ الرَسُول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٩٥، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣٩٠). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ، لِلْبَخَارِيِّ، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي النَّكَاحِ: ٢/٧، حَدِيثٌ رَقْمُ (٥٠٦٣).

^(٢) خُطْبُ الرَسُول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٧٩-٢٨١، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٣٠). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ قِصَّةِ الْجَسَّاسَةِ: ٤/٢٢٦٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٩٤٢)، وَسُنَنُ أَبِي دَاوُدَ، لِأَبِي دَاوُدَ، بَابٌ فِي خَبَرِ الْجَسَّاسَةِ: ٤/١١٨، حَدِيثٌ رَقْمُ (٤٣٢٦).

^(٣) جَاءَتْ (قَدْ) هُنَا حَرْفِيَّةً؛ لِدُخُولِهَا عَلَى مَاضٍ مُتَّصِرٍ، قَالَ الْمُرَادِيُّ عَنْ (قَدْ): "لَفْظٌ مُشْتَرَكٌ، يَكُونُ اسْمًا وَحَرْفًا... وَأَمَّا (قَدْ) الْحَرْفِيَّةُ فَحَرْفٌ مُخْتَصٌّ بِالْفِعْلِ، وَتَدْخُلُ عَلَى الْمَاضِي، بِشَرَطِ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِرًا" الْجَنَى الدَّانِي، لِلْمُرَادِيِّ: ٢٥٤.

^(٤) خُطْبُ الرَسُول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٤٥-١٤٦، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٨٧). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ، لِلْبَخَارِيِّ، بَابُ حَدِيثِ الْغَارِ: ٤/١٧٤، حَدِيثٌ رَقْمُ (٣٤٧٠)، وَصَحِيحِ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ قُبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَثُرَ قَتْلُهُ: ٤/٢١١٨، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٧٦٦)، وَالْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ، لِلطَّبْرَانِيِّ، حَدِيثُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَبْلِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: ٣٤/١٣، حَدِيثٌ رَقْمُ (٧٦).

^(٥) انظر: في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل عمايرة: ٢١-٢٢، والقواعد التحليلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ١٢٣ و١٢٧.

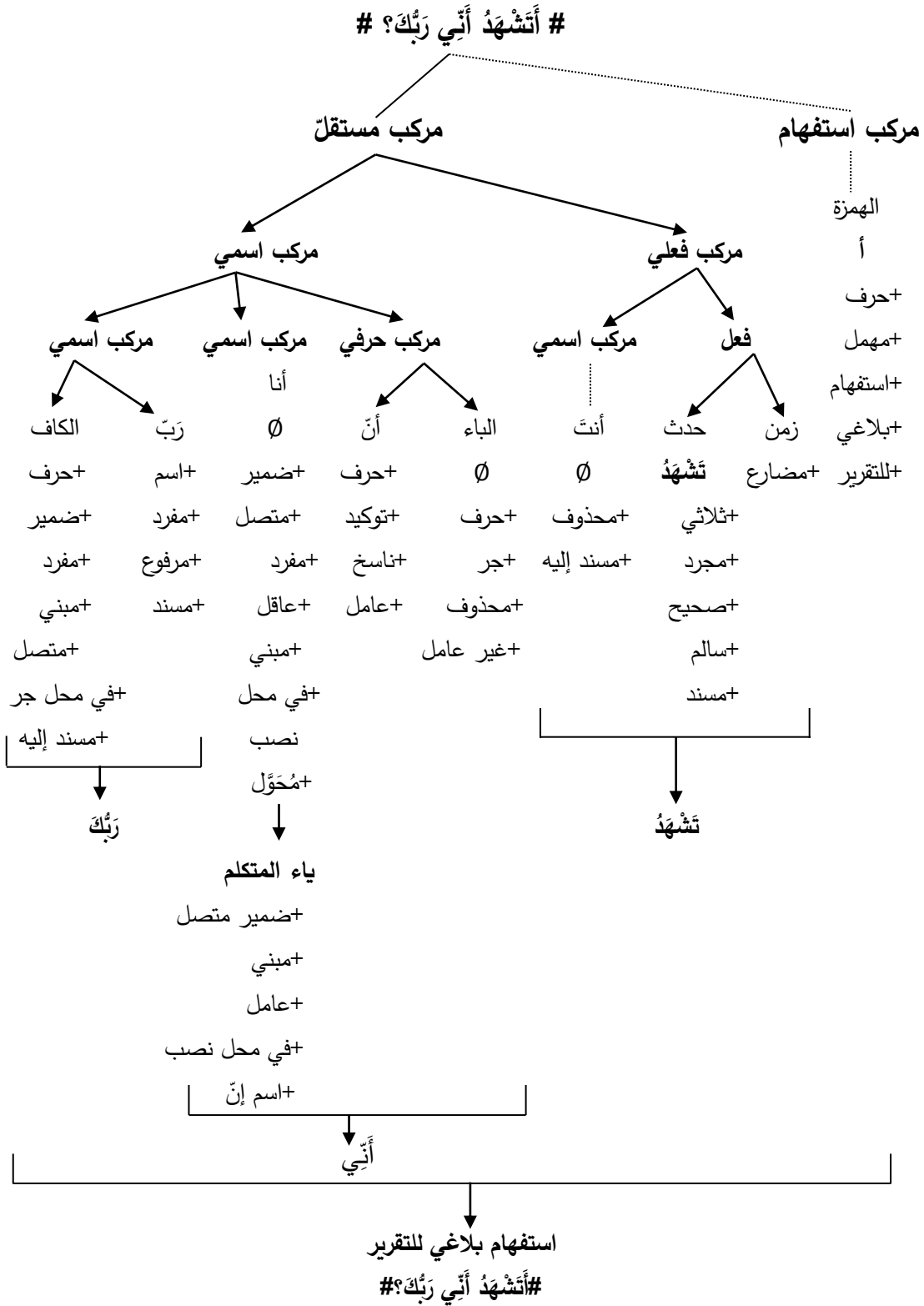
م ف	مركب فعلي.
م ح	مركب حرفي.
↓	يشير السهم حينما يكون رأسه إلى الأسفل إلى أن ما أعلاه يَتَحَوَّل إلى ما تَحْتَهُ مِنْ عناصر مُحَوَّلَة.
←	يشير إلى أن المركب يَتَحَوَّل إلى، أو يؤدي إلى.
↗	يشير إلى تحريك العنصر اللغوي أعلاه.
↖	يشير رأس السهم إلى الكلمة التي ترتبط بها الكلمة التي صَدَرَ منها السهم. وبمعنى آخر: يشير هذا الرمز إلى أن العنصر الموجود فوق قاعدة السهم ينتقل بالتقديم إلى الموضع الذي يشير إليه رأس السهم.
⋮	يشير إلى أن العنصر أسفله عنصرٌ تحويلي، تتم إضافته عن طريق قاعدة الزيادة.
∅	يشير إلى أن العنصر أعلاه محذوف.
Δ	يشير إلى أن العنصر أعلاه غير موجود أصلاً، لكنّه قد يوجد في جُمْلٍ مُمَاتِلَةٍ.
+	يشير إلى أن السِّمَّةَ المصاحبة له موجودة في العنصر أعلاه الذي يُجْرَى عليه التحليل.

١. الاستفهام بالمركب الحرفي:

أ. الاستفهام بحرف (الهمزة):

نموذج تحليلي لدخول الهمزة على المركب الفعلي المبدوء بفعل مضارع مُثَبَّت: ورد في خُطْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ عن الدَّجَّال أنه قال: "أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ"^(١).

^(١) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٢٥٦، حاشية (١)، وهي خُطْبَةُ رَقْم (٥٢٩).

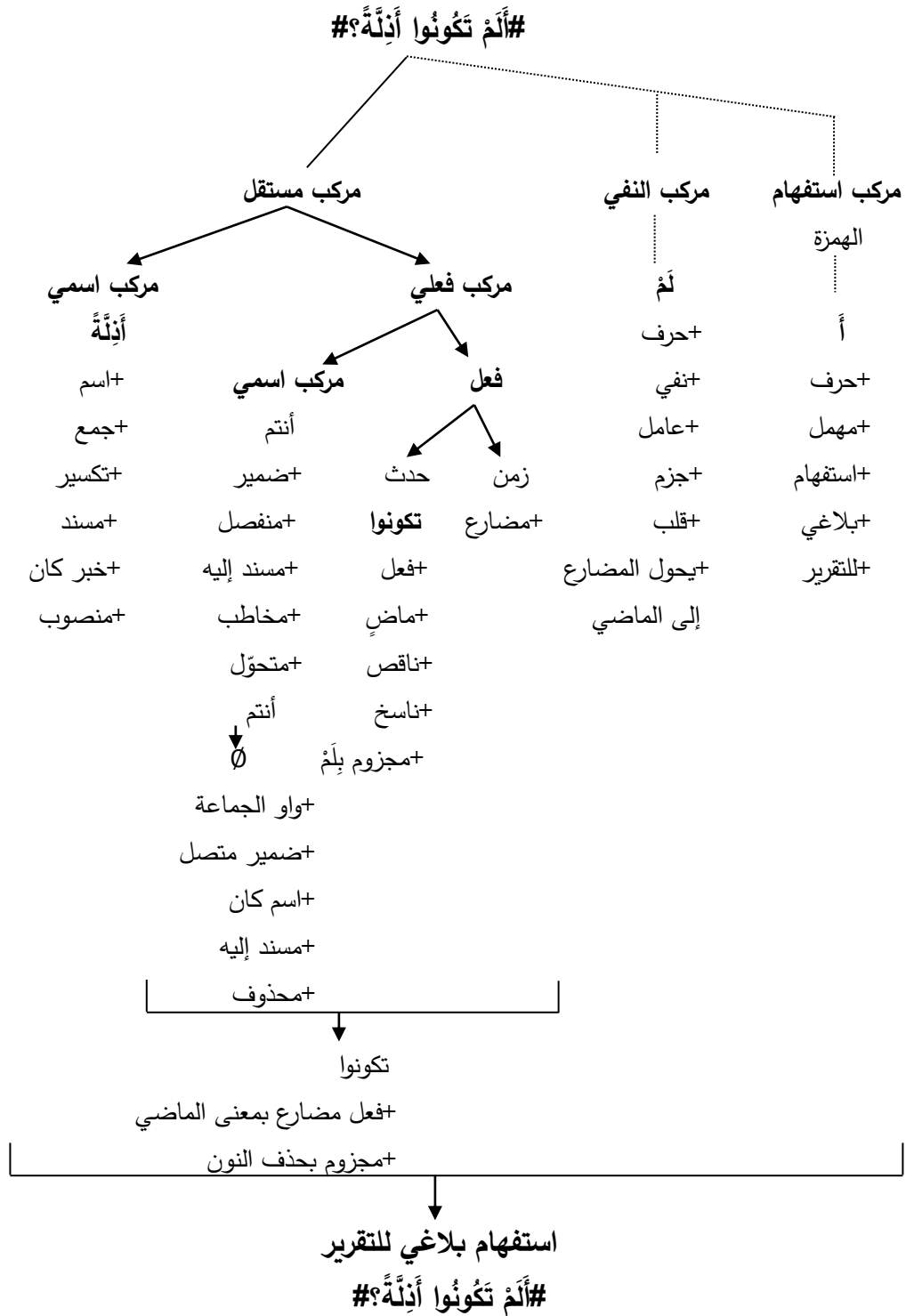


يُلَحَظُ أَنَّ الْأَصْلَ التَّوْلِيدِيَّ لِلتَّرْكِيبِ السَّابِقِ (أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ؟) كَمَا يَظْهَرُ فِي الرَّسْمِ الشَّجَرِيِّ مُكَوَّنٌ مِنْ تَرْكِيبَيْنِ اثْنَيْنِ، وَهُمَا: الْجُمْلَةُ الْفَعْلِيَّةُ (تَشْهَدُ أَنْتَ)، وَالْآخَرُ هُوَ الْجُمْلَةُ الْاِسْمِيَّةُ (أَنَا رَبُّكَ)، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى الْأَصْلِ التَّوْلِيدِيِّ مَرْكَبُ الْاِسْتِفْهَامِ (الْهَمْزَةُ) لِيُحَوَّلَ الْجُمْلَةُ مِنْ مَعْنَاهَا السَّابِقِ إِلَى مَعْنَى التَّقْرِيرِ، وَتَصْبِحَ: (أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ؟).

تَمَّ تَحْوِيلُ الْمَرْكَبِ الْاِسْتِفْهَامِيِّ السَّابِقِ مِنَ الْبَنِيَّةِ الْعَمِيقَةِ لَهُ إِلَى بَنِيَّتِهِ السَّطْحِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ الْقَوَاعِدِ التَّحْوِيلِيَّةِ الْآتِيَةِ:

١. الْحَذْفُ الْإِجْبَارِيُّ "الْوُجُوبِيُّ": تَمَّ حَذْفُ كُلِّ مِنْ:
 - أ. مَرْكَبِ الْإِثْبَاتِ (نَعَمْ).
 - ب. حَذْفِ الْفَاعِلِ الْمُسْتَتِرِ (أَنْتَ) حَذْفًا وَاجِبًا.
٢. الْحَذْفُ الْاِخْتِيَارِيُّ "الْجَوَازِيُّ": تَمَّ حَذْفُ حَرْفِ الْجَرِّ (الْبَاءِ) حَذْفًا جَائِزًا مِنَ الْمَرْكَبِ الْاِسْمِيِّ (أَنِّي رَبُّكَ).
٣. الْإِحْلَالُ "التَّعْوِيزُ":
 - أ. حَلَّ الْمَرْكَبِ الْاِسْتِفْهَامِيِّ هَمْزَةُ الْاِسْتِفْهَامِ (أَ) مَحَلَّ مَرْكَبِ الْإِثْبَاتِ (نَعَمْ).
 - ب. حَلَّتِ النِّغْمَةُ الْهَابِطَةُ الدَّالَّةُ عَلَى التَّقْرِيرِ مَحَلَّ النِّغْمَةِ الصَّاعِدَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْاِسْتِفْهَامِ بَعْدَ دُخُولِ مَرْكَبِ الْاِسْتِفْهَامِ (الْهَمْزَةُ).
 - ت. حَلَّ مَعْنَى الْاِسْتِفْهَامِ التَّقْرِيرِيَّ مَحَلَّ مَعْنَى الْاِسْتِفْهَامِ الطَّلْبِيِّ.
٤. الزِّيَادَةُ "الْإِضَافَةُ": تَمَّ زِيَادَةُ مَرْكَبِ الْاِسْتِفْهَامِ (الْهَمْزَةُ)؛ فَتَحَوَّلَتِ الْجُمْلَةُ مِنْ مَعْنَى الْإِخْبَارِ إِلَى مَعْنَى الْإِنْشَاءِ الطَّلْبِيِّ.
٥. التَّقْلُصُ "الْاِخْتِصَارُ": حَيْثُ تَقَلَّصَ التَّرْكِيبُ الْمُسْتَقِلَّ (بِأَنِّي رَبُّكَ) لِيَصْبِحَ (أَنِّي رَبُّكَ).

نموذجٌ تحليلي لإدخول الهمزة على المركب الفعلي المبدوء بفعل ناقص متصرف منفى ما جاء في خطبته ﷺ للأنصار: "يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ بِي؟ قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ"^(١).



^(١) سبق تخريج الحديث، ص: ٢٥٦، حاشية (٥)، وهي خطبة رقم (٥٤).

يُلْحَظُ أَنَّ الْأَصْلَ التَّوْلِيدِيَّ لِلتَّرْكِيبِ السَّابِقِ (أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً؟) كَمَا يَظْهَرُ فِي الرَّسْمِ الشَّجَرِيِّ هُوَ: (أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ)، ثُمَّ دَخَلَتْ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ عَنَاصِرٍ تَحْوِيلِيَّةٍ، وَلَمْ تُبْعِدْهَا عَنِ الْأَسْمِيَّةِ: العنصر الأول هو مركب (كان الناقصة) التي تفيد اتصاف اسمها بخبرها في الزمن الماضي، وهي هنا عنصر تحويلي فقط؛ أي: تختص بتحويل المعنى لا التركيب؛ فهي لَمْ تُحَوَّلِ الجملة من الاسم إلى الفعلية.

والعنصر التحويلي الثاني هو دخول مركب النفي (لَمْ)، وهو عنصر تحويلي أيضاً، يحول المعنى من الإثبات إلى النفي.

والعنصر التحويلي الثالث هو دخول مركب الاستفهام وهو (الهمزة) التي تفيد معنى التقرير وليس الاستفهام الحقيقي.

وَقَدْ تَحَوَّلَ التَّرْكِيبُ الْاِسْتِفْهَامِيُّ السَّابِقُ مِنْ بَنِيَّتِهِ الْعَمِيقَةِ إِلَى بَنِيَّتِهِ السَّطْحِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ الْقَوَاعِدِ التَّحْوِيلِيَّةِ الْآتِيَةِ:

١. الحذف الإجمالي "الْوَجُوبِي": تَمَّ حَذْفُ كُلِّ مَنْ:

أ. حذف مركب الإثبات (نَعَمْ).

ب. حذف نون (تكونون) لدخول حرف الجزم (لَمْ).

ت. حذف المركب الاسمي (أَنْتُمْ).

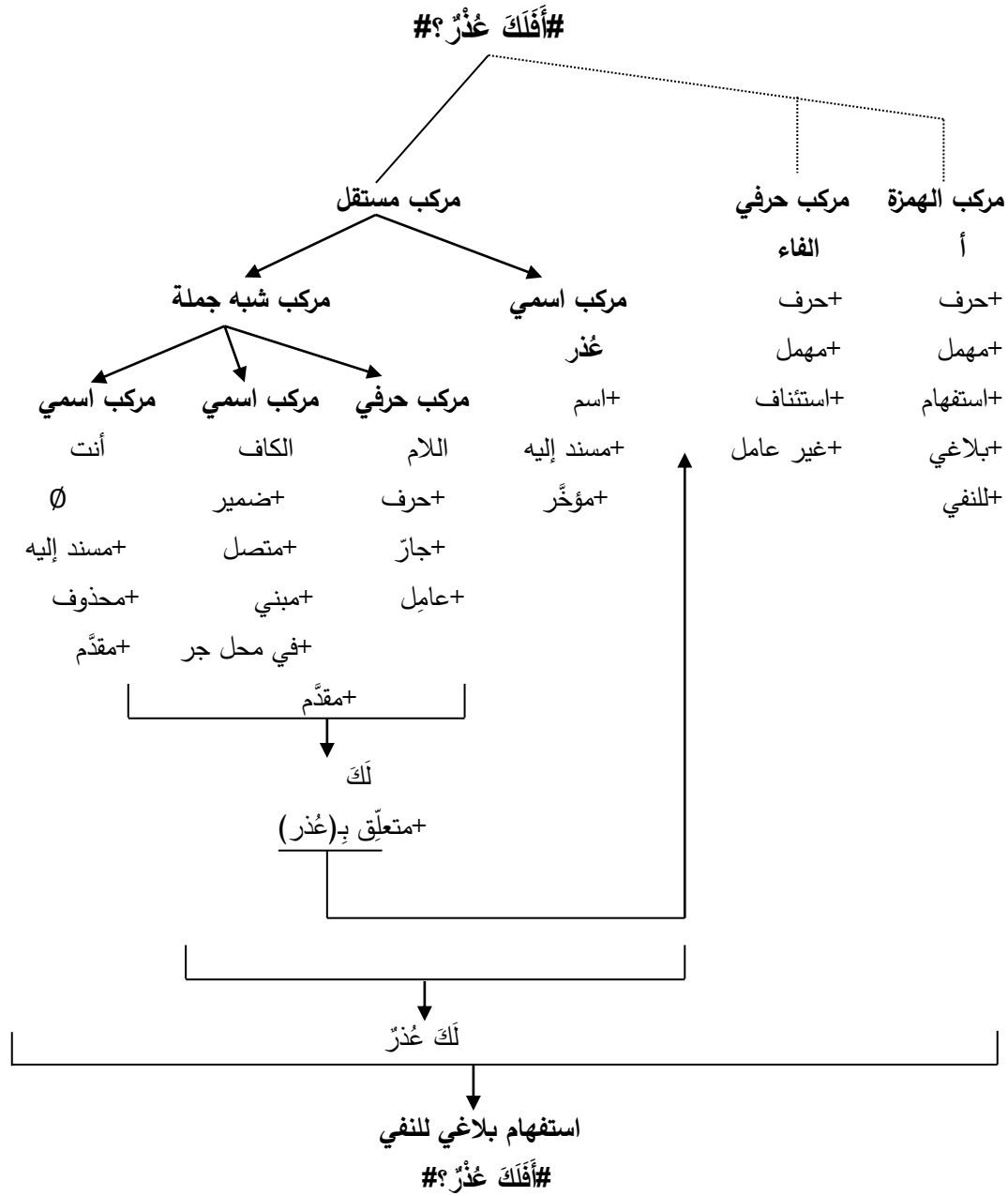
٢. الزيادة "الإضافة": تم زيادة ثلاثة مركبات على الجملة التوليدية (أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ) وهي: مركب (همزة) الاستفهام، ومركب (لَمْ) النافية الجازمة، ومركب (كان) الناقصة.

٣. الإحلال "التعويض":

أ. حيث حلت صيغة المضارع المجزوم (تكونوا) محل صيغة المضارع المرفوع بثبوت النون (تكونون)؛ لدخول (لَمْ) عليها، مع إفادتها معنى الزمن الماضي؛ لِأَنَّ (لَمْ) تُحَوِّلُ معنى الفعل من المضارع إلى الماضي -فهي حرف نفي وجزم وقلب- دون تغيير في صيغة المضارع.

ب. حل معنى التقرير بنغمته الهابطة محل الاستفهام بنغمته الصاعدة؛ ليتحول المعنى معنى الاستفهام الحقيقي إلى معنى التقرير؛ أي: حَلَّ معنى الاستفهام التقريري محل معنى الاستفهام الطلب.

نموذج تحليلي لدخول همزة الاستفهام على مركب شبه الجملة "الجار والمجرور"، وهو قول رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ ... فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ ... (١)".



(١) سبق تخريج الحديث، ص: ٢٥٨، حاشية (١)، وهي خطبة رقم (١٧٣).

يُلْحَظُ أَنَّ الْأَصْلَ التَّوْلِيدِيَّ لِلتَّرَكِيبِ السَّابِقِ (أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟) كَمَا يَظْهَرُ فِي الرَّسْمِ الشَّجَرِيِّ هُوَ: (الْعُذْرُ كَائِنٌ لَكَ)، أَوْ (الْعُذْرُ مُسْتَقَرٌّ لَكَ)، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ عَنصرَانِ تَحْوِيلِيَّانِ:
الأول: دَخَلَ عَلَى الْأَصْلِ التَّوْلِيدِيِّ مَرْكَبُ شَبهِ الْجُمْلَةِ (لَكَ) الَّذِي تَعَلَّقَ بِهِ الْمَحذُوفُ:
(كَائِنٌ) أَوْ (مُسْتَقَرٌّ).

والثاني: دَخَلَ مَرْكَبُ الاسْتِفْهَامِ (الْهَمْزَةُ) لِيُحَوِّلَ الْجُمْلَةَ مِنْ مَعْنَاهَا السَّابِقِ إِلَى مَعْنَى النِّفْيِ، وَتَصْبِحَ: (أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟).

وَتَمَّ تَحَوُّلُ التَّرَكِيبِ الاسْتِفْهَامِيِّ السَّابِقِ مِنْ بَنِيَّتِهِ الْعَمِيقَةِ إِلَى بَنِيَّتِهِ السَّطْحِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ الْقَوَاعِدِ التَّحْوِيلِيَّةِ الْآتِيَةِ:

١. الحذف الإجمالي:

- أ. حذف متعلق شبه الجملة (كائِنٌ).
- ب. حذف مركب النفي (لا).
- ت. حذف المركب الاسمي (أَنْتَ).
٢. التقديم: تم تقديم مركب الجار والمجرور (لَكَ) على المبتدأ المؤخر (عُذْرٌ).
٣. التقلُّص "الاختصار": حَيْثُ تَقَلَّصَ التَّرَكِيبُ الْمُسْتَقِلُّ (الْعُذْرُ كَائِنٌ لَكَ) لِيَصْبِحَ: (أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟).
٤. الإحلال "التعويض":

أ. حَيْثُ حَلَّتْ صِيغَةُ (لَكَ عُذْرٌ) مَحَلَّ صِيغَةِ (الْعُذْرُ كَائِنٌ لَكَ)؛ لَتَتَكَيَّرَ (عُذْرٌ) وَتَقْدَمَ شَبْهُ الْجُمْلَةِ.

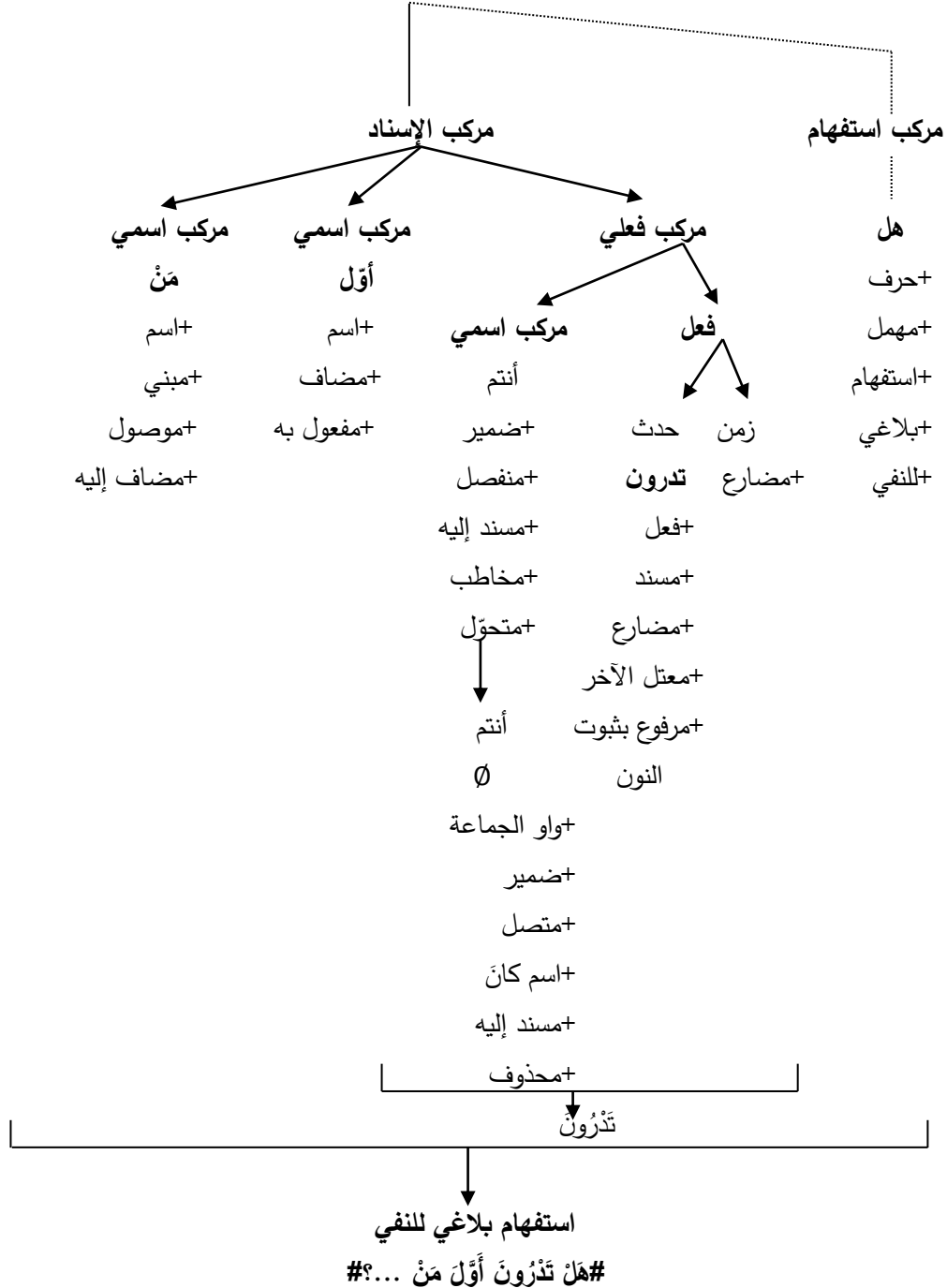
ب. حَلَّ مَعْنَى النِّفْيِ مَحَلَّ مَعْنَى الْإِثْبَاتِ (الْعُذْرُ كَائِنٌ لَكَ)؛ لِدُخُولِ هَمْزَةِ الاسْتِفْهَامِ الَّتِي حَوَّلَتْ الْمَعْنَى إِلَى النِّفْيِ (أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟).

ت. حَلَّ مَعْنَى النِّفْيِ بِنِغْمَتِهِ الْهَابِطَةِ مَحَلَّ الاسْتِفْهَامِ بِنِغْمَتِهِ الصَّاعِدَةِ؛ لِيَتَحَوَّلَ الْمَعْنَى مِنْ مَعْنَى الاسْتِفْهَامِ الْحَقِيقِيِّ إِلَى مَعْنَى النِّفْيِ.

ب. الاستفهام بالحرف (هَلْ):

نموذج تحليلي لدخول (هَلْ) على المركب الفعلي المبدوء بفعل مضارع: قوله ﷺ: "هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ..." (١).

#هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ...؟#

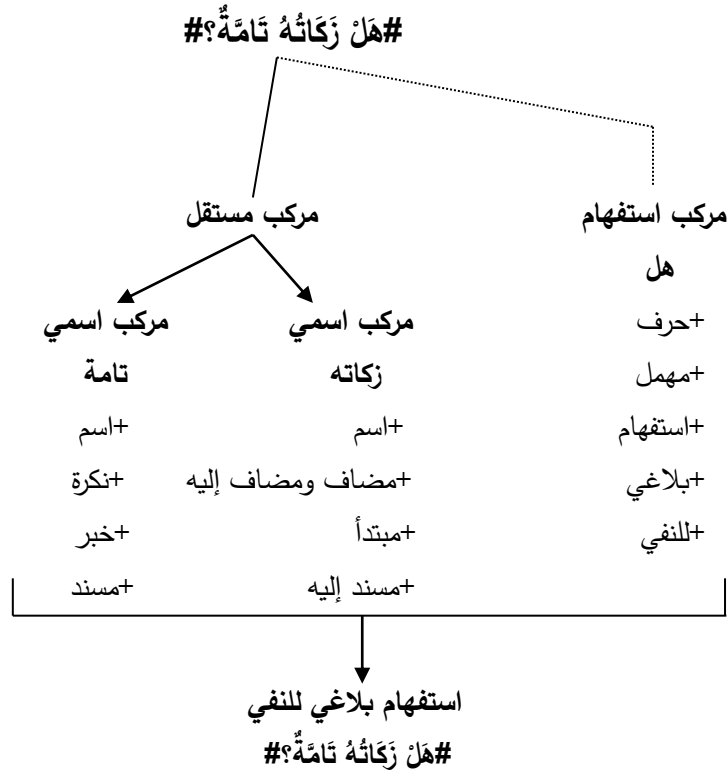


(١) خُطِبَ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٤٨، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٩٢). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مَسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مَسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ: ١٣١/١١، حَدِيثٌ رَقْمُ (٦٥٧٠)، وَمَسْنَدُ الْبَزَّازِ "الْبَحْرُ الرَّجَّارُ"، لِلْبَزَّازِ، حَدِيثٌ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ: ٤٢٦/٦، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٤٥٧).

نَمَّ تحويل التركيب السابق مِنَ البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف الإجباري: حيثُ حُذِفَ المركب الاسمي (أنتم).
٢. الزيادة والإضافة: تم زيادة مركب الاستفهام (هَلْ) على تركيب الجملة.
٣. الإحلال والتعويض:
 - أ. حَلَّ معنى النفي محل معنى الاستفهام الطلبي.
 - ب. حَلَّتْ نغمة النفي الهابطة محلَّ الاستفهام بنغمته الصاعدة؛ ليتحول معنى الاستفهام الحقيقي إلى معنى النفي.
٤. التقلُّص والاختصار: تقلص الفعل (يدرون) الدال على الحال والاستقبال إلى المضارع الدالَّ على الاستقبال فقط؛ لدخول (هَلْ) عليه.

نموذج تحليلي لدُخول (هَلْ) على المركب الاسمي: قوله ﷺ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ مِنْ دِينِهِمُ الصَّلَاةُ، وَآخِرَ مَا يَبْقَى الصَّلَاةُ، وَأَوَّلَ مَا يُحَاسِبُونَ بِهِ الصَّلَاةُ، ... ثُمَّ قَالَ: انْظُرُوا هَلْ زَكَاةُ تَامَّةٌ؟..."^(١).



تم تحويل التركيب السابق من البنية العميقة (الزكاة تامة) إلى البنية السطحية (هل زكاته تامة؟) عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الزيادة والإضافة: تم زيادة مركب الاستفهام (هَلْ) على تركيب الجملة.
٢. الإحلال والتعويض:

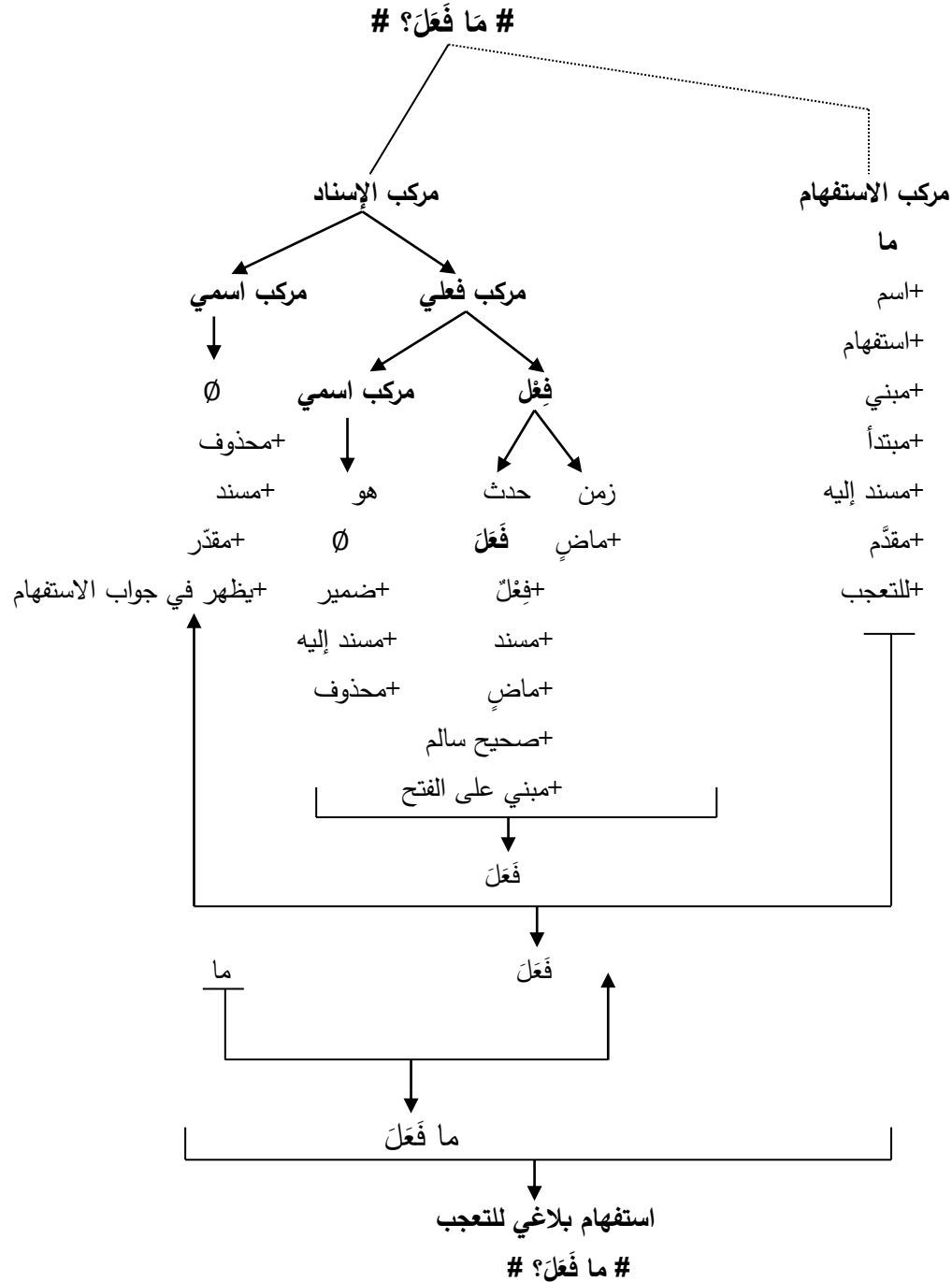
- أ. حَلَّ معنى النفي محل معنى الاستفهام الطلبي.
- ب. حَلَّتْ نعمة النفي الهابطة محلَّ نعمة الاستفهام الصاعدة؛ ليتحول معنى الاستفهام الحقيقي إلى معنى النفي.

^(١) سبق تخريج الحديث، ص: ٢٥٨، حاشية (٤)، وهي خطبة رقم (٦٧).

١. الاستفهام بالمركب الاسمي:

أ. نموذج تحليلي لتركيب الاستفهام بالاسم (ما):

مِنْ أَمْثَلَةِ دُخُولِ (مَا) عَلَى الْمَرْكَبِ الْفِعْلِيِّ الْمَبْدُوءِ بِفِعْلِ مَاضٍ مَا جَاءَ فِي إِحْدَى خُطَبِ النَّبِيِّ ﷺ: "... أَخْبِرُونِي ... مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ حَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، ..." ^(١).



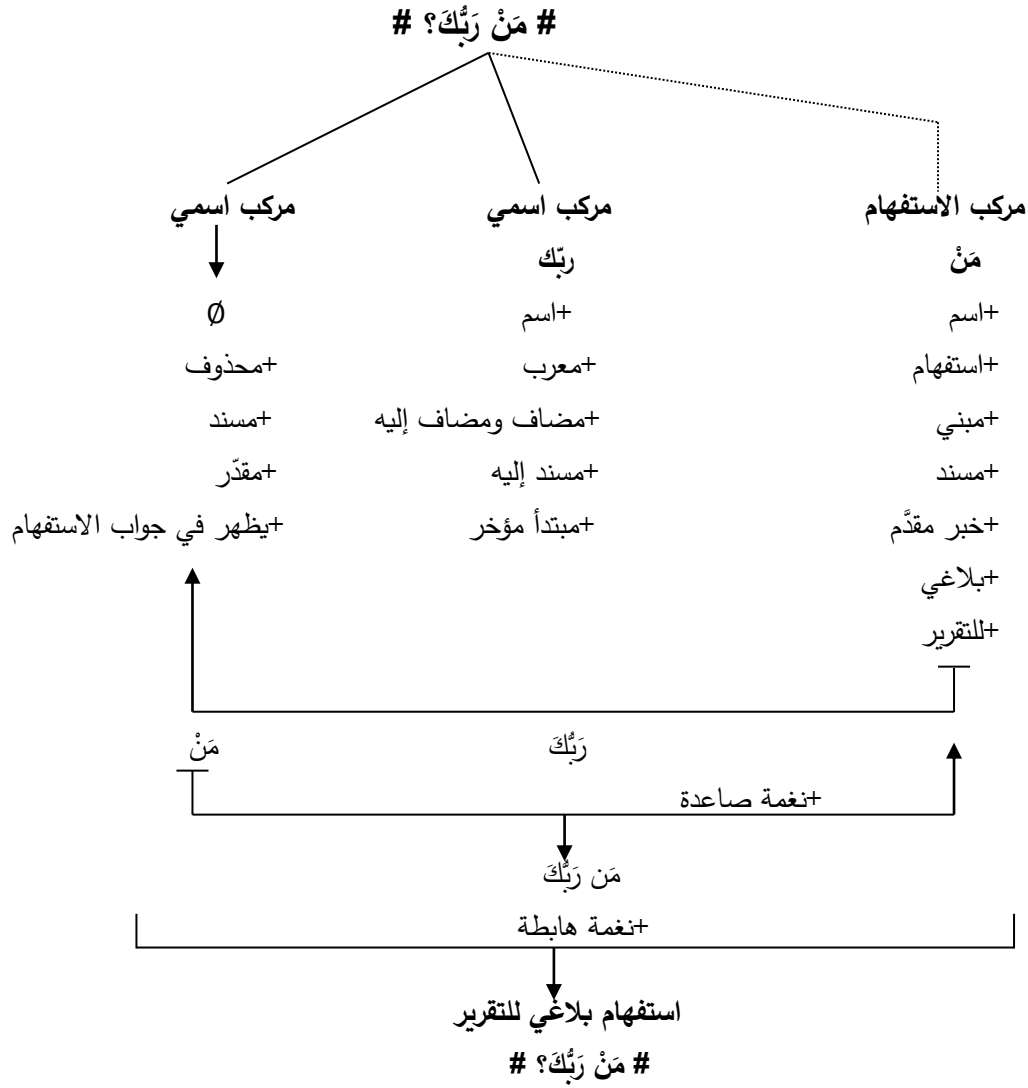
^(١) سَبَقَ تَخْرِيجَ الْحَدِيثِ، ص: ٢٥٦، حَاشِيَةُ (٢)، وَهِيَ خُطْبَةُ رَقْم (٥٣٠).

تَمَّ تحويل التركيب السابق مِنْ البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف الإجباري: حيثُ حُذِفَ المركب الاسمي (هُوَ).
٢. الزيادة: تم زيادة مركب الاستفهام (ما) على الجملة الإخبارية محذوفة الخبر.
٣. الإحلال:
 - أ. حَلَّ مركب الاستفهام (ما) محل المركب الاسمي الثاني المحذوف.
 - ب. حَلَّتْ صيغة الاستفهام محل صيغة الإخبار المحايد.
 - ت. تُمَّ حَلَّ معنى التعجب محل معنى الاستفهام، كما حلت النغمة الهابطة للتعجب محلَّ النغمة الصاعدة للاستفهام.
٤. التقديم: تقدم مركب الاستفهام (ما) - الواقع مبتدأً لِحَقِّ الصدارة - على المركب الاسمي الأول الواقع خبرًا.

ب. نموذج تحليلي لتركيب الاستفهام بالاسم (مَنْ):

مَنْ أمثلة دخول (مَنْ) على المركب الاسمي ما جاء في إحدى خطب النبي ﷺ للتحذير مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ: "... وَيَقُولُ لَهُ الْحَبِيبُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَأَنْتَ عَدُوُّ اللَّهِ، ..."(١).



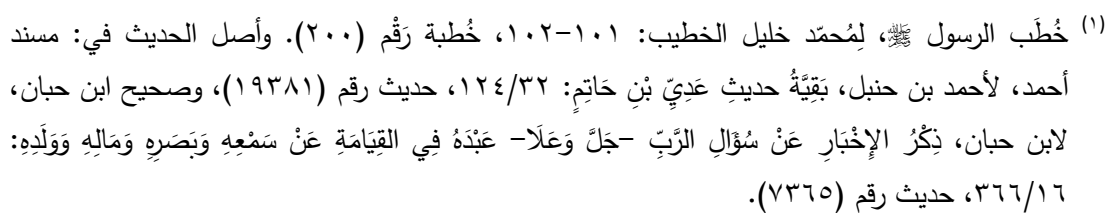
(١) سبق تخريج الحديث، ص: ٢٥٦، حاشية (١)، وهي خطبة رقم (٥٢٩).

تَمَّ تحويل التركيب السابق مِنْ البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف: حذف المركب الاسمي الثاني حذفًا إجباريًا.
٢. الزيادة: تم زيادة مركب الاستفهام (مَنْ) على الجملة الإخبارية.
٣. الإحلال:
 - ث. حَلَّ مركب الاستفهام (مَنْ) محل المركب الاسمي الثاني المحذوف.
 - ج. حَلَّتْ صيغة الاستفهام محل صيغة الخبر.
 - ح. تُمَّ حَلَّ معنى التقرير محل معنى الاستفهام.
 - خ. حلت النغمة الهابطة للتقرير محلَّ النغمة الصاعدة للاستفهام.
٤. التقديم: تقدم مركب الاستفهام (مَنْ) -الذي حل محل المركب المحذوف الواقع خبرًا- على المركب الاسمي الأول (رَبُّكَ) الواقع مبتدأً.

ما جاء في خطبة للنبي ﷺ عَنْ رَبِّهِ ﷻ: "أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ مَالًا وَوَلَدًا؟ فَمَاذَا قَدَّمْتَ؟" (١).

فَمَاذَا قَدَّمْتَ؟

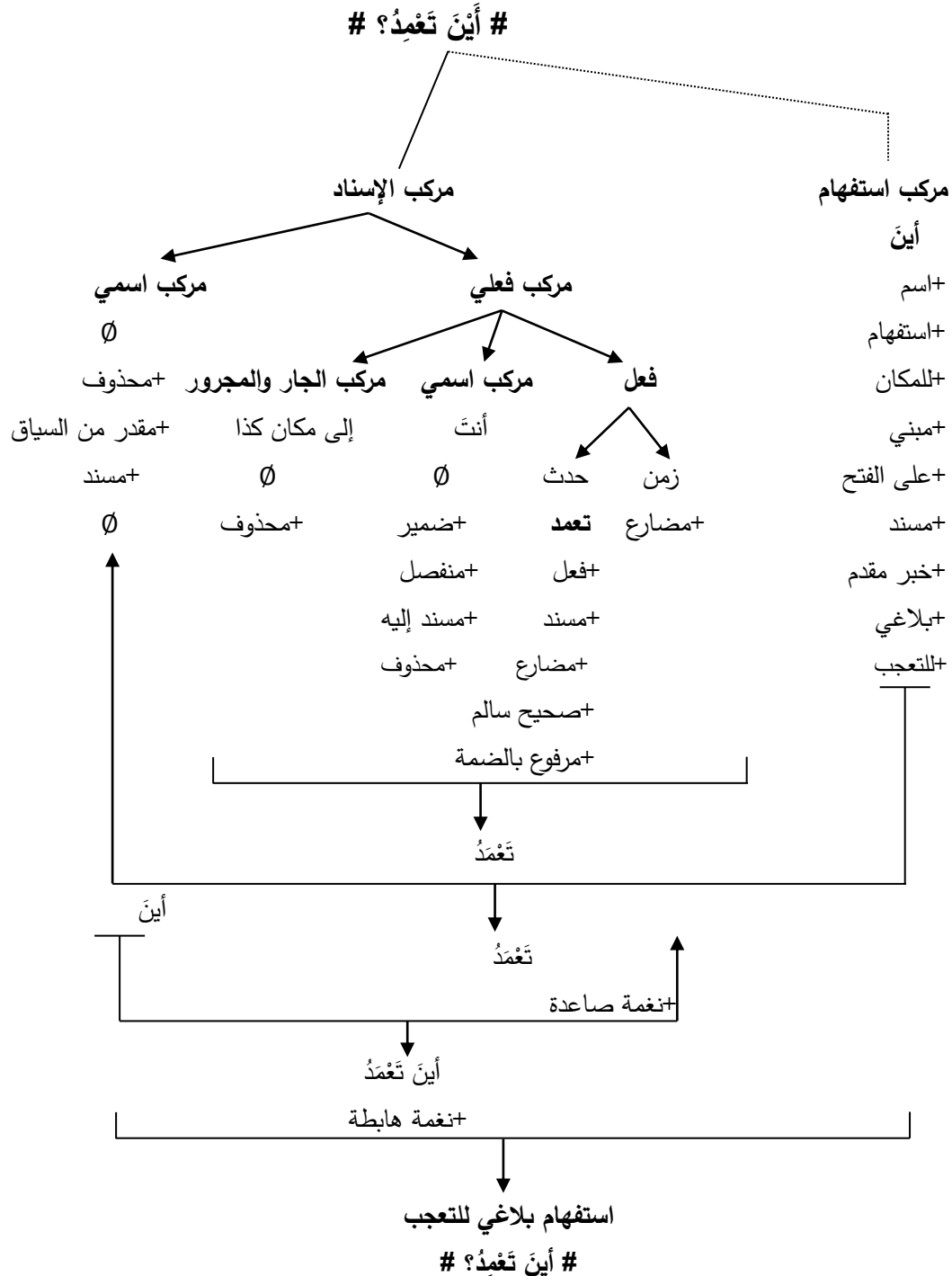


تَمَّ تحويل التركيب السابق من البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف: حذف المركب الاسمي الثاني -الواقع مفعولاً به- حذفاً إجبارياً.
٢. الزيادة:
 - أ. تم زيادة السابقة (الفاء) وهي حرف استئناف.
 - ب. تم زيادة مركب الاستفهام (ماذا) على الجملة الفعلية الخبرية؛ فتحوّلت إلى جملة استفهامية.
٣. الإحلال:
 - أ. حُلَّ مركب الاستفهام (ماذا) محل المركب الاسمي الثاني المحذوف الواقع مفعولاً به.
 - ب. حلت صيغة الاستفهام محل صيغة الإخبار المحايد.
 - ت. حل الضمير المتصل (تاء الفاعل) محل الضمير المنفصل (أنت).
 - ث. تُمَّ حُلَّ معنى التقليل محل معنى الاستفهام.
 - ج. حلت النغمة الهابطة للتنبيه على التقليل محلّ النغمة الصاعدة للاستفهام.
٤. التقديم: تقدم مركب الاستفهام (ماذا) -الذي حل محل المركب المحذوف الواقع مفعولاً به- على الفعل والفاعل؛ ليحل مركب الاستفهام محل الصدارة في الجملة.

ث. نموذج تحليلي لتركيب الاستفهام بالاسم (أَيْنَ):

مِنْ أَمثلةِ دخولِ (أَيْنَ) على المركبِ الفعلي قولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "يُخْرِجُ الدَّجَالَ فَيَتَوَجَّهُ قَبْلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَتَلَقَّاهُ مَسَالِحُ الدَّجَالِ؛ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمَدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمَدُ إِلَى هَذَا الَّذِي حَرَجَ؛..."^(١).



(١) سبق تخريج الحديث، ص: ٢٥٩، حاشية (٢)، وهي خطبة رقم (٥٣٤).

تَمَّ تحويل التركيب السابق من البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف:

- أ. حُذِفَ المركب الاسمي الأول -وهو الضمير (أَنْتَ) الواقع فاعلاً- حَذْفًا إجباريًا.
 - ب. حُذِفَ مركب الجار والمجرور، الذي يُفهم من سياق التركيب.
 - ت. حُذِفَ المركب الاسمي الثاني المُقَدَّر من السياق.
٢. الزيادة: تم زيادة مركب الاستفهام (أَيَّنَ) على الجملة الفعلية الخبرية؛ فتحوّلت إلى جملة استفهامية.

٣. الإحلال:

- أ. حُلَّ مركب الاستفهام (أَيَّنَ) محل المركب الاسمي الثاني المحذوف.
 - ب. حلت صيغة الاستفهام محل صيغة الإخبار المحايد.
 - ت. ثُمَّ حُلَّ معنى التعجب محل معنى الاستفهام.
 - ث. حلت النغمة الهابطة للتعجب محلَّ النغمة الصاعدة للاستفهام.
٤. التقديم: تقدم مركب الاستفهام (أَيَّنَ) -الذي حل محل المركب الاسمي المحذوف- على الفعل والفاعل؛ ليحل مركب الاستفهام محل الصدارة في الجملة، ويصبح التركيب: (أَيَّنَ نَعْمِدُ؟).

٥. التقلص والاختصار: تقلَّص الفعل (نَعْمِدُ) الدال على الحال والاستقبال إلى المضارع الدالَّ على الاستقبال فقط؛ لدخول (أَيَّنَ) عليه.

مِنْ أَمْثَلَةِ دُخُولِهَا عَلَى الْمَرْكَبِ الْفَعْلِيِّ الْمَبْدُوءِ بِفَعْلٍ مَاضٍ: "قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ"^(١).

مركب استفهام

كيف

+اسم

+استفهام

+الحال

+مبني

+على الفتح

+مسند

+خبر مقدّم

+بلاغي

+للتعجب

مركب اسمي

Ø

+محذوف

+مسند

+مقدّر

+يظهر في الجواب

مركب الإسناد

مركب الجار والمجرور

بِهِمْ

+جار ومجرور

مركب فعلي

فعل

صَنَعَ

زَمَنْ

حَدَثَ

+ماضٍ

هو

Ø

+ضمير

+مسند

+ماضٍ

+صحيح سالم

+محذوف

+مبني على الفتح

صَنَعَ بِهِمْ

كيف

+نغمة صاعدة

كيف صَنَعَ بِهِمْ

+نغمة هابطة

استفهام بلاغي للتعجب

كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟

ΥΛΞ

تَمَّ تحويل التركيب السابق مِنْ البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف:

أ. حُذِفَ المركب الاسمي الأول -وهو الضمير (هُوَ) الواقع فاعلاً- حَذْفًا إجباريًا.

ب. حُذِفَ المركب الاسمي الثاني المُقَدَّر في الجواب.

٢. الزيادة: تم زيادة مركب الاستفهام الدال على الحال (كَيْفَ) على الجملة الفعلية الخبرية؛ فتحوّلت إلى جملة استفهامية.

٣. الإحلال:

أ. حُلَّ مركب الاستفهام (كَيْفَ) محل المركب الاسمي الثاني المحذوف.

ب. حلت صيغة الاستفهام عن الحال محلَّ صيغة الإخبار المحايد.

ت. حُلَّ معنى التعجب محل معنى الاستفهام.

ث. حلت النغمة الهابطة للتعجب محلَّ النغمة الصاعدة للاستفهام.

٤. التقديم: تقدم مركب الاستفهام (كَيْفَ) -الذي حل محل المركب الاسمي الثاني

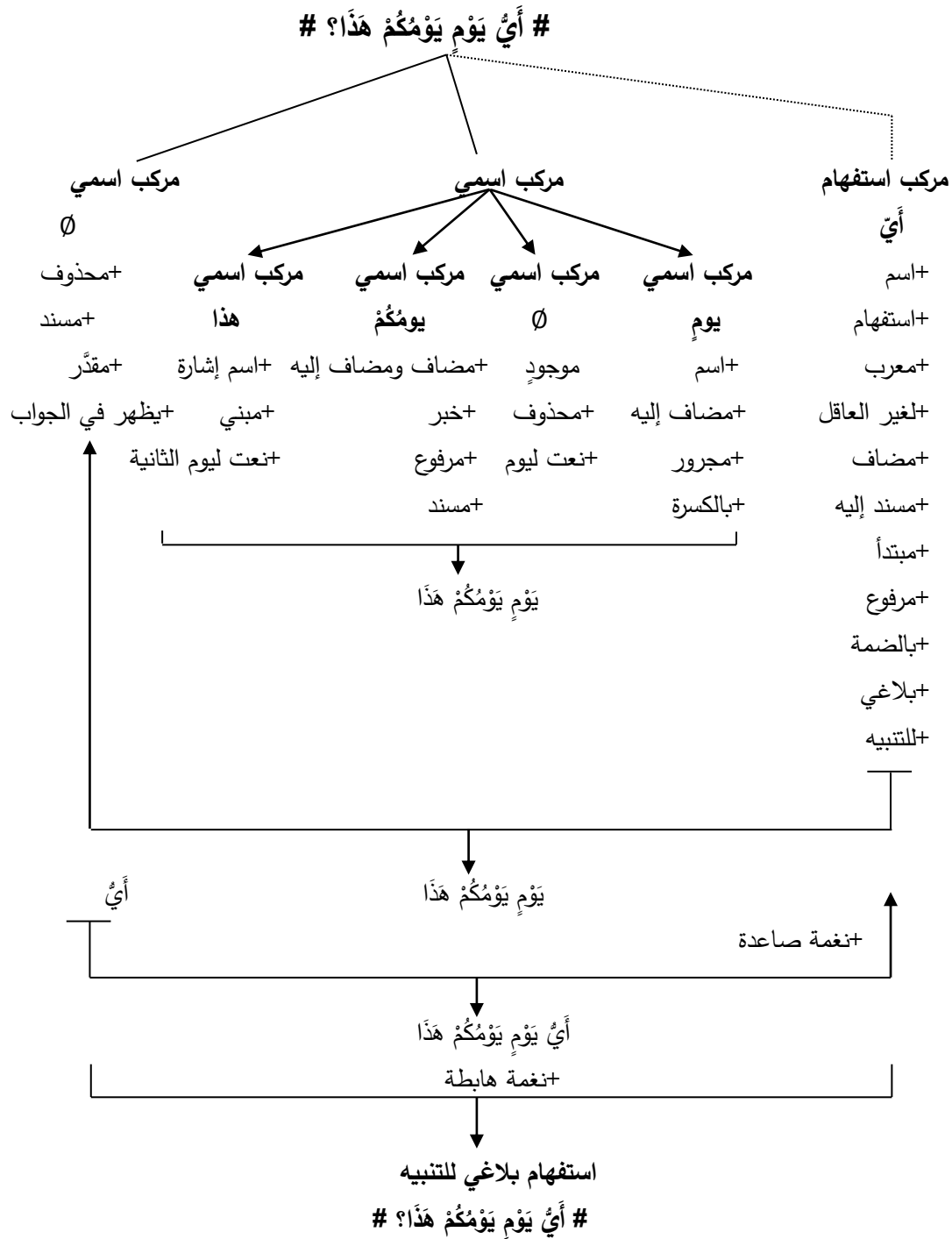
المحذوف- على الفعل والفاعل؛ فَقَدْ تَقَدَّمَ عَلَى المركب الاسمي الواقع مبتدأ؛ ليحل

مركب الاستفهام (كَيْفَ) محلَّ الصدارة في الجملة، ويصبح التركيب: (كَيْفَ صَنَعَ

بِهِمْ؟).

ح. نموذج تحليلي لتركيب الاستفهام بالاسم (أي):

من أمثلة دخول (أي) على المركب الاسمي قول رسول الله ﷺ عندما قام في الصحابة يوم حجّه على ناقّة حمراء مُحضَرَمَةٍ فَقَالَ: "أَيُّ يَوْمٍ يَوْمُكُمْ هَذَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؛ فَقَالَ: فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ ... (١)".



(١) سبق تخريج الحديث، ص: ٢٦٣، حاشية (٣)، وهي خطبة رقم (١٢١).

تَمَّ تحويل التركيب السابق من البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف الإجباري:

أ. حُذِفَ المركب الاسمي الثاني، وهو النعت (موجود).

ب. حُذِفَ المركب الاسمي الخامس المُقَدَّر في الجواب.

٢. الزيادة: تم زيادة مركب الاستفهام الدال -هنا- على غير العاقل (أَيَّ) على الجملة الاسمية الخبرية؛ فتحوّلت إلى جملة استفهامية.

٣. الإحلال:

أ. حَلَّ مركب الاستفهام (أَيَّ) محل المركب الاسمي الخامس المحذوف.

ب. حلت صيغة الاستفهام محلَّ صيغة الإخبار المحايد.

ت. حَلَّ معنى التنبيه محل معنى الاستفهام.

ث. حلت النغمة الهابطة للتنبيه محلَّ النغمة الصاعدة للاستفهام.

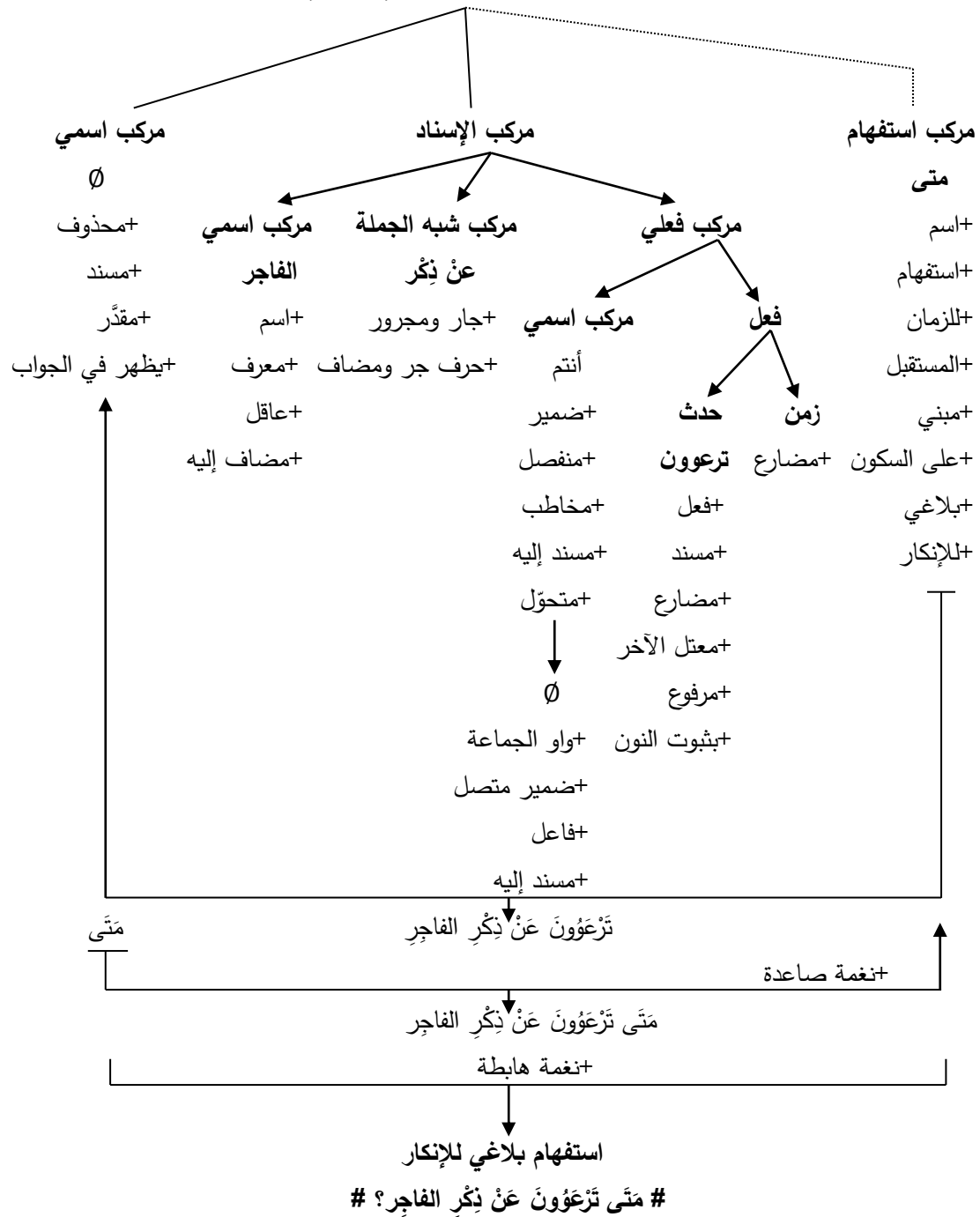
٤. التقديم: تقدم مركب الاستفهام (أَيَّ) الذي حَلَّ محلَّ المركب الاسمي الخامس المحذوف؛

ليحل مركب الاستفهام (أَيَّ) محلَّ الصدارة في الجملة، ويصبح التركيب: (أَيَّ يَوْمٍ يَوْمُكُمْ هَذَا؟).

خ. نموذج تحليلي لتركيب الاستفهام بالاسم (متى):

جاء في إحدى خطبه عليه السلام: "حَتَّى مَتَى تَرْعَوُونَ عَنْ ذِكْرِ الْفَاجِرِ؟ ..."^(١).

مَتَى تَرْعَوُونَ عَنْ ذِكْرِ الْفَاجِرِ؟



(١) سبق تخريج الحديث، ص: ٢٦٠، حاشية (٢)، وهي خطبة رقم (٢٥٣).

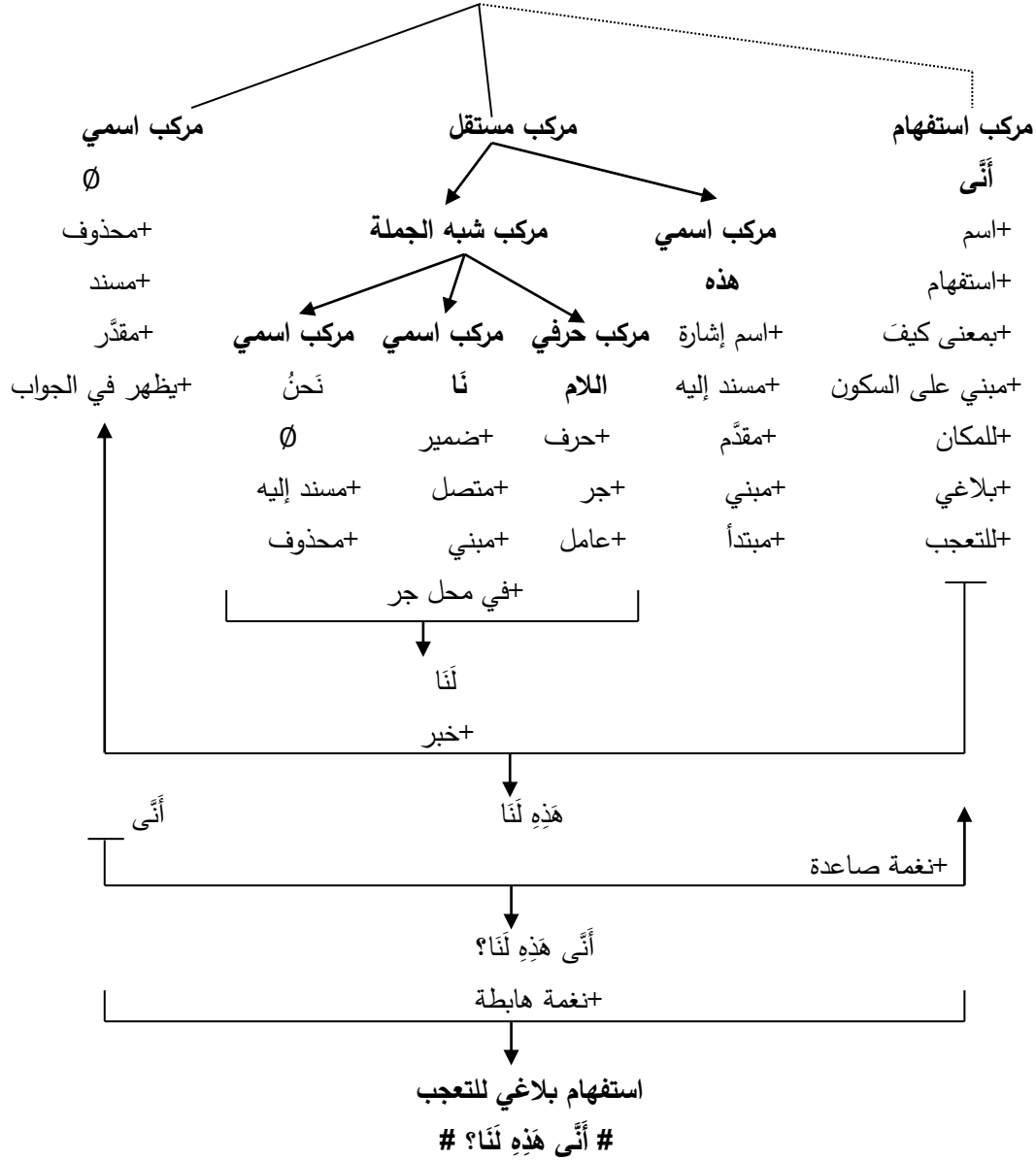
تَحَوَّلَ التركيبُ السابق من البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف الإجباري:
 - أ. حُذِفَ المركب الاسمي الأول، وهو الضمير (أنتم).
 - ب. حُذِفَ المركب الاسمي الثالث المُقَدَّر في الجواب.
٢. الزيادة والإضافة: تم زيادة مركب الاستفهام الدال على الزمان المستقبَل (مَتَى) على الجملة الاسمية الخبرية؛ فتحوّلت إلى جملة استفهامية.
٣. الإحلال والتعويض:
 - أ. حُلَّ مركب الاستفهام (مَتَى) محلَّ المركب الاسمي الثالث المحذوف.
 - ب. حلت صيغة الاستفهام محلَّ صيغة الإخبار المحايد.
 - ت. حُلَّ معنى الإنكار محل معنى الاستفهام.
 - ث. حلت النغمة الهابطة للإنكار محلَّ النغمة الصاعدة للاستفهام.
٤. التقديم: تقدم مركب الاستفهام (متى) الذي حُلَّ محلَّ المركب الاسمي الثالث المحذوف؛ ليحلَّ مركب الاستفهام محلَّ الصدارة في الجملة، ويصبح التركيب: (مَتَى تَرَعُوْنَ عَنْ دِكْرِ الفاجر؟).
٥. التَقْلُصُّ والاختصار: حيثُ تَقْلُصُ الفعل المضارع (تَرَعُوْنَ) الدالَّ على الحال والاستقبال إلى المضارع الدالَّ على الاستقبال فقط؛ لدخول (مَتَى) عليه.

د. نموذج تحليلي لتركيب الاستفهام بالاسم (أَنْتَ):

رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: "...؛ فَإِنْ كَانَ أَبَوَاهُ مُسْلِمَيْنِ كُسِيَا حُلَّةً خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؛ فَيَقُولَانِ: أَنْتَ هَذِهِ لَنَا؟ فَيُقَالُ: بِمَا كَانَ وَلَدُكُمَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ" (١).

أَنْتَ هَذِهِ لَنَا؟

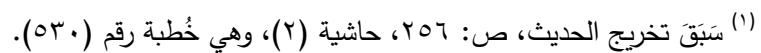


(١) سبق تخريج الحديث، ص: ٢٦٠، حاشية (١)، وهي خطبة رقم (١٤٦).

تَحَوَّلَ التركيبُ السابق من البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف الإجباري:
 - أ. حُذِفَ المركب الاسمي الثالث، وهو الضمير (نَحْنُ).
 - ب. حُذِفَ المركب الاسمي الرابع المُقَدَّر في الجواب.
٢. الزيادة والإضافة: تَمَّ زيادة مركب الاستفهام الدال على المكان (أَنَّى) على الجملة الاسمية الخبرية؛ فتحوّلت إلى جملة استفهامية.
٣. الإحلال والتعويض:
 - أ. حَلَّ مركب الاستفهام (أَنَّى) محلَّ المركب الاسمي الرابع المحذوف.
 - ب. حَلَّتْ صيغة الاستفهام محلَّ صيغة الإخبار المحايد.
 - ت. حَلَّ معنى التعجب محل معنى الاستفهام.
 - ث. حَلَّتِ النغمة الهابطة للتعجب محلَّ النغمة الصاعدة للاستفهام.
٤. التقديم: تقدّم مركب الاستفهام (أَنَّى) الذي حَلَّ محلَّ المركب الاسمي الرابع المحذوف؛ ليحل مركب الاستفهام محلَّ الصدارة في الجملة، ويصبح التركيب: (أَنَّى هَذِهِ لَنَا؟).

مِنْ أَمْثَلَةِ الْإِسْتِفْهَامِ بِحَذْفِ الْحَرْفِ مَا جَاءَ فِي إِحْدَى خُطَبِ النَّبِيِّ ﷺ: "... قَالَ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، ... (١)".



تَحَوَّلَ التركيبُ السابق من البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف الإجباري: حُذِفَ مركب الاستفهام (الهمزة) حَذْفًا وَجُوبِيًّا مع بقاء التنغيم الصوتي الدالّ عليها.

٢. الزيادة والإضافة:

أ. تَمَّ زيادة مركب الاستفهام (الهمزة) تقديرًا -أي: يتم تقديرها لأنها أمّ الباب- على الجملة الاسمية الخبرية؛ فتحوّلت إلى جملة استفهامية بالتنغيم الصوتي.
ب. زِيدَ المركبُ الحرفي (قَدْ) على الجملة الفعلية.

٣. الإحلال والتعويض:

أ. حُلَّتْ صيغة الاستفهام بالتنغيم الصوتي محذوف الحرف محلّ صيغة الإخبار المحايد؛ وذاك بعد زيادة مركب الاستفهام (الهمزة).

ب. حُلَّتِ النغمة الصاعدة محل النغمة الهابطة، ثُمَّ حُلَّ الاستفهام بالتنغيم الصوتي محلّ الاستفهام بالهمزة بعد حذفها مع بقاء النغمة الصاعدة الدالة على الاستفهام، ثُمَّ حُلَّ معنى التقرير محلّ معنى الاستفهام بالتنغيم الصوتي^(١)، وعلى إثر ذلك حُلَّتِ النغمة الهابطة الدالة على التقرير محلّ النغمة الصاعدة الدالة على الاستفهام.

ت. حُلَّ معنى التقرير محلّ معنى الاستفهام.

٤. التقديم: تقدّمَ مركب الاستفهام (الهمزة) المُقدَّر تنغيميًّا على الجملة؛ ليحلّ المركب الاستفهامي -المُقدَّر بالتنغيم الصوتي- محلّ الصدارة في الجملة، ويصبح التركيب: (قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟).

(١) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ١٤٣.

المبحث الثاني

تركيب الأمر

أولاً: تعريف الأمر

الأمر لغة: نَقِيضُ النَّهْيِ وَضِدُّهُ، يُقَالُ: (أَمَرَهُ بِأَمْرِهِ أَمْرًا)، ويقول الأمرُ للمأمور: (افْعَلْ كَذَا)، ويأتي الأمرُ بمعنى: الشيء، والشأن، والقضاء، والحال، والامتنال. وصيغة الأمر: صيغة يُطلب بها إنشاء شيءٍ "فِعْلٍ" في المستقبل^(١).

الأمر اصطلاحاً: هو طَلَبُ الفِعْلِ على جِهَةِ الاستعلاء والإلزام. ويُقصد بالاستعلاء أن ينظر الأمرُ لنفسه على أنه أعلى منزلةً مِمَّنْ يُوجِّهُ الأمرَ إليه أو مِمَّنْ يخاطبه، سواء أكان أعلى منزلةً منه في الواقع أم لا^(٢). أو كما قال العلوي: "الأمر هو: صيغةٌ تَسْتَدْعِي الفِعْلَ، أو قَوْلٌ يُنبِئُ عن استدعاء الفعل مِنْ جهة الغير على جهة الاستعلاء"^(٣).

ثانياً: صور الأمر:

وللأمر أربع صيغ أو صور، وهي^(٤):

١. فعل الأمر: كقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾^(٥)،

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَكُرِّمُوا مَعَ الرَّكَّاعِينَ﴾^(٦).

ويأتي فعل الأمر من الفعل الثلاثي، نحو: (ضَمَّ)، والرباعي، نحو: (أَحْسَنَ)، والخماسي، نحو: (اجْتَهِدْ)، والسداسي، نحو: (اسْتَغْفِرْ).

٢. المضارع المقرون بلام الأمر: نحو قوله تعالى: ﴿لِيُثَبِّتْ دُوسَعَةً مِنْ سَعَةِهِ وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ مِرْرَةٌ

فَلْيُثَبِّتْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾^(٢).

(١) انظر: العين، للخليل بن أحمد: ٢٩٧/٨ (باب الزاء والميم)، والصَّحاح، للجوهري: ٥٨٢/٢ (أَمَرَ)، ومقاييس اللغة، لابن فارس: ١٣٧/١ (أَمَرَ)، ولسان العرب، لابن منظور: ٢٦/٤ (أَمَرَ)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر: ١١٧-١١٨ (أَمَرَ).

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب: ٣١٣/١، وعلم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ٧٥.

(٣) الطراز لأسرار البلاغة، للعلوي: ١٥٥/٣.

(٤) انظر: الإيضاح، للقرظيني: ٨١/٣، وجواهر البلاغة، للهاشمي: ٧١، وعلوم البلاغة، للمراغي: ٧٥، وعلم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ٧٥-٧٦.

(٥) سورة التوبة: ١٠٣.

(٦) سورة البقرة: ٤٣.

ولام الأمر المقترنة بالفعل المضارع هي لام جازمة، تدخل على المضارع فتحول مدلوله من المضارع إلى الأمر، وتكون هذه اللام مكسورة: (لِيَكْتُبْ)، وإسكانها بعد (الفاء) و(الواو) أَكْثَرُ مِنْ تحريكها، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾^(٣)، وقد تسكن هذه اللام بعد (ثَمَّ)، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾^(٤) ﴿٥﴾.

٣. المصدر النائب عن فعل الأمر: نحو قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٦)، والتقدير: وَأَحْسِنُوا إِلَى الْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، وكقوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾^(٧)؛ أَي: اضْرِبُوا رِقَابَ الْكَافِرِ ضَرْبًا، وكقولك لا بُدَّكَ: (سَعْيًا فِي سَبِيلِ الْمَعَالِي)؛ أَي: اسْعَ سَعْيًا فِي سَبِيلِ الْمَعَالِي.

٤. اسم فعل الأمر: و(اسم الفعل) هو "ما نابَ عَنِ الْفِعْلِ مَعْنَى واستعمالاً"^(٨)؛ أَي: أَنْ اسم الفعل يدل على معنى الفعل، ويعمل عمله، ولكنه لا يقبل علاماته^(٩).
ومن أمثلة اسم فعل الأمر: (عَلَيْكُمْ) بمعنى: (الزُّمُوا) كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾^(١٠)؛ أَي: الزُّمُوا أَنْفُسَكُمْ، وكقولنا: (أَمِينَ)؛ بمعنى: اسْتَجِبْ، و(صَهْ)؛ أَي: اسْكُتْ، و(هَلُمَّ)؛ أَي: أَسْرِعْ وَأَقْبِلْ، قال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾^(١١).

وفي (هَلُمَّ) قَوْلَانِ: "أحدهما: هِيَ اسْمٌ لِلْفِعْلِ، فَلَا يَظْهَرُ فِيهِ عِلْمُ التَّنْثِيَةِ وَالْجَمْعِ وَالتَّأْنِيثِ، وَبِهَا جَاءَ الْقُرْآنُ. وَالْقَوْلُ الثَّانِي: هِيَ فِعْلٌ تَظْهَرُ فِيهِ عِلَامَةُ التَّنْثِيَةِ وَالْجَمْعِ وَالتَّأْنِيثِ، نَحْوُ: (هَلُمَّا) و(هَلِّمُوا) و(هَلِّمِي)، وَأَمَّا جَمَاعَةُ النِّسْوَةِ فَالْجَيْدُ فِيهَا (هَلْمُنَّ) وَقَدْ قِيلَ غَيْرُ

(١) سورة الطلاق: ٧.

(٢) سورة قريش: ٣.

(٣) سورة البقرة: ١٨٦.

(٤) سورة الحج: ٢٩.

(٥) انظر: مغني اللبيب، لابن هشام: ٢٩٤-٢٩٥.

(٦) سورة البقرة: ٨٣.

(٧) سورة محمد: ٤.

(٨) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام: ٧٨/٤.

(٩) انظر: شرح قطر الندى وَبَلَّ الصدى، لابن هشام: ٣١، وشرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، للجَوْجَرِيِّ: ٢٧٠/١، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك، للأشموني: ٤٠/١.

(١٠) سورة المائدة: ١٠٥.

(١١) سورة الأحزاب: ١٨.

ذَلِكَ وَلَا يُعَرَّجُ عَلَيْهِ. فَإِذَا جُعِلَتْ اسْمًا لِلْفِعْلِ فَمَعْنَاهَا: احْضَرُوا أَوْ أَقْبِلُوا، وَهِيَ مَرْكَبَةٌ إِذَا كَانَتْ فِعْلًا مِنْ (هَآ) وَ(لَمْ)؛ فَأَصْلُهَا (هَآ أَلْمَمْ) فَحَذَفَتْ أَلْفُهَا وَهَمْزَةُ الْوَصْلِ؛ فَلَزِمَ الْإِدْغَامُ لَمَّا تَحَرَّكَ اللَّامُ، وَبُنِيَتْ إِذَا كَانَتْ اسْمًا؛ لَوْقُوعِهَا مَوْقِعَ الْمَبْنِيِّ، وَفَتَحَتْ لَطُولُ الْكَلِمَةِ، وَثَقُلَ الضَّمُّ لِلإِدْغَامِ^(١)، حَيْثُ "ثَقُلَتْ ضَمَّةُ الْمِيمِ الْأُولَى إِلَى اللَّامِ، وَأُدْغِمَتْ إِحْدَى الْمِيمَيْنِ فِي الْأُخْرَى؛ فَصَارَ (هَلُمَّ)^(٢)". وَيَسْتَوِي فِيهَا "الْفِعْلُ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ، وَهُوَ الْقِيَاسُ، وَبِهِ وَرَدَ التَّنْزِيلُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾^(٣)، أَفْرَدَ وَالْمَخَاطَبُونَ جَمَاعَةً"^(٤).

واسم الفعل ضربان: أحدهما: (الْمُرْتَجِل) وهو ما وُضِعَ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ كَذَلِكَ، نحو: (شَتَّانِ)، وَ(صَهْ). والثاني: (المنقول) وهو ما نُقِلَ مِنْ غَيْرِهِ إِلَيْهِ، وهو نوعان: أحدهما: منقول من ظرف أو جار ومجرور، نحو: (عليك) بمعنى: الزَّمْ. والثاني: منقول من مصدر؛ وهو نوعان:

الأول: مصدر استُعْمِلَ فِعْلُهُ، نحو: (رُوِيَ زَيْدًا) فَإِنَّهُمْ قَالُوا: أَرُوْهُ إِرَادًا؛ بِمَعْنَى: أَمْهَلُهُ إِمْهَالًا؛ وَاسْتَعْمَلُوهُ تَارَةً مِثْلَ مِثْلِهِ إِلَى مَفْعُولِهِ، فَقَالُوا: (رُوِيَ زَيْدًا)، وَتَارَةً مِثْلَ نَاصِبًا لِلْمَفْعُولِ؛ فَقَالُوا: "رُوِيَ زَيْدًا". والثاني: مصدر أَمْهَلَ فِعْلُهُ، كَقَوْلِهِمْ: (بَلَّهَ زَيْدًا)، فَإِنَّهُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرُ فِعْلِ مُهْمَلٍ مُرَادِفٍ لِ (دَعَا) وَ(اتْرَكَ)؛ فَيُقَالُ: (بَلَّهَ زَيْدًا) بِالإِضَافَةِ إِلَى الْمَفْعُولِ؛ كَمَا يُقَالُ: (تَرَكَ زَيْدًا)، ثُمَّ قِيلَ: (بَلَّهَ زَيْدًا)، بِنِصْبِ الْمَفْعُولِ وَبِنَاءِ (بَلَّهَ) عَلَى أَنَّهُ اسْمٌ فِعْلٍ^(٥).

أَمَّا مِنْ حَيْثُ السَّمَاعُ وَالْقِيَاسُ، فَلِاسْمِ الْفِعْلِ نَوْعَانِ: صِيغٌ سَمَاعِيَّةٌ، كَأَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ السَّابِقَةِ، وَصِيغٌ قِيَاسِيَّةٌ، وَلَهَا وَزْنٌ وَاحِدٌ هُوَ (فَعَالٍ)، نَحْوُ: (نَزَالَ)؛ أَيُّ: انْزَلَ، وَ(دَرَاكَ)؛ أَيُّ: أَذْرَكَ، وَ(تَرَكَ)؛ أَيُّ: اِتْرَكَ^(٦).

ثالثًا: المعاني البلاغية لتكوين الأمر:

قَدْ يَخْرُجُ الْأَمْرُ عَنْ مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيِّ "الاستعلاء والإلزام" إِلَى مَعَانٍ بَلَاغِيَّةٍ أُخْرَى تُفْهَمُ مِنَ السِّيَاقِ وَالْقِرَائِنِ، وَمِنْهَا^(١):

(١) اللباب في علل البناء والإعراب، للعكبري: ٨٩/٢-٩٠.

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات الأنباري: ٢٨٢/١.

(٣) سورة الأحزاب: ١٨.

(٤) شرح المفصل، لابن يعيش: ٣٠/٣.

(٥) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام: ٨٢/٤-٨٤.

(٦) انظر: المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل: ٩٨/٣، وحاشية الصَّبَّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، للصَّبَّان: ٢٣٨/٣.

أ. الدعاء: وهو الأمر على سبيل التذلل والتضرع من الأدنى منزلة إلى الأعلى منزلة،
نَحْو: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾^(١)، وكقوله تعالى على لسان سيدنا
نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾^(٢).

ب. التعجيز: وهو الطلب بما لا يقدر عليه المخاطب، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ
مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾^(٣)، وكقول الشاعر:

أُرُونِي بِخَيْلٍ طَالٍ عُمْرًا بِبُخْلِهِ وَهَاتُوا كَرِيمًا مَاتَ مِنْ كَثَرَةِ الْبَذْلِ^(٤)

ت. النصيح والإرشاد: كقوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾^(٥)، وكقول الشاعر:

شَاوِرْ سِوَاكَ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ يَوْمًا وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَاتِ^(٦)

ث. التهديد: ويكون الأمر في مقام عدم الرضا بالمأمور به؛ تهديدًا ووعيدًا للمخاطب، كقوله
تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٧).

ج. الإهانة والتحقير: ويكون الأمر في مقام إهانة المخاطب واستحقاره، نَحْو قوله تعالى في
أبي جهل: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^(٨).

ح. التمني: وهو الأمر لشيء محبوب لا يرجى الحصول عليه؛ لاستحالته أو لنعذر تحقُّقه،
كقول عنترة:

يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي وَعِمِي صَبَاحًا دَارَ عَبْلَةَ وَأَسْلَمِي^(٩)

(١) انظر: مفتاح العلوم، للسكاكي: ٣١٨-٣١٩، والإيضاح، للقزويني: ٨١/٣-٨٧، وجواهر البلاغة، للهاشمي: ٧٤، وعلم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ٧٧-٨٣.

(٢) سورة البقرة: ٢٠١.

(٣) سورة نوح: ٢٨.

(٤) سورة البقرة: ٢٣.

(٥) البيت بلا نسبة في: الإيضاح، للقزويني: ٨٤/٣، وجواهر البلاغة، للهاشمي: ٧٤. وَلَمْ أَهْتَدِ لِلْبَيْتِ فِي
غيرهما مما توفر لدي.

(٦) سورة البقرة: ٢٨٢.

(٧) البيت للقاضي الأَرْجَانِي في ديوانه: ٢٤٦، وشرح لامية العَجَم، للذَمِيرِي: ٢٥/١.

(٨) سورة فُصِّلَتْ: ٤٠.

(٩) سورة الدُّخَان: ٤٩. رَوَى الطَّبْرِيُّ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ كَانَ يَقُولُ: "أَيُّوعِدُنِي مُحَمَّدٌ؟ وَاللَّهِ لَأَنَا أَعَزُّ مَنْ مَشَى بَيْنَ
جَبَلَيْهَا"، ومعنى الآية: دُفِّقَ هذا العذاب الذي تتعذَّب به اليوم، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ فِي قَوْمِكَ، الْكَرِيمُ عَلَيْهِمْ؛ وَهَذَا
مِنْ بَابِ الْإِهْوَارِ وَالْإِهْوَارِ وَالتَّهْجِيزِ. انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري: ٦١/٢١.

(١٠) البيت لعنترة بن شَدَادِ الْعَبْسِيِّ في ديوانه: ١٨٣، والكتاب، لسيبويه: ٢٦٩/٢.

رابعًا: تراكييب الأمر الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ

يُعَدُّ تركيب الأمر أوّل التراكييب الإنشائية -الطلبية وغير الطلبية- وأكثرها استخدامًا في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ؛ ولا سيما أنّ الأمر -عند خروجه عن معناه الأصلي- يحمل معاني بلاغية تُفهم من سياق الجملة.

وَحَمَلَ الأمرُ في معظم هذه الخُطَبِ المعنى المجازي البلاغي. وَقَدْ بَلَغَتْ تراكييبُ الأمر في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ (ثَمَانِي مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ) تركيبًا، منها: (سَبْعُ مِائَةٍ وَأَرْبَعَةٌ وَثَلَاثُونَ) تركيبًا بصيغة فِعْلِ الأمر^(١)، وَ(سِتَّةٌ وَسِتُّونَ) تركيبًا بصيغة المضارع المقرون بلام الأمر^(٢)، وَ(اثنَا عَشَرَ) تركيبًا بصيغة اسم فِعْلِ الأمر^(٣)، وَ(سَبْعَةُ) تراكييب بصيغة المَصْدَرِ النائب عن فعل الأمر^(٤).

يُبَيِّنُ الجدولُ الآتي صُورَ تركيبِ الأمرِ وَصِيغَهُ الواردةً في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ مِنْ الأكثر إلى الأقل استخدامًا:

م	صورة تركيب الأمر	عَدَدُ الاستخدام
١	فِعْلُ الأمر	٧٣٤
٢	المضارع المقرون بلام الأمر	٦٦
٣	اسم فِعْلِ الأمر	١٢
٤	المَصْدَرِ النائب عن فعل الأمر	٧
	المجموع	٨١٩

(١) انظر منها: خطبة رقم (٢٦) في خُطَبِ الرسول ﷺ، لمُحَمَّد خلیل الخطيب: ١٨-١٩ وفيها خمسة مواضع، وخطبة (٦٤): ٣٧، وخطبة (٨١): ٤٤، وخطبة (٩٢): ٥٠، وخطبة (١١٤): ٦١، وخطبة (١٢٦): ٦٩، وخطبة (١٢٧): ٦٩ وفيها أربعة مواضع، وخطبة (٢٤٢): ١٢٣ وفيها موضعان، وخطبة (٤٦٠): ٢٣٨-٢٣٩ وفيها سبعة وعشرون موضعًا، وخطبة (٥٢٩): ٢٧٦-٢٧٩ وفيها ثمانية مواضع.

(٢) منها: خطبة رقم (٢١): ١٧ وفيها موضعان، وخطبة (٥٨): ٣٤، وخطبة (٦٨): ٣٩-٤٠ وفيها موضعان، وخطبة (٧٧): ٤٣، وخطبة (١١٦): ٦٢-٦٤ وفيها موضعان، وخطبة (٢٠٧): ١٠٥-١٠٦ وفيها ثلاثة مواضع، وخطبة (٣٧٨): ١٩٠، وخطبة (٤١٧): ٢١٠ وفيها موضعان، وخطبة (٤٦٠): ٢٣٨-٢٣٩ وفيها سبعة مواضع.

(٣) هي: خطبة رقم (٦٥): ٣٨، وخطبة (٦٨): ٣٩-٤٠، وخطبة (٢١٢): ١٠٨، وخطبة (٢٧٦): ١٤٠، وخطبة (٣٣٦): ١٧٢، وخطبة (٣٨٩): ١٩٥، وخطبة (٤٢٠): ٢١٢-٢١٣، وخطبة (٤٨٣): ٢٥٢ وفيها ثلاثة مواضع، وخطبة (٥٤٦): ٢٩٧، وخطبة (٥٧٠): ٣١٢-٣١٤ وهي حديث موضوع.

(٤) هي: خطبة رقم (٦٥): ٣٨ وفيها موضعان، وخطبة (١١٣): ٦١ وفيها موضعان، وخطبة (١٣٠): ٧٠، وخطبة (٥٤٦): ٢٩٧ وفيها موضعان.

خامساً: عَرَضُ لِنَمَازِجِ الأَمْرِ الوَارِدَةِ فِي كِتَابِ خُطْبِ الرِّسُولِ ﷺ:

أولاً: صِيغَةُ فِعْلِ الأَمْرِ فِي كِتَابِ خُطْبِ الرِّسُولِ ﷺ

١. فِعْلُ الأَمْرِ مِنَ الْجُمْلِ البَسيطَةِ:

أ. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: اعْتَكَفْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَشَرَ الْوَسْطَ مِنْ رَمَضَانَ؛ فَخَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَبِيحَةَ عِشْرِينَ؛ فَقَالَ: "أَرَيْتُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، فَأَنْسِيْتُهَا -أَوْ قَالَ: فَنَسِيْتُهَا- فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ فِي الْوَتْرِ، ..." ^(١).

ب. عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "مُهَلُّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ، وَمُهَلُّ أَهْلِ الشَّامِ مِنَ الْجُحْفَةِ، وَمُهَلُّ أَهْلِ الْيَمَنِ مَنْ يَلْمَلَمَ، وَمُهَلُّ أَهْلِ نَجْدٍ مِنْ قَرْنٍ، وَمُهَلُّ أَهْلِ الْمَشْرِقِ مِنْ ذَاتِ عِزْقٍ" ثُمَّ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ لِلْأُفُقِ، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ أَقْبِلْ بِقُلُوبِهِمْ" ^(٢).

ت. عَنْ بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ غَدَاةَ جَمْعٍ (جَمْعٍ مُزْدَلِفَةٍ): "يَا بِلَالُ، أَسْكَبْتُ النَّاسَ -أَوْ أَنْصَبْتُ النَّاسَ- ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ تَطَوَّلَ -تَفَضَّلَ- عَلَيْكُمْ فِي جَمْعِكُمْ هَذَا؛ فَوَهَبَ مُسِيئَتَكُمْ لِمُحْسِنِكُمْ، وَأَعْطَى مُحْسِنَكُمْ مَا سَأَلَ، ادْفَعُوا بِاسْمِ اللَّهِ" ^(٣).

ث. جَاءَ فِي حَدِيثِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ حِينَما حَدَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الدَّجَالِ: "... قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَتْهُ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: "لا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ. ..." ^(٤).

٢. فِعْلُ الأَمْرِ مِنَ الْجُمْلِ الْمُركَّبَةِ:

أ. عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ فَارِسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَيْشَ الْأَمْرَاءِ وَقَالَ: "عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ، فَجَعَفَرٌ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ، فَعَبْدُ اللَّهِ

^(١) خُطْبُ الرِّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٥٨، خُطْبَةٌ رَقْمُ (١٠٦). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ: ١٨/١٢٧، حَدِيثٌ رَقْمُ (١١٥٨١)، وَصَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، لِلْبُخَارِيِّ، بَابُ التَّمَاسِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي السَّبْعِ الْآخِرِ: ٣/٤٦، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٠١٦)، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَالْحَثُّ عَلَى طَلَبِهَا: ٢/٨٢٦، حَدِيثٌ رَقْمُ (١١٦٧).

^(٢) خُطْبُ الرِّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٦١، خُطْبَةٌ رَقْمُ (١١٢). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ، لِابْنِ مَاجَةَ، بَابُ الْوُقُوفِ بِجَمْعٍ: ٢/٩٧٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٩١٥).

^(٣) خُطْبُ الرِّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٦١، خُطْبَةٌ رَقْمُ (١١٤). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ، لِابْنِ مَاجَةَ، بَابُ الْوُقُوفِ بِجَمْعٍ: ٢/١٠٠٦، حَدِيثٌ رَقْمُ (٣٠٢٤).

^(٤) خُطْبُ الرِّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٨١-٢٨٣، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٣١). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدِ أَحْمَدَ ابْنِ حَنْبَلٍ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ: ٢٩/١٧٢-١٧٣، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٧٦٢٩)، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ ذِكْرِ الدَّجَالِ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ: ٤/٢٢٥٠، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٩٣٧).

ابْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيُّ" ...، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "انْفِرُوا، فَأَمِدُوا إِخْوَانَكُمْ، وَلَا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ؛ فَتَفَرَ النَّاسُ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ مُشَاءً وَرُكْبَانًا"^(١).

ب. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ انْتَهَزَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ حَاطِبًا؛ فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَمْنُوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، ..."، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ"^(٢).

ت. عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ يَوْمَئِذٍ حَاطِبًا؛ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَاسْتَغْفَرَ لِلشُّهَدَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ تَزِيدُونَ، وَإِنَّ الْأَنْصَارَ لَا يَزِيدُونَ، وَإِنَّ الْأَنْصَارَ عَيْبَتِي -خَاصَّتِي وَمَوْضِعُ أَسْرَارِي- الَّتِي أُوْتِيتُ إِلَيْهَا، أَكْرَمُوا كَرِيمَهُمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ"^(٣).

ث. عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: شَكََا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُحُوطَ الْمَطَرِ، فَأَمَرَ بِمَنْبَرٍ، فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمِصْلَى، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَدَأَ حَاجِبُ الشَّمْسِ؛ فَقَعَدَ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَكَبَّرَ ﷻ وَحَمِدَ اللَّهَ ﷻ، ثُمَّ قَالَ: "...، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ، وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ"^(٤).

٣. فِعْلُ الْأَمْرِ مِنَ الْجُمْلِ التَّرَكِيبِيَّةِ "الْمُعَقَّدَةِ":

^(١) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٣-١٤، خُطْبَةٌ رَقْمُ (١٥). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ: ٣٧/٢٤٤-٢٤٦، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٢٥٥١).

^(٢) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٨-١٩، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٦). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ، لِلْبَخَارِيِّ، بَابُ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا لَمْ يِقَاتِلْ أَوَّلَ النَّهَارِ أَخَّرَ الْقِتَالَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ: ٥١/٤، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٩٦٦)، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ كَرَاهَةِ تَمَنِّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ، وَالْأَمْرُ بِالصَّبْرِ عِنْدَ اللَّقَاءِ: ١٣٦٢/٣، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٧٤٢).

^(٣) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٣٥، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٩). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَاقِ الصَّنَعَانِيِّ، لِلصَّنَعَانِيِّ، بِذَلِكَ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ٥/٤٣٠، حَدِيثٌ رَقْمُ (٩٧٥٤)، وَمُسْنَدُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: ٣٦/٢٨٣، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢١٩٥١).

^(٤) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٤٩-٥٠، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٩١). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ، لِأَبِي دَاوُدَ، بَابُ رَفَعَ الْيَدَيْنِ فِي الْاسْتِسْقَاءِ: ١/٣٠٤، حَدِيثٌ رَقْمُ (١١٧٣)، وَصَحِيحُ ابْنِ جِبَّانَ، لِابْنِ جِبَّانَ، ذَكَرَ مَا يَدْعُو الْمَرْءُ بِهِ عِنْدَ وُجُودِ الْجَدْبِ بِالْمُسْلِمِينَ: ٣/٢٧١، حَدِيثٌ رَقْمُ (٩٩١).

أ. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِذَا جِئْتُمُ الْجُمُعَةَ فَاغْتَسِلُوا، وَلَيَمَسَنَّ أَحَدُكُمْ مِنْ أَطْيَبِ طَيِّبٍ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ"^(١).
والشاهد: (إِذَا جِئْتُمُ الْجُمُعَةَ فَاغْتَسِلُوا).

ب. عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى بِالنَّاسِ، ... ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: "إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﷻ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ ذَلِكَ فَأَفْزِعُوا لِلصَّلَاةِ"^(٢).

ت. عَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ فِي حَجٍّ فَقَالَ: "إِنِّي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ أَنْ لَا تَأْكُلُوا الْأَضَاحِيَّ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ؛ لِيَسَعَكُمْ وَإِنِّي أُحِلُّهُ لَكُمْ، فَكُلُوا مِنْهُ مَا شِئْتُمْ" وَقَالَ: "وَلَا تَبِيعُوا لُحُومَ الْهَدْيِ وَالْأَضَاحِيَّ فَكُلُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَاسْتَمْتِعُوا بِجُلُودِهَا، وَإِنْ أُطْعِمْتُمْ مِنْ لُحُومِهَا شَيْئًا فَكُلُوهُ إِنْ شِئْتُمْ"^(٣). والشاهد: (إِنْ أُطْعِمْتُمْ مِنْ لُحُومِهَا شَيْئًا فَكُلُوهُ إِنْ شِئْتُمْ).

ث. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، ... إِذْ نَادَى مُنَادِيهِ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَخَطَبَنَا، فَقَالَ: "إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا دَلَّ أُمَّتُهُ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ خَيْرًا لَهُمْ، وَحَذَرَهُمْ مَا يَعْلَمُهُ شَرًّا لَهُمْ، ... وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا، فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ، وَتَمَرَةً قَلْبِهِ، فَلْيُطِيعْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُقُقَ الْآخَرِ، ..."^(٤). والشاهد: (إِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُقُقَ الْآخَرِ).

ثانيًا: صيغة المضارع المقرون بلام الأمر في كتاب خطب الرسول ﷺ

^(١) خطب الرسول ﷺ، لمحمد خليل الخطيب: ٤٦-٤٧، خطبة رقم (٨٥). وأصل الحديث في: مسند أحمد بن

حنبل، لأحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب: ٢٤١/٤-٢٤٢، حديث رقم (٢٤١٩).

^(٢) خطب الرسول ﷺ، لمحمد خليل الخطيب: ٥٠، خطبة رقم (٩٢). وأصل الحديث في: مسند أحمد بن حنبل،

لأحمد بن حنبل، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها: ٢١٤/٤٢-٢١٥، حديث رقم

(٢٥٣٥١)، وصحيح مسلم، لمسلم، باب صلاة الكسوف: ٦١٨/٢، حديث رقم (٩٠١).

^(٣) خطب الرسول ﷺ، لمحمد خليل الخطيب: ٦٩، خطبة رقم (١٢٧). وأصل الحديث في: مصنف عبد الرزاق

الصنعاني، للصنعاني، بدء مرض رسول الله ﷺ: ٥/٤٣٠، حديث رقم (٩٧٥٤)، ومسند أحمد بن حنبل،

لأحمد بن حنبل، حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ: ٢٨٣/٣٦، حديث رقم (٢١٩٥١).

^(٤) خطب الرسول ﷺ، لمحمد خليل الخطيب: ١٠٥-١٠٦، خطبة رقم (٢٠٧). وأصل الحديث في: مسند أحمد

ابن حنبل، لأحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص: ٤٧/١١-٤٨، حديث رقم (٦٥٠٣)،

وصحيح مسلم، لمسلم، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول: ١٤٧٢/٣، حديث رقم (١٨٤٤).

أ. عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ لِلْأَنْصَارِ: "أَلَا إِنَّ النَّاسَ دِيَّارِي، وَالْأَنْصَارَ شِعَارِي، ... فَمَنْ وَلِيَ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَلْيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَمَنْ أَفْرَعَهُمْ فَقَدْ أَفْرَعَ هَذَا الَّذِي بَيْنَ هَاتَيْنِ" وَأَشَارَ إِلَى نَفْسِهِ ﷺ (١). والشاهد: (لِيُحْسِنْ، لِيَتَجَاوَزْ).

ب. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، ... إِذْ نَادَى مُنَادِيهِ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَخَطَبَنَا، فَقَالَ: "...؛ فَمَنْ سَرَّهُ مِنْكُمْ أَنْ يُرْخَزَ عَنِ النَّارِ، وَأَنْ يَدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتُدْرِكْهُ مَوْتَتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا، فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ، وَتَمَرَةً قَلْبِهِ، فَلْيُطِعه مَا اسْتَطَاعَ، ... (٢). والشاهد: (لِتُدْرِكْهُ، لِيَأْتِ، لِيُطِعه).

ثالثًا: صيغة اسمِ فِعْلٍ الأمرِ في كتابِ خُطْبِ الرسول ﷺ

أ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "...؛ "فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلَا لِيَذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يَذَادُ الْبَعِيرُ الصَّالُّ، أَنَادِيهِمْ: أَلَا هَلَمْ، فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا، سُحْقًا" (٣). والشاهد: (هَلَمْ).

ب. عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: ... فَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ خَطَبَنَا فَعَلَمْنَا سُنَّتَنَا، وَبَيَّنَ لَنَا صَلَاتَنَا فَقَالَ: "أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ، ثُمَّ لِيُؤْمَمَّكُمْ أَقْرُؤُكُمْ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا قَالَ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (٤)؛ فَقُولُوا: آمِينَ؛ يُجِيبُكُمُ اللَّهُ، ... (٥). والشاهد: (آمِينَ).

ت. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَيُّهَا النَّاسُ، ... عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ" (٦). والشاهد: (عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ).

(١) خُطْبُ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٣٤، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٨). وأصل الحديث في: مسند أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل، حديث أبي قتادة الأنصاري: ٣٧/٣٠٢-٣٠٣، حديث رقم (٢٢٦١٥).

(٢) سَبَقَ تَخْرِيجَ الْحَدِيثِ، ص: ٣٠١، حَاشِيَةُ (٤)، وَهِيَ خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٠٧).

(٣) خُطْبُ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٣٨، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٦٥). وأصل الحديث في: مسند أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل، مسند أبي هريرة رضي الله عنه: ١٣/٣٧٣، حديث رقم (٧٩٩٣)، وصحيح البخاري، للبخاري، باب في الحوض: ٨/١٢٠، حديث رقم (٦٥٨٤)، وصحيح مسلم، لمسلم، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء: ١/٢١٨، حديث رقم (٢٤٩).

(٤) سورة الفاتحة: ٧.

(٥) خُطْبُ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٣٩-٤٠، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٦٨). وأصل الحديث في: مسند أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل، حديث أبي موسى الأشعري: ٣٢/٤٣٥-٤٣٧، حديث رقم (١٩٦٦٥)، وصحيح مسلم، لمسلم، باب التشهد في الصلاة: ١/٣٠٣، حديث رقم (٤٠٤)، والسنن الكبرى، للسنائي، نَوْعٌ آخَرُ مِنَ التَّشَهُّدِ: ١/٣٧٩، حديث رقم (٧٦٢).

رابعًا: صيغة المَصْدَرِ النائب عن فِعْلِ الأمر

أ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "...؛ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلَا لِيَذَانَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يَذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أَنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ، فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سَحَقًا، سَحَقًا" ^(٢). والشاهد: (سَحَقًا، سَحَقًا).

ب. وَرَدَتْ صِيغَةُ الْمَصْدَرِ النَّائِبِ عَنْ فِعْلِ الْأَمْرِ فِي خُطْبَةٍ أُخْرَى مُشَابِهَةٍ لِلْسَّابِقَةِ؛ فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: "أَيُّهَا النَّاسُ، بَيْنَمَا أَنَا عَلَى الْحَوْضِ، جِيءَ بِكُمْ زُمْرًا، فَتَفَرَّقَتْ بِكُمْ الطُّرُقُ، فَنَادَيْتُكُمْ: أَلَا هَلُمُّوا إِلَى الطَّرِيقِ، فَنَادَانِي مُنَادٍ مِنْ بَعْدِي، فَقَالَ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَلُوا بَعْدَكَ، فَقُلْتُ: أَلَا سَحَقًا، أَلَا سَحَقًا" ^(٣).

سادسًا: نماذج تحليلية لتركيب الأمر في كتاب خُطْبِ الرَسُولِ ﷺ

١. نماذج تحليلية لصيغة فعل الأمر:

أ. نموذج تحليلي لفعل الأمر من الجملة البسيطة:

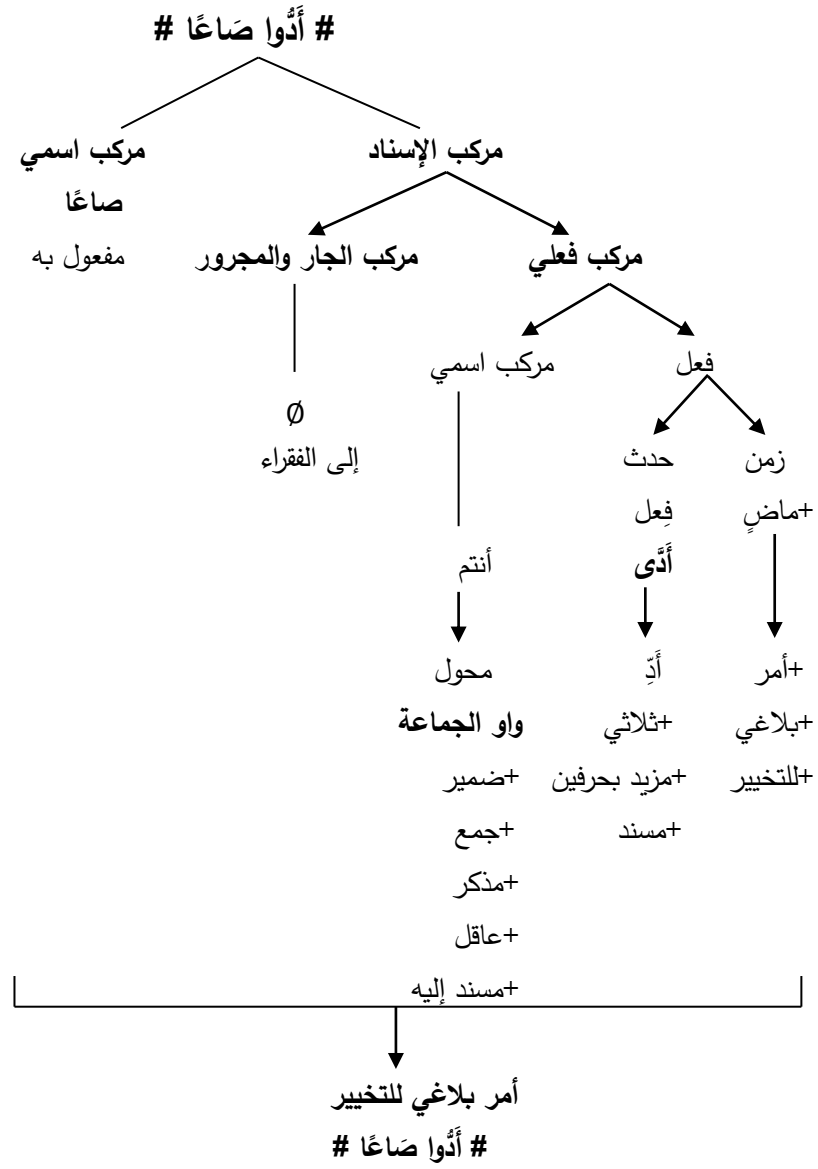
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ قَبْلَ الْفِطْرِ بِيَوْمَيْنِ فَقَالَ: "أَدُوا صَاعًا مِنْ بُرٍّ أَوْ قَمْحٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ، أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى كُلِّ حُرٍّ وَعَبْدٍ، وَصَغِيرٍ وَكَبِيرٍ" ^(٤).

^(١) خُطْبُ الرَسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٠٨، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢١٢). وأصل الحديث في: مسند أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل، أحاديثُ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: ٢٢٠/٣٨، حديث رقم (٢٣١٤٥)، وَسَنَنُ التِّرْمِذِيِّ "الجامع الكبير"، للتِّرْمِذِيِّ، بَابُ مَا جَاءَ فِي لُزُومِ الْجَمَاعَةِ: ٣٥/٤، حديث رقم: (٢١٦٥).

^(٢) سَبَقَ تَخْرِيجَ الْحَدِيثِ، ص: ٣٠٢، حَاشِيَةُ (٣)، وَهِيَ خُطْبَةٌ رَقْمُ (٦٥).

^(٣) خُطْبُ الرَسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٩٧، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٤٦). وأصل الحديث في: مسند أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل، حديث أم سلمة زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: ١٦٩/٤٤-١٧٠، حديث رقم (٢٦٥٤٦)، وَصَحِيحُ الْبَخَارِيِّ، لِلْبَخَارِيِّ، بَابُ فِي الْحَوْضِ: ١٢٠/٨، حديث رقم (٦٥٨٤)، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ وَصَفَاتِهِ: ١٧٩٥/٤، حديث رقم (٢٢٩٥).

^(٤) خُطْبُ الرَسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٥٦، خُطْبَةٌ رَقْمُ (١٠٣). وأصل الحديث في: مصنف عبد الرزاق الصنعاني، للصنعاني، كتاب زكاة الفطر: ٨٤/٣، حديث رقم (٢١١٨)، وَمُسْنَدُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ صُعَيْرٍ: ٦٧/٣٩، حديث رقم (٢٣٦٦٣).



تَحَوَّلَ تركيبُ صيغةِ فِعْلِ الأمرِ السابقِ مِنَ البنيةِ العميقةِ الموضحةِ في الرسمِ الشجري السابقِ إلى البنيةِ السطحيةِ عن طريقِ القواعدِ التحويليةِ الآتيةِ:

١. الحذفِ الإجباري:

- أ. حُذِفَتْ صيغةُ المركبِ الفعليِ الدالِ على الزمنِ الماضي وهو (أَدَّى).
- ب. حُذِفَ المركبُ الاسمي وهو الضمير (أنتم).
- ت. حُذِفَ مركبٌ شبه الجملة (إلى الفقراء).

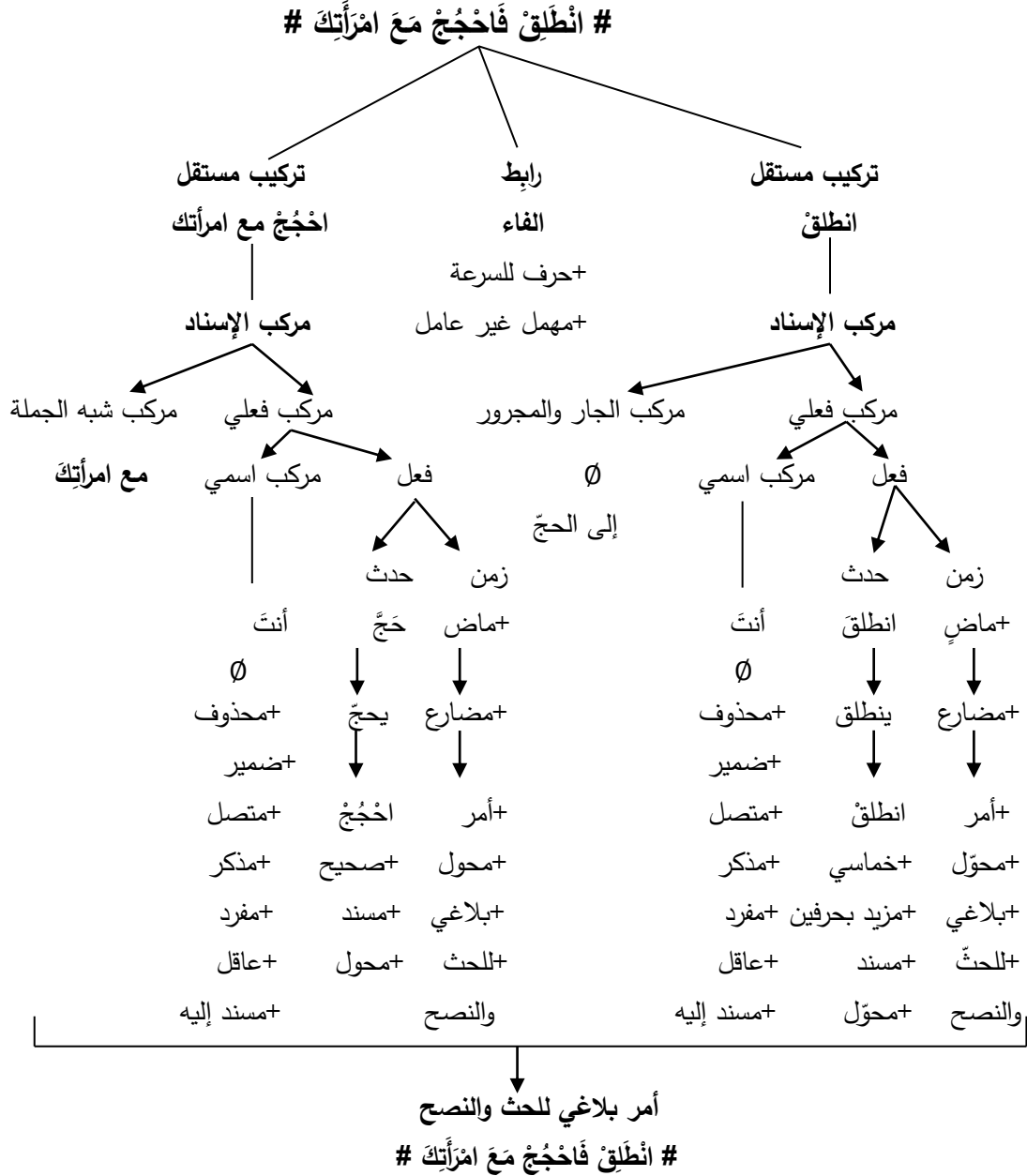
٢. الإحلال والتعويض:

- أ. حَلَّتْ صيغةُ فعلِ الأمرِ (أَدُّوا) محلَ صيغةِ الماضي؛ لإفادةِ دلالةِ الأمرِ، حيث خرج من معناه الحقيقي إلى معنى بلاغي آخر، وهو التخيير^(١).
- ب. حلت صيغة الضمير المتصل (واو الجماعة) محل الضمير المنفصل (أنتم) في المركب الاسمي الأول.

(١) التخيير هو: "أَنْ يُطْلَبَ مِنَ المخاطَبِ أَنْ يختار بين أمرين أو أكثر، مع امتناع الجمع بين الأمرين أو الأمور التي يُطْلَبُ إليه أَنْ يختار بينها". علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ٧٩.

ب. نموذج تحليلي لفعل الأمر من الجملة المركبة:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ يَقُولُ: "لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، وَلَا تُسَافِرُ امْرَأَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ"، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: "إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ إِلَى الْحَجِّ، وَإِنِّي اكْتَنَبْتُ فِي غَزْوَةٍ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: "انْطَلِقْ فَأَخْجُجْ مَعَ امْرَأَتِكَ" (١).



(١) خُطِبَ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٢٣، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٤٢). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدِ الشَّافِعِيِّ، لِلشَّافِعِيِّ، اخْتِلَافُ الْحَدِيثِ مِنَ الْأَصْلِ الْعَتِيقِ: ٢/٢١١، حَدِيثٌ رَقْمُ (٨٥٢)، وَمُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: ٣/٤٠٨، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٩٣٤)، وَصَحِيحُ مُسْلِمَ، لِمُسْلِمَ، بَابُ سَفَرِ الْمَرْأَةِ مَعَ مَحْرَمٍ إِلَى حَجٍّ وَغَيْرِهِ: ٢/٩٧٨، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٣٤١).

تَحَوَّلَ تركيبُ صيغةِ فِعْلٍ الأمرِ السابقِ مِنَ البنيةِ العميقةِ الموضحةِ في الرسمِ الشجريِ السابقِ إلى البنيةِ السطحيةِ عن طريقِ القواعدِ التحويليةِ الآتيةِ:

١. الحذفِ الإجباريِّ:

أ. حُذِفَ المركبُ الاسميُّ الأولُ في التركيبِ المستقلِ الأولِ، الدالُّ على الفاعلِ في صورتهِ الظاهرةِ: (أنت).

ب. حُذِفَ المركبُ الاسميُّ الأولُ في التركيبِ المستقلِ الثاني، الدالُّ على الفاعلِ في صورتهِ الظاهرةِ: (أنت).

ت. تَمَّ حَذْفُ مركبِ الجارِّ والمجرورِ: (إلى الحَجِّ).

٢. الإحلالِ والتعويضِ:

أ. تَمَّ إحلالُ المركبِ الفعليِّ الدالِّ على الأمرِ: (انْطَلِقْ) في التركيبِ المستقلِّ الأولِ محلَّ المركبِ الفعليِّ الدالِّ على الزمنِ الماضي: (انْطَلَقَ).

ب. حَلَّ المركبِ الفعليِّ الدالِّ على الأمرِ: (احْجُجْ) في التركيبِ المستقلِّ الثاني محلَّ المركبِ الفعليِّ الدالِّ على الزمنِ الماضي: (يَحْجُجُ).

٣. الزيادةِ والإضافةِ:

أ. تَمَّ زيادةُ الرابطةِ (الفاءِ)؛ لتربطَ بينَ تركيبينِ مُستقلَّينِ؛ لتكوينِ جملةٍ مركبةٍ.

ب. زِيدَتْ همزةُ الوصلِ على (حَجَّ) في المركبِ الفعليِّ الثاني (احْجُجْ)؛ للدلالةِ على الأمرِ.

ت. زِيدَتْ الجيمُ في (احْجُجْ) بعدَ فَكَّ التضعيفِ^(١).

^(١) جاءت رواية مسلم بتضعيف الفعل: "انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ". صحيح مسلم، لمسلم، باب سَفَرِ الْمَرْأَةِ مَعَ مَحْرَمٍ إِلَى حَجٍّ وَغَيْرِهِ: ٩٧٨/٢، حديث رقم (١٣٤١).

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: ... فَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ حَاطَبَنَا فَعَلَّمَنَا سُنَّتَنَا، وَبَيَّنَ لَنَا صَلَاتَنَا فَقَالَ: "أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ، ثُمَّ لِيُؤَمِّكُمْ أَقْرُؤُكُمْ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، ..." (١).

ترکیب غیر مستقل

کَبَّرَ

مربک فعلی

مربک اسمی

هو

فعل

حدث

زمن

ماضٍ+ کَبَّرَ

فُ

حرف+ الفاء

واجب+ مضارع+ کَبَّرَ

مهمل+ للحواب+ أمر+ کَبَّرَ

مضمر+ صحيح+ متحول+ کَبَّرَ

عاقل+ ماضٍ+ فُ

مسنَد إليه+ ثلاثي مزيد+ ضمير+ مبني+ مضعف+ تام+ عاقل+ مسند إليه+ محذوف

ترکیب مستقل

فَكَبَّرُوا

مربک فعلی

مربک اسمی

أنتم

محول

ون

وا

واو الجماعة+ ضمير+ جمع+ مذكر+ عاقل+ مسند إليه

کَبَّرَ

حدث

زمن

ماضٍ+ کَبَّرَ

فُ

حرف+ الفاء

واجب+ مضارع+ کَبَّرَ

مهمل+ للحواب+ أمر+ کَبَّرَ

مضمر+ صحيح+ متحول+ کَبَّرَ

عاقل+ ماضٍ+ فُ

مسنَد إليه+ ثلاثي مزيد+ ضمير+ مبني+ مضعف+ تام+ عاقل+ مسند إليه+ محذوف

إِذَا

الرابط

أمر بلاغي للنصح والإرشاد

إِذَا كَبَّرَ فَكَبَّرُوا

٣٠٨

تَحَوَّلَ تركيبُ صيغةِ فِعْلِ الأمرِ السابقِ مِنَ البنيةِ العميقةِ الموضحةِ في الرسمِ الشجري السابقِ إلى البنيةِ السطحيةِ عن طريقِ القواعدِ التحويليةِ الآتيةِ:

١. الحذفُ الإجباريُّ:

أ. تَمَّ حَذْفُ المركبِ الفعليِ الدالِ على صيغةِ الزمنِ الماضي: (كَبَّرَ) في المركبِ الفعليِ الثاني.

ب. حُذِفَ الضميرُ (هو) في المركبِ الاسميِ الأولِ.

ت. حُذِفَ الضميرُ (أنتم) في المركبِ الاسميِ الثاني.

٢. الإحلالُ والتعويضُ:

أ. تَمَّ إحلالُ صيغةِ المضارعِ (يُكَبِّرُ) محلَّ صيغةِ الماضي (كَبَّرَ)، ثُمَّ حُلَّتْ صيغةُ الأمرِ (كَبِّرْ) محلَّ صيغةِ المضارعِ في التركيبِ المستقلِ.

ب. حَلَّ الضميرُ (واو الجماعة) محلَّ الضميرِ (أنتم).

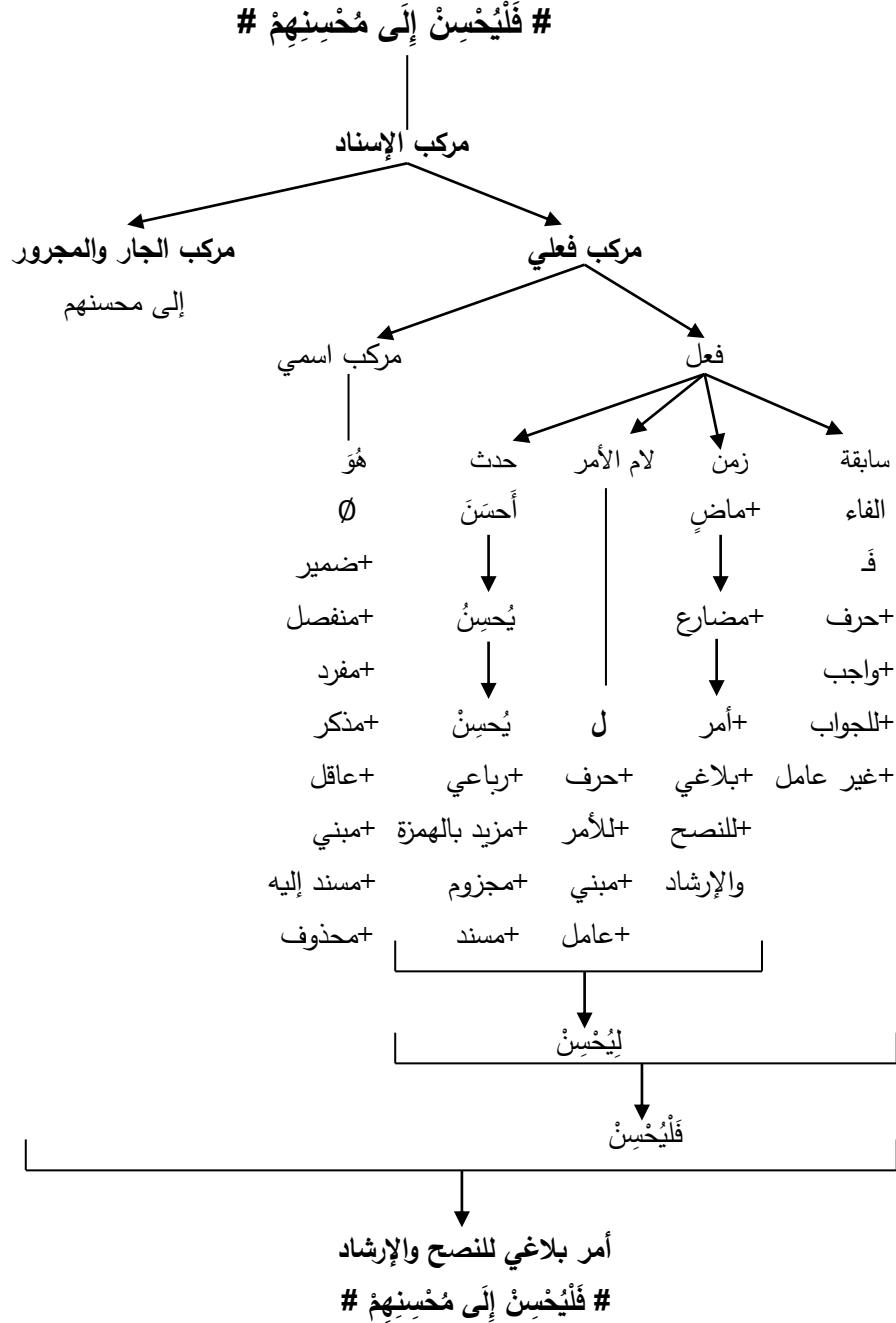
٣. الزيادةُ والإضافةُ:

أ. تَمَّ زيادةُ الرابطةِ (إذا)؛ لتربطَ بينَ التركيبَيْنِ؛ لتكوينِ جملةٍ تركيبيةٍ "مُعَقَّدة".

ب. تَمَّ زيادةُ المركبِ الحرفي: السابقة (الفاء)؛ الواقعِ في أولِ المركبِ الفعليِ الدالِ على الأمرِ، الواقعِ في موقعِ جوابِ الشرطِ.

٢. نموذج تحليلي لصيغة الفعل المضارع المقرون بلام الأمر:

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ لِلْأَنْصَارِ: "أَلَا إِنَّ النَّاسَ دِتَارِي، وَالْأَنْصَارَ شِعَارِي، ... فَمَنْ وَلِيَ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَلْيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَمَنْ أَفْرَعَهُمْ فَقَدْ أَفْرَعَ هَذَا الَّذِي بَيْنَ هَاتَيْنِ" وَأَشَارَ إِلَى نَفْسِهِ ﷺ (١).



(١) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٣٠٢، حاشية (١)، وهي خُطبة رقم (٥٨).

تَمَّ تَحْوِيلُ تَرْكِيبِ صِيغَةِ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ الْمَقْرُونِ بِلَامِ الْأَمْرِ مِنَ الْبُنْيَةِ الْعَمِيقَةِ الْمَوْضُحَةِ فِي
الرَّسْمِ الشَّجَرِيِّ السَّابِقِ إِلَى الْبُنْيَةِ السُّطْحِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ الْقَوَاعِدِ التَّحْوِيلِيَّةِ الْآتِيَةِ:

١. الحذف الإجمالي:

أ. تَمَّ حَذْفُ صِيغَتِي الْمَاضِي (أَحْسَنَ)، وَالْمَضَارِعِ (يُحْسِنُ) بَعْدَ دُخُولِ لَامِ الْأَمْرِ
وَإِحْلَالِ صِيغَةِ الْأَمْرِ مَحَلَّهُمَا (لِيُحْسِنَ).

ب. حُذِفَ الضَّمِيرُ الْمُنْفَصِلُ (هُوَ) الَّذِي وَقَعَ مَوْقِعَ الْمَرْكَبِ الْإِسْمِيِّ.

٢. الإحلال والتعويض:

حَلَّتْ صِيغَةُ الْمَضَارِعِ مَحَلَّ صِيغَةِ الْمَاضِي، ثُمَّ حَلَّتْ صِيغَةُ الْأَمْرِ مَحَلَّ الْمَضَارِعِ؛
وَذَلِكَ بَعْدَ دُخُولِ لَامِ الْأَمْرِ عَلَى الْفِعْلِ.

٣. الزيادة والإضافة:

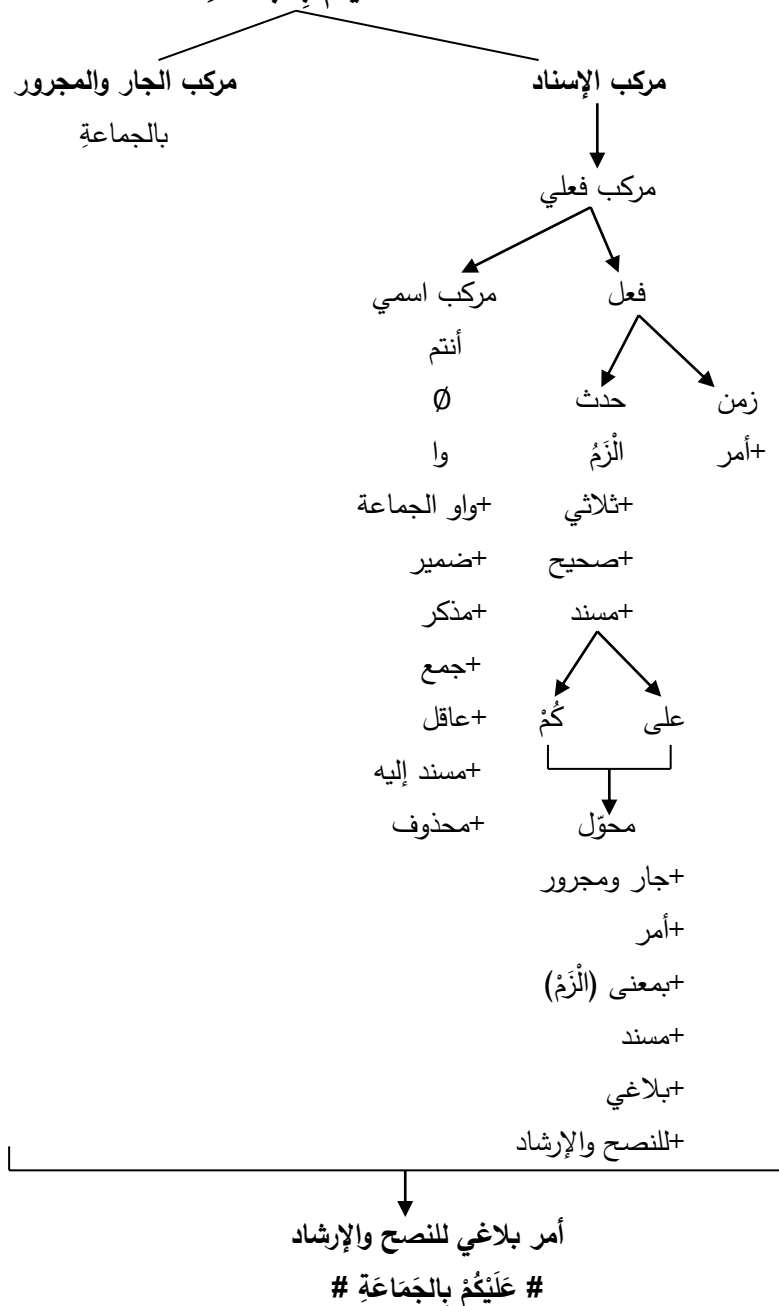
أ. تَمَّ زِيَادَةُ السَّابِقَةِ (الْفَاءِ)؛ الْوَاقِعِ فِي أَوَّلِ الْمَرْكَبِ الْفِعْلِيِّ الذَّالَّ عَلَى الْأَمْرِ، الْوَاقِعِ فِي
مَوْقِعِ جَوَابِ الشَّرْطِ.

ب. تَمَّ زِيَادَةُ (لَامِ الْأَمْرِ) عَلَى صِيغَةِ الْمَضَارِعِ فِي الْمَرْكَبِ الْفِعْلِيِّ؛ دَلَالَةً عَلَى الْأَمْرِ.

٣. نموذج تحليلي لصيغة اسمِ فعلِ الأمر:

قال النبي ﷺ: "أَيُّهَا النَّاسُ، ... عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ"^(١).

عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ



^(١) سبق تخريج الحديث، ص: ٣٠٣، حاشية (١)، وهي خطبة رقم (٢١٢).

تَمَّ تَحْوِيلُ التَّرَكِيبِ السَّابِقِ مِنَ الْبُنْيَةِ الْعَمِيقَةِ إِلَى الْبُنْيَةِ السَّطْحِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ الْقَوَاعِدِ التَّحْوِيلِيَّةِ الْآتِيَةِ:

١. الحذف الإلجباري:

أ. تَمَّ حَذْفُ الْمَرْكَبِ الْفَعْلِيِّ (الزَّم).

ب. حُذِفَ الْمَرْكَبُ الْأَسْمِيُّ (أَنْتُمْ).

ت. حُذِفَ الْمَرْكَبُ الْأَسْمِيُّ (وَإِلِلَّاءِ الْجَمَاعَةِ).

٢. الإلحلال والتعويض:

حَلَّ مَرْكَبٌ شَبَهَ الْجُمْلَةَ (عَلَيْكُمْ) الْمَكُونُ مِنْ كَلِمَتَيْنِ: حَرْفُ الْجَرِّ (عَلَى) وَضَمِيرُ الْخُطَّابِ الْجَمْعِيِّ (كُمْ) مَحَلَّ الْمَرْكَبَيْنِ: الْفَعْلِيِّ (الزَّم) وَالْأَسْمِيِّ (وَإِلِلَّاءِ الْجَمَاعَةِ).

٣. التقديم:

تَقَدَّمَ مَرْكَبٌ شَبَهَ الْجُمْلَةَ (عَلَيْكُمْ)؛ لِيَكُونَ لَهُ مَوْقِعُ الصَّدَارَةِ "الْبُورَةِ".

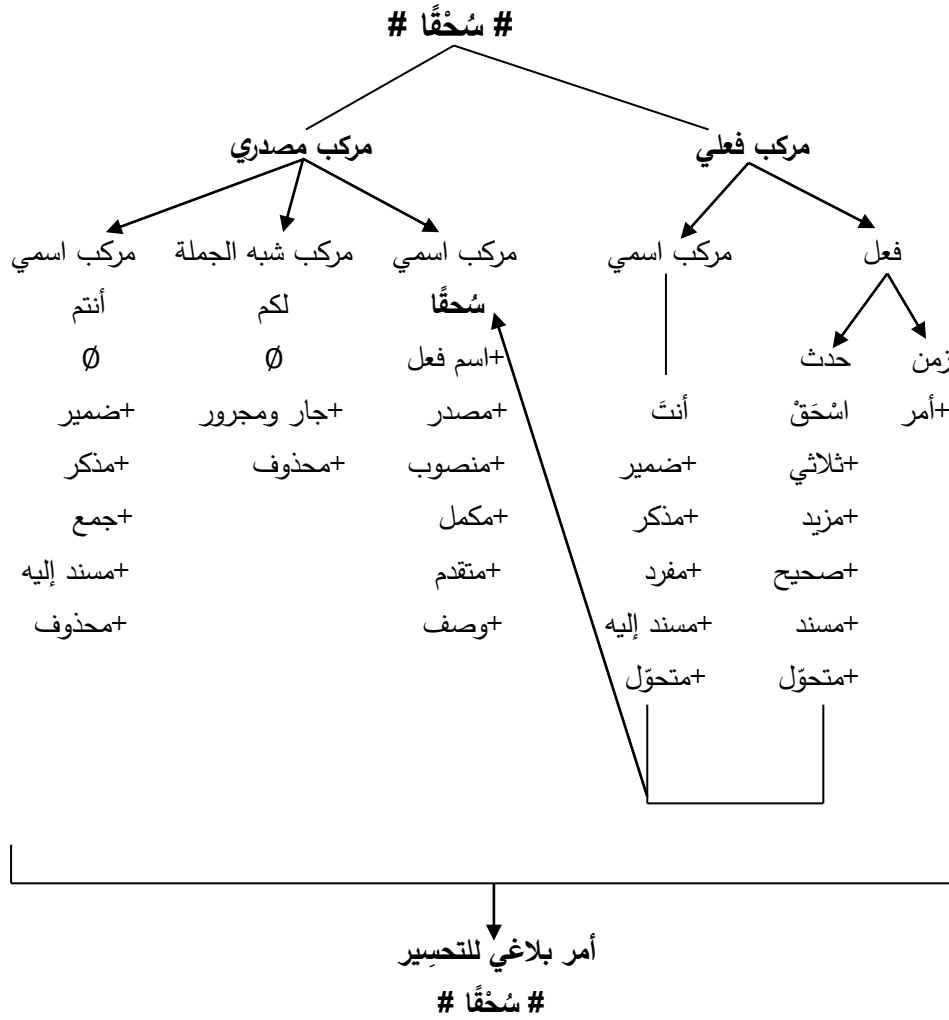
٤. النسخ:

نُسِخَ الْمَرْكَبُ الْفَعْلِيُّ (الزَّم) مِنْ صَوْرَتِهِ الْفَعْلِيَّةِ إِلَى مَرْكَبٍ حَرْفِيٍّ، مَتَمَثِّلًا فِي حَرْفِ الْجَرِّ (عَلَى)، مَعَ بَقَاءِ الْوُضُفَةِ النُّحْوِيَّةِ فِي الْمَرْكَبِ الْجَدِيدِ، وَهِيَ وَضُفَةُ الْأَمْرِ^(١)، وَقَدْ أَفَادَ غَرَضًا بِلَاغِيًّا وَهُوَ النَّصْحُ وَالْإِرْشَادُ.

(١) انظر: القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، د. حسام البهناوي: ١٢٢.

٤. نموذج تحليلي لصيغة المَصْدَرِ النائب عن فعل الأمر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "...؛ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلَّا لِيَذَّادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يَذَّادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أَنَادِيهِمْ: أَلَّا هَلَمْ، فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سَحَقًا، سَحَقًا"^(١).



^(١) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٣٠٢، حاشية (٣)، وهي خطبة رقم (٦٥).

تَحَوَّلَ التركيبُ السابق مِنْ بنيته العميقة إلى بنيته السطحية الموضحة في الرسم الشجري السابق عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف الإجباري:

أ. حُذِفَ المركب الفعلي بِقِسْمِيَّهِ: الفِعْلُ (اسْحَقْ) والمركب الاسمي (أَنْتَ) حَذْفًا إجباريًا.

ب. حُذِفَ المركب الاسمي الأول (أنتم) الذي يُعَدُّ جزءًا من مركب المصدر.

ت. تَمَّ حَذْفُ مركب شبه الجملة (لَكُمْ).

٢. الإحلال والتعويض:

حَلَّ المركب المصدر (سُحِقًا) -المُكَوَّن من المركب الاسمي (سُحِقًا) والمركب الاسمي المحذوف (أَنْتَ) - محلَّ المركب الفعلي (اسْحَقْ)، وهذا المركب المصدر جاء في موقع المفعول المطلق الذي حُذِفَ فِعْلُهُ، وهو -هنا- فِعْلُ الأمر المحذوف (اسْحَقْ).

٣. التقديم:

تَمَّ تقديم المركب المصدر (سُحِقًا) ليحلَّ مكان الصدارة "البؤرة"، بعدما حُذِفَ المركب الفعلي (اسْحَقْ + أَنْتَ)؛ إذ الأصل: (اسْحَقْ أَنْتَ سُحِقًا).

٤. التقلُّص والاختصار:

تَقَلَّصَ المركب الفعلي بِقِسْمِيَّهِ (اسْحَقْ + أَنْتَ) إلى مركب واحد، وهو المركب المصدر (سُحِقًا).

المبحث الثالث

تركيب النّهي

أولاً: تعريف النّهي

النّهي (لُغَةً): المنع والكف والتّرك والرّجاء عن الشّيء بالفعل أو بالقول. والنّهي: خلاف الأمر. والنّهي: العُقول، مفردها: النّهيّة؛ أي: العقل، سُمّي بذلك؛ لأنه ينهي عن القبيح والجهل. والنّهي: الموضع الذي له حاجز ينهي الماء أن يفيض منه^(١).

النّهي (اصطلاحاً): هو طلب الكف والامتناع عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام^(٢).

صيغة النّهي:

للنهي صيغة واحدة، وهي صيغة المضارع المقرون بـ (لا) الناهية الجازمة^(٣)، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُؤُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِنَّا بِالْحَقِّ﴾^(٤)، وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾^(٥)، وكقوله ﷺ: ﴿وَلَا تَقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٦).

أوجه الاتفاق والاختلاف بين الأمر والنّهي^(٧):

يتفق الأمر والنّهي في ثلاثة أمور، وهي:

- أ. أن كلّ واحدٍ منهما لا بُدَّ فيه من اعتبار الاستعلاء.
 - ب. أنّهما يتعلّقان جميعاً بالغير؛ فلا يمكن أن يكون الإنسان -في الأغلب- أمراً لنفسه، أو ناهياً لها.
 - ت. لا بُدَّ فيهما جميعاً من اعتبار حال فاعلهما في كونه مريداً لهما.
- أما أوجه الاختلاف بينهما فيختلّفان في ثلاثة أمور -أيضاً- وهي:

(١) انظر: جمهرة اللغة، لابن دريد: ٩٩٧/٢ (باب النون والهاء والياء)، ومجمل اللغة، لابن فارس: ٨٤٤/١

(باب النون والهاء وما يثلاثهما)، والمخصص، لابن سيده: ٣٨٥/٤ (باب الممدود)، والكليات، للكفوي: ٩٠٣ (فصل النون).

(٢) انظر: مفتاح العلوم، للسكاكي: ٣٢٠، والإيضاح، للقرظيني: ٨٨/٣، والطرارز لأسرار البلاغة، للعلوي:

١٥٦/٣، وجواهر البلاغة، للهاشمي: ٧٦، وعلم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ٨٣.

(٣) انظر: المراجع الخمسة السابقة، الصفحات نفسها.

(٤) سورة الأنعام: ١٥١.

(٥) سورة الخجرات: ١٢.

(٦) سورة الإسراء: ٣٦.

(٧) انظر: الطراز لأسرار البلاغة، للعلوي: ١٥٧/٣.

أ. يختلفان في الصيغة؛ لأنَّ كُلَّ واحدٍ منهما مُخْتَصٌّ بصيغة تُخالف الآخر.

ب. الأمرُ دالٌّ على الطَّلَبِ، والنَّهْيُ دالٌّ على المنعِ.

ت. إِنَّ الأمرَ لا بُدَّ فيه من إرادة مأمورة، وَإِنَّ النَّهْيَ لا بُدَّ فيه من كراهية منهية.

ثانيًا: المعاني البلاغية لتركيب النهي

قَدْ يَخْرُجُ النهي عن معناه الحقيقي "الاستعلاء والإلزام" إلى معانٍ بلاغية أخرى تفهم من السياق والقرائن، ومنها^(١):

أ. الدعاء: ويكون النهي فيه صادرًا من الأدنى إلى الأعلى شأنًا ومنزلةً، نحو: ﴿رَبَّنَا لَا

تُؤَاخِذْنَا إِنَّ نَاسِيَنَا أَوْأَخْطَاؤُنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾^(٢).

ب. التوبيخ: ويكون بتوجيه اللوم للمخاطب، مع كَوْنِ المنهَى عنه أمرًا لا يليقُ أَنْ يصدر عن المخاطب، كقول الشاعر:

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ^(٣)

ت. النصح والإرشاد: وهو النهي الذي يحمل بين طياته معنىً من معاني النصيحة والإرشاد، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾^(٤).

(١) انظر: مفتاح العلوم، للسكاكي: ٣٢٠، والإيضاح، للقرظيني: ٨٨/٣، والطرارز لأسرار البلاغة، للعلوي: ١٥٦/٣-١٥٧، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، للسبكي: ٤٧٠/١-٤٧١، وجواهر البلاغة، للهاشمي: ٧٦-٧٧، وعلم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ٨٣-٨٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٣) اختلف في صاحب هذا البيت، فَوَجَدْتُهُ لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه: ٤٠٤، وشرح شذور الذهب، لابن هشام: ٣٠٩-٣١٠، والمساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل: ٩١/٣، وشرح شذور الذهب، للجوهرية: ٥٣٧/٢، وهمع الهوامع، للسيوطي: ٣٩٣/٢، وشرح درة الغواص، للشهاب الخفاجي: ١٧٤، وخزانة الأدب، للبغدادى: ٥٦٧/٨. وَنُسِبَ البيتُ للمتوكل الليثي في ديوانه: ٢٨٤، والجُمَل في النحو، للخليل بن أحمد: ٩٥-٩٦، وإيضاح شواهد الإيضاح، لأبي علي القيسي: ٣٤٨/١-٣٤٩. وَنُسِبَ للأخطل في: شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي: ٢٣٥/٣، والرَّد على النحاة، لابن مضاء: ١٢١، وشرح المفصل، لابن يعيش: ٢٣٦/٤، وشرح التسهيل، لابن مالك: ٣٦/٤. وَبِلَا نسبةٍ في المقتضب، للمبرد: ٢٦/٢.

وَأغلب الظن أنه لأبي الأسود؛ لكثرة المراجع التي نُسِبَتِ البيتُ له وأَيَّدَتْ ذلك، قال البطلوسي: "قَفَّومٌ يروونه: للأخطل، وقوم يروونه: للمتوكل الليثي، وقوم يروونه: لأبي الأسود الدؤلي، وهي أثبت الروايات" الخُل في شرح أبيات الجُمَل، للبطلوسي: ١٣٤، وقال العيني: "أقول: قائله هو أبو الأسود الدؤلي، ويُقال: الأخطل وليس بصحيح" المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، للعيني: ٣٥٧/٣-٣٥٨. (٤) سورة البقرة: ٢٨٢.

ث. الانتئاس: ويكون النهي لرفعِ الخوفِ مِنْ فؤادِ المخاطَب، وَبَيَّ الطمأنينة والسكينة فيه، نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(١).

ج. التمني: ويكون النهي مُوجَّهًا إِلَى ما لَا يَعْقِلُ، كقول الخنساء:

أَعَيْنِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى^(٢)

ح. التئيب: ويكون في حالِ المخاطَب الذي يَهَمُّ بِفِعْلٍ أَمْرٍ لَا نَفْعَ لَهُ فِيهِ مِنْ وَجْهَةٍ نَظَرِ المتكَلِّم؛ فيقوم المتكَلِّمُ بِتَيْبِيسِ المخاطَبِ وإحباطه، نَحْو: ﴿لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾^(٣).

ثالثًا: تراكيب النهي الواردة في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ

يُعَدُّ تركيب النهي رابع التراكيب الإنشائية -الطلبية وغير الطلبية- استخدامًا في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ بعد الأمر والنداء والاستفهام.

وَحَمَلَ النهي في معظم هذه الخُطَبِ المعنى المجازي البلاغي. وَقَدْ بَلَغَتْ تراكيبُ النهي في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ (مِائَةً وَخَمْسَةً وَسِتِّينَ) تركيبًا.

رابعًا: عَرَضُ نماذجِ النهي الواردة في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ

١. صيغة فِعْلٍ النهي مِنَ الْجُمْلِ البسيطة^(٤):

أ. سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ قَوْمًا يَتَذَارُؤُونَ [يَتَمَارُونَ]، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: "إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا، ضَرَبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، وَإِنَّمَا نَزَلَ كِتَابُ اللَّهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلَا تُكَذِّبُوا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا، وَمَا جَهِلْتُمْ فَكَلُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ"^(٥).

(١) سورة التوبة: ٤٠.

(٢) البيت للخنساء في ديوانها: ٣١، والكمال في اللغة والأدب، للمبرد: ٤١/٤، والعقد الفريد، لابن عبد ربه: ٢٢٤/٣.

(٣) سورة التوبة: ٦٦.

(٤) انظر منها: خطبة رقم (١٦٨) في خُطْبِ الرسول ﷺ، لمحمد خليل الخطيب: ٨٧، وخطبة (٢٦٣): ١٣٣-١٣٤، وخطبة (٢٧٦): ١٤٠، وخطبة (٢٨٢): ١٤٣، وخطبة (٣١٤): ١٥٨-١٥٩، وخطبة (٣٥٣): ١٧٩، وخطبة (٣٦١): ١٨٢، وخطبة (٤٥٩): ٢٣٧-٢٣٨، وخطبة (٤٦٦): ٢٤٣، وخطبة (٥١٨): ٢٦٩-٢٧٠.

(٥) خُطْبِ الرسول ﷺ، لمحمد خليل الخطيب: ١٣٦، خُطْبَةُ رَقْمِ (٢٦٧). وأصل الحديث في: مسند أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص: ٣٥٤/١١، حديث رقم (٦٧٤١)، والمعجم الأوسط، للطبراني، مَنِ اسْمُهُ إِسْحَاقُ: ٢٢٧/٣، حديث رقم (٢٩٩٥)، و٣٠٢/٥ حديث رقم (٥٣٧٨).

ب. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَقَعَ فِي أَبِي الْعَبَّاسِ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَطَمَهُ الْعَبَّاسُ، فَجَاءَ قَوْمُهُ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَنُلَظِمَنَّه كَمَا لَطَمَهُ، فَلَبِسُوا السِّلَاحَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ، أَيُّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ؟" قَالُوا: أَنْتَ. قَالَ: "فَإِنَّ الْعَبَّاسَ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُ؛ فَلَا تَسُبُّوا أَمْوَالَنَا، فَتُؤْذُوا أَحْيَاءَنَا" فَجَاءَ الْقَوْمُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِكَ، فَاسْتَغْفِرْ لَنَا^(١).

ت. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اشْتَكَى عَلِيًّا النَّاسُ، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِينَا خَطِيبًا، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: "أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَشْكُوا عَلِيًّا، فَإِنَّهُ لَأَخْشَنُ فِي ذَاتِ اللَّهِ، أَوْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"^(٢). والشاهد: (لَا تَشْكُوا عَلِيًّا).

٢. صيغة فعل النهي من الجمل المركبة^(٣):

أ. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَوَالَةَ الْأُرْدِيِّ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَوْلَ الْمَدِينَةِ عَلَى أَقْدَامِنَا لِنَعْنَمَ، فَرَجَعْنَا وَلَمْ نَعْنَمَ شَيْئًا، وَعَرَفَ الْجَهْدَ فِي وُجُوهِنَا فَقَامَ فِينَا فَقَالَ: "اللَّهُمَّ لَا تَكْلِهْمُ إِلَيَّ فَأَضْعُفَ، وَلَا تَكْلِهْمُ إِلَيَّ أَنْفُسِهِمْ فَيَعْجِزُوا عَنْهَا، وَلَا تَكْلِهْمُ إِلَيَّ النَّاسِ فَيَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ". ثُمَّ قَالَ: "لَيُفْتَحَنَّ لَكُمْ الشَّامُ وَالرُّومُ وَفَارِسُ أَوْ الرُّومُ وَفَارِسُ حَتَّى يَكُونَ لِأَحَدِكُمْ مِنَ الْإِبِلِ كَذَا وَكَذَا، وَمِنَ الْبَقَرِ كَذَا وَكَذَا، وَمِنَ الْغَنَمِ حَتَّى يُعْطَى أَحَدُهُمْ مِائَةً دِينَارٍ فَيَسْخَطَهَا". ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي، أَوْ هَامَتِي، فَقَالَ: "يَا بْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتْ الرِّلَازِلُ وَالْبَلَايَا وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ"^(٤).

(١) حُطِبَ الرُّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٣٧-٢٣٨، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٥٩). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ ابْنِ حَنْبَلٍ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ: ٤/٤٦٦، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٧٣٤)، وَالْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ، لِلْحَاكِمِ، يَكُرُّ إِسْلَامَ الْعَبَّاسِ: ٣/٣٧١، حَدِيثٌ رَقْمُ (٥٤٢١).

(٢) حُطِبَ الرُّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٥٩-٢٦٠، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٩٩). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ ابْنِ حَنْبَلٍ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ١٨/٣٣٧، حَدِيثٌ رَقْمُ (١١٨١٧)، وَالْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ، لِلْحَاكِمِ، قِصَّةُ اعْتِزَالِ مُحَمَّدَ بْنِ مُسْلِمَةَ الْأَنْصَارِيِّ عَنِ الْبَيْعَةِ: ٣/١٤٤، حَدِيثٌ رَقْمُ (٤٦٥٤).

(٣) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥١): ٢٩-٣٠ وَفِيهَا أَرْبَعَةُ مَوَاضِعَ، وَخُطْبَةٌ (١٣٢): ٧١، وَخُطْبَةٌ (١٦٠): ٨٢-٨٣، وَخُطْبَةٌ (٣١٤): ١٥٨-١٥٩ وَفِيهَا أَرْبَعَةُ مَوَاضِعَ، وَخُطْبَةٌ (٣٤٥): ١٧٦ وَفِيهَا ثَلَاثَةُ مَوَاضِعَ، وَخُطْبَةٌ (٣٥٢): ١٧٨ وَفِيهَا مَوْضِعَانِ، وَخُطْبَةٌ (٣٩١): ١٩٥-١٩٦ وَفِيهَا مَوْضِعَانِ، وَخُطْبَةٌ (٣٩٧): ١٩٨-١٩٩ وَفِيهَا مَوْضِعَانِ، وَخُطْبَةٌ (٤٥٢): ٢٣٢ وَفِيهَا مَوْضِعَانِ، وَخُطْبَةٌ (٥١١): ٢٦٥ وَفِيهَا ثَلَاثَةُ مَوَاضِعَ.

(٤) حُطِبَ الرُّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٣١، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٣). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَوَالَةَ: ٣٧/١٥١، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٢٤٨٧)، وَسُئِنَ أَبِي دَاوُدَ، لِأَبِي دَاوُدَ، بَابُ فِي الرَّجُلِ يَغْزُو يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالْغَنِيمَةَ: ٣/١٩، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٥٣٥).

ب. عَنْ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفِضِ الْإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤَدُّوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ^(١).

ت. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، لَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَتَّاجَشُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(٢).

٣. صيغة فعل النهي من الجمل التركيبية "المُعَقَّدة"^(٣):

أ. عَنْ عَمْرِو بْنِ يَثْرِيبٍ الضَّمَرِيِّ، قَالَ: شَهِدْتُ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمِنَى، فَكَانَ فِيهَا خُطْبٌ بِهِ أَنْ قَالَ: «وَلَا يَحِلُّ لِمَرِيٍّ مِنْ مَالِ أَخِيهِ إِلَّا مَا طَابَتْ بِهِ نَفْسُهُ» قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ لَقِيتُ غَنَمَ ابْنِ عَمِّي فَأَخَذْتُ مِنْهَا شَاةً فَاجْتَرْتُهَا؟ هَلْ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ؟ قَالَ: «إِنْ لَقِيتَهَا نَعَجَةً تَحْمِلُ شَفْرَةً وَزِنَادًا فَلَا تَمَسَّهَا»^(٤).

ب. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: خُطَبْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيُزْرِعْهَا -أَوْ لِيُزْرِعْهَا- وَلَا يُؤَاجِرْهَا»^(٥).

(١) خُطَبُ الرَسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٢٨، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٥٢). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ، لِلتِّرْمِذِيِّ، بَابُ مَا جَاءَ فِي تَعْظِيمِ الْمُؤْمِنِ: ٣٧٨/٤، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٠٣٢)، وَصَحِيحُ ابْنِ جِبَانَ، لِابْنِ جِبَانَ، ذِكْرُ الرَّجْرِ عَنْ طَلَبِ عَثَرَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَتَغْيِيرِهِمْ: ٧٥/١٣، حَدِيثٌ رَقْمُ (٥٧٦٣).

(٢) خُطَبُ الرَسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٠٩، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤١٥). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ: ٢٤٧/١٣-٢٤٨، حَدِيثٌ رَقْمُ (٧٨٥٨)، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ تَحْرِيمِ الظَّنِّ وَالتَّجَسُّسِ وَالتَّنَافُسِ وَالتَّجَاشِ وَنَحْوَهَا: ١٩٨٥/٤، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٥٦٣).

(٣) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٨): ١٩، وَخُطْبَةٌ (٤٣): ٢٦، وَخُطْبَةٌ (٥٠): ٢٩، وَخُطْبَةٌ (٧٣): ٤١-٤٢، وَخُطْبَةٌ (١٠٢): ٥٦، وَخُطْبَةٌ (٢٣٧): ١٢١، وَخُطْبَةٌ (٢٨٢): ١٤٣، وَخُطْبَةٌ (٣٩٧): ١٩٨-١٩٩، وَخُطْبَةٌ (٤٣٠): ٢١٧، وَخُطْبَةٌ (٤٤١): ٢٢٤.

(٤) خُطَبُ الرَسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٣٨، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٧١). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ عَمْرِو بْنِ يَثْرِيبٍ: ٢٣٩/٢٤، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٥٤٨٨)، وَسُنَنِ الدَّارَقُطْنِيِّ، لِلدَّارَقُطْنِيِّ، كِتَابُ الْبَيُوعِ: ٤٢٣/٣، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٨٨٣).

(٥) خُطَبُ الرَسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٢٦، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٤٤). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ، لِلْبَخَارِيِّ، بَابُ مَا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يُوَاسِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الزَّرَاعَةِ وَالثَّمَرَةِ: ١٠٧/٣، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٣٤٠)، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ كِرَاءِ الْأَرْضِ: ١١٧٦/٣، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٥٣٦)، وَسُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ، لِابْنِ مَاجَةَ، بَابُ كِرَاءِ الْأَرْضِ: ٨٢٠/٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٤٥٤).

ت. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَلَا تُعْجِزْ؛ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ"^(١). والشاهد: (إِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ...).

خامساً: نماذج تحليلية لتركيب النهي في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ

١. نموذج تحليلي لِفِعْلِ النَّهْيِ مِنَ الْجُمْلَةِ الْبَسِيطَةِ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَشْكُوا عَلَيَّ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَخْسَنُ فِي ذَاتِ اللَّهِ..."^(٢).

^(١) خُطْبُ الرِّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢١٧، خُطْبَةُ رَقْمٍ (٤٣٠). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ٣٩٥/١٤، حَدِيثٌ رَقْمٌ (٨٧٩١)، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، فِي الْأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعِجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وَتَفْوِيزِ الْمَقَادِيرِ لِلَّهِ: ٢٠٥٢/٤، حَدِيثٌ رَقْمٌ (٢٦٦٤).

^(٢) سَبَقَ تَخْرِيجُ الْحَدِيثِ، ص: ٣١٩، حَاشِيَةُ (٢)، وَهِيَ خُطْبَةُ رَقْمٍ (٤٩٩).

تَمَّ تحويل تركيب النهي السابق مِنْ البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف الإجمالي:

أ. حُذِفَ المركب الاسمي الأول وهو الضمير (أنتم).

ب. حُذِفَ مركب الجار والمجرور.

٢. الزيادة والإضافة:

تمَّ زيادة (لا) الناهية إلى التركيب.

٣. الإحلال والتعويض:

أ. حُلَّ الجزم بحذف النون محلَّ ثبوت النون في الفعل (تشكوا)؛ بسبب دخول (لا) الناهية على الفعل.

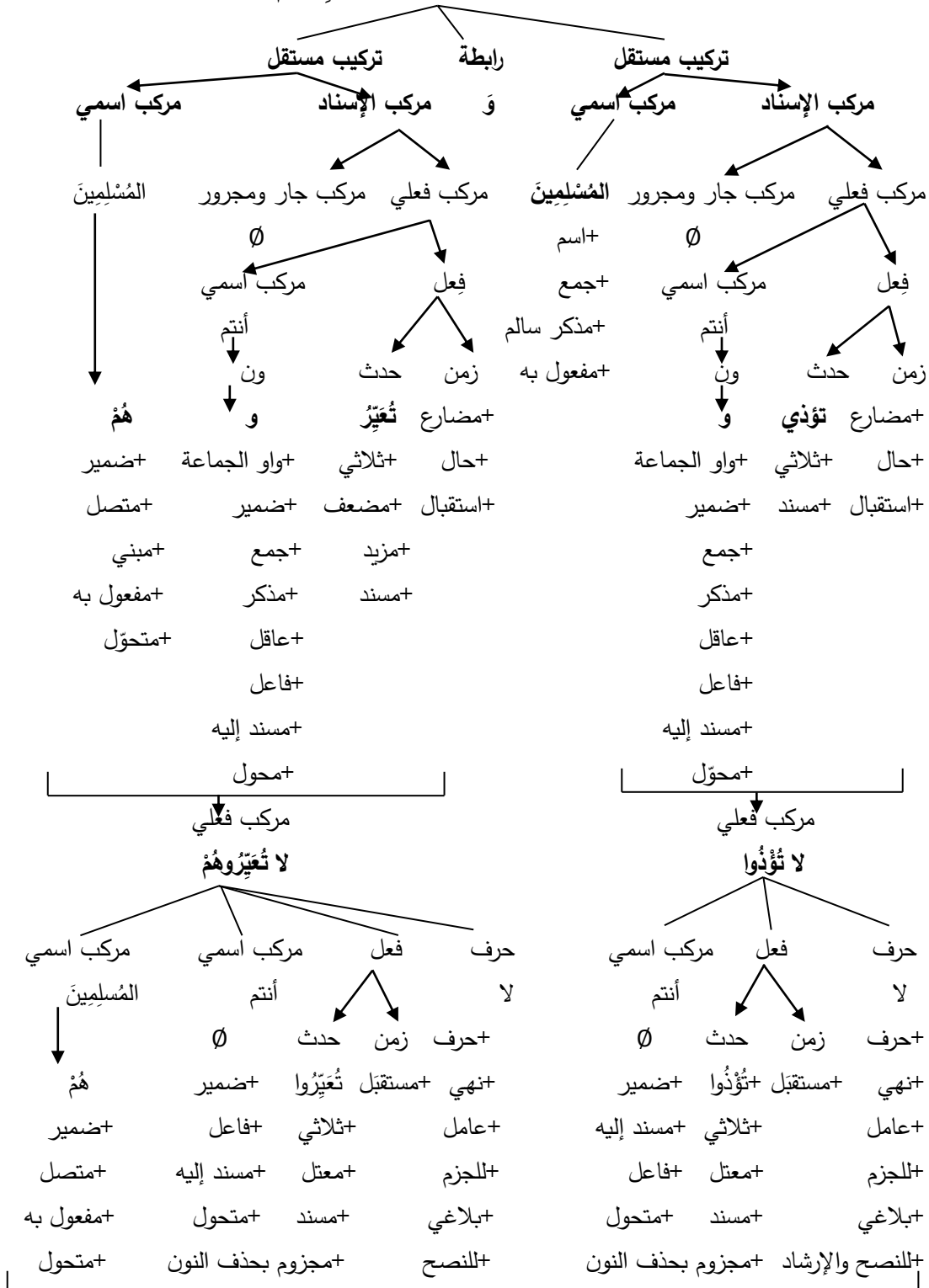
ب. حُلَّتْ صيغة الضمير المتصل (واو الجماعة) محلَّ الضمير المنفصل (أنتم) في المركب الاسمي الأول.

٤. التقلُّص والاختصار:

تَقَلَّصَ زمن الفعل المضارع الدالَّ على الحال والاستقبال إلى الاستقبال فقط؛ وذلك بسبب زيادة حرف النهي (لا) الذي يحول المضارع إلى الاستقبال.

٢. نموذج تحليلي لفِعْلِ النهي مِنَ الجملة المركبة: "لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ" (١).

لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ



نهى بلاغي للنصح والإرشاد

لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ

(١) سَبَقَ تَخْرِيجَ الْحَدِيثِ، ص: ٣٢٠، حَاشِيَةُ (١)، وَهِيَ خُطْبَةٌ رَقْم (٢٥٢).

تَمَّ تحويل تركيب النهي السابق مِنَ البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف الإجمالي:

أ. حُذِفَ الضمير المنفصل (أنتم) مِنَ المُرَكَّبِينَ الاسْمِيِّينَ الأول والثالث.

ب. حُذِفَ مُرَكَّبُ الجار والمجرور في كِلَا التركيبَيْنِ المُسْتَقْلِلَيْنِ السابقَيْنِ.

٢. الزيادة والإضافة:

تَمَّ زيادة (لا) الناهية في كِلَا التركيبَيْنِ المُسْتَقْلِلَيْنِ السابقَيْنِ.

٣. الإحلال والتعويض:

حَلَّ الجزم بحذف النون محل ثبوت النون في الفِعْلَيْنِ (تُؤْذُوا، وَتُعَيِّرُوا).

٤. التقلُّص والاختصار:

تَقَلَّصَ زمن الفعل المضارع الدَّالُّ على الحال والاستقبال في كِلَا التركيبَيْنِ (لا تُؤْذُوا،

وَلَا تُعَيِّرُوا) إلى الاستقبال فقط؛ بسبب زيادة حرف النهي (لا) عليهما، الذي يحول

المضارع من الحال والمستقبل إلى المستقبل.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "... إِنَّ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ... (").

[illegible]

۳۲۶

تَحَوَّلَ مُرَكَّبُ النّهي السّابق مِنْ البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف الإجمالي:

أ. حُذِفَ المركب الاسمي مِنْ كِلَا التركيبَيْن السّابقَيْن.

ب. حُذِفَ مركب الجار والمجرور مِنْ كِلَا التركيبَيْن.

٢. الزيادة والإضافة:

أ. تَمَّ زيادة حرف النّهي (لا) على المركب الفعلي المستقل.

ب. زِيدَتِ (الفاء) في التركيب المستقل؛ لأنها رابطة لجواب الشرط.

٣. التقلُّص والاختصار:

تَقَلَّصَ زمن الفعل المضارع الدّالّ على الحال والاستقبال في التركيب المستقل (لا تَقُلْ)

إلى الاستقبال فقط؛ بسبب زيادة حرف النّهي (لا)، الذي يحول المضارع من الحال

والمستقبل إلى المستقبل.

٤. الإحلال والتعويض:

أ. حُلَّ السكون محلّ الضمة في الفعل (تقل) بسبب دخول (لا) الناهية.

ب. حُلَّ الضمير (الكاف) محلّ الضمير (أنت) في التركيب غير المستقل.

٥. التقديم:

تَقَدَّمَ المركب الاسمي الضمير (الكاف) الواقع مفعولاً به على الفاعل وهو المركب

الاسمي (شيء).

المبحث الرابع

تركيب النداء

أولاً: تعريف النداء

النداء (لُغَةً): مصدر (نَادَى مُنَادَاً وَنِدَاءً)، والنداء الدعاء، والطلب، والدعوة، والبيان، والإعلان، والتنويه^(١).

أما الفرق بين النداء والدعاء فهو أن "النداء رَفْعُ الصوتِ بما لَهُ معنى، والعربي يقول لصاحبه: نادِ مَعِيَ؛ ليكونَ ذلكَ أُنْدَى لصوتنا؛ أي أَبْعُدْ له، والدعاء يكون بِرَفْعِ الصوتِ وَخَفْضِهِ، يُقال: دَعَوْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَدَعَوْتُ اللَّهَ فِي نَفْسِي، وَلَا يُقال: نَادَيْتُهُ فِي نَفْسِي"^(٢)؛ لِذَا يُسمَّى الأذانُ نِدَاءً^(٣)؛ لِأَنَّ فِيهِ رَفْعَ صوتٍ بالدعاء.

النداء (اصطلاحاً):

هو طَلَبُ الإقبالِ مِنَ الْمُخاطَبِ "المُنَادَى" بِحَرْفٍ مِنْ أَحرفِ النِّداءِ يَنْتُوبُ مَنْابَ (أَدْعُو) أَوْ (أُنَادِي)، لَفْظاً^(٤) أَوْ تَقْدِيرًا^(٥).

ويكون الإقبال من المخاطب حقيقياً، أَوْ مَجَازِيّاً يقصد به طلب الاستجابة، كِنِدَاءِ اللَّهِ ﷻ، نَحْوَ قولنا: (يا اللَّهُ ارْحَمْنَا)^(٦)؛ فيخرج النداء -حينئذٍ- عن معناه الحقيقي إلى معنى بلاغي آخر "مجازي"، وهذا ما سأذكره في الأغراض البلاغية لتركيب النداء.

(١) انظر: جمهرة اللغة، لابن دريد: ١٠٦١/٢ (باب الدال في المعتل)، والصَّحاح، للجوهري: ٢٥٠٥/٦ (ندا)، والمخصص، لابن سيده: ٢٢٠-٢١٩/١ (الدُّعاء والصياح والزجر) و١٣٩/٣ (باب توريق الأشجار وتويرها)، والمجموع المغيث في غريب القرآن والحديث، للمدني: ٢٨١/٣ (ندا).

(٢) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري: ٣٨.

(٣) تَبَيَّنَ ذلكَ في قولِ النبي ﷺ: "إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ؛ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَدِّنُ" صحيح البخاري، للبخاري، باب ما يَقُولُ إِذَا سَمِعَ الْمُنَادِي: ١٢٦/١، حديث رقم (٦١١)، ولقوله ﷺ: "مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ النَّامَّةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ" صحيح البخاري، للبخاري، باب الدعاء عِنْدَ النِّدَاءِ: ١٢٦/١، حديث رقم (٦١٤).

(٤) لَفْظاً؛ أي: حرف النداء ملفوظٌ في الجملة غير محذوفٍ. وتقديراً؛ أي: حَذَفَ حرف النداء من الجملة فَيَقْدَرُ تقديرًا.

(٥) انظر: شرح التسهيل "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد"، لناظر الجيش: ١٥٨/١ و٤٤٨/١، وتعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، للدمامي: ٧٩/١، وحاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، للصبان: ١٩٧/٣.

(٦) انظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، للصبان: ١٩٧/٣.

وَقَدْ يَقَعُ -هُنَا- اعْتِرَاضٌ، وهو أَنَّ النداءَ -كَمَا تَقَدَّمَ- طَلَبٌ؛ أَي: إنشاء، لكنَّ النَّائِبَ عن حرفه هو الْفِعْلُ (أَدْعُو، أَوْ أُنَادِي) وهذا فِعْلٌ خَبَرِيٌّ لَا طَلَبَ فِيهِ؛ فَيَتَوَهَّمُ التَّنَاقُضُ بِأَنَّ (أَدْعُو) خَبَرٌ وَالنداءُ إنشَاءٌ!

أجاب ابن هشام فقال: "وَقَوْلُ ابْنِ الطَّرَاوَةِ: النداءُ إنشَاءٌ و(أَدْعُو) خَبَرٌ سَهْوٌ مِنْهُ، بَلْ (أَدْعُو) الْمُقَدَّرُ إنشَاءٌ كَ (يَعُثْ) وَ(أَقْسَمْتُ)"^(١)، فيؤكِّد ابن هشام أَنَّ (أَدْعُو) الذي ينوب مناب حرف النداء يَحْمِلُ الْإِنْشَاءَ، فهو يُشَبِّهُ صِبْغَ الْعُقُودِ فِي الْإِنْشَاءِ غَيْرِ الطَّلَبِيِّ: (يَعُثْ) وَ(أَقْسَمْتُ)"^(٢). كما أَنَّ "(أَدْعُو) نُقِلَ إِلَى الْإِنْشَاءِ، وَإِنَّمَا يُنَادَى الْمُمَيَّزُ، وَأَمَّا نَحْوُ: (يَا جِبَالُ)، و(يَا أَرْضُ) فَقِيلَ: إِنَّهُ مِنْ بَابِ الْمَجَازِ؛ لِتَشْبِيهِهِ مَا ذُكِرَ بِالْمُمَيَّزِ فِي الْإِنْشَاءِ، وَاسْتِعَارَتِهِ فِي النَّفْسِ لَهُ عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ بِالْكُنَايَةِ، وَ(يَا) تَخْيِيلٌ، وَلَكَ أَنَّ تَقُولَ: مِنَ الْجَائِزِ أَنَّ اللَّهَ لَمَّا ذَكَرَ حَالِ الْخِطَابِ تَمْيِيزًا؛ فَلَمْ يَقَعِ النداءُ إِلَّا لِمُمَيَّزٍ"^(٣). وَإِنَّ الْإِنْشَاءَ الطَّلَبِيَّ -كَمَا سَلَفَ- هو استدعاءٌ مَطْلُوبٌ غَيْرُ حَاصِلٍ وَقَتِ الطَّلَبِ، وَهَذَا مُتَحَقِّقٌ فِي النداءِ؛ إِذْ إِنَّ النداءَ طَلَبٌ لشيءٍ غَيْرِ حَاصِلٍ وَقَتِ النداءِ عَلَى الْمُنَادَى.

ثَانِيًا: أَنْوَاعُ الْمُنَادَى وَأَحْكَامُهُ

لِلْمُنَادَى خَمْسَةُ أَنْوَاعٍ، وَهِيَ^(٤):

١. الْمَفْرُودُ الْمَعْرِفَةُ "الْعَلَمُ": كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾^(٥)، وَكَقَوْلِكَ: (يَا مُسْلِمَاتُ، لَا تَتَزَعَّنِ الْجِلْبَابَ)، و(يَا مُحَمَّدَانِ، انْتَبِهَا)، و(يَا مُجْتَهِدُونَ، حَافِظُوا عَلَى تَقْوِكُمْ).

(١) مغني اللبيب، لابن هشام: ٤٨٨.

(٢) حتى لو كانت (يَعُثْ) وَ(أَقْسَمْتُ) فِي غَيْرِ الطَّلَبِ؛ إِلَّا أَنَّهَا صِيغٌ تَدُلُّ عَلَى الْإِنْشَاءِ لَا الْخَبَرِ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: "لِأَنَّ الْمُحَقِّقِينَ عَلَى أَنَّ أَفْعَالَ الْإِنْشَاءِ مُجَرَّدَةٌ عَنِ الزَّمَانِ كَ (يَعُثْ) وَ(أَقْسَمْتُ) وَ(قِيلَتْ) وَأَجَابُوا عَنْ كَوْنِهَا مَعَ ذَلِكَ أَفْعَالًا بِأَنَّ تَجَرَّدَهَا عَارِضٌ لَهَا عِنْدَ نَقْلِهَا عَنِ الْخَبَرِ، وَلَا يُمَكِّنُهُمْ ادِّعَاءُ ذَلِكَ فِي نَحْوِ: (قُمْ)؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ حَالَةٌ غَيْرُ هَذِهِ، وَحِينَئِذٍ فَتَشْكَلُ فِعْلِيَّتُهُ، فَإِذَا ادَّعِيَ أَنَّ أَصْلَهُ (لِنَقْمٍ) كَانَ الدَّالُّ عَلَى الْإِنْشَاءِ اللَّامُ لَا الْفِعْلُ". مغني اللبيب، لابن هشام: ٣٠٠.

(٣) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، للصبان: ١٩٧/٣.

(٤) انظر: شَرْحُ الْمَفْصَلِ، لابن يعيش: ٣٦٢-٣٦٧، وَارْتِشَافُ الضَّرْبِ، لِأَبِي حَيَّانٍ: ٢١٨٠-٢١٩٧، وَتَوْضِيحُ الْمَقَاصِدِ وَالْمَسَالِكِ، لِلْمُرَادِيِّ: ١٠٥٩-١٠٦٣، وَأَوْضَحُ الْمَسَالِكِ، لابن هشام: ٢٠-١٢/٤، وَشَرْحُ الْمُكُونِيِّ عَلَى الْأَلْفِيَةِ فِي عِلْمِي النُّحُوِّ وَالصَّرْفِ، لِلْمُكُونِيِّ: ٢٣٧-٢٣٩.

(٥) سُورَةُ هُودَ: ٤٨.

٢. النكرة المقصودة "اسم الجنس المُعَيَّن": وهي النكرة التي يزول إبهامها بسبب مناداتها مع التعيين والقصد للمنادى، كقوله تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ﴾^(١)، وكقولك لِرَجُلٍ خَشِيتَ تَعَثُّهُ: (يَا رَجُلُ، انْتَبِهْ).

وَحُكْمُ المَنادَى "المفرد والنكرة المقصودة" النَّصْبُ محلاً؛ أي: مبني على الضم أو الألف أو الواو في محل نصب "على المفعولية؛ لأن المنادى مفعول به في المعنى، وناصبه فعل مضمر نابت (يا) منابه، فأصل (يا زيد): (أَدْعُو زَيْدًا)؛ فحذف (أدعو) ونابت (يا) منابه^(٢). يعني: أنه يُبْنَى على ما كان يُرْفَعُ به قَبْلَ النداء من: ضَمَّةٍ ظاهرةٍ كَمَا في: (يا نُوحُ)، و(يا مُسْلِمَاتُ)، و(يا جِبَالُ)، أَوْ مِنْ أَلِفٍ كَمَا في: (يا طَالِبَانِ)، أَوْ مِنْ وَاوٍ كَمَا في: (يا مُجْتَهِدُونَ)؛ فهو مرفوعٌ لفظاً منصوبٌ محلاً؛ لذلك سَمَّى ابنُ هشامٍ هَذَيْنِ النَّوعَيْنِ "ما يَجِبُ فيه أَنْ يُبْنَى على ما يُرْفَعُ به لَوْ كان مُعَرَّباً"^(٣).

٣. النكرة غير المقصودة "اسم الجنس غير المُعَيَّن": وهي النكرة التي لا يزول إبهامها بندائها؛ لأنها لا تدل على فردٍ بعينه مقصود بالنداء؛ يعني: "المنادى الذي لَمْ يُقْصَدْ به مُعَيَّن"^(٤)، نَحْوُ قول المُعَلِّمِ: (يَا كَسُولًا، اجْتَهِدْ)، وكقول الخطيب أو الواعظ: (يَا لَاهِيَا، انْتَبِهْ)، وكقول الأعمى: (يا رَجُلًا، خُذْ بِيَدِي).

٤. المضاف: نحو: (يا عِبَادَ اللَّهِ، اتَّقُوا اللَّهَ).

٥. الشبيهة بالمضاف: وهو ما اتَّصَلَ به شيءٌ يُنَمِّمُ معناه، نَحْوُ: (يا طَالِعَا الْجَبَلِ، لا تَنْسَ ذِكْرَ اللَّهِ).

وَحُكْمُ المَنادَى "النكرة غير المقصودة، والمضاف، والشبيهة بالمضاف" النَّصْبُ لفظاً؛ أي: منصوب -كالأسماء المعربة- وعلامة نصبه الفتحة.

إضافة المنادى إلى ياء المتكلم:

إذا أضيف المنادى إلى ياء المتكلم، فإما أن يكون صحيحاً أو معطلاً؛ فإن كان المنادى معتل الآخر بالألف، فله وجهان^(٥):

(١) سورة سَبَأ: ١٠.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل: ٢٥٨/٣.

(٣) أوضح المسالك، لابن هشام: ١٢/٤.

(٤) توضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ١٠٦١/٢.

(٥) انظر: أوضح المسالك، لابن هشام: ٢٨/٤-٢٩، والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للشاطبي:

٣٣٥/٥.

الأول: إبقاء الألف على حالها، وفتح ياء المتكلم بعدها كأن لو لم يكن منادى، نحو: (يا فتّاي).

الثاني: قلب الألف ياءً، وإدغامها في ياء المتكلم، وفتح ياء المتكلم نحو: (يا فتّاي)، وهي لغة هذيل.

وإن كان المنادى معتل الآخر بالياء أدغمت هذه الياء في ياء المتكلم وفتحت، نحو: (يا قاضي).

وإن كان المنادى صحيحاً جاز فيه خمسة أوجه، وهي^(١):

أحدها: حذف الياء والاستغناء بالكسرة، نحو: (يا عبدي، أقبل)، وكقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِ فَأَتَوْنَ﴾^(٢)، ونحو: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾^(٣)، وهذا الوجه هو الأكثر.

الثاني: إثبات الياء ساكنة، نحو: (يا عبدي، أقبل)، وكما جاء في الحديث القدسي عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما رواه عن الله جلّ جلاله أنه قال: "يا عبدي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً؛ فلا تظالموا"^(٤)، وهذا الوجه دون الأول في الكثرة.

الثالث: قلب الياء ألفاً وحذفها والاستغناء عنها بالفتحة، نحو: (يا عبدي، أقبل).

الرابع: قلب الياء ألفاً وإبقاؤها لتحركها وانفتاح ما قبلها، وقلب كسرة ما قبل الياء فتحة، نحو: (يا عبداً، أقبل)، ونحو: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾^(٥).

الخامس: إثبات الياء محرّكة بالفتح، نحو: (يا عبدي، أقبل)، وكقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٦).

ثالثاً: أحرف النداء وأحكامها

وقع اختلاف يسير بين النحاة حول عدد أحرف النداء، فرأى سيبويه (١٨٠هـ)^(١) وابن السراج (٣١٦هـ)^(٢) أنها خمسة، وهي: (أ، يا، أيّا، هيا، أي)، وعدّها ابن مالك (٦٧٢هـ) في

(١) انظر: أوضح المسالك، لابن هشام: ٣٢-٢٨/٤، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل: ٢٧٤/٣-٢٧٥، والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للشاطبي: ٣٣٥/٥-٣٣٩.

(٢) سورة الزمر: ١٦.

(٣) سورة الأنبياء: ٨٩.

(٤) صحيح مسلم، لمسلم، باب تحرّيم الظلم: ١٩٩٤/٤، حديث رقم: (٢٥٧٧)، وقد تكرّر النداء "يا عبدي" في الحديث بإثبات الياء ساكنة عشر مرات.

(٥) سورة الزمر: ٥٦.

(٦) سورة الزمر: ٥٣.

ألفيته سِتَّة^(٣)، حيث زاد: الهمزة الممدودة (آ)، وَعَدَّهَا في تسهيل الفوائد سَبْعَةً^(٤)، مُضِيفًا: (آي)، وكذلك عَدَّهَا ابنُ طولون (٩٥٣هـ) سبعة^(٥)، لكنه زاد على ابن مالك: (وا)، وَلَمْ يَذْكُرِ الحرف: (آي)، أما المُرادِي (٧٤٩هـ)^(٦) وابن هشام (٧٦١هـ)^(٧) والسيوطي (٩١١هـ)^(٨) فقالوا: هي ثمانية؛ فَقَدْ زادوا على ابن مالك في ألفيته: (وا) و(آي)، وزادوا عليه في تسهيله: (وا) فقط.

وسيَعْتَمِد الباحثُ قولَ مَنْ عَدَّ أحرف النداء ثمانية، وهي: (أ، آ، يا، أيًا، هَيَا، آي، آي، وا)؛ لاستيفائها جميعًا، ولا تثريبَ على مَنْ رَأَاهَا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ عَدَدًا؛ لأنهم جعلوا بعض الأحرف أصلًا لبعضها الآخر، كالهمزة المقصورة (أ) والهمزة الممدودة (آ)؛ فأصلهما واحد وهو الهمزة المقصورة، لذا وقع هذا الخلاف في عدد أحرف النداء قَلَّةً وكثَرَةً، إلى أن أوصلوها إلى ثمانية أحرف.

أحكام أحرف النداء الثمانية:

١. الهمزة المقصورة (أ):

(١) قال سيبويه: "فأما الاسم غيرُ المندوب فينبئُه بخمسة أشياء: بِ(يَا)، و(أَيَا)، و(هَيَا)، و(آي)، و(الْأَلْف)". الكتاب، لسيبويه: ٢٢٩/٢.

(٢) قال ابن السراج: "الحروف التي ينادى بها خمسة: (يَا)، و(أَيَا)، و(هَيَا)، و(آي)، و(الْأَلْف)". الأصول في النحو، لابن السراج: ٣٢٩/١.

(٣) قال ابن مالك في ألفيته، في باب النداء:

وَلِلْمُنَادَى النَّاءُ أَوْ كَالنَّاءِ (يَا) وَ(آي) وَ(آ) كَذَا (أَيَا) ثُمَّ (هَيَا)
وَ(الْهَمْزُ) لِلدَّانِي وَ(وا) لِمَنْ نُدِبُ أَوْ يَا وَغَيْرُ وَادَى اللَّبْسِ اجْتُنِبُ

الألفية، لابن مالك: ٤٩، وانظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل: ٢٥٥/٣.

(٤) قال ابن مالك في باب النداء: "في القُرْبِ: (همزة)، وفي البُعْدِ حَقِيقَةً أَوْ حُكْمًا: (يَا)، أَوْ (أَيَا)، أَوْ (هَيَا)، أَوْ (آ)، أَوْ (آي)، أَوْ (آي)". تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك: ١٧٩.

(٥) قال ابن طولون في باب النداء: "وله سبعة أحرف ... يَا، آي، آ، أَيَا، هَيَا، وَ، الهمزة". شرح ابن طولون على ألفية ابن مالك، لابن طولون: ١٠٤-١٠٦ بتصرف.

(٦) قال المرادي في أحرف النداء: "وهي: (يَا)، و(آي)، و(أَيَا)، و(هَيَا)، و(الهمزة)، و(وا) في النَّدْبَةِ، وزاد الكوفيون: (آ)، و(آي) بالمد". توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، للمرادي: ١٠٥١/٢.

(٧) قال ابن هشام عن أحرف النداء: "هذه الأحرف ثمانية: (الهمزة)، و(آي) مقصورتين، وممدودتين، و(يَا)، و(أَيَا)، و(هَيَا)، و(وا)". أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام: ٤/٤. ويقصد بالهمزة المقصورة: (أ)، وبالهمزة الممدودة (آ)، ويقصد بِ(أي) المقصورة: (آي)، وبالممدودة: (آي)؛ وعليه يكون عَدَدُ أحرف النداء -عند ابن هشام- ثمانية.

(٨) قال السيوطي في حديثه عن أحرف النداء: "(الهمزة)، و(آي)، و(يَا)، و(أَيَا)، و(هَيَا)، و(آي)، و(آ) للبعيد حَقِيقَةً أَوْ حُكْمًا، والجمهور تَخْتَصُّ (وا) بالنَّدْبَةِ". همع الهوامع، للسيوطي: ٣٢/٢ بتصرف.

يُنَادَى بِالْهَمْزَةِ الْمَقْصُورَةِ (أ) الْقَرِيبُ^(١)، قَالَ عَنْهَا ابْنُ الْوَرَّاقِ: "لَا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا لِلْقَرِيبِ مِنْكَ، فَإِنْ كَانَ بَعِيدًا اسْتُعْمِلَتْ لَهُ (يَا) وَسَائِرُ الْحُرُوفِ، وَإِنَّمَا وَجِبَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْبَعِيدَ مِنْكَ يَخْتِاجُ إِلَى مَدِّ الصَّوْتِ، وَسَائِرُ الْحُرُوفِ سِوَى الْأَلْفِ يَقْصِدُ: الْهَمْزَةَ - فِيهَا حَرْفٌ مَدٌّ يُمْكِنُكَ مَدَّ الصَّوْتِ بِهِ، فَلِهَذَا وَجِبَ اسْتِعْمَالُهَا لِلْبَعِيدِ، وَأَمَّا الْقَرِيبُ مِنْكَ فَلَا يَخْتِاجُ إِلَى مَدِّ الصَّوْتِ؛ فَاخْتِيرَتْ لَهُ الْهَمْزَةُ؛ لِأَنَّهُ لَا مَدَّ فِيهَا"^(٢)، كَقَوْلِنَا: (أَزِيدُ، أَقِيلُ)، وَكَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ:

أَفَاطِمُ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدْلِيلِ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَزْمَعْتَ صَرْمِي فَأَجْمِلِي^(٣)

٢. الهمزة الممدودة (آ):

حرف نداء للبعيد، حكاؤه الأخفش والكوفيون عن العرب الذين يثقون بعربيتهم^(٤)، قال المرادي: "زعم ابن عصفور أنه -أي: حرف النداء (آ)- للقریب كالهمزة، وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنَّهُ لِلْبَعِيدِ وَهُوَ الصَّحِيحُ"^(٥)، وَقَالَ -عَنْ هَذَا الْحَرْفِ- ابْنُ هِشَامٍ: "وَهُوَ مَسْمُوعٌ، لَمْ يَذْكُرْهُ سِيبَوِيهٌ، وَذَكَرَهُ غَيْرُهُ"^(٦)، أَمَّا عَنْ أَمَثَلَتِهِ فَقَالَ الشَّاطِبِيُّ: "وَمِثَالُ (آ): قَوْلُكَ: (أَزِيدُ)، وَلَمْ أَجِدْ فِيهِ سَمَاعًا"^(٧)، وَلَعَلَّ قَوْلَ ابْنِ هِشَامٍ أَدَقُّ؛ فَمَقْصِدُ كَلَامِهِ "وَهُوَ مَسْمُوعٌ" أَنَّهُ سَمِعَ عَنِ الْعَرَبِ اسْتِعْمَالَهُمْ لِحَرْفِ الْندَاءِ (آ)، لَكِنَّ سِيبَوِيهَ لَمْ يَذْكُرْهُ، فِي حِينَ أَنَّ غَيْرَهُ قَدْ ذَكَرَهُ؛ فَهُوَ ثَابِتٌ فِي لِسَانِهِمْ -وَإِنْ لَمْ يَصْلُنَا- بِدَلَالَةِ أَنَّ الْأَخْفَشَ وَالْكَوْفِيِّينَ حَكَوْهُ عَنِ الْعَرَبِ الَّذِينَ يَثْقُونَ بِعَرَبِيَّتِهِمْ، فَالْتِقَاتُ -كَمَا أَقَرَّ الشَّاطِبِيُّ نَفْسَهُ- "رَوَوْهُ عَنِ الْعَرَبِ، وَرَوَايَةُ الْعَدْلِ مَقْبُولَةٌ"^(٨).

٣. (يَا):

حرفٌ لنداء البعيد حَقِيقَةً أَوْ حُكْمًا، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ لنداء القريب توكيدًا، وَقِيلَ: هِيَ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَقِيلَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْمُتَوَسِّطِ، وَهِيَ أَكْثَرُ أَحْرَفِ الْندَاءِ اسْتِعْمَالًا

(١) انظر: أوضح المسالك، لابن هشام: ٣/٤، ومغني اللبيب، لابن هشام: ١٧، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل: ٢٥٥/٣، وجمع الهوامع، للسيوطي: ٣٢/٢.

(٢) علل النحو، لابن الوراق: ٣٤٧.

(٣) البيت لامرئ القيس بن حجر الكندي في ديوانه: ١٢، والجنى الداني، للمرادي: ٣٥.

(٤) انظر: جمع الهوامع، للسيوطي: ٣٥/٢، والجنى الداني، للمرادي: ٢٣٢.

(٥) الجنى الداني، للمرادي: ٢٣٢.

(٦) مغني اللبيب، لابن هشام: ٢٩.

(٧) المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية "شرح ألفية ابن مالك"، للشاطبي: ٢٣٦/٥.

(٨) السابق: ٢٣٥/٥.

وَأَعْمَهَا؛ فَإِنِهَا تَدْخُلُ عَلَى كُلِّ نَدَاءٍ؛ لَذَا تُسَمَّى أُمَّ بَابِ النَّدَاءِ^(١)، وَمِنْ أَمْثَلَةِ (يَا) قَوْلُنَا: (يَا زَيْدُ، أَقْبِلْ).

فَالْغَالِبُ فِي (يَا) أَنَّهُ حَرْفٌ لِمَنَادَةِ الْبَعِيدِ؛ لَا سِيَّمَا أَنَّ الْبَعِيدَ يَحْتَاجُ مَدَّ صَوْتٍ، وَهَذَا مَتَوَفَّرٌ فِي (يَا)، لَكِنْ هَذَا لَا يَنْفِي اسْتِعْمَالَهُ -أَحْيَانًا- لِلْقَرِيبِ تَوْكِيدًا، قَالَ ابْنُ الْوَرَقِ: "إِنْ كَانَ -الْمَنَادَى- بَعِيدًا اسْتُعْمِلَتْ لَهُ (يَا) وَسَائِرُ الْحُرُوفِ، وَإِنَّمَا وَجِبَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْبَعِيدَ مِنْكَ يَحْتَاجُ إِلَى مَدِّ الصَّوْتِ، وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ (يَا) لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَإِنَّمَا جَارَ ذَلِكَ فِيهَا خَاصَّةً لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِمُ لِلْبَعِيدِ، بِخُصُولِ مَدِّ الصَّوْتِ فِيهَا"^(٢)، وَهَذَا مَا أَكَّدَهُ الْمُرَادِيُّ حَيْثُ قَالَ: "(يَا) لِنَدَاءِ الْبَعِيدِ... إِلَّا أَنَّهُ يَجُوزُ نَدَاءُ الْقَرِيبِ بِمَا لِلْبَعِيدِ، عَلَى سَبِيلِ التَّوْكِيدِ. وَقِيلَ: (يَا) مَشْرُوكَةٌ؛ يَنَادِي بِهَا الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا"^(٣).

كَمَا أَنَّهُ "لَا يُنَادَى اسْمُ اللَّهِ ﷻ، وَالِاسْمُ الْمُسْتَعَاثُ، وَأَيُّهَا، وَأَيَّتُهَا إِلَّا بِهَا -أَيُّ: بِ(يَا)- وَلَا الْمُنْدُوبُ إِلَّا بِهَا، أَوْ بِ(وَا)"^(٤).

وَإِذَا جَاءَ بَعْدَ (يَا) مَا لَيْسَ بِمَنَادٍ، كَالْفِعْلِ، نَحْوُ:

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارَ مَيِّ عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مِنْهُلًا بِجُرْعَائِكَ الْقَطَرُ^(٥)

أَوْ الْحَرْفِ، نَحْوُ: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٦)، أَوْ جُمْلَةً اسْمِيَّةً، نَحْوُ:

يَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْأَقْوَامِ كُلِّهِمْ وَالصَّالِحِينَ عَلَى سَمْعَانَ مِنْ جَارٍ^(٧)

فَقِيلَ: (يَا) لِلنَّدَاءِ وَالْمَنَادَى مَحْذُوفٌ^(٨)، وَقِيلَ: هِيَ لِمُجَرَّدِ التَّنْبِيهِ؛ لِئَلَّا يُلْزَمَ الْإِجْحَافُ بِحَذْفِ الْجُمْلَةِ كُلِّهَا^(٩).

(١) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٣٥٤، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٥/٤، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٤٨٨.

(٢) علل النحو، لابن الوراق: ٣٤٧.

(٣) الجنى الداني، للمرادي: ٣٥٤-٣٥٥.

(٤) انظر: مغني اللبيب، لابن هشام: ٤٨٨.

(٥) البيت لذي الرمة في ديوانه: ٥٥٩/١، والإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات الأنباري: ٨٣/١، وشرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٢٣٦/١.

(٦) سورة النساء: ٧٣.

(٧) البيت بلا نسبة في: الكتاب، لسيبويه: ٢١٩/٢، والأصول في النحو، لابن السراج: ٣٥٤/١، والمفصل في صناعة الإعراب، للزمخشري: ٧٢.

(٨) تقديره: (يا هذا)، أو (يا هؤلاء)، أو (يا قوم)، أو حسب ما يقتضيه السياق.

(٩) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٣٥٥-٣٥٦، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٤٨٨-٤٨٩.

وَقَدْ تَأْتِي (يَا) لِلنَّدْبَةِ^(١)، ومعلومٌ عند النحاة أَنَّ (وَا) هو الحرف المختص بالنَّدْبَةِ، لكنْ قَدْ تَجِيءُ (يَا) لِلنَّدْبِ بِشَرْطِ أَمْنِ اللَّبْسِ بِالنَّادَى، فَإِنْ خِيفَ اللَّبْسُ تَعَيَّنَتْ (وَا)^(٢)، وَمِنْ شَوَاهِدِ (يَا) لِلنَّدْبَةِ قَوْلُ جَرِيرٍ يَرْثِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ:

حُمِلَتْ أَمْرًا عَظِيمًا فَاصْطَبَرْتُ لَهُ وَقُمْتُ فِيهِ بِأَمْرِ اللَّهِ يَا عُمَرَا^(٣)

أَرَادَ الشَّاعِرُ أَنْ يَقُولَ: (يَا عُمَرَا) عَلَى النَّدْبَةِ، قَالَ الْمُبَرَّدُ: "قَوْلُهُ: (يَا عُمَرَا) نَدْبَةٌ، أَرَادَ: (يَا عُمَرَا)، وَإِنَّمَا الْأَلْفُ لِلنَّدْبَةِ وَحْدَهَا"^(٤)، وَيَمْتَنِعُ -فِي هَذَا الشَّاهِدِ- أَنْ تَكُونَ (يَا) لِلنَّدَاءِ؛ لِأَنَّهُ رِثَاءٌ، وَيَعْلَمُ الشَّاعِرُ أَنَّ عُمَرَ لَنْ يُجِيبَهُ لِمَوْتِهِ؛ لِذَا لَحَقَتْهُ أَلْفُ النَّدْبَةِ (عُمَرَا)؛ فَتَعَيَّنَ أَنَّ (يَا) لِلنَّدْبِ لَا النَّدَاءِ.

٤. (أَيَا):

حَرْفُ نَدَاءٍ لِلْبَعِيدِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ^(٥)، لَكِنْ جَوَزَ الْجَوْهَرِيُّ اسْتِعْمَالَهُ لِلْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ حَيْثُ قَالَ: "(أَيَا): مِنْ حُرُوفِ النَّدَاءِ، يُنَادَى بِهَا الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ"^(٦)، وَرَدَّ ذَلِكَ ابْنُ هِشَامٍ قَائِلًا: "وَفِي الصِّحَاحِ أَنَّهُ حَرْفُ لِنَدَاءِ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ"^(٧).

وَقَدْ وَرَدَ حَدِيثٌ شَرِيفٌ فِي اسْتِعْمَالِ (أَيَا) لِلْبَعِيدِ مَسَافَةً؛ فَعَنْ زَيْدِ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: قُلْتُ لِصَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ: هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْهَوَى -الْمَحَبَّةِ- شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسِيرٍ أَوْ غَزْوٍ؛ فَذَاكَ أَعْرَابِيٌّ بِصَوْتٍ لَهُ جَهْوَرِيٌّ؛ فَقَالَ: أَيَا مُحَمَّدُ، أَيَا مُحَمَّدُ، أَيَا مُحَمَّدُ؛ فَقِيلَ لَهُ: وَيْحَكَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ، فَقَدْ نَهَيْتَ عَنْ رَفْعِ الصَّوْتِ، فَمَا زَالَ يُنَادِيهِ هَكَذَا؛ فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ؛ فَقَالَ: "هَؤُومُ"، قَالَ: أَرَأَيْتَ الْمَرْءَ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ"^(٨)، وَاسْتَشْهَدَ النُّحَاةُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

(١) هي: نداء المُتَجَمِّعِ عليه، والمُتَوَجِّعِ منه، مثل: (وَا رَأْسَاهُ). انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٣٥١.

(٢) انظر: توضيح المقاصد، للمرادي: ١٠٥١/٢ و ١١٢٠/٣، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٦/٤، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك، للأشموني: ١٦/٣.

(٣) البيت لجرير في ديوانه: ٧٣٦/٢، وتوضيح المقاصد، للمرادي: ١١٢٠/٣، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٦/٤، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك، للأشموني: ١٦/٣.

(٤) الكامل في اللغة والأدب، للمبرد: ٢٠٢/٢.

(٥) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٤١٩، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٢٩.

(٦) الصحاح، للجوهري: ٢٢٧٧/٦ (فصل الألف: أيا).

(٧) مغني اللبيب، لابن هشام: ٢٩.

(٨) مسند أبي داود الطيالسي، لأبي داود الطيالسي، حديث صفوان بن عسال المزدي: ٤٨٦/٢، حديث رقم: (١٢٦٣). وانظر: الجامع الكبير "سنن الترمذي"، للترمذي، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذُكر من =

أَيَا ظَبْيَةَ الْوَعَسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلٍ وَبَيْنَ النَّقَا أَأَنْتِ أُمُّ أُمِّ سَالِمٍ؟^(١)

٥. (هَيَا):

حرف نداءٍ للبعيد، يُنَادَى بها البعيد مسافةً أَوْ حُكْمًا^(٢)، قال الشاعر:

هَيَا أُمُّ عَمْرٍو هَلْ لِي الْيَوْمَ عِنْدَكُمْ بَغْيَبَةً أَبْصَارِ الْوُشَاةِ سَبِيلُ؟^(٣)

واختلف النحويون في هاء (هَيَا)، فقليل: هي بَدَلٌ مِنْ همزة (أَيَا)، وهو قول ابن السكيت، وابن الخشاب، وابن هشام، وقيل: هي أَصْلٌ لَا بَدَلٌ^(٤)؛ والنَّقْصُ أَمِيلٌ إِلَى أَنَّ هَاءَ (هَيَا) بَدَلٌ مِنْ همزة (أَيَا) - وَهُوَ مَا يُعْرَفُ بِالْإِبْدَالِ اللَّغَوِيِّ^(٥) - لسببين:

الأول: أَنَّ الْحَرْفَيْنِ الْمُتَعَاقِبَيْنِ (الهاء) و(الهمزة) مُتَقَارِبَانِ فِي الْمَخْرَجِ^(٦)، وثبت عن العرب كثيرًا إبدالُ الهاء من الهمزة، قال الأزهري: "هَرَأَتْ السَّمَاءُ مَاءَهَا، وَهِيَ تُهْرِيقُ، وَالْمَاءُ مُهْرَاقٌ، الْهَاءُ فِي ذَلِكَ مُتَحَرِّكَةٌ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِأَصْلِيَّةٍ، إِنَّمَا هِيَ بَدَلٌ مِنْ هَمْزَةٍ أَرَأَقَ"^(٧)، وقال ابن منظور: "والهاء في (هَرَأَق) بَدَلٌ مِنْ هَمْزَةٍ (أَرَأَقَ الْمَاءُ) يَرِيقُهُ وَهَرَأَقَهُ يَهْرِيقُهُ، بَفَتْحِ الْهَاءِ"^(٨).

والثاني: أَنَّ مَعْنَى الْكَلِمَتَيْنِ "أَيَا، وَهَيَا" وَاحِدٌ أَوْ مُتَقَارِبٌ، فَكِلَاهُمَا -غَالِبًا- لِلْبَعِيدِ.

٦. أَيِ (المقصورة):

-
- رَحْمَةُ اللَّهِ بَعْبَادِهِ، وقال الترمذي: "هذا حديثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ". ٤٣٦/٥، حديث رقم: (٣٥٣٥)، وهو عند الترمذي بالحرف (يَا) وليس (أَيَا)، وآخره: "الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".
- (١) البيت لذي الرُّمَّة في ديوانه: ٧٦٧/٢، وشرح أبيات سيبويه، للسيرافي: ٢٣٣/٢.
- (٢) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٥٠٧، وجمع الهوامع، للسيوطي: ٣٥/٢.
- (٣) البيت بلا نسبة في: شرح القصائد السَّعْ الطوال الجاهليات، لابن الأنباري: ٤٣، والجنى الداني، للمرادي: ٥٠٧، وشرح التسهيل "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد"، لناظر الجيش: ٣٥٣٢/٧.
- (٤) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٥٠٧، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٢٩، وجمع الهوامع، للسيوطي: ٣٥/٢.
- (٥) هو: إقامة حَرْفٍ مَكَانَ حَرْفٍ آخَرَ، مع الاتفاق أو التقارب في المعنى بين الكلمتين، قال ابن فارس: "باب الإبدال: وَمِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ إِبْدَالُ الْحُرُوفِ، وإقامة بعضها مقام بعضٍ، ويقولون: (مَدَحَهُ، وَمَدَّهَهُ)، وهو كثير مشهور، قَدْ أُلْفَ فِيهِ الْعُلَمَاءُ". صاحبني في فقه اللغة، لابن فارس: ١٥٤، وانظر: الشافية في علم التصريف، لابن الحاجب: ١٠٩، ولسان العرب، لابن منظور: ٤٨/١١ (بَدَلٌ)، وشرح التسهيل "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد"، لناظر الجيش: ٥١٨٦/١٠، والتوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي: ٣٦، ودراسات في فقه اللغة، د. صبحي إبراهيم الصالح: ٢١٣-٢١٩.
- (٦) مخرجهما مِنْ أَقْصَى الْخَلْقِ.
- (٧) تهذيب اللغة، للأزهري: ٢٥٨/٥ (بَابِ الْهَاءِ وَالْقَافِ وَالرَّاءِ).
- (٨) لسان العرب، لابن منظور: ٣٦٧/١٠ (هَرَقَ).

(أَي) بِالْفَتْحِ وَالْقَصْرِ وَالسُّكُونِ، اختلف النحاة في معناها، فمنهم مَنْ عَدَّهَا لِلْبَعِيدِ، وهو مذهب جمهور البصريين، وهو المقبول -عندهم- الذي لا يُعَارَضُ بقياسٍ، ووافق ابنُ مالكٍ جمهورَ البصريين. ومنهم مَنْ جعلها للقريب كالهزمة، كَوْنِ الصَوْتِ بها قصيرًا، وإليه مالَ الجوهري، وهو رأي الجزولي. ومنهم مَنْ عَدَّهَا متوسطةً بينهما، وهو منقول عن ابن برهان، وإليه ذهب ابن أبي الربيع وبعض تلامذته^(١).

وَمِنْ شَوَاهِدِ النِّدَاءِ بِـ(أَي) مَا رَوَاهُ ابْنُ عُمرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- حَيْثُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، وَيَسْتَرْهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: إِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ؛ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢)، وكذلك قول الشاعر:

أَلَمْ تَسْمَعِي أَيْ عَبْدٌ فِي رَوْقِ الضُّحَى بُكَاءَ حَمَامَاتٍ لَهُنَّ هَدِيرٌ؟^(٣)

٧. أَي (الممدودة):

(أَي) بِالْمَدِّ وَالسُّكُونِ، حرفٌ نداءٍ للبعيد، حكاةُ الأخفش والكوفيين عن العرب الذين يثقون بعربيّتهم^(٤). وَعَدَّ المراديُّ أَنَّ أصله (أَي)، ثُمَّ مَدَّتِ الهزمة، فقليل: (أَي)، وهذا ما حكاه الكسائي الذي يرى أَنَّ بعضهم يُجَوِّزُ مَدَّ (أَي) إِذَا بَعَدَتْ المسافة فتصير (أَي)؛ فيكون المَدُّ فيها دليلًا على البُعْدِ^(٥).

٨. وَآ:

(١) المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للشاطبي: ٢٣٤/٥-٢٣٥، وانظر: همع الهوامع، للسيوطي:

٣٤/٢، وانظر: شرح التسهيل، لناظر الجيش: ٣٥٣٢/٧، ومغني اللبيب، لابن هشام: ١٠٦.

(٢) سورة هود: ١٨.

(٣) صحيح البخاري، للبخاري، بابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: "أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ": ١٢٨/٣، حديث رقم: (٢٤٤١).

(٤) البيت لِكَثِيرٍ عَزَّةً فِي ديوانه: ٤٧٤، وبلا نسبة في: مغني اللبيب، لابن هشام: ١٠٦، والمساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل: ٤٨٢/٢، وشرح التسهيل، لناظر الجيش: ٣٥٣٢/٧، والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للشاطبي: ٢٣٥/٥.

(٥) انظر: همع الهوامع، للسيوطي: ٣٥/٢، والجنى الداني، للمرادي: ٢٣٣.

(٦) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٢٣٣.

حرفُ نداءٍ مختصّ بالنَّدْبَةِ، فلا يُنادَى به إلاَّ المندوب، وهذا مذهب سيبويه والجمهور، نحو: (وَإِذَا هُوَ)، و(وَإِذَا هُوَ)، والنَّدْبَةُ هي: نداء المُتَجَجِّعِ عليه، والمُتَجَجِّعُ منه^(١). واختُلِفَ في (وَإِذَا) على ثلاثة آراء، وهي^(٢):

الأول: حَرَفُ نداءٍ مختصّ بباب النَّدْبَةِ كما هو مشهور عند الجمهور.
والثاني: أجاز بعض النحاة استعماله في غير النَّدْبَةِ قليلاً؛ أي: في النداء الحَقِيقِيّ، نَحْو: (وَإِذَا هُوَ، أَقْبِلْ)، وكقول عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه: "وَإِذَا عَجَبًا لَكَ يَا بَنَ الْعَاصِ، ..."^(٣).

والثالث: اسم فِعْلٍ للتعجب والاستحسان، بمعنى: (أَعْجَبُ)، كقول الشاعر:
وَإِذَا بِأَبِي أَنْتَ وَفُوكِ الْأَشْنَبُ
كَأَنَّمَا ذُرٌّ عَلَيْهِ الرَّرْنَبُ^(٤)

لطيفة:

"قَدْ يُنَزَّلُ البعيدُ منزلةَ القريب، وعندئذٍ يُنادَى بِـ (الهمزة) و(أَيُّ)، إشارةً إلى قُرْبِهِ مِنَ القلب وحضوره في الذهن، لا يغيب عن البال. وَقَدْ يُنَزَّلُ القريبُ منزلةَ البعيد؛ فَيُنَادَى بِغَيْرِ (الهمزة) و(أَيُّ)، إشارةً إلى غُلُوِّ مرتبته، أو انحطاط منزلته، أو غفلته وشروء ذهنه"^(٥).

رابعاً: حذف حرف النداء

يجوزُ حَذْفُ حَرَفِ النِّدَاءِ، وَلَا يُقَدَّرُ عند الحذف سوى الحَرْفِ (يَا)؛ لأنه أكثرُ أحرفِ النداء استِعْمَالاً^(٦)، ويجوز حذفه مِنْ خمس حالات، وهي^(٧):
أ. العَلَمُ، نَحْو: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾^(٨)، والتقدير: يَا يُوسُفُ.

^(١) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٣٥١، وتوضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ١٢١/١ و ١٠٥١/٢، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٤٨٢.

^(٢) انظر: توضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ١٢١/١، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٤٨٢.

^(٣) الموطأ، للإمام مالك بن أنس الأصبحي: ٥٦/١.

^(٤) يُنسَبُ هذا الرَّجَزُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُهُ فِي: جمهرة اللغة، لابن دريد: ٣٤٥/١، والصَّحَاحُ، للجوهري: ١٤٣/١، وتوضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ١٢١/١ و ١١٦٢/٣، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٨٠/٤، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك، للأشموني: ٩٤/٣.

^(٥) علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ١١٥-١١٦، وانظر الشواهد لأنواع التي ذكرها المؤلف مِنْ قُرْبٍ أو حضورٍ أو علُوِّ منزلة... في الصفحتين المذكورتين.

^(٦) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٣٥٥، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٧/٤، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٤٨٨.

^(٧) انظر: توضيح المقاصد، للمرادي: ١٠٥٨/٢، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك، للأشموني: ١٧/٣.

ب. المضاف، نَحْو: ﴿أَنْ أَدُوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾^(١)، والتقدير: يَا عِبَادَ اللَّهِ، وَنَحْو: ﴿مَرْبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾^(٢)، والتقدير: يَا رَبِّي.

ت. الشَّيْبَةُ بالمضاف، وَيُسَمَّى الْمُطَوَّلُ أَوْ الْمَمْطُولُ^(٣)، نحو: (رَاحِمًا عِبَادَهُ ارْحَمْنِي)، والتقدير: يَا رَاحِمًا عِبَادَهُ ارْحَمْنِي، ونحو: (خَيْرًا مِنْ زَيْدٍ، أَقْبَلْ). والتقدير: يَا خَيْرًا مِنْ زَيْدٍ، أَقْبَلْ.

ث. المَوْضُول، نحو: (مَنْ لَا يَزَالُ مُحْسِنًا أَحْسِنُ إِلَيْهِ)، والتقدير: يَا مَنْ.

ج. وَصْلَةُ النِّدَاءِ (أَيَّ)، نَحْو: ﴿سَتَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾^(٤)، والتقدير: يَا أَيُّهَا.

لكن يمتنع حذف حرف النداء في ثماني حالات، وهي^(٥):

أ. المندادى المندوب، نَحْو: (وَأَرْسَاهُ)، وَ(يَا عُمَرَا).

ب. المندادى المُسْتَعَاثُ، نَحْو: (يَا لِلَّهِ).

ت. المندادى البعيد؛ لأنَّ المراد في المندادى "المندوب"، والمستعاث، والبعيد "إطالة الصوت، والحذف ينافيه.

ث. النكرة المقصودة "اسم الجنس المُعَيَّن"، نَحْو: ﴿يَا جِبَالَ أَوْبِي مَعَهُ﴾^(٦)، وكقولك: (يَا رَجُلًا، انْتَبِهْ)، خلافاً للكوفيين.

ج. النكرة غير المقصودة "اسم الجنس غير المُعَيَّن"؛ كقول الأعمى: (يَا رَجُلًا، خُذْ بِيَدِي).

ح. اسم الله -تَعَالَى- إذا لَمْ يُعَوِّضْ فِي آخِرِهِ الميم المشددة، نحو: (يَا اللَّهُ، اغْفِرْ لِي).

(١) سورة يونس: ٢٩.

(٢) سورة الدخان: ١٨.

(٣) سورة المؤمنون: ١١٨.

(٤) يُسَمَّى المندادى الشَّيْبَةُ بالمضافِ الاسمَ الْمُطَوَّلَ، أَوْ الاسمَ الْمَمْطُولَ؛ أَي: طَالَ بِإِضَافَةٍ أَوْ صِلَةٍ أَوْ عَطْفٍ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لَطَوْلُهُ مِمَّا يَتَّصِلُ بِهِ، اسْتَعْمَلَهُ سِبْيَوِيَّةُ وَابْنُ جَنِيٍّ فِيمَا طَالَ مِنَ الْأَسْمَاءِ، (عَشْرِينَ رَجُلًا)، وَ(خَيْرًا مِنْكَ)، إِذَا سُمِّيَ بِهِمَا رَجُلٌ، فَيُقَالُ: (يَا عَشْرِينَ رَجُلًا، أَقْبَلْ)، وَ(يَا خَيْرًا مِنْ زَيْدٍ، أَقْبَلْ). انظر: المحكم، لابن سيده: ١٨٣/٩ (حرف الطاء: باب الطاء واللام والميم)، والخصائص، لابن جني: ٥٨/٣، وارتشاف الضرب، لأبي حيان: ٢١٨٦/٤، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل: ٨/٢، وشرح أبيات مغني اللبيب، للبغدادي: ١٥٩/٦.

(٥) سورة الرحمن: ٣١.

(٦) انظر: توضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ١٠٥٣/٢-١٠٥٤، وأوضح المسالك، لابن هشام: ١٢-٧/٤، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل: ٢٥٦/٣، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك، للأشموني: ١٧/٣، وشرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٢٠٧/٢، وهمع الهوامع، للسيوطي: ٤٦/٢. (٧) سورة سبأ: ١٠.

خ. اسم الإشارة، مثل: (يا هؤلاء، تقدّموا)، خلافاً للكوفيين.
د. ضمير المخاطب؛ لأنّ الحذف معه يفوت الدلالة على النداء. ومسألة مناداة ضمير
المخاطب -أصلاً- مسألة خلافية بين النحاة، فمنهم المجوّز، وأكثرهم على المنع
مطلقاً.

اجتماع حرف النداء و(ال) التعريف:

قال ابن مالك: "لا يجتمع (يا) و(الألف واللام) في غير الاضطرار إلّا مع (الله) خاصة؛
لأن الألف واللام لا يفارقانه بوجه ما، فكانتا فيه بمنزلة الحروف الأصلية، وإذا دخلت عليهما
(يا) قيل: (يا الله) بالوصل، و(يا الله) بالقطع. والأكثر أن يقال: (اللهم) فتجعل الميم المشددة
عوضاً من (يا). ولكونها عوضاً منها لم يجمع بينهما إلّا في اضطرار"^(١)، كما جاء في قول
الشاعر:

إِنِّي إِذَا مَا حَدَّثَ أَلَمًا

أَقُولُ يَا اللَّهُمَّ يَا اللَّهُمَّ^(٢)

حيث جمع بين العوض "الميم المشددة" والمعوّض عنه "يا"، ومعلوم أنّ العوض
والمعوّض عنه لا يجتمعان؛ لذا عدّ البصريون البيت السابق من باب الشذوذ^(٣).

استعمالات (اللهم):

تأتي (اللهم) على ثلاثة أوجه، وهي^(٤):

١. النداء، كقولنا: (اللهم ارحمنا).
٢. التوكيد والتمكين للجواب في نفس السامع، كأن يقال: (أزيد مسافر؟)، فنقول: (اللهم
نعم)، أو (اللهم لا).

^(١) شرح الكافية الشافية، لابن مالك: ١٣٠٦/٣-١٣٠٧.

^(٢) البيت لأبي خراش الهذلي في: شرح أشعار الهذليين، لأبي سعيد السكري: ١٣٤٦/٣ (الزيادات)، والحماسة
البصرية، لأبي الحسن البصري: ٤٣١/٢، وشرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٢٢٤/٢، وخزانة الأدب،
للبيهقي: ٢٩٥/٢. وبلا نسبة في: شرح المفصل، لابن يعيش: ٣٦٦/١، وتوضيح المقاصد والمسالك،
للمرادي: ١٠٦٨/٢، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٢٢/٤، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك،
للأشموني: ٣٠/٣.

^(٣) انظر: شرح الكافية الشافية، لابن مالك: ١٣٠٦/٣-١٣٠٧، وتوضيح المقاصد والمسالك، للمرادي:
١٠٦٨/٢-١٠٦٩، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٢٢/٤، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن
عقيل: ٢٦٥/٣.

^(٤) انظر: شرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٢٢٤/٢.

٣. التقليل والندرة من وقوع المذكور في الكلام، كقولك: (أنا لا أُرْوِكُ اللَّهَ إِلَّا أَنْ تَدْعُونِي)، و(خالد لا يزورني اللهم إن احتاج إلى مساعدتي).

خامساً: الأغراض البلاغية لتركيب النداء

قد يخرج النداء عن معناه الأصلي^(١) إلى معانٍ بلاغية أخرى، تفهم من السياق والقارئ، مثل^(٢):

١. الاستغاثة: وهي نداء لطلب العوث لمن يخلص من شدة أو يعين على رفع مشقة^(٣). وتفتح في الاستغاثة - لام المستغاث به، وتكسر لام المستغاث له^(٤)، نحو: يَا لِلَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ).

٢. التحسر والتوجع:

كقول الشاعر يتحسر على فوت شبابه:
يَا شَبَابِي وَأَيْنَ مِنِّي شَبَابِي
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ
وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبُرِّ وَالْبَحْرِ مُتْرَعًا^(٥)

٣. الإغراء:

كقولك لمن أقبل يتظلم: (يَا مَظْلُومُ)؛ فإنَّ النداء -هنا- ليس لطلب الإقبال؛ لكونه حاصلاً، وإنما الغرض إغراؤه على زيادة التظلم وبت الشكوى^(٦). وكذلك قول الشاعر:
يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي
فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخِصْمُ وَالْحَكْمُ^(٧)

٤. التعجب:

كقولنا: (يَا لَرَحْمَةِ اللَّهِ!)، وكقول الشاعر:
فَيَا عَجَبِي حَتَّى كَلَيْبٌ تَسْبِيحِي
كَأَنَّ أَبَاهَا نَهَشَلٌ أَوْ مُجَاشِعُ^(٨)

(١) طلب الإقبال من المخاطب "المُنادى" بحرف من أحرف النداء لفظاً أو تقديرًا.

(٢) انظر: جواهر البلاغة، للهاشمي: ٩٠-٩٢، وعلم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ١١٧-١١٨.

(٣) شرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٢/٢٤٣.

(٤) انظر: المقتضب، للمبرد: ٤/٢٥٤، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٤١/٤٢-٤٢، وجمع الهوامع، للسيوطي: ٦٩/٢.

(٥) البيت لابن الرومي في ديوانه: ٢٣٢/١، وأمالى المرتضى "غرر الفوائد ودرر القلائد"، للمرتضى: ٦٢٧.

(٦) البيت للحسين بن مطير الأسدي في ديوانه: ١٧٣، والبيان والتبيين، للجاحظ: ٣/١٦٠.

(٧) انظر: دُرر الفرائد المُستحسنة في شرح منظومة ابن الشحنة، لابن عبد الحق الغمري: ٢٩٠.

(٨) البيت للمتنبى في ديوانه: ٣٣٢، والوساطة بين المتنبى وخصومه، للقاضي الجرجاني: ١٠٦، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني: ٢/١٦٤.

٥. الرَّجْرُ:

كقولك: (يا نَفْسُ، كَفَاكَ عِضْيَانًا)، وَ (إِلَامَ يا قَلْبُ سَتَظَلُّ قَاسِيًا^(١)).

٦. الاختصاص والتتويه:

نحو: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَرْحَمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾^(٢)؛ أي: يَا أَهْلَ الْبَيْتِ، وهو نداء للاختصاص والتتويه بهم، كما جَوَزَ العلماء نصب (أَهْلَ) على الاختصاص^(٣).

٧. النَّدْبَةُ:

كقولنا: (وَإِسْلَامًا)، وَ (وَإِسَاءً)، وكقول الشاعر:

فَوَا كَبِدِي مِمَّا أُلَاقِي مِنَ الْهَوَى إِذَا حَنَّ إِلْفٌ أَوْ تَأَلَّقَ بَارِقٌ^(٤)

سادسًا: تراكيب النداء الواردة في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ

يُعَدُّ تركيب النداء ثاني التراكيب الإنشائية -الطلبية وغير الطلبية- استخدامًا في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ بعد تركيب الأمر.

وَحَمَلَ النداء في معظم هذه الخُطَبِ المعنى المجازي البلاغي. وَقَدْ بَلَغَ مجموعُ تراكيبِ النداء في كتابِ خُطْبِ الرسول ﷺ (خَمْسَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً) تراكيبًا، منها (ثَلَاثُ مِائَةٍ وَثَمَانِيَّةٌ وَأَرْبَعِينَ) تركيبًا بحرفِ النداء (يَا)^(٥)، وَ (ثَمَانِيَّةٌ) تراكيب بالحرفِ (أَيُّ)، جميعها بصيغة (أَيُّ)

(١) البيت للفرزدق في ديوانه: ٣٦١، والكتاب، لسيبويه: ١٨/٣، والأصول في النحو، لابن السراج: ٤٢٥/١.

(٢) سورة هود: ٧٣.

(٣) قال ابن عاشور: "وَالْمَقْصُودُ مِنَ النِّدَاءِ التَّنْوِيهِ بِهِمْ، وَيَجُوزُ كَوْنُهُ اخْتِصَاصًا لِيَزِيدَ بَيَانِ الْمُرَادِ مِنْ صَمِيرِ الْخِطَابِ". التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور: ١٢٢/١٢.

(٤) البيت بلا نسبة في: الصناعتين، لأبي هلال العسكري: ١٣٠. ولمْ أَعُثِرْ عليه في الكُتُبِ المتوفرة لي غير ما ذَكَرْتُ.

(٥) انظر مِنْهَا: خطبة رقم (٢٤) في خُطْبِ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدِ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٨، وخطبة (٨٥): ٤٦-٤٧، وخطبة (١١١): ٦٠، وخطبة (١٢٣): ٦٧، وخطبة (٢٣٣): ١١٩، وخطبة (٢٥٢): ١٢٨، وخطبة (٣٠٧): ١٥٥، وخطبة (٤٧٠): ٢٤٥، وخطبة (٤٧٤): ٢٤٦-٢٤٧ وفيها أربعة مواضع، وخطبة (٥٣١): ٢٨١-٢٨٣.

رَبِّ^(١)، و(تركيب واحد) بحرف النُّدْبَةِ (وا)^(٢)، و(مائة واثنان وخمسون) تركيباً بحذف حرف النداء^(٣).

يُبيِّنُ الجدولُ الآتي أحرفَ النداءِ الواردة في كتابِ خطبِ الرسول ﷺ:

م	حرف النداء	عدد الاستخدام
١	يَا	٣٤٨
٢	حذف حرف النداء (يَقْدَرُ الحَرْفُ: يَا)	١٥٢
٣	أَيَّ	٨
٤	وَا	١
٥	أَ	—
٦	آ	—
٧	أَيَّا	—
٨	هَيَّا	—
٩	آي	—
	المجموع	٥٠٩

سابعاً: عَرِّضْ لنماذجِ النداءِ الواردة في كتابِ خطبِ الرسول ﷺ

١. تركيب النداء بِ(يَا):

أ. قامَ النبي ﷺ في الصَّحَابَةِ يَوْمَ حَجَّهِ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ مُحَضَّرَمَةٍ فَقَالَ: "أَيُّ يَوْمٍ يَوْمُكُمْ هَذَا؟ قَالَ: قُلْنَا يَوْمُ النَّحْرِ، ...؛ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أَصْحَابِي؛ فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُمَا بَعْدَكَ"^(٤).

^(١) هي: خطبة رقم (١٤٩): ٧٩، وخطبة (٢٠٦): ١٠٤-١٠٥ وفيها موضعان، وخطبة (٤٤٣): ٢٢٥-٢٢٦

وفيها موضعان، وخطبة (٤٦٠): ٢٣٨-٢٣٩ وفيها موضعان، وخطبة (٤٧٩): ٢٤٨-٢٤٩.

^(٢) هي: خطبة رقم (٤٧٤): ٢٤٦-٢٤٧.

^(٣) منها: خطبة رقم (٦٨): ٣٩-٤٠ وفيها ثلاثة مواضع، وخطبة (٩١): ٤٩-٥٠، وخطبة (١٣٣): ٧١-٧٢،

وخطبة (٢٥٦): ١٢٩-١٣٠، وخطبة (٢٦٣): ١٣٣-١٣٤، وخطبة (٣٠١): ١٥٢-١٥٣، وخطبة

(٣٤٦): ١٧٦، وخطبة (٤٨٦): ٢٥٣-٢٥٤، وخطبة (٤٩٩): ٢٥٩-٢٦٠، وخطبة (٥٥٠): ٣٠٠ وفيها

موضعان.

^(٤) سبقَ تخريج الحديث، ص: ٢٦٤، حاشية (٣)، وهي خطبة رقم (١٢١).

ب. عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى النِّسَاءِ فِي جَانِبِ الْمَسْجِدِ، فَإِذَا أَنَا مَعَهُنَّ فَسَمِعَ أَصْوَاتَهُنَّ؛ فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، إِنَّكُنَّ أَكْثَرُ حَطَبِ جَهَنَّمَ؛ فَنَادَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ؟ ... (١)".

ت. عَنْ بِلَالِ بْنِ رَبَاحٍ ؓ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ غَدَاةً جَمَعَ (جَمَعَ مُرْدَلَفَةً): "يَا بِلَالُ، أَسْكَبَتِ النَّاسَ -أَوْ أَنْصَبَتِ النَّاسَ- ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ تَطَوَّلَ -تَقَصَّلَ- عَلَيْكُمْ فِي جَمْعِكُمْ هَذَا؛ فَوَهَبَ مُسِيئَكُمْ لِمُحْسِنِكُمْ، وَأَعْطَى مُحْسِنَكُمْ مَا سَأَلَ، ادْفَعُوا بِاسْمِ اللَّهِ" (٢).

٢. تركيب النداء بـ(أي):

أ. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٍّ إِلَّا لَهُ دَعْوَةٌ قَدْ تَنَجَّرَهَا فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي قَدْ اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمَّتِي، وَأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ ... فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهُ، وَقُلْ تُسْمَعُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ أَعُودُ فَأَسْجُدُ فَأَقُولُ: مَا قُلْتُ، فَيُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ تُسْمَعُ، وَسَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ كَذَا وَكَذَا، دُونَ الْأَوَّلِ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَسْجُدُ، فَأَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ تُسْمَعُ، وَسَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، فَأَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، أُمَّتِي، أُمَّتِي؟ فَقَالَ: أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ كَذَا وَكَذَا، دُونَ ذَلِكَ" (٣). والشاهد: (أَيُّ رَبِّ، أُمَّتِي) وقد تكرر ثلاث مرات.

ب. عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنِّي مُمَسِّكٌ بِحُجْرَتِكُمْ عَنِ النَّارِ وَتَغْلِبُونَنِي، تَقَاحُمُونَ فِيهَا تَقَاحِمَ الْفَرَاشِ أَوْ الْجَنَادِ، فَأَوْشِكُ أَنْ أُرْسَلَ بِحُجْرَتِكُمْ، وَأَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ؛ فَتَرْدُونَ عَلَيَّ مَعًا وَأَشْنَاتًا، فَأَعْرِفُكُمْ بِسِمَاكُمْ كَمَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ الْعَرَبِيَّةَ مِنَ الْإِبِلِ فِي إِبِلِهِ، وَيُذْهَبُ بِكُمْ ذَاتُ الشِّمَالِ، وَأُنَاشِدُ فِيكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ؛ فَأَقُولُ:

(١) حُطِبَ الرِّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١١٩، خطبة رقم (٢٣٣). وأصل الحديث في: مسند أحمد، لأحمد ابن حنبل، مسند عبد الله بن مسعود ؓ: ١٣٣/٧، حديث رقم (٤٠٣٧)، وصحيح مسلم، لمسلم، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات: ٨٦/١، حديث رقم (٧٩)، والمعجم الكبير، للطبراني، باب عبد الله بن عثمان بن خثيم عن شهر بن حوشب: ١٦٨/٢٤، حديث رقم (٤٢٦).

(٢) حُطِبَ الرِّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٦١، خطبة رقم (١١٤). وأصل الحديث في: سنن ابن ماجه، لابن ماجه، باب الْوُقُوفِ بِجَمْعٍ: ١٠٠٦/٢، حديث رقم (٣٠٢٤).

(٣) حُطِبَ الرِّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٣٨-٢٣٩، خطبة رقم (٤٦٠). وأصل الحديث في: المُسْنَدُ، لأحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب: ٤٢٧/٤-٤٢٩، حديث رقم (٢٦٩٢)، والسنن الكبرى، للنسائي، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾: ٧٦/١٠، حديث رقم (١١٠٦٦).

أَيُّ رَبِّ، قَوْمِي، أَيُّ رَبِّ، أُمَّتِي؛ فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَخَذْتُوا بِعَدِّكَ، إِنَّهُمْ كَانُوا يَمْشُونَ بِعَدِّكَ الْقَهْقَرَى عَلَى أَعْقَابِهِمْ...^(١).

٣. تركيب النداء بِ(وَا):

وَرَدَ فِيهِ تَرْكِيْبٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "يَا بَنِي هَاشِمٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، لَا أَعْرِفَنَّ مَا جَاءَ النَّاسُ غَدًا يَحْمِلُونَ الْآخِرَةَ، وَجِئْتُمْ تَحْمِلُونَ الدُّنْيَا، إِنَّمَا أَوْلِيَايَ مِنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُتَّقُونَ، إِنَّمَا مَثَلِي فِيكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ يُسْتَنْصَحُ فِي قَوْمِهِ، أَتَاهُمْ فَقَالَ: يَا قَوْمُ، أَتَيْتُمْ غُشِيْتُمْ وَاصْبَاحَاهُ، أَنَا النَّذِيرُ، وَالْمَوْتُ الْمُغِيرُ، وَالسَّاعَةُ الْمَوْعَدُ"^(٢).

٤. تركيب النداء محذوف الحرف:

أ. عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ خَطَبَنَا فَعَلَّمَنَا سُنَّتَنَا، وَبَيَّنَ لَنَا صَلَاتَنَا فَقَالَ: "...، فَإِذَا كَبَّرَ الْإِمَامُ وَرَكَعَ فَكَبِّرُوا، وَارْكَعُوا؛ فَإِنَّ الْإِمَامَ يَرْكَعُ قَبْلَكُمْ، وَيَرْفَعُ قَبْلَكُمْ، ...، فَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ؛ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا^(٣) لَكَ الْحَمْدُ، يَسْمَعُ اللَّهُ لَكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، وَإِذَا كَبَّرَ الْإِمَامُ وَسَجَدَ فَكَبِّرُوا، وَاسْجُدُوا؛ فَإِنَّ الْإِمَامَ يَسْجُدُ قَبْلَكُمْ وَيَرْفَعُ قَبْلَكُمْ"، قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: "فَتِلْكَ بِتِلْكَ". فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْقَعْدَةِ، فَلْيَكُنْ مِنْ أَوَّلِ قَوْلِ أَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ: "التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ، الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ"^(٤). وفي هذه الخطبة ثلاثة شواهد، وهي: (اللَّهُمَّ)، و(رَبَّنَا)، و(أَيُّهَا النَّبِيُّ).

ب. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، وَقَدْ انْصَرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْنَا فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي إِمَامُكُمْ فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ، وَلَا بِالسُّجُودِ، وَلَا بِالْقِيَامِ، وَلَا

(١) خُطْبُ الرِّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٠٤-١٠٥، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٠٦). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مَسْنَدِ الْبَزَّازِ

الْبَحْرُ الرَّخَّارُ، لِلْبَزَّازِ، مِنْ حَدِيثِ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عُمَرَ: ٣١٤/١، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٠٤).

(٢) خُطْبُ الرِّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٤٦-٢٤٧، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٧٤). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمَعْجَمِ

الْأَوْسَطِ، لِلطَّبْرَانِيِّ، بَابُ مَنْ اسْمُهُ أَحْمَدُ: ٣٤/١، حَدِيثٌ رَقْمُ (٨٦).

(٣) قَالَ الْعَيْنِيُّ: "رَبَّنَا: مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ مَنَادَى خُذِفَ حَرْفُ النِّدَاءِ مِنْهُ". نُحْبِ الْأَفْكَارَ فِي تَنْقِيحِ مَبَانِي الْأَخْبَارِ

فِي شَرْحِ مَعَانِي الْأَثَارِ، لِابْنِ الدِّينِ الْعَيْنِيِّ: ٢٨٥/٤.

(٤) خُطْبُ الرِّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٣٩-٤٠، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٦٨). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مَسْنَدِ أَحْمَدَ بْنِ

حَنْبَلٍ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: ٤٣٥-٤٣٧، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٩٦٦٥)، وَصَحِيحُ

مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ التَّشْهَدِ فِي الصَّلَاةِ: ٣٠٣/١، حَدِيثٌ رَقْمُ (٤٠٤)، وَالسُّنَنُ الْكُبْرَى، لِلنَّسَائِيِّ، نَوْعُ آخَرُ مِنْ

التَّشْهَدِ: ٣٧٩/١، حَدِيثٌ رَقْمُ (٧٦٢).

بِالْإِنْصِرَافِ؛ فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي، وَمِنْ خَلْفِي"، ثُمَّ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ لَصَحَحْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا"، قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ"^(١). والشاهد: (أَيُّهَا النَّاسُ).

ت. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ فَقَالَ: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ"^(٢) مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، بِكُمْ لَاحِقُونَ. وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا"، قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ،"^(٣). والشاهد: (دَارَ قَوْمٍ).

ثامناً: نماذج تحليلية لتركيب النداء في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ

١. نموذج تحليلي لتركيب النداء بالحرف (يا):

قال النبي ﷺ: "يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، إِنَّكُنَّ أَكْثَرُ حَطَبٍ جَهَنَّمَ"؛ ..."^(٤).

^(١) خُطَبُ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٤٣، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٧٨). وأصل الحديث في: المسند، لأحمد بن حنبل، مسند أنس بن مالك: ٥٦/١٩، حديث رقم (١١٩٩٧)، وصحيح مسلم، لمسلم، باب النهي عن سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما: ٣٢٠/١، حديث رقم (٤٢٦).

^(٢) قال صاحب المطالع: "دَارَ قَوْمٍ: بالنصب على الاختصاص، أو على النداء المضاف، والأول أفصح، وَيَصِحُّ الْخَفْضُ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الْكَافِ وَالْمِيمِ فِي: عَلَيْكُمْ". مطالع الأنوار على صحاح الآثار، لابن قُزُوق: ٥٤/٣، وانظر: المنهاج شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمَ بْنِ الْحَجَّاجِ، للنووي: ١٣٧/٣.

^(٣) خُطَبُ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٣٨، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٦٥). وأصل الحديث في: مسند أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل، مسند أبي هريرة رضي الله عنه: ٣٧٣/١٣، حديث رقم (٧٩٩٣)، وصحيح البخاري، للبخاري، باب في الحوض: ١٢٠/٨، حديث رقم (٦٥٨٤)، وصحيح مسلم، لمسلم، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء: ٢١٨/١، حديث رقم (٢٤٩).

^(٤) سبق تخريج الحديث، ص: ٣٤٤، حاشية (١)، وهي خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٣٣).



تَمَّ تحويل المركب السابق من البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف:

- أ. حُذِفَ المركب الفعلي الدال على النداء (أُنَادِي) بجميع مكوناته حذفًا إجباريًا، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّهُ قَدْ حُذِفَ المركب الاسمي وهو الضمير (أَنَا) الواقع فاعلاً للفعل (أُنَادِي).
- ب. حُذِفَ مركب الحرف (يَا)؛ وبذلك تحوّل التركيب إلى تركيب نداء (يَا مَعْشَرَ النِّسَاء).

٢. الإحلال والتعويض:

- أ. حَلَّ مُرْكَب الحرف (يَا) محلَّ المركب الفعلي (أُنَادِي) بجميع مكوناته، حيثُ تَمَّ تحويل المركب الفعلي (أُنَادِي) بكلِّ عناصره إلى مركب حرف النداء (يَا)؛ وَمِنْ ثَمَّ حَلَّ الإنشاء الطلبي محلَّ الإنشاء غير الطلبي.
- ب. حَلَّتْ سِمَةُ المَنَادَى محلَّ سِمَةِ المَفْعُولِيَّةِ، وذلك بعدما تحوّل المركب الفعلي (أُنَادِي) إلى مركب حرفي (يَا).

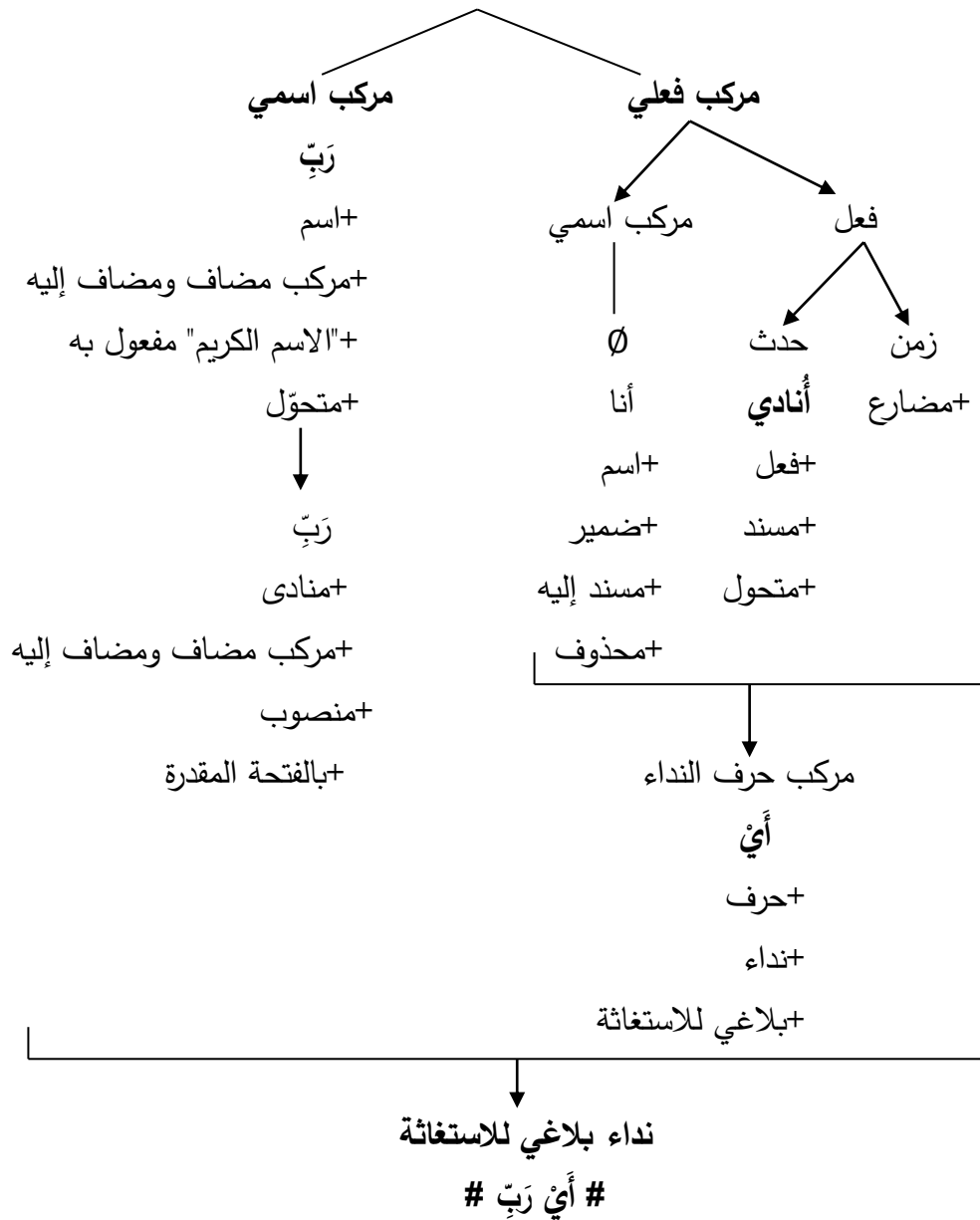
ت. حَلَّ معنى التحذير محلَّ معنى النداء الحقيقي.

٣. الزيادة: تَمَّ زيادة مركب الحرف الدال على النداء (يَا)؛ ليفيد مدلول النداء.

٢. نموذج تحليلي لتركيب النداء بالحرف (أَيَّ):

قال رسول الله ﷺ: "...؛ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أَيَّ رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، ..." ^(١).

أَيَّ رَبِّ



^(١) سبق تخريج الحديث، ص: ٣٤٤، حاشية (٣)، وهي خطبة رقم (٤٦٠).

تَمَّ تحويل المركب السابق من البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف:

- أ. حُذِفَ المركب الفعلي الدال على النداء (أُنَادِي) بجميع عناصره حذفًا إجباريًا، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّهُ قَدْ حُذِفَ المركب الاسمي وهو الضمير (أَنَا) الواقع فاعلاً للفعل (أُنَادِي).
- ب. حُذِفَ مركب الحرف (أَيُّ)؛ وبذلك تحوّل التركيب إلى تركيب نداء (أَيُّ رَبِّ).

٢. الإحلال والتعويض:

- أ. حَلَّ مُرْكَب الحرف (أَيُّ) محلَّ المركب الفعلي (أُنَادِي) بكلِّ مكوناته، حيثُ تَمَّ تحويل المركب الفعلي (أُنَادِي) بكلِّ عناصره إلى مركب حرف النداء (أَيُّ)؛ وَمِنْ ثَمَّ حَلَّ الإنشاء الطلبي محلَّ الإنشاء غير الطلبي.
- ب. حَلَّتْ سِمَةُ المَنَادَى محلَّ سِمَةِ المفعولية، وذلك بعدما تحوّل المركب الفعلي (أُنَادِي) إلى مركب حرفي (أَيُّ).

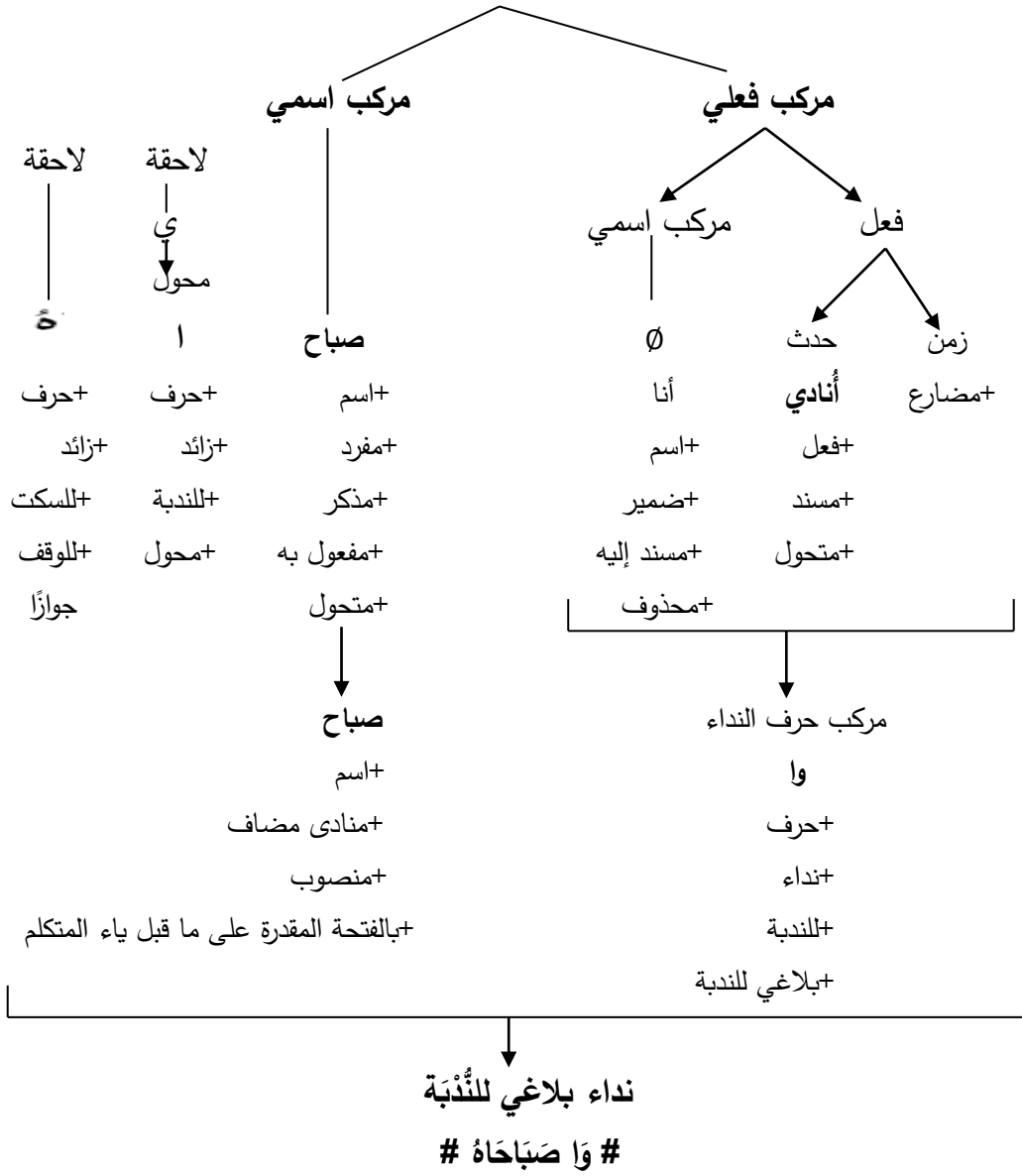
ت. حَلَّ معنى الاستغاثة محلَّ معنى النداء الحقيقي.

٣. الزيادة: زِيدَ مركب الحرف الدال على النداء (أَيُّ)؛ لإفادة مدلول النداء.

٣. نموذج تحليلي لتركيب النداء بالحرف (وا):

قال النبي ﷺ: "يَا قَوْمُ، أَتَيْتُمْ غُشَيْتُمْ، وَ صَبَاحَاهُ^(١)، أَنَا النَّذِيرُ"^(٢).

وَ صَبَاحَاهُ



(١) صَبَاحَاهُ: مُنادى مضاف منصوب بالفتحة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفاً. والألف: للندبة.

والهاء: للسكت.

(٢) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٣٤٥، حاشية (٢)، وهي خطبة رقم (٤٧٤).

تَمَّ تحويل المركب السابق من البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف:

- أ. حُذِفَ المركب الفعلي الدال على النداء (أُنَادِي) بجميع مكوناته حذفًا إجباريًا.
- ب. حُذِفَ المركب الاسمي الواقع فاعلاً للفعل (أُنَادِي) وهو الضمير (أَنَا).
- ت. حُذِفَ مركب الحرف (وَ)؛ وبذلك تحوّل التركيب إلى تركيب نداء (وَ صَبَاحًا).

٢. الإحلال والتعويض:

- أ. حَلَّ مُركب الحرف (وَ) محلَّ المركب الفعلي (أُنَادِي) بجميع مكوناته، حيثُ تَمَّ تحويل المركب الفعلي (أُنَادِي) بكلِّ عناصره إلى مركب حرف النداء (وَ)؛ وَمِنْ تَمَّ حَلَّ الإنشاء الطلبي محلَّ الإنشاء غير الطلبي.
- ب. حَلَّتْ سِمَةُ المَنَادَى محلَّ سِمَةِ المَفْعُولِيَّةِ، وذلك بعدما تحوّل المركب الفعلي (أُنَادِي) إلى مركب حرفي (وَ).

- ت. حَلَّ معنى الندبة محلَّ معنى النداء الحقيقي؛ إذ إنّ الحرف (وَ) يختص بالندبة.

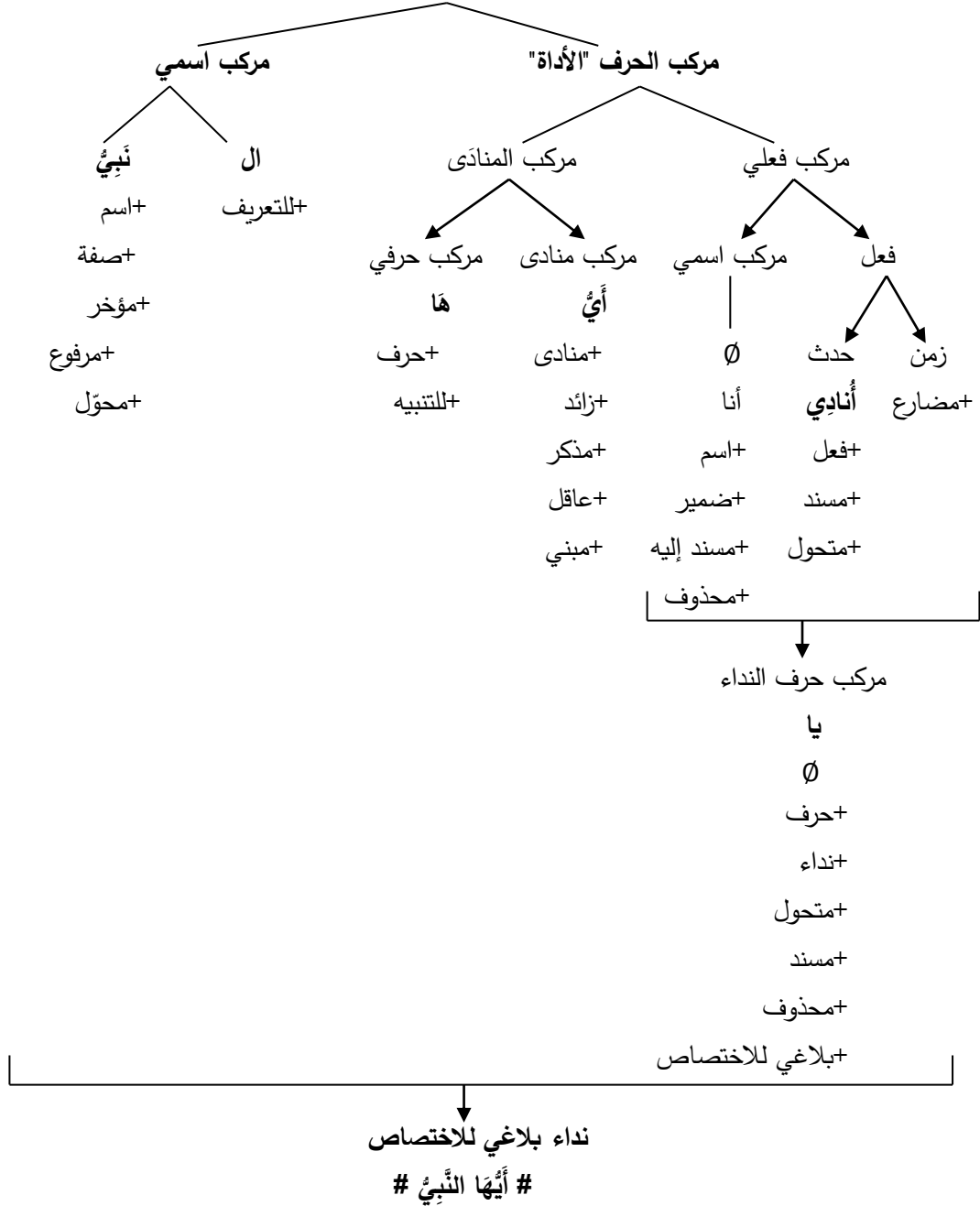
٣. الزيادة:

- أ. زِيدَتِ (الألف) في المركب الاسمي.
- ب. زِيدَتِ (الهاء) بعد (الألف) للسكت.
- ت. تَمَّ زيادة مركب الحرف الدال على الندبة (وَ)؛ لإفادة مدلول الندبة من النداء.

٤. نموذج تحليلي لتركيب النداء محذوف الحرف:

جاء في حديث النبي ﷺ الذي بيّن للصحابه فيه كيفية الصلاة: "... التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ، الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا..."^(١).

أَيُّهَا النَّبِيُّ



^(١) سبق تخريج الحديث، ص: ٣٠٢، حاشية (٥)، وهي خطبة رقم (٦٨).

تَمَّ تحويل المركب السابق من البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف:

- أ. حُذِفَ المركب الفعلي الدالّ على النداء (أُنَادِي) بجميع مكوناته حذفًا إجباريًا.
- ب. حُذِفَ المركب الاسمي الواقع فاعلاً للفعل (أُنَادِي) وهو الضمير (أنا).
- ت. حُذِفَ المركب الحرفي الدال على النداء (يا).

٢. الإحلال والتعويض:

- أ. حل مركب المنادى (أَيُّهَا) محل المركب الاسمي (النَّبِيُّ) المعروف بـ(ال)، وهو المنادى الحقيقي.
- ب. حُلَّتْ سِمَةُ المنادى محلَّ سِمَةِ المفعولية، وذلك بعدما تحوّل المركب الفعلي (أُنَادِي) إلى مركب حرفي محذوف وهو (يا).
- ت. حَلَّ معنى الاختصاص محلَّ معنى النداء الحقيقي.
- ث. حَلَّ الإنشاء الطلبي محلَّ الإنشاء غير الطلبي.
- ج. حُلَّتْ علامة البناء (الضمة) محل علامة الإعراب (الفتحة) في (النَّبِيُّ)؛ لأنَّ المنادى في التركيب العميق مفعولٌ به.

٣. الزيادة:

تَمَّ زيادة المركب الدال على النداء وهو الحرف والمنادى: (أَيُّهَا) بجميع مكوناته.

٤. التقديم:

تَقَدَّمَ مركب النداء (أَيُّهَا) بمكوناته على المركب الاسمي المُحَلَّى بـ(ال): (النَّبِيُّ) وهو المنادى الحقيقي.

المبحث الخامس

تركيب التَّمَنِّي

أولاً: تعريف التَّمَنِّي

التَّمَنِّي (لُغَةً): الرغبة والبُغْيَة والطلب لشيء (ما)، يُقال: تَمَنَّى الشيء: إذا وَدَّه لِنَفْسِهِ^(١)، قال ابن الأثير: "التمني: تَشَهَّى حصول الأمر المرغوب فيه"^(٢). ويقع التمني على الماضي والمستقبل^(٣). وَقَدْ يَرِدُ التمني بمعنى حديث النَّفْسِ، قال ثعلب: "التَّمَنِّي: حديث النَّفْسِ بِمَا يَكُون، وبما لا يكون"^(٤).

التَّمَنِّي (اصطلاحاً): هو طلب أمرٍ محبوبٍ لا يُرْجَى حصوله، إما لكونه مُستحيلًا، وإما لكونه مُمكنًا غير مَطْمُوعٍ في نيله؛ أي: صَغَبَ الْمَنَالِ بَعِيدَ التَّحَقُّقِ^(٥)؛ لِذَا قال العلوي في التمني: "وليس مِنْ شَرْطِ الْمُتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مُمَكِّنًا، بَلْ يَقَعُ فِي الْمُمَكِّنِ، وَغَيْرِ الْمُمَكِّنِ"^(٦). فالتمني -حسب التعريف الاصطلاحي- نوعان:

الأول: الأمر المحبوب الذي لا يُرْجَى حصوله؛ لأنه مستحيل، كقوله تعالى على لسان مريم: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾^(٧)، وكقول الشاعر:

فَيَا لَيْتَ الشَّبَابِ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ^(٨)

(١) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: ٣٨٣/١٥، وشمس العلوم، لنشوان الحميري: ٦/٦٣٩٣-٦٣٩٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: ٣٦٧/٤.

(٣) قال العسكري: "ألا ترى أنه يصح أن يَتَمَنَّى أن كان له وَلَدٌ، ويصح أن يَتَمَنَّى أن يكون له وَلَدٌ". معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري: ١٤٣.

(٤) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: ٣٨٣/١٥.

(٥) الطراز لأسرار البلاغة، للعلوي: ١٦٠/٣، وعلوم البلاغة، للمرآغي: ٦٢، وعلم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ١١٢. وانظر: الجنى الداني، للمرادي: ٤٨٥-٤٨٦، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٢٣/٢-٢٤، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٩٧.

(٦) الطراز لأسرار البلاغة، للعلوي: ١٦٠/٣.

(٧) سورة مريم: ٢٣.

(٨) البيت لأبي العتاهية في ديوانه: ٤٦، والبيان والتبيين، للجاحظ: ٥٦/٣، والمقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، للعيني: ٤١/٢، وقال العيني: "ومع هذا فالاستشهاد فيه من جهة المعنى من باب التمثيل لا من باب الاحتجاج؛ لأنَّ أبا العتاهية وأمثاله ممن هو في طبقته لا يُحْتَجُّ بِهِمْ؛ فَافْهَمْ" المقاصد النحوية: ٤٢/٢.

فَتَمَنَّى مريم الموت قبل ولادتها لعيسى -عليه السلام- أمرٌ محبوب لكنه مستحيل التحقق، وكذا تمنى الشاعر عودة الشباب بعد كبر السن.

الثاني: الأمر المحبوب الممكن الذي لا يُزجى حصوله؛ لأنه صعب المنال بعيد التحقق، نحو: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَيْتَ كُنَّا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾^(١)، فَطَلَبَ قوم قارون الغنى كقارون أمرٌ محبوب لكنه بعيد التحقق صعب المنال.

ثانيًا: أحرف التمني

لتركيب التمني خمسة أحرف، واحد أصل في دلالاته على التمني وهو: (لَيْتَ)، وأربعة غير أصلية، تنوب مناب (لَيْتَ)، فتفيد معنى التمني، وهي: (هَلْ)، و(لَعَلَّ)، و(لَوْ)، و(أَلَا)^(٢)، وتأتي هذه الأحرف الأربعة لِيَتَمَنَّى بها، وَيُفْهِم ذلك من السياق والقرائن.

١. لَيْتَ:

تتمتع (لَيْتَ) بمجموعة من الخصائص، وهي:

- أ. تُعَدُّ الكلمة الموضوعية -وَحْدَهَا- لِلتَمَنِّي، ويدلُّ أَصْلُ وَضْعِهَا اللُّغَوِي على ذلك^(٣).
- ب. (لَيْتَ): حَرْفُ تَمَنٍّ، يكون في المُمَكِّن والمستحيل، ولا يُشترط فيه الإمكان، نقول: (لَيْتَ زَيْدًا يَجِيءُ)، و(لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ)، ولا يكون في الواجب؛ فلا يُقال: (لَيْتَ غَدًا يَجِيءُ)^(٤).
- ت. جاء في لسان العرب ثلاث لغاتٍ لِـ (لَيْتَ) وهي: (لَيْتَ) وهذه أشهرها وأكثرها وُرُودًا، و(لَتَّ) بالإدغام، و(لَوَّت) بالواو، والأخيرة قليلة^(٥).
- ث. تدخل (لَيْتَ) على الجملة الاسمية؛ فتتصب المبتدأ ويسمى اسمها، وترفع الخبر ويسمى خبرها^(٦).

- ج. تَخْتَصُّ بالأسماء، وَقَدْ تَقْتَرَن بها (ما) الحرفية، وعندئذٍ فإنها "لا تزيلها عن الاختصاص بالأسماء، فلا يُقال: (لَيْتَمَا قَامَ زَيْدٌ)، ويجوز حينئذٍ إعمالها لبقاء

(١) سورة القصص: ٧٩.

(٢) انظر: مفتاح العلوم، للسكاكي: ٣٠٧، والإيضاح، للقزويني: ٥٢/٣-٥٣، والطرارز لأسرار البلاغة، للعلوي: ١٦٠/٣-١٦١، وعلم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ١١٣.

(٣) انظر: الطراز لأسرار البلاغة، للعلوي: ١٦٠/٣، وعلم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ١١٣.

(٤) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٤٩١-٤٩٢، والإيضاح، للقزويني: ٥٣/٣، والطرارز لأسرار البلاغة، للعلوي: ١٦٠/٣.

(٥) انظر: جمهرة اللغة، لابن دريد: ٤١٠/١ (باب التاء واللام)، والجنى الداني، للمرادي: ٤٩٢.

(٦) انظر: المفصل في صنعة الإعراب، للزمخشري: ٣٨٩، والجنى الداني، للمرادي: ٤٩٢، والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للشاطبي: ٣٥٩/٢.

الإختصاص، وإهمالها حملاً على أخواتها^(١): إِنَّ، وَأَنَّ، و...؛ لذلك رُوِيَ بيتُ
النابغة الذبياني بالوجهين: النصب بإعمال (لَيْتَ) وهو الأرجح عند النحاة، والرفع
بإهمالها^(٢):

قَالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا أَوْ نِصْفَهُ فَقَدْ^(٣)
فَيُرَوَّى البيتُ بنصب (الْحَمَامِ) على الإعمال، ويرفعها على الإهمال؛ فيجوز
الإعمال والإهمال، وإن كان الإعمال هو الأرجح عند النحويين^(٤)، وعند الإعمال
وَنَصَبِ (الْحَمَامِ) فيجب أَنْ تُنْصَبَ (نِصْفُ)؛ لأنها اسم معطوف على (الْحَمَامِ)،
وعند الرفع تُرْفَعُ.

ح. مَنَعَ الجمهورُ -وفي مقدمتهم الأخفش- الجَمْعَ بين (لَيْتَ) وَ(سَوْفَ)، ويقصدون:
امتناع وقوع (سَوْفَ) خَبَرًا لِ(لَيْتَ)، قال أبو حيان: "امتنعوا مِنَ الجَمْعِ بين (لَيْتَ)،
وَ(سَوْفَ)؛ فلا يقولون: (لَيْتَ زَيْدًا سَوْفَ يَقُومُ)"^(٥)، وقال السيوطي: "مَنَعَ الْأَخْفَشُ
وُقُوعَ (سَوْفَ) خَبَرًا لِ(لَيْتَ)؛ فلا يُقال: (لَيْتَ زَيْدًا سَوْفَ يَقُومُ)؛ لَأَنَّ (لَيْتَ) لِمَا لَمْ
يَتَّبَثْ، وَ(سَوْفَ) لِمَا يَتَّبَثُ"^(٦)؛ أَي: أَنَّ (سَوْفَ) تَقْتَرِنُ بِمَا يُمَكِّنُ إدراكه دُونَ
استحالة، وهذا خلاف ما تُفِيدُهُ (لَيْتَ).

خ. التَّرَمَّتِ الْعَرَبُ حَذَفَ خَبَرَ (لَيْتَ) في قولهم: (لَيْتَ شِعْرِي)؛ لأنها بمعنى: لَيَنْتَبِي
أَشْعُرُ، أَوْ لَيَنْتَبِي أَعْلَمُ، وَلَا بُدَّ مَعَ هَذَا التَّرَكُّيبِ مِنْ اسْتِفْهَامٍ يَسَدُّ مَسَدَ المَحْذُوفِ،
مُنْصِلًا بِ (شِعْرِي)، أَوْ مُنْفَصِلًا بِاعْتِرَاضٍ^(٧)؛ فالتَّصِلُ: نَحْوُ: (لَيْتَ شِعْرِي أَنَا جَحَّ
زَيْدٌ أَوْ رَاسِبٌ؟)، والمنفصل بالاعتراض كأن تقول: (لَيْتَ شِعْرِي - فِلْذَةُ كَبِدِي - هَلْ
صَلَّيْتُ فِي جَمَاعَةٍ؟).

(١) مغني اللبيب، لابن هشام: ٣٧٦.

(٢) انظر: الكتاب، لسيبويه: ١٣٧/٢، والمرتل، لابن الخشاب: ٢٣١/١، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٤٠٦.

(٣) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه: ٢٤، والكتاب، لسيبويه: ١٣٧/٢.

(٤) انظر: الكتاب، لسيبويه: ١٣٧/٢، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك، للأشموني: ٣١١/١، وهمع

الهوامع، للسيوطي: ٥١٩/١.

وعند إعمال (ما) في البيت يكون الإعراب: (ما): زائدة، و(هذا): اسم لَيْتَ، و(الْحَمَامُ): بَدَلُ منصوب من
اسم الإشارة، و(لَنَا): متعلِّقٌ بمحذوف خبر "لَيْتَ". وعند إهمال (ما) يكون الإعراب: (ما): كَافَّةٌ، و(هذا):
مبتدأ، و(الْحَمَامُ): بدل مرفوع من اسم الإشارة، و(لَنَا): متعلِّقٌ بمحذوف خبر المبتدأ.

(٥) ارتشاف الضرب، لأبي حيان الأندلسي: ١٢٤١/٣.

(٦) همع الهوامع، للسيوطي: ٤٩٢/١.

(٧) شرح تشهيل الفوائد، لابن مالك: ١٦/٢.

فَ(شُعْرِي) مصدر اسم لَيْت، وَالْخَبَرُ محذوف وجوباً، وَالتَّقْدِيرُ: لَيْتَ شُعْرِي بِكَذَا حَاصِلٌ أَوْ ثَابِتٌ أَوْ مُوجُودٌ أَوْ وَاقِعٌ، وَجُمْلَةُ الاسْتِفْهَامِ فِي مَوْضِعِ نَصْبِ بِالمَصْدَرِ "شُعْرِي"، وَعِلَّةُ الحَذْفِ كَوْنُهُ فِي مَعْنَى: (لَيْتَنِي أَشْعُرُ)، وَسَدَّ الجُمْلَةَ بَعْدَهُ عَنِ المَحْذُوفِ^(١).

د. قَدْ تُسَبِّقُ (لَيْتَ) بِحَرْفِ النِّدَاءِ (يَا)، نَحْوُ: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً﴾^(٢)، فَمِنْ العُلَمَاءِ -كَمَا مَرَّ فِي تَرْكِيبِ النِّدَاءِ بِ (يَا) - مَنْ عَدَّ (يَا) لِلنِّدَاءِ وَالمُنَادَى مَحْذُوفِ^(٣)، وَمِنْهُمْ مَنْ عَدَّ (يَا): لِمُجَرَّدِ التَّنْبِيهِ؛ لِئَلَّا يُلْزَمَ الإِجْحَافُ بِحَذْفِ الجُمْلَةِ كُلِّهَا^(٤)، وَهُوَ رَأْيُ الجُمْهُورِ، مِنْهُمْ: سَيَبُويهِ^(٥) وَابْنُ مَالِكٍ^(٦) وَالمِرَادِي^(٧) وَابْنُ هِشَامٍ^(٨)، وَالرَّأْيُ الثَّانِي هُوَ مَا سَيَعْتَمِدُهُ البَاحِثُ وَيَتَّبِعُهُ -إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى- فِي تَحْلِيلِ التَّرَاكِيِبِ المِثْلَةِ لِهَذَا التَّركِيبِ.

٢. هَلْ:

أَصْلُ وَضْعِ الحَرْفِ (هَلْ) لِّلِاسْتِفْهَامِ -كَمَا فَصَّلَ القَوْلُ فِي تَرْكِيبِ الاسْتِفْهَامِ- لَكِنْ قَدْ يَقَعُ التَّمْنِي بِ (هَلْ)، فَيَتَمَنَّى بِهِ؛ لِإِبْرَازِ التَّمَتُّئِ المُسْتَحِيلِ، وَبَيَانِ كَمَالِ العَنَاقِيَةِ بِهِ، وَإِظْهَارِهِ فِي صُورَةِ المُمَكِّنِ؛ لِشِدَّةِ الشَّوْقِ إِلَيْهِ^(٩)، وَمِنْهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى- حِكَايَةَ عَنِ الكُفَّارِ: ﴿فَكَلَّ كَأَنَّ مِنْ شَعَاءٍ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾^(١٠)، بِنَصْبِ المَضَارِعِ الوَاقِعِ فِي الجَوَابِ.

٣. لَعَلَّ:

أَصْلُ وَضْعِ الحَرْفِ (لَعَلَّ) لِلرَّجَاءِ، وَهُوَ المَعْنَى الأشْهَرُ، لَكِنْ قَدْ يَخْرُجُ إِلَى مَعْنَى التَّمْنِي، فَتُعْطَى (لَعَلَّ) حُكْمَ (لَيْتَ)، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: "(لَعَلَّ): لِنَوْقِعِ مَرْجُوٍّ أَوْ مَخُوفٍ،

(١) انظر: المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل: ٣١٢/١، وجمع الهوامع، للسيوطي: ٤٩٥/١.

(٢) سورة النساء: ٧٣.

(٣) التقدير: (يا هذا)، أو (يا هؤلاء)، أو (يا قوم)، أو حسب ما يقتضيه السياق.

(٤) انظر: الجنى الداني، للمراي: ٣٥٥-٣٥٦، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٤٨٨-٤٨٩.

(٥) انظر: الكتاب، لسيبويه: ٢٢٤/٤. أَكَّدَ ذَلِكَ ابْنُ مَالِكٍ حِينَ قَالَ: "وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ كَلَامِ سَيَبُويهِ فِي بَابِ عِدَّةٍ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ الكَلِمُ"، شرح تسهيل الفوائد، لابن مالك: ٢٥/٣.

(٦) انظر: شرح تسهيل الفوائد، لابن مالك: ٢٥/٣.

(٧) انظر: الجنى الداني، للمراي: ٣٥٧.

(٨) انظر: مغني اللبيب، لابن هشام: ٤٨٩.

(٩) انظر: الإيضاح، للقزويني: ٥٣/٣، والطرارز لأسرار البلاغة، للعلوي: ١٦٠/٣، وعلم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ١١٣.

(١٠) سورة الأعراف: ٥٣.

وَقَدْ لُمِحَ فِيهَا مَعْنَى التَّمْنَى^(١)؛ وَذَلِكَ لِتَبَعْدِ الْمَرْجُوِّ عَنِ الْحَصُولِ وَيَكُونُ الْغَرَضُ الْبَلَاغِي الْمُنْشُودُ مِنْ وَرَاءِ التَّمْنَى بِـ (لَعَلَّ) هُوَ إِبْرَازُ الْمُتَمَنَّى الْمُسْتَحِيلِ، وَإِظْهَارُهُ فِي صُورَةِ الْمُتَمَنِّ الْقَرِيبِ الْحَصُولِ؛ لِكَمَالِ الْعَنَاءِ بِهِ وَالشُّوقِ إِلَيْهِ^(٢)، وَهُوَ الْغَرَضُ ذَاتُهُ الَّذِي يَحْمِلُهُ حَرْفُ الْاسْتِفْهَامِ (هَلْ) إِذَا خَرَجَ إِلَى التَّمْنَى.

وَمِنْ أَمْثَلَةٍ (لَعَلَّ) فِي إِفَادَةِ التَّمْنَى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَآمَانَ ابْنِ لِي صَرِّحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاءِ فَأَطْلِعْ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾^(٣)، وَكَقَوْلِكَ: (لَعَلِّي أَحْجُ فَأُزَوِّدَكَ).

وَيَجُوزُ اقْتِرَانُ (لَعَلَّ) بِـ (سَوْفَ)، وَيَمْتَنِعُ -كَمَا مَرَّ- مَعَ (لَيْتَ)، حَيْثُ حَكَى الْأَخْفَشُ: (لَعَلَّ زَيْدًا سَوْفَ يَقُومُ)، وَلَمْ يَجْزُ: (لَيْتَ زَيْدًا سَوْفَ يَقُومُ)، ثُمَّ قَالَ: وَامْتَنَعُوا مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ (لَيْتَ) وَ(سَوْفَ) أَوْ (السَّيْنِ)، وَجَازَ ذَلِكَ مَعَ (لَعَلَّ)^(٤)، نَحْوُ: (لَعَلَّ الرَّجُلَ سَيَصْدُقُ).

٤. لَوْ:

يَدُلُّ الْحَرْفُ (لَوْ) فِي أَصْلِهِ وَضْعُهُ عَلَى امْتِنَاعِ الْجَوَابِ لَامْتِنَاعِ الشَّرْطِ، وَقَدْ يُتَمَنَّى بِـ (لَوْ)؛ فَيَخْرُجُ إِلَى مَعْنَى بَلَاغِي لِيَفِيدَ التَّمْنَى، وَهُوَ -هُنَا- لِلْإِشْعَارِ بِعِزَّةِ الْمُتَمَنَّى وَقُدْرَتِهِ؛ لِأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ يُظْهِرُهُ فِي صُورَةِ الْمَمْنُوعِ^(٥). قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: "قَدْ نَجِيءُ (لَوْ) بِمَعْنَى التَّمْنَى، كَقَوْلِكَ: (لَوْ تَأْتِينِي فَتُحَدِّثْنِي)، كَمَا تَقُولُ: (لَيْتَكَ تَأْتِينِي فَتُحَدِّثْنِي)"^(٦)، وَعَقَّبَ ابْنُ هِشَامٍ قَائِلًا: "إِنْ أَرَادَ -أَيُّ: الزَّمَخْشَرِيُّ- أَنَّ الْأَصْلَ: (وَدِدْتُ لَوْ تَأْتِينِي فَتُحَدِّثْنِي)؛ فَحَذَفَ فِعْلَ التَّمْنَى؛ لِدَلَالَةِ (لَوْ) عَلَيْهِ؛ فَأَشْبَهَتْ (لَيْتَ) فِي الْإِشْعَارِ بِمَعْنَى التَّمْنَى فَكَانَ لَهَا جَوَابٌ كَجَوَابِهَا فَصَحِيحٌ"^(٧).

وَمِنْ أَمْثَلَةٍ مَجِيءِ (لَوْ) لِلتَّمْنَى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٨)، وَكَقَوْلِ جَرِيرٍ:

(١) الْمُفَصَّلُ فِي صِنْعَةِ الْإِعْرَابِ، لِلزَّمَخْشَرِيِّ: ٤٠٠. وَانْظُرْ: مِفْتَاحُ الْعُلُومِ، لِلْسَّكَاكِيِّ: ١١٠.

(٢) انْظُرْ: الْجَنَى الدَّانِي، لِلْمُرَادِيِّ: ٥٧٩-٥٨٢، وَالْإِيضَاحُ، لِلْقَزْوِينِيِّ: ٥٤/٣، وَعِلْمُ الْمَعَانِي، د. عَبْدِ الْعَزِيزِ عَتِيقٌ: ١١٣.

(٣) سُورَةُ غَافِرٍ: ٣٦-٣٧.

(٤) ارْتِشَافُ الضَّرْبِ، لِأَبِي حَيَّانٍ الْأَنْدَلُسِيِّ: ١٢٤١/٣، وَشَرْحُ أَبْيَاتِ مَغْنِي اللَّيْبِيبِ، لِلْبَغْدَادِيِّ: ١٧٧/٥.

(٥) انْظُرْ: الْجَنَى الدَّانِي، لِلْمُرَادِيِّ: ٢٨٨-٢٩٠، وَمَغْنِي اللَّيْبِيبِ، لِابْنِ هِشَامٍ: ٣٥١، وَمِفْتَاحُ الْعُلُومِ، لِلْسَّكَاكِيِّ: ٣٠٧، وَالْإِيضَاحُ، لِلْقَزْوِينِيِّ: ٥٣/٣، وَعِلْمُ الْمَعَانِي، د. عَبْدِ الْعَزِيزِ عَتِيقٌ: ١١٣.

(٦) الْمُفَصَّلُ فِي صِنْعَةِ الْإِعْرَابِ، لِلزَّمَخْشَرِيِّ: ٤٤٣.

(٧) مَغْنِي اللَّيْبِيبِ، لِابْنِ هِشَامٍ: ٣٥١.

(٨) سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ١٠٢.

بَانَ الشَّبَابُ حَمِيدَةً أَيَّامُهُ وَلَوْ أَنَّ ذَلِكَ يُشْتَرَى أَوْ يَرْجَعُ^(١)
فَيَتَمَنَّى الشاعرُ شراءَ الشبابِ أو عودتَهُ مرةً أخرى.
٥. أَلَا:

تَتَكَوَّنُ (أَلَا) مِنْ هَمْزَةِ الاسْتِفْهَامِ الْمَفْتُوحَةِ، وَ (لَا) النَافِيَةِ لِلْجِنْسِ، وَتَقَعُ لِلتَّمْنِي؛ أَيُّ: تَفِيدُ
مَعْنَى التَّمْنِي مِثْلَ (لَيْتَ)، نَحْوُ: (أَلَا مَاءً مَاءً بَارِدًا عِنْدَنَا)، فَهُوَ أَسْلُوبٌ تَمَنٍّ، يُتَمَنَّى فِيهِ
الْمَاءُ، وَ (مَاءً) الْأَوَّلَى: اسْمُ (لَا) النَافِيَةِ لِلْجِنْسِ مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ، وَ (مَاءً) الثَّانِيَةِ: نَعْتُ
مَوْطِئٍ "مُمَهَّدٍ" لِلأَوَّلَى، وَ (بَارِدًا): نَعْتُ ثَانٍ لِـ (مَاءً) الْأَوَّلَى، وَ (عِنْدَنَا): مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ
خَبَرٍ (لَا)^(٢). وَمِنْ شَوَاهِدِ وَقُوعِ (أَلَا) فِي مَعْنَى التَّمْنِي قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَلَا رَسُولَ لَنَا مِنَّا فَيُخْبِرُنَا مَا بُعْدُ غَايَتِنَا مِنْ رَأْسِ مُجْرَانَا^(٣)

وَالْمَعْنَى: لَيْتَ لَنَا رَسُولًا فَيُخْبِرُنَا بِالْمَدَّةِ الْفَاصِلَةِ بَيْنَ وَلَدَتِنَا وَوَفَاتِنَا، وَقَدْ جَاءَ الْفِعْلُ
(يُخْبِرُ) مَنْصُوبًا؛ لِأَنَّهُ جَوَابُ تَمَنٍّ مَقْرُونٍ بِالْفَاءِ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ (أَلَا) أَفَادَتْ التَّمْنِي.
أَمَّا (أَلَا) فَقِيلَ: حَرْفُ تَمَنٍّ كـ (لَيْتَ)، بِمَنْزِلَةِ: أَتَمَنَّى، فَلَا خَبَرَ لَهَا كَمَا أَنَّ (أَتَمَنَّى) لَا
خَبَرَ لَهُ، وَهُوَ رَأْيُ سَبْيُوِيهِ وَالْخَلِيلِ، وَقِيلَ: (الْهَمْزَةُ): لِلْاسْتِفْهَامِ، وَ (لَا) نَافِيَةٌ لِلْجِنْسِ لَهَا
اسْمٌ وَخَبَرٌ، وَهُوَ رَأْيُ الْمَازِنِيِّ وَالْمَبْرَدِ حَيْثُ جَعَلَا (أَلَا) كَأَنَّهَا مَجْرُودَةٌ مِنَ (الْهَمْزَةِ)؛ فَلَهَا
مَرْكَبَةٌ عِنْدَهُمَا مَا لَهَا مَجْرُودَةٌ مِنْ تَرْكِيبٍ وَنَصْبٍ وَخَبَرٍ وَإِلْغَاءٍ وَإِتْبَاعٍ لِلْفُظِّ اسْمُهَا أَوْ
مَحَلُّهُ^(٤).

ثالثًا: تراكيب التمني الواردة في كتاب خطب الرسول ﷺ

يُعَدُّ تَرْكِيبُ التَّمْنِي أَقَلَّ التَّرَاكِيْبِ الْإِنْشَائِيَةِ وَغَيْرِ الْإِنْشَائِيَةِ وَرُودًا فِي كِتَابِ خُطْبِ
الرَّسُولِ ﷺ، حَيْثُ وَرَدَ (تَرْكِيبٌ وَاحِدٌ) فَقَطْ فِي هَذِهِ الْخُطْبِ مَسْبُوقٌ بِالْحَرْفِ (يَا)^(٥)، وَهُوَ:

(١) البيت لجريز في ديوانه: ٢٦٨، والشعر والشعراء، لابن قتيبة: ٤٨٢/١.

(٢) انظر: الكتاب، لسبويه: ٢٨٩/٢، والتعليقة على كتاب سبويه، لأبي علي الفارسي: ٣٥/٢، وشرح تسهيل
الفوائد، لابن مالك: ٤٠٥/٣، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٢٠/٢، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك،
لابن عقيل: ٢٣/٢.

(٣) البيت لأمية بن أبي الصلت في ديوانه: ٥١٧، والكتاب، لسبويه: ٣٣/٣.

(٤) انظر: الكتاب، لسبويه: ٣٣/٣، وارتشاف الضرب، لأبي حيان: ١٦٧٣/٤، وتوضيح المقاصد والمسالك،
للمرادي: ١٢٥٢/٣، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٩٧، وشرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٣٥٥/١.

(٥) وَرَدَ فِي خُطْبِ الرَّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ فِي: خُطْبَةٍ رَقْمَ (٥٤٢): ٢٩٢-٢٩٣ تَرْكِيبٌ: (يَا لَيْتَنِي)،
لَكِنِّي اسْتَشْنَيْتُهُ مِنْ تَرَكَيبِ التَّمْنِي الْوَارِدَةِ فِي الْخُطْبِ فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ؛ لِسَبَبَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ التَّركِيبَ وَرَدَ
ضِمْنَ آيَةٍ قُرْآنِيَةٍ وَهِيَ: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاكِمًا﴾ [سورة النبأ: ٤٠] وَلَيْسَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ،
وَالثَّانِي: أَنَّنِي لَمْ أَعَثْرَ عَلَى هَذِهِ الْخُطْبَةِ (٥٤٢) فِي جَمِيعِ كُتُبِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمَتَوَفَّرَةِ لِي؛ أَيُّ: لَا أَصْلُ =

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "يَدْعُو اللَّهُ بِالْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقِفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَقُولُ: عَبْدِي، إِنِّي أَمَرْتُكَ أَنْ تَدْعُونِي؟ وَوَعَدْتُكَ أَنْ أَسْتَجِيبَ لَكَ، فَهَلْ كُنْتَ تَدْعُونِي؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، يَا رَبِّ،، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَلَا يَدْعُ اللَّهُ دَعْوَةً دَعَا بِهَا عَبْدُهُ الْمُؤْمِنُ إِلَّا بَيَّنَّ لَهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَجَلٌ لَهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ادَّخَرَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ؛ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ: يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَجَلٌ لَهُ شَيْءٌ مِنْ دُعَائِهِ"^(١). والشاهد: (يَا لَيْتَهُ)، وسنعمد رأي الجمهور الذي عدَّ (يا) هنا لمجرد التنبيه.

وَلَمْ يَحْمِلْ حَرْفَ آخَرَ نَحْوُ: (هَلْ، لَعَلَّ، لَوْ، أَلَا) معنى التَّمَنِّي فِي كِتَابِ خُطْبِ الرَّسُولِ ﷺ.

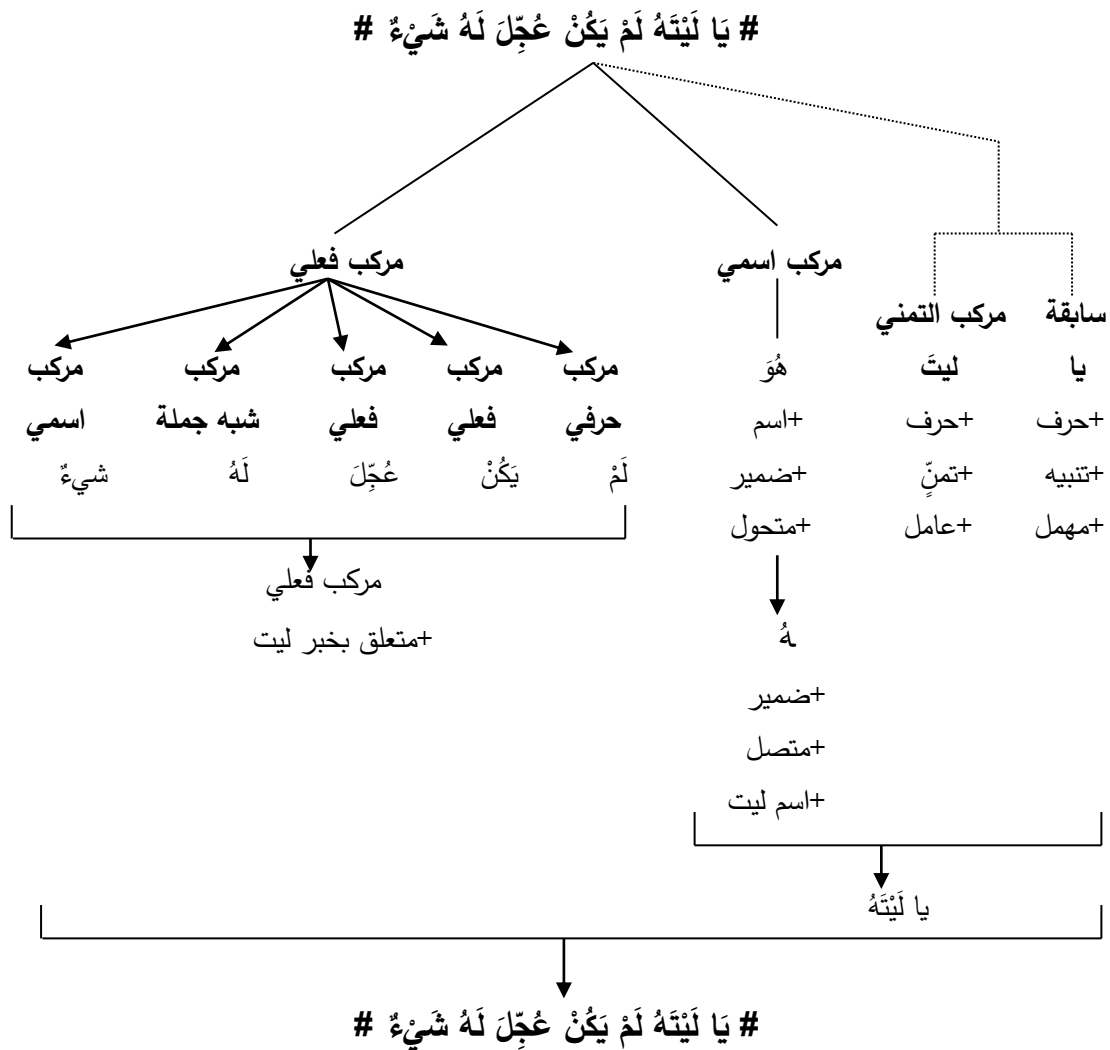
رابعًا: نموذج تحليلي لتركيب التمني الوارد في كتاب خُطْبِ الرَّسُولِ ﷺ

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ: يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَجَلٌ لَهُ شَيْءٌ مِنْ دُعَائِهِ"^(٢).

لها في مُتُونِ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، إِنَّمَا هِيَ مَوْجُودَةٌ فِي كِتَابِ (تَنْبِيهِ الْغَافِلِينَ، لِلْسَمَرْقَنْدِيِّ: ٥٩٦، حَدِيثٌ رَقْمُ ٩٤٩) وَهُوَ كِتَابٌ وَعُظٌ وَرَقَائِقُ وَلَيْسَ مِنْ كُتُبِ السُّنَّةِ الْمُعْتَبَرَةِ؛ وَهُوَ مَلِيٌّ بِالْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ الْمَكْذُوبَةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ الْذَهَبِيُّ: "وَفِي كِتَابِ تَنْبِيهِ الْغَافِلِينَ مَوْضُوعَاتٌ كَثِيرَةٌ". تَارِيخُ الْإِسْلَامِ، لِلذَّهَبِيِّ: ٤٢٠/٨، وَيَقْصِدُ: فِيهِ أَحَادِيثٌ مَوْضُوعَةٌ كَثِيرَةٌ.

(١) خُطْبُ الرَّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٩٣، خُطْبَةٌ رَقْمُ (١٨٤). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمُسْتَدْرَكِ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ، لِلْحَاكِمِ، كِتَابُ الدَّعَاءِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ: ٦٧١/١، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٨١٩)، وَشُعَبُ الْإِيمَانِ، لِلْبَيْهَقِيِّ، ذِكْرُ فُصُولٍ فِي الدَّعَاءِ: ٣٧٩/٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٠٩٣).

(٢) التَّخْرِيجُ السَّابِقُ.



تَمَّ تحويل التركيب السابق مِنَ البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الزيادة والإضافة:
 - أ. تَمَّ زيادة مركب التمني (لَيْتَ) على المركب الفعلي (لَمْ يَكُنْ عَجَلًا لَهُ شَيْءٌ)؛ لإفادة مدلول التمني.
 - ب. تَمَّ زيادة حرف التنبيه (يا) قبل مركب التمني (لَيْتَ).
٢. الإحلال والتعويض:

حَلَّ الضمير المتصل (الهاء) محلَّ الضمير المنفصل (هُوَ) في مركب التمني (لَيْتَ)؛ ليصبح: (لَيْتَهُ).

الفصل الثاني

التركيب الإنشائية غير الطلبية المَحَوَّلَة في خُطْبِ النبي ﷺ

وَيُقَسَّمُ إلى خمسة مباحث:

المبحث الأول: تركيب التَّعْجُب

المبحث الثاني: تركيب الْقَسَم

المبحث الثالث: تركيب المَدْح والذَّم

المبحث الرابع: تركيب الرجاء

المبحث الخامس: تركيب الدعاء

تمهيد:

تناولت الدراسة - في الفصل السابق - الأساليب الإنشائية الطلبية التي وردت في حُطَب النبي ﷺ، مِنْ خلال كتاب: (حُطَب الرسول ﷺ، للشيخ: مُحَمَّد خليل الخطيب)، وسنتناول في هذا الفصل - بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى - الأساليب الإنشائية غير الطلبية في هذه الحُطَب. وَقَدْ تَمَّ التفرُّيقُ بين الإنشاءِ الطلبي وغير الطلبي. وَذَكَرْتُ الدراسة أَنَّ الأساليب الإنشائية غير الطلبية، هي: (صَيِّغُ التَّعْجُبِ، وَصَيِّغُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ، وَصَيِّغُ الْعُقُودِ، وَالْقَسَمِ، وَالرَّجَاءِ)، وَلَمْ تَرُدْ في هذه الحُطَبِ (صَيِّغُ الْعُقُودِ)؛ لِذَا لَنْ يَقُومَ الْبَاحِثُ بِدِرَاسَتِهَا؛ إِذْ لَا نَمَازِجَ عَلَيْهَا لِتَحْلِيلِهَا.

التركيب التي اعْتَنَى بها هذا الفصل:

إِنَّ التَّرَاكِيْبَ الَّتِي اعْتَنَى بِهَا هَذَا الْفَصْلُ خَمْسَةٌ، وَهِيَ: (صَيِّغُ التَّعْجُبِ، وَصَيِّغُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ، وَالْقَسَمِ، وَالرَّجَاءِ، وَالِدَعَاءِ^(١)). وَقَدْ بَلَغَ عَدَدُ التَّرَاكِيْبِ الْإِنْشَائِيَّةِ الْغَيْرِ الْطَلْبِيَّةِ فِي كِتَابِ حُطَبِ الرَّسُولِ ﷺ (مَائَتَيْنِ وَسَبْعَةً) مِنَ التَّرَاكِيْبِ. وَبَيَّنَّ الْجَدُولُ الْآتِي عَدَدَ التَّرَاكِيْبِ الْإِنْشَائِيَّةِ الْغَيْرِ الْطَلْبِيَّةِ فِي كِتَابِ حُطَبِ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ الْأَكْثَرِ إِلَى الْأَقَلِّ اسْتِخْدَامًا:

م	التركيب الإنشائية غير الطلبية	عدد الاستخدام
١	القَسَم	١٢٤
٢	الدعاء	٥٠
٣	الرجاء	١٦
٤	المَدْح والذَّم	١١
٥	التَّعْجُب	٦
	المجموع	٢٠٧

طريقة التحليل المُتَّبَعَة في هذه الدراسة:

سَيَتَّبِعُ الْبَاحِثُ الطَّرِيقَةَ نَفْسَهَا الَّتِي اتَّبَعَهَا فِي الْفَصْلِ السَّابِقِ، مِنْ دِرَاسَةِ نَظَرِيَّةٍ لِلتَّرَكِيْبِ ثُمَّ تَحْلِيلِهِ شَجَرِيًّا وَفُقَ النَّظَرِيَّةِ التَّحْوِيلِيَّةِ التَّوْلِيدِيَّةِ، ثُمَّ ذِكْرُ الْقَوَانِينِ التَّحْوِيلِيَّةِ لِهَذَا التَّرَكِيْبِ.

(١) سَنُوضِّحُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - عِنْدَ دِرَاسَةِ تَرْكِيبِ (الدَّعَاءِ) فِي هَذَا الْفَصْلِ سَبَبَ اعْتِمَادِهِ ضَمْنَ التَّرَاكِيْبِ الْإِنْشَائِيَّةِ الْغَيْرِ الْطَلْبِيَّةِ، ص: ٤٢١-٤٢٢.

وَاسْتَنْتَيْتُ - في هذا الفصل - التراكيب الإنشائية غير الطليبة التي تَلَفَّظَ بها الصحابة أو غيرهم كَرُوَاةِ الحديث، مُقْتَصِرًا بذلك على التراكيب الإنشائية غير الطليبة التي نُسِبَتْ لرسولِ الله ﷺ وَتَلَفَّظَ بها في هذه الخُطَبِ.

المبحث الأول

تركيب التَّعَجُّب

أولاً: (التَّعَجُّبُ) لُغَةً واصطلاحاً:

(التَّعَجُّبُ) لُغَةً: أَصْلُ الْعَجَبِ فِي اللُّغَةِ "أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى مَا يُنْكِرُهُ وَيَقِلُّ مِثْلُهُ، يُقَالُ: عَجِبَ يَعْجَبُ عَجَبًا، وَأَمَرَ عَجِيبٌ وَعُجَابٌ؛ أَيُّ: غَيْرِ مَأْلُوفٍ وَلَا مُعْتَادٍ. والاستعجاب: شِدَّةُ التَّعَجُّبِ. وَيُقَالُ: أَعْجَبَنِي هَذَا الشَّيْءُ وَأُعْجِبْتُ بِهِ، وَهُوَ شَيْءٌ مُعْجِبٌ، إِذَا كَانَ حَسَنًا جِدًّا"^(١)؛ فالتعجب في اللغة هو انفعال وتأثر داخلي يحدث في النَّفْسِ عند استعظام أمرٍ أو قِلَّةِ خُدُوثِهِ^(٢). (التَّعَجُّبُ) اصطلاحاً: هو صيغة نحوية تُقال عند استعظام أمرٍ ظاهر المرية أو عند استغرابه؛ لِحَفَاءِ سَبَبِهِ أَوْ لِنُدْرَتِهِ^(٣).

ثانياً: صُورُ التَّعَجُّبِ وَصِيغُهُ

لِلتَّعَجُّبِ فِي الْعَرَبِيَّةِ نَوَعَانِ مَشْهُورَانِ، الْأَوَّلُ: قِيَاسِيٌّ، وَالثَّانِي: سَمَاعِيٌّ غَيْرُ قِيَاسِيٍّ. أَمَّا النُّوعُ الْأَوَّلِيُّ: الْقِيَاسِيُّ فَلَهُ صِيغَتَانِ، وَهُمَا: (مَا أَفْعَلُ)، وَ(أَفْعَلُ بِ)^(٤).

^(١) تهذيب اللغة، للأزهري: ٢٤٧/١ (عَجِبَ)، ولسان العرب، لابن منظور: ٥٨١/١ (عَجِبَ).

^(٢) انظر: اللّحة في شرح الملحّة، لابن الصائغ: ٥٠٣/١، وتوضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ٨٨٥/٢، وشرح شذور الذهب، للجوّجري: ٧٢٩/٢، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٢٦٢/٢، والكلبيات، للكفوي: ٦٥٥ (فصل الغين)، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٢٢٤/٣ تعليق المحقق، حاشية رقم (١).

^(٣) انظر: اللّحة في شرح الملحّة، لابن الصائغ: ٥٠٣/١، وتوضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ٨٨٥/٢، وشرح شذور الذهب، للجوّجري: ٧٢٩/٢، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٢٦٢/٢، وحاشية الصّبّان على شرح الأشموني، للصبان: ٢٣/٣.

وقال ابن عصفور: "التعجب: هو استعظام زيادة - في وصف الفاعل - خفي سببها، وخرج بها المتعجب منه عن نظائره، أو قلّ نظيره. فقولنا: استعظام؛ لأنّ التعجب لا يتصور إلّا ممّن يجوز في حقه الاستعظام، ولذلك لا يجوز أن يردّ التعجب من الله تعالى، فإنّ ورد ما ظاهره ذلك صُرفَ إلى المخاطب، نحو قوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [سورة البقرة: ١٧٥]؛ أي: هؤلاء ممّن يجب أن يُتَعَجَّبَ منهم". المقرّب، لابن عصفور: ٧١/١. والمعنى في الآية: "هؤلاء ممّن يجب أن يُتَعَجَّبَ مِنْهُمْ حين كفروا وقد ثبتت عليهم الحجة". الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٢٤٨/١.

^(٤) انظر: الأصول في النحو، لابن السراج: ٩٨/١-١٠٢، وشرح المفصل، لابن يعيش: ٤١٦-٤١٧، واللّحة في شرح الملحّة، لابن الصائغ: ٥٠٣-٥٠٥، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٢٢٤-٢٢٨، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٢٦٢-٢٦٥.

وَمِنْ أَمْثَلَةِ صِيغَةِ (مَا أَفْعَلْ): ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾^(١)، قَالَ الزَّجَّاجُ: "يَكُونُ عَلَى جِهَةِ لَفْظِ التَّعْجُّبِ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى؛ أَيْ: اعْجَبُوا أَنْتُمْ مِنْ كُفْرِهِ"^(٢)، وَقَالَ الشُّوْكَانِيُّ: "أَيْ: لُعِنَ الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ مَا أَشَدَّ كُفْرَهُ! ... وَمَعْنَى مَا أَكْفَرَهُ: التَّعْجُّبُ مِنْ إِفْرَاطِ كُفْرِهِ"^(٣)، وَكَقَوْلِنَا: (مَا أَكْرَمَ زَيْدًا)، وَ(مَا أَجْمَلَ الصِّدْقَ).

وَمِنْ أَمْثَلَةِ صِيغَةِ (أَفْعِلْ بِ): ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾^(٤)، قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ: "الْعَرَبُ تَقُولُ هَذَا فِي مَوْضِعِ التَّعْجُّبِ"^(٥)، وَمَقْصُودُ الْآيَةِ: "مَا أَبْصَرَهُمْ وَأَسْمَعَهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ؛ أَيْ: هُمْ مِمَّنْ يُقَالُ ذَلِكَ فِيهِمْ، فَفِيهِ مَعْنَى التَّعْجُّبِ، وَلَفْظُهُ لَفْظُ الْأَمْرِ"^(٦)، وَكَقَوْلِنَا: (أَكْرَمَ بَرِيدًا)، وَ(أَقْبَحَ بِالْكَذِبِ).

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فِي صِيغَةِ (مَا أَفْعَلْ) كَ(مَا أَحْسَنَ زَيْدًا): أَمَّا (مَا) فَأَجْمَعُوا عَلَى اسْمِيَّتِهَا؛ لِأَنَّ فِي (أَحْسَنَ) ضَمِيرًا يَعُودُ عَلَيْهَا، وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهَا مُبْتَدَأٌ؛ لِأَنَّهَا مُجْرَدَةٌ لِلْإِسْنَادِ إِلَيْهَا، وَهِيَ نَكْرَةٌ تَامَّةٌ بِمَعْنَى (شَيْءٍ)، وَابْتَدَأَ بِهَا؛ لِتَضْمَنِهَا مَعْنَى التَّعْجُّبِ، وَمَا بَعْدَهَا خَبَرٌ مَحْذُوفٌ وَجُوبًا؛ أَيْ: شَيْءٌ عَظِيمٌ. وَأَمَّا (أَفْعَلْ) فَقَالَ الْبَصْرِيُّونَ وَالْكَسَائِيُّ: فِعْلٌ؛ لِلزُّومِ مَعَ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ نُونِ الْوَقَايَةِ؛ نَحْوُ: (مَا أَفْقَرَنِي إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى)، فَفَتَحَتْهُ بِنَاءً كَالْفَتْحَةِ فِي (ضَرَبَ) مِنْ (زَيْدٌ ضَرَبَ عَمْرًا)، وَمَا بَعْدَهُ مَفْعُولٌ بِهِ، وَقَالَ بَقِيَّةُ الْكُوفِيِّينَ: اسْمٌ؛ لِقَوْلِهِمْ: (مَا أَحْسِنَهُ)؛ فَفَتَحَتْهُ إِعْرَابٌ^(٧). وَسَيَعْتَمِدُ الْبَاحِثُ رَأْيَ الْبَصْرِيِّينَ الَّذِي عَدَّ (أَفْعَلْ) فِعْلًا؛ لِاحْتَوَائِهَا عَلَى ضَمِيرٍ عَائِدٍ عَلَى (مَا) قَبْلُهَا، وَلِرَجَاحَةِ حُجَجِ الْبَصْرِيِّينَ وَالْكَسَائِيِّ فِي الْمَسْأَلَةِ^(٨).

ثُمَّ أَكْمَلَ ابْنُ هِشَامٍ حَدِيثَهُ عَنْ صِيغَةِ (أَفْعِلْ بِ) كَ(أَحْسَنَ بَرِيدًا) قَائِلًا: "أَجْمَعُوا عَلَى فِعْلِيَّةِ (أَفْعِلْ)، ثُمَّ قَالَ الْبَصْرِيُّونَ: لَفْظُهُ لَفْظُ الْأَمْرِ، وَمَعْنَاهُ الْخَبَرُ؛ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ: فِعْلٌ مَاضٍ عَلَى صِيغَةِ (أَفْعِلْ) بِمَعْنَى: صَارَ ذَا كَذَا، ثُمَّ غَيَّرَتِ الصِّيغَةُ، فَفُتِحَ إِسْنَادُ صِيغَةِ الْأَمْرِ إِلَى الْاسْمِ الظَّاهِرِ، فَزِيدَتِ (الْبَاءُ) فِي الْفَاعِلِ؛ لِيَصِيرَ عَلَى صُورَةِ الْمَفْعُولِ بِهِ، كَ(امْرُؤٌ بَرِيدًا)"^(٩).

(١) سورة عَبَسَ: ١٧.

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: ٢٨٤/٥-٢٨٥.

(٣) فَتْحُ الْقَدِيرِ، لِلشُّوْكَانِيِّ: ٤٦٤/٥.

(٤) سورة مَرِيَمَ: ٣٨.

(٥) معاني القرآن، لثعلب: ١٣١.

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية، لِمَكِّيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: ٤٥٤٢/٧.

(٧) أَوْضَحَ الْمَسَالِكُ، لِابْنِ هِشَامٍ: ٢٢٤/٣-٢٢٧، وَانْظُرْ: الْإِنْصَافُ فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِ، لِأَبِي الْبَرَكَاتِ

الْأَنْبَارِيِّ: ١٠٤/١-١٠٨.

(٨) انْظُرْ: الْإِنْصَافُ فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِ، لِأَبِي الْبَرَكَاتِ الْأَنْبَارِيِّ: ١٠٤/١-١١٩.

(٩) أَوْضَحَ الْمَسَالِكُ، لِابْنِ هِشَامٍ: ٢٢٧/٣-٢٢٨.

وأما النوع الثاني: السماعي غير القياسي^(١)، فَمِثْلُ: (يَا لَكَ مِنْ رَجُلٍ وَرِعٍ)، و(لِلَّهِ دَرَّةٌ)، و(سُبْحَانَ اللَّهِ)، و(لَا أَبَا لَكَ)، و(وَاهَا)، ... ونحوها.

وَقَدْ قَالَ الْوَقَادُ عَنِ الصِّيغِ غَيْرِ الْقِيَاسِيَّةِ: "وَأِنَّمَا لَمْ يُبَوَّبْ لَهَا فِي النُّحُو؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَدَلَّ عَلَى التَّعَجُّبِ بِالْوَضْعِ بَلْ بِالْقَرِينَةِ"^(٢).

ويلتقي مع مفهوم التعجب أمران، وهما:

أ. الألفاظ الصريحة التي تفيد معنى التعجب، مِثْلُ: عَجِبَ، عَجِبْتُ، أَعْجَبُ، عَجِيبٌ، عَجَبًا، ... وغيرها من الألفاظ التي تدل على معنى التعجب، لكنها ليست صيغاً قياسية أو سماعية للتعجب إنما هي مَحْضُ أَلْفَاظٍ دَالَّةٍ عَلَى التَّعَجُّبِ.

ب. الأساليب الإنشائية والخبرية التي خرجت عن معناها الحقيقي إلى معنى التعجب، كالاستفهام الذي يخرج معنى التعجب. وقد تطرقنا لذلك بالتفصيل -في الفصل السابق- عند دراسة التراكيب الإنشائية الطلبية؛ لذلك فَإِنَّ مَا يَعْنِينَا فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ هُمَا الصِّيغَتَانِ الْمَشْهُورَتَانِ لِلتَّعَجُّبِ: (مَا أَفْعَلُهُ)، و(أَفْعُلْ بِهِ)، وَهُمَا الصِّيغَتَانِ اللَّتَانِ سَيَقُومُ الْبَاحِثُ بِتَحْلِيلِ تَرَكَيبِ التَّعَجُّبِ الْوَارِدَةِ عَلَى أَوْزَانِهِمَا فِي خُطْبِ النَّبِيِّ ﷺ.

ثالثاً: شروط صياغة الفِغْلَيْنِ (أَفْعُلْ) و(أَفْعُلْ) فِي صِيغَةِ التَّعَجُّبِ الْقِيَاسِيَّةِ

لَا يُبْنَى مِنْ كُلِّ فِعْلٍ صِيغَةُ تَعَجُّبٍ، بَلْ يُشْتَرَطُ لِفِعْلِ التَّعَجُّبِ حَتَّى يَكُونَ قَابِلًا لِلْقِيَاسِ عَلَى صِيغَتِي (أَفْعُلْ) و(أَفْعُلْ) ثَمَانِيَةَ شُرُوطٍ، وَهِيَ^(٣):

١. أَنْ يَكُونَ فِعْلاً مَاضِياً^(٤)؛ فَلَا يُبْنَى مِنْ الْأَسْمِ، فَلَا يُقَالُ: (مَا أَحْمَرُهُ). وَشَدَّ (مَا أَدْرَعُ الْمَرْأَةَ)؛ أَيْ: مَا أَحْفَفَ يَدَهَا فِي الْغَزْلِ، بَنُوهُ مِنْ قَوْلِهِمْ: (امْرَأَةٌ دَرَّاعٌ)، وَهِيَ خَفِيفَةُ الْيَدَيْنِ فِي الْغَزْلِ، وَ(دَرَّاعٌ) اسْمٌ لَا فِعْلٌ.

^(١) انظر: الكتاب، لسيبويه: ٢/٢٣٧، والأصول في النحو، لابن السراج: ١/١١٠، وتوضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ٢/٧٣١ و ٨٨٥، أوضح المسالك، لابن هشام: ٣/٢٢٥، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٢٨٤، وشرح شذور الذهب، للجوزي: ٢/٧٣٤، وحاشية الصبان على شرح الأشموني، للصبان: ٣/٢٣.

^(٢) شرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٢/٥٧.

^(٣) انظر: اللحة في شرح الملح، لابن الصائغ: ١/٥١٦-٥٢١، وتوضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ٢/٨٩٣-٨٩٧، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٣/٢٣٥-٢٣٨، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل: ٣/١٥٣-١٥٥، وشرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٦٧-٦٨.

^(٤) يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ مَاضِياً وَإِنْ كَانَ يَفْقُدُ الدَّلَالََةَ عَلَى الزَّمَنِ بِدُخُولِهِ فِي صِيغَةِ التَّعَجُّبِ. انظر: أوضح المسالك، لابن هشام: ٣/٢٣٥ تعليق المُحَقِّق، حاشية رقم (٢).

٢. أَنْ يَكُونَ ثَلَاثِيًّا؛ فَلَا يُبْنِيَانِ مِنْ: (دَخَرَجَ، وَصَارَبَ، وَاسْتَخَرَجَ) إِلَّا (أَفْعَلْ)؛ فَقِيلَ: يَجُوزُ مطلقًا، وَقِيلَ: يَمْتَنِعُ مطلقًا، وَقِيلَ: يَجُوزُ إِنْ كَانَتِ الْهَمْزَةُ لَغَيْرِ النَّقْلِ؛ نَحْوُ: (مَا أَظْلَمَ اللَّيْلَ)، وَ(مَا أَفْقَرَ هَذَا الْمَكَانَ).

٣. أَنْ يَكُونَ مُتَصَرِّفًا؛ فَلَا يُبْنِيَانِ مِنْ مِثْلِ: (نِعِمَّ، وَبِئْسَ، وَلَيْسَ، وَعَسَى).

٤. أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ قَابِلًا لِلتَّفَاوُتِ وَالتَّفَاضُلِ؛ فَلَا يُبْنِيَانِ مِنْ نَحْوِ: (فَنِي، وَمَاتَ)؛ لِأَنَّهُ لَا تَفَاوُتَ فِي الْفَنَاءِ وَالْمَوْتِ وَلَا تَفَاضُلَ، فَبَامْتِنَاعِ التَّفَاوُتِ وَالزِّيَادَةِ يَمْتَنِعُ التَّعْجِبُ؛ إِذِ الْمَعْنَى مَأْلُوفٌ، وَإِنَّمَا يَكُونُ التَّعْجِبُ مِمَّا تَسْتَغْطِئُهُ النَّفْسُ وَيُذْهِشُهَا أَوْ تَسْتَغْرِبُهَا.

٥. أَنْ يَكُونَ مَبْنِيًّا لِلْمَعْلُومِ؛ فَلَا يُبْنِيَانِ مِنْ نَحْوِ: (ضَرِبَ، وَقُتِلَ).

٦. أَنْ يَكُونَ تَامًّا؛ فَلَا يُبْنِيَانِ مِنْ مِثْلِ: (كَانَ، وَظَلَّ، وَبَاتَ، وَصَارَ، وَكَادَ).

٧. أَنْ يَكُونَ مُثَبَّتًا؛ فَلَا يُبْنِيَانِ مِنْ مَنفِيٍّ؛ سِوَاكَ كَانَ مَلَاظِمًا لِلنَّفْيِ؛ نَحْوُ: (مَا عَاجَ بِالِدَوَاءِ)؛ أَيْ: مَا انْتَقَعَ بِهِ، أَمْ غَيْرَ مَلَاظِمٍ، نَحْوُ: (مَا قَامَ زَيْدٌ).

٨. أَنْ لَا يَكُونَ الْوَصْفُ مِنْهُ عَلَى (أَفْعَلِ) الَّذِي مَوْثِقُهُ (فَعْلَاءُ)؛ فَلَا يُبْنِيَانِ مِنْ نَحْوِ: (عَرَجَ، وَشَهَلَ، وَخَضِرَ)؛ لِأَنَّهَا الْوَصْفُ مِنْهَا: (أَعْرَجَ - عَرَجَاءُ)، وَ(أَشْهَلَ - شَهْلَاءُ)، وَ(أَخْضَرَ - خَضْرَاءُ).

رَابِعًا: تَرْكِيبُ التَّعْجِبِ فِي الْمَفْهُومِ التَّحْوِيلِيِّ

لَوْ أَخَذْنَا صِيغَتِي التَّعْجِبِ (مَا أَفْعَلُ) نَحْوُ: (مَا أَكْرَمَ خَالِدًا)، وَ(أَفْعَلُ بِ) نَحْوُ: (أَكْرَمَ بِخَالِدٍ) فَسَيَكُونُ التَّرْكِيبُ وَفْقَ النَّظَرِيَّةِ التَّحْوِيلِيَّةِ كَالآتِي^(١):

أ. يَتَكُونُ تَرْكِيبُ التَّعْجِبِ (مَا أَكْرَمَ خَالِدًا) مِنْ مُرَكَّبَيْنِ، الْأَوَّلُ: مُرَكَّبُ التَّعْجِبِ، وَيَتَكُونُ هَذَا الْمُرَكَّبُ مِنْ اسْمٍ "أَدَاةُ" التَّعْجِبِ (مَا)، وَمِنْ فِعْلِ التَّعْجِبِ (أَكْرَمَ). وَالْمُرَكَّبُ الْآخَرُ: مُرَكَّبُ الْمُتَعَجِّبِ مِنْهُ، وَهُوَ الْمُرَكَّبُ الْاسْمِيُّ (خَالِدًا). وَكَذَلِكَ يَتَكُونُ تَرْكِيبُ (أَكْرَمَ بِخَالِدٍ) مِنْ مُرَكَّبَيْنِ، الْأَوَّلُ: مُرَكَّبُ التَّعْجِبِ (أَكْرَمَ)، وَالْمُرَكَّبُ الْآخَرُ: مُرَكَّبُ الْمُتَعَجِّبِ مِنْهُ (بِخَالِدٍ).

ب. يُعَدُّ تَرْكِيبُ (مَا أَكْرَمَ خَالِدًا) تَرْكِيبٌ مُحَوَّلٌ مِنْ بَنِيَّةٍ عَمِيقَةٍ أَصْلُهَا: (كَرَّمَ خَالِدٌ بِشَيْءٍ مَا)، وَهِيَ مَكُونَةٌ مِنْ مُرَكَّبٍ فِعْلِيٍّ (كَرَّمَ خَالِدًا)، وَمِنْ مُرَكَّبٍ جَارٍ وَالْمَجْرُورِ (بِشَيْءٍ مَا)، ثُمَّ وَقَعَ تَبَادُلٌ فِي الْمَوْقِعِ بَيْنَ (شَيْءٍ مَا) وَ(خَالِدًا) بَعْدَ حَذْفِ حَرْفِ الْجَرِّ، وَبَعْدَ تَحَوُّلِ الْفِعْلِ (كَرَّمَ) إِلَى (أَكْرَمَ)؛ فَأَصْبَحَ التَّرْكِيبُ (أَكْرَمَ شَيْءٌ مَا خَالِدًا)، ثُمَّ تَقَلَّصَ وَاخْتَصَرَ الْمُرَكَّبُ الْاسْمِيُّ (شَيْءٌ مَا) إِلَى مُرَكَّبِ الْأَدَاةِ (مَا)، وَتَقَدَّمَ هَذَا الْمُرَكَّبُ إِلَى بَوْرَةِ التَّرْكِيبِ لِيَكُونَ مَعَ الْفِعْلِ (أَكْرَمَ) صِيغَةً جَامِدَةً هِيَ (مَا أَكْرَمَ)، وَبَقِيَ أَثَرُ (مَا) وَهُوَ

(١) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ٢١٩-٢٢٠.

الضمير العائد عليها بعد الفعل الجامد (أَكْرَمَ)، ثُمَّ تَحَوَّلَ (خَالِدًا) إلى مفعول به بعد تغيير طبيعة الصيغة.

ت. إِنَّ تَرْكِيبَ التَّعْجُبِ (أَكْرَمَ بِخَالِدٍ) تَرْكِيبٌ مُتَحَوِّلٌ مِنْ بَنِيَّةٍ عَمِيقَةٍ أَصْلُهَا: (كَرَّمَ خَالِدًا)، ثُمَّ تَحَوَّلَ الْفِعْلُ إِلَى صِيغَةِ الْمَاضِي (أَكْرَمَ) ثُمَّ تَحَوَّلَتْ إِلَى صِيغَةِ جَامِدَةٍ فِي صُورَةِ فِعْلِ أَمْرٍ؛ فَصَارَ (أَكْرَمَ)، وَأُضِيفَتْ (الباء) إِلَى (خَالِدًا)؛ لِيَتَنَاسَبَ مَعَ فِعْلِ أَمْرٍ؛ فَأَصْبَحَ التَّرْكِيبُ (أَكْرَمَ بِخَالِدٍ)، وَهُوَ مُكَوَّنٌ مِنْ مُرَكَّبِ التَّعْجُبِ (أَكْرَمَ)، وَمِنْ مُرَكَّبِ الْمُتَّعْجَبِ مِنْهُ (بِخَالِدٍ).

خامسًا: تراكيب التعجب الواردة في كتاب خُطْبِ الرُّسُولِ ﷺ

يُعَدُّ وَرُودُ تَرَائِيكِ التَّعْجُبِ فِي كِتَابِ خُطْبِ الرُّسُولِ ﷺ قَلِيلًا، فَقَدْ وَرَدَتْ فِيهِ (سِتَّةٌ) تَرَائِيكِ فَقَطْ، مِنْهَا (ثَلَاثَةٌ) تَرَائِيكِ بِالصِّيغَةِ الْقِيَاسِيَّةِ (مَا أَفْعَلُ)، وَ(ثَلَاثَةٌ) تَرَائِيكِ بِصِيغٍ غَيْرِ قِيَاسِيَّةٍ، أَمَّا صِيغَةُ التَّعْجُبِ الْقِيَاسِيَّةِ (أَفْعَلُ بِ) فَلَمْ تَرِدْ فِي كِتَابِ خُطْبِ الرُّسُولِ ﷺ. وَيَبَيِّنُ الْجَدُولُ الْآتِي صِيغَةَ التَّعْجُبِ الْوَارِدَةَ فِي كِتَابِ خُطْبِ الرُّسُولِ ﷺ:

م	صِيغَةُ التَّعْجُبِ	عَدَدُ الْإِسْتِخْدَامِ
١	الصيغة القياسية: (مَا أَفْعَلُ)	٣
٢	الصيغ غير القياسية	٣
٣	الصيغة القياسية: (أَفْعَلُ بِ)	—
	المجموع	٦

سادسًا: عَرَضُ لَتَرَائِيكِ التَّعْجُبِ الْوَارِدَةِ فِي كِتَابِ خُطْبِ الرُّسُولِ ﷺ:

١. تَرَائِيكِ التَّعْجُبِ الْوَارِدَةِ فِي الصِّيغَةِ الْقِيَاسِيَّةِ (مَا أَفْعَلُ)، وَهِيَ ثَلَاثَةٌ تَرَائِيكِ:

أ. "أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، مَا أَحْسَنَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، تَرَى مِنْ بَيْنِ أَخْصَرَ وَأَضْفَرَ وَأَحْمَرَ وَفِي الرِّحَالِ مَا فِيهَا. إِذَا صَفَّ النَّاسُ لِلصَّلَاةِ وَصَفُّوا لِلْقِتَالِ فَتَحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَأَبْوَابُ النَّارِ، وَزَيَّنَ الْخَوْرُ الْعَيْنُ..."^(١).
والشاهد: (مَا أَحْسَنَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ).

ب. عَنْ عَلِيٍّ ؓ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: "كِتَابُ كَتَبَهُ اللَّهُ، فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ، مُجَمَّلٌ عَلَيْهِمْ لَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقُصُ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، صَاحِبُ الْجَنَّةِ مَخْتَوِمٌ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَصَاحِبُ

^(١) خُطْبُ الرُّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٩، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٨). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ، لِلطَّبْرَانِيِّ، حَدِيثُ يَزِيدَ بْنِ شَجَرَةَ: ٢٤٦/٢٢، حَدِيثُ رَقْمُ (٦٤١)، وَابْعَثَ وَالنَّشُورَ، لِلْبَيْهَقِيِّ: ٣١١، حَدِيثُ رَقْمُ (٥٦٢).

النَّارِ مَحْنُومٍ يَعْمَلِ أَهْلُ النَّارِ، وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَقَدْ يُسَلِّكُ بِأَهْلِ السَّعَادَةِ طَرِيقَ أَهْلِ الشَّقَاءِ حَتَّى يُقَالَ: مَا أَشَبَّهُهُمْ بِهِمْ، بَلْ هُمْ مِنْهُمْ، وَتُذَرِّكُهُمُ السَّعَادَةُ، فَتَسْتَفْذُهُمْ، وَقَدْ يُسَلِّكُ بِأَهْلِ الشَّقَاءِ طَرِيقَ أَهْلِ السَّعَادَةِ حَتَّى يُقَالَ: مَا أَشَبَّهُهُمْ بِهِمْ، بَلْ هُمْ مِنْهُمْ، وَتُذَرِّكُهُمُ الشَّقَاءُ مَنْ كَتَبَهُ اللَّهُ سَعِيدًا فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَمْ يُخْرِجْهُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَعْمِلَهُ بِعَمَلٍ يُسَعِّدُهُ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَلَوْ بِفَوَاقِ نَاقَةٍ"، ثُمَّ قَالَ: "الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا، الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا"^(١). والشاهد: (مَا أَشَبَّهُهُمْ بِهِمْ) وقد تكرر التركيب مرتين.

٢. تراكيب التعجب الواردة في صيغ غير قياسية:

وَرَدَ فِي كِتَابِ خُطْبِ الرَّسُولِ ﷺ (ثَلَاثَةُ) تَرَكَيبٍ لِلتَّعْجِبِ فِي صِيغٍ غَيْرِ قِيَاسِيَّةٍ، مِنْهَا: (تَرْكَيبَانِ اثْنَانِ) بِصِيغَةِ (سُبْحَانَ اللَّهِ)، وَ(تَرْكَيبٌ وَاحِدٌ) بِصِيغَةِ (وَاهَا):

أ. صِيغَةُ (سُبْحَانَ اللَّهِ): عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ قَالَ: رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَصَرَهُ قَبْلَ السَّمَاءِ فَنَظَرَ، ثُمَّ طَأْطَأَ بَصَرَهُ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: "سُبْحَانَ اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ مَا أُنْزِلَ مِنَ التَّشْدِيدِ" قَالَ: فَعَرَفْنَا وَسَكَنْنَا، حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَقُلْنَا: مَا التَّشْدِيدُ الَّذِي نَزَلَ؟ قَالَ: "فِي الدِّينِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ قُتِلَ رَجُلٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ عَاشَ، ثُمَّ قُتِلَ، ثُمَّ عَاشَ، ثُمَّ قُتِلَ، وَعَلَيْهِ دَيْنٌ مَا دَخَلَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَقْضِيَ دَيْنَهُ"^(٢). وَقَدْ تَكَرَّرَتْ صِيغَةُ (سُبْحَانَ اللَّهِ) مَرَّتَيْنِ.

ب. وَأَمَّا مِثَالُ صِيغَةِ (وَاهَا): "... ... مَنْ كَانَ كِتَابُهُ فِي عِلِّيِّينَ نَزَلَ فِي تِلْكَ الدَّارِ الَّتِي لَمْ يَرَهَا أَحَدٌ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ عِلِّيِّينَ لَيُخْرِجُ فَيَسِيرُ فِي مَلْكِهِ، فَلَا تَبْقَى خِيْمَةٌ مِنْ خِيَمِ الْجَنَّةِ إِلَّا دَخَلَهَا مِنْ ضَوْءِ وَجْهِهِ، فَيَسْتَبْشِرُونَ لِرِيحِهِ فَيَقُولُونَ: وَاهَا لِهَذَا الرِّيحِ، هَذَا رِيحُ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ عِلِّيِّينَ قَدْ خَرَجَ يَسِيرُ فِي مَلْكِهِ"^(٣). والشاهد: (وَاهَا) وهي كلمة تُقال عند التعجب مِنْ طِيبِ كُلِّ شَيْءٍ^(١).

(١) خُطْبُ الرَّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدِ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٩٨، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٤٧). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ، لِلطَّبْرَانِيِّ، مِنْ اسْمِهِ مُحَمَّدٌ: ٢٤٧/٥، حَدِيثٌ رَقْمُ (٥٢١٩). قَالَ الْهَيْثَمِيُّ: "فِيهِ حَمَّادُ بْنُ وَاقِدٍ الصَّفَّارُ، وَهُوَ ضَعِيفٌ"، مَجْمَعُ الزَّوَادِ وَمَنْبَعُ الْفَوَائِدِ، لِلْهَيْثَمِيِّ: ٢١٣/٧، حَدِيثٌ رَقْمُ (١١٩٢٤).

(٢) خُطْبُ الرَّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدِ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٠٦، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٠٨). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مَسْنَدِ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ: ١٦٣/٣٧، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٢٤٩٣)، وَالسُّنَنِ الْكُبْرَى، لِلنَّسَائِيِّ، التَّغْلِيظُ فِي الدِّينِ: ٨٧/٦، حَدِيثٌ رَقْمُ (٦٢٣٧)، وَالْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ، لِلْحَاكِمِ، كِتَابُ النُّبُوعِ: ٢٩/٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٢١٢).

(٣) خُطْبُ الرَّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدِ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٩٣-٢٩٦، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٤٣). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مَسْنَدِ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مَسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ: ١٤٣/١٣-١٤٦، حَدِيثٌ رَقْمُ (٧٧١٧)، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ (بِاخْتِصَارٍ)، لِمُسْلِمٍ، بَابُ آخِرِ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا: ١٧٤/١، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٨٧)، وَصَحِيحُ ابْنِ حَبَانَ، لِابْنِ =

٣. صورة التركيب الإنشائي الذي خَرَجَ إلى معنى التعجب^(٢):

أ. مِنْ أمثلة الاستفهام الذي خرج إلى معنى التعجب: ما جاء في إكرام الوالدين يوم القيامة جرّاء قراءة ابنهما في الدنيا للقرآن: "...؛ فَإِنْ كَانَ أَبَوَاهُ مُسْلِمَيْنِ كُسِيَا حُلَّةً خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؛ فَيَقُولَانِ: أُنَى هَذِهِ لَنَا؟ فَيَقَالُ: بِمَا كَانَ وَلَدُكُمَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ" (٣).

ب. وَمِنْ أمثلة الاستفهام -أيضاً- الذي خرج إلى معنى التعجب ما جاء في إحدى خطب النبي ﷺ مُحَذِّرًا الْمُسْلِمِينَ فَتَنَةِ الدَّجَالِ: "... ... قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ،..." (٤).

ت. وَمِنْ أمثلة الدعاء بلفظ (وَيْلَكَ) وَ(وَيْلِكَ) الذي خرج إلى معنى التعجب ما جاء في خطبة طويلة للنبي ﷺ يحذر فيها من الدجال: "... ... فَجَلَسُوا فِي أَقْرَبِ (٥) السَّفِينَةِ، فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرَةِ الشَّعْرِ، قَالُوا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَتْ: أَنَا الْجَسَاسَةُ... ... قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبْرِي... ...؛ فَلَقَيْتُنَا دَابَّةً

حبان، يَكُرُّ الإِخْبَارَ عَنْ وَصْفِ خَالَةٍ آخِرٍ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِمَّنْ أُخْرِجَ مِنَ النَّارِ: ٤٥٠/١٦، حديث رقم (٧٤٢٩)، والمعجم الكبير، للطبراني: ٣٦٠/٩، حديث رقم (٩٧٦٣)، والمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ، لِلْحَاكِمِ، كتاب الأهوال: ٦٣٢/٤، حديث رقم (٨٧٥١).

(١) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر الأنباري: ٣٢١/١ (فَصْلٌ: قَوْلُهُمْ: أُمْتَعَ اللَّهُ بِكَ)، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي: ١٢٥٦ (بَابُ الْهَاءِ: فَصْلُ الْبَاءِ)، وتاج العروس، للزبيدي: ٥٥٢/٣٦ (وَوَه).

(٢) لَمْ أَحْسِبْ هَذَا النُّوعَ مِنَ التَّرَاكِيِبِ ضَمْنَ الْعَدَدِ الَّذِي أَحْصَيْتُهُ لِتَرَكَيبِ التَّعْجِبِ فِي كِتَابِ خُطَبِ الرُّسُولِ ﷺ؛ وَذَلِكَ لِمَا سَبَقَ تَعْلِيلُهُ؛ وَهُوَ أَنَّ هَذَا النُّوعَ مِنَ التَّرَاكِيِبِ لَمْ يَدَلَّ عَلَى التَّعْجِبِ بِالْوَضْعِ بَلْ بِالْقَرِينَةِ؛ فَهِيَ أَلْفَاظُ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى التَّعْجِبِ أَوْ يُفْهَمُ مِنْ مَعْنَاهَا التَّعْجِبُ، وَاكْتَفَيْتُ بِإِحْصَاءِ صَيَغِ التَّعْجِبِ الْقِيَاسِيَةِ وَغَيْرِ الْقِيَاسِيَةِ، وَهَاتَانِ الصِّيغَتَانِ هُمَا الْمُعْتَمَدَتَانِ فِي كُتُبِ عُلَمَائِنَا النُّحَاةِ الْأَوَّلِ. كَمَا أَنَّ التَّرَاكِيِبَ الْإِنْشَائِيَّةَ الطَّلِبِيَّةَ كَالِاسْتِفْهَامِ الَّتِي خَرَجْتُ إِلَى مَعْنَى التَّعْجِبِ قَدْ تَمَّتْ دِرَاسَتُهَا فِي الْفَصْلِ السَّابِقِ. وَأَمَّا التَّرَاكِيِبُ الْإِنْشَائِيَّةُ غَيْرُ الطَّلِبِيَّةِ كَالِدَعَاءِ الَّتِي خَرَجَ إِلَى مَعْنَى التَّعْجِبِ فَسَيَتِمُّ دِرَاسَتُهَا -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- فِي هَذَا الْفَصْلِ.

(٣) خُطَبُ الرُّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٧٧-٧٨، خُطْبَةٌ رَقْمُ (١٤٦). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ، لِلطَّبْرَانِيِّ، حَدِيثُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدٍ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غُنْمٍ: ٧٢/٢٠، حَدِيثُ رَقْمُ (١٣٦).

(٤) خُطَبُ الرُّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٧٩-٢٨١، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٣٠). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ قِصَةِ الْجَسَاسَةِ: ٢٢٦٢/٤، حَدِيثُ رَقْمُ (٢٩٤٢)، وَسُنَنُ أَبِي دَاوُدَ، لِأَبِي دَاوُدَ، بَابُ فِي خَبَرِ الْجَسَاسَةِ: ١١٨/٤، حَدِيثُ رَقْمُ (٤٣٢٦).

(٥) أَقْرَبُ: جَمْعُ قَارِبٍ، عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، وَأَقْرَبُ السَّفِينَةِ: أَدْنَاهَا؛ أَيُّ: مَا قَارَبَ الْأَرْضَ مِنْهَا. وَقِيلَ: هِيَ صِغَارُ السَّفِينِ. انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض: ١٧٦/٢ (قَرَب)، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: ٣٥/٤ (قَرَب)، وتاج العروس، للزبيدي: ١٨/٤ (قَرَب).

أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهَا مِنْ دُبُرِهَا مِنْ كَثَرَةِ الشَّعْرِ فَقُلْنَا: وَتِلْكَ مَا أَنْتِ؟،
فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟، فَقَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ
فَإِنَّهُ إِلَى خَبْرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا وَفَرَعْنَا مِنْهَا وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ
شَيْطَانَةً، (١).

ث. وَمِنْ أَمْثَلَةِ الدَّعَاءِ - أَيْضًا - الَّذِي خَرَجَ إِلَى مَعْنَى التَّعَجُّبِ بِلَفْظِ (وَيْحَكَ): مَا جَاءَ
عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا
مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَيْهِ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ
مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا
تَتَعَوَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ:
وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلْجُهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللَّهِ،
وَالْأَبْوَابُ الْمُفْتَحَةُ مَحَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي
مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ" (٢).

سابعًا: نماذج تحليلية لتراكيب التعجب الواردة في كتاب خطب الرسول ﷺ

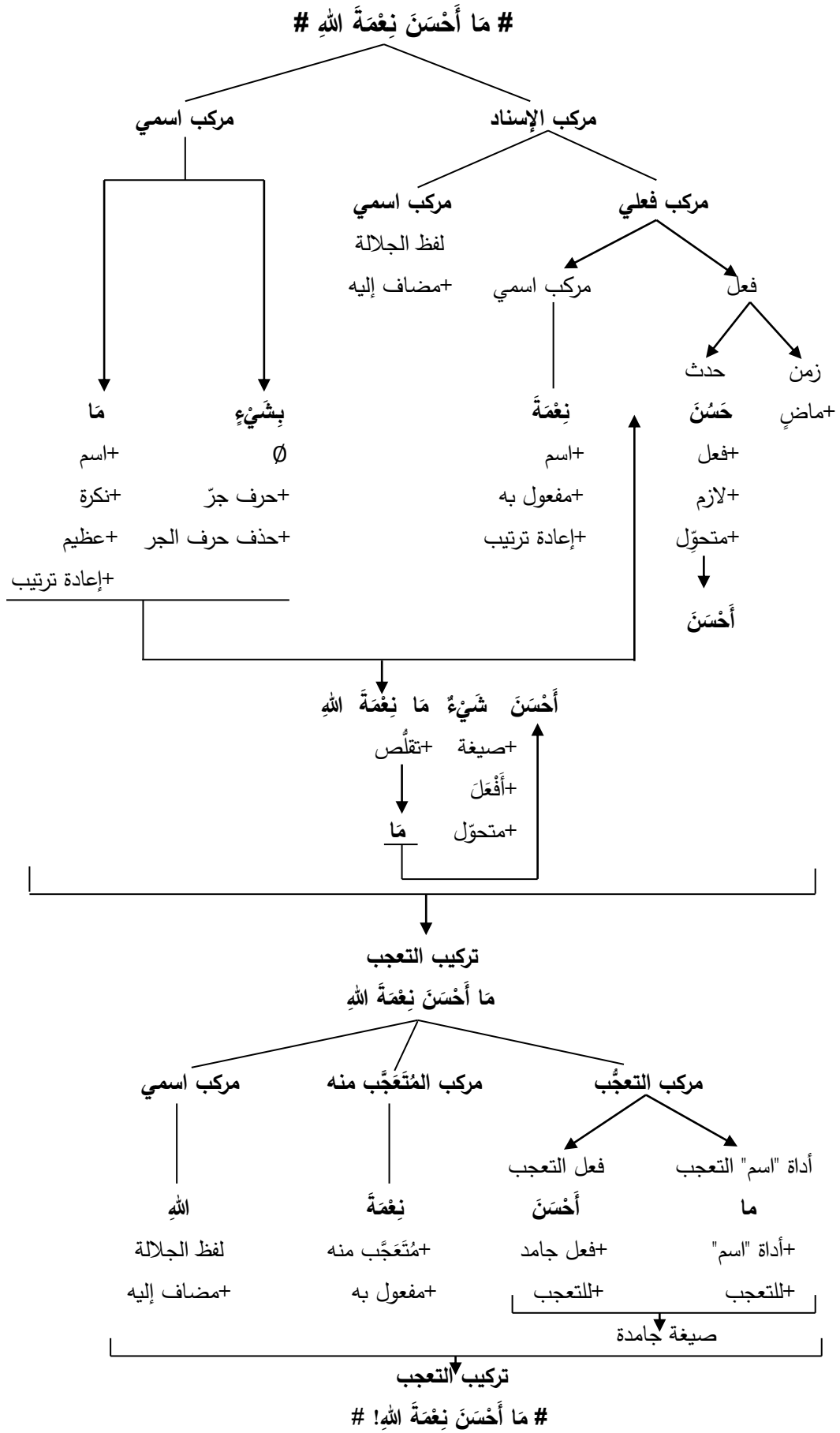
١. نموذج تحليلي لتراكيب التعجب بصيغته القياسية (ما أَفْعَلْ):

لَمْ يَرِدْ -كَمَا ذَكَرْتُ- صيغة (أَفْعَلْ بِهِ)، إِنَّمَا وَرَدَ تَرْكِيبَانِ بصيغة (ما أَفْعَلْ)؛ لِذَا سَيَكْتَفِي
الْبَاحِثُ بِتَحْلِيلِ تَرْكِيبٍ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَهُوَ: "... مَا أَحْسَنَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ..." (٣).

(١) سَبَقَ تَخْرِيجَ الْحَدِيثِ، ص: ٢٥٧، حَاشِيَةٌ (٢)، وَهِيَ خُطْبَةٌ رَقْم (٥٣٠).

(٢) خُطْبُ الرُّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٢٤، خُطْبَةٌ رَقْم (٤٤١). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مَسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ
ابْنِ حَنْبَلٍ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ: ١٨١/٢٩-١٨٢، حَدِيثٌ رَقْم (١٧٦٣٤)،
وَالسُّنَّةُ، لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ، بَابُ مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَوَى الْمَرْءِ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ: ١٤/١، حَدِيثٌ رَقْم
(١٩)، وَشُعَبُ الْإِيمَانِ، لِلْبَيْهَقِيِّ، فَضْلٌ فِي الطَّبْعِ عَلَى الْقَلْبِ أَوْ الرُّيْنِ: ٣٨٠/٩، حَدِيثٌ رَقْم (٦٨٢١).

(٣) سَبَقَ تَخْرِيجَ الْحَدِيثِ، ص: ٣٧١، حَاشِيَةٌ (١)، وَهِيَ خُطْبَةٌ رَقْم (٢٨).



تَمَّ تحويلُ التركيب السابق مِنَ البِنْيَةِ العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف الإجباري:

حذف حرف الجر (الباء) من مركب الجار والمجرور (بِشَيْءٍ) في المركب الاسمي؛ وذلك ليحصل التناسب مع الصيغة الجديدة (أَحْسَنَ) الْمُتَحَوِّلَةُ مِنَ الفعل الماضي (حَسَنَ).

٢. إعادة الترتيب (التبادل):

وَقَعَ تَبَاذُلُ المواقع بين المركب الاسمي (شَيْءٌ مَا) والمركب الاسمي (نِعْمَةٌ)، بَعْدَ تَحَوُّلِ الفِعْلِ (حَسَنَ) إِلَى الصيغة الجديدة (أَحْسَنَ)؛ فَصَارَ المركب الاسمي (شَيْءٌ مَا) فَاعِلًا، والمركب الاسمي (نِعْمَةٌ) مفعولًا به.

٣. التقديم:

تَقَدَّمَ مركب "الاسم" الأداة (ما) إِلَى بؤرة الجملة؛ فَتَحَوَّلَتِ الصيغة إِلَى مركب التعجب (ما أَحْسَنَ).

٤. التَّقْلُصُّ والاختصار:

تَقْلُصَ المركب الاسمي (شَيْءٌ مَا) إِلَى مركب الأداة (ما).

٥. الإحلال والتعويض:

أ. حَلَّ تركيب (أَحْسَنَ شَيْءٌ مَا نِعْمَةً اللَّهُ) محلَّ المركب الفعلي (حَسَنَ نِعْمَةً اللَّهُ بِشَيْءٍ مَا).

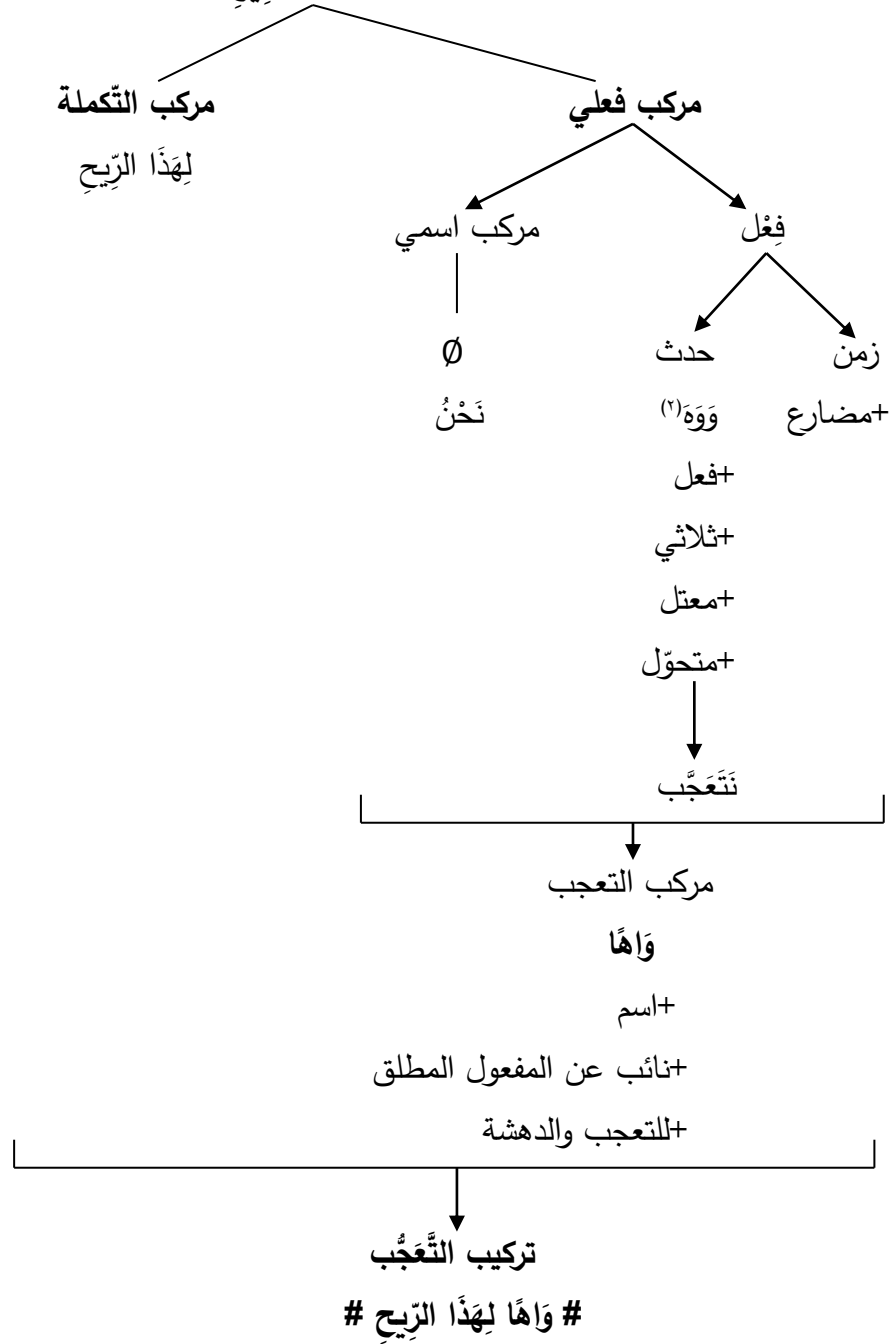
ب. حَلَّ تركيبُ التعجب -المُكوَّن من مركب التعجب (مَا أَحْسَنَ) وَمِنْ مُرَكَّبِ الْمُتَعَجَّبِ مِنْهُ (نِعْمَةً) - محلَّ تركيب (أَحْسَنَ شَيْءٌ مَا نِعْمَةً اللَّهُ).

ت. حَلَّتْ صيغة (أَحْسَنَ) محلَّ الفعل الماضي (حَسَنَ). كَمَا حَلَّتْ صيغة (مَا أَحْسَنَ) محلَّ صيغة (أَحْسَنَ شَيْءٌ مَا).

٢. نموذج تحليلي لتركيب التعجب بصيغة غير القياسية:

"... فَيَسْتَبْشِرُونَ لِرِيحِهِ فَيَقُولُونَ: وَاهَا لِهَذَا الرِّيحِ، هَذَا رِيحُ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ عَلَيَّيْنِ" ^(١).

وَاهَا لِهَذَا الرِّيحِ



^(١) سبق تخريج الحديث، ص: ٣٧١، حاشية (٣)، وهي خطبة رقم (٥٤٣).

^(٢) قال الجوهري: "وَوَهْ: إذا تَعَجَّبْتَ مِنْ طَيِّبِ الشَّيْءِ قُلْتَ: وَاهَا لَهُ مَا أَطْيَبُهُ!". الصحاح، للجوهري: ٢٢٥٧/٦

(وَوَهْ)، وانظر: تاج العروس، للزبيدي: ٥٥٢/٣٦ (وَوَهْ).

تَمَّ تحويلُ التركيب السابق مِنَ البِنْيَةِ العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف الإجباري:

أ. حُذِفَ المركب الفعلي الدَّالٌّ على التعجب وهو (نَتَّعَجَبُ).

ب. حُذِفَ المركب الاسمي وهو الضمير (نَحْنُ).

٢. الزيادة والإضافة:

تَمَّ زيادة المركب التعجب (وَاهَا) للدلالة على التعجب.

٣. الإحلال:

حَلَّ مركب التعجب (وَاهَا) محلَّ المركب الفعلي (نَتَّعَجَبُ) بجميع عناصره؛ ليبدل على

التعجب والدهشة.

٤. التقلُّص والاختصار:

تَقَلَّصَ المركب الفعلي (نَتَّعَجَبُ) بجميع مكوناته إلى مركب التعجب (وَاهَا).

المبحث الثاني تركيب القسم

أولاً: (القسم) لغةً واصطلاحاً

(القسم) لغةً: اليمين والحلف، ويُجمع على أقسام، يُقال: أقسم يُقسم إقساماً وقسامَةً إذا حلف^(١).

(القسم) اصطلاحاً: هو يمين يُقسم به المتكلم لتأكيد كلامه، قال ابن جني: "القسم ضرب من الخبر يُذكر ليؤكد به خبر آخر"^(٢)، ويقصد بالخبر الجملة الفعلية أو الاسمية. وعرفه ابن سيده قائلاً: "هو يمين يُقسم بها الحالف؛ ليؤكد بها شيئاً يُخبر عنه من إيجاب أو جحد، وهو جملة يؤكد بها جملة أخرى"^(٣)؛ فغاية القسم تأكيد الخبر في نفس المخاطب وتقويته، قال سيبويه: "اعلم أن القسم توكيد لكلامك"^(٤).

ثانياً: أركان تركيب القسم في اللغة العربية

ما دام القسم نوعاً من الخبر؛ فذلك لأنه جملة فعلية من فعلٍ وفاعلٍ، مثل: (حلفت بالله أن أنصر الحق)، أو اسمية من مبتدأ وخبرٍ، مثل: (عليّ عهد الله أن أنصر الحق)^(٥).

ولتركيب القسم في اللغة العربية ثلاثة أركان، وهي: (حرف القسم)، و(المقسم به)، و(الجملة المؤكدة عليه)^(٦)، قال المبرد: "واعلم أن القسم لا يقع إلا على مقسم به، ومقسم عليه"^(٧)؛ "فالجملة المؤكدة هي المقسم عليه، والجملة المؤكدة هي القسم. والاسم الذي يدخل عليه حرف القسم هو المقسم به، مثال ذلك: (أحلف بالله أن زيداً قائم)؛ فقولك: (أن زيداً قائم) هي الجملة المقسم عليها،

(١) انظر: العين، للخليل بن أحمد: ٨٦/٥ (باب القاف والسين والميم معهما)، والمحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده: ٢٤٧/٦ (قسم)، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: ٦٢/٤ (قسم)، وتاج العروس، للزبيدي: ٢٧١/٣٣ (قسم).

(٢) اللّمع في العربية، لابن جني: ١٨٣.

(٣) المخصص، لابن سيده: ٧١/٤ (باب حروف الإضافة إلى المخلوف به وسقوطها).

(٤) الكتاب، لسيبويه: ١٠٤/٣.

(٥) انظر: توجيه اللّمع، لابن الخباز: ٤٧٤.

(٦) انظر: الكتاب، لسيبويه: ١٠٤/٣ و ٤٩٩-٥٠٣ و ٢١٧/٤، والمقتضب، للمبرد: ٢٢٨/١ و ١١/٢ و ٣٣٦-٣١٨/٢ و ١٣-١١/٣، والأصول في النحو، لابن السراج: ٤٢٣/١ و ٤٣٠-٤٣٦، واللّمع في العربية، لابن جني: ١٨٣-١٨٧ و ٢٢٥، وشرح المفصل، لابن يعيش: ٩٤/٥ و ٩٦-٩٤/٥ و ٢٦٤-٢٤٨/٥، وتسهيل الفوائد، لابن مالك: ١٥٤-١٥٠، وشرح التسهيل، لابن مالك: ١٩٥-٢٢٠.

(٧) المقتضب، للمبرد: ٣٣٦/٢.

وقولك: (أَخْلَفُ بِاللَّهِ) هُوَ الْقَسَمُ الَّذِي أَكَّدْتَ بِهِ أَنَّ زَيْدًا قَائِمٌ، وَالْمُقْسَمُ بِهِ اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَذَلِكَ كُلُّ اسْمٍ ذُكِرَ فِي قَسَمٍ لَتَعْظِيمِ الْمُقْسَمِ بِهِ فَهُوَ الْمُقْسَمُ بِهِ^(١)، فَلَوْ قُلْتَ: (وَاللَّهِ لَأَجْتَهَدَنَّ) فَالْوَاوُ: حَرْفُ الْقَسَمِ، وَلَفْظُ الْجَلَالَةِ: الْمُقْسَمُ بِهِ، وَحَرْفُ الْقَسَمِ وَالْمُقْسَمُ بِهِ يُمَثِّلَانِ جُمْلَةَ الْقَسَمِ، وَتُسَمَّى جُمْلَةُ الْقَسَمِ الْجُمْلَةُ الْمُؤَكَّدَةُ. وَ(لَأَجْتَهَدَنَّ): الْمُقْسَمُ عَلَيْهِ وَهِيَ تُمَثِّلُ جَوَابَ الْقَسَمِ، وَجَوَابُ الْقَسَمِ يُسَمَّى الْجُمْلَةُ الْمُؤَكَّدَةُ.

أَمَّا الْجُمْلَةُ الْمُؤَكَّدَةُ "جُمْلَةُ الْقَسَمِ" فَتَكُونُ بِالْفِعْلِ، نَحْوُ: (أَخْلَفُ، أَقْسِمُ، ...)، أَوْ بِأَسْمَاءٍ مَعِينَةٍ، نَحْوُ: (يَمِينُ اللَّهِ، لَعَمْرِي، لَعَمْرُكَ، ...)، أَوْ بِحَرْفِ الْقَسَمِ مَعَ الْمُقْسَمِ بِهِ، نَحْوُ: (وَاللَّهِ، بِاللَّهِ، تَاللَّهِ). أَمَّا الْجُمْلَةُ الْمُؤَكَّدَةُ فَهِيَ جَوَابُ الْقَسَمِ "الْمُقْسَمُ عَلَيْهِ".

أنواع القَسَمِ:

يُقْسَمُ الْقَسَمُ مِنْ حَيْثُ الصَّرِيحُ وَعَدَمُهُ إِلَى نَوْعَيْنِ: (صَّرِيحٍ) وَ(غَيْرِ صَّرِيحٍ)، وَكِلَاهُمَا جُمْلَةٌ فَعْلِيَّةٌ أَوْ اسْمِيَّةٌ؛ فَالْقَسَمُ الصَّرِيحُ: مَا يُعْلَمُ بِمَجْرَدِ لَفْظِهِ كَوْنِ النَّاظِقِ بِهِ مُقْسِمًا؛ أَيْ: هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي يَكُونُ اسْتِعْمَالُهُ خَاصًّا فِي الْقَسَمِ، حَيْثُ يَسْتَدَلُّ عَلَيْهِ إِمَّا بِحَرْفِ الْقَسَمِ، مِثْلُ: (وَاللَّهِ)، وَإِمَّا بِالْفِعْلِ، نَحْوُ (أَقْسِمُ)، وَإِمَّا بِالْحَرْفِ وَالْفِعْلِ مَعًا، نَحْوُ: (أَخْلَفُ بِاللَّهِ)، وَإِمَّا بِالْحَرْفِ وَالْإِسْمِ مَعًا، نَحْوُ: (أَنَا حَالِفٌ بِاللَّهِ)، وَإِمَّا بِلَفْظٍ مِنَ أَلْفَاظِ الْقَسَمِ، نَحْوُ: (لَعَمْرُ اللَّهِ)، وَ(أَيْمُنُ اللَّهِ)، وَ(أَيْمُ اللَّهِ)^(٢). وَالْقَسَمُ غَيْرُ الصَّرِيحِ: مَا لَيْسَ كَذَلِكَ؛ أَيْ: مَا يَكُونُ اسْتِعْمَالُهُ كَثِيرًا فِي غَيْرِ الْقَسَمِ، نَحْوُ: (عَلَيَّ عَهْدُ اللَّهِ)، وَ(فِي ذِمَّتِي مِيثَاقٌ)، وَ(فِي عُنُقِي)، وَ(عَهْدُ اللَّهِ لَأَجْتَهَدَنَّ)؛ فَلَيْسَ بِمَجْرَدِ النُّطْقِ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ يَعْلَمُ كَوْنَهُ قَسَمًا، بَلْ بِقَرِينَةٍ كَذِكْرِ جَوَابِ بَعْدَهُ، نَحْوُ: (عَلَيَّ عَهْدُ اللَّهِ لَأَنْصُرَنَّ دِينَهُ)، وَ(فِي ذِمَّتِي مِيثَاقُ اللَّهِ - تَعَالَى - لَا أُعِينُ ظَالِمًا)^(٣)؛ فَالْقَسَمُ غَيْرُ الصَّرِيحِ لَا يُفْهَمُ مِنْهُ الْقَسَمُ إِلَّا بِقَرِينَةٍ كَذِكْرِ جَوَابِ الْقَسَمِ أَوْ ذِكْرِ الْمُقْسَمِ عَلَيْهِ، وَكَثِيرًا مَا تَدَلُّ عَلَيْهِ اللَّامُ الْوَاقِعَةُ فِي جَوَابِ الْقَسَمِ، مِثْلُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٤)، وَ(لَتَكُنَّ بَيْنَ وَاجِبِكَ)، قَالَ سَيَبُويهِ: "وَسَأَلْتُهُ - يَعْنِي الْخَلِيلَ - عَنْ قَوْلِ: (لَتَفْعَلَنَّ) إِذَا جَاءَتْ مُبْتَدَأَةً لَيْسَ قَبْلَهَا مَا يُخْلَفُ بِهِ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا جَاءَتْ عَلَى نِيَّةِ الْيَمِينِ وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِالْمَحْلُوفِ بِهِ"^(٥).

ثالثًا: أحرف القَسَمِ

أحرف القَسَمِ فِي الْعَرَبِيَّةِ أَرْبَعَةٌ، وَهِيَ:

(١) المخصص، لابن سيده: ٧١/٤ (بَابُ حُرُوفِ الْإِضَافَةِ إِلَى الْمَحْلُوفِ بِهِ وَسُقُوطِهَا).

(٢) انظر: شرح التسهيل، لابن مالك: ١٩٥/٣.

(٣) انظر: السابق: ١٩٥/٣.

(٤) سورة الأحزاب: ٢١.

(٥) الكتاب، لسيبويه: ١٠٦/٣.

١. الباء:

هي أصلُ أحرفِ القسمِ، تَدْخُلُ على كُلِّ مُقْسَمٍ بِهِ ظَاهِرًا كَانَ أَوْ مُضْمَرًا؛ فالظاهرُ نَحْوُ قَوْلِكَ: (بِاللَّهِ أَقُومَنَّ)، والمُضْمَرُ نَحْوُ قَوْلِكَ: (بِهِ لَأَنْطَلِقَنَّ)^(١)، وتُسْتَعْمَلُ الباءُ في القسمِ الاستعطافيِّ وهو المؤكِّدُ لِجُمْلَةٍ طَلَبِيَّةٍ، نَحْوُ: (بِاللَّهِ هَلْ قَامَ زَيْدٌ؟)؛ أَي: (أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ مُسْتَحْلِفًا)، وغير الاستعطافيِّ وهو المؤكِّدُ لِجُمْلَةٍ خَبَرِيَّةٍ، نَحْوُ: (بِاللَّهِ لَتَفْعَلَنَّ)^(٢).

٢. الواو:

هي أكثرُ أحرفِ القسمِ استعمالًا، ثُمَّ تَأْتِي (الباءُ) في المرتبة الثانية مِنْ حَيْثُ الاستعمالُ^(٣)، وَوَاوُ الْقَسَمِ بَدَلٌ مِنَ الْبَاءِ، وَأَبْدَلْتُ لَأَنَّهَا مِنَ الشَّقَةِ مِثْلُهَا^(٤)؛ فَهِيَ تَشْبِهُهَا مَخْرَجًا وَمَعْنَى^(٥).

وَتَدْخُلُ الْوَاوُ عَلَى الْمُظْهَرِ دُونَ الْمُضْمَرِ، كَقَوْلِكَ: (وَاللَّهِ لَأَذْهَبَنَّ)^(٦)، قَالَ الْمُرَادِي: "الْبَاءُ لِلإِلصَاقِ، وَالْوَاوُ لِلْجَمْعِ. وَاسْتَدَلُّوا عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ الْمُضْمَرَ لَا تَدْخُلُ عَلَيْهِ الْوَاوُ؛ لِأَنَّ الإِضْمَارَ يَزِيدُ الْأَشْيَاءَ إِلَى أَصُولِهَا"^(٧).

٣. التاء:

هي حَرْفُ قَسَمٍ بِمَنْزِلَةِ الْوَاوِ، تَقُولُ: (تَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ)^(٨)، وَالتَّاءُ بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ وَفِيهَا زِيَادَةٌ مَعْنَى التَّعَجُّبِ^(٩).

وَتَخْتَصُّ التَّاءُ بِالدَّخُولِ عَلَى الْأَسْمِ الْكَرِيمِ (اللَّهُ) وَحْدَهُ، فَلَا تَدْخُلُ إِلَّا عَلَيْهِ، تَقُولُ: (تَاللَّهِ لَأَزْكِبَنَّ)^(١٠)، وَنَحْوُ: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾^(١١)، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ سَيَبَوِيهِ: "التَّاءُ لَا تَدْخُلُ إِلَّا فِي وَاحِدٍ"^(١٢)؛ أَي: لَفْظِ الْجَلَالَةِ.

(١) انظر: الأصول في النحو، لابن السراج: ٤٣٠/١، واللُّمَعُ في العربية، لابن جني: ١٨٣، ومغني اللبيب، لابن هشام: ١٤٣، وهمع الهوامع، للسيوطي: ٤٧٧/٢.

(٢) انظر: شرح المُفَصَّل، لابن يعيش: ٢٥٨/٥، ومغني اللبيب، لابن هشام: ١٤٣، وشرح التصريح، للوقاد: ٦٤٨/١، وهمع الهوامع، للسيوطي: ٤٧٧/٢.

(٣) انظر: الكتاب، لسيبويه: ٤٩٦/٣، والأصول في النحو، لابن السراج: ٤٣٠/١، وشرح المُفَصَّل، لابن يعيش: ٢٥٨/٥، وهمع الهوامع، للسيوطي: ٤٧٩/٢-٤٨٠.

(٤) انظر: الأصول في النحو، لابن السراج: ٤٢٣/١، واللُّمَعُ في العربية، لابن جني: ١٨٣.

(٥) انظر: الجني الداني، للمرادي: ١٥٤.

(٦) انظر: اللُّمَعُ في العربية، لابن جني: ١٨٤.

(٧) الجني الداني، للمرادي: ١٥٤.

(٨) الكتاب، لسيبويه: ٢١٧/٤.

(٩) مغني اللبيب، لابن هشام: ١٥٧.

وَأَنَّ "الأصلَ فِي هَذَا كُلِّهِ (أَحْلَفَ بِاللَّهِ) فَحُذِفَ الْفِعْلُ تَخْفِيفًا. وَمِنْ الْعَرَبِ مَنْ يَجُرُّ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ مَعَ حَذْفِ حَرْفِ الْجَرِّ، فَيَقُولُ: (اللَّهُ لِأَقْوَمَنْ)؛ وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِمْ هَذَا الْاسْمَ" (٤).

وأجاز الأخفش دخول التاء على (الرَّبِّ)؛ قالوا: (تَرَبَّ الكَعْبَةُ) (٥)، ووافقهُ ابنُ هشامٍ لكنّه حصَّ دخولها على (الرَّبِّ) بِأَنَّ يُضَافَ إِلَى (الكَعْبَةِ): (تَرَبَّ الكَعْبَةُ)، أو يُضَافُ إِلَى ياء المتكلم: (تَرَبِّي لِأَفْعَلَنْ) (٦)، وَعَدَّ ذَلِكَ الْمَرَادِيَّ شاذًّا حيثُ قال: "وليس كذلك؛ لأنه قد جاء عنهم: (تَرَبِّي)، وحكى بعضهم أنهم قالوا: (تَالرَّحْمَنِ)، وَ(تَحَيَاتِكَ)، وذلك شاذٌّ" (٧)، وكذلك عَدَّهَا السِّيَوطِيُّ فقال: "وَشَدَّتْ -أي: التاء- فِي (الرَّحْمَنِ)، وَ(رَبِّ الكَعْبَةِ)، وَ(رَبِّي)، وَ(حَيَاتِكَ)" (٨).

٤. اللام:

حَرْفٌ قَسَمٌ يَلْزَمُهُ فِيهِ مَعْنَى التَّعَجُّبِ، نَحْوُ: (لَلَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ)، وَ(لَلَّهِ لَا يُؤَخَّرُ الْأَجَلَ) (٩)، وَكَقَوْلِنَا: (لَلَّهِ لَا يَنْجُو الْمُنَافِقُ)؛ لِذَا قَالَ أَبُو حَيَّانَ: "اللامُ فِي الْقَسَمِ بَابُهَا التَّعَجُّبُ" (١٠)، وَ"تَخْتَصُّ بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى" (١١)، وَيُلْحَظُ أَنَّ اسْتِعْمَالَ (اللام) لِلْقَسَمِ أَقَلُّ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْأَحْرَفِ السَّابِقَةِ (الباء، والواو، والتاء).

رابعًا: جُمْلَةُ جَوَابِ الْقَسَمِ (الْمُقَسَّمُ عَلَيْهِ)

تَبَيَّنَ أَنَّ تَرْكِيبَ الْقَسَمِ يَتَكَوَّنُ مِنْ جُمْلَتَيْنِ، الْأُولَى: جُمْلَةُ الْقَسَمِ الْمَكُونَةِ مِنْ (حَرْفِ الْقَسَمِ وَالْمُقَسَّمِ بِهِ) وَهِيَ الْجُمْلَةُ الْمُؤَكَّدَةُ، وَالثَّانِيَّةُ: جُمْلَةُ جَوَابِ الْقَسَمِ الْمَكُونَةِ مِنْ (الْمُقَسَّمِ عَلَيْهِ)، وَهِيَ الْجُمْلَةُ الْمُؤَكَّدَةُ.

(١) انظر: اللامات، للزجاجي: ٨٣، واللَّع في العربية، لابن جني: ١٨، وهمع الهوامع، للسيوطي: ٤٧٩/٢.

(٢) سورة الأنبياء: ٥٧.

(٣) الكتاب، لسيبويه: ٤٩٦/٣.

(٤) اللَّع في العربية، لابن جني: ١٨٥.

(٥) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٥٧.

(٦) انظر: أوضح المسالك، لابن هشام: ١٧/٣.

(٧) الجنى الداني، للمرادي: ٥٧.

(٨) همع الهوامع، للسيوطي: ٤٧٩/٢.

(٩) انظر: المقتضب، للمبرد: ٣٢٤/٢، والأصول في النحو، لابن السراج: ٤٣٠/١، والمفصل، للزمخشري:

٤٨٤، والجنى الداني، للمرادي: ٩٧، وهمع الهوامع، للسيوطي: ٤٧٩/٢.

(١٠) التذييل والتكميل، لأبي حيان الأندلسي: ١٧٤/١١.

(١١) شرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٧٩/٢.

وَقَدْ تَكُونُ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَّةُ (جَوَابُ الْقَسَمِ) جُمْلَةً إِنشَائِيَّةً طَلْبِيَّةً، وَيُسَمَّى الْقَسَمُ (الْقَسَمُ الاستعطافي)، وهذه الجملة لا تحتاج لزيادة شيء عليها، مثل: (بِاللَّهِ هَلْ حَضَرَ زَيْدٌ؟)؛ أي: (أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ مُسْتَحْلِفًا). وَقَدْ يَكُونُ جَوَابُ الْقَسَمِ جُمْلَةً خَبَرِيَّةً وَيُسَمَّى الْقَسَمُ (الْقَسَمُ غَيْرُ الاستعطافي)، مثل: (بِاللَّهِ لَتَكْتُبَنَّ)، وَإِنَّ جَوَابَ الْقَسَمِ غَيْرُ الاستعطافي يَتَطَلَّبُ إِدْخَالَ بَعْضِ الزِّيَادَةِ عَلَى جُمْلَتِهِ، وَهِيَ^(١):

أ. إِنْ كَانَ جَوَابُ الْقَسَمِ جُمْلَةً فَعَلِيَّةً فَعُلُّهَا مَاضٍ مُتَصَرِّفٌ مُثَبَّتٌ فَإِنَّ الْكَثِيرَ الْفَصِيحَ اقْتِرَانُهَا بِ(اللام) و(قَدْ) مَعًا، نَحْوُ: (وَاللَّهِ لَقَدْ أَجَادَ الْخَطِيبُ فِي خُطْبَتِهِ)، وَيَجُوزُ -عَلَى قِلَّةٍ- الْاِقْتِصَارُ عَلَى أَحَدِهِمَا، أَوِ التَّجَرُّدُ مِنْهُمَا. وَتُسَمَّى هَذِهِ اللَّامُ الْمَفْتُوحَةُ: لَامُ جَوَابِ الْقَسَمِ، أَوِ الدَّاخِلَةُ عَلَى جَوَابِ الْقَسَمِ.

ب. إِنْ كَانَ جَوَابُ الْقَسَمِ فِعْلًا مَاضِيًا غَيْرَ مُتَصَرِّفٍ فَالْكَثِيرُ الْفَصِيحُ اقْتِرَانُهُ بِ(اللام) فَقَطْ؛ نَحْوُ: (وَاللَّهِ لَنَعْمَ الْمَرْءُ الصَّادِقُ)، إِلَّا الْفِعْلُ (لَيْسَ) فَلَا يَقْتَرَنُ بِشَيْءٍ، نَحْوُ: (وَاللَّهِ لَيَسَبِّ الْعَبْرَةُ بِالْبَدَايَاتِ إِنَّمَا بِالْخَوَاتِيمِ).

ت. إِنْ كَانَ جَوَابُ الْقَسَمِ فِعْلًا مَاضِيًا غَيْرَ مُثَبَّتٍ لَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ شَيْءٌ إِلَّا حَرْفٌ مِنْ أَحْرَفِ النَّفْيِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي يَكْثُرُ دُخُولُهَا عَلَى الْجَوَابِ الْمُنْفِيِّ، وَهِيَ: (مَا، لَا، إِنْ)، نَحْوُ: (وَاللَّهِ مَا صَافَحْتُ الْعَدُوَّ).

ث. إِنْ كَانَ الْجَوَابُ جُمْلَةً فَعَلِيَّةً فَعُلُّهَا مُضَارِعٌ مُثَبَّتٌ، فَالْأَغْلَبُ الْأَقْوَى اقْتِرَانُ الْمُضَارِعِ بِ(اللام) و(نون التوكيد) مَعًا؛ مِثْلُ: (تَاللَّهِ لَنُجَاهِدَنَّ)، وَيَجُوزُ الْاِقْتِصَارُ عَلَى أَحَدِهِمَا مَعَ قِلَّتِهِ.

ج. إِنْ كَانَ الْجَوَابُ جُمْلَةً فَعَلِيَّةً فَعُلُّهَا مُضَارِعٌ مُنْفِيٌّ لَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ شَيْءٌ إِلَّا أَحَدُ أَحْرَفِ النَّفْيِ (مَا، لَا، إِنْ)، الَّتِي يَكْثُرُ دُخُولُهَا عَلَى الْجَوَابِ الْمُنْفِيِّ، مِثْلُ: (وَاللَّهِ لَا أَسَاعِدُ الظَّالِمَ).

ح. إِنْ كَانَ الْجَوَابُ جُمْلَةً اِسْمِيَّةً مُثَبَّتَةً، فَالْأَحْسَنُ اقْتِرَانُهُ بِالْحَرْفَيْنِ مَعًا: (إِنَّ) و(لَامُ الْاِبْتِدَاءِ فِي خَبَرِهَا)، مِثْلُ: (تَاللَّهِ إِنَّ الْحُبَّ فِي اللَّهِ لَاؤْتَقُ عَزَى الْإِيمَانِ). وَيَجُوزُ الْاِقْتِصَارُ عَلَى أَحَدِهِمَا.

خ. إِنْ كَانَ الْجَوَابُ جُمْلَةً اِسْمِيَّةً مُنْفِيَّةً لَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ إِلَّا حَرْفٌ نَفْيٍ فِي أَوَّلِهِ، وَهِيَ الْأَحْرَفُ (مَا، لَا، إِنْ)، نَحْوُ: (وَاللَّهِ مَا هَذِهِ الْأَخْلَاقُ بِأَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ)، و(تَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْأَخْلَاقُ بِأَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ).

(١) انظر: النحو الوافي، لِعَبَّاسِ حَسَنِ: ٤٩٩/٢-٥٠١.

خامساً: اجتماع القسم والشرط

إذا اجتمع قسم وشرط في تركيب حذف جواب المتأخر منهما؛ لدلالة جواب المتقدم عليه، قال المرادي: "إذا اجتمع الشرط والقسم حذف جواب المتأخر منهما؛ استغناءً بجواب المتقدم، مثال تقدم الشرط: (إِنْ قَامَ زَيْدٌ وَاللَّهُ أَكْرَمُهُ)، ومثال تقدم القسم: (وَاللَّهُ إِنْ قَامَ زَيْدٌ لَأُكْرِمَنَّهُ)"^(١)، حيث حذف في الجملة الأولى جواب القسم لتأخيره؛ فاستغني بجواب الشرط لتقدمه، وحذف في الجملة الثانية جواب الشرط لتأخيره؛ فاستغني بجواب القسم لتقدمه.

لكن هذا الأمر إذا لم يتقدم على القسم والشرط ذو خبر، والمراد بذو خبر: "ما يطلب خبراً، من مبتدأ أو اسم كان ونحوه"^(٢)؛ فإن تقدم ذو خبر عليهما كان "الجواب للشرط مطلقاً، وحذف جواب القسم، سواء تقدم أو تأخر، مثل: (زَيْدٌ وَاللَّهُ إِنْ يَغْمُ يُكْرِمُكَ)، و(زَيْدٌ إِنْ يَغْمُ وَاللَّهُ يُكْرِمُكَ)؛ فجواب القسم محذوف في المثالين؛ استغناءً بجواب الشرط"^(٣)؛ لذا جزم الفعل في الجواب.

سادساً: تركيب القسم في المفهوم التحويلي

يتكون تركيب القسم - في المفهوم التحويلي - من قسمين، وهما^(٤):

١. **مُرَكَّبُ التَّوَكِيدِ**: وهو ما ذُكِرَ - سابقاً - أنه (حرف القسم والمقسم به)؛ أي: هي جُمْلَةُ القسم "المؤكدّة". أمّا بالنسبة للمقسم به "فإنّه لا يزيد على كونه عنصر توكيد يُحوّل الجملة التي يدخل عليها إلى جملة مؤكدة في بابها الأصل (اسمية أو فعلية). وأمّا الحركة على الاسم المقسم به (الكسرة) فإنها حركة اقتضاء وليس بآثر من عامل، فقد أقرّ النحاة أنّ هذه الحروف ليست مختصة؛ لذا فإنها لا تعمل، لكنهم احتاجوا لتبرير الحركة على آخر الاسم المقسم به"^(٥)؛ يُسْتَنْبَطُ مِنْ ذَلِكَ "أنّ حرف القسم في المفهوم التحويلي أداة توكيد وليس حرف جرّ، ومن ثمّ ليس له مُتَعَلِّقٌ"^(٦).
٢. **مُرَكَّبُ الْمُؤَكَّدِ**: وهو ما ذُكِرَ أنه (المقسم عليه)؛ أي: هو جواب القسم "الجملة المؤكدة"، قال د. عمايرة: "وأما ما يُسمّى جملة جواب القسم (المقسم عليه) فإنّه - دائماً - يُمِثِّلُ

(١) توضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ١٢٨٩/٣. وانظر: شرح المكوّدي على الألفية، للمكوّدي: ٢٩٣.

(٢) شرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٤١٣/٢.

(٣) انظر: توضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ١٢٨٩/٣.

(٤) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ١٩٦.

(٥) في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل أحمد عمايرة: ٢٤٨-٢٤٩.

(٦) القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ١٩٦.

نقطة هامة يُراد توكيدها^(١)؛ فَيُطْلَقُ عَلَى جوابِ الْقَسَمِ - في المفهوم التحويلي - مُرَكَّبُ الْمُؤَكَّدِ، وَقَدْ سُمِّيَتْ فِي عُرْفِ النُّحَاةِ قَبْلًا (الْجُمْلَةُ الْمُؤَكَّدَةُ).

سابعًا: تراكييب الْقَسَمِ الْوَارِدَةِ فِي كِتَابِ خُطَبِ الرَّسُولِ ﷺ

يُعَدُّ تَرْكِيبُ الْقَسَمِ فِي كِتَابِ خُطَبِ الرَّسُولِ ﷺ أَكْبَرُ التَّرَاكِيبِ الْإِنْشَائِيَّةِ غَيْرِ الطَّلْبِيَّةِ وَرُودًا، فَقَدْ بَلَغَتْ تَرَكَيبُ الْقَسَمِ فِي هَذِهِ الْخُطَبِ (مِائَةً وَخَمْسَةً وَعِشْرِينَ) تَرْكِيبًا، مِنْهَا: (ثَلَاثَةٌ وَتِسْعُونَ) تَرْكِيبًا بِـ(الْوَاوِ)^(٢) وَهُوَ أَكْثَرُهَا اسْتِعْمَالًا، وَ(سِتَّةُ) تَرَكَيبِ بِحَرْفِ الْقَسَمِ (الْبَاءِ)^(٣)، وَ(أَحَدُ عَشَرَ) تَرْكِيبًا بِالْأَسْمِ (عَمْرُ)^(٤)، وَ(تِسْعَةُ) تَرَكَيبِ بِحَذْفِ جُمْلَةِ الْقَسَمِ^(٥)؛ أَيْ: حَذْفُ حَرْفِ الْقَسَمِ وَالْمُقْسَمِ بِهِ مَعًا، وَ(ثَلَاثَةُ) تَرَكَيبِ بِالْفِعْلِ (أُقْسِمُ)^(٦)، وَ(ثَلَاثَةُ) تَرَكَيبِ بِالْأَسْمِ (إِنِّمُ اللَّهُ)^(٧). وَلَمْ يَرِدْ فِي هَذِهِ الْخُطَبِ الْقَسَمُ بِحَرْفِ (التَّاءِ) وَلَا حَرْفِ (الْلامِ).

يُبَيِّنُ الْجَدْوَلُ الْآتِي كَلِمَاتِ الْقَسَمِ الْوَارِدَةِ فِي كِتَابِ خُطَبِ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ الْأَكْثَرِ إِلَى الْأَقَلِّ

اسْتِخْدَامًا:

م	كَلِمَةُ الْقَسَمِ	عَدَدُ الْإِسْتِخْدَامِ
١	حَرْفُ الْقَسَمِ (الْوَاوِ)	٩٣
٢	اسْمٌ دَالٌّ عَلَى الْقَسَمِ (عَمْرُ)	١١
٣	مَحْذُوفُ جُمْلَةِ الْقَسَمِ	٩
٤	حَرْفُ الْقَسَمِ (الْبَاءِ)	٦
٥	اسْمٌ دَالٌّ عَلَى الْقَسَمِ (إِنِّمُ اللَّهُ)	٣
٦	فِعْلٌ دَالٌّ عَلَى الْقَسَمِ (أُقْسِمُ)	٣
٧	حَرْفُ الْقَسَمِ (التَّاءِ)	-

(١) في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل أحمد عمايرة: ٢٤٩.

(٢) انظر مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٦٢): ٣٦ فِيهَا ثَلَاثَةُ مَوَاضِعَ، وَخُطْبَةٌ (٢٤٧): ١٢٤-١٢٥، وَخُطْبَةٌ (١٩): ١٥-١٦، وَخُطْبَةٌ (٤٥٧): ٢٣٦-٢٣٧، وَخُطْبَةٌ (١٦٧): ٨٦-٨٧، وَخُطْبَةٌ (٢٢٧): ١١٥، وَخُطْبَةٌ (٤٥٥): ٢٣٤-٢٣٦ فِيهَا مَوْضِعَانِ، وَخُطْبَةٌ (٤٧٤): ٢٤٦-٢٤٧، وَخُطْبَةٌ (٢٩٤): ١٤٩ فِيهَا سِتَّةُ مَوَاضِعَ، وَخُطْبَةٌ (٥٤٣): ٢٩٣-٢٩٦ فِيهَا ثَلَاثَةُ مَوَاضِعَ.

(٣) هُمَا خُطْبَتَانِ: خُطْبَةٌ رَقْمُ (١٤٠): ٧٤-٧٥ فِيهَا خَمْسَةُ مَوَاضِعَ، وَخُطْبَةٌ (٥٢٥): ٢٧٢.

(٤) هُمَا خُطْبَتَانِ: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٣٨): ٢٨٧-٢٩٠ فِيهَا عَشْرَةُ مَوَاضِعَ، لَكِنَّهُ حَدِيثٌ مُكَّرَّرٌ ضَعِيفٌ، وَخُطْبَةٌ (٥٦٩): ٣١١-٣١٢.

(٥) هِيَ خُطْبَةٌ رَقْمُ (١٦٣): ٨٤-٨٥ فِيهَا سِتَّةُ مَوَاضِعَ، وَخُطْبَةٌ (٢٤٣): ١٢٣ فِيهَا ثَلَاثَةُ مَوَاضِعَ.

(٦) هُمَا خُطْبَتَانِ: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٨٢): ٤٤-٤٥ فِيهَا مَوْضِعَانِ، وَخُطْبَةٌ (٥٢٥): ٢٧٢.

(٧) هِيَ: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٩٦): ٥٢-٥٣، وَخُطْبَةٌ (٤٥٥): ٢٣٤-٢٣٦، وَخُطْبَةٌ (٤٧٤): ٢٤٦-٢٤٧.

٨	حرف القسم (اللام)	-
	المجموع	١٢٥

ثامناً: عَرَضُ لِنَمَازِجِ الْقَسَمِ الْوَارِدَةِ فِي كِتَابِ خُطْبِ الرَّسُولِ ﷺ

١. تركيب القسم بحرف (الواو)، ومن شواهد:

أ. تركيب القسم (وَاللَّهِ):

١. رَأَى مَا عَزَّ بَنُ مَالِكٍ؛ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ خَطِيباً فَقَالَ: "أَكَلَمَا نَفَرْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَلَفَ

أَحَدُهُمْ لَهُ نَبِيبٌ كَنِيْبِ التَّيْسِ يَمْنَحُ إِحْدَاهُنَّ الْكُتْبَةَ مِنَ اللَّبَنِ؟ وَاللَّهِ لَا أَقْدِرُ عَلَى أَحَدِهِمْ إِلَّا نَكَلْتُ بِهِ"^(١). والشاهد: (وَاللَّهِ).

٢. عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا، فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ

عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: "إِنِّي فَرَطُ لَكُمْ، وَإِنِّي شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى الْحَوْضِ، أَلَا وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا"^(٢). والشاهد: (وَاللَّهِ) حيثُ تكررت مرتين.

٣. مَا رَوْنَهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- حَيْثُ قَالَتْ: لَمَّا ذُكِرَ مِنْ شَأْنِي

الَّذِي ذُكِرَ، وَمَا عَلِمْتُ بِهِ، قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيَّ خَطِيبًا، وَمَا عَلِمْتُ بِهِ، فَتَشَهَّدَ، فَحَمَدَ اللَّهَ ﷻ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا بَعْدُ، أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي نَاسٍ أَبْنُوا أَهْلِي"^(٣)، ... وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَطُّ"^(٤).

٤. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَجَاءَتْهُ

وَفُودٌ هَوَازِنَ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، ... ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ، وَتَعَلَّقَ بِهِ النَّاسُ يَقُولُونَ: اقْسِمُ عَلَيْنَا فَيُنَازِلُنَا بَيْنَنَا، حَتَّى أَلْجَأُوهُ إِلَى سَمَرَةٍ فَخَطَفَتْ رِدَاءَهُ، فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا

(١) سَبَقَ تَخْرِيجَ الْحَدِيثِ، ص: ٢٥٨، حَاشِيَةُ (٣)، وَهِيَ خُطْبَةُ رَقْم (٢٤٧).

(٢) خُطْبُ الرِّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٤٥، خُطْبَةُ رَقْم (٤٧١). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ،

لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ: ٥٧٨/٢٨، حَدِيثُ رَقْم (١٧٣٤٤).

(٣) أَيُّ: اتَّهَمُوا أَهْلَ بَيْتِي وَرَمَوْهُمْ بِخَلَّةِ سُوءٍ، فَالْمُتَّهَمُ آبِنٌ، وَالْمُتَّهَمُ مَأْبُونٌ، يُقَالُ: أَبْنَةُ يَأْبُنُهُ وَيَأْبُنُهُ بضم الباء وكسرهما. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: ١٧/١ (أَبْنٌ)، ولسان العرب، لابن منظور: ٣/١٣ (أَبْنٌ).

(٤) سَبَقَ تَخْرِيجَ الْحَدِيثِ، ص: ٢٦٥، حَاشِيَةُ (٣)، وَهِيَ خُطْبَةُ رَقْم (٤٥٥).

النَّاسُ، رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي، فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ لَكُمْ بَعْدِي شَجَرٌ تَهَامَةٌ نَعَمْ لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تُلْفُونِي بِخِيَلٍ وَلَا جَبَانًا وَلَا كَذُوبًا...^(١). والشاهد: (فَوَاللَّهِ).

٥. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: اشْتَكَى عَلِيًّا النَّاسُ، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِينَا حَاطِبًا، فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: "أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَشْكُوا عَلِيًّا، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَخْشَنُ فِي ذَاتِ اللَّهِ، أَوْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"^(٢). والشاهد: (فَوَاللَّهِ).

ب. تركيب القسم (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ)^(٣):

١. عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْأَثْبَةِ عَلَى صَدَقَةٍ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِي لِي، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ - فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ - فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَتْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: "مَا بَالُ عَامِلٍ أَنْبَعْتُهُ فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِي لِي؟ فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرَ أَيُّهُدَى لَهُ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَأْتِي بِشَيْءٍ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ،..."^(٤). والشاهد: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ).

٢. حُطِبَتْهُ ﷺ فِي مَذْحِ الْأَنْصَارِ: "يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، مَا مَقَالَةٌ بَلَّغْتَنِي عَنْكُمْ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكَتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ،..."^(٥).

٣. رَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْ عَبْدٍ يُصَلِّي الصَّلَاةَ الْخَمْسَ، وَيَصُومُ رَمَضَانَ، وَيُخْرِجُ الزَّكَاةَ،

(١) حُطِبَ الرِّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٥-١٦، حُطْبَةٌ رَقْمُ (١٩). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدِ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ: ٣٤٠/١١، حَدِيثُ رَقْمُ (٦٧٢٩)، وَالشُّنَنُ الْكُبْرَى، لِلنَّسَائِيِّ، هَيْبَةُ الْمَشَاعِ: ١٧٧/٦، حَدِيثُ رَقْمُ (٦٤٨٢).

(٢) سَبَقَ تَخْرِيجُ الْحَدِيثِ، ص: ٣٢٠، حَاشِيَةُ (٢)، وَهِيَ حُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٩٩).

(٣) (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ): "أَيُّ": (وَحَقَّقَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ): (الْوَاوُ): حَرْفُ قَسَمٍ. (وَالَّذِي) مَعَ صَلَاتِهِ وَعَائِدِهِ مُقَسَّمٌ بِهِ. (وَنَفْسِي): مُبْتَدَأٌ، (وَبِيَدِهِ): فِي مَحَلِّ الْخَبَرِ، وَبِهِ يَتَعَلَّقُ حَرْفُ الْجَرِّ. وَجَوَابُ الْقَسَمِ: (لَأَقْضِيَنَّ). انظر: الْعُدَّةُ فِي إِعْرَابِ الْعُمْدَةِ، لِابْنِ فَرُخُونٍ: ٣/٣٣٠.

(٤) سَبَقَ تَخْرِيجُ الْحَدِيثِ، ص: ٢٥٩، حَاشِيَةُ (٢)، وَهِيَ حُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٧).

(٥) حُطِبَ الرِّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٣٢، حُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٥). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدِ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: ٢٥٣-٢٥٥، حَدِيثُ رَقْمُ (١١٧٣٠)، وَصَحِيحُ مُسْلِمَ، لِمُسْلِمَ، بَابُ إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصْبِرُ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ: ٧٣٥/٢، حَدِيثُ رَقْمُ (١٠٥٩).

وَيَجْتَنِبُ الْكِبَائِرَ السَّبْعَ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ؛ فَعِيلَ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ^(١).

ت. تركيب القَسَم (وَجَلَّالِ اللَّهِ)، و(وَعِزَّةِ اللَّهِ):

١. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا كَانَ آخِرُ الزَّمَانِ صَارَتْ أُمَّتِي ثَلَاثَ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ يَعْبُدُونَ اللَّهَ خَالِصًا، وَفِرْقَةٌ يَعْبُدُونَ اللَّهَ رِيَاءً، وَفِرْقَةٌ يَعْبُدُونَ اللَّهَ يَسْتَأْكِلُونَ بِهِ النَّاسَ، فَإِذَا جَمَعَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ لِلَّذِي يَسْتَأْكِلُ النَّاسَ: بِعِزَّتِي وَجَلَّالِي مَا أَرَدْتُ بِعِبَادَتِي؟ قَالَ: وَعِزَّتِكَ وَجَلَّالِكَ أَسْتَأْكِلُ بِهِ النَّاسَ. قَالَ: لَمْ يَنْفَعَكَ مَا جَمَعْتَ شَيْئًا تَلْجَأُ إِلَيْهِ، انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى النَّارِ، ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي كَانَ يَعْبُدُهُ رِيَاءً: بِعِزَّتِي وَجَلَّالِي مَا أَرَدْتُ بِعِبَادَتِي؟ قَالَ: بِعِزَّتِكَ وَجَلَّالِكَ رِيَاءَ النَّاسِ. قَالَ: لَمْ يَصْعَدْ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ، انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ لِلَّذِي كَانَ يَعْبُدُهُ خَالِصًا: بِعِزَّتِي وَجَلَّالِي مَا أَرَدْتُ بِعِبَادَتِي؟ قَالَ: بِعِزَّتِكَ وَجَلَّالِكَ أَنْتَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنِّي، أَرَدْتُ بِهِ ذِكْرَكَ وَوَجْهَكَ. قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ^(٢).

٢. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي آخِرِ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا: "... ... فَيَقُولُ: رَبِّ أَعْطِنِي ذَلِكَ الْمَنْزِلَ، فَيَقُولُ لَهُ: لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَه تَسْأَلُ غَيْرَهُ؛ فَيَقُولُ: لَا، وَعِزَّتِكَ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ،"^(٣). والشاهد: (وَعِزَّتِكَ).

٢. تركيب القَسَم بحرف (الباء):

(١) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٥٤، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٩٨). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: السُّنَنِ الْكُبْرَى، لِلنَّسَائِيِّ، وَجُوبُ الزَّكَاةِ: ٦/٣، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٢٣٠)، وَالْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ، لِلْحَاكِمِ، بَابُ فَضْلِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ: ٣١٦/١، حَدِيثٌ رَقْمُ (٧١٩).

(٢) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٧٤-٧٥، خُطْبَةٌ رَقْمُ (١٤٠). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ، لِلطَّبْرَانِيِّ، مِنْ اسْمِهِ مُحَمَّدٌ: ٢٠٩/٥، حَدِيثٌ رَقْمُ (٥١٠٥)، وَشُعَبُ الْإِيمَانِ، لِلْبَيْهَقِيِّ، بَابٌ فِي إِخْلَاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ ﷻ وَتَرْكِ الرِّيَاءِ: ١٣٨/٩، حَدِيثٌ رَقْمُ (٦٣٨٩).

(٣) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٩٣-٢٩٦، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٤٣). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدِ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ: ١٤٣/١٣-١٤٦، حَدِيثٌ رَقْمُ (٧٧١٧)، وَصَحِيحُ مُسْلِمَ (بِاخْتِصَارٍ)، لِمُسْلِمَ، بَابُ آخِرِ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا: ١٧٤/١، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٨٧)، وَصَحِيحُ ابْنِ حَبَانَ، لِابْنِ حَبَانَ، يَكْزُرُ الْإِخْبَارَ عَنْ وَصْفِ حَالَةِ آخِرِ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِمَّنْ أُخْرِجَ مِنَ النَّارِ: ٤٥٠/١٦، حَدِيثٌ رَقْمُ (٧٤٢٩)، وَالْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ، لِلطَّبْرَانِيِّ: ٣٥٧/٩، حَدِيثٌ رَقْمُ (٩٧٦٣)، وَالْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ، لِلْحَاكِمِ، كِتَابُ الْأَهْوَالِ: ٦٣٢/٤، حَدِيثٌ رَقْمُ (٨٧٥١).

أ. عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِشَهْرٍ: "أُقْسِمُ بِاللَّهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنُفُوسَةٍ الْيَوْمَ يَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ وَهِيَ حَيَّةٌ يَوْمَئِذٍ"^(١). حَيْثُ وَرَدَ الْفِعْلُ (أُقْسِمُ) وَحَرْفُ (الْبَاءِ) مَعًا؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْقَسَمِ.

ب. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا كَانَ آخِرُ الزَّمَانِ صَارَتْ أُمَّتِي ثَلَاثَ فِرَقٍ:، قَالَ لِلَّذِي يَسْتَأْكُلُ النَّاسَ: بِعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا أَرَدْتُ بِعِبَادَتِي؟ ... ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي كَانَ يَعْبُدُهُ رِيَاءً: بِعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا أَرَدْتُ بِعِبَادَتِي؟ قَالَ: بِعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ رِيَاءَ النَّاسِ، ... ثُمَّ يَقُولُ لِلَّذِي كَانَ يَعْبُدُهُ خَالِصًا: بِعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا أَرَدْتُ بِعِبَادَتِي؟ قَالَ: بِعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ أَنْتَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنِّي، أَرَدْتُ بِهِ ذِكْرَكَ وَوَجْهَكَ، ..."^(٢). وَالشَّاهِدُ: (بِعِزَّتِي) تَكَرَّرَتْ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، وَ(بِعِزَّتِكَ) تَكَرَّرَتْ مَرَّتَيْنِ.

٣. تَرْكِيبُ الْقَسَمِ بِالْأَسْمِ الدَّالِّ عَلَى الْقَسَمِ:

ت. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "... أَنْفِذُوا بَعَثَ أَسَامَةَ" وَكَرَّرَ ذَلِكَ ثَلَاثًا "فَلَعَمْرِي لَنْ قُلْتُمْ فِي إِمَارَتِهِ لَقَدْ قُلْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَخَلِيقٌ لِلْإِمَارَةِ..."^(٣). وَالشَّاهِدُ: (فَلَعَمْرِي).

ث. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي تَحْذِيرِهِ مِنَ الْفِتَنِ: "... .. وَأَيْنُمُ اللَّهُ، لَقَدْ رَأَيْتُمْ مُنْذُ قُمْتُ أُصْلِي مَا أَنْتُمْ لَأَقُونَ فِي أَمْرِ دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا، آخِرُهُمُ الْأَعْوَرُ الدَّجَالُ، مَمْسُوحُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، ..."^(٤). وَالشَّاهِدُ: (وَأَيْنُمُ اللَّهُ).

ج. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي خُطْبَتِهِ يَوْمَ حَادِثَةِ الْإِفْكِ: "أَمَّا بَعْدُ، أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي نَاسٍ أَبْنَوْا أَهْلِي، وَأَيْنُمُ اللَّهُ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي سُوءًا قَطُّ، وَأَبْنَوْهُمْ بِمَنْ؟ ..."^(٥).

٤. تَرْكِيبُ الْقَسَمِ بِالْفِعْلِ الدَّالِّ عَلَى الْقَسَمِ:

(١) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٧٢، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٢٥). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ قَوْلِهِ ﷺ: "لَا تَأْتِي مِائَةُ سَنَةٍ وَعَلَى الْأَرْضِ نَفْسٌ مَنُفُوسَةٌ الْيَوْمَ": ١٩٦٦/٤، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٥٣٨).

(٢) سَبَقَ تَخْرِيجُ الْحَدِيثِ، ص: ٣٨٨، حَاشِيَةُ (٢)، وَهِيَ خُطْبَةٌ رَقْمُ (١٤٠).

(٣) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٣١١-٣١٢، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٦٩). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ "سِيَرَةُ ابْنِ هِشَامٍ"، لِابْنِ هِشَامٍ: ٦٥٠/٢، وَصَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، لِلْبُخَارِيِّ، بَابُ غَزْوَةِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ: ١٤١/٥، حَدِيثٌ رَقْمُ (٤٢٥٠)، وَصَحِيحِ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ فُضَائِلِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ: ١٨٨٤/٤، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٤٢٦)، وَالرُّؤُوسُ الْأَنْفُ، لِلْسَّهْلِيِّ: ٥٧٠/٧، وَعَيُونُ الْأَثَرِ فِي فَنُونِ الْمَغَازِي وَالشَّمَائِلِ وَالسِّيَرِ، لِابْنِ سَيِّدِ النَّاسِ الْيَعْمَرِيِّ: ٤٠٦/٢.

(٤) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٥٢-٥٣، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٩٦). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مِنْ حَدِيثِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ: ٣٣/٣٤٦-٣٤٩، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٠١٧٧).

(٥) سَبَقَ تَخْرِيجُ الْحَدِيثِ، ص: ٢٦٥، حَاشِيَةُ (٣)، وَهِيَ خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٥٥).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: "لَا أُقْسِمُ، لَا أُقْسِمُ"^(١)، ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ: "أَبَشِّرُوا، مَنْ صَلَّى الصَّلَاةَ الْحَمْسَ، وَاجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ؛ دَخَلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ"^(٢). والشاهد: (أُقْسِمُ) وقد تكررت مرتين.

٥. تركيب القسم بحذف جملة القسم:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِيزَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَثْنَى عَلَى طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ لَا يُفْقَهُونَ جِيرَانَهُمْ، وَلَا يُعْلَمُونَهُمْ، وَلَا يَعِظُونَهُمْ، وَلَا يَأْمُرُونَهُمْ، وَلَا يَنْهَوْنَهُمْ، وَمَا بَالُ أَقْوَامٍ لَا يَتَعَلَّمُونَ مِنْ جِيرَانِهِمْ، وَلَا يَنْفَقَهُونَ، وَلَا يَتَعِظُونَ، وَاللَّهِ لَيُعْلِمَنَّ قَوْمٌ جِيرَانَهُمْ وَيَتَعِظُونَ وَيَنْفَقَهُونَ أَوْ لَأُعَاجِلَنَّهُمْ بِالْعُقُوبَةِ، ... لَيُعْلِمَنَّ قَوْمٌ جِيرَانَهُمْ، وَلَيَفْقَهُنَّهُمْ، وَلَيَعِظَنَّهُمْ، وَلَيَأْمُرَنَّهُمْ، وَلَيَنْهَوْنَهُمْ، وَلَيَتَعَلَّمَنَّ قَوْمٌ مِنْ جِيرَانِهِمْ، وَيَتَعِظُونَ، وَيَنْفَقَهُونَ، أَوْ لَأُعَاجِلَنَّهُمُ الْعُقُوبَةُ فِي الدُّنْيَا؛ ..."^(٣). والشاهد: (لَيُعْلِمَنَّ، وَلَيَفْقَهُنَّهُمْ، وَلَيَعِظَنَّهُمْ، وَلَيَأْمُرَنَّهُمْ، وَلَيَنْهَوْنَهُمْ، وَلَيَتَعَلَّمَنَّ).

تاسعاً: نماذج تحليلية لتراكيب القسم الواردة في كتاب خطب الرسول ﷺ

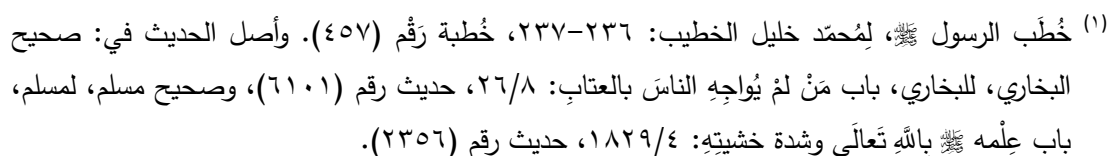
١. نموذج تحليلي لتركيب القسم بحرف (الواو):

(١) جمهور المفسرين على أن (لا) هنا: زائدة لتأكيد القسم؛ والمعنى: أُقْسِمُ. قال الخازن: "اتفقوا على أن المعنى (أُقْسِمُ)، واختلفوا في لفظ (لا) فقيل: إدخال لفظة (لا) على القسم مُستفيض في كلام العرب وأشعارهم". لباب التأويل، للخازن: ٣٦٩/٤. وقيل: إن (لا) نافية؛ فهي رَدٌّ لِكَلَامٍ أَنْكَرَهُ الْمُخَاطَبُ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتُ، أُقْسِمُ بِكَذَا... وَهَذَا قَوْلُ الْقَرَاءِ وَكَثِيرٌ مِنَ النُّحَوِيِّينَ. انظر: فتح القدير، للشوكاني: ٤٠٢/٥. وقال الطاهر ابن عاشور: "فَصِيغَةُ (لَا أُقْسِمُ) صِيغَةُ قَسَمٍ، أَدْخَلَ حَرْفَ النَّفْيِ عَلَى فِعْلِ (أُقْسِمُ) لِقَصْدِ الْمُبَالَغَةِ فِي تَحْقِيقِ حُرْمَةِ الْمُقْسَمِ بِهِ بِحَيْثُ يُوهَمُ لِلْسَامِعِ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ بِهِمْ أَنَّ يُقْسَمَ بِهِ ثُمَّ يَنْزُكُ الْقَسَمَ مَخَافَةَ الْحِنْثِ بِالْمُقْسَمِ بِهِ فَيَقُولُ: (لَا أُقْسِمُ بِهِ)؛ أَي: وَلَا أُقْسِمُ بِأَعَزِّ مِنْهُ عِنْدِي، وَذَلِكَ كِنَايَةً عَنْ تَأْكِيدِ الْقَسَمِ". التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور: ٣٣٨/٢٩.

(٢) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٤٤-٥٥، خُطْبَةُ رَقْم (٨٢). وأصل الحديث في: الترغيب والترهيب، للمنذري، كتابُ التَّزْهِيْبِ مِنَ الْفِرَارِ مِنَ الرَّحْفِ: ١٩٧/٢، حديث رقم (٢٠٨٦).

(٣) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٨٤-٨٥، خُطْبَةُ رَقْم (١٦٣). وأصل الحديث في: المعجم الكبير، للطبراني، حديثُ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْطَبٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: ٨/١٣، حديث رقم (٣)، والترغيب والترهيب، للمنذري، كتابُ الْعِلْمِ: الترغيبُ فِي الْعِلْمِ وَطَلَبِهِ وَتَعَلُّمِهِ: ٧١/١، حديث رقم (٢٠٤).

فَوَاللّٰهِ اِنِّيْ لَآعْلَمُهُمْ بِاللّٰهِ



تَمَّ تحويلُ التركيبِ السابقِ مِنَ البِنْيَةِ العميقة (أَنَا أَعْلَمُهُمْ) إِلَى البِنْيَةِ السطحية (قَوْلَ اللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ) عن طريقِ القواعدِ التحويلية الآتية:

١. الحذف الإجمالي:

أ. حُذِفَ المركب الاسمي (أَنَا) من المركب الاسمي الأول.

ب. حُذِفَ المركب الاسمي (الناس) من المركب الاسمي الثالث.

٢. الزيادة والإضافة:

أ. تَمَّ زيادة مركب القسم المكون مِنْ (سابقة، وحرف قَسَمٍ، ومقسم به) على الجملة

الاسمية المثبتة (أَنَا أَعْلَمُهُمْ)؛ وَمِنْ تَمَّ تَحَوُّلُ التركيب السابق مِنْ تركيب إخباري

مُنْبَتِّ إِلَى تركيب قَسَمٍ مُكَوَّنٍ مِنْ مَرْكَبِ الْقَسَمِ (قَوْلَ اللَّهِ)، وَمِنْ مَرْكَبِ الْمُقْسَمِ بِهِ (إِنِّي

لأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ).

ب. تَمَّ زيادة عنصري التوكيد (إِنَّ) و(اللام) على المركب الاسمي (أَنَا أَعْلَمُهُمْ).

٣. الإحلال والتعويض:

أ. حَلَّ الضمير (يَاء المتكلم) محلَّ الضمير المنفصل (أَنَا).

ب. حَلَّ الضمير (هُم) محلَّ المركب الاسمي الثالث (الناس).

ت. حَلَّ معنى التوكيد بِالْقَسَمِ محلَّ معنى الإخبار المحايد (أَنَا أَعْلَمُهُمْ)، بَعْدَ دخول

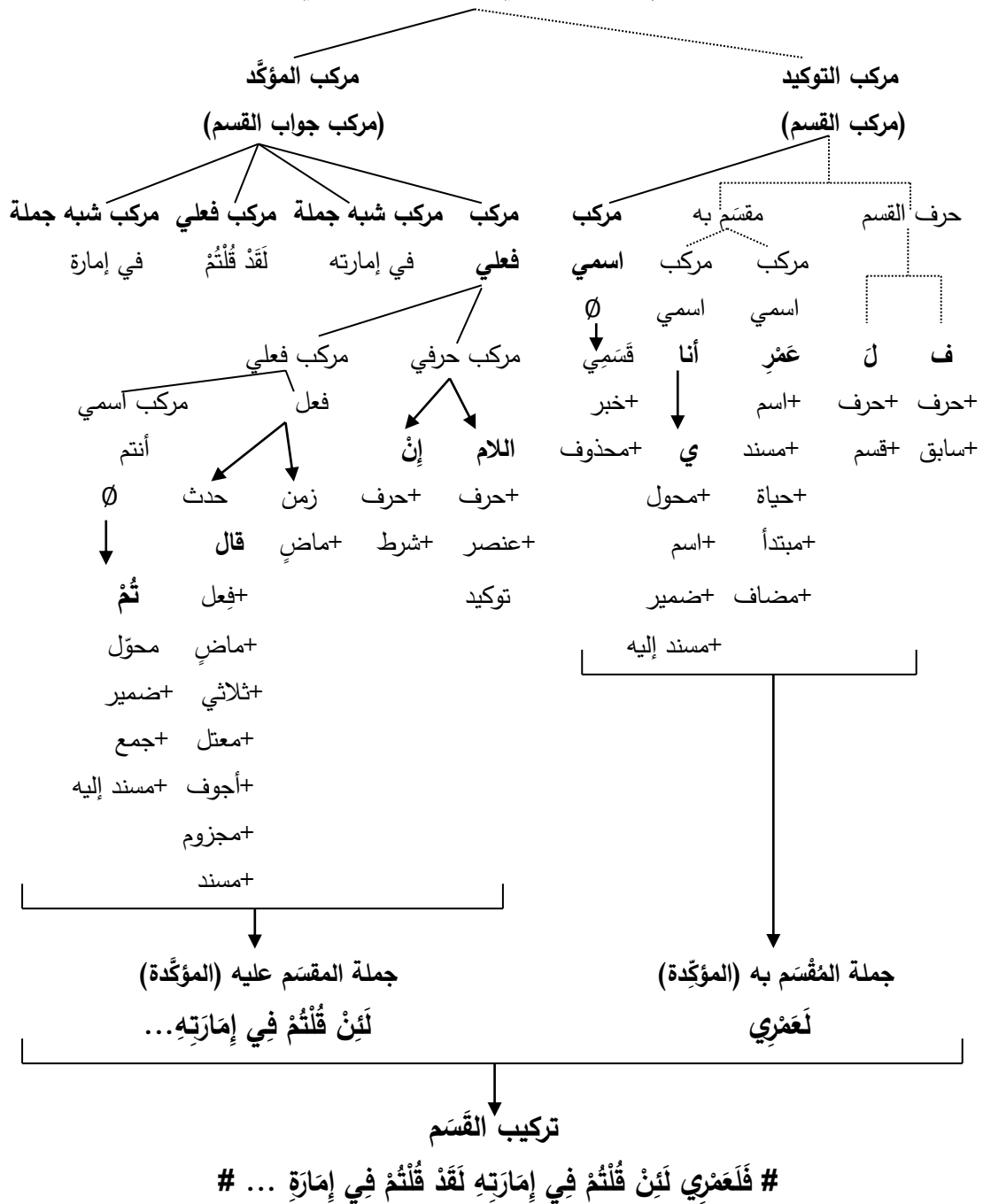
تركيب الْقَسَمِ (وَاللَّهِ) وعناصر التوكيد (إِنَّ) و(اللام) على المركب الاسمي (أَنَا

أَعْلَمُهُمْ).

٢. نموذج تحليلي لتركيب القسم بالاسم (عَمْرِي):

"أَنْفِذُوا بَعَثَ أَسَامَةَ؛ فَلَعَمْرِي لَنْ قُلْتُمْ فِي إِمَارَتِهِ لَقَدْ قُلْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ"^(١).

فَلَعَمْرِي لَنْ قُلْتُمْ فِي إِمَارَتِهِ لَقَدْ قُلْتُمْ فِي إِمَارَةِ ...



(١) سَبَقَ تَخْرِيجَ الْحَدِيثِ، ص: ٣٨٩، حَاشِيَةُ (٣)، وَهِيَ خُطْبَةُ رَقْم (٥٦٩).

تَمَّ تحويلُ التركيب السابق مِنَ البُنْيَةِ العميقة (قُلْتُمْ فِي إِمَارَتِهِ) إِلَى البُنْيَةِ السطحية (فَلَعَمْرِي) لِيُنْ قُلْتُمْ فِي إِمَارَتِهِ لَقَدْ قُلْتُمْ فِي إِمَارَةٍ... عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف الإجمالي:

- أ. حُذِفَ المركب الاسمي الثاني (أنا).
- ب. حُذِفَ المركب الاسمي الثالث (قَسَمِي).
- ت. حُذِفَ المركب الاسمي الرابع (أنتم).

٢. الزيادة والإضافة:

- أ. تَمَّ زيادةُ مركبِ القَسَمِ (جملة التوكيد) بجميع عناصره المكوَّنة مِنْ (سابقة: الفاء)، و(حرف قَسَمٍ: اللام)، و(مقسَم به: عَمْرِي) على الجملة الفعلية (قُلْتُمْ فِي إِمَارَتِهِ)؛ وَمِنْ تَمَّ تَحَوَّلَ التركيب السابق مِنْ تركيب الإخبار المحايد إِلَى تركيبِ قَسَمٍ مَكُونٍ مِنْ مَرْكَبِ القَسَمِ (فَلَعَمْرِي) ومركبِ المُقَسَمِ بِهِ (قُلْتُمْ فِي إِمَارَتِهِ).
- ب. تَمَّ زيادةُ عنصر التوكيد (اللام) على المركب الفعلي في جواب القسم (قُلْتُمْ فِي إِمَارَتِهِ).

٣. الإحلال والتعويض:

- أ. حَلَّ الضمير (ياء المتكلم) محلَّ الضمير المنفصل (أنا) في المركب الاسمي الثاني.
- ب. حَلَّ الضمير (تُمْ) محلَّ المركب الاسمي الرابع (أنتم).
- ت. حَلَّ معنى التوكيد بالقَسَمِ محلَّ معنى الإخبار المحايد (قُلْتُمْ فِي إِمَارَتِهِ)، بَعْدَ دخول تركيب القَسَمِ (فَلَعَمْرِي) وعنصر التوكيد (اللام) على المركب الفعلي (قُلْتُمْ فِي إِمَارَتِهِ)^(١).

^(١) زاد د. حسام البهناوي قاعدة (التقديم) في تحليله لمركبِ القَسَمِ (لَعَمْرُكَ مَا أَصَاغَ بَنُو زِيَادٍ...)، حيثُ عَدَّ مركبَ المُقَسَمِ بِهِ (لَعَمْرُكَ) قَدْ تَقَدَّمَ عَلَى مركبِ القَسَمِ المحذوف وجوبًا (قَسَمِي). انظر: القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، د. حسام البهناوي: ١٩٧.

وهذا تحليلٌ غير دقيق؛ لَأَنَّ مِنْ حالاتِ حَذْفِ الْخَبَرِ وجوبًا أَنْ يَكُونَ الْمَبْتَدَأُ نَصًّا صَرِيحًا فِي الْقَسَمِ، مِثْلُ: (عَمْرُ اللَّهِ، وَإِيْمُ اللَّهِ)؛ وَمِنْ تَمَّ فَإِنَّ تَرْكِيبَ (لَعَمْرُكَ) مُتَقَدِّمٌ - أَصْلًا - كَوْنَهُ مَبْتَدَأً، وَالْخَبَرُ (قَسَمِي) مَحْذُوفٌ وَجُوبًا.

... "وَأَيُّمُ اللَّهِ تَتَكَفَّأُ أُمَّتِي عَنْ دِينِهَا كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ فِي الْبَطْحَاءِ" (١).

[illegible]

۳۹۴

تَمَّ تحويلُ التركيب السابق مِنَ البِنْيَةِ العميقة (تُكْفَأُ أُمَّتِي) إِلَى البِنْيَةِ السطحية (وَإِنَّمَا اللَّهُ لَتُكْفَأُ أُمَّتِي) عَنْ طريقِ القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف الإجمالي:

أ. حُذِفَ المركب الاسمي الثالث (قَسَمِي).

ب. حُذِفَ المركب الاسمي الرابع (هُوَ).

ت. حُذِفَ المركب الاسمي الخامس (أَنَا).

٢. الزيادة والإضافة:

أ. تَمَّ زيادةُ مركبِ القَسَمِ (جملة التوكيد) بجميع عناصره المكوَّنة مِنْ (سابقة: الواو)، و(مقسَم به: إِنَّمَا اللَّهُ) عَلَى الجملة الفعلية (تُكْفَأُ أُمَّتِي)؛ فَتَحَوَّلَ التركيب السابق مِنْ تركيب الإخبار المحايد إِلَى تركيب قَسَمٍ مُكوَّنٍ مِنْ مركَّبِ القَسَمِ (وَإِنَّمَا اللَّهُ) ومركب المُقَسَمِ بِهِ (لَتُكْفَأُ أُمَّتِي).

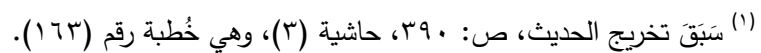
ب. تَمَّ زيادةُ عنصر التوكيد (اللام) عَلَى المركب الفعلي فِي جواب القسم (تُكْفَأُ أُمَّتِي).

٣. الإحلال والتعويض:

أ. حُلَّ الضمير (يَاءُ المتكلم) محلَّ الضمير المنفصل (أَنَا) فِي المركب الاسمي الخامس.

ب. حُلَّ معنى التوكيد بالقَسَمِ محلَّ معنى الإخبار المحايد (تُكْفَأُ أُمَّتِي)، بَعْدَ دخول تركيب القَسَمِ (وَإِنَّمَا اللَّهُ) وعنصر التوكيد (اللام) عَلَى المركب الفعلي (لَتُكْفَأُ أُمَّتِي).

"وَاللّٰهُ لَيَعْلَمَنَّ قَوْمَ حَبْرَانَهُمْ وَيَتَعَبَّوْنَ وَيَتَّقَهُوْنَ اَوْ لَاعَاجِلْنَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ، ... لَيَعْلَمَنَّ قَوْمَ حَبْرَانَهُمْ..."(١).



تَمَّ تحويلُ التركيب السابق مِنَ البِنْيَةِ العميقة (يُعْلَمُ قَوْمٌ جِيرَانُهُمْ) إِلَى البِنْيَةِ السطحية (لِيُعْلَمَنَّ قَوْمٌ جِيرَانُهُمْ) عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف:

حُذِفَ مركب القسم (مركب التوكيد) بِعُنْصُرَيْهِ: (حرف القسم: الواو) (والمقسَم به: الله) حَذْفًا اختياريًّا، وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا الحذفِ وجودُ مقتضيات القسم، وَهُمَا عنصرَا التوكيد: (اللام) و(نون التوكيد الثقيلة) فِي المركب الفعلي (لِيُعْلَمَنَّ) الواقع جوابًا لِلْقَسَمِ محذوف الحرف والمقسم به.

٢. الزيادة والإضافة^(١):

تَمَّ زيادة عُنْصُرِي التوكيد (اللام) و(النون الثقيلة) عَلَى المركب الفعلي فِي جواب القسم (لِيُعْلَمَنَّ).

٣. الإحلال والتعويض:

حَلَّ المركب الفعلي المقسم عليه (لِيُعْلَمَنَّ) المؤكد باللام والنون الثقيلة محل المركب الفعلي (يُعْلَمُونَ) غير المؤكد.

^(١) ذَكَرَ د. حمدان أبو عاصي فِي قاعدة (الزيادة) فِي أثناء تحليله لتركيب (لَأَمْدَحَنَّ بِمِدْحَةٍ مَذْكُورَةٍ أَهْلَ الْقَرْيَةِ) أَنَّهُ تَمَّ زيادة مركب القسم (وَاللَّهِ) عَلَى الجملة الفعلية (أَمْدَحُ بِمِدْحَةٍ). انظر: القواعد التحويلية فِي ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ٢٠٦.

لَكِنَّ الْأَصُوبَ أَلَّا يَذْكَرَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ مَرْكَبَ الْقَسَمِ (وَاللَّهِ) فِي مِثْلِ هَذِهِ التَّرَاكِبِ مَحْذُوفٌ أَصْلًا، يُفْهَمُ مِنْ سِيَاقِ الْجُمْلَةِ، وَقَدْ دَلَّتْ عَلَيْهِ (اللام) الْوَاقِعَةُ فِي جَوَابِ الْقَسَمِ؛ فزِيَادَةُ الْقَسَمِ -هُنَا- مَعْنَوِيَّةٌ لَا مَكْتُوبَةٌ وَلَا مَلْفُوظَةٌ، وَمِنْ تَمَّ تَكْفِي الْإِشَارَةِ لِهَذَا الْحَذْفِ فِي قَاعِدَةِ (الْحَذْفِ).

المبحث الثالث

تركيب المذح والذم

أولاً: (المذح والذم) لغةً واصطلاحاً

المذح والذم لغةً: (المذح) في اللغة الثناء والإشادة والإطراء، وهو نقيض الهجاء والذم، والمذحة اسم المديح، يقال: مَدَحْتُهُ وَاُمْتَدَحْتُهُ^(١). أمَّا (الذم) فهو العيب، وشيء مذموم؛ أي: قبيح معيب، والذم ضد المذح^(٢).

تركيب المذح والذم اصطلاحاً: هي صيغة نحوية بألفاظ مخصوصة للتعبير عن استحسان شيءٍ والثناء عليه إن كان مذحاً، أو للتعبير عن استقباحه والنفور منه إن كان ذماً.

ثانياً: مكونات تركيب المذح والذم

يتكوّن تركيب المذح والذم من ثلاثة مكونات أساسية، وهي: (أفعال المذح أو الذم)، و(فاعل المذح أو الذم)، و(المخصوص بالمذح أو الذم)، ولكلّ مكونٍ من هذه المكونات أحكام خاصة به، وهذا بيّناها:

١. أفعال المذح أو الذم:

أشهر أفعال المذح: (نعم) و(حبذا)، وأشهر أفعال الذم: (بئس) و(لا حبذا). أمّا الفعلان (نعم) و(بئس) فهما فعلاّن جامدان غير متصرفين^(٣)، نقول في المذح: (نعم الخلق الصديق)، و(نعم خلقاً الصديق)، ونقول في الذم: (بئس الخلق الكذّاب)، و(بئس خلقاً الكذّاب).

وقد وقع خلاف بين النحاة حول (نعم) و(بئس)؛ فيرى البصريون ومعهم الكسائي من الكوفيين أنهما فعلاّن، ويرى الكوفيون أنهما اسمان، ولكلّ فريقٍ حجج يستند إليها، لكنّ القول بأنهما فعلاّن أقوى وأوجه، وهو ما عليه جمهور النحاة^(٤).

(١) انظر: العيّن، للخليل بن أحمد: ١٨٨/٣ (بابُ الحاءِ والدادِ والميمِ معهما)، والمخصص، لابن سيده: ٣٩٦/٣ (بابُ حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَى الْإِنْسَانِ)، ولسان العرب، لابن منظور: ١٢٤/١٤ (ثَنَى).

(٢) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: ٧٤/١٣ (بابُ السَّيِّئِ والبَاءِ)، والصاحح، للجوهري: ٩٠٧/٣ (بَأْسَ)، ولسان العرب، لابن منظور: ٢٢/٦ (بَأْسَ).

(٣) انظر: الأصول في النحو، لابن السراج: ١١١/١، واللامات، للزجاجي: ٣٥، وشرح المفصل، لابن يعيش: ٣٨٩/٤، وشرح الألفية، لابن الناظم: ٣٣٣، واللمحة في شرح الملحة، لابن الصائغ: ٤٠٥/١، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٢٧٥/٢.

(٤) انظر: الإصناف في مسائل الخلاف، لأبي البركات الأنباري: ١٠٣-٨١/١ (مسألة القول في: نعم وبئس، أفعلاّن هما أم اسمان؟).

وفي (نَعَمْ) أربع لغاتٍ، وهي: (نَعِمَ) وهي الأصل، و(نَعَمْ) بالتخفيف، و(نَعِمَ) بالإتباع، وَفُتِرَتْ (نَعَمْ)، و(نَعَمْ) بالتخفيف بعد الإِتباع. وأفصحها وأكثرها استعمالاً كَسْرُ النُّونِ وسكون العَيْنِ: (نَعَمْ)، وهي لغة القرآن^(١). أمَّا (يُسْ) فذكر ابن عصفور أنَّ فيها لُغَتَيْنِ، وَهُمَا: "كَسْرُ الْبَاءِ وَفَتْحُهَا"^(٢)؛ أي: (يُسْ، وَبَاسٌ)، وَأَيَّدَ أَبُو حِيَانَ اللُّغَةَ الْأُولَى فَقَطْ، وَلَمْ يَتَطَرَّقْ لِلثَّانِيَةِ إِنَّمَا أَشَارَ إِلَى مَثِيلَتِهَا بِتَسْهِيلِ الْهَمْزَةِ وَعَدَّهَا غَيْرَ مَسْمُوعَةٍ؛ فَقَالَ: "وَأَمَّا (يُسْ) فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: إِنَّهُ لَمْ يُسْمَعْ فِيهَا إِلَّا لُغَتَانِ: إِحْدَاهُمَا (يُسْ) مُحَقَّقَةٌ عَنِ الْإِتْبَاعِ، وَ(يُسْ) مَخْفَفَةٌ عَنِ الْأَصْلِ؛ فَذَلِكَ هَذَا عَلَى أَنَّ (يُسْ) بِكَسْرِ الْبَاءِ وَالْهَمْزَةِ، وَ(بَاسٌ) بِفَتْحِ الْبَاءِ وَسُكُونِ الْهَمْزَةِ غَيْرُ مَسْمُوعٍ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا قِيلَ بِالْقِيَاسِ"^(٣).

أَمَّا (حَبَّأً) فَهِيَ مُرَكَّبَةٌ مِنَ الْفِعْلِ الْمَاضِي (حَبَّ) وَاسْمُ الْإِشَارَةِ (ذَا)^(٤)، وَمِثَالُهَا الْمَذْحُ: (حَبَّأَ الْإِخْلَاصُ)، وَ(حَبَّأَ قَائِدًا زَيْدًا). أَمَّا فِي الذَّمِّ فَيَجِبُ أَنْ يُسَبِّقَ الْفِعْلُ (حَبَّ) بِ(لَا) النَّافِيَةِ^(٥)، مِثْلُ: (لَا حَبَّأَ الْكَذِبُ)، وَ(لَا حَبَّأَ قَائِدًا زَيْدًا). وَمَعْنَى (حَبَّ): صَارَ مُحْبُوبًا جَدًّا، وَفِيهِ لُغَتَانِ: فَتُحُ الْحَاءِ وَضَمُّهَا"^(٦).

وَيَعُدُّ جَمْهُورُ النَّحَاةِ (حَبَّأً) بِمَنْزِلَةِ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، قَالَ سَيِّبُوه: "(ذَا) وَ(حَبَّ) بِمَنْزِلَةِ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ"^(٧)، وَقَالَ ابْنُ السَّرَاجِ: "وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ (حَبَّأً) بِمَنْزِلَةِ اسْمٍ أَنَّكَ لَا تَقُولُ: (حَبَّأَهُ)، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: (حَبَّأً) وَتَقِفَ حَتَّى تَقُولَ: (زَيْدًا) أَوْ (هَيْدًا) فَتَأْتِيَ بِخَبَرٍ؛ فَ(حَبَّأً) مُبْتَدَأٌ، وَ(هَيْدًا وَزَيْدًا) خَبَرٌ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ (حَبَّ) مَعَ (ذَا) بِمَنْزِلَةِ اسْمٍ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَقُولَ: (حَبَّ فِي الدَّارِ ذَا زَيْدًا)، فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَفْصَلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ (ذَا) كَمَا تَفْصِلُ فِي

(١) انظر: الأصول في النحو، لابن السراج: ١/١١١، والبدیع في علم العربية، لابن الأثير: ١/٤٨٧، وتوضیح المقاصد، للمرادي: ٢/٩٠٣.

(٢) الْمُقَرَّبُ، لابن عصفور: ١/٦٦.

(٣) التذیل والتکمیل، لأبي حيان الأندلسي: ١٠/٧٩.

(٤) انظر: شرح التسهيل، لابن مالك: ٣/٢٢-٢٦، واللمحة في شرح الملحة، لابن الصائغ: ١/٤١٦-٤٢٣، والتذیل والتکمیل، لأبي حيان الأندلسي: ١٠/١٦٢-١٧٣، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٣/٢٥١-٢٥٤، وشرح التسهيل، لناظر الجيش: ٥/٢٦٠.

(٥) انظر: المصادر السابقة، الصفحات نفسها.

(٦) المفصل، للزمخشري: ٣٦٤.

(٧) الكتاب، لسيبويه: ٢/١٨٠. وانظر: علل النحو، لابن الوراق: ٢٩٦-٢٩٧.

باب (نَعَمْ)^(١)، وَكَذَا عَدَهُمَا ابْنُ الصَّائِغِ حَيْثُ قَالَ: "(حَبْدًا) كَلِمَةٌ مُؤْتَلَفَةٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا: (حَبٌّ)، وَالْأُخْرَى: (ذَا)، إِلَّا أَنَّهُمَا جُعِلَا كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ"^(٢).

٢. فاعِلُ المَدْحِ أو الذَّمِّ:

وَصَغَ النِّحَاءُ أَحْكَامًا لِفَاعِلِ (نَعَمْ) و(بُئْسَ)، وَأَهْمَاهَا^(٣):

أ. أَنَّ يَكُونَ اسْمًا مُعَرَّفًا بِ(ال)، مِثْلُ: (نَعَمْ القَائِدُ الْعَادِلُ)، و(بُئْسَ القَائِدُ الظَّالِمُ). وَيُرَادُ بِ(ال) عِنْدَ الْجُمْهُورِ: الْجِنْسِيَّةُ أو الْعَهْدِيَّةُ.

ب. أَنَّ يَكُونَ اسْمًا مضافًا إِلَى الْمُعَرَّفِ بِ (ال) نَحْوُ: ﴿وَنَعَمْ دَامَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٤)، و(نَعَمْ قَائِدُ الْمَعْرَكَةِ عُمَرُ)، و﴿فَبِئْسَ مَكُودُ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾^(٥)، و(بُئْسَ كَبِيرُ الْخَدِيعَةِ زَيْدٌ).

ت. أَنَّ يَكُونَ اسْمًا مضافًا إِلَى الْمُضَافِ لِلْمُعَرَّفِ بِ (ال)؛ نَحْوُ: (نَعَمْ قَارِيٌّ كُتُبِ النَّحْوِ)، و(بُئْسَ مُهْمِلٌ أَمْرُ اللُّغَةِ).

ث. أَنَّ يَكُونَ ضَمِيرًا مُسْتَتِرًا وَجُوبًا بِشَرَطِ أَنْ يَلْتَزِمَ الْإِفْرَادَ وَالتَّنْكِيرَ، وَعَائِدًا عَلَى تَمْيِيزِ بَعْدَهُ، يُقَسِّرُ مَا فِي هَذَا الضَّمِيرِ مِنَ الْغَمُوضِ وَالْإِبْهَامِ؛ نَحْوُ: (نَعَمْ قَوْمًا الْعَرَبُ)، و(بُئْسَ قَوْمًا أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ)، فِي كُلِّ مِنْ (نَعَمْ) و(بُئْسَ) ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ وَجُوبًا تَقْدِيرُهُ: (هُوَ) مُرَادًا مِنْهُ الْمَمْدُوحُ أو الْمَذْمُومُ، وَيَعُودُ عَلَى التَّمْيِيزِ (قَوْمًا). وَلَا بُدَّ مِنْ مِطَابَقَةِ هَذَا التَّمْيِيزِ لِمَعْنَاهُمَا؛ أَيْ: لَا بُدَّ مِنْ مِطَابَقَتِهِ لِلْمَخْصُوصِ بِالْمَدْحِ أو الذَّمِّ، بِحَيْثُ يَتَطَابَقَانِ تَذْكِيرًا، وَتَأْنِيثًا، وَإِفْرَادًا، وَغَيْرَ إِفْرَادٍ، نَحْوُ: (نَعَمْ طَالِبِينَ الْمَجْتَهَدُ وَالْمُتَابِرُ)، و(نَعَمْ رِجَالًا الصَّدُوقُ وَالْوَفُورُ وَالْمُتَوَاضِعُ)، و(نَعَمْ -أَوْ نَعِمْتُ- فَتَاةُ الْمُجَاهِدَةِ). وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ التَّمْيِيزُ صَالِحًا لِقَبُولِ (ال) الْمَعْرِفَةِ، فَلَا يَصِلِحُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَدَلُّ -غَالِبًا- عَلَى الْإِبْهَامِ؛ كَكَلِمَةِ: (غَيْرٌ، وَمِثْلٌ، وَشَبْهٌ).

وَأَجَازُ الْمَبْرَدُ^(٦) وَابْنُ السَّرَاجِ^(٧) وَالْفَارَسِيُّ^(٨) أَنْ يُجْمَعَ -فِي أَسْلُوبِ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ- بَيْنَ الْفَاعِلِ الظَّاهِرِ وَالتَّمْيِيزِ؛ نَحْوُ: (نَعَمْ الطَّالِبُ طَالِبُ الْعِلْمِ)، و(نَعَمْ الشَّجَاعُ رَجُلًا

^(١) الأصول في النحو، لابن السراج: ١٤١/٢.

^(٢) الملحة في شرح الملحة، لابن الصائغ: ٤١٥/١.

^(٣) انظر: الملحة في شرح الملحة، لابن الصائغ: ٤٠٦-٤١٢، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٢٤٠/٣-

٢٤٧، وشرح شذور الذهب، للجوجري: ٣١٦-٣٢١، وشرح الأشموني للألفية، للأشموني: ٢٧٦/٢-

٢٨٦، وشرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٧٥-٧٨، وجمع الهوامع، للسيوطي: ٢٩-٣٦، والنحو

الوافي، لعباس حسن: ٣٦٩-٣٧٣.

^(٤) سورة النحل: ٣٠.

^(٥) سورة الزمر: ٧٢، وسورة غافر: ٧٦.

^(٦) انظر: المقتضب، للمبرد: ١٤٢/٢-١٤٥.

يقول الحق). وَمَنَعَ ذلك سيبويه^(٣) والسيرافي^(٤) مطلقاً، وقيل: إن أفاد معنًى زائداً جازاً، وإلا فلا.

ج. أجاز جَمْعَ مِنَ النُّحَاةِ^(٥) أَنْ يكون الفاعلُ (ما) أو (مَنْ)، ومثال (ما): (نَعَمْ ما يقولُ الحكيمُ المُجَرَّبُ)، و(يُسْ ما يقولُ الغُرُّ الأَحْمَقُ)، ومثال (مَنْ): (نَعَمْ مَنْ تَصَحَّبُهُ عَزِيزاً)، و(يُسْ مَنْ تُرَافِقُهُ مُنَافِقاً). وقيل: إِنَّ (ما) أو (مَنْ) تمييز، والفاعلُ ضميرٌ مستترٌ تُقَسِّرُهُ (ما) أو (مَنْ).

ح. جَوَزَ الكسائي^(٦) والفراء^(٧) والأخفش^(٨) والمبرد^(٩) وابن مالك^(١٠) أَنْ يكونَ الفاعلُ الاسمُ الموصولُ (الَّذِي)، نحو: (نَعَمْ الَّذِي يَصُونُ لِسَانَهُ عَمَّا لَا يَحْسُنُ)، و(يُسْ الَّذِي يَغْتَابُ النَّاسَ).

خ. أجاز الفراء^(١١) والأخفش^(١٢) وابن مالك^(١٣) أَنْ يكونَ الفاعلُ نَكْرَةً مضافاً إلى نَكْرَةٍ، مثل: (نَعَمْ أَمِيرُ بَلَدٍ لَا كَذِبَ عِنْدَهُ)، وَحَصَّ أَكْثَرُ النُّحَاةِ ذلك بالضرورة. وأجازت طائفة^(١٤) أَنْ يكونَ الفاعلُ نَكْرَةً غيرَ مضافٍ، نحو: (نَعَمْ غُلَامٌ أَنْتَ).

أَمَّا (حَبْدًا) وَ(لَا حَبْدًا) فَقَدْ اختلف النُّحَوِيُّونَ في الاسمِ الواقعِ بعدَ (حَبَّ): فمنهم مَنْ عَدَّهُ فاعلاً، على أَنَّ (حَبَّ) فِعْلٌ. ومنهم مَنْ جعلَ المخصوصَ بعدها: خبراً، وَعَدَّ (حَبْدًا) مبتدأ^(١٥). والقولُ الأوَّلُ هو الغالب، قال ابن هشام: "ومذهب سيبويه أَنَّ (حَبَّ)

(١) انظر: الأصول في النحو، لابن السراج: ١١٧/١.

(٢) انظر: أوضح المسالك، لابن هشام: ٢٤٤/٣-٢٤٥.

(٣) انظر: الكتاب، لسيبويه: ١٧٦-١٧٨، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٢٤٤/٣-٢٤٥.

(٤) انظر: شرح كتاب سيبويه، لأبي علي السيرافي: ٣٧٤/١، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٢٤٤/٣-٢٤٥.

(٥) انظر: شرح الألفية، لابن الناظم: ٣٣٦، وتوضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ٩١٨-٩١٩، وشرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ١٦٦/٣، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٢٨٨-٢٨٩.

(٦) انظر: معاني القرآن، للفراء: ٥٧/١.

(٧) انظر: السابق: ٥٧/١.

(٨) انظر: همع الهوامع، للسيوطي: ٣٣/٣.

(٩) انظر: المقتضب، للمبرد: ١٤٢/٢-١٤٥، وهمع الهوامع، للسيوطي: ٣٣/٣.

(١٠) انظر: شرح التسهيل "تسهيل الفوائد"، لابن مالك: ١١/٣.

(١١) انظر: معاني القرآن، للفراء: ٥٧/١ و ٢٦٧/١.

(١٢) انظر: شرح المفصل، لابن يعيش: ٣٩٥/٤، وشرح تسهيل الفوائد، لابن مالك: ١٠/٣.

(١٣) انظر: شرح تسهيل الفوائد، لابن مالك: ١٠/٣.

(١٤) انظر: شرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٢٧٨/٢.

(١٥) انظر: اللمحة في شرح الملح، لابن الصائغ: ٤١٧/١.

فِعْلٌ، وَ (ذَا) فاعِلٌ^(١)، وقال السيرافي: "أَمَّا (حَبَّذَا) فَإِنَّ (حَبَّ) فِعْلٌ، وَ (ذَا) فاعِلٌ"^(٢). كَمَا نَقَلَ ابن الصائغ عن ابن خروف تَبَيَّنَ هذا الرأي، فقال: "قال ابن خُروَف بَعْدَ أَنْ مَثَّلَ بـ (حَبَّذَا زَيْدٌ): "(حَبَّ): فِعْلٌ، وَ (ذَا): فاعِلُهُ، وَ (زَيْدٌ): مَبْتَدَأٌ، وَخَبَرُهُ: (حَبَّذَا)، وقال: هذا قولُ سيبويه"^(٣).

أَمَّا الاسمُ المَعْرِفَةُ بَعْدَ (حَبَّذَا) وَ (لا حَبَّذَا) فمرفوعٌ، قال ابن جني في حديثه عن (حَبَّذَا): "وَهِيَ تَرْفَعُ المَعْرِفَةَ"^(٤)؛ أَي: إِنَّ الاسمَ إِذَا جَاءَ مَعْرِفَةً بَعْدَ (حَبَّذَا) فَهُوَ: "مرفوعٌ بالابتداء، أَوْ خَبَرٌ لِمَبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ - نَحْوُ: (حَبَّذَا العِلْمُ) - والنَّكْرَةُ بَعْدَهَا منصوبٌ على التَّمْيِيزِ، وَيُذَكَّرُ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ، كَقَوْلِكَ: (حَبَّذَا رَجُلًا زَيْدٌ) وَ (حَبَّذَا هُنْدًا امْرَأَةً)"^(٥)، وَكِلَاهُمَا؛ أَي: التَّقديم والتأخير "سَهْلٌ يَسِيرٌ"، واستعمالُهُ كَثِيرٌ"^(٦)، لَكِنَّ التَّقديمَ أَوْلَى وَأَكْثَرُ، قال الأَشْمُونِيُّ: "إِلَّا أَنَّ تَقْدِيمَ التَّمْيِيزِ أَوْلَى وَأَكْثَرُ، وَذلك بِخِلَافِ المَخْصُوصِ بِ(نَعَمْ)؛ فَإِنَّ تَأْخِيرَ التَّمْيِيزِ عَنْهُ نَادِرٌ"^(٧).

وهذا إِنْ كَانَتِ النَّكْرَةُ بَعْدَ (حَبَّذَا) وَ (لا حَبَّذَا) جِنْسًا، فَإِنْ كَانَتْ مُشْتَقَّةً فَهِيَ حَالٌ، قال ابْنُ بَابِشَادَ: "وَ (حَبَّذَا) تَرْتَفِعُ بَعْدَهَا المَعْرِفَةُ، وَتَنْتَصِبُ النَّكْرَةُ عَلَى التَّمْيِيزِ إِنْ كَانَتْ جِنْسًا، أَوْ عَلَى الحَالِ إِنْ كَانَتْ مُشْتَقَّةً، مِثْلُ: (حَبَّذَا رَجُلًا زَيْدٌ)، وَ (حَبَّذَا قَائِمًا زَيْدٌ)، وَكَذلكِ المَوْثَقُ: (حَبَّذَا امْرَأَةً هُنْدًا)، وَ (حَبَّذَا قَائِمَةً هُنْدًا)"^(٨).

٣. المَخْصُوصُ بِالمَدْحِ أَوْ الذَّمِّ:

يَقَعُ المَخْصُوصُ بِالمَدْحِ أَوْ الذَّمِّ - فِي الكَثِيرِ الغالب - بَعْدَ فاعِلِ (نَعَمْ) وَ (بُئْسَ). وَالمَخْصُوصُ بِالمَدْحِ أَوْ الذَّمِّ هُوَ "الاسمُ المَقْصُودُ بِالمَدْحِ بَعْدَ (نَعَمْ)، وَبِالذَّمِّ بَعْدَ (بُئْسَ)"^(٩)، وَقَدْ "سُمِّيَ مَخْصُوصًا؛ لِأَنَّهُ ذُكِرَ جِنْسُهُ ثُمَّ خُصَّ شَخْصُهُ"^(١٠). وَيُسَمَّى

(١) أوضح المسالك، لابن هشام: ٢٥٢/٣.

(٢) شرح كتاب سيبويه، لأبي علي السيرافي: ١٢/٣.

(٣) اللحة في شرح الملح، لابن الصائغ: ٤١٨/١.

(٤) اللُّمَعُ فِي العَرَبِيَّةِ، لابن جَنِّي: ١٤٢.

(٥) اللحة في شرح الملح، لابن الصائغ: ٤١٩/١. وانظر: توضيح المقاصد والمسالك، للمراي: ٩٣١/٢.

(٦) شرح التسهيل "تسهيل الفوائد"، لابن مالك: ٢٧/٣.

(٧) شرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٢٩٧/٢.

(٨) شَرْحُ المَقْدَمَةِ المَحْسَبَةِ، لابن بَابِشَادَ: ٣٧٨/٢.

(٩) شرح المَكْوَدِي عَلَى الألفِيَّةِ، لِلْمَكْوَدِي: ٢٠٦.

(١٠) حَاشِيَةُ الصَّبَّانِ عَلَى شرحِ الأَشْمُونِيِّ، لِلصَّبَّانِ: ٥٢/٣.

المخصوصُ بالمدح: الممدوح، والمخصوص بالذم: المذموم^(١). ويُعزَّبُ المخصوص - غالباً - مبتدأً، خبره الجملة الفعلية قبله، المكونة من فعل المدح أو الذم وفاعله، ويجوز إعراب المخصوص خبراً لمبتدأ محذوف^(٢).

وقد وُضِعَ النحاة شروطاً للمخصوص بالمدح بعد (نعم)، وبالذم بعد (بئس)، وهذه أبرزها^(٣):

أ. أن يكون المخصوص معرفةً، نحو: (نعم العمل الإحسان)، أو نكرةً مختصة بوصف، نحو: (نعم الأم أم عطوف)، و(بئس الجار جارٌ يسيء الجوار)، أو نكرةً مختصة إضافةً، نحو: (نعم الطالب طالب المجد).

ب. أن يكون أخص من الفاعل لا مساوياً له ولا أعم؛ ليحصل التفصيل بعد الإجمال. ت. أن يكون مطابقاً للفاعل في المعنى: تذكيراً وتأنيتاً، وإفراداً وتثنيةً وجمعاً، مثل: (نعم المعلمان المخلصان)، و(بئس الفتيات النمامات).

ث. أن يكون متأخراً عن الفاعل.

ج. يجب تأخير المخصوص عن التمييز إذا كان الفاعل ضميراً مُستترّاً له تمييز، نحو: (نعم رجلاً صادق)؛ فإن كان الفاعل اسماً ظاهراً جاز تقديم المخصوص على التمييز وتأخيره، نقول: (نعم النشيط تلميذاً زيد)، و(نعم النشيط زيد تلميذاً).

ح. إذا كان المخصوص مؤنثاً جاز تذكير الفعل وتأنيته، وإن كان الفاعل مذكراً، أمّا مثال المخصوص والفاعل المؤنثين فنحو: (نعمت المرأة هند) ويجوز (نعم المرأة هند). وأمّا مثال المخصوص مؤنثاً والفاعل مذكراً فنحو: (نعم الشريك الزوجة)، ويجوز (نعمت الشريك الزوجة)، والتذكير في هذه الحالة أحسن؛ ليُطابقَ الفعلُ الفاعل.

(١) انظر: شرح المفصل، لابن يعيش: ٣٩٤/٤، والمقرب، لابن عصفور: ٦٦/١-٦٧.

(٢) انظر: المفصل، للزمخشري: ٣٦٢-٣٦٣، وشرح تسهيل الفوائد، لابن مالك: ١٧/٣، وشرح التسهيل "تسهيل القواعد"، لناظر الجيش: ٢٥٦٥-٢٥٦٦، والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية "شرح ألفية ابن مالك"، للشاطبي: ٥٣٥-٥٣٧.

(٣) انظر: المفصل، للزمخشري: ٣٦٣، وشرح المفصل، لابن يعيش: ٤٠٢/٤، وشرح التسهيل، لابن مالك: ١٨/٣، وشرح التسهيل "تسهيل القواعد"، لناظر الجيش: ٢٥٣٣/٥، والنحو الوافي، لعباس حسن: ٣٧٧/٣-٣٧٤، وتعليق المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي على أوضح المسالك، لابن هشام: ٢٤٧/٣-٢٤٨ حاشية رقم (٤).

أما المخصوص بالمدح أو الذم في (حَبَّذا) و(لا حَبَّذا)، نحو: (حَبَّذا الإخلاص)؛ فالأرجح أن يُعرب مبتدأ، وقيل: هو خبرٌ لمبتدأ محذوف، وهذا الإعراب موافقٌ لإعراب المخصوص بالمدح أو الذم في (نعم) و(بئس).

ويجوز للتمييز أن يقع -كما ذكر سابقاً- قبل المخصوص وبَعْدَهُ، نحو: (حَبَّذا رجلاً زَيْدٌ)، و(حَبَّذا هُنْدُ امرأة)، وهذا بخلاف مخصص (نعم) و(بئس)؛ فإن "تأخير التمييز عنه نادر" (١).

لكن يمتنع تقديم المخصوص بالمدح أو الذم على (حَبَّذا) و(لا حَبَّذا)؛ أي: لا يتقدّم المخصوص على الفعل والفاعل في (حَبَّذا) و(لا حَبَّذا) ولا على الفاعل وحده (ذا)، بخلاف مخصص (نعم) و(بئس)؛ فإن مخصصهما لا يمتنع تقديمه (٢)؛ وإن تقدّم "تعيّن كونه مبتدأ، نحو: (زَيْدٌ نعم الرجل)" (٣).

حَذْفُ الْمَخْصُوصِ:

قد يُحذف مخصص المدح أو الذم إذا فهم من السياق؛ لمعرفة المخاطب له، قال الزمخشري: "قد يُحذف المخصوص إذا كان معلوماً للمخاطب، كقوله تعالى: ﴿نعم العبدُ إنه أوابٌ﴾ (٤)؛ أي: نعم العبدُ أيوب، وقوله تعالى: ﴿فنعمة الماهدون﴾ (٥)؛ أي: فنعمة الماهدون نحن" (٦)، وكقوله تعالى أيضاً: ﴿ولنعمة دآر المتقين﴾ (٧)؛ أي: ولنعم دار المتقين الجنة.

ثالثاً: تركيب المدح والذم في المفهوم التحويلي

تتأول خليل عمارة من اللغويين العرب تحليل تركيب المدح بصيغة (نعم) وتركيب الذم بصيغة (بئس) في ضوء المنهج التحويلي، وذلك في كتابه: (في نحو اللغة وتراكيبها) و(في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي)، من خلال ما يأتي:

(١) توضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ٩٣١/٢.

(٢) انظر: شرح التسهيل، لابن مالك: ٢٧/٣، وتوضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ٩٢٩/٢، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٢٥٣/٣، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٢٩٧/٢.

(٣) أوضح المسالك، لابن هشام: ٢٤٨/٣.

(٤) سورة ص: ٤٤.

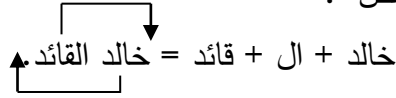
(٥) سورة الذاريات: ٤٨.

(٦) المفصل، للزمخشري: ٣٦٣. وانظر: البديع في علم العربية، لابن الأثير: ٤٨٩/١، والكافية في علم النحو، لابن الحاجب: ٥٠، وشرح التسهيل، لابن مالك: ١٨/٣، والكُنَاش في فني النُحو والصرف، للملك المؤيد صاحب حماة: ٥٥/٢.

(٧) سورة النحل: ٣٠.

صَرَبَ عمايرة بعض الأمثلة على تركيب المَدَحِ بِ(نِعَم) والدَّم بِ(يُسْ)، مثل: (نِعَمَ القائدُ خالِدُ)، و(خالِدُ نِعَمَ القائدُ)، و(حَبَدًا القائدُ خالِدُ)، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهَا جُمْلٌ تحويلية، أصلها التوليدي: (خالِدُ قائِدُ)، قَدْ دَخَلَ عليها عنصرٌ مِنْ عناصر التحويل؛ لتفيد معنى التخصيص الذي فيه التعظيم أو التبجيل أو المدح...^(١).

وأوضح أنها على هذا الشكل^(٢):



"فكلمة (القائد) في هذا السياق هي موضع التركيز؛ لإبراز ما فيها من معنى؛ فَجَرَى عليها تحويل آخر بالترتيب (التقديم والتأخير)... فقدّم المتكلم موضع الاهتمام والتركيز: (القائدُ خالِدُ)"^(٣).

ولمّا أراد المتكلم مزيداً مِنَ المَدَحِ والثناء... بالمتحدّث عنه في موضوع معين، هو القيادة -في هذه الأمثلة- فَقَدْ أدخل عنصراً جديداً من عناصر التحويل، وهو الأداة التي تفيد ذلك، وهي (نِعَم)، ... وهي عنصر تحويل بالزيادة^(٤).

أراد عمايرة أَنْ يُثَبِّتَ أَنَّ هذه الجملة تحويلية، مرت بالمراحل الآتية:

خالِدُ قائِدُ

خالِدُ القائدُ^(٥)

وكانت خلاصة كلام عمايرة: "فالجملة جُمْلَةٌ تحويلية اسمية دَخَلَهَا ثلاثة عناصرٍ

تحويل: الترتيب + نِعَم + ال، وهكذا الحال في (يُسْ)"^(٦)؛ فأصبحت:

نِعَم + ال + قائد + خالد = نِعَمَ القائدُ خالِدُ.

يتضح -مِمَّا سَبَقَ- أَنَّ تركيب المَدَحِ والدَّم -عند خليل عمايرة- يتكون مِنْ عنصرين

مِنْ عناصر التحويل، وهما:

١. (الزيادة والإضافة) من خلال زيادة فِعْلِ المَدَحِ (نِعَم) أو الدَّم (يُسْ). وكذلك زيادة (ال)

على فاعِلِ فِعْلِ المَدَحِ أو الدَّم.

^(١) انظر: في نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل أحمد عمايرة: ١١١-١١٢.

^(٢) انظر: السابق: ١١٢.

^(٣) في نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل أحمد عمايرة: ١١٢.

^(٤) السابق: ١١٢-١١٣، وانظر: في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل أحمد عمايرة: ٢٦٩-٢٧٠.

^(٥) انظر: في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل أحمد عمايرة: ٢٦٩.

^(٦) في نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل أحمد عمايرة: ١١٣، وانظر: في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل أحمد عمايرة: ٢٧٠-٢٧١.

٢. (الترتيب) من خلال تقديم تركيب المَدَح على المخصوص بالمَدَح أو الذَّم. وَقَدْ عَدَّهَا خليل عمايرة ثلاثة عناصر؛ لأنه فَصَلَ بين عنصري الزيادة، وعدهما اثنين: زيادة فِعْل المَدَح والذَّم، وزيادة (ال) على الفاعل، وَكِلَاهُمَا يندرجان تحت عنصر (الزيادة). إِنَّ جَهْدَ عمايرة -في تحليله لهذا التركيب وفق المنهج التحويلي- مُقَدَّرٌ مشكورٌ، لكنني لا أُوَافِقُهُ في عنصر زيادة (ال)؛ وذلك لِأَنَّ مِنْ شروطِ فاعِلِ المَدَحِ أو الذَّم -أَصْلًا- أَنْ يَكُونَ اسْمًا مُعَرَّفًا بِ(ال)، حتى لو لم يكن معرفة فَقَدْ اشترط النحاة أَنْ يَكُونَ اسْمًا مضافًا إِلَى المُعَرَّفِ بِ (ال). فلماذا تُعَدُّ (ال) عنصرًا تحويليًا زائدًا في مِثْلِ هذا التركيب؟ بل هي شرط من شروط فاعِلِ المَدَحِ أو الذَّم.

كما أَنَّ هناك عنصرًا آخَرَ لم يذكره عمايرة صراحةً في أثناء تحليله، لكنه يتضح من تحليلاته، وهو (الإحلال والتعويض)، حيثُ يحلُّ تركيبُ المَدَحِ أو الذَّم الدالَّ على الإنشاء غير الطلبي محلَّ التركيب الخبري.

سَيَعْتَمِدُ الباحثُ -بناءً على ما سَبَقَ- العناصرَ التحويلية الثلاثة في تركيب المَدَحِ بِ(نَعَمْ) والذَّمِ بِ(بُئْسَ)، وهي: (الإحلال والتعويض)، و(الزيادة والإضافة)، و(الترتيب). ويجدر التنبيه -هُنَا- أَنَّ الإعراب الذي تَبَنَّاهُ الباحثُ في تحليل تركيب المَدَحِ بِ(نَعَمْ) والذَّمِ بِ(بُئْسَ) هو إعراب المخصوص بالمدح أو الذم مبتدأ مؤخرًا، أَمَّا حَبْرُهُ فالجملة الفعلية قَبْلُهُ، المكوَّنة من فِعْلِ المَدَحِ أو الذَّمِ وفاعله، وسيتضح ذلك في التحليل؛ لأنَّ "هذا الوجه -الإعرابي- أنسب للتحليل التحويلي من الأوجه -الإعرابية- الأخرى؛ فهو أَقْلُ استخدامًا للقواعد التحويلية من الأوجه الأخرى"^(١).

أَمَّا تحليل تركيب المَدَحِ بصيغة (حَبَدًا) وتركيب الذَّمِ بصيغة (لا حَبَدًا) فيمكن تحليله تحويليًا وفق العناصر التحويلية الثلاثة السابقة:

- أ. الإحلال والتعويض: حيثُ يحلُّ تركيبُ المَدَحِ (حَبَدًا ...) أو الذَّمِ (لا حَبَدًا ...) الدالَّ على الإنشاء غير الطلبي محلَّ التركيب الخبري: (أَمَدَحُ ...) أو (أُحِبُّ ...)
- ب. الزيادة والإضافة: وهي زيادة مركب المَدَحِ (حَبَدًا) أو الذَّمِ (لا حَبَدًا).
- ت. الترتيب: حيثُ يتأخَّرُ المخصوص بالمدح أو الذم عن الفاعل وجوبًا.

^(١) القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ٢١٢.

رابعاً: تراكيب المدح والذم الواردة في كتاب خطب الرسول ﷺ

يُعدُّ وُرُودُ تركيبِ المدح والذم في كتاب خطب الرسول ﷺ قليلاً، فَقَدْ وَرَدَ فِي (أَحَدَ عَشَرَ) تركيباً، مِنْهَا: (تركيبانِ اثْنانِ) بصيغة المدح (نعم)، و(تسعة) تراكيب بصيغة الذم (بئس)، أما صيغة المدح (حَبَّذا) وصيغة الذم (لا حَبَّذا) فَلَمْ تَرَدَا فِي كتابِ خطبِ الرسول ﷺ. وَيُبَيِّنُ الجدول الآتي صيغَ المدح والذم الواردة في كتاب خطب الرسول ﷺ مِنْ الأكثرِ إِلَى الأقلِ استخداماً:

م	صِيغَةُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ	عدد الاستخدام
١	صيغة الذم (بئس)	٩
٢	صيغة المدح (نعم)	٢
٣	صيغة المدح (حَبَّذا)	-
٤	صيغة الذم (لا حَبَّذا)	-
	المجموع	١١

خامساً: عَرَضُ لتراكيب المدح والذم الواردة في كتاب خطب الرسول ﷺ

١. تراكيب المدح بصيغة (نعم):

- أ. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "خَرَجَ مِنْ عِنْدِي خَلِيلِي جِبْرِيلُ عليه السلام أَنِفًا، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: فَذَلِكَ بِرَحْمَتِي، وَبِرَحْمَتِي أُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ. أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي؛ فَنِعَمَ الْعَبْدُ كُنْتُ يَا عَبْدِي، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، قَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام: إِنَّمَا الْأَشْيَاءُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ يَا مُحَمَّدُ"^(١). والشاهد: (فَنِعَمَ الْعَبْدُ).
- ب. رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ: "لَا يَجِلُّ لَامِرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ أَنْ تَأْذَنَ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَهُوَ كَارِهٌ، وَلَا تَخْرُجَ وَهُوَ كَارِهٌ، وَلَا تُطِيعَ فِيهِ أَحَدًا، وَلَا تَعْتَزِلَ فِرَاشَهُ، وَلَا تَضْرِبَهُ؛ فَإِنْ كَانَ هُوَ أَظْلَمَ مِنْهَا فَلْتَأْتِهِ حَتَّى تُرْضِيَهُ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهَا فَبِهَا وَنِعْمَتْ، وَقَبِلَ اللَّهُ عُذْرَهَا، وَأَفْلَحَ حُجَّتُهَا، وَلَا إِنْثَمَ عَلَيْهَا، وَإِنْ هُوَ لَمْ يَرْضَ؛ فَقَدْ أَبْلَغَتْ عِنْدَ اللَّهِ عُذْرَهَا"^(٢). والشاهد: (فَبِهَا وَنِعْمَتْ).

(١) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٣٠٠، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٥٠). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمُسْتَدْرَكِ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ، لِلْحَاكِمِ، كِتَابُ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ: ٢٧٨/٤، حَدِيثٌ رَقْمُ (٧٦٣٧)، وَشُعَبُ الْإِيمَانِ، لِلْبَيْهَقِيِّ، تَعْدِيدُ نِعَمِ اللَّهِ ﷻ وَمَا يَجِبُ مِنْ شُكْرِهَا: ٣٤١/٦، حَدِيثٌ رَقْمُ (٤٣٠٠). وَهُوَ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ جَدًّا، ذَكَرَهُ الْعُقَيْلِيُّ فِي: الضَّعَفَاءِ الْكَبِيرِ: ١٤٤/٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (٦٣٩).

(٢) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١١٤-١١٥، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٢٦). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمُسْتَدْرَكِ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ، لِلْحَاكِمِ، حَدِيثٌ سَالِمٌ: ٢٠٦/٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٧٧٠)، وَقَالَ الْذَهَبِيُّ فِي تَعْلِيْقِهِ: "حَدِيثٌ =

٢. تراكييب الذَّم بصيغة (بئس):

قال رسول الله ﷺ: "بئس العبدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ وَاخْتَالَ، وَنَسِيَ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالِ، بئس العبدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ وَاعْتَدَى، وَنَسِيَ الْجَبَّارَ الْأَعْلَى، بئس العبدُ عَبْدٌ سَهَا وَلَهَا، وَنَسِيَ الْمَقَابِرَ وَالْبَلَى، بئس العبدُ عَبْدٌ عَتَا وَطَعَى، وَنَسِيَ الْمُبْتَدَأَ وَالْمُنْتَهَى، بئس العبدُ عَبْدٌ يَحْتَلِ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، بئس العبدُ عَبْدٌ يَحْتَلِ الدِّينَ بِالشُّبُهَاتِ، بئس العبدُ عَبْدٌ طَمَعَ يَفُودُهُ، بئس العبدُ عَبْدٌ هَوَى يُضِلُّهُ، بئس العبدُ عَبْدٌ رَغَبَ يُذِلُّهُ"^(١). والشاهد: (بئس) وَقَدْ وَرَدَ تِسْعَ مَرَّاتٍ.

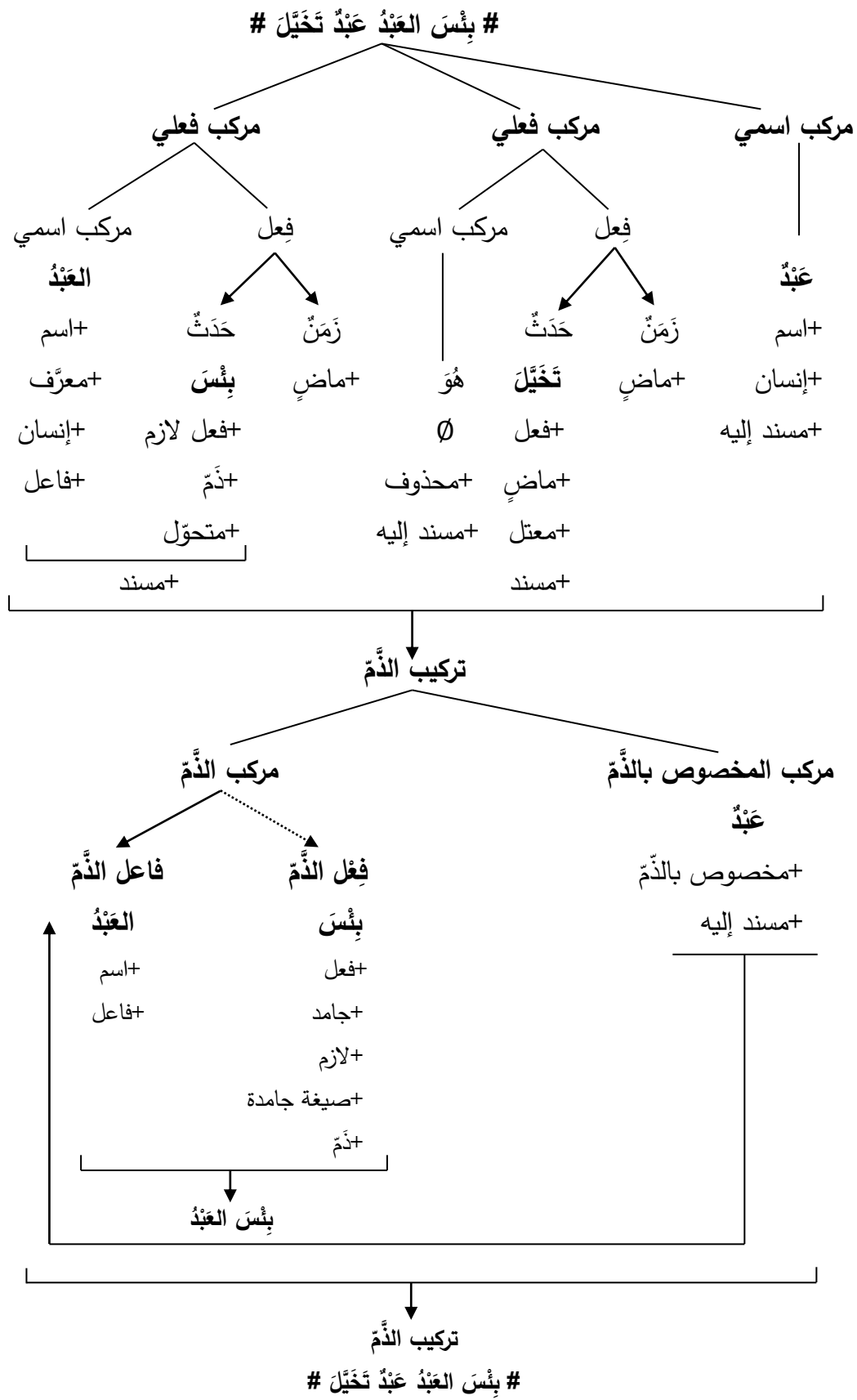
سادسًا: نموذج تحليلي لتراكيب المدح والذَّم الوارد في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ

حديث: "بئس العبدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ وَاخْتَالَ، وَنَسِيَ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالِ"^(٢).

مُنْكَرٌ وَإِسْنَادُهُ مُنْقَطِعٌ، وَالسُّنَنُ الْكُبْرَى، لِلْبَيْهَقِيِّ، بَابُ مَا جَاءَ فِي بَيَانِ حَقِّهِ عَلَيْهَا: ٤٧٨/٧، حديث رقم (١٤٧١٥).

(١) خُطَبُ الرَّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٣٥-١٣٦، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٦٥). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ، لِلتِّرْمِذِيِّ، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ٢١٣/٤، حديث رقم (٢٤٤٨)، وَالْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ، لِلْحَاكِمِ، كِتَابُ الرِّقَاقِ: ٣٥١/٤، حديث رقم (٧٨٨٥)، وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي تَعْلِيْقِهِ: "إِسْنَادُهُ مُظْلِمٌ".

(٢) التَّخْرِيجُ السَّابِقُ.



تَمَّ تحويلُ التركيب السابق مِنَ البنية العميقة (العَبْدُ عَبْدٌ تَحَيَّلَ) إلى البنية السطحية (يُسَّ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَحَيَّلَ)، عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف:

حُذِفَ المركبُ الاسمي الثاني الضمير (هُوَ).

٢. الإحلال والتعويض:

حَلَّ تركيبُ الذَّمِّ الدالَّ على الإنشاء غير الطلبي (يُسَّ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَحَيَّلَ) محلَّ التركيب الخبري (العَبْدُ عَبْدٌ تَحَيَّلَ).

٣. الزيادة والإضافة:

تَمَّ زيادة الفعلِ (يُسَّ)؛ ليفيد معنى الذَّمِّ.

٤. التقديم:

تَقَدَّمَ مركبُ الذَّمِّ (يُسَّ الْعَبْدُ) على مركب المخصوص بالذَّمِّ (عَبْدٌ تَحَيَّلَ)؛ فأصبح التركيب (يُسَّ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَحَيَّلَ).

المبحث الرابع

تركيب الرّجاء

أولاً: الرّجاء لغةً واصطلاحاً

(الرّجاء) لغةً: التّوقُّع والأمل والتّوسُّل^(١)، وهو نقيض اليأس^(٢). وقيل: "هو بين الأمل والطمع؛ فإنّ الراجي قد يخاف أن لا يحصل مأموله"^(٣). وقد يحمل الرّجاء معنى الخوف ويُعرف ذلك من السياق^(٤).

(الرّجاء) اصطلاحاً: تَرَقُّبُ أَمْرٍ محبوبٍ مَطْمُوعٍ فيه يُرْجَى حصولُهُ^(٥).

ثانياً: الفرق بين التّمني والرّجاء

يُفَرِّقُ العلماءُ بين التّمني والتّرجي من خلال أمورٍ، وهي^(٦):

١. التّمني: طَلَبُ أَمْرٍ محبوبٍ لا يُرْجَى حصولُهُ، إمّا لكونه مُستحيلًا، وإمّا لكونه صَعْبَ المنال بَعِيدَ التّحَقُّقِ؛ أي: يَقَعُ التّمني في المُمْكِنِ بَعِيدِ الوقوع، نَحْوُ: (لَيْتَ زَيْدًا يُسَافِرُ مَعَنَا)، وغير المُمْكِنِ "المستحيل"، نَحْوُ: (لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ).
أما الرّجاء فَهُوَ تَرَقُّبُ أَمْرٍ محبوبٍ مَطْمُوعٍ فيه يُرْجَى حصولُهُ؛ أي: يُشْتَرَطُ في الرّجاء إمكانيةُ الحصولِ، فَهُوَ يختصّ بما يجوز وقوعُهُ؛ لهذا لا يُقال: (لَعَلَّ الشَّبَابَ يَعُودُ).
يَتَّضِحُ أَنَّ التّمني للمستحيل وغير المستحيل؛ فَهُوَ يَقَعُ عَلَى ما يجوزُ أَنْ يَكُونَ، وَأَلَّا يَكُونَ.

٢. التّمني طَلَبٌ؛ فَهُوَ نوعٌ من أنواع الإنشاء الطلبي. والرّجاء ليس طَلَبًا، إنما هُوَ تَرَقُّبٌ وَتَوَقُّعٌ وَطَمَعٌ في حصولِ الشيء.

٣. التّمني في البعيد، والرّجاء في القريب، وهذا في الأعمّ الغالب.

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور: ٣١٠/١٤ (رَجَوَ)، والكلّيات، للكفوي: ٤٦٨ (فصل الرّاء).

(٢) انظر: العَيْن، للخليل بن أحمد: ١٧٦/٦ (باب الجيم والراء).

(٣) معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري: ٧٣. (الفرق بين الأمل والطمع).

(٤) انظر: المُخَصَّص، لابن سيده: ٤٤٠/٤. (باب ما يُقْصَرُ فيكون لَهُ معنى فإذا مَدَّ كَانَ لَهُ معنى آخر).

(٥) انظر: درة الغواص في أوهام الخواص، للقاسم الحريري: ٢٣٦-٢٣٧، والجنى الداني، للمرادي: ٥٧٩-٥٨١، والكلّيات، للكفوي: ٤٦٨، وجواهر البلاغة، للهاشمي: ٨٧.

(٦) انظر: درة الغواص في أوهام الخواص، للقاسم الحريري: ٢٣٦-٢٣٧، وتوجيه اللمع، لابن الخَبَّاز: ١٤٩-

١٥٠، والإيضاح، للقزويني: ٥٣/٣، والجنى الداني، للمرادي: ٥٧٩-٥٨١، وأوضح المسالك، لابن هشام:

٢٣/٢-٢٤، والكلّيات، للكفوي: ٤٦٨، وجواهر البلاغة، للهاشمي: ٨٧، وعلوم البلاغة، للمراغي: ٦٢، وعِلْمُ

المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ١١٢-١١٣.

ثالثاً: ألفاظ الرجاء

١. الأحرف: للرجاء حرف واحد، وهو:

(لَعَلَّ)

يرى أكثر النحاة أنها حرفٌ، قال المرادي في (لَعَلَّ): "حَرْفٌ، له قسمان: الأول: أن يكون مِنْ أخوات (إِنَّ)؛ فينصب الاسم، ويرفع الخبر. ومذهب أكثر النحويين أنه حرف بسيط، وأنَّ لامَهُ الأولى أصليةٌ. وقيل: هو حرف مركب، ولامه الأولى لام الابتداء. وقيل: بل هي زائدة، لمجرد التوكيد بدليل قولهم (عَلَّ) في (لَعَلَّ)، وهذا مذهب المبرد وجماعة من البصريين"^(١).

أمَّا معاني (لَعَلَّ) فذكر النحاة أنَّ لها ثمانية معانٍ، منها: الترجي، وهو الأشهر والأكثر، نحو: (لَعَلَّ اللهُ يَرْحَمَنَا). والثاني: الإشفاق، نحو: (لَعَلَّ العدوَّ يَقْدُمَ)، والفرق بينهما أنَّ الترجي في المحبوب، والإشفاق في المكروه. والثالث: التعليل، وهذا معنى أثبتته الكسائي والأخفش، نحو: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢)؛ أي: لِتَشْكُرُوا، ومذهب سيبويه والمحققين أنَّها في ذلك كُلِّهِ للترجي، وَهُوَ تَرْجٍ لِلْعِبَادِ، وقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(٣)؛ معناه: اذْهَبَا عَلَى رَجَائِكُمَا ذَلِكَ مِنْ فِرْعَوْنَ^(٤).

وفي (لَعَلَّ) اثنتا عشرة لغةً، وهي: (لَعَلَّ)، وَ(عَلَّ)، وَ(لَعَنَّ)، وَ(عَنَّ)، وَ(لَأَنَّ)، وَ(أَنَّ)، وَ(رَعَلَّ)، وَ(رَعَنَّ)، وَ(لَعَنَّ)، وَ(رَعَنَّ)، وَ(عَنَّ)، وهذه الثلاثة بالعَيْنِ المُعْجَمَةِ، وَ(لَعَلَّتْ) بقاء التأنِيثِ، والستة المتقدمة مشهورة، والستة الباقية قليلة، وأقلها استعمالاً (لَعَلَّتْ)^(٥).

٢. الأفعال:

^(١) الجنى الداني، للمرادي: ٥٧٩.

^(٢) سورة البقرة: ٥٢. وقد وردت "لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" في ثلاث عَشْرَةَ آيَةً أُخْرَى في القرآن الكريم.

^(٣) سورة طه: ٤٤.

^(٤) الجنى الداني، للمرادي: ٥٧٩-٥٨٠ بتصريف. وانظر: الباب في علل البناء والإعراب، للعكبري: ١/١٩١، وشرح المفصل، لابن يعيش: ٤/٥٧٠، وتسهيل الفوائد، لابن مالك: ٦١، وارتشاف الضرب، لأبي حيان: ٣/١٢٤٠.

^(٥) انظر: المُفَصَّل، للزمخشري: ٤٠١، والتبيين عن مذاهب النحويين، لأبي البقاء العكبري: ٣٦١، وتسهيل الفوائد، لابن مالك: ٦٦، وشرح تسهيل الفوائد، لابن مالك: ٤٦/٢، واللمحة في شرح الملحة، لابن الصائغ: ٥٣٨/٢، والجنى الداني، للمرادي: ٥٨.

قال المرادي في أفعال المقاربة: "قَسَمَ لرجاءِ الفِعْلِ، وهي: (عَسَى، وَحَرَى، وَخُلُوقٌ) فهذه الثلاثة للإعلام بالمقاربة على سبيل الرجاء" ^(١)؛ أي: إن الأفعال (عَسَى، وَحَرَى، وَخُلُوقٌ) تحمل معنى الرجاء، وهذا إيضاحٌ مُوجَزٌ لها:

أ. عَسَى:

الأكثر - عند النحاة - في المضارع الواقع خَبَرَ (عَسَى) اقترانه بِ(أَنْ)، وَمَجِيئُهُ بدون (أَنْ) قليل ^(٢)، نحو: (عَسَى اللهُ أَنْ يَرْحَمَنَا). قال سيبويه: "تقول: (عَسَيْتَ أَنْ تَفْعَلَ)، فَ(أَنْ) هَا هُنَا بمنزلتها في قولك: (قَارَيْتَ أَنْ تَفْعَلَ)؛ أي: قَارَيْتَ ذَلِكَ، وبمنزلة: (دَنَوْتَ أَنْ تَفْعَلَ)" ^(٣).

ب. حَرَى:

هِيَ بِمعْنَى (عَسَى)، ويجب اقترانُ خَبَرِ (حَرَى) بِ(أَنْ)؛ يُقال: (حَرَى زَيْدٌ أَنْ يَفْعَلَ) ^(٤)، ولا يجوز: (حَرَى زَيْدٌ يَفْعُلُ) ^(٥).

ت. اخْلُوقْ:

تُشَبِّهُ (عَسَى) في المعنى؛ أي: في الرجاء، ويجبُ اقتران خبرها بِ(أَنْ) ^(٦)، مثل: (اخْلُوقْ زَيْدٌ أَنْ يَفْعَلَ)، وَ(اخْلُوقْتَ السَّمَاءَ أَنْ تُمَطِّرَ) ^(٧)، و"لا يَجُوزُ أَنْ تقول: (اخْلُوقْتَ السَّمَاءَ تُمَطِّرُ)، وَلَا (اخْلُوقْتَ السَّمَاءَ مَاطِرَةً)، وَلَا ما أشبه ذلك" ^(٨).

الفرق بين (لَعَلَّ) و(عَسَى):

قال الزَّمَخْشَرِيُّ: "(عَسَى) لمقاربة الأمر على سبيل الرجاء والطمع، تقول: (عَسَى اللهُ أَنْ يَشْفِيَ مَرِيضِي)، تريد أَنْ قُرْبَ شِفَائِهِ مَرْجُوٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ - تَعَالَى - مَطْمُوْعٌ فِيهِ" ^(٩)؛ أي: تُستخدم

(١) توضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ٥١٥/١. وانظر: أوضح المسالك، لابن هشام: ٢٩٠/١، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل: ٣٢٣/١، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٢٧٣/١.

(٢) انظر: المفصل، للزمخشري: ٣٥٩، وتوضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ٥١٦/١، وهمع الهوامع، للسيوطي: ٤٧١/١.

(٣) الكتاب، لسيبويه: ١٥٧/٣. وانظر: أوضح المسالك، لابن هشام: ٢٩٨/١.

(٤) انظر: توضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ٥١٨/١، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل: ٣٣٢/١، شرح شذور الذهب، للجوجري: ٤٩٨/٢.

(٥) انظر: شرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٢٧٨/١.

(٦) انظر: شرح شذور الذهب، للجوجري: ٤٩٨/٢.

(٧) انظر: الكتاب، لسيبويه: ١٥٧/٣، وتوضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ٥١٥/١. وأوضح المسالك، لابن هشام: ٢٩٧/١.

(٨) المقاصد الشافية في شَرْحِ الخُلَاصَةِ الكافية "شَرْحُ ألفية ابن مالك"، للشاطبي: ٢٧٥/٢.

(٩) المفصل، للزمخشري: ٣٥٩.

(عَسَى) في المَطْمُوعِ فيه؛ لِتَوَقُّعِ حُصُولِ مَا لَمْ يَحْصُلْ، سَوَاءٌ يُرْجَى حُصُولُهُ عَنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ، وَلَا دُنُوٌّ فِي (لَعَلَّ) اتِّفَاقًا^(١).

وأوضحَ الكَفَوِيُّ أَنَّ (لَعَلَّ) تُسْتَعْمَلُ فِي الْمُتَوَقَّعِ فِيهِ، وَ(عَسَى) فِي الْمَطْمُوعِ فِيهِ -كَمَا بَيَّنَّ الزَّمَخْشَرِيُّ- حَيْثُ قَالَ: "التَّوَقُّعُ أَقْوَى مِنَ الطَّمَعِ، وَالطَّمَعُ ارْتِقَابُ الْمَحْبُوبِ، وَالْإِشْفَاقُ ارْتِقَابُ الْمَكْرُوهِ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْمُتَوَقَّعِ فِيهِ (لَعَلَّ)، وَفِي الْمَطْمُوعِ فِيهِ (عَسَى)، وَكِلَاهُمَا حَرْفُ التَّرْجِي" ^(٢).

رابعاً: تركيب الرجاء في المفهوم التحويلي

تركيب الرجاء تركيب تحويلي، حيث يحول الجملة من الإخبار المحايد إلى الإنشاء غير الطلبي، المفيد للرجاء غالباً أو للإشفاق، فَتَعُدُّ جُمْلَةً (لَعَلَّ زَيْدًا يُجِيبُ السُّؤَالَ) تَرْكِيبًا تَحْوِيلِيًّا يَفِيدُ الرَّجَاءَ، وَقَدْ تَحَوَّلَ مِنْ أَصْلٍ تَوَلِيدِيٍّ، هُوَ: (يُجِيبُ زَيْدٌ السُّؤَالَ)، ثُمَّ تَقَدَّمَ الْفَاعِلُ، لِتَصِيرَ: (زَيْدٌ يُجِيبُ السُّؤَالَ)، ثُمَّ دَخَلَ مَرْكَبُ التَّرْجِي (لَعَلَّ)، فَتَحَوَّلَ التَّرْكِيبُ مِنَ الْإِخْبَارِ إِلَى الرَّجَاءِ: (لَعَلَّ زَيْدًا يُجِيبُ السُّؤَالَ)، وَهُوَ إِنْشَاءٌ غَيْرُ طَلْبِيٍّ، مُكَوَّنٌ مِنَ: الْمَرْكَبِ الْأَسْمِيِّ (زَيْدٍ)، وَالْمَرْكَبِ الْفِعْلِيِّ (يُجِيبُ هُوَ)، وَالْمَرْكَبِ الْأَسْمِيِّ الْمَفْعُولِ بِهِ (السُّؤَالَ).

خامساً: تراكيب الرجاء الواردة في كتاب خُطَبِ الرَّسُولِ ﷺ

وَرَدَ فِي كِتَابِ خُطَبِ الرَّسُولِ ﷺ (سِتَّةٌ عَشَرَ) تَرْكِيبًا لِلرَّجَاءِ، مِنْهَا: (أَحَدُ عَشَرَ) تَرْكِيبًا بِ(لَعَلَّ)^(٣)، وَ(خَمْسَةٌ) تَرَكَيبًا بِ(عَسَى)^(٤)، وَلَمْ يَرِدْ فِي هَذِهِ الْخُطَبِ: (حَزَى) وَلَا (اخْلَوْلَقَ). وَيُبَيِّنُ الْجَدُولُ الْآتِي تَرَكَيبَ الرَّجَاءِ الْوَارِدَةَ فِي كِتَابِ خُطَبِ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الْأَكْثَرِ إِلَى الْأَقَلِّ اسْتِخْدَامًا:

م	تراكيب الرجاء	عدد الاستخدام
١	الرجاء بِالْحَرْفِ (لَعَلَّ)	١١
٢	الرجاء بِالْفِعْلِ (عَسَى)	٥
٣	الرجاء بِالْفِعْلِ (حَزَى)	-
٤	الرجاء بِالْفِعْلِ (اخْلَوْلَقَ)	-

(١) الْكَلِمَاتُ، لِلْكَفَوِيِّ: ٦٣٥.

(٢) السَّابِقُ: ٤٦٩.

(٣) هِيَ: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٧): ١٠-٩، وَخُطْبَةٌ (٢٥): ١٨، وَخُطْبَةٌ (٤٦): ٢٧، وَخُطْبَةٌ (٥٧): ٣٣-٣٤، وَخُطْبَةٌ (١١٦): ٦٢-٦٤، وَخُطْبَةٌ (٢٦٠): ١٣١-١٣٢، وَخُطْبَةٌ (٣٤٢): ١٧٤-١٧٥ فِيهَا مَوْضِعَانِ، وَخُطْبَةٌ (٤٢٦): ٢١٥، وَخُطْبَةٌ (٥٠٤): ٢٦٢، وَخُطْبَةٌ (٥٤٣): ٢٩٣-٢٩٦.

(٤) هُمَا خُطْبَتَانِ: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٨٨): ٤٨ فِيهَا ثَلَاثَةُ مَوَاضِعَ، وَخُطْبَةٌ (٢٤٠): ١٢٢ فِيهَا مَوْضِعَانِ.

بَعْدَ عَامِي هَذَا، فِي مَوْقِفِي هَذَا، أَتِيهَا النَّاسُ، إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ إِلَيَّ أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا،" (١).

٢. تركيب الرجاء بالفعل (عسى):

أ. عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَامَ فِيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيبًا يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ: "عَسَى رَجُلٌ تَحْضُرُهُ الْجُمُعَةُ وَهُوَ عَلَى قَدَرٍ مِيلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فَلَا يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ"، ثُمَّ قَالَ فِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ: "عَسَى رَجُلٌ تَحْضُرُهُ الْجُمُعَةُ وَهُوَ عَلَى قَدَرٍ مِيلَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ فَلَا يَحْضُرُهَا"، وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: "عَسَى رَجُلٌ يَكُونُ عَلَى قَدَرٍ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ فَلَا يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ فَيَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ" (٢). الشاهد: (عسى) وقد تكررت ثلاث مرات.

ب. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ حَمِدَ اللَّهُ وَأَتَتْهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: "أَلَا عَسَى أَحَدُكُمْ أَنْ يَخْلُوَ بِأَهْلِهِ يُغْلِقُ بَابًا، ثُمَّ يُرْخِي سِتْرًا، ثُمَّ يَقْضِي حَاجَتَهُ، ثُمَّ إِذَا خَرَجَ حَدَّثَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ، أَلَا عَسَى إِحْدَاكُمُ أَنْ تُغْلِقَ بَابَهَا، وَتُرْخِي سِتْرَهَا، فَإِذَا قَضَتْ حَاجَتَهَا، حَدَّثَتْ صَوَاحِبَهَا"، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَفْعَلْنَ، وَإِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ، قَالَ: "فَلَا تَفْعَلُوا؛ فَإِنَّمَا مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الشَّيْطَانِ لَقِيَ شَيْطَانَةً عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ فَقَضَى حَاجَتَهُ مِنْهَا، ثُمَّ انْصَرَفَ وَتَرَكَهَا" (٣). الشاهد: (عسى) وقد تكررت مرتين.

سابعًا: نماذج تحليلية لتراكيب الرجاء الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ

١. تركيب الرجاء بالحرف (أَلْعَلَّ):

(١) خُطِبَ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٦٢-٦٤، خُطْبَةٌ رَقْمُ (١١٦). وأصل الحديث في: المعجم الأوسط، للطبراني، باب مَنْ اسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ: ٤٧/٣، حديث رقم (٢٤٣٠)، والشرعية، للأجري، باب ذِكْرِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتُهُ بِالْتَّمَسْكِ بِكِتَابِ اللَّهِ ﷻ وَبِسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَبِمَحَبَّةِ أَهْلِ بَيْتِهِ: ٢٢١٨/٥، حديث رقم (١٧٠٤).

(٢) خُطِبَ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٤٨، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٨٨). وأصل الحديث في: مسند أبي يعلى، لأبي يعلى المؤصلي، مسند جابر: ١٤٠/٤، حديث رقم (٢١٩٨)، وشُعَبُ الْإِيمَانِ، للبيهقي، فَضْلُ الْجُمُعَةِ: ٤٢٢/٤، حديث رقم (٢٧٥٢).

(٣) خُطِبَ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٢٢، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٤٠). وأصل الحديث في: مسند أحمد، لأحمد بن حنبل، مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ: ٥٦٤/٤٥-٥٦٥، حديث رقم (٢٧٥٨٣)، ومسند البزار "البحر الزَّخَّار"، للبزار، مسند أبي حمزة أنس بن مالك: ٦١/١٧، حديث رقم (٩٥٨٣)، ومساوي الأخلاق، للخراطي، باب مَا يُكْرَهُ مِنَ الْمَفَاخِرَةِ بِالْجَمَاعِ، وَإِعْلَانِ مَا يَكُونُ مِنَ الرَّجُلِ إِلَى أَهْلِهِ: ١٩٩، حديث رقم (٤١٣).

وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ



६१७

تَمَّ تحويلُ التركيب السابق مِنَ البِنْيَةِ العميقة (يُصْلِحَ اللَّهُ بِهِ) إِلَى البِنْيَةِ السطحية (وَلَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ) عَنْ طريقِ القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف:

حيثُ حُذِفَ المركب الاسمي الثاني الضمير المنفصل (هُوَ).

٢. الزيادة والإضافة:

أ. تَمَّ زيادة مركب الترجي (لَعَلَّ)؛ ليتحول التركيب مِنَ الإخبار المحايد إِلَى تركيب الرجاء، وهو إنشاءٌ غير طلبِي.

ب. زِيدَ المركب الحرفي (أَنْ) عَلَى خَبَرِ (لَعَلَّ).

٣. التقديم:

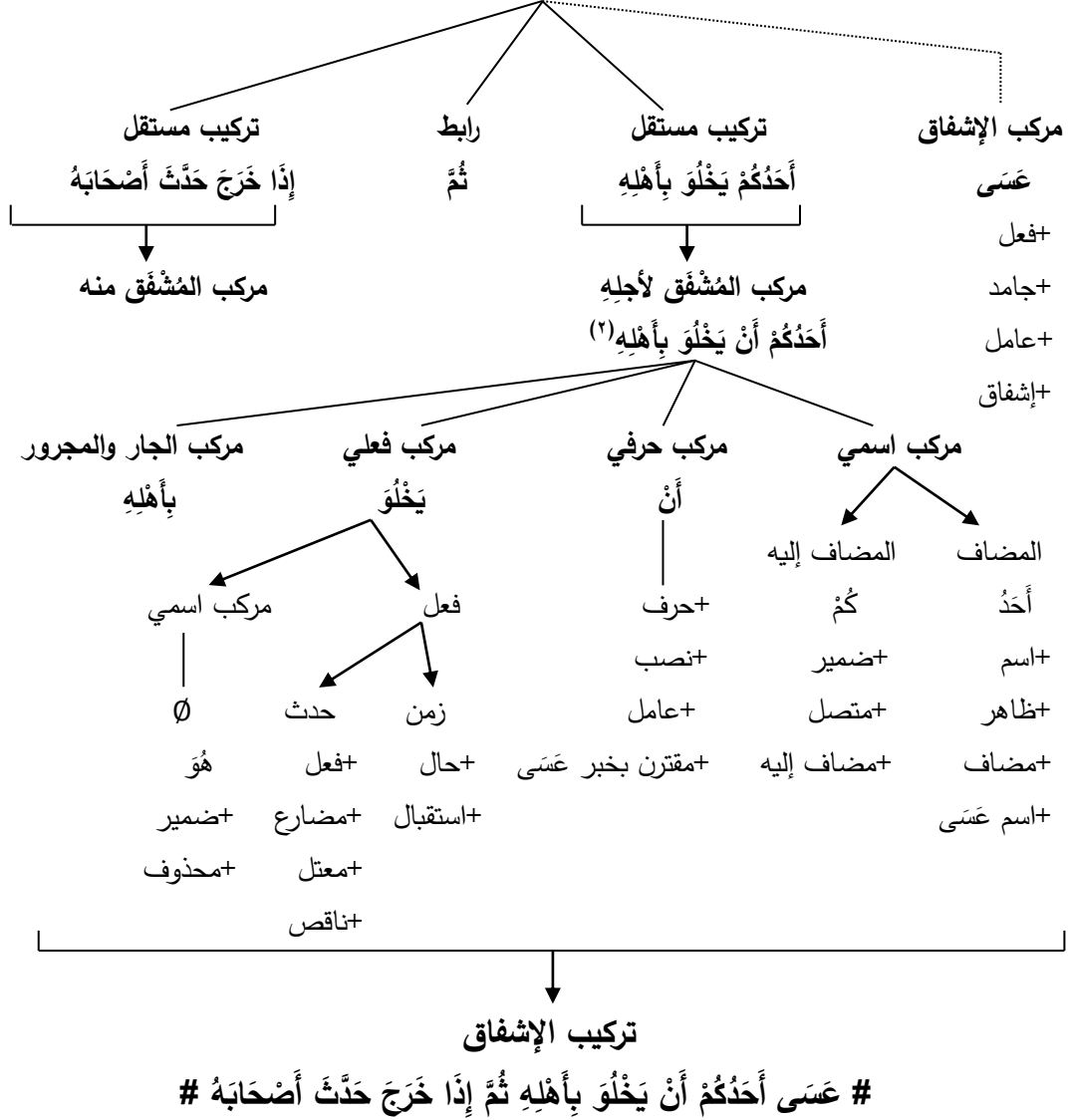
تقدم المركب الاسمي (لفظ الجلالة) الواقع اسْمَ لَعَلَّ - وَقَدْ كَانَ فاعِلًا لِـ (يُصْلِحَ) فِي أصله التوليدي - عَلَى المركب الفعلي (يُصْلِحُ) وَتَرَكَ أَثَرَهُ وَهُوَ الضمير المستتر فِي (يُصْلِحُ)، ثُمَّ تَقَدَّمَ مركب الترجي (لَعَلَّ) عَلَيْهِمَا؛ لِيَصْبِحَ التركيب (لَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ).

٤. الإحلال والتعويض:

حَلَّ تركيب الرجاء (لَعَلَّ) بِجَمِيعِ مكوّناته -وهي: مركب الرجاء (لَعَلَّ)، والمَرْجُوُّ مِنْهُ (اللَّهُ)، والمَرْجُوُّ لَهُ الضمير (بِهِ) العائد عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - محلَّ المركب الفعلي (يُصْلِحَ اللَّهُ بِهِ).

٢. تركيب الرجاء بالفعل (عسى):

عَسَى أَحَدُكُمْ أَنْ يَخْلُوَ بِأَهْلِهِ ... ثُمَّ إِذَا خَرَجَ حَدَّثَ أَصْحَابَهُ ^(١)



^(١) سبق تخريج الحديث، ص: ٤١٧، حاشية (٣)، وهي خطبة رقم (٢٤٠).

^(٢) قُمتُ بتحليل مركب (المشفق لأجله)؛ لأنه التركيب المستهدف الذي دَخَلَ عليه مركب الإشفاق (عسى).

تَمَّ تحويلُ التركيب السابق مِنَ البِنْيَةِ العميقة (يَخْلُو أَحَدُكُمْ بِأَهْلِهِ يُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ) إِلَى البنية السطحية (عَسَى أَحَدُكُمْ أَنْ يَخْلُو بِأَهْلِهِ ثُمَّ إِذَا خَرَجَ حَدَّثَ أَصْحَابَهُ) عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف:

حيثُ حُذِفَ المركب الاسمي الثاني الضمير المنفصل (هُوَ) في مركب المُشَفَّقِ لأجلِهِ.

٢. الزيادة:

أ. تَمَّ زيادة مركب الإشفاق (عَسَى)؛ ليتحول التركيب مِنَ الإخبار المحايد إِلَى تركيب الإشفاق، وهو إنشاءٌ غير طلبِي.

ب. زِيدَ المركب الحرفي (أَنْ) عَلَى خَبَرِ (عَسَى).

٣. التقديم:

تَقَدَّمَ المركب الاسمي (أَحَدُكُمْ) الواقع اسْمَ عَسَى -وَقَدْ كَانَ فاعِلًا لِـ(يَخْلُو) فِي أصلِهِ التوليدي- عَلَى المركب الفعلي (يَخْلُو) وترك أثره وهو الضمير المستتر فِي (يَخْلُو)، ثُمَّ تَقَدَّمَ مركب الإشفاق (عَسَى) عليهما؛ ليصبح التركيب (عَسَى أَحَدُكُمْ أَنْ يَخْلُو بِأَهْلِهِ).

٤. الإحلال:

حَلَّ تركيب الإشفاق (عَسَى) بجميع مكوناته -وهي: مركب الإشفاق (عَسَى)، والمُشَفَّقُ لأجلِهِ (أَحَدُكُمْ أَنْ يَخْلُو بِأَهْلِهِ)، والمُشَفَّقُ مِنْهُ (إِذَا خَرَجَ حَدَّثَ أَصْحَابَهُ)- محلَّ المركب الفعلي (يَخْلُو أَحَدُكُمْ بِأَهْلِهِ يُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ).

المبحث الخامس

تركيب الدعاء

أولاً: (الدعاء) لغةً واصطلاحاً

الدعاء لغةً: الطَّلَبُ والْتِدَاءُ والابْتِهَالُ والرَّغْبَةُ إِلَى اللَّهِ ﷻ^(١). وقال ابنُ فارسٍ: "الدُّعاء: أَنْ تُمِيلَ الشَّيْءَ إِلَيْكَ بِصَوْتٍ وَكَلَامٍ يَكُونُ مِنْكَ، تقول: دَعَوْتُ أَدْعُو دُعَاءً"^(٢). وتُستخدم لفظة (الدعاء) في الخير والشر، يُقال: دَعَوْتُ لَهُ بِخَيْرٍ، وَعَلَيْهِ بِشَرٍّ^(٣).

وَقَدْ فَرَّقْنَا فِي الْفصلِ السَّابِقِ فِي مبحثِ النداء بين النداء والدعاء، وهو - باختصار - أَنَّ النِّداءَ يَكُونُ بِرَفْعِ الصَّوْتِ بِمَا لَهُ مَعْنَى، والدُّعاءُ يَكُونُ بِرَفْعِ الصَّوْتِ وَخَفْضِهِ، يُقال: دَعَوْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَدَعَوْتُ اللَّهَ فِي نَفْسِي، وَلَا يُقال: نَادَيْتُهُ فِي نَفْسِي^(٤).

الدعاء اصطلاحاً: عَرَفَهُ الشُّوكَانِي قَائِلاً: "السُّؤالُ بِجَلْبِ النِّفْعِ، وَدَفْعِ الضَّرَرِ"^(٥). وقال ابنُ عاشور: "الدُّعاءُ طَلَبٌ بِخُضُوعٍ وَحِرْصٍ عَلَى إِجَابَةِ الْمَطْلُوبِ"^(٦). وَقَدْ عَرَّفَ ابنُ الْقَيْمِ دُعَاءَ الْمَسْأَلَةِ فَقَالَ: "دُعَاءُ الْمَسْأَلَةِ هُوَ: طَلَبٌ مَا يَنْفَعُ الدَّاعِيَ، وَطَلَبٌ كَشَفِ مَا يَضُرُّهُ أَوْ دَفْعُهُ"^(٧).

وَيُلْحَظُ مِنَ التَّعْرِيفَاتِ السَّابِقَةِ أَنَّهَا تَخَصُّ النِّفْعَ وَرَفْعَ الضَّرَرِ، وَهَذَا دُعَاءٌ بِالْخَيْرِ، وَلَمْ تَتَحَدَّثْ عَنْ الدُّعَاءِ بِالشَّرِّ. وَبَعْضُهَا يَتَعَلَّقُ بِجَانِبِ الدُّعَاءِ التَّضَرُّعِيِّ لِلذَّاتِ، وَلَا يَتَعَلَّقُ بِجَانِبِ الْغَيْرِ مِنْ حَيْثُ الدُّعَاءُ عَلَى الْآخَرِ، وَيُمْكِنُ لِلْبَاحِثِ أَنْ يَخْرُجَ بِتَعْرِيفٍ لِلدُّعَاءِ، وَهُوَ: الطَّلَبُ عَلَى سَبِيلِ التَّضَرُّعِ وَالِابْتِهَالِ لِجَلْبِ النِّفْعِ وَالْخَيْرِ لِمَدْعُوِّ لَهُ، أَوْ لِجَلْبِ الضَّرَرِ وَالْمَشَقَّةِ وَالشَّرِّ لِمَدْعُوِّ عَلَيْهِ.

ثانياً: سَبَبُ دراسةِ تركيبِ الدعاء ضمن التراكيب الإنشائية غير الطلبيّة

إِنَّ الْإِنْشَاءَ الطَّلِبِيَّ -كَمَا ذَكَرَ سَابِقاً- هُوَ اسْتِدْعَاءُ مَطْلُوبٍ غَيْرِ حَاصِلٍ وَقَتَّ الطَّلَبِ، وَهَذَا مُتَحَقِّقٌ فِي الدُّعَاءِ؛ إِذْ إِنَّ الدُّعَاءَ طَلَبٌ لشيءٍ غَيْرِ حَاصِلٍ وَقَتَّ الدُّعَاءِ لِمَدْعُوِّ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ "جُمْلَةً: (غَفَرَ اللَّهُ لَهُ) خَبَرِيَّةٌ فِي الْلفظِ دُونَ الْمَعْنَى؛ إِذْ مَعْنَاهَا طَلَبُ الدُّعَاءِ لِلْمِيتِ بِالْغُفْرَانِ؛

(١) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده: ٣٢٥/٢ (دَعَوَ)، والمخصص، لابن سيده: ٢١٩/١ (الدُّعاء والصياح والزجر)، ولسان العرب، لابن منظور: ٢٦٠/١٤ (دَعَوَ)، وتاج العروس، للزبيدي: ٤٦/٣٨ (دَعَوَ).

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس: ٢٧٩/٢ (دَعَوَ).

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده: ٣٢٥/٢ (دَعَوَ). وانظر: الكليات، للكفوي: ٤٤٦ (فصل الدال).

(٤) انظر: الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري: ٣٨.

(٥) فتح القدير، للشوكاني: ١٣٦/٢.

(٦) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٥٤٨/١.

(٧) بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية: ٨٣٥/٣.

وَطَلَبُ الدَّعَاءِ إِنْشَاءٌ لَا خَبَرَ^(١)؛ فالجملة السابقة خبرية لفظاً، إنشائية طلبية معنًى. إنشَاءٌ لأنه كلامٌ لَا يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ لِذَاتِهِ، وَطَلَبٌ لأنه يَسْتَدْعِي مطلوباً غير حاصِلٍ وَقْتَ الطَّلَبِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الدَّعَاءَ فِي أَصْلِهِ التَّوْلِيدِيَّ إِنْشَاءً طَلْبِيًّا: الْأَمْرُ أَوْ النَّهْيُ، فَحِينَما نَقُولُ: (هَذَاكَ اللَّهُ) مَتَحَوَّلَةٌ مِنْ بَنِيَّةٍ عَمِيقَةٍ هِيَ أَمْرٌ: (لِيَغْفِرَ اللَّهُ لَكَ) أَوْ (اغْفِرِ اللَّهُمَّ لَهُ)، وَكَذَلِكَ جُمْلَةٌ (لَا هَذَاكَ اللَّهُ) أَصْلُهَا الْعَمِيقُ نَهْيٌ: (لَا تَهْدِهِ اللَّهُمَّ).

ولغة العرب تقرر ذلك، قال ابن السراج: "اعلم أَنَّ أَصْلَ الدَّعَاءِ أَنْ يَكُونَ عَلَى لَفْظِ الْأَمْرِ وَإِنَّمَا اسْتَعْظَمَ أَنْ يَقَالَ: أَمْرٌ، وَالْأَمْرُ لِمَنْ دُونَكَ، وَالدَّعَاءُ لِمَنْ فَوْقَكَ، وَإِذَا قُلْتَ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي) فَهُوَ كَلْفُظُكَ إِذَا أَمَرْتَ فَقُلْتَ: (يَا زَيْدُ أَكْرِمْ عَمْرًا)، وَكَذَلِكَ إِذَا عَرَضْتَ فَقُلْتَ: (انْزِلْ)، فَهُوَ عَلَى لَفْظِ (اضْرِبْ)، وَقَدْ يَجِيءُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالدَّعَاءُ عَلَى لَفْظِ الْخَبَرِ إِذَا لَمْ يَلْبَسْ، تَقُولُ: (أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ)؛ فَالْفُظُّ لَفْظُ الْخَبَرِ، وَالْمَعْنَى دَعَاءٌ، وَلَمْ يَلْبَسْ"^(٢).

وقد استبعدتُ هذا التركيب من الدراسة في الفصل السابق مع التراكيب الإنشائية الطلبية؛ لئلا يحدث خَلْطٌ أَوْ لَبْسٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَرْكِيبِيٍّ (الأمر والنهي) اللَّذَيْنِ يَخْرُجَانِ لِعَرَضِ الدَّعَاءِ.

ثالثاً: صُورُ تَرْكِيبِ الدَّعَاءِ فِي الْعَرَبِيَّةِ

تَعَدَّدَتْ فِي الْعَرَبِيَّةِ صُورُ تَرْكِيبِ الدَّعَاءِ، وَأَهْمُهَا^(٣):

١. الدَّعَاءُ بِصِغَةِ الْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ الَّتِي فِعْلُهَا ماضٍ مُثَبَّت:

مِنْ أَمْثَلَةِ الدَّعَاءِ بِالْخَيْرِ: (غَفَرَ اللَّهُ لَكَ)، وَ(جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا)، وَ(مَنْ اللَّهُ عَلَيْكَ)، وَ(حَيَّاكَ اللَّهُ)، وَ(رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ). وَمِنْ أَمْثَلَةِ الدَّعَاءِ بِالشَّرِّ: (جَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا)، وَ(مَحَقَّ اللَّهُ بَرَكَتَهُ عُمْرَكَ)، وَ(شَوَّهَ اللَّهُ خُلُقَهُ).

٢. الدَّعَاءُ بِصِغَةِ الْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ الَّتِي فِعْلُهَا ماضٍ مَنْفِي:

مِنْ أَمْثَلَةِ الدَّعَاءِ بِالْخَيْرِ: (لَا عَدَمْتُ الْخَيْرَ)، وَ(لَا شَلْتُ يَدَاكَ). وَمِنْ أَمْثَلَةِ الدَّعَاءِ بِالشَّرِّ: (لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ)، وَ(لَا هَذَاكَ اللَّهُ)، وَ(لَا سَلِمْتُ).

٣. الدَّعَاءُ بِصِغَةِ الْمَصْدَرِ الْمُثَبَّتِ النَّائِبِ عَنْ فِعْلِهِ:

مِنْ أَمْثَلَةِ الدَّعَاءِ بِالْخَيْرِ: (هَنِيئًا لَكَ)، وَ(قَدَى لَكَ أَبِي وَأُمِّي)، وَ(سَقِيًا لَكَ). وَمِنْ أَمْثَلَةِ الدَّعَاءِ بِالشَّرِّ: (وَيْلًا لَكَ)، وَ(وَيْلَكَ)، وَ(فُجْأًا لَهُ)، وَ(بُعْدًا لَكَ)، وَ(سُخْقًا)، وَ(تَعْسًا)،

(١) النحو الوافي، لعباس حسن: ٣٧٥/١.

(٢) الأصول في النحو، لابن السراج: ١٧٠/٢.

(٣) انظر: الكتاب، لسيبويه: ٢٩٥/١ و ١٦٧/٣، والأصول في النحو، لابن السراج: ١٧٠/٢، وشرح كتاب سيبويه، للرماني: ٤٢٧/١، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٦١٢، والمقاصد الشافية، للشاطبي: ٤٧/٢، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ١٩٣/١، وهمع الهوامع، للسيوطي: ٢٠/٢ و ١٠٥، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، حمدان رضوان أبو عاصي: ٢٣٤-٢٣٥.

حيثُ قال الرماني: "والدعاء إنما يكون في الحقيقة بالفعل، فحال الدعاء قد دلت على الفعل، والمصدر قد دل على جنس الفعل، ونصبه يدل على أنه محمول عليه"^(١). وقال السيوطي: "مِنْ هَذِهِ الْأَلْفَافِ فِي الدُّعَاءِ لِلْإِنْسَانِ أَوْ عَلَيْهِ كَسَقِيًّا، وَرَعِيًّا، وَجَذْعًا، وَغَرًّا، وَبُعْدًا، وَسُحْقًا، وَتَعَسًّا، وَنَكَسًا، وَبُؤْسًا، وَخَيْبَةً، وَتَبًّا"^(٢). وقال سيبويه: "مَرْحَبًا) وَ(أَهْلًا)؛ أَي: أَدْرَكْتَ ذَلِكَ وَأُصْبِتَ، فَحَذَفُوا الْفِعْلَ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِمْ إِيَّاهُ، وَكَأَنَّهُ صَارَ بَدَلًا مِنْ رَحِبْتُ بِلَاذِك وَأَهْلْتُ"^(٣)، وعلّق أبو حيان على كلام سيبويه فقال فيما نقله السيوطي عنه: "قَالَ أَبُو حَيَّانَ^(٤): وَإِنَّمَا قَدَّرَهُ -أَي: سِبْيُوِيَه- بِفِعْلٍ؛ لِأَنَّ الدُّعَاءَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْفِعْلِ فَقَدَّرَهُ بِفِعْلٍ مِنْ لَفْظِ الشَّيْءِ الْمَدْعُو بِهِ. فَعَلَى تَقْدِيرِ سِبْيُوِيَه يَكُونُ انْتِصَابُ (مَرْحَبًا) عَلَى الْمَصْدَرِ لَا عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ"^(٥).

٤. الدعاء بصيغة المصدر المنفي النائب عن فعله:

مِنْ أَمْثَلَةِ الدُّعَاءِ بِالْخَيْرِ: (لَا سَلًّا)، وَ(لَا خَيْبَةً)، وَمِنْ أَمْثَلَةِ الدُّعَاءِ بِالشَّرِّ: (لَا مَرْحَبًا)، وَ(لَا كَرَامَةً)، وَ(لَا سَقِيًّا)، وَ(لَا هَنِيئًا). قال الرماني: "(لَا مَرْحَبًا)، وَ(لَا أَهْلًا)، وَ(لَا كَرَامَةً)، وَ(لَا مَسَرَّةً)، وَ(لَا سَلًّا)، وَ(لَا سَقِيًّا)، وَ(لَا رَعِيًّا)، وَ(لَا هَنِيئًا)، وَ(لَا مَرِيئًا)؛ فَكُلُّ هَذَا فِيهِ مَعْنَى الدُّعَاءِ، إِلَّا أَنَّ مِنْهُ مَا هُوَ لِلْمَذْكُورِ كَقَوْلِكَ: (لَا سَلًّا)؛ أَي: لَا تَشَلَّ، وَمِنْهُ مَا هُوَ عَلَيْهِ"^(٦).

٥. الدعاء بصيغة الجملة الاسمية:

مِنْ أَمْثَلَةِ الدُّعَاءِ بِالْخَيْرِ: (أَهْلِي فِدَاؤُكَ)، وَ(طُوبَى)، وَ(نَفْسِي فِدَاكَ)، وَ(سَلَامٌ عَلَيْكَ). وَمِنْ أَمْثَلَةِ الدُّعَاءِ بِالشَّرِّ: (لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ). قال الشاطبي في جواز الابتداء بالنكرة: "أَنَّ يَكُونَ فِيهِ مَعْنَى الدُّعَاءِ، نَحْوَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾"^(٧)، وَقَوْلُهُمْ: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ)"^(٨).

(١) شرح كتاب سيبويه، للرماني: ٤٢٧/١.

(٢) همع الهوامع، للسيوطي: ١٠٥/٢. وانظر: مغني اللبيب، لابن هشام: ٦١٢.

(٣) الكتاب، لسيبويه: ٢٩٥/١.

(٤) لم أعثر على كلام أبي حيان في كُتُبِهِ المتوفرة لَدَيَّ.

(٥) همع الهوامع، للسيوطي: ٢٠/٢.

(٦) شرح كتاب سيبويه، للرماني: ٤٢٧/١.

(٧) سورة الصافات: ١٣٠.

(٨) المقاصد الشافية، للشاطبي: ٤٧/٢. وانظر: شرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ١٩٣/١.

رابعًا: تراكيب الدُّعاء الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ

بَلَّغَتْ تراكيبُ الدُّعاء في هذه الخُطَبِ (خَمْسِينَ) تركيبًا، منها: (عَشْرُونَ) تركيبًا للدُّعاء بالخير بصيغة جملة فعلية فعلها ماضٍ مُثَبَّتٌ^(١)، و(سَبْعَةٌ) تراكيب للدُّعاء بالخير بصيغة الجملة الاسمية^(٢)، و(تَرْكِيبٌ وَاحِدٌ) للدُّعاء بالخير بصيغة المصدر النائب عن فعله^(٣)، و(سِتَّةٌ) تراكيب للدُّعاء بالشر بصيغة جملة فعلية فعلها ماضٍ مُثَبَّتٌ^(٤)، و(ثَمَانِيَةٌ) تراكيب للدُّعاء بالشر بصيغة جملة فعلية فعلها ماضٍ منفي^(٥)، و(ثَمَانِيَةٌ) تراكيب للدُّعاء بالشر بصيغة المصدر النائب عن فعله^(٦).

ولم يَرِدْ تركيب الدُّعاء - في هذه الخُطَبِ - في أربع صُورٍ، وهي: الدُّعاء بالخير بصيغة جملة فعلية فعلها ماضٍ منفي، والدُّعاء بالخير بصيغة المصدر المنفي النائب عن فعله، والدُّعاء بالشر بصيغة المصدر المنفي النائب عن فعله، والدُّعاء بالشر بصيغة الجملة الاسمية. يُبيِّن الجدول الآتي نوع الدُّعاء وصيغته الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ مِنَ الأكثرِ إِلَى الأقلِّ استخدامًا:

م	نوع الدُّعاء وصيغته	عدد الاستخدام
١	الدُّعاء بالخير بصيغة جملة فعلية فعلها ماضٍ مُثَبَّتٌ	٢٠
٢	الدُّعاء بالشر بصيغة جملة فعلية فعلها ماضٍ منفي	٨
٣	الدُّعاء بالشر بصيغة المصدر النائب عن فعله	٨
٤	الدُّعاء بالخير بصيغة الجملة الاسمية	٧
٥	الدُّعاء بالشر بصيغة جملة فعلية فعلها ماضٍ مُثَبَّتٌ	٦

(١) هي: خُطبة رقم (١٦٢) في خُطَبِ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّد خَلِيل الخطيب: ٨٣، وخُطبة (٣١٥): ١٥٩، وخُطبة (٣٤٠): ١٧٤، وخُطبة (٣٤٤): ١٧٥ لكنه حديث موضوع، وخُطبة (٣٦٦): ١٨٤ وهو حديث موضوع، وخُطبة (٣٩١): ١٩٥، وخُطبة (٤٥٠): ٢٢٩-٢٣١، وخُطبة (٤٧٧): ٢٤٧، وخُطبة (٤٩٠): ٢٥٥ فيها موضعان، وخُطبة (٥٧١): ٣١٤-٣١٥ فيها عشرة مواضع.

(٢) هي: خُطبة رقم (٢٩٣): ١٤٨-١٤٩، وخُطبة (٣٣٢): ١٧٠-١٧١ فيها ثلاثة مواضع، وخُطبة (٣٦٢): ١٨٢ لكنه حديث موضوع، وخُطبة (٤٢٤): ٢١٤-٢١٥، وخُطبة (٤٨٦): ٢٥٣-٢٥٤.

(٣) هي: خُطبة رقم (٥٧١): ٣١٤-٣١٥.

(٤) هي: خُطبة رقم (٢٩٣): ١٤٨-١٤٩ فيها خمسة مواضع، وخُطبة (٤٧٢): ٢٤٦.

(٥) هي: خُطبة رقم (٨٣): ٤٥ فيها موضعان، وخُطبة (٨٧): ٤٨ فيها موضعان، وخُطبة (٢٩٣): ١٤٨-١٤٩، وخُطبة (٤٣٨): ٢٢١-٢٢٢ فيها ثلاثة مواضع.

(٦) هي: خُطبة رقم (٦٥): ٣٨ فيها موضعان، وخُطبة رقم (٣٧٠): ١٨٥ وهي خطبة موضوعية، وخُطبة (٥٣٠): ٢٧٩-٢٨١ فيها ثلاثة مواضع، وخُطبة (٥٤٦): ٢٩٧ فيها موضعان.

٦	الدعاء بالخير بصيغة المصدر النائب عن فعله	١
٧	الدعاء بالخير بصيغة جملة فعلية فعلها ماضٍ منفي	-
٨	الدعاء بالشر بصيغة الجملة الاسمية	-
٩	الدعاء بالخير بصيغة المصدر المنفي النائب عن فعله	-
١٠	الدعاء بالشر بصيغة المصدر المنفي النائب عن فعله	-
	المجموع	٥٠

خامساً: عَرَضُ لِنَمَازِجِ تَرْكِيبِ الدَّعَاءِ الْوَارِدَةِ فِي كِتَابِ خُطْبِ الرَّسُولِ ﷺ

١. الدعاء بالخير بصيغة جملة فعلية فعلها ماضٍ مثبت:

أ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا تَكَلَّمَ فَعَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ" (١).

ب. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "تَنَكَّحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا؛ فَاطْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ" (٢).

ت. عَنْ الْمُسَوِّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ؓ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلنَّاسِ كَافَّةً؛ فَأَدُّوا عَنِّي رَحِمَكُمْ اللَّهُ، وَلَا تَخْتَلِفُوا..." (٣).

ث. عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ لِلْمَسَاجِدِ أَوْتَادًا، جَلَسَاؤُهُمُ الْمَلَائِكَةُ، إِنْ غَابُوا فَقَدُواهُمْ، وَإِنْ مَرَضُوا عَادُواهُمْ، وَإِنْ رَأَوْهُمْ رَحَبُوا بِهِمْ، وَإِنْ طَلَبُوا حَاجَةً أَعَانُوهُمْ، فَإِذَا جَلَسُوا حَقَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ لَدُنْ أَقْدَامِهِمْ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ،، وَيَقُولُونَ: اذْكُرُوا رَحِمَكُمْ اللَّهُ، زِيدُوا زَادَكُمْ اللَّهُ؛ فَإِذَا اسْتَفْتَحُوا الذِّكْرَ فَتَحَتْ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، ..." (٤).

(١) خُطْبُ الرُّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٧٤، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣٤٠). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: شُعَبِ الْإِيمَانِ، لِلْبَيْهَقِيِّ، فَضَّلَ فِي فَضْلِ السَّكُوتِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَعْنِيهِ: ١٧/٧، حَدِيثٌ رَقْمُ (٤٥٨٥).

(٢) خُطْبُ الرُّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٩٥، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣٩١). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ، لِلْبَخَارِيِّ، بَابُ الْأَكْفَاءِ فِي الدِّينِ: ٧/٧، حَدِيثٌ رَقْمُ (٥٠٩٠)، وَصَحِيحِ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ اسْتِحْبَابِ نِكَاحِ ذَاتِ الدِّينِ: ١٠٨٦/٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٤٦٦).

(٣) خُطْبُ الرُّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٤٧، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٧٧). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ، لِلطَّبْرَانِيِّ، حَدِيثُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنِ الْمُسَوِّرِ بْنِ مَخْرَمَةَ: ٨/٢٠، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٢).

(٤) خُطْبُ الرُّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٥٥، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٩٠). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْجَامِعِ، لِمُعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ، بَابُ فَضْلِ الْمَسَاجِدِ: ٢٩٧/١١، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٠٥٨٥)، وَشُعَبِ الْإِيمَانِ، لِلْبَيْهَقِيِّ، فَضْلُ الْمَشْيِ إِلَى الْمَسَاجِدِ: ٣٨٣/٤، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٦٩٤)، وَالْقَوْلُ الْبَدِيعُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْحَبِيبِ الشَّفِيعِ، لِلْسَّخَاوِيِّ: الْبَابُ الثَّانِي: فِي ثَوَابِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ١٢٣.

ج. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: نَعَى إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -بِأَبِي هُوَ^(١)- نَفْسَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ، فَلَمَّا دَنَا الْفِرَاقُ جَمَعَنَا إِلَيْهِ فِي بَيْتٍ أَمِنًا عَائِشَةً، ثُمَّ قَالَ: "مَرْحَبًا بِكُمْ، حَيَّاكُمُ اللَّهُ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، آوَاكُمُ اللَّهُ، نَصَرَكُمُ اللَّهُ، رَفَعَكُمُ اللَّهُ، نَفَعَكُمُ اللَّهُ، هَدَاكُمُ اللَّهُ، رَزَقَكُمُ اللَّهُ، وَفَقَكُمُ اللَّهُ، سَلَّمَكُمُ اللَّهُ، قَبَلَکُمُ اللَّهُ، أَوْصِيَكُمُ بِتَقْوَى اللَّهِ،" ^(٢).

٢. الدعاء بالخير بصيغة الجملة الاسمية:

وقد جاءت جميع التراكيب بلفظ (طُوبَى)؛ أي: طُوبَى لَكَ أَوْ لَهُ أَوْ لَهُمْ، ومنها:

أ. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسَيِّئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِرُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَةِ، لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فَوْقِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتْلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا سِيَمَاهُمْ؟ قَالَ: "النَّحْلِيُّ"^(٣).

ب. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ لِلَّهِ سَيَّارَةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِذَا مَرُّوا بِحَلَقِ الذِّكْرِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اقْعُدُوا، وَإِذَا دَعَا الْقَوْمُ أَمَّنُوا عَلَى دُعَائِهِمْ، فَإِذَا صَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ صَلُّوا مَعَهُمْ حَتَّى يَفْرَغُوا، ثُمَّ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: طُوبَى لِهَؤُلَاءِ، يَرْجِعُونَ مَغْفُورًا لَهُمْ"^(٤).

٣. الدعاء بالخير بصيغة المصدر النائب عن فعله:

^(١) هذا دعاء تقديره: (أَبِي فِدَاؤُكَ)؛ أَي: لِيَفِدَكَ أَبِي، وَقَدْ اسْتَنْتَيْتُهُ مِنَ الدَّرَاسَةِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ كَلَامِ الصَّحَابِيِّ وَلَيْسَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ.

^(٢) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٣١٤-٣١٥، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٧١). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مَسْنَدِ الْبَزَارِ "الْبَحْرُ الزَّخَار"، لِلْبَزَارِ، حَدِيثُ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: ٣٩٤/٥، حَدِيثُ رَقْمِ (٢٠٢٨)، وَالْمَعْجَمُ الْأَوْسَطُ، لِلطَّبْرَانِيِّ، حَدِيثُ مَنْ اسْمُهُ عَلِيٌّ: ٢٠٨/٤، حَدِيثُ رَقْمِ (٣٩٩٦).

^(٣) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢١٤-٢١٥، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٢٤). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: السُّنَنِ، لِأَبِي دَاوُدَ، بَابُ فِي قِتَالِ الْخَوَارِجِ: ٢٤٣/٤، حَدِيثُ رَقْمِ (٤٧٦٥)، وَالسُّنَنِ الْكُبْرَى، لِلْبَيْهَقِيِّ، بَابُ مَا جَاءَ فِي قِتَالِ أَهْلِ النِّعْيِ وَالْخَوَارِجِ: ٢٩٧/٨، حَدِيثُ رَقْمِ (١٦٧٠٣).

^(٤) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٥٣-٢٥٤، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٨٦). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مَسْنَدِ الْبَزَارِ "الْبَحْرُ الزَّخَار"، لِلْبَزَارِ، مَسْنَدُ أَبِي حَمْزَةَ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ: ١١٦/١٣، حَدِيثُ رَقْمِ (٦٤٩٤)، وَالتَّرغِيبُ وَالتَّرْهيبُ، لِلتِّمِّيِّ قَوَامِ السُّنَّةِ، بَابُ التَّرغِيبِ فِي الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: ٣١٩/٢، حَدِيثُ رَقْمِ (١٦٧٢)، وَسُبُلُ الْهُدَى وَالرِّشَادُ فِي سِيرَةِ خَيْرِ الْعِبَادِ، لِلصَّالِحِيِّ الشَّامِيِّ: ٤٢٦/١٢.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: نَعَى إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -بِأَبِي هُوَ- نَفْسَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ، فَلَمَّا دَنَا الْفِرَاقُ جَمَعْنَا إِلَيْهِ فِي بَيْتِ أُمِّنَا عَائِشَةَ، ثُمَّ قَالَ: "مَرْحَبًا بِكُمْ، حَيَّاكُمُ اللَّهُ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، آوَاكُمُ اللَّهُ، نَصَرَكُمُ اللَّهُ، رَفَعَكُمُ اللَّهُ، نَفَعَكُمُ اللَّهُ، هَدَاكُمُ اللَّهُ، رَزَقَكُمُ اللَّهُ، وَفَقَّكُمُ اللَّهُ، سَلَّمَكُمُ اللَّهُ، قَبَّلَكُمُ اللَّهُ، أَوْصِيَكُمُ بِتَقْوَى اللَّهِ،" ^(١).

٤. الدعاء بالشرِّ بصيغة جملة فعلية فعلها ماضٍ مثبت:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَتَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهَمِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ، ... ^(٢)". (الشاهد: (تَعَسَّ) وقد تكرر أربع مرات، و(انْتَكَسَ). قال ابن الأثير: (تَعَسَّ)؛ أي: إذا عثر وانكب على وجهه، وهو دعاء عليه بالهلاك ^(٣)، و(انْتَكَسَ)؛ أي: انقلب على رأسه، وهو دعاء عليه بالخيبة؛ لأنَّ مَنْ انْتَكَسَ في أمره فَقَدْ خَاب وخسر ^(٤).

٥. الدعاء بالشرِّ بصيغة جملة فعلية فعلها ماضٍ منفي:

أ. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْجُمُعَةَ فِي مَقَامِي هَذَا، فِي سَاعَتِي هَذِهِ، فِي شَهْرِي هَذَا، فِي عَامِي هَذَا، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مَنْ تَرَكَهَا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ مَعَ إِمَامٍ عَادِلٍ أَوْ جَائِزٍ فَلَا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ شَمْلُهُ، وَلَا بَارَكَ لَهُ فِي أَمْرِهِ، ... ^(٥)". (الشاهد: (لَا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ شَمْلُهُ)، و(لَا بَارَكَ لَهُ فِي أَمْرِهِ)).

ب. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَتَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهَمِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ، ... ^(٦)". (الشاهد: (لَا انْتَقَشَ) وهو "دُعَاءٌ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَقْدَرَ عَلَى نَزْعِ شَوْكَتِهِ بِالْمِنْقَاشِ" ^(٧)).

^(١) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٤٢٦، حاشية (٢)، وهي خطبة رقم (٥٧١).

^(٢) خُطِبَ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٤٨-١٤٩، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٩٣). وأصل الحديث في: صحيح البخاري، للبخاري، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله: ٣٤/٤، حديث رقم (٢٨٨٦) و(٢٨٨٧)، والمعجم الأوسط، للطبراني، باب مَنْ اسْمُهُ إِبْرَاهِيمَ: ٩٤/٣، حديث رقم (٢٥٩٥).

^(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: ١٩٠/١.

^(٤) السابق: ١١٥/٥.

^(٥) خُطِبَ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٤٨، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٨٧). وأصل الحديث في: سنن ابن ماجه، لابن ماجه، باب في فرض الجمعة: ٣٤٣/١، حديث رقم (١٠٨١)، والمعجم الأوسط، للطبراني، حديث مَنْ اسْمُهُ أَحْمَدُ: ٦٤/٢، حديث رقم (١٢٦١).

^(٦) تخريج حاشية (٢)، في هذه الصفحة، وهي خطبة رَقْمُ (٢٩٣).

^(٧) غريب الحديث، للحري: ٣١٢/١.

٦. الدعاء بالشَّرِّ بصيغة المصدر النائب عن فعله:

أ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "...؛ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلَا لِيَذَانَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الصَّالُّ، أَنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ، فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سَحَقًا، سَحَقًا" ^(١). والشاهد: (سَحَقًا، سَحَقًا).

ب. جاء في خطبة طويلة للنبي ﷺ يحذر فيها مِنَ الدجال: "... ... فَجَلَسُوا فِي أَقْرَبِ السَّفِينَةِ، فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرَةِ الشَّعْرِ، قَالُوا: وَبِئْسَ مَا أَنْتِ؟ قَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ...؛ قُلْنَا: وَبِئْسَ مَا أَنْتِ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبْرِي...؛ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهَا مِنْ دُبُرِهَا مِنْ كَثَرَةِ الشَّعْرِ قُلْنَا: وَبِئْسَ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ فَقَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبْرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا وَفَزَعْنَا مِنْهَا وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً..." ^(٢). والشاهد: (وَبِئْسَ مَا أَنْتِ) وقد وردت مرتين.

سادسًا: تركيب الدعاء في المفهوم التحويلي

تركيب الدعاء في المفهوم التحويلي تركيب سطحي، أصله التوليدي في صورة الأمر أو النهي، وقد سبق سيبويه المُحَدِّثِينَ فقال: "اعْلَمْ أَنَّ الدعاء بمنزلة الأمر والنهي، وإنما قيل: دعاء؛ لأنه استُعْظِمَ أَنْ يُقَالَ: أَمْرٌ أَوْ نَهْيٌ، وذلك قولك: (اللَّهُمَّ زَيْدًا فَاعْفِرْ ذَنْبَهُ)، و(زَيْدًا فَأَصْلِحْ شَأْنَهُ)، و(عَمْرًا لِيَجْزِهِ اللَّهُ خَيْرًا)، وتقول: (زَيْدًا قَطَعَ اللَّهُ يَدَهُ)، و(زَيْدًا أَمَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْعَيْشَ)؛ لَأَنَّ معناه معنى: (زَيْدًا لِيَقْطَعَ اللَّهُ يَدَهُ)". فيقرر سيبويه أَنَّ أَصْلَ الدعاءِ أَمْرٌ أَوْ نَهْيٌ.

لذلك فإنَّ الدعاء بصيغة الجملة الفعلية التي فعلها ماضٍ مثبت، نحو: (عَفَرَ اللَّهُ لَهُ) بنيةً سطحية، أصلها العميق: (لِيَعْفِرَ اللَّهُ لَهُ). والدعاء بصيغة الجملة الفعلية التي فعلها ماضٍ منفي، نحو: (لَا هَذَاكَ اللَّهُ)؛ فإنَّ بُنْيَتَهَا العميقة: (لَا تَهْدِهِ اللَّهُمَّ). والدعاء بصيغة الجملة الاسمية، نحو: (طُوبَى لَكَ)؛ فهذا تركيب محوّل من البنية العميقة: (لِيُحْيِكَ اللَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً). والدعاء بالمصدر المُتَّبَتِ النائب عن فعله، نحو: (سَقِيًا) بِنِيَتِهِ العميقة: (اسْقِ اللَّهُ سَقِيًا). والدعاء بالمصدر المنفِي النائب عن فعله، مثل: (لَا هَنِيئًا لَهُ) محوّل من التركيب العميق: (لَا تُهَنِّهِ اللَّهُمَّ)، وهكذا.

وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ تركيب الدعاء في بنيته السطحية يتكوّن مِنْ مركّب الدعاء، المكوّن مِنْ: (فعل الدعاء)، و(المدعو)، و(المدعو لَهُ أَوْ عَلَيْهِ).

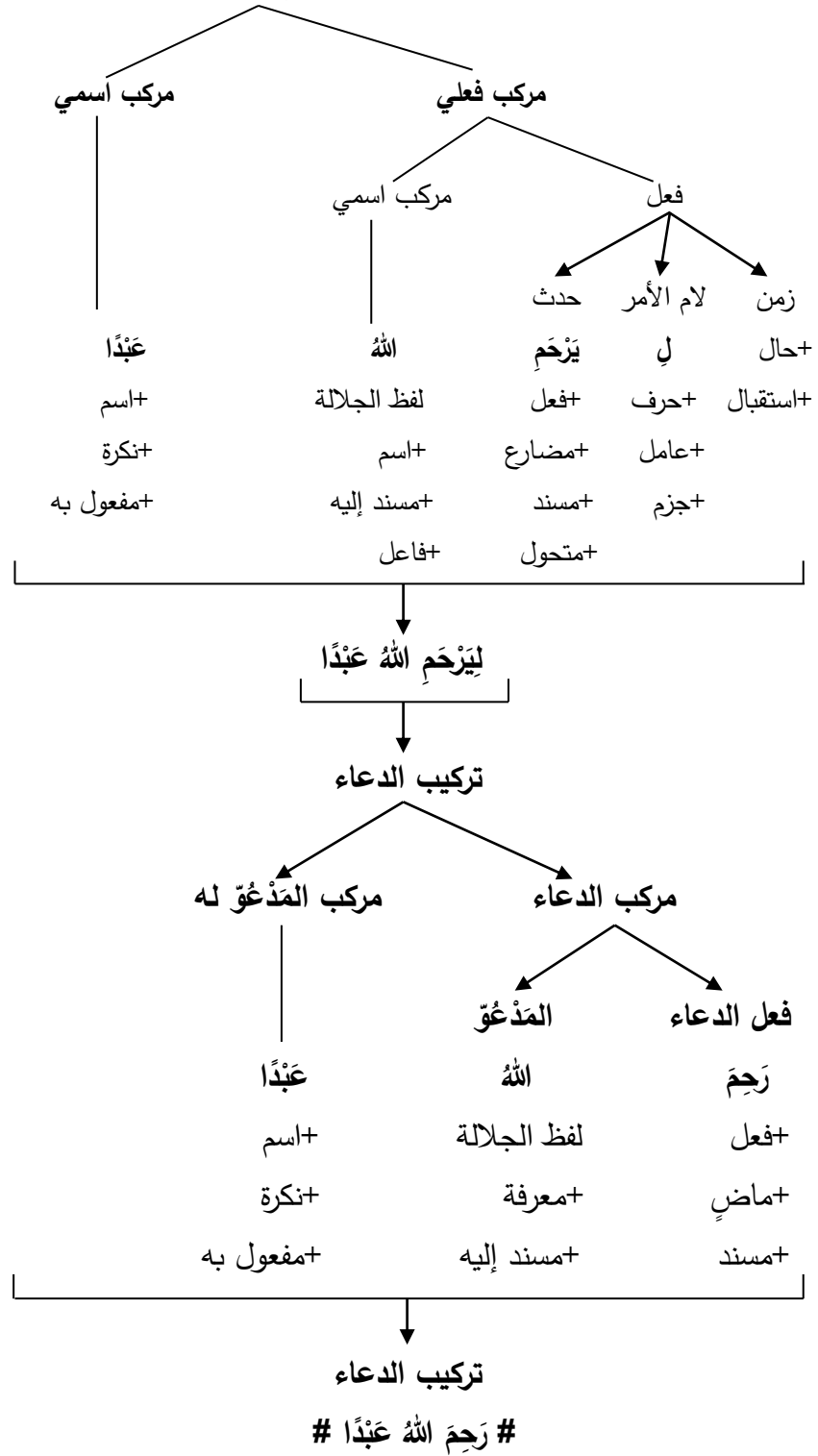
^(١) سبق تخريج الحديث، ص: ٣٠٢، حاشية (٣)، وهي خطبة رقم (٦٥).

^(٢) سبق تخريج الحديث، ص: ٢٥٩، حاشية (١)، وهي خطبة رقم (٥٣٠).

سابعاً: نماذج تحليلية لتراكيب الدُعاء الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ

١. الدُعاء بالخير بصيغة جملة فعلية فعلها ماضٍ مُثَبَّت:

رَحِمَ اللهُ عَبْدًا ^(١)



(١) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٤٢٥، حاشية (١)، وهي خُطبة رقم (٣٤٠).

تَمَّ تحويلُ التركيب السابق مِنَ البِنْيَةِ العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الإحلال والتعويض:

- أ. حَلَّ الفعل الماضي (رَجِمَ) محلَّ فعل الأمر ولأمله (لِيَرْحَمْ).
- ب. تَحَوَّلَ تركيب الأمر (لِيَرْحَمْ اللهُ عَبْدًا) بجميع مكوناته -وهي: مركب الدعاء المُكَوَّن مِنْ فِعْلِ الدعاء (رَجِمَ اللهُ) والمَدْعُو (الله)، وَمِنْ مركب المَدْعُو لَهُ (عَبْدًا)- إلى تركيب الدعاء (رَجِمَ اللهُ عَبْدًا).

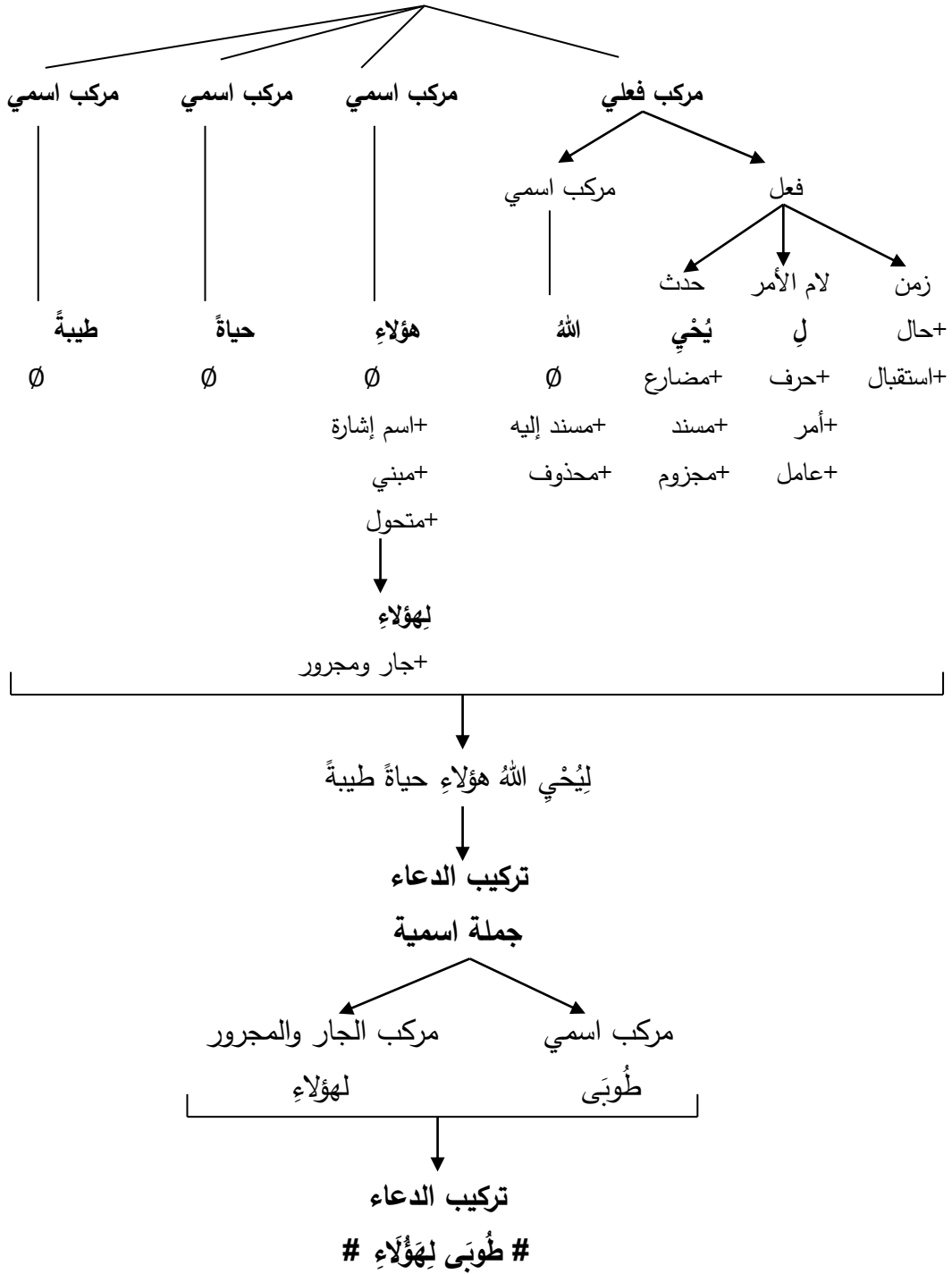
٢. الزيادة:

تم زيادة النغمة الصاعدة على المركب الاسمي (عَبْدًا)؛ لإفادة مدلول الدعاء.

٢. الدعاء بالخير بصيغة الجملة الاسمية:

... ثُمَّ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: طُوبَىٰ لِهَؤُلَاءِ، يَرْجِعُونَ مَغْفُورًا لَهُمْ^(١).

طُوبَىٰ لِهَؤُلَاءِ



(١) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٤٢٦، حاشية (٤)، وهي خُطبة رقم (٤٨٦).

تَمَّ تحويلُ التركيب السابق مِنَ البِنْيَةِ العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

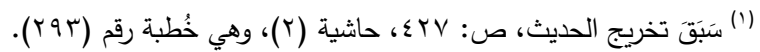
١. الحذف:

حُذِفَتِ المركبات الاسمية الأربعة: (لَفْظُ الْجَلَالَةِ)، و(هُؤُلَاءِ)، و(حَيَاءً)، و(طَبِيبَةً).

٢. الإحلال والتعويض:

حل تركيب الدعاء وهو الجملة الاسمية (طُوبَى لِهَؤُلَاءِ) محل تركيب الأمر (لِيُحْيِ اللَّهُ هَؤُلَاءِ حَيَاءً طَبِيبَةً)؛ فتحوّلت صيغة الأمر بالمركب الفعلي إلى صيغة الدعاء بالمركب الاسمي.

تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ ^(١)



۴۳۳

تَمَّ تحويلُ التركيب السابق مِنَ البِنْيَةِ العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف:

حُذِفَ المركب الاسمي الأول: (لفظ الجلالة)، وهو يقابل (المدْعُو) في مركب الدعاء.

٢. الإحلال والتعويض:

أ. حَلَّ الفعل الماضي (تَعَسَّ) محلَّ فعل الأمر ولامه (لِيَتَعَسَّ).

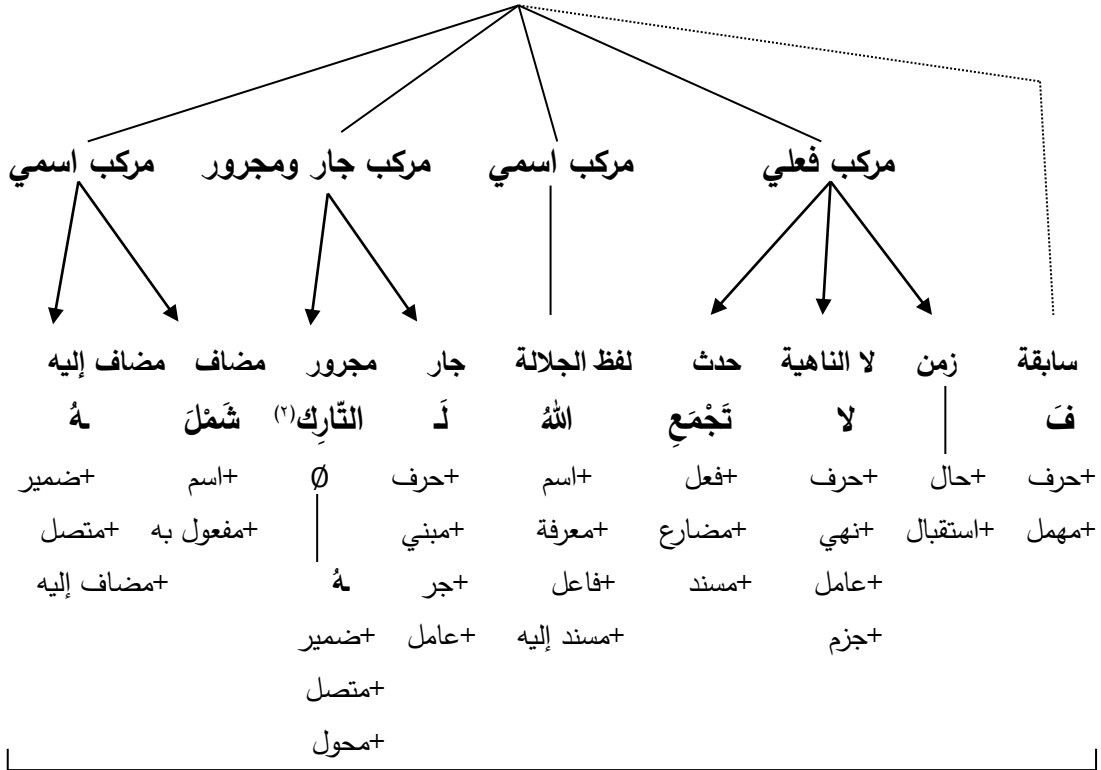
ب. تَحَوَّلَ تركيب الأمر (لِيَتَعَسَّ اللهُ عَبْدَ الدِّينَارِ) بجميع مكوناته -وهي: مركب الدعاء

المُكوَّن مِن فِعْلِ الدعاء (لِيَتَعَسَّ) والمدْعُو (الله)، وَمِنْ مركب المدْعُو عليه (عَبْدُ

الدِّينَارِ) - إلى تركيب الدعاء (تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ).

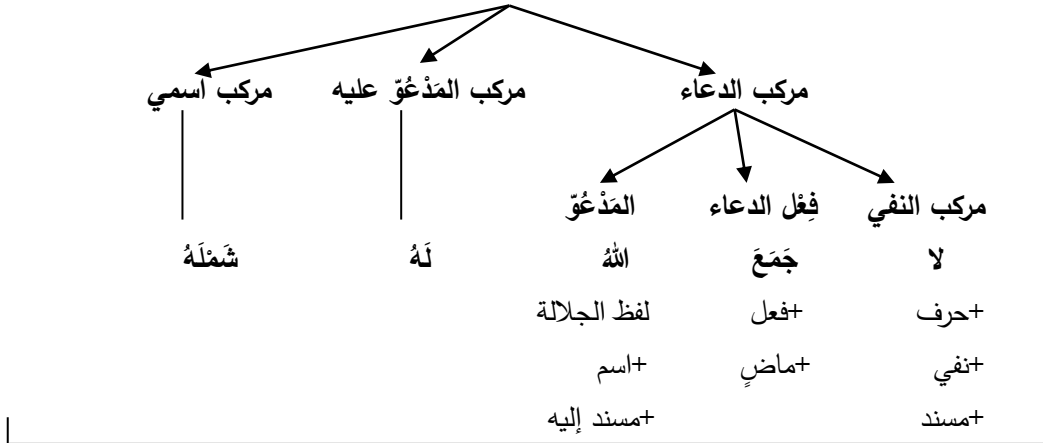
٤. الدعاء بالشَّرِّ بصيغةِ جملةٍ فعليةٍ فعلها ماضٍ منفي:

فَلَا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ شَمْلَةٌ^(١)



تركيب الدعاء

لَا تَجَمَّعَ اللَّهُ لَهُ شَمْلَةٌ



تركيب الدعاء

فَلَا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ شَمْلَةٌ

^(١) سبق تخريج الحديث، ص: ٤٢٧، حاشية (٥)، وهي خطبة رقم (٨٧).

^(٢) أي: التارك للجمعة بغير عذر، يتضح ذلك من متن الحديث: "مَنْ تَرَكَهَا مِنْ غَيْرِ عَذْرِ مَعَ إِمَامٍ عَادِلٍ أَوْ جَائِرٍ فَلَا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ شَمْلَةٌ".

تَمَّ تحويلُ التركيب السابق مِنَ البُنْيَةِ العميقة إلى البُنْيَةِ السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف:

حُذِفَ مركب المجرور (التَّارِك).

٢. الإحلال والتعويض:

أ. حَلَّ الضمير (الهاء) في (لَهُ) محلَّ المركب الاسمي (التَّارِك).

ب. حَلَّ تركيب الدعاء (لَا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ شَمْلُهُ) - المَكُونُ مِنْ مركب الدعاء المشتمل

على: مركب النفي (لا)، وعلى فعل الدعاء (جَمَعَ)، ومركب المَدْعُو (اللَّهُ)،

ومركب المَدْعُو عليه الهاء في (لَهُ) - محلَّ مركب النهي (لا تَجْمَعِ اللَّهُ لَهُ

شَمْلُهُ).

الفصل الثالث

التركيب غير الإنشائية المَحَوَّلَة في خُطْبِ النبي ﷺ

وَيُقَسَّمُ إِلَى ثَلَاثَةِ مَبَاحِثَ:

المبحث الأول: تركيب النفي

المبحث الثاني: تركيب الشرط

المبحث الثالث: تركيب التوكيد

المبحث الرابع: تركيب التعليل

المبحث الخامس: تركيب الحال

المبحث السادس: تركيب المفعول المطلق ونائبه

تمهيد:

تناولت هذه الدراسة - في الفصلين السابقين - الأساليب الإنشائية: الطلبية وغير الطلبية التي وردت في خطب النبي ﷺ، من خلال كتاب: (خطب الرسول ﷺ، للشيخ: محمد خليل الخطيب)، وسنتناول في هذا الفصل - بعون الله تعالى - الأساليب غير الإنشائية المحولة في هذه الخطب.

التركيب التي اعتنى بها هذا الفصل:

إنّ التركيب التي اعتنى بها هذا الفصل ستة، وهي: (تركيب النفي، وتركيب الشرط، وتركيب التوكيد، وتركيب التعليل، وتركيب الحال، وتركيب المفعول المطلق ونائبه). وقد بلغ عدد التركيب غير الإنشائية في كتاب خطب الرسول ﷺ (أربعة آلاف وأربع مائة وأربعة وأربعين) تركيباً؛ ومن ثمّ فهي أكثر التركيب كلّها وُرداً في هذه الخطب. واتضح للباحث أنّ أكثر التركيب غير الإنشائية وُرداً في هذه الخطب هي: تركيب (التوكيد)، ثمّ تركيب (النفي)، ثمّ تركيب (الشرط)، ثمّ تركيب (الحال)، ثمّ تركيب (التعليل)، ثمّ تركيب (المفعول المطلق ونائبه).

وبيّن الجدول الآتي عدد التركيب غير الإنشائية في كتاب خطب الرسول ﷺ من الأكثر إلى الأقل استخداماً:

م	التركيب غير الإنشائية	عدد الاستخدام
١	التوكيد	٢٠٠٠
٢	النفي	١١٨٩
٣	الشرط	٩٥٨
٤	الحال	١٧٨
٥	التعليل	٦١
٦	المفعول المطلق ونائبه	٥٨
	المجموع	٤٤٤٤

طريقة التحليل المتبعة في هذه الدراسة:

سيتبع الباحث الطريقة نفسها التي اتبعها في الفصلين السابقين، من دراسة نظرية للتركيب ثمّ تحليله شجرياً وفق النظرية التحليلية التوليدية، ثمّ ذكر القوانين التحليلية لهذا التركيب.

وَأَسْتَنْتَيْتُ - في هذا الفصل - التراكيب غير الإنشائية التي تَلَفَّظَ بها الصحابة أو غيرهم
كَرَوَاةِ الحديث، مُقْتَصِرًا بذلك على التراكيب غير الإنشائية التي نُسِبَتْ لرسولِ الله ﷺ وتَلَفَّظَ بها
في هذه الخُطَبِ.

المبحث الأول تركيب النفي

أولاً: النفي لغةً واصطلاحاً:

النفي لغةً: يأتي النفي في اللغة بمعنى: التَّجْيِي والطَّرْد والإِبْعَاد والجَحْد، يُقَالُ: نَفَى الشَّيْءَ يَنْفِي نَفْيًا؛ أَي: تَنَحَّى^(١). ونَفَاهُ: نَحَاهُ وَطَرَدَهُ وَأَبْعَدَهُ وَجَحَدَهُ^(٢). وقال ابنُ سَيِّدِهِ: "السَّيْلُ يَنْفِي الغُثَاءَ: يَحْمِلُهُ وَيَذْفَعُهُ"^(٣).

أما الفَرْقُ بَيْنَ النِّفْيِ والجَحْدِ فَقَالَ ابْنُ الشَّجَرِيِّ: "قَدْ يَكُونُ النِّفْيُ جَحْدًا، فَإِذَا كَانَ النِّفْيُ صَادِقًا فِيمَا قَالَهُ سُمِّيَ كَلَامَهُ نَفْيًا، وَإِنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَاذِبٌ فِيمَا نَفَاهُ سُمِّيَ ذَلِكَ النِّفْيُ جَحْدًا، فَالنِّفْيُ -إِذَنْ- أَعَمُّ مِنَ الْجَحْدِ؛ لِأَنَّ كُلَّ جَحْدٍ نَفْيٌ، وَلَيْسَ كُلُّ نَفْيٍ جَحْدًا، فَمِنَ النِّفْيِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ﴾^(٤)، وَمِنَ الْجَحْدِ نَفْيُ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ لآيَاتِ مُوسَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُِّينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾^(٥) ﴿٦﴾، فَقَدْ رَبَطَ ابْنُ الشَّجَرِيِّ النِّفْيَ وَالْجَحْدَ بِالصِّدْقِ وَالْكَذِبِ.

وَيَتَّفِقُ الشَّرِيفُ الْجَرَجَانِيُّ مَعَ ابْنِ الشَّجَرِيِّ أَنَّ النِّفْيَ أَعَمُّ مِنَ الْجَحْدِ، بَعْدَ أَنْ خَصَّصَ الْجَحْدَ بِجَزْمِ الْمَضَارِعِ بِ(لَمْ) حَيْثُ قَالَ: "الْجَحْدُ: مَا انْجَزَمَ بِ(لَمْ) لِنَفْيِ الْمَاضِي، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِخْبَارِ عَنِ تَرْكِ الْفِعْلِ فِي الْمَاضِي، فَيَكُونُ النِّفْيُ أَعَمُّ مِنْهُ، وَقِيلَ الْجَحْدُ: عِبَارَةٌ عَنِ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ الْمَجْزُومِ بِ(لَمْ) الَّتِي وُضِعَتْ لِنَفْيِ الْمَاضِي فِي الْمَعْنَى"^(٧).

النفي اصطلاحاً:

يُراد بالنفي في الاصطلاح ما يناقض الإثبات، قال ابن يعيش: "اعلم أنَّ النفي إنما يكون على حسب الإيجاب؛ لأنه إكذابٌ له، فينبغي أن يكون على وَفْق لفظه لا فرق بينهما، إِلَّا

(١) العَيْنُ، لِلخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ: ٣٧٦/٨ (بَابُ النُّونِ وَالْفَاءِ)، وَتَهْذِيبُ اللُّغَةِ، لِلأَزْهَرِيِّ: ٣٤٢/١٥ (نَفَى).

(٢) انْظُرْ: مَجْمَلُ اللُّغَةِ، لِابْنِ فَارِسَ: ٨٧٧/١ (نَفَى)، وَلِسَانُ الْعَرَبِ، لِابْنِ مَنْظُورَ: ٣٣٧/١٥ (نَفَى)، وَتَاجُ الْعُرُوسِ، لِلزَّيْنِيِّ: ١١٦/٤٠ (نَفَى).

(٣) الْمُحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ، لِابْنِ سَيِّدِهِ: ٤٩٥/١٠ (نَفَى).

(٤) سُورَةُ الْأَحْزَابِ: ٤٠.

(٥) سُورَةُ النَّعْلِ: ١٣-١٤.

(٦) الْأُمَالِي، لِابْنِ الشَّجَرِيِّ: ٣٩١/١، وَانْظُرْ: كَشَافُ اصْطِلَاحَاتِ الْفُنُونِ وَالْعُلُومِ، لِلتَّهَانَوِيِّ: ١٧٢٢/٢ (حَرْفُ النُّونِ).

(٧) التَّعْرِيفَاتُ، لِلشَّرِيفِ الْجَرَجَانِيِّ: ٧٤.

أَنَّ أحدهما نفيّ، والآخر إيجابٌ^(١)؛ فيرى ابن يعيش أَنَّ النفيّ إكذابٌ للإثبات، وفي مفهومه "النفيّ إكذابٌ للإيجاب" إشارة إلى أَنَّ الإثبات يمثل البنية الذهنية العميقة، ثُمَّ يأتي النفيّ بمنزلة البنية السطحية.

وقال الشريف الجرجاني: "هو ما لا يَنْجَزُ بِ(لا)، وهو عبارة عَنِ الإخبار عَن تَرْكِ الفعلِ"^(٢)، ويقصد بتعريفه أَنَّ النفيّ نقيضُ الإثبات.

وَقَدْ عَرَّفَهُ خليل عمايرة؛ فقال: "إخراج الحُكْمِ في تركيبٍ لُغَوِيٍّ مُثَبَّتٍ إلى ضِدِّهِ، وتحويل معنى ذهني فيه الإيجابُ والقَبولُ إلى حُكْمٍ يُخالفه إلى نقيضه، وذلك بصيغةٍ تحتوي على عنصرٍ يفيد ذلك، أو بِصَرَفِ ذَهْنِ السامعِ إلى ذلك الحُكْمِ عن طريقٍ غير مباشرةٍ مِنَ المقابلةِ أو ذِكْرِ الضِدِّ، أو بتعبيرٍ يَسُوْدُ في مجتمعٍ (ما)؛ فيقترن بِضِدِّ الإيجاب والإثبات"^(٣).

يشير عمايرة في قوله: (معنى ذهني فيه الإيجابُ والقَبولُ) إلى البنية العميقة، وفي قوله: (حُكْمٍ يُخالفه إلى نقيضه) إلى البنية السطحية؛ مما يدل على أَنَّ تعريف عمايرة - في بعض أجزائه - أقرب إلى المفهوم التحويلي. وَقَدْ تحدّث عن معنى النفي الرئيس في بداية كلامه: "إخراج الحُكْمِ في تركيبٍ لُغَوِيٍّ مُثَبَّتٍ إلى ضِدِّهِ"، ثُمَّ أَكَّدَ ما بَدَأَهُ حِينَ قال: "فيقترن بِضِدِّ الإيجاب والإثبات"؛ فَالْنَفْيُ - كَمَا هُوَ معلومٌ - ضِدُّ الإثبات.

وكثيرًا ما يتعلق أسلوب النفي بمناسبةٍ (ما)، فَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، حيثُ تُحدّدُ مناسباتُ القولِ النَّفْيِ الذي يُعدُّ أسلوبَ نَقْضٍ وإنكار، يُستخدم لِدَفْعِ ما يتردّد في ذهن المخاطب^(٤). وليس للنفي بابٌ مستقل في كُتُبِ النحاة الأوائل يُرجع إليه، لكنه مبعوث في ثناياها.

ثانيًا: أقسام النفي

يُقسم النفي إلى نوعين: (النفي الضمني)، و(النفي الصريح)^(٥). وهذا عَرَضٌ موجز لِهَذَيْنِ النوعين:

(١) شرح المفصل، لابن يعيش: ٣١/٥.

(٢) السابق: ٢٤٥.

(٣) في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل أحمد عمايرة: ١٥٤.

(٤) في النحو العربي - نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي: ٢٤٦.

(٥) وَقَعَ هذان النوعان في مواضع متناثرة في: شرح التسهيل، لابن مالك: ٢٦٩/٢ و ٢٨٠/٢ و ٣٦٩/٣، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٩٤، وشرح التسهيل "تمهيد القواعد"، لناظر الجيش: ٢١٣٧/٥، وتحقيق الفوائد الغيائية، للكرّماني: ٥٠٩/١، والمقاصد الشافية، للشاطبي: ٦٢/٦-٦٣، وشرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ١٩٣/١، وحاشية الصبان على شرح الأشموني، للصبان: ٤٤٧/٣.

أولاً: **النفي الضمني (غير الصريح):** هو النفي الذي يُفهم من سياق التركيب، فلا يُستعمل معه كلمة من كلمات النفي الصريحة، ومن أمثله: الاستفهام الذي يخرج إلى معنى النفي. وقد تعرّضنا لهذا النوع في أثناء دراستنا للأساليب الإنشائية.

ثانياً: **النفي الصريح (الظاهر):** هو ما يكون بواسطة كلمة من كلمات النفي؛ أي: "بإحدى الكلمات الخاصة الموضوعة له"^(١)، وأشهرها: (لَيْسَ، لا النافية، لَمْ، لَمَّا، ما، لَنْ، إِنْ النافية، لَاتَ، كَلَّا، غَيْرَ). وهذا شرح مختصر لها:

١. **لَيْسَ:**

وَقَعَ خِلَافٌ بَيْنَ النَحَاةِ حَوْلَ (لَيْسَ)؛ فِيرَى جَمْهُورُ الْبَصْرِيِّينَ أَنَّهَا فِعْلٌ غَيْرُ مُتَصَرِّفٍ، وَيَرَى جَمْهُورُ الْكُوفِيِّينَ أَنَّهَا حَرْفٌ عَطْفٍ، وَيَرَى فَرِيقٌ أَنَّهَا حَرْفٌ اسْتِثْنَاءٍ، وَيَرَى آخَرُونَ أَنَّهَا حَرْفٌ نَفْيٍ غَيْرُ عَامِلٍ وَاحْتَجَوْا بِمَا حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْعَرَبِ: (لَيْسَ الطَّيِّبُ إِلَّا الْمِسْكُ) حَيْثُ رُفِعَ (الطَّيِّبُ) وَ(الْمِسْكُ) جَمِيعًا^(٢).

وأشهرُ الأقوال قولُ أهلِ البصرة، قال سيبويه: "(لَيْسَ) فِعْلٌ"^(٣)، وقال في موطن آخر: "لَمْ تُصَرَّفْ تَصَرُّفُ الْفِعْلِ"^(٤)، وقال ابن هشام: "كلمة دَالَّةٌ عَلَى نَفْيِ الْحَالِ وَتَنْفِي غَيْرِهِ بِالْقَرِينَةِ، ... وَهِيَ فِعْلٌ لَا يَتَصَرَّفُ"^(٥).

وَرَجَّحَ فِعْلِيَّتَهَا الْمُرَادِيُّ فَقَالَ: "(لَيْسَ) فِعْلٌ لَا يَتَصَرَّفُ، هَذَا مَذْهَبُ الْجَمْهُورِ، وَدَلِيلُ فِعْلِيَّتِهَا اتِّصَالُ الضَّمَائِرِ الْمَرْفُوعَةِ الْبَارِزَةِ بِهَا، وَاتِّصَالُ تَاءِ التَّأْنِيثِ"^(٦).

وَعَدَّ خَلِيلُ عَمَايِرَةَ -مِنَ اللَّغَوِيِّينَ التَّحْوِيلِيِّينَ- أَنَّ (لَيْسَ) عُضْرُ نَفْيٍ فَقَطْ، وَلَا عِلَاقَةٌ لَهَا بِاسْمٍ وَلَا بِفِعْلٍ: "وَالَّذِي نَرَاهُ أَنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ -بِصَرَفِ النَّظَرِ عَمَّا قِيلَ فِي أَصْلِهَا وَفِي اللَّغَةِ الَّتِي انْسَلَتْ مِنْهَا إِلَى الْعَرَبِيَّةِ- عُضْرُ نَفْيٍ لَيْسَ غَيْرَ، وَلَا عِلَاقَةٌ لَهَا بِاسْمِيَّةٍ وَلَا بِفِعْلِيَّةٍ؛ فَإِنْ كَانَ الْاسْمُ مَا يَشِيرُ إِلَى مُسَمًّى، وَالْفِعْلُ مَا يَشِيرُ إِلَى حَدَثٍ وَزَمَنٍ، فَإِنَّ (لَيْسَ) دَالٌّ يَفْتَقِرُ إِلَى مَدْلُولِهِ بَيْنَ الْمَسْمِيَّاتِ، وَلَا يَشِيرُ إِلَى حَدَثٍ وَلَا إِلَى زَمَنٍ، يَدْخُلُ عَلَى الْجُمْلَةِ التَّوَلِيدِيَّةِ أَوْ التَّحْوِيلِيَّةِ الْاسْمِيَّةِ فَيَنْقُلُهَا مِنْ مَعْنَى الْإِثْبَاتِ إِلَى مَعْنَى

(١) النحو الوافي، لعباس حسن: ٣١٦/٢ حاشية رقم (٣).

(٢) انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات الأنباري: ١٣٠/١-١٣١، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٢٣٠/٢، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٣٨٧.

(٣) الكتاب، لسيبويه: ٣٧/٢.

(٤) السابق: ٤٦/١، وانظره: ١٤٧/١ و ٣٤٤/٢ و ٢٣٣/٤.

(٥) مغني اللبيب، لابن هشام: ٣٨٦-٣٨٧.

(٦) الجنى الداني، للمرادي: ٤٩٣.

النفي^(١)؛ فهو يميل مع مَنْ قال: إنها حرفُ نفيٍّ غير عامل لما نقلوه عن بعض العرب في قولهم: (لَيْسَ الطَّيِّبُ إِلَّا الْمِسْكُ)، والراجح -كما ذكرَ الجمهور- أَنَّهَا فِعْلٌ للنفي غير مُنْصَرَفٍ.

٢. لا النافية:

تأتي (لا) النافية على أقسام، وأهمها^(٢):

أ. أَنْ تكونَ عاملةَ عَمَلٍ (إِنْ)، وهي (لا) النافية للجنس (للتبرئة)، نحو: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٣)، و(لا مُهْمَلٌ مُنْتِجٌ).

ب. أَنْ تكونَ عاملةَ عملٍ ليس، ولا تعملُ إِلَّا في النكرة، مثل: (لا مالَ ضائعًا مع الصَّدَقَةِ)^(٤). وَإِنَّ (لَا) هَذِهِ تَخَالِفُ (لَيْسَ) من ثَلَاثِ جِهَاتٍ^(٥).

ت. أَنْ تكونَ نافية غير عاملة، ولها ثلاثة أنواع: عاطفة، وجوابية، ونافية غير عاطفة ولا جوابية.

فالعاطفة: تشترك في الإعراب دون المعنى، وتعطف بعد الإيجاب، نحو: (يُقُومُ زَيْدٌ لَا عَمْرُو)، وبعد الأمر، نحو: (اضْرِبْ زَيْدًا لَا عَمْرًا)، وبعد النداء^(٦)، نحو: (يا زَيْدُ لَا عَمْرُو). والمعطوف بِـ (لا) إما مفرد كما ذُكِرَ، وإما جملة لها محل من الإعراب، نحو: (زَيْدٌ يَقُومُ لَا يَقْعُدُ).

والجوابية: وهي نقيضة (نَعَمْ)، كقولك (لا) في جواب: (هَلْ قَامَ زَيْدٌ؟)، وهي نائبة مناب الجملة؛ فالتقدير: (لا لَمْ يَقُمْ)، ثُمَّ بَقِيَتْ (لا).

وأما (لا) غير العاطفة ولا الجوابية فإنَّها تدخل على الأسماء والأفعال؛ أي: على الجملتين الاسمية والفعلية، فَإِنْ كَانَ مَا بَعْدَهَا جملة اسمية صدرها معرفة أو نكرة

(١) في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل أحمد عمارة: ١٥٦-١٥٧.

(٢) انظر: الجمل في النحو، للخليل بن أحمد: ٣١٨-٣٢١، وحروف المعاني والصفات، للزجاجي: ٨-٩، والمفصل، للزمخشري: ٤٠٥-٤٠٦، والمقرب، لابن عصفور: ١٠٤/١-١٠٥، والكُنَاش في فني النحو والصرف، لِلْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ صاحب حماة: ١٤٧/٢-١٤٨، والجنى الداني، للمرادي: ٢٩٠-٢٩٩، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٣١٣-٣٢٢، وشرح قواعد الإعراب، لِلْقُوجَوِيِّ شَيْخِ زَاذَه: ١٠٨-١١١.

(٣) سورة البقرة: ٢.

(٤) قال المرادي: "أجاز ابن جني إعمال (لا) عمل لَيْسَ في المعرفة، ووافقه ابن مالك. وَمَنْعَ -مُطْلَقًا- المبرد والأخفشُ إعمال (لا) عمل (ليس)". الجنى الداني، للمرادي: ٢٩٣.

(٥) انظرها في: مغني اللبيب، لابن هشام: ٣١٥-٣١٦.

(٦) قال المرادي: "تَصَّ عليه سيبويه. وزعم ابن سعدان أن العطف بِـ (لا) على منادى ليس من كلام العرب، ولا يعطف بها بعد نفي، ولا نهى". الجنى الداني، للمرادي: ٢٩٤.

وَلَمْ تَعْمَلْ فِيهَا أَوْ مَا بَعْدَهَا جُمْلَةً فَعَلِيَّةٌ صَدْرُهَا فِعْلٌ مَاضٍ لَفْظًا وَتَقْدِيرًا وَجَبَ تَكَرُّرُهَا، وَمِثَالُ الْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ الَّتِي صَدْرُهَا مَعْرِفَةٌ: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾^(١). وَمِثَالُ النُّكْرَةِ الَّتِي لَمْ تَعْمَلْ فِيهَا (لَا): ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾^(٢). وَمِثَالُ الْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ الَّتِي صَدْرُهَا فِعْلٌ مَاضٍ: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾^(٣). أَمَّا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾^(٤) فَإِنَّ (لَا) فِيهِ مُكَرَّرَةٌ فِي الْمَعْنَى لَا اللَّفْظُ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: فَلَا فَكَّ رَقَبَةً وَلَا أَطْعَمَ مِسْكِينًا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ تَفْسِيرٌ لِلْعَقَبَةِ^(٥). قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: "يَجِبُ تَكَرُّرُهَا إِذَا دَخَلَتْ عَلَى مُفْرَدٍ خَبَرٍ أَوْ صِفَةٍ أَوْ حَالٍ، وَمِثَالُ الْخَبَرِ: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾^(٦)، وَمِثَالُ الصِّفَةِ: ﴿زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾^(٧)، وَمِثَالُ الْحَالِ: (جَاءَ زَيْدٌ لَا بَاكِيًا وَلَا ضَاحِكًا). وَإِنْ كَانَ مَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ فِعْلًا مُضَارِعًا لَمْ يَجِبْ تَكَرُّرُهَا، نَحْوُ: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ﴾^(٨)، وَنَحْوُ: (جَاءَ زَيْدٌ لَا يَتَكَلَّمُ).

وَتَأْتِي (لَا) "زَائِدَةً لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ، فَتَعْتَرِضُ بَيْنَ الْعَامِلِ وَالْمَعْمُولِ، وَتَكُونُ بِمَعْنَى (غَيْرِ)، كَقَوْلِكَ: (ضَرَبْتُهُ بِلَا ذَنْبٍ). وَبَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ، كَقَوْلِكَ: (زَيْدٌ لَا صَدِيقٌ وَلَا عَدُوٌّ). وَبَيْنَ الْحَالِ وَصَاحِبِهَا، كَقَوْلِكَ: (قَدِمَ الْأَمِيرُ لَا ضَاحِكًا وَلَا عَابِسًا)"^(٩).

٣. لَا ت:

(١) سورة يس: ٤٠.

(٢) سورة الصافات: ٤٧.

(٣) سورة القيامة: ٣١.

(٤) سورة البلد: ١١.

(٥) انظر: الجني الداني، للمرادي: ٢٩٦-٢٩٩، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٣١٩-٣٢١.

(٦) سورة البقرة: ٦٨.

(٧) سورة النور: ٣٥.

(٨) سورة النساء: ١٤٨.

(٩) مغني اللبيب، لابن هشام: ٣٢١. قَالَ الْمُرَادِي فِي دُخُولِ (لَا) النَّافِيَةِ عَلَى الْمُضَارِعِ: "تَصْ الزَّمْخَشَرِيُّ وَمَعْظَمُ الْمُتَأَخِّرِينَ عَلَى أَنَّهَا تَخْلُصُهُ لِلْإِسْتِقْبَالِ، وَهُوَ ظَاهِرُ مَذْهَبِ سَيَبَوِيهِ. وَذَهَبَ الْأَخْفَشُ، وَالْمَبْرَدُ وَتَبَعَهُمَا ابْنُ مَالِكٍ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ لَازِمٍ، بَلْ قَدْ يَكُونُ الْمُنْفِي بِهَا لِلْحَالِ". الْجَنِيُّ الدَّانِي، لِلْمُرَادِي: ٢٩٦.

(١٠) اللُّمَّةُ فِي شَرْحِ الْمُلْحَةِ، لِابْنِ الصَّائِغِ: ٤٨٣/١. وَانْظُرْ: مَغْنِي اللَّبِيبِ، لِابْنِ هِشَامٍ: ٣٢٢.

حرف نفي، أصله (لا) النافية، ثُمَّ زِيدَتْ عليها (التاء) لتأنيث اللفظة، كما زيدت في (ثُمَّت) و(رُبَّت)، وهذا مذهب الجمهور. وقيل: هي مركبة من (لا) النافية، و(التاء) زائدة^(١).

ويرى خليل عمايرة من التحوليين العرب أن "(لَات) وحدة لغوية واحدة، وليست مركبة -كما ذكر النحاة- من جزأين، ... وتُستعمل هذه اللفظة لنفي الزمن"^(٢). وتقترن (لَات) بأسماء الأحيان، قال -عنها- الأشموني: "لا تعمل إلا في أسماء الأحيان، نحو: حين، وساعة، وأوان"^(٣).

واختلف النحويون في عمل (لَات) على ثلاثة مذاهب، وهي^(٤):
أ. أنها تعمل عمل (لَيْسَ)، وهو رأي سيبويه^(٥) والجمهور، وهي على هذا (لا) المشبهة بلَيْسَ، زيدت عليها (التاء).

ب. أنها مهملة لا عمل لها؛ فَإِنْ وَلِيَهَا مَرْفُوعٌ فمبتدأ خُذِفَ خبره، وَإِنْ وَلِيَهَا مَنْصُوبٌ فمفعول لفعلٍ مَحْذُوفٍ، وَهَذَا رَأْيُ الْأَخْفَشِ^(٦)، وَالتَّقْدِيرُ عِنْدَهُ فِي الْآيَةِ ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾^(٧) هو: (لَا أَرَى حِينَ مَنَاصٍ)، وَعَلَى قِرَاءَةِ الرَّفْعِ ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾^(٨) يكون التقدير: (وَلَا حِينَ مَنَاصٍ كَائِنٌ لَهُمْ).

(١) انظر: المفصل، للزمخشري: ١١٢، والجنى الداني، للمرادي: ٤٨٥-٤٨٧، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٣٣٤-٣٣٥، وشرح ابن عقيل، لابن عقيل: ٣١٩/١.

(٢) في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل أحمد عمايرة: ١٧٤.

(٣) شرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٢٦٩/١.

(٤) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٤٨٨، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٣٣٥-٣٣٦، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٢٧١-٢٧٢، وهمع الهوامع، للسيوطي: ٤٦٠/١-٤٦٢.

(٥) انظر: الكتاب، لسيبويه: ٥٧/١-٥٨.

(٦) لم أجده في معاني القرآن، للأخفش، إنما في كتب النحاة، منها: شرح المفصل، لابن يعيش: ٢٧٠/١، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٣٣٦، وشرح التسهيل، لناظر الجيش: ١٢١٢/٣.

(٧) سورة ص: ٣.

(٨) وردت قراءة الرفع عن: عيسى بن عمر، وأبي السَّمَّال، والجحدي، وابن يعمر. انظر: إعراب القرآن، للنحاس: ٣/٣٠٣، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمُنْتَجَبِ الهمداني: ٥/٤٠٧، والذَّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي: ٩/٣٥٥، والبحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي: ٩/١٣٦-١٣٧.

ت. أَنَّهَا تَعْمَلُ عَمَل (إِنَّ) فَتَنْصَبُ الْإِسْمَ، وَتَرْفَعُ الْخَبَرَ، وَهَذَا قَوْلُ آخَرٍ لِلْأَخْفَشِ^(١)، وَهِيَ عِنْدَهُ (لَا) النَّافِيَةُ لِلْجِنْسِ، زِيدَتْ عَلَيْهَا (التَّاءُ)، وَ(حِينَ): اسْمُهَا، وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: (لَهُمْ)، وَنَحْوُهُ؛ فَتَقْدِيرُهَا: (وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ لَهُمْ).
وَفِي الْآرَاءِ الثَّلَاثَةِ لَا يُذَكَّرُ بَعْدَهَا إِلَّا أَحَدُ الْمَعْمُولَيْنِ، وَالْأَكْثَرُ أَنْ يُحْذَفَ اسْمُهَا، وَيَبْقَى خَبَرُهَا، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ﴾^(٢)، وَالتَّقْدِيرُ: (لَيْسَ الْحِينَ حِينَ مَنَاصٍ)^(٣). وَقَدْ يَحْذَفُ خَبَرُهَا، وَيَبْقَى الْإِسْمُ، كَقِرَاءَةِ بَعْضِهِمْ: ﴿وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ﴾ بِالرَّفْعِ، وَالتَّقْدِيرُ: (وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ حِينَئِذَا لَهُمْ)^(٤).

٤. لَمْ:

حَرْفُ جَزْمٍ لِنَفْيِ الْمُضَارِعِ وَقَلْبِهِ مَاضِيًّا^(٥)، نَحْوُ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾^(٦)؛ لَذَا تُسَمَّى حَرْفُ نَفْيٍ وَجَزْمٍ وَقَلْبٍ، قَالَ سَيَبَوِيهِ: "إِذَا قَالَ: (فَعَلَ) فَإِنَّ نَفْيَهُ (لَمْ يَفْعَلْ)"^(٧).
وَيَكُونُ الْمَنْفِيُّ بِ(لَمْ) مُتَّصِلًا بِالْحَالِ "وَقْتُ الْكَلَامِ"، مِثْلُ: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾^(٨)، وَقَدْ يَكُونُ مُنْقَطِعًا، نَحْوُ: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾^(٩) ^(١٠).

وَيَتَّفِقُ اللَّغَوِيُّونَ التَّحْوِيلِيُّونَ مَعَ النُّحَاةِ الْأَوَائِلِ عَلَى أَنَّ (لَمْ) لِنَفْيِ الْحُكْمِ الْمَثْبُتِ، وَقَلْبِهِ إِلَى مَعْنَى الزَّمَنِ الْمَاضِي إِلَّا إِذَا جَاءَ فِي الْجُمْلَةِ قَيْدٌ يَصْرِفُهَا إِلَيْهِ^(١١).

٥. لَمَّا:

(١) انظر: تَخْلِيصُ الشَّوَاهِدِ وَتَلْخِيصُ الْفَوَائِدِ، لِابْنِ هِشَامٍ: ٣٠١.

(٢) سُورَةُ ص: ٣.

(٣) انظر: الْجَنَى الدَّانِي، لِلْمُرَادِيِّ: ٤٨٨، وَمَغْنِي اللَّيْبِ، لِابْنِ هِشَامٍ: ٣٣٦، وَشَرْحُ شُذُورِ الذَّهَبِ، لِلْجَوْجَرِيِّ: ٣٧٦/١.

(٤) انظر: الْجَنَى الدَّانِي، لِلْمُرَادِيِّ: ٤٨٨، وَمَغْنِي اللَّيْبِ، لِابْنِ هِشَامٍ: ٣٣٦.

(٥) مَغْنِي اللَّيْبِ، لِابْنِ هِشَامٍ: ٣٦٥. وَانظر: الْجَنَى الدَّانِي، لِلْمُرَادِيِّ: ٢٦٦-٢٦٧.

(٦) سُورَةُ الْإِخْلَاصِ: ٣.

(٧) الْكِتَابُ، لِسَيَبَوِيهِ: ١١٧/٣.

(٨) سُورَةُ مَرْيَمَ: ٤.

(٩) سُورَةُ الْإِنْسَانِ: ١.

(١٠) انظر: الْجَنَى الدَّانِي، لِلْمُرَادِيِّ: ٢٦٨.

(١١) انظر: فِي التَّحْلِيلِ اللَّغَوِيِّ - مِنْهَجٌ وَصْفِيٌّ تَحْلِيلِيٌّ، د. خَلِيلُ أَحْمَدَ عَمَايِرَةَ: ١٨٧.

تَخْتَصُّ (لَمَّا) بِالْمُضَارِعِ فَتَجْزِمُهُ وَتَنْفِيهِ وَتَقْلِبُهُ مَاضِيًّا كَ (لَمْ)^(١)، إِلَّا أَنَّهَا تَفَارِقُهَا فِي حَمْسَةِ أُمُورٍ، وَهِيَ^(٢):

أ. لَا تَقْتَرَنُ (لَمَّا) بِشَرْطٍ، فَلَا يُقَالُ: (إِنْ لَمَّا تَقُمْ)، وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿وَلَنْ لَمْ تَعْلُ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتُهُ﴾^(٣).

ب. إِنْ مَنَفِيٍّ (لَمَّا) مُسْتَمَرُّ النَّفْيِ إِلَى الْحَالِ "وَقْتُ التَّكَلُّمِ" كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٤)، وَالْمَعْنَى: "إِنَّهُمْ إِلَى وَقْتِ الْإِخْبَارِ عَنْهُمْ كَانُوا غَيْرَ مُؤْمِنِينَ"^(٥). لَكِنْ مَنَفِيٍّ (لَمْ) قَدْ يَكُونُ -كَمَا ذُكِرَ سَابِقًا- مُتَّصِلًا، وَقَدْ يَكُونُ مُنْقَطِعًا.

ت. لَا يَكُونُ مَنَفِيٍّ (لَمَّا) إِلَّا قَرِيبًا مِنَ الْحَالِ، وَلَا يَشْتَرِطُ ذَلِكَ فِي مَنَفِيٍّ (لَمْ)، تَقُولُ: (لَمْ يَكُنْ زَيْدٌ فِي الْعَامِ الْمَاضِي مُقِيمًا)، وَلَا يَجُوزُ: (لَمَّا يَكُنْ زَيْدٌ فِي الْعَامِ الْمَاضِي مُقِيمًا).

ث. إِنْ مَنَفِيٍّ (لَمَّا) مُتَوَقَّعٌ ثُبُوتُهُ بِخِلَافِ مَنَفِيٍّ (لَمْ)، مِثْلُ: (لَمَّا يَحْضُرُ الْمُعَلِّمُ)؛ أَيُّ: لَمْ يَحْضُرْ إِلَى الْآنِ وَأَنْ حُضُورُهُ مُتَوَقَّعٌ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: "وَهَذَا الْفَرْقُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ، فَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَاضِي فَهُمَا سَيِّانٌ فِي نَفْيِ الْمَتَوَقَّعِ وَغَيْرِهِ، وَمِثَالُ الْمَتَوَقَّعِ أَنْ تَقُولَ: (مَا لِي قُمْتُ وَلَمْ تَقُمْ) أَوْ (وَلَمَّا تَقُمْ)، وَمِثَالُ غَيْرِ الْمَتَوَقَّعِ: (لَمْ تَقُمْ) أَوْ (لَمَّا تَقُمْ).

ج. يَجُوزُ حَذْفُ مَنَفِيٍّ (لَمَّا)، نَحْوُ: (اقْتَرَبْتُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَلَمَّا)؛ أَيُّ: وَلَمَّا أَدْخَلْتُهُ، وَنَدِمَ زَيْدٌ وَنَفَعَهُ النَّدَمُ، وَنَدِمَ غَيْرُهُ وَلَمَّا)^(٦)، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ مَعَ (لَمْ) إِلَّا فِي الضَّرُورَةِ.

٦. مَا:

(١) مغني اللبيب، لابن هشام: ٣٦٧. وانظر: الجنى الداني، للمرادي: ٥٩٢.

(٢) انظر: شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي: ١٩٨/٣-١٩٩، وشرح التسهيل، لابن مالك: ٦٤/٤-٦٦، واللمحة في شرح الملح، لابن الصائغ: ٨٥٢/٢-٨٥٥، والجنى الداني، للمرادي: ٢٦٨-٢٦٩ و٥٩٢-٥٩٧، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٣٦٧-٣٧٣، وشرح التسهيل، لناظر الجيش: ٤٣١٥/٩-٤٣١٩، والمقاصد الشافية، للشاطبي: ١٠١/٦.

(٣) سورة المائدة: ٦٧.

(٤) سورة الحُجُرَات: ١٤.

(٥) اللّمْحَة في شرح الملح، لابن الصائغ: ٨٥٢/٢.

(٦) انظر: شرح التسهيل، لابن مالك: ٦٥/٤.

لفظ مشترك، يكون حرفاً واسماً، أما (ما) الحرفية فلها ثلاثة أقسام: نافية، ومصدرية، وزائدة^(١). و(ما) النافية هي التي تعيننا في دراستنا، وتدخل النافية على الفعل والاسم.

فإن دخلت (ما) على الجملة الفعلية فلا خلاف بين النحاة في أنها لا تعمل^(٢)، نحو: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾^(٣)، ونحو: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾^(٤)، أما ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ﴾^(٥)، وكذلك: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾^(٦) ف(ما) فيهما شرطية بدليل الغاء في الأولى والجزم في الثانية^(٧). قال سيبويه: "أما (ما) فهي نفي لقوله: هو يفعل إذا كان في حال الفعل، فتقول: (ما يفعل)"^(٨).

وإن دخلت (ما) النافية على الاسم فلها مذهبان^(٩): أحدهما: مذهب أهل الحجاز، وهو إلحاقها في العمل بـ(ليس)، تقول: (ما عبد الله أخاك)، و(ما زيدٌ منطلقاً). والثاني: مذهب بني تميم، وهو إهمالها؛ لأنها غير مختصة، فلا تستحق -عندهم- عملاً.

ولإعمال (ما) الحجازية عمل (ليس) شروط، وهي^(١٠):
أ. ألا يزيد بعدها (إن) الزائدة، فإن زيدت بطل عملها، نحو: (ما إن زيدٌ قائمٌ) برفع (قائم) ولا يجوز نصبه.

(١) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٣٢٢.

(٢) انظر: السابق: ٣٢٩.

(٣) سورة النجم: ١٧.

(٤) سورة البقرة: ٢٧٢.

(٥) سورة البقرة: ٢٧٢.

(٦) سورة البقرة: ٢٧٢.

(٧) انظر: مغني اللبيب، لابن هشام: ٣٩٩.

(٨) الكتاب، لسيبويه: ٢٢١/٤.

(٩) انظر: الكتاب، لسيبويه: ٥٧/١ و٢٢١/٤، والمقتضب، للمبرد: ١٨٨-١٩٥، والمقرب، لابن عصفور:

١٠٢/١-١٠٤، وشرح التسهيل، لابن مالك: ٣٦٩-٣٧٤.

(١٠) انظر: شرح التسهيل، لابن مالك: ٣٦٩-٣٧٤، والجنى الداني، للمرادي: ٣٢٢-٣٢٩، وأوضح

المسالك، لابن هشام: ٢٦٥-٢٧٢، وشرح ابن عقيل، لابن عقيل: ٣٠٢-٣٠٧، وشرح التسهيل،

لناظر الجبش: ١١٩١-١١٩٧، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٢٥٤-٢٥٩، وجمع

الهوامع، للسيوطي: ٤٤٧-٤٥٣.

ب. أَلَا يَنْتَقِضُ نَفْيُ خَبَرِهَا بِـ(إِلَّا)، نحو: (مَا زَيْدٌ إِلَّا قَائِمٌ) فلا يجوز نصب (قَائِمٌ)، وكقوله تعالى: ﴿مَا أَتَمُّ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلَنَا﴾^(١).

ت. أَلَا يَنْتَقِضُ خَبَرُهَا عَلَى اسْمِهَا وَهُوَ غَيْرُ ظَرْفٍ وَلَا جَارٍ وَمَجْرُورٍ، فَإِنْ تَقَدَّمَ وَجِبَ رَفْعُهُ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، نحو: (مَا قَائِمٌ زَيْدٌ) فلا تقول: (مَا قَائِمًا زَيْدٌ).

ث. أَلَا يَنْتَقِضُ مَعْمُولُ خَبَرٍ (مَا) عَلَى اسْمِهَا وَهُوَ غَيْرُ ظَرْفٍ وَلَا جَارٍ وَمَجْرُورٍ، فَإِنْ تَقَدَّمَ بَطَلَ عَمَلُهَا، نحو: (مَا طَعَامُكَ زَيْدٌ أَكَلَ) فلا يجوز نصب (أَكَلَ).

ج. أَلَا تَتَكَرَّرُ (مَا) فَإِنْ تَكَرَّرَتْ بَطَلَ عَمَلُهَا، نحو: (مَا مَا زَيْدٌ قَائِمٌ) فالأولى نافية، والثانية نَفَتْ النَفْيِ؛ فَبَقِيَ إثباتًا؛ فلا يجوز نصب (قَائِمٌ).

ح. أَلَا يُبْدَلُ مِنْ خَبَرِهَا مُوجِبٌ مُقْتَرَنٌ بِـ(إِلَّا)؛ فَإِنْ أُبْدِلَ بَطَلَ عَمَلُهَا، نحو: (مَا زَيْدٌ بِشَيْءٍ إِلَّا شَيْءٌ لَا يُغْنَى بِهِ) فَ(بَشَيْءٍ) فِي مَوْضِعِ رَفْعِ خَبَرٍ عَنِ الْمُبْتَدَأِ الَّذِي هُوَ (زَيْدٌ)، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ خَبَرًا عَنْ (مَا).

وَأِنْ فُقِدَ شَرْطُ مِنَ الشَّرْطِ السَّابِقَةِ فَإِنَّ عَمَلَهَا يُلغَى، قَالَ الْأَشْمُونِيُّ: "إِنْ فُقِدَ شَرْطُ مِنْ هَذِهِ الشَّرْطِ بَطَلَ عَمَلُهَا"^(٢).

٧. لَنْ:

حَرْفُ نَصَبٍ وَنَفْيٍ وَاسْتِقْبَالٍ؛ يَنْصَبُ الْفِعْلَ الْمَضَارِعَ، وَيَخْلُصُهُ لِلِاسْتِقْبَالِ^(٣). وَعَدَّهَا بَعْضُ النَحَاةِ لِتَوْكِيدِ النَّفْيِ، أَوْ لِتَأْبِيدِهِ، وَرَفَضَ ذَلِكَ ابْنُ هِشَامٍ فَقَالَ: "وَلَا تَقِيدُ (لَنْ) تَوْكِيدَ النَّفْيِ وَلَا تَأْبِيدَهُ، وَكِلَاهُمَا دَعْوَى بِلَا دَلِيلٍ، قِيلَ: وَلَوْ كَانَتْ لِلتَّأْبِيدِ لَمْ يُقَيَّدْ مَنْفِعِيهَا بِالْيَوْمِ فِي ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾^(٤)، وَلَكَانَ ذِكْرُ الْأَبَدِ فِي ﴿وَلَنْ يَمُوتَهُ أَبَدًا﴾^(٥) تَكَرَّرًا، وَالْأَصْلُ عَدَمُهُ"^(٦)، وَقَالَ الْمُرَادِيُّ: "وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ نَفْيُهَا مُؤَبَّدًا"^(٧).

وَاخْتَلَفَ النَحْوِيُّونَ فِي (لَنْ) "فَذَهَبَ سِيبَوِيهِ وَالْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّهَا بَسِيطَةٌ. وَذَهَبَ الْخَلِيلُ وَالْكَسَائِيُّ إِلَى أَنَّهَا مَرْكَبَةٌ، وَأَصْلُهَا (لَا أَنْ)، حُذِفَتْ هَمْزَةٌ (أَنْ) تَخْفِيفًا، ثُمَّ حُذِفَتْ

(١) سورة يَس: ١٥.

(٢) شرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٢٥٤/١.

(٣) انظر: المقتضب، للمبرد: ٤٧/١ و ٦/٢، والأصول في النحو، لابن السراج: ١٤٧/٢، والجنى الداني، للمرادي: ٢٧٠، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٣٧٣.

(٤) سورة مَرِيَم: ٢٦.

(٥) سورة الْبَقَرَةِ: ٩٥.

(٦) مغني اللبيب، لابن هشام: ٣٧٤. وانظر: الجنى الداني، للمرادي: ٢٧٠.

(٧) الجنى الداني، للمرادي: ٢٧٠.

الألف لالتقاء الساكنين^(١). والراجح أنها غير مركبة، وَقَدْ رُدَّ القول بالتركيب مِنْ عِدَّةٍ أَوْجِه^(٢).

٨. (إِنْ) النافية:

(إِنْ) المكسورة الهمزة الساكنة النون حَرْفٌ لَهُ سَبْعَةُ أَصْرُبٍ، وَمَا سَنَتَاوَلَهُ هُوَ: (إِنْ) النافية، وتدخل على الجملتين الفعلية والاسمية، فإذا دخلت على الجملة الاسمية قَامًا أَنْ تَكُونَ مُهْمَلَةً، وَمَا أَنْ تَكُونَ عَامِلَةً^(٣).

وَمِنْ أَمْثَلَةِ (إِنْ) النافية غير العاملة مع الجُمْلَةِ الاسمية: ﴿إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾^(٤)، وَ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾^(٥).

وَأَمَّا الْعَامِلَةُ فَتَعْمَلُ عَمَلَ (لَيْسَ)؛ أَي: تَرْفَعُ الْأِسْمَ وَتَتَصَبَّ الْخَبَرَ، وَفِي هَذَا خِلَافٌ، مَنَعَهُ أَكْثَرُ الْبَصَرِيِّينَ، وَأَجَاذَهُ أَكْثَرُ الْكُوفِيِّينَ، وَالصَّحِيحُ جَوَازُ إِعْمَالِهَا، لِثَبُوتِهِ شِعْرًا وَنَثْرًا^(٦). فَمِنْ النَّثْرِ قَوْلُهُمْ: (إِنْ أَحَدٌ خَيْرًا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِالْعَافِيَةِ)^(٧)، وَمِنْ الشِّعْرِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

إِنْ الْمَرْءُ مَيِّتًا بِإِنْقِصَاءِ حَيَاتِهِ وَلَكِنْ بَأَنْ يُبْعَى عَلَيْهِ فَيُخَذَلَا^(٨)

قال المرادي بعد أَنْ أَوْرَدَ أَمْثَلَةً مِنَ النَّثْرِ وَالنَّظْمِ: "وَقَدْ تَبَيَّنَ بِهَذَا بُطْلَانُ قَوْلِ مَنْ خَصَّ ذَلِكَ بِالضَّرُورَةِ"^(٩)؛ أَي: لَا يُعَدُّ إِعْمَالُ (إِنْ) النافية عَمَلَ (لَيْسَ) مِنْ بَابِ الضَّرُورَةِ؛ لَكثْرَةِ وُجُودِهِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ نَثْرًا وَنَظْمًا.

(١) الجنى الداني، للمرادي: ٢٧١-٢٧٢، وانظر: الأصول في النحو، لابن السراج: ١٤٧/٢.

(٢) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٢٧١-٢٧٢، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٣٧٣-٣٧٤.

(٣) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٢٠٧ و ٢٠٩، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٣٣-٣٤، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل: ٣١٨/١، وتعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، للدماميني: ٢٥٣/٣-٢٥٥، وجمع الهوامع، للسيوطي: ٤٥٣/١-٤٥٤.

(٤) سورة الملوك: ٢٠.

(٥) سورة الشعراء: ١١٥.

(٦) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٢٠٩، وشرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ٣١٨/١، وتعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، للدماميني: ٢٥٣/٣-٢٥٥، وجمع الهوامع، للسيوطي: ٤٥٣/١-٤٥٤.

(٧) انظر: التذييل والتكميل، لأبي حيان الأندلسي: ٢٧٨/٤، والجنى الداني، للمرادي: ٢٠٩.

(٨) البيت بلا نسبة في: شرح التسهيل، لابن مالك: ٣٧٦/١، والتذييل والتكميل، لأبي حيان الأندلسي: ٢٧٨/٤، والجنى الداني، للمرادي: ٢١٠، وشرح ابن عقيل، لابن عقيل: ٣١٨/١، والمقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، للعيني: ٤٧٩/١، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٢٦٨/١، وجمع الهوامع، للسيوطي: ٤٥٤/١، وحاشية الصبان على شرح الأشموني، للصبان: ٣٧٦/١.

وَمِنْ أَمْثَلَةِ دُخُولِ (إِنْ) النَّافِيَةِ عَلَى الْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ: ﴿إِنْ يَبْعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾^(٢)، وَ﴿إِنْ أُريدُ إِلَّا إِصْلَاحٌ﴾^(٣)، وَتَكُونُ مَهْمَلَةً إِذَا دَخَلَتْ عَلَى الْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ^(٤).
وَقَدْ اجْتَمَعَتْ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةُ وَالنَّافِيَّةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكُنْ نَرَاتًا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾^(٥)؛ وَعَلَّقَ عَلَى ذَلِكَ ابْنُ هِشَامٍ بِقَوْلِهِ: "الْأُولَى شَرْطِيَّةٌ، وَالثَّانِيَةُ نَافِيَّةٌ جَوَابٌ لِلْقَسَمِ الَّذِي أَذْنَتْ بِهِ (الْلَامُ) الدَّاخِلَةُ عَلَى الْأُولَى، وَجَوَابُ الشَّرْطِ مَخْذُوفٌ وَجُوبًا"^(٦).
٩. كَلَّا:

مَذْهَبُ الْخَلِيلِ وَسَيَبُويهِ وَأَكْثَرُ الْبَصْرِيِّينَ أَنَّهَا حَرْفُ رَدْعٍ وَرَجْرٍ وَنَفْيٍ^(٧)، قَالَ سَيَبُويهِ: "أَمَّا (كَلَّا) فَرَدْعٌ وَرَجْرٌ"^(٨). وَهَذَا الْكَسَائِيُّ أَنَّهَا تَكُونُ بِمَعْنَى (حَقًّا). أَمَّا النُّصَرُ بْنُ شَمِيلٍ وَالْفَرَاءُ فَمَذْهَبُهُمَا أَنَّهَا حَرْفُ جَوَابٍ بِمَنْزِلَةِ (نَعَمْ) وَ(أَيُّ)^(٩).
وَجَمَعَ ابْنُ مَالِكٍ هَذِهِ الْمَذَاهِبَ الثَّلَاثَةَ فَجَعَلَهَا مَذْهَبًا وَاحِدًا، قَالَ: "(كَلَّا) حَرْفُ رَدْعٍ وَرَجْرٍ، وَقَدْ تَوَوَّلَ بِهِ (حَقًّا)، وَتَسَاوَى (أَيُّ) مَعْنَى وَاسْتَعْمَالًا"^(١٠)، وَهَذَا رَأْيُ تَوْفِيقِي سَدِيدٌ، مَعَ أَنَّ الْغَالِبَ فِيهَا هُوَ مَجِيئُهَا بِمَعْنَى الرَّدْعِ وَالرَّجْرِ، لَكِنْ قَدْ تَأْتِي بِمَعْنَى (حَقًّا)، وَقَدْ تَكُونُ بِمَنْزِلَةِ (نَعَمْ).
وَتَتَشَابَهُ رُؤْيَا التَّحْوِيلِيِّينَ مَعَ رَأْيِ ابْنِ مَالِكٍ فِي (كَلَّا)، حَيْثُ قَالَ د. عَمَايِرَةُ: "(كَلَّا) وَحِدَةٌ لُغَوِيَّةٌ وَاحِدَةٌ؛ أَيُّ: أَنَّهَا أَدَاةٌ بَسِيطَةٌ، وَلَيْسَتْ مَرْكَبَةٌ، وَهِيَ تَفِيدُ النِّفْيَ فِي مَوَاقِعَ، وَقَدْ يُضَافُ إِلَيْهَا مَعْنَى آخَرٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَعْنَى النِّفْيِ، فَتَنْصَرِفُ إِلَيْهِ اسْتِنَادًا إِلَى السِّيَاقِ الَّذِي يَكُونُ الدَّلِيلَ عَلَيْهِ، فَقَدْ تَرَدَّدَ لِلرَّدْعِ وَالرَّجْرِ، وَتَكُونُ لِلْإِضَافَةِ إِلَى النِّفْيِ، وَتَكُونُ بِمَعْنَى (حَقًّا)"^(١١).

(١) الجنى الداني، للمرادي: ٢١٠.

(٢) سورة الأنعام: ١٦٦. وقد وردت في ثلاث آياتٍ أُخَرَى.

(٣) سورة هود: ٨٨.

(٤) انظر: مغني اللبيب، لابن هشام: ٣٤.

(٥) سورة فاطر: ٤١.

(٦) مغني اللبيب، لابن هشام: ٣٥.

(٧) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٥٧٧، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٢٤٩.

(٨) الكتاب، لسيبويه: ٢٣٥/٤.

(٩) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٥٧٧، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٢٤٩.

(١٠) انظر: تسهيل الفوائد، لابن مالك: ٢٤٥، وانظر: الجنى الداني، للمرادي: ٥٧٧.

(١١) في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل أحمد عمارة: ٢٠٦.

وَمِنْ أَمْثَلَةٍ مَجِيءٍ (كَلًّا) حَرْفَ رَدْعٍ وَزَجْرٍ، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ * كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْبَيْتَ ﴿^(١)؛ أَي: انْتَهَ وَانْزَجِرْ، وَنَحْوُ: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ * كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿^(٢)، وَنَحْوُ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴿^(٣).
وَمِنْ أَمْثَلَةٍ مَجِيءٍ (كَلًّا) بِمَعْنَى (حَقًّا): ﴿كَأَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَبْفٍ لِّغَايَةٍ﴾ ^(٤)، وَنَحْوُ: ﴿كَأَلَّا لَا تُطْعَمُهُ﴾ ^(٥)؛ فَالْمَعْنَى "حَقًّا لَا تُطْعَمُهُ" ^(٦).

وَمِنْ أَمْثَلَةٍ مَجِيءٍ (كَلًّا) حَرْفَ جَوَابٍ: ﴿كَأَلَّا وَالْقَمَرَ﴾ ^(٧)، وَ"الْمَعْنَى: أَيِ وَالْقَمَرِ" ^(٨).

وَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّ (كَلًّا) بَسِيطَةٌ، وَذَهَبَ ثَعْلَبُ إِلَى أَنَّهَا مَرْكَبَةٌ مِنْ (كَافٍ) التَّشْبِيهِ، وَ (لَا) الَّتِي لِلرَّدِّ، وَزَيْدٌ بَعْدَ الْكَافِ (لَامٌ)، فَشَدَّدَتْ؛ لِتَقْوِيَةِ الْمَعْنَى، وَلِدْفَعِ تَوَهُّمِ بَقَاءِ مَعْنَى الْكَلِمَتَيْنِ ^(٩).

١٠. غَيْرُ:

استخدامات (غَيْرُ) متعددة ^(١٠)، وما يعيننا -هنا- هو إفادتها للنفي للاسم الواقع بعدها، قال الراغب الأصفهاني: "(غَيْرُ) يقال على أوجه: الأول: أن تكون للنفي المجرد

(١) سورة الفجر: ١٦-١٧.

(٢) سورة المعارج: ٣٨-٣٩.

(٣) سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠.

(٤) سورة العلق: ٦.

(٥) سورة العلق: ١٩.

(٦) موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، للوقاد: ١١٠.

(٧) سورة المدثر: ٣٢.

(٨) موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، للوقاد: ١١٠.

(٩) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٥٧٨، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٢٤٩.

(١٠) قال المرادي: "اعلم أنَّ أصل (إِلَّا) أنَّ تكون استثناء، وأصل (غَيْرُ) أنَّ تكون صفة. وَقَدْ تُحْمَلُ (إِلَّا) عَلَى (غَيْرِ)، فَيُوصَفُ بِهَا، كَمَا حُمِلَتْ (غَيْرُ) عَلَى (إِلَّا) فَاسْتُثْنِيَ بِهَا... وَاعْلَمْ أَنَّ (إِلَّا) الَّتِي يُوصَفُ بِهَا تَفَارِقُ (غَيْرًا) مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ مَوْصُوفَهَا لَا يُحْذَفُ وَتَقَامُ هِيَ مَقَامَهُ؛ فَلَا يُقَالُ: (جَاءَنِي إِلَّا زَيْدٌ)، بَخْلَافِ (غَيْرِ). وَالْآخَرُ: أَنَّهَا لَا يُوصَفُ بِهَا إِلَّا حَيْثُ يَصَحُّ الِاسْتِثْنَاءُ؛ فَلَا يَجُوزُ: (عِنْدِي دَرَاهِمُ إِلَّا جَيِّدٌ)، بَخْلَافِ (غَيْرِ)". الجنى الداني، للمرادي: ٥١٧-٥١٨.

مِنْ غَيْرِ إِبْثَاتٍ مَعْنَى بِهِ، نَحْوُ: (مَرَرْتُ بِرَجُلٍ غَيْرِ قَائِمٍ)؛ أَي: (لَا قَائِمٍ)، وَنَحْوُ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾^(١)، وَنَحْوُ: ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(٢) ﴿٣﴾. فـ(غَيْرِ) اسْمٌ يَفِيدُ النَّفْيَ لِلْأَسْمِ الْوَاقِعِ بَعْدَهُ، مِثْلُ: (زَيْدٌ غَيْرُ قَائِمٍ). وَ"لَا" تَتَعَرَّفُ بِالإِضَافَةِ؛ لَشِدَّةِ إِبْهَامِهَا^(٤).

قَالَ ابْنُ الشَّجَرِيِّ: "وَمِنْ أَدَوَاتِ النَّفْيِ: (غَيْرِ)؛ لِأَنَّهَا لِلْمُخَالَفَةِ، فَهِيَ نَقِيضُ (مِثْلِ)، تَقُولُ: (جَاءَنِي رَجُلٌ مِثْلُكَ)؛ أَي: يُشَابِهُكَ، وَ(رَجُلٌ غَيْرُكَ)؛ أَي: يُخَالِفُكَ"^(٥). وَتُعَدُّ (غَيْرِ) اسْمًا مَلَاذِمًا لِلإِضَافَةِ فِي الْمَعْنَى، وَيَجُوزُ أَنْ يُقْطَعَ عَنْهَا لَفْظًا إِنْ فَهِمَ الْمَعْنَى، وَتَقَدَّمَتْ عَلَيْهَا كَلِمَةُ (لَيْسَ)، مِثْلُ: (قَبَضْتُ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ لَيْسَ غَيْرِ) بَرَفَعِ (غَيْرِ)؛ أَي: (لَيْسَ غَيْرُ الْعَشْرَةِ مَقْبُوضًا)؛ فَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ. وَبِنَصَبِ (غَيْرِ) عَلَى إِضْمَارِ الْأَسْمِ؛ أَي: (لَيْسَ الْمَقْبُوضُ غَيْرُ الْعَشْرَةِ)^(٦).

ثالثًا: تركيب النفي في المفهوم التحويلي

تَتَاوَلَّ عِدَدٌ مِنَ الْبَاحِثِينَ الْعَرَبِ تَرْكِيبَ النَّفْيِ فِي الْمَفْهُومِ التَّحْوِيلِيِّ فِي كُتُبِهِمْ وَأَبْحَاثِهِمْ^(٧)، وَيُرُونَ أَنَّهُ تَرْكِيبٌ تَحْوِيلِيٌّ مَحُولٌ عَنْ جُمْلَةٍ تَوَلِيدِيَّةٍ: فَعْلِيَّةٌ أَوْ اِسْمِيَّةٌ، عَنْ طَرِيقِ قَاعِدَةِ الإِضَافَةِ "الزِّيَادَةِ"، وَيَحْدُثُ التَّغْيِيرُ فِي الْمَعْنَى لَا الْمَبْنَى، حَيْثُ تَدْخُلُ كَلِمَةُ النَّفْيِ عَلَى التَّركِيبِ فَتَحْوِلُهُ مِنَ الْإِخْبَارِ الْمَثْبُوتِ إِلَى الْإِخْبَارِ الْمَنْفِيِّ "دُونَ تَغْيِيرٍ فِي بِنَاءِ الْجُمْلَةِ؛ فَتَبْقَى الْجُمْلَةُ بَعْدَ دُخُولِ حَرْفِ النَّفْيِ عَلَيْهَا كَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ اِسْمِيَّةً أَوْ فَعْلِيَّةً"^(٨). فَلَوْ قُلْنَا: (مَا كَتَبْتُ الدَّرْسَ الْبَارِحَةَ) فَإِنْ أَصْلُهَا التَّوَلِيدِيَّةُ: جُمْلَةُ فَعْلِيَّةٌ لِلْإِخْبَارِ الْمَثْبُوتِ، وَهُوَ: (كَتَبْتُ الدَّرْسَ)، ثُمَّ دَخَلَ حَرْفُ النَّفْيِ (مَا)؛ فَتَحْوَلُ التَّركِيبُ مِنْ مَعْنَى الْإِثْبَاتِ إِلَى مَعْنَى النَّفْيِ، مَعَ أَنْ بِنَاءَ الْجُمْلَةِ الْأَصْلِيِّ لَمْ يَتَغَيَّرْ، وَهُوَ:

(١) سُورَةُ الْقَصَصِ: ٥٠.

(٢) سُورَةُ الرُّحُوفِ: ١٨.

(٣) الْمَفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ، لِلرَّائِغِ الْأَصْفَهَانِيِّ: ٦١٨.

(٤) مَغْنِي اللَّيْبِ، لِابْنِ هِشَامٍ: ٢١٠.

(٥) أَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ، لِابْنِ الشَّجَرِيِّ: ٣٩١/١.

(٦) انْظُرْ: مَغْنِي اللَّيْبِ، لِابْنِ هِشَامٍ: ٢٠٩.

(٧) مِنْهَا: قَوَاعِدُ تَحْوِيلِيَّةُ لِلْغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، د. مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ الْخَوْلِي: ١٩٥-١٩٧، وَقَضَايَا اَلْأَسْنِيَّةِ تَطْبِيقِيَّةٌ، د. مِيشَالُ

زَكْرِيَا: ١١٩-١٢٠، وَفِي التَّحْلِيلِ اللُّغَوِيِّ - مِنْهَجٌ وَصْفِيٌّ تَحْلِيلِيٌّ، د. خَلِيلٌ أَحْمَدُ عَمَايِرَةُ: ١٥٤-٢٠٨،

وَأَسْلُوبُ النَّفْيِ وَالِاسْتِقْهَامِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، د. خَلِيلٌ عَمَايِرَةُ: ٥٧-١١٠، وَالْقَوَاعِدُ التَّحْوِيلِيَّةُ فِي دِيْوَانِ حَاتِمِ

الطَّائِي: ١٣١-١٤٢، وَالْقَوَاعِدُ التَّحْوِيلِيَّةُ فِي دِيْوَانِ الْحَطِئَةِ، د. حَمْدَانُ رِضْوَانُ أَبُو عَاصِي: ٢٥٠-٢٥٢.

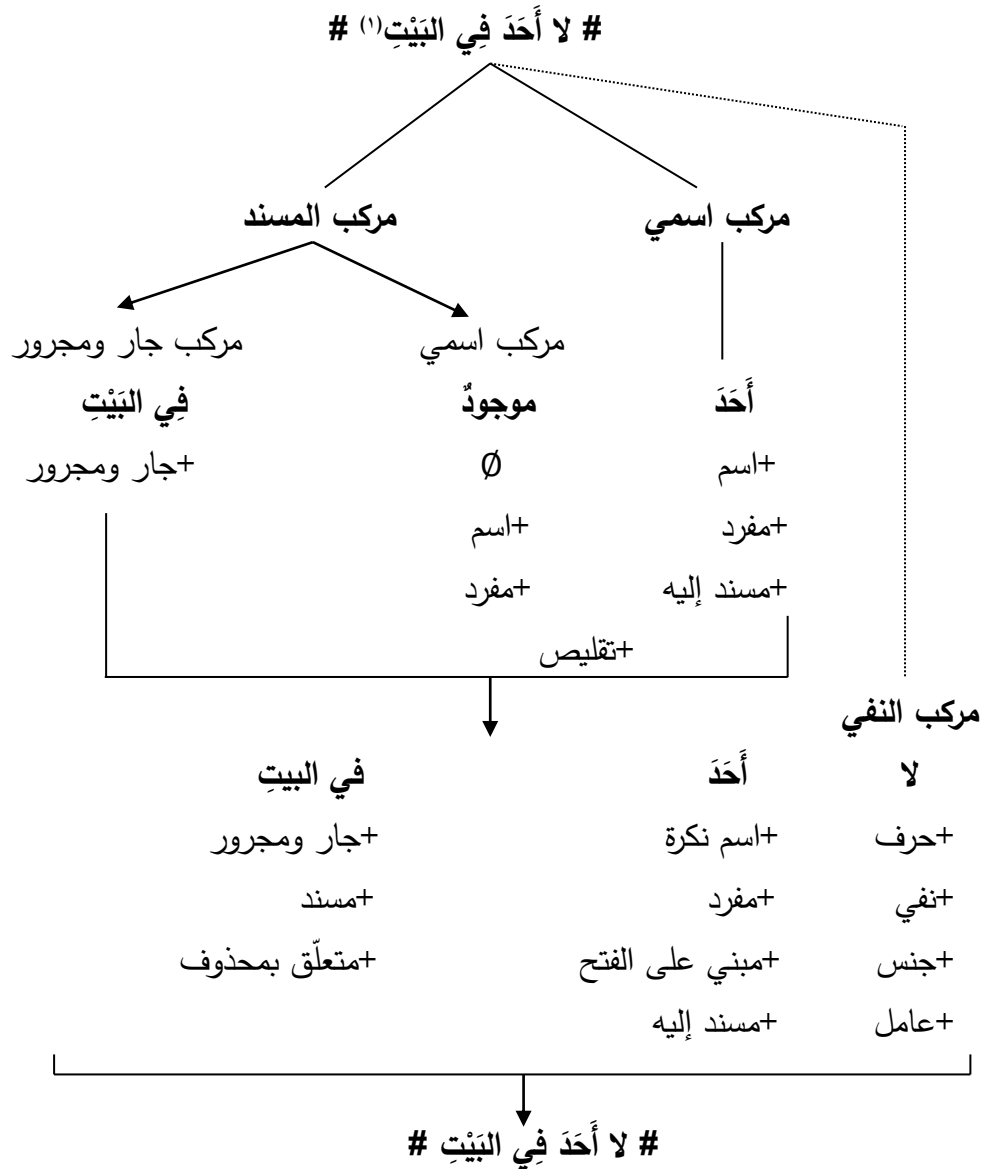
(٨) الْقَوَاعِدُ التَّحْوِيلِيَّةُ فِي دِيْوَانِ الْحَطِئَةِ، د. حَمْدَانُ رِضْوَانُ أَبُو عَاصِي: ٢٥٠.

(م ف + م س + م ظ) ← (مركب فعلي + مركب اسمي + مركب ظرفي)
وكذلك (لَيْسَ زَيْدٌ مُنْطَلِقًا) نجد أنَّ أصلها التوليدي: جملة اسمية مثبتة (زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ):
(م س + م س) ثم دخل فعل النفي (لَيْسَ)، فتحول التركيب من معنى الإثبات إلى معنى النفي.

أما الحركة الإعرابية للكلمة الواقعة بعد عنصر النفي فيرى خليل عمايرة "أنَّ قيمتها الدلالية ليست كبيرة، ولكن الاهتمام بها يكون لإقامة خط سلامة المبنى"^(١). وهو - بذًا - يُخالف رأي النحاة الأوائل الذين يولون الحركة الإعرابية اهتمامًا كبيرًا، فكيف نفرق بين (ما) العاملة عمل (لَيْسَ) و(ما) المهملة إلَّا مِنْ خلال الحركة الإعرابية لِمَا بعدهما. ولكن رأي عمايرة منسجم مع النظرية التحويلية؛ فسواء كانت (ما) عاملة عمل (لَيْسَ) أو مهملة فهي على كلا الحالتين نافية، ويبقى الأصل التوليدي للجملة واحدًا؛ فلو قلنا: (ما زَيْدٌ أَخَاكَ)، أو (ما زَيْدٌ أَخُوكَ)؛ فإنَّ أصلهما العميق واحد، وهو: (زَيْدٌ أَخُوكَ)، ثُمَّ دَخَلَ عنصر النفي (ما) بنوعيتها.

ويُوضِّحُ التحليلُ الشجريُّ الآتي لتركيب النفي (لا أَحَدَ فِي الْبَيْتِ) ما ذُكِرَ سابقًا:

^(١) في التحليل اللُّغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل أحمد عمايرة: ١٥٥، وأسلوب النفي والاستفهام في العربية، د. خليل عمايرة: ٥٧.



اتضح من الرسم الشجري السابق أن تركيب النفي (لا أَحَدَ فِي الْبَيْتِ) تركيب محول من جملة توليدية نواة: (أَحَدَ موجودٌ فِي الْبَيْتِ)، ثم تحولت عن طريق القاعدة التحويلية (التقلص) إلى (أَحَدَ فِي الْبَيْتِ)، ثم دخل عليها مركب النفي (لا) عن طريق قانون (الزيادة)؛ فتحولت إلى تركيب النفي الدالّ على الجنس (لا أَحَدَ فِي الْبَيْتِ)^(٢).

(١) انظر: قواعد تحويلية للغة العربية، د. محمد علي الخولي: ١٩٥، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، د.

حمدان رضوان أبو عاصي: ٢٥١.

(٢) انظر: المرجعين السابقين، الصفحات نفسها.

لكن يُؤخذ على تحليل د. الخولي حذفه لِمُرَكَّبَيْنِ لا حاجة لهما أصلاً؛ حيثُ جَعَلَ أَصْلَ الجملة: (لا يكون موجودٌ لأحدٍ فِي الْبَيْتِ)؛ فَحَذَفَ الْفِعْلَ (يكون)، ثم (موجود)، ثم (اللام)، ولا داعي لإقحام (يكون) و(اللام) فِي أَصْلَ التركيب، فالأصل التوليدي (أَحَدَ موجودٌ فِي الْبَيْتِ)، وهو أقلُّ استخداماً للقواعد التحويلية مِنْ غيره.

رابعاً: تراكيب النفي الواردة في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ

بَلَّغَتْ تراكيبُ النفي في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ (أَلْفًا وَمِائَةً وَتِسْعَةً وَتَمَانِينَ) تركيباً، منها: (سَبْعُ مِائَةٍ وَخَمْسَةٌ وَتِسْعُونَ) تركيباً بِ(لَا)^(١)، وَ(مِائَتَانِ وَاثْنَانِ وَعِشْرُونَ) تركيباً بِ(لَمْ)^(٢)، وَ(سِتَّةٌ وَسَبْعُونَ) تركيباً بِ(لَيْسَ)^(٣)، وَ(خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ) تركيباً بِ(غَيْرِ)^(٤)، وَ(ثَلَاثُونَ) تركيباً بِ(مَا)^(٥)، وَ(تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ) تركيباً بِ(لَنْ)^(٦)، وَ(تَرْكِيبَانِ اثْنَانِ) بِ(كَلَّا)^(٧)، وَلَمْ يَرِدْ - في هذه الخُطْبِ - النفي بِ(إِنْ)، وَ(لَمَّا)، وَ(لَات).

وَيُبيِّنُ الجدول الآتي كلمات النفي الواردة في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ مِنْ الأكثرِ إِلَى

الأقل استخداماً:

م	أنواع النفي	عدد الاستخدام
١	النفي بالحَرْفِ (لَا)	٧٩٥
٢	النفي بالحرف (لَمْ)	٢٢٢
٣	النفي بالفعل (لَيْسَ)	٧٦
٤	النفي بالاسم (غَيْرِ)	٣٥
٥	النفي بالحرف (مَا)	٣٠
٦	النفي بالحرف (لَنْ)	٢٩
٧	النفي بالحرف (كَلَّا)	٢
٨	النفي بالحرف (إِنْ)	-

(١) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْم (٣٥) فِي خُطْبِ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الخطيب: ٢٣، وَخُطْبَةٌ (٢٩٢): ١٤٨، وَفِيهَا مَوْضِعَانِ، وَخُطْبَةٌ (٣٢٠): ١٦٢، وَخُطْبَةٌ (٤٤٧): ٢٢٧-٢٢٨، وَفِيهَا ثَلَاثَةُ مَوَاضِعَ، وَخُطْبَةٌ (٥٣٥): ٢٨٥-٢٨٦، وَفِيهَا مَوْضِعَانِ.

(٢) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْم (٣٣): ٢١-٢٢، وَخُطْبَةٌ (١٥١): ٨٠، وَخُطْبَةٌ (٢٣٧): ١٢١، وَخُطْبَةٌ (٣٧٨): ١٩٠، وَخُطْبَةٌ (٤٣٩): ٢٢٢-٢٢٤، وَفِيهَا مَوْضِعَانِ، وَخُطْبَةٌ (٥٣٢): ٢٨٣-٢٨٤.

(٣) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْم (٥٠): ٢٩، وَخُطْبَةٌ (١٣٢): ٧١، وَخُطْبَةٌ (٢٩٦): ١٥٠، وَخُطْبَةٌ (٣٦١): ١٨٢، وَخُطْبَةٌ (٤١٨): ٢١١، وَخُطْبَةٌ (٥٣٤): ٢٨٤-٢٨٥.

(٤) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْم (٢٧): ١٩، وَخُطْبَةٌ (٢٦٣): ١٣٣-١٣٤، وَخُطْبَةٌ (٤٠١): ٢٠٢، وَخُطْبَةٌ (٤٣٨): ٢٢١-٢٢٢، وَخُطْبَةٌ (٥٣١): ٢٨١-٢٨٣.

(٥) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْم (٧): ٩-١٠، وَخُطْبَةٌ (١٦٦): ٨٦، وَخُطْبَةٌ (٢٨٧): ١٤٥-١٤٦، وَخُطْبَةٌ (٤٥٥): ٢٣٤-٢٣٦، وَخُطْبَةٌ (٥٣٢): ٢٨٣-٢٨٤.

(٦) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْم (١٧): ١٤-١٥، وَخُطْبَةٌ (٢٣٧): ١٢١، وَخُطْبَةٌ (٣١٦): ١٥٩-١٦٠، وَفِيهَا مَوْضِعَانِ، وَخُطْبَةٌ (٤٦٣): ٢٤١-٢٤٢، وَخُطْبَةٌ (٥٦٨): ٣١١.

(٧) هُمَا: خُطْبَةٌ (٦٢): ٣٦، وَخُطْبَةٌ (٦٣): ٣٦-٣٧.

٩	النفي بالحرف (لَمَّا)	-
١٠	النفي بالحرف (لَا تَ)	-
	المجموع	١١٨٩

خامساً: عَرَضُ لتراكيب النفي الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ

١. تركيب النفي بالحرف (لا):

أ. استعمال (لا) نافية للجنس، وَمِنْ أمثلة ذلك:

١. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَسَاجِدِ، ..." ^(١). والشاهد: (لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ).

٢. عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "لَا يُعْذِي شَيْءٌ شَيْئًا"، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْبَعِيرُ أَجْرَبُ الْحَشَفَةِ نُذْبُهُ، فَتَجَرَّبُ الْإِبِلُ كُلُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَمَنْ أَجْرَبُ الْأَوَّل؟ لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرٌ، خَلَقَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ وَكَتَبَ حَيَاتَهَا وَرَزَقَهَا وَمَصَائِبَهَا" ^(٢). والشاهد: (لا عَدْوَى، وَلَا صَفَرٌ).

٣. خُطِبَ عُثْبَةُ بْنُ غَرْوَانَ رضي الله عنه فقال: خُطِبْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتَ بِصِرْمٍ، وَوَلَّتْ حَدَاءً، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ، يَتَصَابُهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا؛ فَانْتَقِلُوا بِخَيْرٍ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، ..." ^(٣). والشاهد: (لَا زَوَالَ لَهَا).

ب. استعمال (لا) مهملة لنفي الجملة الفعلية، وَمِنْ أمثلة ذلك:

١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَذَكَرَ الْغُلُولَ، فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثُمَّ قَالَ: "لَا أَلْفَيْنَ يَجِيءُ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ

^(١) خُطِبَ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٩٢، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣٨٤). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: ٤١٤/١٥، حَدِيثٌ رَقْمُ (٩٦٦٥)، وَصَحِيحُ مُسْلِمَ، لِـ مُسْلِمَ، بَابُ فَضْلِ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ: ٧١٥/٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٠٣١).

^(٢) خُطِبَ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٢٧-٢٢٨، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٤٧). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: ٨٥/١٤، حَدِيثٌ رَقْمُ (٨٣٤٣)، وَصَحِيحُ مُسْلِمَ، لِـ مُسْلِمَ، بَابُ لَا عَدْوَى، وَلَا طَيْرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ: ١٧٤٢/٤، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٢٢٠)، وَسَنَنُ التِّرْمِذِيِّ، لِلتِّرْمِذِيِّ، بَابُ مَا جَاءَ لَا عَدْوَى وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ: ١٨/٤، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢١٤٣).

^(٣) خُطِبَ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٩٩-٣٠٠، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٤٩). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثٌ عُثْبَةُ بْنُ غَرْوَانَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ١١٤-١١٥، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٧٥٧٥)، وَصَحِيحُ مُسْلِمَ، لِـ مُسْلِمَ، كِتَابُ الزَّهْدِ وَالرَّقَائِقِ: ٢٢٧٨/٤، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٩٦٧).

رُغَاءً، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغْنَيْني؛ فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أْبْلَغْتُكَ، ...^(١) والشاهد: (لا أَلْفَيْنَ)، و(لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا).

٢. عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ يَوْمَئِذٍ حَطِيبًا؛ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَاسْتَغْفَرَ لِلشُّهَدَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ تَزِيدُونَ، وَإِنَّ الْأَنْصَارَ لَا يَزِيدُونَ، ...^(٢) والشاهد: (لا يَزِيدُونَ).

٣. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسَيِّئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مَنْ الرَّمِيَّةِ، لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، ...^(٣) والشاهد: (لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ)، و(لا يَرْجِعُونَ).

ت. استعمال (لا) مهملة لنفي الجملة الاسمية، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ:

١. عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ أَقْبَلَ إِلَى النَّاسِ بَوَجهِهِ فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ عِبَادًا، ... وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"^(٤). والشاهد: (لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ)، و(لا هُمْ يَحْزَنُونَ).

٢. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأَمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ، حَالِقَةُ الدِّينِ لَا حَالِقَةَ الشَّعْرِ، ...^(٥) والشاهد: (لا حَالِقَةَ الشَّعْرِ).

٢. تركيب النفي بالحرف (لَمْ):

أ. استعمال (لَمْ) لنفي المضارع الصحيح الآخر وجزمه بالسكون، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ:

^(١) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٨-٢٩، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٩). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَد، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: ٣٠٧/١٥، حَدِيثٌ رَقْمُ (٩٥٠٣)، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: ١٤٦١/٣، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٨٣١).

^(٢) سَبَقَ تَخْرِيجُ الْحَدِيثِ، ص: ٣٠٠، حَاشِيَةُ (٣)، وَهِيَ خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٩).

^(٣) سَبَقَ تَخْرِيجُ الْحَدِيثِ، ص: ٤٢٦، حَاشِيَةُ (٣)، وَهِيَ خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٢٤).

^(٤) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٥٧، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣١١). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَد، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ ﷺ: ٥٤١/٣٧، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٢٩٠٦)، وَمُسْنَدُ أَبِي يَعْلَى، لِأَبِي يَعْلَى الْمُؤَصِّلِيِّ، حَدِيثُ مَالِكٍ أَوْ ابْنِ مَالِكٍ: ٢٣٣/١٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (٦٨٤٢)، وَالْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ، لِلْحَاكِمِ، حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: ١٨٨/٤، حَدِيثٌ رَقْمُ (٧٣١٨).

^(٥) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٩٠، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣٧٧). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَد، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ﷺ: ٢٩/٣، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٤١٢)، وَالسُّنَنُ الْكُبْرَى، لِلْبَيْهَقِيِّ، بَابُ شَهَادَةِ أَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ: ٣٩٣/١٠، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢١٠٦٥).

١. قال رسول الله ﷺ: "... وَأَمَّا مَنْ غَزَا فَحَرًّا وَرِيَاءً وَسُمْعَةً، وَعَصَى الْإِمَامَ، وَأَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالْكَفَافِ" ^(١). والشاهد: (لَمْ يَرْجِعْ).

٢. قال رسول الله ﷺ: "مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ امْرَأَتَانِ فَلَمْ يَعْدِلْ بَيْنَهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ سَاقِطٌ" ^(٢). والشاهد: (لَمْ يَعْدِلْ).

ب. استعمال (لَمْ) لنفي المضارع المعتل الآخر وجزمه بحذف حرف العلة، وَمِنْ أَمْثَلَةٍ ذَلِكَ:

١. قال رسول الله ﷺ: "الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وَزَّرَ، وَلِرَجُلٍ سِتَّرَ، وَلِرَجُلٍ أَجَرَ، ... وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتَّرَ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي ظُهُورِهَا وَلَا رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتَّرٌ، ..." ^(٣). والشاهد: (لَمْ يَنْسَ).

٢. عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفِضِ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَغَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، ..." ^(٤). والشاهد: (لَمْ يُفِضِ).

ت. استعمال (لَمْ) لنفي المضارع مِنَ الأفعال الخمسة وجزمه بحذف النون، وَمِنْ أَمْثَلَةٍ ذَلِكَ:

١. قال رسول الله ﷺ: "...، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، ..." ^(٥). والشاهد: (لَمْ يَنْفَعُوكَ) و (لَمْ يَضُرُّوكَ).

^(١) خُطَبُ الرُّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢١-٢٢، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣٣). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَامِ ﷺ: ٣٦٨/٣٦، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٢٠٤٢)، وَالسُّنَنِ، لِأَبِي دَاوُدَ، بَابُ فِي مَنْ يَغُزُّو وَيَلْتَمِسُ الدُّنْيَا: ١٣/٣، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٥١٥).

^(٢) خُطَبُ الرُّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٢١، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٣٧). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: السُّنَنِ، لِأَبِي دَاوُدَ، بَابُ فِي الْقِسْمِ بَيْنَ النِّسَاءِ: ٢٤٢/٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢١٣٣)، وَالسُّنَنِ، لِلتِّرْمِذِيِّ، بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّسْوِيَةِ بَيْنَ الصَّرَائِرِ: ٤٣٨/٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (١١٤١).

^(٣) خُطَبُ الرُّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٣-٢٤، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣٧). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحَ مُسْلِمَ، لِمُسْلِمَ، بَابُ إِثْمِ مَانِعِ الزَّكَاةِ: ٦٨٠/٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (٩٨٧)، وَالسُّنَنِ الصُّغْرَى، لِلنَّسَائِيِّ، كِتَابُ الْخَيْلِ: ٣١٢/٤، حَدِيثٌ رَقْمُ (٤٣٨٨).

^(٤) سَبَقَ تَخْرِيجَ الْحَدِيثِ، ص: ٣٢٠، حَاشِيَةُ (١)، وَهِيَ خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٥٢).

^(٥) خُطَبُ الرُّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٦١-١٦٢، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣١٩). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمُسْنَدِ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: ٤٠٩-٤١٠، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٦٦٨)، وَالسُّنَنِ، لِلتِّرْمِذِيِّ، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ٢٤٨/٤، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٥١٦).

٢. قال رسول الله ﷺ في حديثه عن قبض روح المؤمن والكافر: "...، إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، ... فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، ... وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، ... فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، ...^(١). والشاهد: (لَمْ يَدْعُوهَا)، وَقَدْ تَكَرَّرَ التَّرْكِيبُ مَرَّتَيْنِ.

٣. تركيب النفي بالفعل (لَيْسَ):

أ. استعمال (لَيْسَ) نافية عاملة عمل كان وأخواتها، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ:

١. قال رسول الله ﷺ عَنْ عَلَامَةِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ: "...، وَإِنَّ أَمَارَتَهَا أَنَّ الشَّمْسَ صَبِيحَتَهَا تَخْرُجُ مُسْتَوِيَةً لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ مِثْلَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَحِلُّ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهَا يَوْمَئِذٍ"^(٢). والشاهد: (لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ).

٢. قال رسول الله ﷺ: "لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ عِيسَى الْكَافِرِ نَبِيٌّ، ..."^(٣).

ب. دخول الباء الزائدة على خبر (لَيْسَ)، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ:

١. جاء رجلٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعِدُ فَرَائِصُهُ؛ فَقَالَ لَهُ: "هَوْنٌ عَلَيْكَ؛ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ، ..."^(٤).

٢. عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِينَا فَقَالَ: "أَنْذَرْتُكُمْ فِتْنَةَ الدَّجَالِ، ...، لَا يَأْتِي أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ: الْكَعْبَةَ، وَمَسْجِدَ

^(١) خُطَبُ الرِّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٢٢-٢٢٤، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٣٩). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمُسْنَدِ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: ٥٠٣-٤٩٩/٣٠، حَدِيثُ رَقْمُ (١٨٥٣٤)، وَالْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ، لِلْحَاكِمِ، حَدِيثُ مَعْمَرٍ: ٩٣-٩٤، حَدِيثُ رَقْمُ (١٠٧).

^(٢) خُطَبُ الرِّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٥٩، خُطْبَةٌ رَقْمُ (١٠٨). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمُسْنَدِ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: ٤٢٥/٣٧، حَدِيثُ رَقْمُ (٢٢٧٦٥)، وَصَحِيحُ ابْنِ خُزَيْمَةَ، لِابْنِ خُزَيْمَةَ، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الشَّمْسَ لَا يَكُونُ لَهَا شُعَاعٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ: ٣٣٢/٣، حَدِيثُ رَقْمُ (٢١٩٣).

^(٣) خُطَبُ الرِّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٨٥-٢٨٦، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٣٥). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمُسْنَدِ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مَسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ٤٨/١٦، حَدِيثُ رَقْمُ (٩٩٧٤)، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ فُضَائِلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ١٨٣٧/٤، حَدِيثُ رَقْمُ (٢٣٦٥).

^(٤) خُطَبُ الرِّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٥٥، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣٠٧). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: السُّنَنِ، لِابْنِ مَاجَةَ، بَابُ الْقَدِيدِ: ١١٠١/٢، حَدِيثُ رَقْمُ (٣٣١٢)، وَالْمَعْجَمُ الْأَوْسَطُ، لِلطَّبْرَانِيِّ، مِنْ اسْمِهِ أَحْمَدُ: ٦٤/٢، حَدِيثُ رَقْمُ (١٢٦٠).

الرَّسُولِ، وَالْمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَالطُّورَ، وَمَهْمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ^(١).

٤. تركيب النفي بالاسم (غير):

أ. عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَكْفُرَ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ"، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كَيْفَ قُتِلْتَ؟"، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَكْفُرَ عَنِّي خَطَايَايَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ إِلَّا الدَّيْنَ؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لِي ذَلِكَ"^(٢).

ب. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ ﻻ يَخْلُقُ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ؛ فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ، ... إِنْ مِنْ أَمِّنِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، ..."^(٣).

٥. تركيب النفي بالحرف (ما):

أ. استعمال (ما) العاملة عمل (لَيْسَ) لنفي الجملة الاسمية:
لَمْ يَرِدْ سِوَى شَاهِدٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: "مَا ذُنُبَانِ ضَارِيَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَكْثَرِ إِفْسَادًا فِيهَا مِنْ حُبِّ الشَّرَفِ وَالْمَالِ وَالْجَاهِ فِي دِينِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ"^(٤).

ت. استعمال (ما) لنفي الجملة الفعلية، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ:

^(١) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٨٤، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٣٣). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمُسْنَدِ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، أَحَادِيثُ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: ١٨٠/٣٨، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٣٠٩٠).

^(٢) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٩، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٧). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمُسْنَدِ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ: ٢٧٧/٣٧، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٢٥٨٥)، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كُفِّرَتْ خَطَايَاهُ إِلَّا الدَّيْنَ: ١٥٠١/٣، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٨٨٥).

^(٣) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٣١٠، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٦٧). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمُسْنَدِ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: ٢١٥/١٧، حَدِيثٌ رَقْمُ (١١١٣٤)، وَصَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، لِلْبُخَارِيِّ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "سُدُّوا الْأَبْوَابَ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ": ٤/٥، حَدِيثٌ رَقْمُ (٣٦٥٤).

^(٤) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٣١٠، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٦٧). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ، لِلطَّبْرَانِيِّ، حَدِيثُ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ عَنْ ابْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ: ٩٦/١٩، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٨٩)، وَشُعَبُ الْإِيمَانِ، لِلْبَيْهَقِيِّ، بَابُ الزُّهْدِ وَقِصْرِ الْأَمَلِ: ٤٨٩/١٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (٩٧٨٦).

١. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِي الْمَسْأَلَةِ، مَا مَشَى أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ يَسْأَلُهُ شَيْئًا"^(١). والشاهد: (مَا مَشَى).

٢. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدًا أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ"^(٢). والشاهد: (مَا بَلَغَ).

٦. تركيب النفي بالحرف (لَنْ):

أ. استعمال (لَنْ) لنفي المضارع الصحيح الآخر ونصبه بالفتحة، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ:

١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مَكَّةَ قَامَ فَحَمَدَ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهَا لَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَإِنَّهَا لَنْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، ..."^(٣). والشاهد: (لَنْ تَحِلَّ).

٢. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنْ اسْتَمْنَعْتَ بِهَا اسْتَمْنَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عَوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا، وَكَسَرُهَا طَلَاقُهَا"^(٤). والشاهد: (لَنْ تَسْتَقِيمَ).

ب. استعمال (لَنْ) لنفي المضارع المعتل الآخر بالالف ونصبه بالفتحة المقدرة، وَلَهُ شَاهِدٌ وَاحِدٌ:

رُوي عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي إِحْدَى خُطَبِهِ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ النَّفْلَيْنِ، إِنَّهُ لَنْ تَعْمَى أَبْصَارُكُمْ، وَلَنْ تَضِلَّ قُلُوبُكُمْ، وَلَنْ تَزِلَّ أَقْدَامُكُمْ، وَلَنْ تَقْصُرَ أَيْدِيكُمْ، ..."^(٥). والشاهد: (لَنْ تَعْمَى).

(١) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢١١، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤١٨). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الشُّنَنِ الْكُبْرَى، لِلنَّسَائِيِّ، بَابُ الْمَسْأَلَةِ: ٧٤/٣، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٣٧٨).

(٢) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٦٩-٢٧٠، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥١٨). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ١٣٧/١٧، حَدِيثٌ رَقْمُ (١١٠٧٩)، وَصَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، لِلْبُخَارِيِّ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا: ٨/٥، حَدِيثٌ رَقْمُ (٣٦٧٣).

(٣) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٤-١٥، خُطْبَةٌ رَقْمُ (١٧). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، لِلْبُخَارِيِّ، بَابُ كِتَابَةِ الْعِلْمِ: ٣٣/١، حَدِيثٌ رَقْمُ (١١٢)، وَصَحِيحُ مُسْلِمَ، لِمُسْلِمَ، بَابُ تَحْرِيمِ مَكَّةَ وَصِيدِهَا وَخِلَافِهَا وَشَجَرِهَا وَلَقَطَتِهَا إِلَّا لِمَنْشَدٍ عَلَى الدَّوَامِ: ٩٨٨/٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٣٥٥).

(٤) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٢١، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٣٧). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحُ مُسْلِمَ، لِمُسْلِمَ، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ: ١٠٩١/٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٤٦٨).

(٥) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٣١٥-٣١٦، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٧٢). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمَحَرَّرِ الْوَجِيزِ فِي تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ "تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ"، لِابْنِ عَطِيَّةٍ: ٣٦/١، وَالْبَحْرِ الْمَحِيطِ فِي التَّفْسِيرِ، لِأَبِي حَيَّانٍ الْأَنْدَلُسِيِّ: ٢٤/١.

ت. استعمال (لَنْ) لنفي المضارع المعتل الآخر بالواو والياء ونصبه بالفتحة الظاهرة،
وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ:

١. مثال المعتل بالواو: وله شاهد واحد، وهو ما رُوِيَ عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: "أَيُّهَا
النَّاسُ، إِنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ، لَنْ يَعْدُوَ أَمْرُؤُ مَا كُتِبَ لَهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي
الطَّلَبِ، ..." ^(١).

٢. مثال المعتل بالياء:

رُوِيَ عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: "مَنْ تَدَيَّنَ بِدَيْنٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَقْضِيَهُ، حَرِيصٌ عَلَى
أَنْ يُؤَدِّيَهُ، فَمَاتَ وَلَمْ يَقْضِ دَيْنَهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُرْضِيَ غَرِيمَهُ بِمَا شَاءَ
مِنْ عِنْدِهِ، وَيَغْفِرَ لِلْمُتَوَفَّى، وَمَنْ تَدَيَّنَ بِدَيْنٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ لَا يَقْضِيَهُ، فَمَاتَ عَلَى
ذَلِكَ لَمْ يَقْضِ دَيْنَهُ؛ فَإِنَّهُ يُقَالُ لَهُ: أَطْنَنْتَ أَنَا لَنْ نُؤْفِيَ فُلَانًا حَقَّهُ مِنْكَ؟ ..." ^(٢).
والشاهد: (لَنْ نُؤْفِيَ).

ث. استعمال (لَنْ) لنفي المضارع مِنَ الأفعال الخمسة ونصبه بحذف النون، وَمِنْ أَمْثَلِهِ
ذَلِكَ:

١. عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَنَّهُ قَالَ: "...، يَا عِبَادِي،
إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، ..." ^(٣). والشاهد:
(لَنْ تَبْلُغُوا) وقد تكرر مرتين.

٢. جاء في إحدى خُطَبِهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "... إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، ...؛ فَإِنِّي قَدْ
نَبَّأَنِي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ" ^(٤). والشاهد: (لَنْ
يَفْتَرِقَا).

^(١) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٧٥، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣٤٣). وأصل الحديث في: البحر المديد في
تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة: ٣١٨/٤. وهو حديث موضوع، أما الحديث الصحيح فهو: "أَيُّهَا النَّاسُ
لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى النَّارِ
وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ قَدْ نَفَثَ فِي رُوحِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ حَتَّى
تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا؛ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ لَا
يُنْزَكُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ".

^(٢) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٠٦-٢٠٧، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٠٩). وأصل الحديث في: شُعَبُ
الإيمان، للبيهقي، فَصْلٌ فِي التَّشْدِيدِ فِي الدِّينِ: ٣٨٧/٧، حديث رقم (٥١٧٢)، والترغيب والترهيب،
للمنزوي، كتاب البيوع وغيرها التَّزْغِيبُ فِي الْاِكْتِسَابِ بِالْبَيْعِ وَغَيْرِهِ: ٣٧٢-٣٧٣، حديث رقم (٢٧٧٦).

^(٣) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٥٩-١٦٠، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣١٦). وأصل الحديث في: صحيح
مسلم، لمسلم، باب تحريم الظُّلْمِ: ١٩٩٤/٤، حديث رقم (٢٥٧٧).

٧. تركيب النفي بالحرف (كَلَّا):

وَرَدَ عَلَى (كَلَّا) شَاهِدَانِ مِنْ خُطْبَتَيْنِ بِرَوَايَتَيْنِ مُتَقَارِبَتَيْنِ لَفْظًا وَمَعْنَى، أَذْكَرُ شَاهِدًا مِنْ إِحْدَاهُمَا:

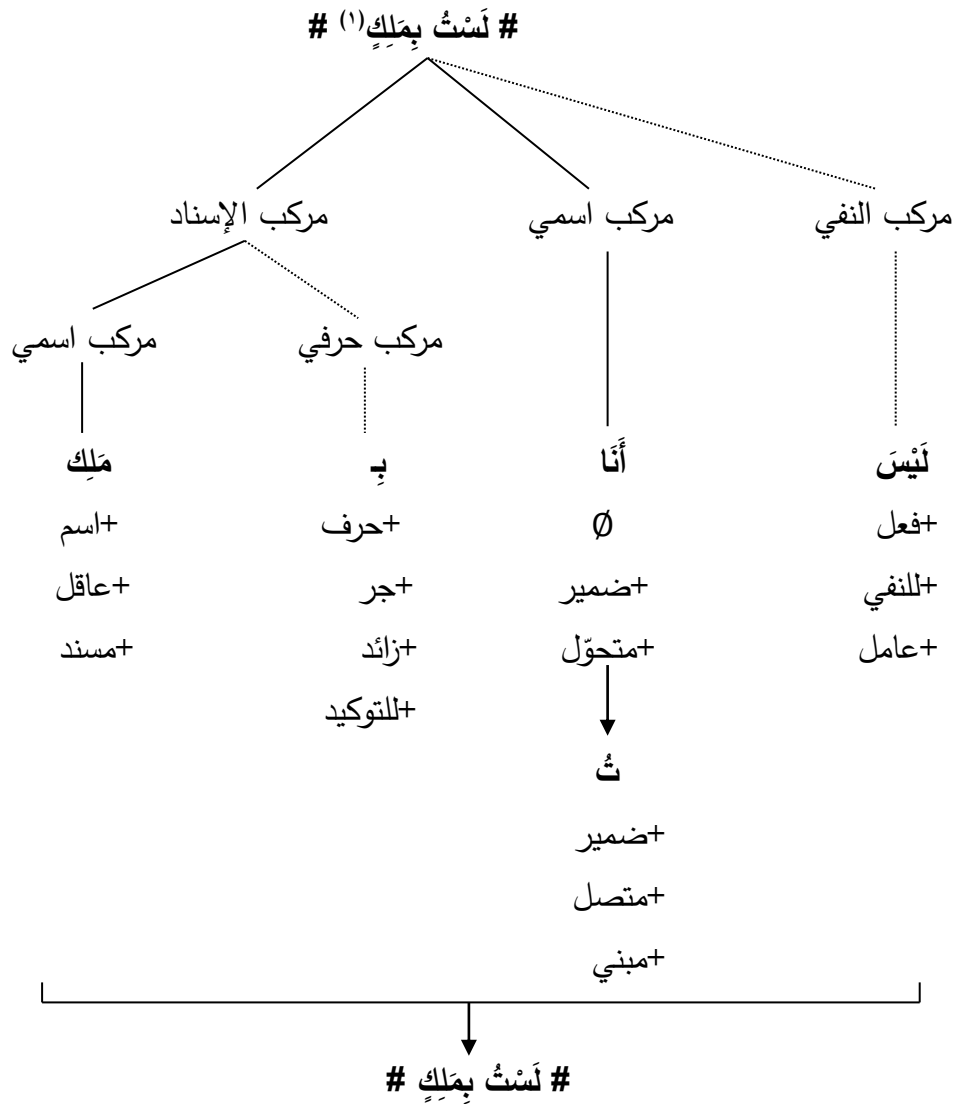
رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ سَارَ إِلَى مَكَّةَ لِيَفْتَحَهَا قَالَ لَهُ: "اهْتَفِ بِالْأَنْصَارِ"، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: "...؛ فَمَنْ أَنَا إِذَا؟ كَلَّا، وَاللَّهِ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ حَقًّا، فَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ..."^(١).

سادسًا: نماذج تحليلية لتراكيب النفي الواردة في كتاب خُطْبِ الرَسُول ﷺ

١. نموذج تحليلي لتركيب النفي بالفعل (لَيْسَ):

^(١) خُطْبُ الرَسُول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٥٨-٢٥٩، خُطْبَةُ رَقْم (٤٩٥). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمُسْنَدِ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: ٢١١/١٧-٢١٢، حَدِيثُ رَقْم (١١١٣١)، وَالْمُسْنَدُ، لِأَبِي يَعْلَى الْمُوَصِّلِيِّ، مِنْ مُسْنَدِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: ٢٩٧/٢، حَدِيثُ رَقْم (١٠٢١).

^(٢) خُطْبُ الرَسُول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٣٦، خُطْبَةُ رَقْم (٦٢). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمُسْنَدِ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: ٥٥٣/١٦-٥٥٥، حَدِيثُ رَقْم (١٠٩٤٨)، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ فَتْحِ مَكَّةَ: ١٤٠٥/٣-١٤٠٦، حَدِيثُ رَقْم (١٧٨٠).



تَمَّ تحويلُ التركيبِ السابقِ مِنَ البِنْيَةِ العميقة (أَنَا مَلِكٌ) الدَّالَّةُ عَلَى الإخبارِ المُثَبَّتِ إِلَى البِنْيَةِ السطحية (لَسْتُ بِمَلِكٍ) الدَّالَّةُ عَلَى الإخبارِ المُنْفِيِّ عن طريقِ القواعدِ التحويلية الآتية:

١. الزيادة والإضافة:

أ. تَمَّ زيادة مركب النفي (لَيْسَ)؛ فَتَحَوَّلَتِ الجُمْلَةُ الاسمية (أَنَا مَلِكٌ) مِنَ الإثباتِ إِلَى النفي.

ب. كَمَا تَمَّ زيادة مركب حرف الجر الزائد (الباء) عَلَى المركبِ الواقعِ خَبَرًا لِـ(لَيْسَ)؛ فَتَحَوَّلَتِ الجُمْلَةُ الاسمية (أَنَا مَلِكٌ) مِنَ الإخبارِ المُثَبَّتِ إِلَى الإخبارِ المُنْفِيِّ (لَسْتُ بِمَلِكٍ).

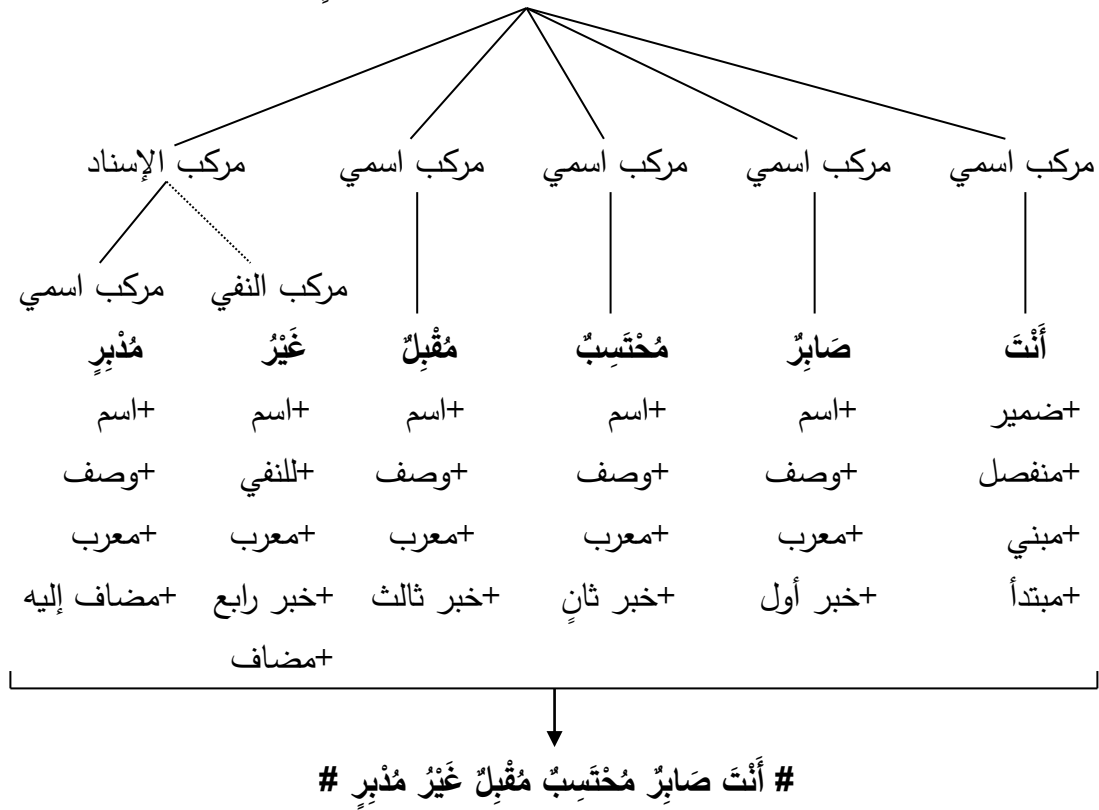
٢. الإحلال والتعويض:

حَلَّ الضميرِ المتصل (التاء) محلَّ الضميرِ المنفصل (أَنَا).

(١) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٤٦٠، حاشية (٤)، وهي خُطْبَةٌ رَقْم (٣٠٧).

٢. نموذج تحليلي لتركيب النفي بالاسم (غير):

أَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرٌ مُدْبِرٌ ^(١)



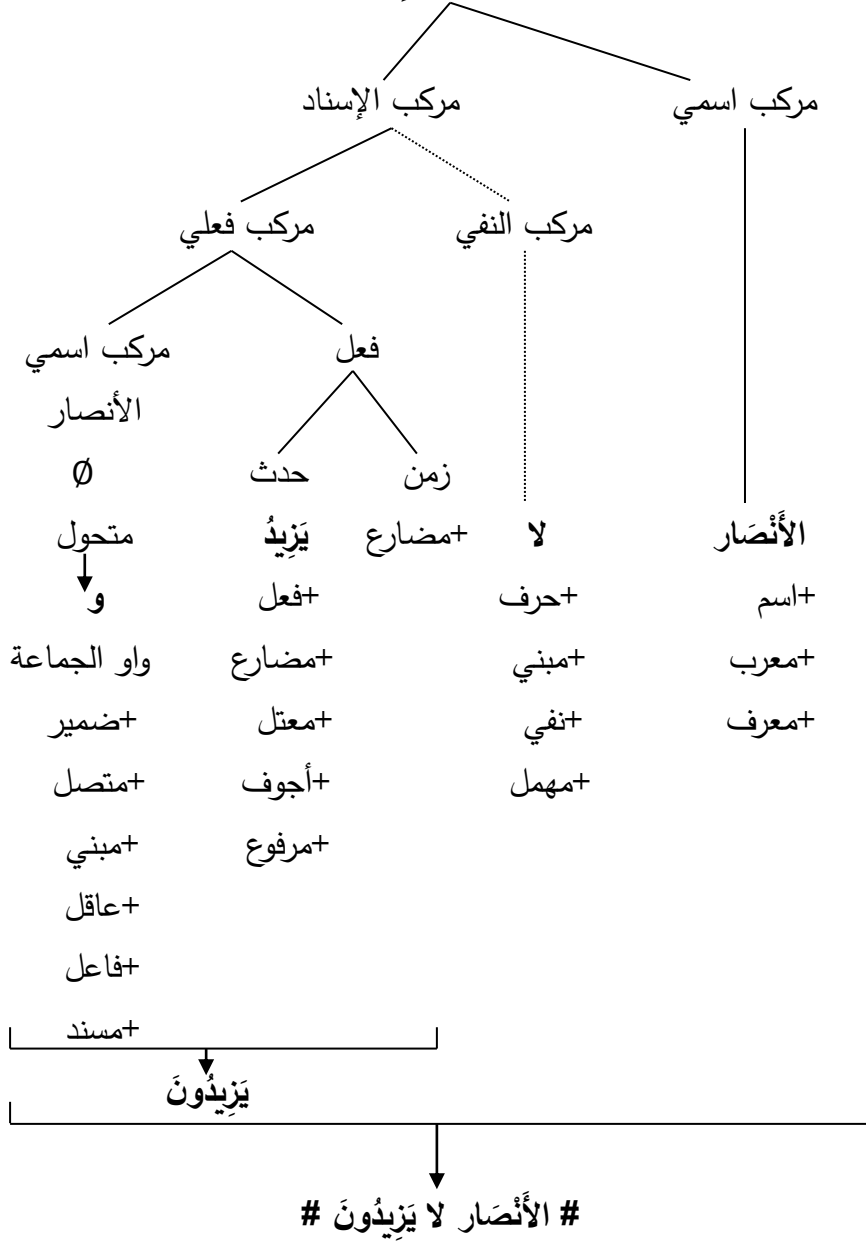
تَمَّ تحويلُ التركيبِ السابقِ مِنَ البِنْيَةِ العميقة (أَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ) الدَّالَّةُ عَلَى الإِخْبَارِ الْمُثَبَّتِ إِلَى البِنْيَةِ السُّطْحِيَّةِ (أَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرٌ مُدْبِرٌ) الدَّالَّةُ عَلَى الإِخْبَارِ الْمُنْفِيِّ عَنْ طَرِيقِ القَاعِدَةِ التَّحْوِيلِيَّةِ الْآتِيَةِ:

الزِّيَادَةُ "الإِضَافَةُ": حَيْثُ تَمَّ زِيَادَةُ مَرْكَبِ النِّفْيِ (غَيْرٌ)؛ فَتَحَوَّلَتِ الْجُمْلَةُ الْإِسْمِيَّةُ (أَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ) مِنَ الإِخْبَارِ الْمُثَبَّتِ إِلَى الإِخْبَارِ الْمُنْفِيِّ (أَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرٌ مُدْبِرٌ).

^(١) سَبَقَ تَخْرِيجُ الْحَدِيثِ، ص: ٤٦١، حَاشِيَةُ (٢)، وَهِيَ خُطْبَةٌ رَقْم (٢٧).

٣. نموذج تحليلي لتركيب النفي بالحرف (لا):

الأنصار لا يَزِيدُونَ^(١)

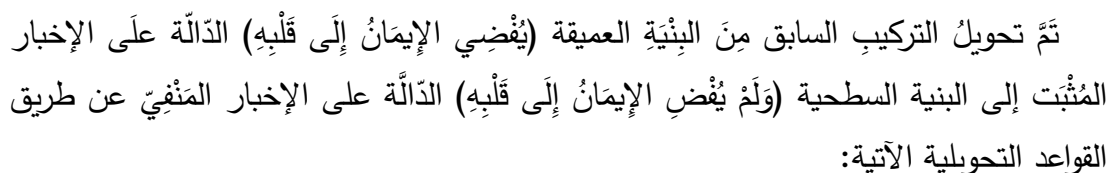


تَمَّ تحويلُ التركيبِ السابقِ مِنَ البِنْيَةِ العميقة (الأنصار يَزِيدُونَ) الدَّالَّةُ عَلَى الإخبارِ المُثَبَّتِ إِلَى البِنْيَةِ السطحية (الأنصار لا يَزِيدُونَ) الدَّالَّةُ عَلَى الإخبارِ المنفِيِّ عن طريقِ القواعدِ التحويلية الآتية:

١. الزيادة والإضافة: تم زيادة مركب النفي (لا) على التركيب السابق؛ فتحولَ مِنْ الإثبات (الأنصار يَزِيدُونَ) إِلَى النفي (الأنصار لا يَزِيدُونَ).
٢. الإحلال والتعويض: حُلَّ الضمير المتصل (واو الجماعة) محلَّ الاسم (الأنصار).

(١) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٣٠٠، حاشية (٣)، وهي خُطبة رقم (٥٩).

وَلَمْ يُفْضِ الْإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ ^(١)



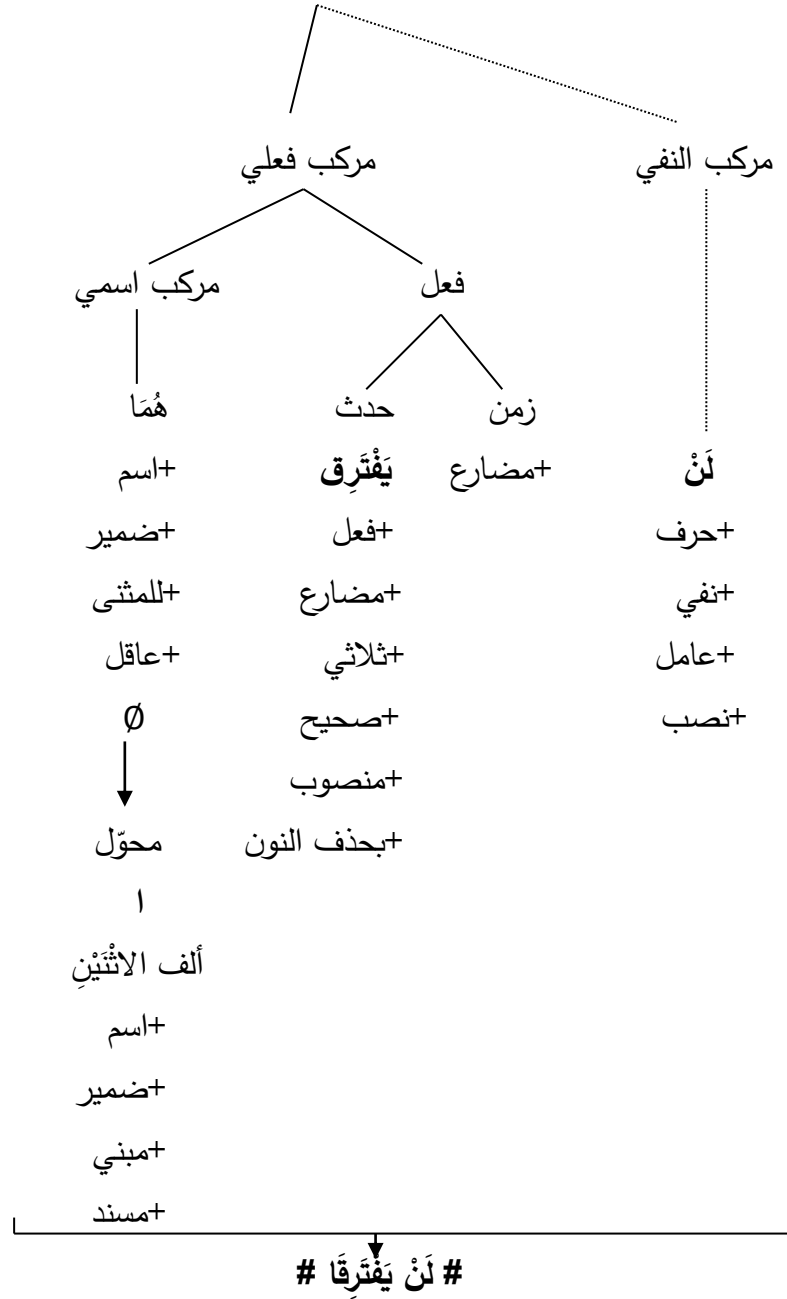
ب. تَمَّ زيادة مركب النفي (لَمْ)؛ فَتَحَوَّلَتِ الجملة الفعلية (يُفْضِي الإِيْمَانُ إِلَى قَلْبِهِ) مِنْ الإِخْبَارِ الْمُتَّبَتِّ إِلَى الإِخْبَارِ الْمَنْفِيِّ (وَلَمْ يُفْضِ الإِيْمَانُ إِلَى قَلْبِهِ).

حَلَّ الضمير المتصل (الهاء) محلَّ المركب الاسمي الثاني (المُسْلِم).

১৬৮

٥. نموذج تحليلي لتركيب النفي بالحرف (لَنْ):

لَنْ يَفْتَرِقَا ^(١)



تَمَّ تحويلُ التركيبِ السابقِ مِنَ البِنْيَةِ العميقة (يَفْتَرِقَانِ) الدَّالَّةُ عَلَى الإخبارِ المُثَبَّتِ إِلَى البِنْيَةِ السطحية (لَنْ يَفْتَرِقَانِ) الدَّالَّةُ عَلَى الإخبارِ المَنْفِيِّ عن طريقِ القواعدِ التحويلية الآتية:

١. الزيادة: تَمَّ زيادة مركب النفي (لَنْ)؛ فَتَحَوَّلَتِ الجُمْلَةُ الفعلية (يَفْتَرِقَانِ) مِنَ الإخبارِ المُثَبَّتِ إِلَى الإخبارِ المَنْفِيِّ (لَنْ يَفْتَرِقَانِ).
٢. الإحلال: حَلَّ الضمير المتصل (ألف الاثنين) محلَّ المركب الاسمي (هُمَا).

^(١) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٤٦٤، حاشية (١)، وهي خُطْبَةٌ رقم (٤٩٥).

المبحث الثاني

تركيب الشرط

أولاً: الشرط لغةً واصطلاحاً

الشرط لغةً: إلزام الشيء والتزامه في البئع ونحوه، والجمع شروط^(١). وقد شرط عليه كذا يشترط ويشترط، واشترط عليه، والشرط بالتحريك: العلامة، والجمع أشرط، وأشرط الساعة: علاماتها^(٢).

الشرط اصطلاحاً:

سمي سيبويه الشرط جزاءً، لكنه لم يعرف الشرط^(٣)، أما المبرد فقال في تعريفه: "الشرط وفوق الشيء لفوق غير^(٤)؛ أي: يقع جواب الشرط إذا وقع فعل الشرط. وقد ربط ابن يعيش بين المفهوم اللغوي والمفهوم الاصطلاحي فقال: "معنى الشرط العلامة والأمانة؛ فكان وجود الشرط علامة لوجود جوابه"^(٥)، ومن تعريفات الشرط: "تعليق أمرٍ بآخر"^(٦).

يتضح -مما ذكر- أن مفهوم الشرط يعني: تعليق أمرٍ بآخر عن طريق كلمةٍ من كلمات الشرط؛ فلا يقع الأمر الثاني إلا بعد تحقق الأمر الأول.

ثانياً: تركيب الشرط في اللغة العربية

يتكون تركيب الشرط في العربية من ثلاثة مكونات^(٧)، وهي: (كلمة الشرط)، و(فعل الشرط) ويسمى جملة الشرط، و(جواب الشرط) ويسمى جملة الجزاء.

١. **كلمات الشرط:** وهي ثمانية عشرة كلمة، مقسومة إلى قسمين^(٨):

(١) انظر: الصّاح، للجوهري: ١١٣٦/٣ (شرط)، والمُحكم، لابن سيده: ١٣/٨ (شرط).

(٢) انظر: المُحكم، لابن سيده: ١٣/٨ (شرط)، ولسان العرب، لابن منظور: ٣٢٩/٧ (شرط)، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي: ٦٧٣ (فصل الشين).

(٣) انظر: الكتاب، لسيبويه: ٥٦/٣.

(٤) المقتضب، للمبرد: ٤٦/٢.

(٥) شرح المفصل، لابن يعيش: ٢٦٥/٤.

(٦) دستور العلماء "جامع العلوم في اصطلاحات الفنون"، للقاضي عبد النبي الأحمد نكري: ١٧٨/١. وانظر:

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للحموي: ٢٦/١.

(٧) انظر: المقتضب، للمبرد: ٥١-٤٦/٢، واللمع في العربية، لابن جني: ١٣٣-١٣٥، واللمحة في شرح

الملحة، لابن الصائغ: ٨٦٥-٨٧٠، وارتشاف الضرب، لأبي حيان: ١٨٨٤-١٨٨٩، وتوضيح

المقاصد، للمرادي: ١٢٧٤-١٢٧٦، وهمع الهوامع، للسيوطي: ٥٧٨-٥٨٠.

أ. كلمات شَرْطٍ جازمة: وهي إِحْدَى عَشْرَةَ كلمةً، منها حرفان، وَهَمَّا: (إِنْ، إِذْمَا)، وَتِسْعَةُ أَسْمَاءٍ، وهي: (مَنْ، مَا، مَهْمَا، مَتَى، أَيَّانَ، أَيْنَ، أَنَّى، حَيْثُمَا، أَيَّ)، وهذا توضيحٌ مختصرٌ لها^(١):

١. إِنْ، وَإِذْمَا: حرفانِ وُضِعَا لمجرد تعليق الجواب على الشرط، نحو: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدُ﴾^(٢)، وَ(إِذْمَا تَقُمْ أَقُمْ). وَتَعُدُّ (إِنْ) أُمُّ الْبَابِ^(٤).

٢. مَنْ: اسْمٌ وُضِعَ للدلالة على مَنْ يَفْعَلُ، ثُمَّ ضُمِّنَ معنى الشرط، نحو: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾^(٥).

٣. مَا، وَمَهْمَا: اسمانِ وُضِعَا للدلالة على ما لا يَعْقِلُ، ثُمَّ ضُمِّنَا معنى الشرط، ومثال (ما): ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾^(٦)، ومثال (مَهْمَا): ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتَانَا مِنْ آيَةٍ لَسَحَرًا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٧).

٤. مَتَى، وَأَيَّانَ: اسمانِ وُضِعَا للدلالة على الزمان، ثُمَّ ضُمِّنَا معنى الشرط، نحو: (مَتَى تُجَاهِدْ عَدُوَّكَ يَخْشَكَ)، وَ(أَيَّانَ نَقْدِرَ مُعَلِّمِكَ يَقْدِرَكَ تَلَامِيذُكَ).

٥. أَيْنَ، وَأَنَّى، وَحَيْثُمَا: أسماءٌ وُضِعَتْ للدلالة على المكان، ثُمَّ ضُمِّنَ معنى الشرط، نحو: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾^(٨)، وَ(أَنَّى تَتَّقِ نَفْلُحْ)، وَ(حَيْثُمَا تَسْتَقِمْ يَأْتِكَ التَّوْفِيقُ).

٦. أَيَّ: مُتَرَدِّدٌ بين أنواع الاسم الأربعة السابقة، فإنها بحسب ما تضاف إليه؛ فهي في: (أَيُّهُمْ يَقُمْ أَقُمْ مَعَهُ) مِنْ بَابِ (مَنْ) للعاقل، وفي: (أَيَّ الدَّوَابِّ تَرْكَبُ أَرْكَبُ)

(١) انظر: الكتاب، لسبويه: ٥٦/٣-٦٠، وملحة الإعراب، للحري: ٨٢-٨٣، وتسهيل الفوائد، لابن مالك: ٢٣٦-٢٣٧، وتوضيح المقاصد، للمرادي: ١٢٧٤-١٢٧٦، وشرح التسهيل، لناظر الجيش: ٩/٤٣٢٠-٤٣٣٦، وشرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٣٩٨/٢-٤٠١.

(٢) انظر: المُقَرَّب، لابن عصفور: ٢٧٣-٢٧٤، وشرح التسهيل، لابن مالك: ٦٦/٤-٦٩، والملحة في شرح الملحة، لابن الصائغ: ٨٦٨/٢-٨٧٠، وشرح شذور الذهب، لابن هشام: ٤٣٤-٤٣٨، وشرح شذور الذهب، للجوجري: ٥٩٧/٢-٥٩٩، وشرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٣٩٩/٢.

(٣) سورة الأنفال: ١٩.

(٤) انظر: شرح المفصل، لابن يعيش: ١٠٦/٥، وتوضيح المقاصد، للمرادي: ٣/١٢٧٤.

(٥) سورة النساء: ١٢٣.

(٦) سورة البقرة: ١٩٧.

(٧) سورة الأعراف: ١٣٢.

(٨) سورة النساء: ٧٨.

مِنْ بَاب (مَا) لغير العاقل، وفي: (أَيَّ يَوْمٍ تَصُومُ أَصُمْ) مِنْ بَاب (مَتَى) للزمان، وفي: (أَيَّ مَكَانٍ تَجْلِسُ أَجْلِسُ) مِنْ بَاب (أَيْنَ) للمكان. وتتفق الكلمات الشرطية الجازمة في أمور، وأهمها^(١):

١. لا تَدْخُلُ كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْ كَلِمَاتِ الشَّرْطِ الجازمة على الأسماء، بَلْ تَحْتَاجُ إِمَّا إِلَى فِعْلَيْنِ مُضَارِعَيْنِ تَجْزِمُ لَفْظُهُمَا مَبَاشَرَةً إِنْ كَانَا مُعْرَبَيْنِ، وَتَجْزِمُ مَحَلَّهُمَا إِنْ كَانَ مَبْنِيَيْنِ؛ وَأَوَّلُ هَذَيْنِ الْفِعْلَيْنِ: يُسَمَّى (فِعْلُ الشَّرْطِ)، وَثَانِيَهُمَا: يُسَمَّى (جَزَاءُ الشَّرْطِ وَجَوَابُهُ)، وَحَقُّ الْجُمْلَتَيْنِ (الْفِعْلُ وَالْجَوَابُ) أَنْ تَكُونَا فِعْلِيَّتَيْنِ. وَإِمَّا أَنْ تَحْتَاجَ إِلَى فِعْلَيْنِ مَاضِيَيْنِ، يَحْلُلَانِ مَحَلَّ الْمُضَارِعَيْنِ، أَوْ مَحَلَّ أَحَدَهُمَا، وَتَجْزِمُهُمَا الْأَدَاةُ مَحَلًّا. وَإِمَّا إِلَى فِعْلَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ، تَجْزِمُ لَفْظَ الْمَضَارِعِ مِنْهُمَا، وَتَجْزِمُ مَحَلَّ الْمَاضِي. وَإِمَّا إِلَى جُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ، تَحَلُّ مَحَلَّ الْمَضَارِعِ الثَّانِي، وَتَجْزِمُهَا الْأَدَاةُ مَحَلًّا. وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَحُلَّ مَحَلَّ الْأَوَّلِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّ الْأَوَّلَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِعْلًا مُضَارِعًا أَوْ مَاضِيًّا.

فَإِذَا وَقَعَ بَعْدَهَا اسْمٌ وَالْغَالِبُ أَنْ تَكُونَ الْأَدَاةُ: (إِنْ) أَوْ (إِذَا) وَجَبَ تَقْدِيرُ فِعْلٍ مُنَاسِبٍ يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا؛ بَحِثْ تَكُونُ الْأَدَاةُ دَاخِلَةً عَلَى الْفِعْلِ الْمُقَدَّرِ لَا عَلَى الْأَسْمِ الظَّاهِرِ، نَحْوُ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾^(٢)، وَالتَّقْدِيرُ: إِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ انْشَقَّتْ.

٢. يُسَمَّى أَوَّلُ فِعْلِي الشَّرْطِ (شَرْطًا)؛ لِتَعْلِيقِ الْحُكْمِ عَلَيْهِ، وَيُسَمَّى ثَانِيَهُمَا (جَوَابًا)؛ لِأَنَّهُ مُرْتَبِّ عَلَى الشَّرْطِ، كَمَا يُرْتَبُّ الْجَوَابُ عَلَى السُّؤَالِ. وَتُعَدُّ أَدَاةُ الشَّرْطِ جَازِمَةً لِلْفِعْلَيْنِ مَعًا، وَهُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ الْبَصْرِيِّينَ، كَمَا تَقْتَضِي هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الشَّرْطِيَّةُ الْجَازِمَةُ (جَزَاءً)؛ لِأَنَّ مَضْمُونَهُ جَزَاءٌ لِمَضْمُونِ الشَّرْطِ.

٣. تَقْلِبُ أَدَاةُ الشَّرْطِ الْجَازِمَةُ زَمَنَ فِعْلِ الشَّرْطِ أَوْ جَوَابِهِ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ الْمَحْضِ، مَهْمَا كَانَتْ صِيغَةُ فِعْلِ الشَّرْطِ أَوْ جَوَابِهِ.

٤. لِأَدَاةِ الشَّرْطِ حَقُّ الصَّدَارَةِ فِي جُمْلَتَيْهَا؛ فَلَا يَنْقَدُّ عَلَيْهَا شَيْءٌ إِلَّا فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ جَوَازُ دَخُولِ حَرْفِ الْجَرِّ عَلَيْهَا، مِثْلُ: (إِلَى مَنْ تُجَالِسُ أَجَالِسُ).

(١) انظر: الْمُقَرَّبُ، لابن عصفور: ٢٧٤-٢٧٥، وشرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، لابن الناظم: ٤٩٦، وشرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ٣٢/٤-٣٣، وشرح شذور الذهب، للجوجري: ٥٩٩/٢، وشرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٤٠٠/٢، والنحو الوافي، لعباس حسن: ٤٢١/٤-٤٢٦.

(٢) سورة الانشقاق: ١.

٥. لا تَدْخُلُ أدوات الشرط الجازمة على (لا) الناهية؛ فإذا دخلت عليها تغيّر معنى (لا) الناهية من النهي إلى النفي، وتصير مُهملة نافية بعد أن كانت جازمة.
- ب. كلمات شَرْطٍ غير جازمة: وهي سَبْعُ كلماتٍ، منها اسمان، وهُمَا: (إِذَا، كَلَّمَا)، وَخَمْسَةُ أَحْرَفٍ، وهي: (لَوْ، لَوْلَا، لَوْمًا، أَمَّا، لَمَّا). وهذا توضيحٌ مختصرٌ لها:
١. إِذَا: ظَرَفٌ للزمن المستقبل، تتضمن معنى الشَّرْطِ، وتختص بالدُّخُولِ على الجُمْلَةِ الفعلية، والأكثر أن يكون بعدها فعلًا ماضيًا، نحو: (إِذَا أَصَابَتِ الْمُؤْمِنَ سَرَاءٌ شَكَرَ)، أَمَّا مَجِيءُ الفعل المضارع بعدها فقليل^(١)؛ وإذا جاء بعدها جملة اسمية قُدِّرَ فِعْلٌ بينهما، نحو: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾^(٢)، والتقدير: (إِذَا كُوِّرَتْ الشَّمْسُ كُوِّرَتْ).
 ٢. كَلَّمَا: ظَرَفٌ يُفِيدُ التكرار، يليه فِعْلٌ ماضٍ^(٣)، نحو: ﴿كَلَّمَا أَضَاءَ لَهُمُ مَشْوَا فِيهِ﴾^(٤).
 ٣. لَوْ: حَرْفٌ شَرْطٍ يدل على امتناع الثاني لامتناع الأول^(٥)، قال سيبويه: "أَمَّا (لَوْ) فَلَمَّا كَانَ سَيَقَعُ لَوْفُوعٌ غَيْرُهُ"^(٦). ولا يليها -غالبًا- إلا ماضٍ معنًى^(٧)، نحو: (لَوْ انْقَى زَيْدٌ رَبَّهُ لَأَفْلَحَ).
 ٤. لَوْلَا: حَرْفٌ شَرْطٍ يدل على امتناع الشيء لوجود غيره، والاسم بعدها مرفوع بالابتداء عند أكثر النحويين، وما بعده خبرٌ محذوف وجوبًا -عند الجمهور- تقديره: (موجودٌ)^(٨)، مثل: (لَوْلَا زَيْدٌ لَأَكْرَمْتُكَ).
 ٥. لَوْمًا: حَرْفٌ شَرْطٍ، حُكْمُهُ حُكْمُ (لَوْلَا)، ومثاله: (لَوْمًا زَيْدٌ لَأَكْرَمْتُكَ).

(١) انظر: مغني اللبيب، لابن هشام: ١٢٧.

(٢) سورة التكوين: ١.

(٣) انظر: ارتشاف الضرب، لأبي حيان: ١٨٩٠/٤، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٢٦٦-٢٦٧، وجمع الهوامع، للسيوطي: ٦٠٠/٢.

(٤) سورة البقرة: ٢٠.

(٥) الجنى الداني، للمرادي: ٢٧٦، وانظر: مغني اللبيب، لابن هشام: ٣٣٧-٣٤٣.

(٦) الكتاب، لسيبويه: ٢٢٤/٤.

(٧) شرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ٤٧/٤.

(٨) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٥٩٧-٦٠٠، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٣٥٩-٣٦٢، وشرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ٥٥/٤.

٦. أَمَّا: حَزَفُ تفصيلٍ، فيه معنى الشرط، قائم مقام أداة الشرط وفعل الشرط؛ ولذلك يُجاب بالفاء^(١)؛ أي: يَجِبُ اقتران جواب شرطها بالفاء، مثل: (أَمَّا زَيْدٌ فَحَاضِرٌ).

٧. لَمَّا: حَزَفُ وجود لوجود^(٢)؛ أي: وجود الأول لوجود الثاني. قال عنه سيبويه: "فهو للأمر الذي قَدْ وَقَعَ لَوْفُوعٍ غيرِه"^(٣)، نحو: (لَمَّا زُرْتُ أُخْتِي أَكْرَمْتَنِي). قال المرادي: "لا يليها إلا ماضي اللفظ والمعنى، أو مضارع منفي بِ(لَمْ)"^(٤).

٢. فِعْلُ الشرط (جُمْلَةُ الشرط):

يقع بعد أداة الشرط فِعْلَان، الأول: يُسمى -كَمَا مَرَّ- شَرْطًا، والثاني: جزاء وجوابًا^(٥). ويشترط في فِعْلِ الشرط سِتَّةُ أمورٍ، وهي^(٦):

أ. أن لا يكون ماضي المعنى؛ فلا يجوز: (إِنْ قَامَ زَيْدٌ أَمْسَ أَقَمَ مَعَهُ)، وأما قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُنْتَ تُفْلِتُهُ فَمَنْ عِلْمُهُ﴾^(٧)؛ فَاَلْمَعْنَى: إِنْ يَتَبَيَّنْ أَنِّي كُنْتُ قُلْتُهُ.

ب. أن لا يكون طَلَبًا؛ فَلَا يجوز: (إِنْ قُمْ...) وَلَا (إِنْ لِيَقُمْ...).

ت. أن لا يكون جامدًا؛ فَلَا يجوز: (إِنْ عَسَى...) وَلَا (إِنْ لَيْسَ...).

ث. أن لا يكون مَقْرُونًا بِنَفْسِهِ؛ فَلَا يجوز: (إِنْ سَوْفَ يَقُمْ...).

ج. أن لا يكون مَقْرُونًا بِ(قَدْ)؛ فَلَا يجوز: (إِنْ قَدْ قَامَ زَيْدٌ...) وَلَا (إِنْ قَدْ يَقُمْ...).

ح. أن لا يكون مَقْرُونًا بِحَرْفِ نَفْيٍ؛ فَلَا يجوز: (إِنْ لَمَّا يَقُمْ...) وَلَا (إِنْ لَنْ يَقُمْ...)، وَيُسْتَثْنَى مِنْ ذَلِكَ (لَمْ) و(لَا)؛ فَيَجُوزُ اقترانه بهما، نَحْوُ: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ

مِرْسَاثَهُ﴾^(٨)، وَنَحْوُ: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ﴾^(٩).

وَقَدْ أجاز النحاة حَذْفَ فِعْلِ الشرط إِنْ دَلَّ عَلَى حَذْفِهِ قَرِينَةٌ^(١٠)، مثل: (صَلِّ لِلَّهِ وَإِلَّا تُعَاقَبْ)، والتقدير: (وَإِنْ لَا تُصَلِّ لِلَّهِ تُعَاقَبْ). وهذا الحذف يكثر مع (إِنْ)، ويقل

(١) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٥٢٢، وشرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ٥٢/٤.

(٢) الجنى الداني، للمرادي: ٥٩٤.

(٣) الكتاب، لسيبويه: ٢٣٤/٤.

(٤) الجنى الداني، للمرادي: ٥٩٧.

(٥) انظر: شرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ٣٢/٤.

(٦) انظر: شرح شذور الذهب، لابن هشام: ٤٣٩-٤٤١.

(٧) سورة المائدة: ١١٦.

(٨) سورة المائدة: ٦٧.

(٩) سورة الأنفال: ٧٣.

بدونها، قال ابن الصائغ: "إذا دلَّ على فِعْلِ الشَّرْطِ دَلِيلٌ فَحَذْفُهُ بَدُونِ (إِنْ) قَلِيلٌ، وَحَذْفُهُ مَعَهَا كَثِيرٌ" ^(٢).

٣. جواب الشرط (جُمْلَةُ الْجَزَاءِ):

إِنَّ الْفِعْلَ الثَّانِي فِي تَرْكِيبِ الشَّرْطِ يُسَمَّى جَوَابًا وَجَزَاءً "تَشْبِيهًا لَهُ بِجَوَابِ السُّؤَالِ وَبِجَزَاءِ الْأَعْمَالِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَقَعُ بَعْدَ وَقُوعِ الْأَوَّلِ، كَمَا يَقَعُ الْجَوَابُ بَعْدَ السُّؤَالِ، وَكَمَا يَقَعُ الْجَزَاءُ بَعْدَ الْفِعْلِ الْمُجَاوِزِ عَلَيْهِ" ^(٣).

فالفاعل الثاني الْمُتَأَخَّرُ "يُسَمَّى جَوَابًا وَجَزَاءً، وَيَجِبُ فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى -فِعْلُ الشَّرْطِ- أَنْ تَكُونَ فَعْلِيَّةً، وَأَمَّا الثَّانِيَّةُ -جَوَابُ الشَّرْطِ- فَالْأَصْلُ فِيهَا أَنْ تَكُونَ فَعْلِيَّةً، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ اسْمِيَّةً، نَحْوُ: (إِنْ جَاءَ زَيْدٌ أَكْرَمْتُهُ)، وَ(إِنْ جَاءَ زَيْدٌ فَلَهُ الْفَضْلُ) ^(٤). وَيَجُوزُ حَذْفُ جَوَابِ الشَّرْطِ، وَلِحَذْفِهِ مَطْلَبَانِ، الْأَوَّلُ: أَنْ تُوجَدَ قَرِينَةٌ تَدُلُّ عَلَيْهِ، وَالْآخِرُ: أَنْ يَكُونَ فِعْلُ الشَّرْطِ مَاضِيًّا، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ ذَاكِرًا الْمَطْلَبَ الْأَوَّلَ: "وَيُحْذَفُ الْجَوَابُ كَثِيرًا لِقَرِينَةٍ، وَكَذَا الشَّرْطُ الْمَنْفِيُّ بِ(لَا) تَالِيَةٍ (إِنْ)، وَيُحْذَفَانِ بَعْدَ (إِنْ) فِي الضَّرُورَةِ، وَقَدْ يَسُدُّ مَسَدَّ الْجَوَابِ خَبَرٌ مَا قَبْلَ الشَّرْطِ" ^(٥)، وَذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ الْمَطْلَبَ الثَّانِيَّ فِي قَوْلِهِ: "حَذْفُ الْجَوَابِ شَرْطُهُ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ مَعْلُومًا، وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ فِعْلُ الشَّرْطِ مَاضِيًّا، نَقُولُ: (أَنْتَ ظَالِمٌ إِنْ فَعَلْتَ) ^(٦)، وَتَقْدِيرُهُ: (أَنْتَ ظَالِمٌ إِنْ فَعَلْتَ فَأَنْتَ ظَالِمٌ) ^(٧).

صُورُ فِعْلِي الشَّرْطِ وَالْجَوَابِ:

إذا كان الشرط والجزاء فعلين -وهو الغالب- فإنهما يكونان على أربعة أوجه، وهي ^(٨):

-
- (١) انظر: تمهيد القواعد "شرح التسهيل"، لناظر الجيش: ٤٣٧٩/٩.
- (٢) الملحة في شرح الملحة، لابن الصائغ: ٨٨٧/٢.
- (٣) شرح شذور الذهب، لابن هشام: ٤٤١.
- (٤) انظر: شرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ٣٢/٤.
- (٥) تسهيل الفوائد، لابن مالك: ٢٣٨-٢٣٩، وانظر: المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل: ١٦٩-١٧٠، وتمهيد القواعد، لناظر الجيش: ٤٣٧٩/٩.
- (٦) شرح شذور الذهب، لابن هشام: ٤٤٤.
- (٧) انظر: الأصول في النحو، لابن السراج: ١٩٤/٢، والخصائص، لابن جني: ٢٨٤/١ و ٣٩٠/٢، وشرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ٤٢/٤.
- (٨) انظر: شرح التسهيل، لابن مالك: ٩٠-٩١، وشرح ابن الناظم على الألفية، لابن الناظم: ٤٩٦، والملحة في شرح الملحة، لابن الصائغ: ٨٧٣-٨٧٥، وشرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ٣٣/٤.

١. أَنْ يَكُونَ الْفِعْلَانِ مَاضِيَيْنِ، نحو: (إِنْ قَامَ زَيْدٌ قَامَ عَمْرُو)، ويكونان في محل جزم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسِنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ﴾^(١).

٢. أَنْ يَكُونَا مُضَارِعَيْنِ، نحو: (إِنْ يَقُمْ زَيْدٌ يَقُمْ عَمْرُو)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْذَوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخْسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾^(٢).

٣. أَنْ يَكُونَ فِعْلُ الشَّرْطِ مَاضِيًّا، والجواب مضارعًا، نحو: (إِنْ قَامَ زَيْدٌ يَقُمْ عَمْرُو)، ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبِّهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾^(٣).

٤. أَنْ يَكُونَ الْأَوَّلُ مُضَارِعًا، والثاني ماضيًّا، وهو قليلٌ وليس ضرورة^(٤)، ومنه قولُ النبي ﷺ: "مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"^(٥).

ثالثًا: تركيب الشرط في المفهوم التحويلي

مكونات تركيب الشرط في المفهوم التحويلي ثلاثة، وهي: (مركب أداة الشرط)، و(مركب جملة الشرط) وهو مركب غير مستقل، و(مركب جواب الشرط) وهو مركب مستقل. ويُعَدُّ تركيب الشرط تركيبًا مُحَوَّلًا "مِنْ بَنِيَّةٍ عَمِيقَةٍ، أَصْلُهَا التَّوْلِيدِيُّ مُكَوَّنٌ مِنْ تَرْكِيبَيْنِ مُسْتَقْلِلَيْنِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى هَذِهِ الْبَنِيَّةِ الْعَمِيقَةِ -بِمُكَوَّنَيْهَا الْمُسْتَقْلِلَيْنِ- مَرْكَبُ أَدَاةِ الشَّرْطِ، وَلَيْسَ عَلَى التَّرْكِيبِ الْمُسْتَقِلِ الْأَوَّلِ"^(٦)؛ أي: دَخَلَ مَرْكَبُ أَدَاةِ الشَّرْطِ عَلَى مُكَوَّنَيْ الْبَنِيَّةِ الْعَمِيقَةِ الْاِثْنَيْنِ، وَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى مَرْكَبِ فِعْلِ الشَّرْطِ فَقَط. فلو قلنا: (إِذَا حَضَرَ زَيْدٌ أَكْرَمْتُهُ) فالأصل التوليدي مركبان مستقلان: (حَضَرَ زَيْدٌ) و(أَكْرَمْتُ زَيْدًا)، ثُمَّ دَخَلَ مَرْكَبُ أَدَاةِ الشَّرْطِ (إِذَا) عَلَى الْبَنِيَّةِ الْعَمِيقَةِ بِمُكَوَّنَيْهَا الْمُسْتَقْلِلَيْنِ.

يُوضَحُ التَّحْلِيلُ الشَّجَرِيُّ الْآتِي لتركيب الشرط (إِنْ نَجَحَ زَيْدٌ أَكْرَمْتُهُ) مَا ذُكِرَ سَابِقًا:

(١) سورة الإسراء: ٧.

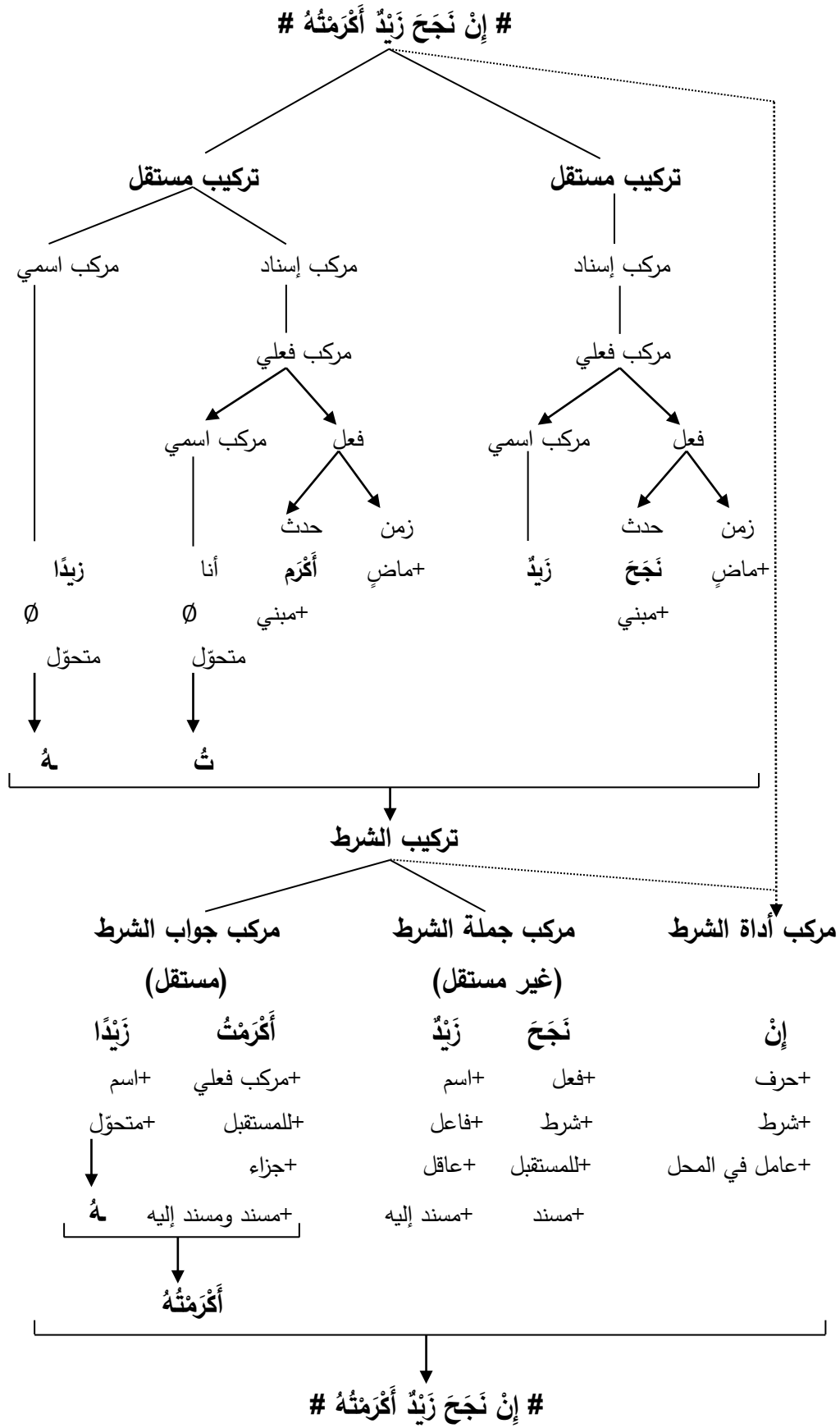
(٢) سورة البقرة: ٢٨٤.

(٣) سورة هود: ١٥.

(٤) أَكْثَرُ النَّحْوِيِّينَ يَخْصُّونَ هَذَا النَّوعَ بِالضَّرُورَةِ، وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ؛ بِدَلِيلِ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَذْكُورِ، وَهَذَا مَا أَبَدَهُ ابْنُ مَالِكٍ وَغَيْرُهُ. انظر: شرح التسهيل، لابن مالك: ٩١/٤، وشرح ابن النازم على الألفية، لابن النازم: ٤٩٧، واللمحة في شرح الملحة، لابن الصائغ: ٨٧٣/٢، وشرح ألفية ابن مالك "تحرير الخصاصة"، لابن الوردي: ٦٢٦/٢.

(٥) صحيح البخاري، للبخاري، باب قيام ليلة القدر من الإيمان: ١٦/١، حديث رقم (٣٥)، وصحيح مسلم، لمسلم، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح: ٥٢٤/١، حديث رقم (٧٦٠).

(٦) القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، د. حمدان رضوان أبو عاصي: ٢٦١.



تركيب الشرط

مركب جواب الشرط
(مستقل)

زَيْدًا

أَكْرَمْتُ

+اسم

+مركب فعلي

+متحوّل

+للمستقبل

↓

+جزاء

هـ

+مسند ومسند إليه

أَكْرَمْتُهُ

مركب جملة الشرط
(غير مستقل)

زَيْدٌ

نَجَّحَ

+اسم

+فعل

+فاعل

+شرط

+عاقِل

+للمستقبل

+مسند إليه

+مسند

مركب أداة الشرط

إِنَّ

+حرف

+شرط

+عامل في المحل

إِنَّ نَجَّحَ زَيْدٌ أَكْرَمْتُهُ

تَمَّ تَحَوُّلُ تَرْكِيبِ الشَّرْطِ السَّابِقِ - الْمَكُونِ مِنْ تَرْكِيبَيْنِ مُسْتَقِلَيْنِ - مِنْ بِنْيَتِهِ الْعَمِيقَةِ إِلَى بِنْيَتِهِ السَّطْحِيَّةِ، عَنْ طَرِيقِ الْقَوَاعِدِ التَّحْوِيلِيَّةِ الْآتِيَةِ:

١. الحَذْفُ:

أ. حُذِفَ الْمَرْكَبُ الْأَسْمِيُّ الثَّانِي الضَّمِيرُ الْمُنْفَصِلُ (أَنَا).

ب. حُذِفَ الْمَرْكَبُ الْأَسْمِيُّ الثَّلَاثُ (زَيْدًا).

٢. الْإِضَافَةُ وَالزِّيَادَةُ:

تَمَّ زِيَادَةُ مَرْكَبِ أَدَاةِ الشَّرْطِ (إِنْ)؛ لِلرَّبْطِ بَيْنَ التَّرْكِيبَيْنِ الْمُتَحَوِّلَيْنِ مِنْ بِنْيَتَيْهِمَا الْعَمِيقَةِ، وَهُمَا: (نَجَحَ زَيْدٌ) و(أَكْرَمْتُ زَيْدًا)؛ لِيَصِيرَا تَرْكِيبًا وَاحِدًا، وَهُوَ تَرْكِيبُ الشَّرْطِ بِمَكُونَاتِهِ الثَّلَاثَةِ، وَهِيَ: مَرْكَبُ أَدَاةِ الشَّرْطِ، وَمَرْكَبُ فِعْلِ الشَّرْطِ، وَمَرْكَبُ جَوَابِ الشَّرْطِ.

٣. الْإِحْلَالُ وَالتَّعْوِيضُ:

أ. حَلَّ التَّرْكِيبِ غَيْرِ الْمُسْتَقِلِ مَحَلَّ التَّرْكِيبِ الْمُسْتَقِلِ الْأَوَّلِ؛ لِيَصِيرَ تَرْكِيبٌ جُمْلَةٌ الشَّرْطِ.

ب. حَلَّ الزَّمَنُ الْمُسْتَقْبَلُ مَحَلَّ الزَّمَنِ الْمَاضِي فِي الْفَعْلَيْنِ (نَجَحَ) و(أَكْرَمَ).

ت. حَلَّ تَرْكِيبُ جَوَابِ الشَّرْطِ مَحَلَّ التَّرْكِيبِ الْمُسْتَقِلِ الثَّانِي.

ث. حَلَّ الضَّمِيرُ الْمَتَّصِلُ (تَاءُ الْفَاعِلِ) مَحَلَّ الْأَسْمِ الظَّاهِرِ الضَّمِيرِ (أَنَا) الْوَاقِعِ فَاعِلًا.

ج. حَلَّ الضَّمِيرُ الْمَتَّصِلُ: الْهَاءُ (هَ) مَحَلَّ الْأَسْمِ الظَّاهِرِ (زَيْدًا) الْوَاقِعِ مَفْعُولًا بِهِ.

رَابِعًا: تَرَائِيبُ الشَّرْطِ الْوَارِدَةِ فِي كِتَابِ خُطْبِ الرَّسُولِ ﷺ

بَلَغَتْ تَرَائِيبُ الشَّرْطِ فِي كِتَابِ خُطْبِ الرَّسُولِ ﷺ (تِسْعَ مِائَةٍ وَثَمَانِيَّةً وَخَمْسِينَ) تَرْكِيبًا، مِنْهَا: (مِائَةٌ وَسِتَّةٌ وَتِسْعُونَ) تَرْكِيبًا بِ(إِنْ)^(١)، وَ(ثَلَاثُ مِائَةٍ وَأَرْبَعَةٌ وَخَمْسُونَ) تَرْكِيبًا بِ(مَنْ)^(٢)، وَ(ثَمَانِيَّةٌ) تَرَائِيبَ بِ(مَا)^(٣)، وَ(تَرْكِيبٌ وَاحِدٌ) بِ(مَهْمَا)^(٤)، وَ(تَرْكِيبٌ وَاحِدٌ) بِ(مَتَى)^(٥)، وَ(تَرْكِيبٌ وَاحِدٌ) بِ(أَيْنَ)^(٦)، وَ(وَوَاحِدٌ وَعِشْرُونَ) تَرْكِيبًا بِ(أَيَّ)^(٧)، وَ(مِائَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَثَمَانُونَ) تَرْكِيبًا بِ(إِذَا)^(٨)،

(١) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٧) فِي خُطْبِ الرَّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٩، وَخُطْبَةٌ (٢٧١): ١٣٨، وَخُطْبَةٌ (٤٢٩): ٢١٧، وَخُطْبَةٌ (٥٣٥): ٢٨٥-٢٨٦، وَخُطْبَةٌ (٥٤٣): ٢٩٣-٢٩٦.

(٢) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٩): ٢٠، وَخُطْبَةٌ (٨٠): ٤٤، وَخُطْبَةٌ (١٧٩): ٩١ وَفِيهَا ثَلَاثَةُ مَوَاضِعَ، وَخُطْبَةٌ (٤٢٨): ٢١٦، وَخُطْبَةٌ (٤٦٧): ٢٤٣.

(٣) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣٠): ٢٠، وَخُطْبَةٌ (٣٧): ٢٣-٢٤، وَخُطْبَةٌ (٩٩): ٥٤-٥٥، وَخُطْبَةٌ (٢٦٧): ١٣٦ وَفِيهَا مَوْضِعَانِ.

(٤) هِيَ: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٣٣): ٢٨٤.

(٥) هِيَ: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٣٣): ٢١٩.

(٦) هِيَ: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٢٤): ٢١٤-٢١٥.

و(اثنَا عَشَرَ) تركيبًا بِ(كُلَّمَا)^(٣)، و(سِتَّةَ وَسَبْعُونَ) تركيبًا بِ(لَوْ)^(٤)، و(اثنَا عَشَرَ) تركيبًا بِ(لَوْلَا)^(٥)، و(ثَمَانِيَّةَ وَسَبْعُونَ) تركيبًا بِ(أَمَّا)^(٦)، و(أَرْبَعَةَ عَشَرَ) تركيبًا بِ(لَمَّا)^(٧). وَلَمْ يَرِدْ -في هذه الخُطَبِ- الشَّرْطُ بِ(إِذَا)، و(أَيَّانَ)، و(أَنَّى)، و(حَيْثُمَا)، و(لَوْمَا).

وَيُبَيِّنُ الجدول الآتي تراكيب الشرط الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ مِنَ الأكثرِ إِلَى

الأقل استخدامًا:

م	تراكيب الشرط	عدد الاستخدام
١	الشرط بالاسم (مَنْ)	٣٥٤
٢	الشرط بالحرف (إِنْ)	١٩٦
٣	الشرط بالاسم (إِذَا)	١٨٤
٤	الشرط بالحرف (أَمَّا)	٧٨
٥	الشرط بالحرف (لَوْ)	٧٦
٦	الشرط بالاسم (أَيَّ)	٢١
٧	الشرط بالحرف (لَمَّا)	١٤
٨	الشرط بالاسم (كُلَّمَا)	١٢
٩	الشرط بالحرف (لَوْلَا)	١٢
١٠	الشرط بالاسم (مَا)	٨
١١	الشرط بالاسم (مَهْمَا)	١
١٢	الشرط بالاسم (أَيَّانَ)	١

(١) منها: خطبة (٣٣): ٢١-٢٢، وخطبة (٢٣٠): ١١٧، وخطبة (٣٨٢): ١٩١-١٩٢، وخطبة (٤٢٢): ٢١٣-٢١٤، وخطبة (٥٦٨): ٣١١.

(٢) منها: خطبة (٦٨): ٣٩-٤٠، وخطبة (٢٤٠): ١٢٢، وخطبة (٣١٩): ١٦١-١٦٢، وخطبة (٤٦٨): ٢٤٣-٢٤٤، وخطبة (٥٣٤): ٢٨٤-٢٨٥.

(٣) منها: خطبة (٩٤): ٥١ وفيها موضعان، وخطبة (٢٤٧): ١٢٤-١٢٥، وخطبة (٤١٢): ٢٠٨، وخطبة (٥٣٠): ٢٧٩-٢٨١.

(٤) منها: خطبة (٥٥): ٣٢، وخطبة (١١١): ٦٠، وخطبة (٣١٩): ١٦١-١٦٢، وخطبة (٤٨٩): ٢٥٥.

(٥) منها: خطبة (٣٠): ٢٠، وخطبة (٥٨): ٣٤، وخطبة (١٦٨): ٨٧، وخطبة (٢٥٩): ١٣١.

(٦) منها: خطبة (٢٠٠): ١٠١-١٠٢، وخطبة (٣٠٠): ١٥١-١٥٢، وخطبة (٤٥٥): ٢٣٤-٢٣٦، وخطبة (٥٤٩): ٢٩٩-٣٠٠.

(٧) منها: خطبة (١٣٦): ٧٢-٧٣، وخطبة (١٦٧): ٨٦-٨٧، وخطبة (٣٣٠): ١٦٩-١٧٠، وخطبة (٥٣٠): ٢٧٩-٢٨١.

١٣	الشرط بالاسم (مَتَى)	١
١٤	الشرط بالحرف (إِذَا)	-
١٥	الشرط بالاسم (أَنَّى)	-
١٦	الشرط بالاسم (أَيَّانَ)	-
١٧	الشرط بالاسم (حَيْثُمَا)	-
١٨	الشرط بالحرف (لَوْمًا)	-
	المجموع	٩٥٨

خامسًا: عَرَضُ لتراكيب الشرط الواردة في كتابِ خُطْبِ الرسول ﷺ

١. تركيب الشرط بالحرف (إِنْ):

- أ. عَنْ عَمْرِو بْنِ يَثْرِيبٍ الصَّمِرِيِّ، قَالَ: شَهِدْتُ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمِنَى، فَكَانَ فِيهَا خُطْبٌ بِهِ أَنْ قَالَ: "...؛ إِنْ لَقِيتَهَا نَعَجَةً نَحْمِلُ شَفْرَةً وَزِنَادًا فَلَا تَمَسَّهَا" ^(١).
- ب. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "...؛ فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ؛ فَإِنَّكَ إِنْ فَتَحْتَهُ تَلَجَّهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمَفْتَحَةُ مَخَارِجُ اللَّهِ" ^(٢).

٢. تركيب الشرط بالحرف (لَوْ):

- أ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خُطَبْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا، ...؛ لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبْتُ، وَلَمَّا اسْتَطَعْتُمْ" ^(٣).
- ب. عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، ...، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ" ^(٤).

٣. تركيب الشرط بالحرف (لَوْ لَا):

^(١) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٣٢٠، حاشية (٤)، وهي خطبة رقم (٢٧١).

^(٢) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٣٧٣، حاشية (٢)، وهي خطبة رقم (٤٤١).

^(٣) خُطْبُ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٦٠، خطبة رقم (١١١). وأصل الحديث في: مسند أحمد، لأحمد ابن حنبل، مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ٣٥٥/١٦، حديث رقم (١٠٦٠٧)، وصحيح مسلم، لمسلم، باب فَرَضَ الْحَجَّ مَرَّةً فِي الْعُمْرِ: ٩٧٥/٢، حديث رقم (١٣٣٧).

^(٤) خُطْبُ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٣٣، خطبة رقم (٢٦٢). وأصل الحديث في: مسند أحمد، لأحمد بن حنبل، حديث أبي موسى الأشعري: ٤٠٤-٤٠٥، حديث رقم (١٩٦٣٢)، وصحيح مسلم، لمسلم، باب في قوله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ": ١٦١/١، حديث رقم (١٧٩).

أ. جاء في إحدى خُطبه ﷺ مَدِحًا الْأَنْصَار: عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدٍ قَالَ: ...؛ فَحَمِدَ اللَّهُ ﷻ ثُمَّ قَالَ ﷺ: "يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ يَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِالْإِيمَانِ، وَخَصَّكُمْ بِالْكَرَامَةِ، وَسَمَّاكُمْ بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ: أَنْصَارِ اللَّهِ، وَأَنْصَارِ رَسُولِهِ؟ وَلَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، ..."(١).

ب. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةً مِنَ الْأُمَّةِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا، فَأَقْتُلُوا مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدَ بَهِيمٍ، ..."(٢).

٤. تركيب الشرط بالحرف (أَمَّا):

أ. قَالَ عُنْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ ﷺ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتَ بِصَرْمٍ، وَوَلَّتْ حَذَاءً، ..."(٣).

ب. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْمُؤْمِنَ حَسَنَةً يُثَابُ عَلَيْهَا الرِّزْقَ فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، ..."(٤).

٥. تركيب الشرط بالحرف (لَمَّا):

أ. عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "...، مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَعَثَهُ قَوْمُهُ طَلِيعَةً، فَلَمَّا خَشِيَ أَنْ يُسَبِّقَ أَلَاخَ بَنَوِيهِ: أُتِيََتْهُمُ أُتَيْتُمْ"، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَنَا ذَلِكَ"(٥).

ب. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "...، وَإِنَّ الْأَخْبَارَ مِنَ الْيَهُودِ، وَالرُّهْبَانَ مِنَ النَّصَارَى لَمَّا تَرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ لَعَنَهُمُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِمْ، ثُمَّ عَمَّهُمُ الْبَلَاءُ"(٦).

(١) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٣٣-٣٤، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٧). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ ﷺ: ٢٥٣/١٨-٢٥٥، حَدِيثٌ رَقْمُ (١١٧٣٠)، وَصَحِيحُ مُسْلِمَ، لِمُسْلِمَ، بَابُ إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصْبِرُ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ: ٧٣٥/٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٠٥٩)، وَالْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ، لِلطَّبْرَانِيِّ، حَدِيثُ الزَّهْرِيِّ عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ: ١٥١/٧، حَدِيثٌ رَقْمُ (٦٦٦٥).

(٢) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٣١، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٥٩). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَقَّلٍ: ٣٤٣/٢٧، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٦٧٨٨)، وَسُنَنُ التِّرْمِذِيِّ، لِلتِّرْمِذِيِّ، بَابُ مَا جَاءَ مَنْ أَمْسَكَ كُلُّنَا مَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ: ١٣٢/٣، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٤٨٩).

(٣) سَبَقَ تَخْرِيجُ الْحَدِيثِ، ص: ٤٥٧، حَاشِيَةُ (٣)، وَهِيَ خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٤٩).

(٤) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٢٥-٢٢٦، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٤٣). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ: ٢٨٥/١٩، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٢٢٦٤)، وَصَحِيحُ مُسْلِمَ، لِمُسْلِمَ، بَابُ جِزَاءِ الْمُؤْمِنِ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: ٢١٦٢/٤، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٨٠٨).

(٥) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢١٩، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٣٣). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ أَبِي مَالِكٍ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ: ٤٦٧/٣٧، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٢٨٠٩).

٦. تركيب الشرط بالاسم (من):

أ. قال النبي ﷺ: "...، إِنِّي أَخْتَارُ لَكَ الشَّامَ؛ فَإِنَّهُ خَيْرُهُ الْمُسْلِمِينَ وَصَفْوَةُ اللَّهِ مِنْ بِلَادِهِ، يَجْتَنِبِي إِلَيْهَا صَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، فَمَنْ أَبِي فَلْيَلْحَقْ بِيَمِينِهِ، وَلَيْسَقِ مِنْ غُدْرِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ"^(١).

ب. عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عِبَادَتِهِ فِي السِّرِّ، قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَسْأَلُونَ عَمَّا أَصْنَعُ؟ أَمَّا أَنَا فَأُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأُصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"^(٢).

٧. تركيب الشرط بالاسم (ما):

أ. قال النبي ﷺ: "...، مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمٍ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ رِيحُ مِسْكِ، ..."^(٣).

ب. قال النبي ﷺ: "إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا، ضَرَبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَإِنَّمَا نَزَلَ كِتَابُ اللَّهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلَا تُكَذِّبُوا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا، وَمَا جَهِلْتُمْ فَكَلُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ"^(٤).

٨. تركيب الشرط بالاسم (أي):

أ. عَنْ أَبِي نَجِيحٍ السُّلَمِيِّ قَالَ: حَاصِرُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِصْنِ الطَّائِفِ فَقَالَ: "...، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَجُلًا مُسْلِمًا فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ جَاعِلٌ وَقَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ

(١) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٨٦، خُطْبَةٌ رَقْمُ (١٦٥). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ، لِلطَّبْرَانِيِّ، مِنْ اسْمِهِ أَحْمَدُ: ٩٥/٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٣٦٧)، وَالتَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيْبُ، لِلْمَنْذَرِيِّ، كِتَابُ الْحُدُودِ وَغَيْرِهَا: التَّرْغِيبُ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ: ١٦٢/٣، حَدِيثٌ رَقْمُ (٣٤٩٥).

(٢) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٢٨، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٤٩). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمُسْنَدِ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَوَالَةَ: ٤٦٦/٣٣، حَدِيثٌ رَقْمُ (٢٠٣٥٦)، وَالْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ، لِلطَّبْرَانِيِّ، حَدِيثُ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنِ الْعَرَبِيَّاتِ: ٢٥١/١٨، حَدِيثٌ رَقْمُ (٦٢٧).

(٣) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٢٨، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٤٩). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ، لِلْبَخَارِيِّ، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ: ٢/٧، حَدِيثٌ رَقْمُ (٥٠٦٣)، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ وَوَجَدَ مَوْنَهُ: ١٠٢٠/٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٤٠١).

(٤) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٠، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣٠). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمُسْنَدِ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ٧٢/١٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (٧١٥٧)، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ فَضْلِ الْجِهَادِ وَالْخُرُوجِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: ١٤٩٥/٣، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٨٧٦).

(٥) سَبَقَ تَخْرِيجُ الْحَدِيثِ، ص: ٣١٨، حَاشِيَةٌ (٥)، وَهِيَ خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٦٧).

عَظْمًا مِنْ عِظَامِ مُحَرَّرِهِ مِنَ النَّارِ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ أَعْتَقَتْ امْرَأَةً مُسْلِمَةً فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ جَاعِلٌ وَفَاءً كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهَا عَظْمًا مِنْ عِظَامِ مُحَرَّرِهَا مِنَ النَّارِ" (١).

ب. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا؛ فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ،..." (٢).

٩. تركيب الشرط بالاسم (إذا):

أ. عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَظَبَنَا وَبَيَّنَ لَنَا سُنَّتَنَا، وَعَلَّمَنَا صَلَاتَنَا، فَقَالَ: "إِذَا صَلَّيْتُمْ فَكَانَ عِنْدَ الْقَعْدَةِ فَلْيَكُنْ مِنْ أَوَّلِ قَوْلِ أَحَدِكُمْ: التَّحِيَّاتُ الطَّيِّبَاتُ الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ،..." (٣).

ب. عَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَارِ بِلَا إِزَارٍ؛ فَصَعَدَ الْمُنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَيٌّ سِتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ؛ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِزِرْ" (٤).

١٠. تركيب الشرط بالاسم (كلما):

أ. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: كَسَفَتْ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَامَ، وَقُمْنَا مَعَهُ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ... وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، وَقَضَى صَلَاتَهُ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "...، وَعَرِضْتُ عَلَى النَّارِ، حَتَّى إِنِّي لَأُطْفِئُهَا، خَشْيَةً أَنْ تَغْشَاكُمْ وَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ حِمِيرٍ، سَوْدَاءَ طَوَالَةٍ، تُعَذِّبُ بِهَرَّةٍ لَهَا، تَرْتَبِطُهَا، فَلَمْ

(١) حُطِبَ الرِّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٣، حُطْبَةٌ رَقْمُ (٣٦). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمُسْنَدِ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ أَبِي نَجِيجٍ السُّلَمِيِّ: ١٦٧/٣٢، حَدِيثُ رَقْمِ (١٩٤٢٨)، وَالسُّنَنِ، لِلتِّرْمِذِيِّ، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ مَنْ أَعْتَقَ: ١٧٠/٣، حَدِيثُ رَقْمِ (١٥٤٧).

(٢) حُطِبَ الرِّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢١٣-٢١٤، حُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٢٢). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: الْمُسْنَدِ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ خُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ: ٣١٤/٣٨، حَدِيثُ رَقْمِ (٢٣٢٨٠)، وَصَحِيحِ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا: ١٢٨/١، حَدِيثُ رَقْمِ (١٤٤).

(٣) حُطِبَ الرِّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٤٠، حُطْبَةٌ رَقْمُ (٦٩). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: السُّنَنِ، لِابْنِ مَاجَةَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الشَّهَادَةِ: ٢٩١/١، حَدِيثُ رَقْمِ (٩٠١).

(٤) حُطِبَ الرِّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٤٢، حُطْبَةٌ رَقْمُ (٧٤). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: السُّنَنِ، لِأَبِي دَاوُدَ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ النَّعْرِيِّ: ٣٩/٤، حَدِيثُ رَقْمِ (٤٠١٢)، وَالسُّنَنِ الصُّغْرَى، لِلنَّسَائِيِّ، بَابُ الْإِسْتِثَارِ عِنْدَ الْإِعْتِسَالِ: ٢٠٠/١، حَدِيثُ رَقْمِ (٤٠٦).

تُطْعِمَهَا وَلَمْ تَسْقِهَا، وَلَا تَدْعُهَا تَأْكُلُ مِنْ حَشَاشِ الْأَرْضِ، كُلَّمَا أَقْبَلَتْ نَهَشَتْهَا، وَكُلَّمَا أَدْبَرَتْ نَهَشَتْهَا، ..."(١).

ب. جاء في حُطْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ عن الدَّجَالِ: "... ..، يُوْشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فَأَخْرَجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدْعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، وَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخَلَ وَاحِدَةً مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلَّاتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنِّي عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مِنْهَا مَلَائِكَةٌ يَحْرُسُونَهَا، ..."(٢).

١١. تركيب الشرط بالاسم (مَهْمَا):

وله شاهد واحد، وهو ما رَوَاهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِينَا فَقَالَ: "أَنْذَرْتُكُمْ فِتْنَةَ الدَّجَالِ، ...، لَا يَأْتِي أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ: الْكَعْبَةَ، وَمَسْجِدَ الرَّسُولِ، وَالْمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَالطُّورَ، وَمَهْمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ"(٣).

١٢. تركيب الشرط بالاسم (مَتَى):

وله شاهد واحد، وهو قول رسول الله ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الدُّنُوبِ؛ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الدُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنٍ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ حَتَّى أَنْصَجُوا خُبْرَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الدُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ"(٤).

١٣. تركيب الشرط بالاسم (أَيْنَ):

وله شاهد واحد، وهو قول النبي ﷺ: "سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ حُدَنَاءَ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَخْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا يَجَاوِرُ إِيْمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ

(١) حُطِبَ الرَسُول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٥١، حُطْبَةُ رَقْم (٩٤). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدِ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ ابْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ٢١/١١، حَدِيثٌ رَقْم (٦٤٨٣)، صَحِيحُ ابْنِ خُرَيْمَةَ، لِابْنِ خُرَيْمَةَ، بَابُ الْبُكَاءِ وَالِدُعَاءِ فِي السُّجُودِ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ: ٦٧٩/١-٦٨٠، حَدِيثٌ رَقْم (١٣٩٢).

(٢) سَبَقَ تَخْرِيجَ الْحَدِيثِ، ص: ٢٥٦، حَاشِيَةُ (٢)، وَهِيَ حُطْبَةُ رَقْم (٥٣٠).

(٣) سَبَقَ تَخْرِيجَ الْحَدِيثِ، ص: ٤٦١، حَاشِيَةُ (١)، وَهِيَ حُطْبَةُ رَقْم (٥٣٣).

(٤) حُطِبَ الرَسُول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢١٩، حُطْبَةُ رَقْم (٤٣٣). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدِ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ أَبِي مَالِكٍ سَهْلٍ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ: ٤٦٦/٣٧-٤٦٧، حَدِيثٌ رَقْم (٢٢٨٠٨).

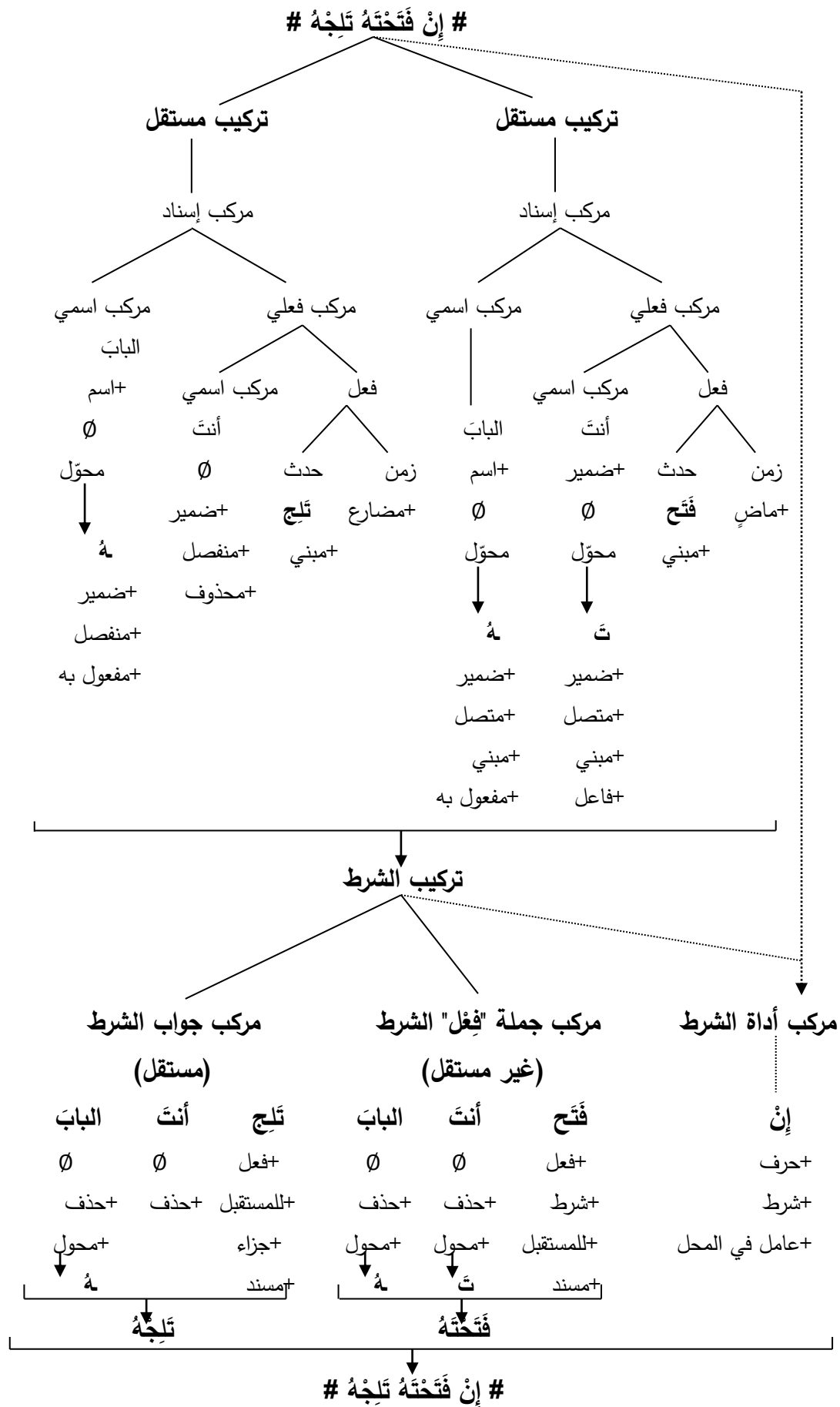
مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(١).

سادسًا: نماذج تحليلية لتراكيب الشرط الواردة في كتابِ خطبِ الرسول ﷺ

١. نموذج تحليلي لتراكيب الشرط بـ(إن):

"فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ؛ فَإِنَّكَ إِنْ فَتَحْتَهُ تَلَجَّهُ".

^(١) خُطِبَ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢١٤، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٢٤). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ، لِلْبَخَارِيِّ، بَابُ قَتْلِ الْخَوَارِجِ وَالْمُلْجِدِينَ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ: ١٦/٩، حَدِيثٌ رَقْمُ (٦٩٣٠)، وَصَحِيحِ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ التَّحْرِيزِ عَلَى قَتْلِ الْخَوَارِجِ: ٧٤٦/٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٠٦٦).



تَمَّ تَحَوُّلُ تَرْكِيبِ الشَّرْطِ السَّابِقِ -الْمُكَوَّنِ مِنْ تَرْكِيبَيْنِ مُسْتَقِلَيْنِ- مِنْ بِنْيَتِهِ الْعَمِيقَةِ (فَتَحَّتْ أَنْتَ الْبَابَ + تَلَجُ أَنْتَ الْبَابَ) إِلَى بِنْيَتِهِ السُّطْحِيَّةِ (إِنْ فَتَحْتَهُ تَلَجْهُ)، عَنْ طَرِيقِ الْقَوَاعِدِ التَّحْوِيلِيَّةِ الْآتِيَةِ:

١. الحذف:

حُذِفَ الْمَرْكَبُ الْأَسْمِي الثَّالِثُ: الضَّمِيرُ الْمُنْفَصِلُ (أَنْتَ) مِنَ التَّرْكِيبِ الْمُسْتَقِلِ الْأَوَّلِ، وَحَلَّ مَحَلَّهُ الضَّمِيرُ الْمُسْتَتِرُ فِي الْفِعْلِ (تَلَجْ).

٢. الإضافة والزيادة:

تَمَّ زِيَادَةُ مَرْكَبِ أَدَاةِ الشَّرْطِ (إِنْ)؛ لِلرَّبْطِ بَيْنَ التَّرْكِيبَيْنِ الْمُسْتَقْلِلَيْنِ الْمُتَحَوِّلَيْنِ مِنْ بِنْيَتِهِمَا الْعَمِيقَةِ، وَهُمَا: (فَتَحَّتْ أَنْتَ الْبَابَ) وَ(تَلَجُ أَنْتَ الْبَابَ)؛ لِيَصِيرَا تَرْكِيبًا وَاحِدًا، وَهُوَ تَرْكِيبُ الشَّرْطِ بِمَكُونَاتِهِ الثَّلَاثَةِ: مَرْكَبُ أَدَاةِ الشَّرْطِ، وَمَرْكَبُ فِعْلِ الشَّرْطِ، وَمَرْكَبُ جَوَابِ الشَّرْطِ، وَهُوَ: (إِنْ فَتَحْتَهُ تَلَجْهُ).

٣. الإحلال والتعويض:

أ. حَلَّ تَرْكِيبِ الشَّرْطِ بِمَكُونَاتِهِ الثَّلَاثَةِ مَحَلَّ التَّرْكِيبَيْنِ الْمُسْتَقْلِلَيْنِ بَعْدَ دُخُولِ مَرْكَبِ أَدَاةِ الشَّرْطِ (إِنْ)؛ فَحَلَّ تَرْكِيبُ فِعْلِ الشَّرْطِ (تَرْكِيبٌ غَيْرُ مُسْتَقِلٍ) مَحَلَّ التَّرْكِيبِ الْمُسْتَقِلِ الْأَوَّلِ. وَحَلَّ تَرْكِيبُ جَوَابِ الشَّرْطِ (تَرْكِيبٌ مُسْتَقِلٌ) مَحَلَّ التَّرْكِيبِ الْمُسْتَقِلِ الثَّانِي. وَحَلَّ الْجَزْمُ بِالسَّكُونِ عَلَى الْمَحَلِّ فِي الْفِعْلِ (فَتَحْ)، وَكَذَلِكَ حَلَّ الْجَزْمُ بِالسَّكُونِ فِي الْفِعْلِ (تَلَجْ) مَحَلَّ الرَّفْعِ بِالضَّمَّةِ الظَّاهِرَةِ؛ وَذَلِكَ كُلُّهُ بَعْدَ دُخُولِ مَرْكَبِ أَدَاةِ الشَّرْطِ.

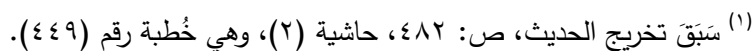
ب. حَلَّ الزَّمَنُ الْمُسْتَقْبَلُ مَحَلَّ الزَّمَنِ الْمَاضِي فِي الْفَعْلَيْنِ (فَتَحْ) وَ(تَلَجْ).

ت. حَلَّ الضَّمِيرُ الْمُتَّصِلُ (تَاءُ الْفَاعِلِ) مَحَلَّ الْمَرْكَبِ الْأَسْمِي الْأَوَّلِ: الضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ (أَنْتَ) الْوَاقِعِ فَاعِلًا.

ث. حَلَّ الضَّمِيرُ الْمُتَّصِلُ: الْهَاءُ (هْ) مَحَلَّ الْمَرْكَبِ الْأَسْمِي الثَّانِي: الْأِسْمِ الظَّاهِرِ (الْبَابِ) الْوَاقِعِ مَفْعُولًا بِهِ.

ج. حَلَّ الضَّمِيرُ الْمُتَّصِلُ: الْهَاءُ (هْ) مَحَلَّ الْمَرْكَبِ الْأَسْمِي الرَّابِعِ: الْأِسْمِ الظَّاهِرِ (الْبَابِ) الْوَاقِعِ مَفْعُولًا بِهِ.

فَمَنْ أَبِي فَلْيَلْحَقْ بِيَمَنِهِ ^(١)



تَمَّ تَحَوُّلُ تَرْكِيبِ الشَّرْطِ السَّابِقِ -الْمُكَوَّنِ مِنْ تَرْكِيبَيْنِ مُسْتَقِلَيْنِ- مِنْ بِنْيَتِهِ الْعَمِيقَةِ (أَبَى هُوَ + يَلْحَقُ هُوَ بِيَمْنِهِ) إِلَى بِنْيَتِهِ السُّطْحِيَّةِ (فَمَنْ أَبَى فَلْيَلْحَقْ بِيَمْنِهِ)، عَنْ طَرِيقِ الْقَوَاعِدِ التَّحْوِيلِيَّةِ الْآتِيَةِ:

١. الحذف:

أ. حُذِفَ الْمَرْكَبُ الْأَسْمِيُّ الْأَوَّلُ: الضَّمِيرُ الْمُنْفَصِلُ (هُوَ) مِنَ التَّرْكِيبِ الْمُسْتَقِلِ الْأَوَّلِ، وَحَلَّ مَحَلَّهُ الضَّمِيرُ الْمُسْتَتِرُ فِي الْفِعْلِ (أَبَى).

ب. حُذِفَ الْمَرْكَبُ الْأَسْمِيُّ الثَّانِي: الضَّمِيرُ الْمُنْفَصِلُ (هُوَ) مِنَ التَّرْكِيبِ الْمُسْتَقِلِ الثَّانِي، وَحَلَّ مَحَلَّهُ الضَّمِيرُ الْمُسْتَتِرُ فِي الْفِعْلِ (يَلْحَق).

٢. الإضافة والزيادة:

أ. تَمَّ زِيَادَةُ مَرْكَبِ أَدَاةِ الشَّرْطِ (مَنْ)؛ لِلرَّبْطِ بَيْنَ التَّرْكِيبَيْنِ الْمُسْتَقِلَيْنِ الْمُتَحَوِّلَيْنِ مِنْ بِنْيَتَيْهِمَا الْعَمِيقَةِ: (أَبَى هُوَ) وَ(فَلْيَلْحَقْ هُوَ بِيَمْنِهِ)؛ لِيَصِيرَا تَرْكِيبًا وَاحِدًا، وَهُوَ تَرْكِيبُ الشَّرْطِ بِمَكُونَاتِهِ الثَّلَاثَةِ: مَرْكَبُ أَدَاةِ الشَّرْطِ، وَمَرْكَبُ فِعْلِ الشَّرْطِ، وَمَرْكَبُ جَوَابِ الشَّرْطِ، وَهُوَ: (فَمَنْ أَبَى فَلْيَلْحَقْ بِيَمْنِهِ).

ب. تَمَّ زِيَادَةُ الرَّابِطِ (فَاءُ) لِتَرْبِطِ بَيْنَ التَّرْكِيبَيْنِ الْمُسْتَقِلَيْنِ.

ت. تَمَّ زِيَادَةُ مَرْكَبِ الْأَمْرِ (اللام) عَلَى التَّرْكِيبِ الْمُسْتَقِلِ الثَّانِي.

٣. الإحلال والتعويض:

أ. حُلَّ تَرْكِيبِ الشَّرْطِ بِمَكُونَاتِهِ الثَّلَاثَةِ مَحَلَّ التَّرْكِيبَيْنِ الْمُسْتَقِلَيْنِ بَعْدَ دُخُولِ مَرْكَبِ أَدَاةِ الشَّرْطِ (مَنْ)؛ فَحُلَّ تَرْكِيبُ فِعْلِ الشَّرْطِ (تَرْكِيبٌ غَيْرُ مُسْتَقِلٍ) مَحَلَّ التَّرْكِيبِ الْمُسْتَقِلِ الْأَوَّلِ. وَحُلَّ تَرْكِيبُ جَوَابِ الشَّرْطِ (تَرْكِيبٌ مُسْتَقِلٌ) مَحَلَّ التَّرْكِيبِ الْمُسْتَقِلِ الثَّانِي. وَحُلَّ الْجَزْمُ بِالسَّكُونِ عَلَى الْمَحَلِّ فِي الْفِعْلِ (أَبَى)، وَكَذَلِكَ حُلَّ الْجَزْمُ بِالسَّكُونِ فِي الْفِعْلِ (يَلْحَق) مَحَلَّ الرِّفْعِ بِالضَّمَّةِ الظَّاهِرَةِ؛ وَذَلِكَ كُلُّهُ بَعْدَ دُخُولِ مَرْكَبِ أَدَاةِ الشَّرْطِ. ب. حُلَّ الزَّمَنُ الْمُسْتَقْبَلُ مَحَلَّ الزَّمَنِ الْمَاضِي فِي الْفَعْلَيْنِ (أَبَى) وَ(يَلْحَق).

فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِزْ



تَمَّ تَحَوُّلُ تَرْكِيبِ الشَّرْطِ السَّابِقِ -الْمُكَوَّنِ مِنْ تَرْكِيبَيْنِ مُسْتَقِلَيْنِ- مِنْ بِنْيَتِهِ الْعَمِيقَةِ (اِغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ + يَسْتَتِرُ هُوَ) إِلَى بِنْيَتِهِ السَّطْحِيَّةِ (فَإِذَا اِغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ)، عَنْ طَرِيقِ الْقَوَاعِدِ التَّحْوِيلِيَّةِ الْآتِيَةِ:

١. الحذف:

حُذِفَ الْمَرْكَبُ الْأَسْمِيُّ الثَّانِي: الضَّمِيرُ الْمُنْفَصِلُ (هُوَ) مِنَ التَّرْكِيبِ الْمُسْتَقِلِ الثَّانِي، وَحَلَّ مَحَلَّهُ الضَّمِيرُ الْمُسْتَتِرُ فِي الْفِعْلِ (يَسْتَتِرْ).

٢. الإضافة والزيادة:

أ. تَمَّ زِيَادَةُ مَرْكَبِ أَدَاةِ الشَّرْطِ (إِذَا)؛ لِلرَّبْطِ بَيْنَ التَّرْكِيبَيْنِ الْمُسْتَقْلَيْنِ الْمُتَحَوِّلَيْنِ مِنْ بِنْيَتَيْهِمَا الْعَمِيقَةِ: (اِغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ) وَ(يَسْتَتِرُ هُوَ)؛ لِإِصْرَارِ تَرْكِيبًا وَاحِدًا، وَهُوَ تَرْكِيبُ الشَّرْطِ بِمَكُونَاتِهِ الثَّلَاثَةِ: مَرْكَبِ أَدَاةِ الشَّرْطِ، وَمَرْكَبِ فِعْلِ الشَّرْطِ، وَمَرْكَبِ جَوَابِ الشَّرْطِ، وَهُوَ: (فَإِذَا اِغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ).

ب. تَمَّ زِيَادَةُ الرَّابِطِ (الْفَاءِ) لِتَرْبِطِ بَيْنَ التَّرْكِيبَيْنِ الْمُسْتَقْلَيْنِ.

ت. تَمَّ زِيَادَةُ مَرْكَبِ الْأَمْرِ (الْلامِ) عَلَى التَّرْكِيبِ الْمُسْتَقِلِ الثَّانِي.

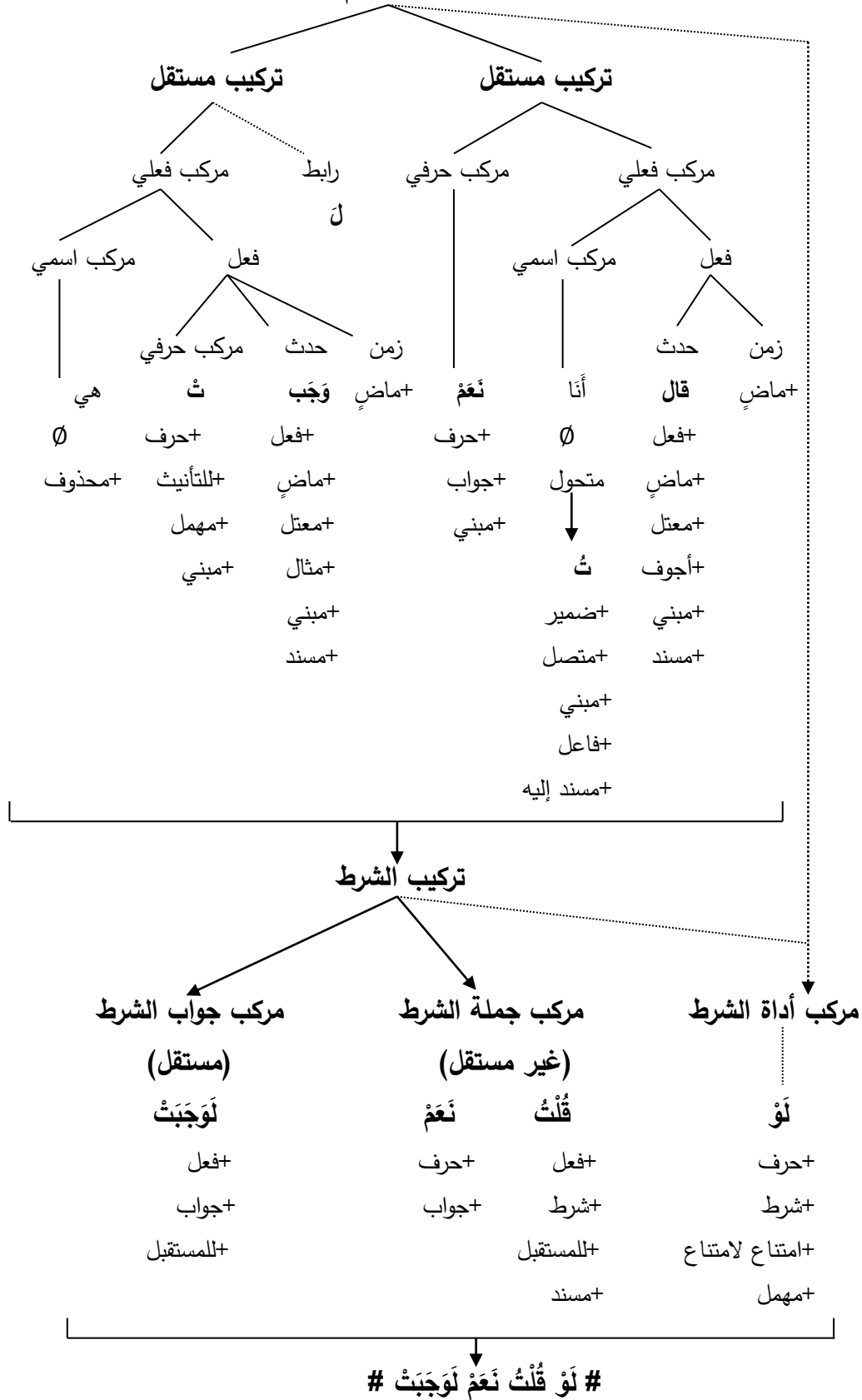
٣. الإحلال والتعويض:

أ. حُلَّ تَرْكِيبِ الشَّرْطِ بِمَكُونَاتِهِ الثَّلَاثَةِ مَحَلَّ التَّرْكِيبَيْنِ الْمُسْتَقْلَيْنِ بَعْدَ دُخُولِ مَرْكَبِ أَدَاةِ الشَّرْطِ (إِذَا)؛ فَحُلَّ تَرْكِيبُ فِعْلِ الشَّرْطِ (تَرْكِيبٌ غَيْرُ مُسْتَقِلٍ) مَحَلَّ التَّرْكِيبِ الْمُسْتَقِلِ الْأَوَّلِ. وَحُلَّ تَرْكِيبُ جَوَابِ الشَّرْطِ (تَرْكِيبٌ مُسْتَقِلٌ) مَحَلَّ التَّرْكِيبِ الْمُسْتَقِلِ الثَّانِي.

ب. حُلَّ الزَّمَنِ الْمُسْتَقْبَلِ مَحَلَّ الزَّمَنِ الْمَاضِي فِي الْفَعْلَيْنِ (اِغْتَسَلَ) وَ(يَسْتَتِرْ).

٤. نموذج تحليلي لتركيب الشرط بـ (لَوْ):

لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ



تَمَّ تَحَوُّلُ تركيب الشرط السابق -المُكَوَّن مِنْ تركيبَيْنِ مستقلين- مِنْ بِنْيَتِهِ العميقة إِلَى بِنْيَتِهِ السطحية، عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف:

حُذِفَ المركب الاسمي الثاني: الضمير المنفصل (هِيَ) من التركيب المستقل الثاني، وَحَلَّ محله الضمير المستتر في الفعل (وَجَبَتْ).

٢. الإضافة والزيادة:

أ. تَمَّ زيادة مركب أداة الشرط (لَوْ)؛ لِلرِّبْطِ بَيْنَ التركيبَيْنِ المُستَقْلَيْنِ المُتَحَوِّلَيْنِ مِنْ بِنْيَتَيْهِمَا العميقة؛ لِيَصِيرَا تركيبًا واحدًا، وهو تركيب الشرط بمكوناته الثلاثة: مركب أداة الشرط، ومركب فِعْلٍ الشرط، ومركب جواب الشرط، وهو: (لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ).

ب. تَمَّ زيادة الرابط (اللام) لتربط بين التركيبين المستقلين.

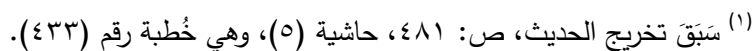
٣. الإحلال والتعويض:

أ. حُلَّ تركيب الشرط بمكوناته الثلاثة محلَّ التركيبين المستقلين بعد دخول مركب أداة الشرط (لو)؛ فَحُلَّ تركيب فعل الشرط (تركيب غير مستقل) محلَّ التركيب المستقل الأول. وَحُلَّ تركيب جواب الشرط (تركيب مستقل) محلَّ التركيب المستقل الثاني.

ب. حَلَّ الزمن المستقبل محلَّ الزمن الماضي في الفعلين (قُلْتُ) و(وَجَبَتْ).

ت. حَلَّ الضمير المتصل (تاء الفاعل) محلَّ المركب الاسمي الأول: الاسم الظاهر الضمير (أنا) الواقع فاعلاً.

فَلَمَّا خَشِيَ أَنْ يُسَبِّقَ أَلَا حَ بَثْوَبِهِ ^(١)



تَمَّ تَحَوُّلُ تركيب الشرط السابق -المُكَوَّن مِنْ تَرْكِيبَيْنِ مُسْتَقِلَيْنِ- مِنْ بُنْيَتِهِ الْعَمِيقَةِ إِلَى بُنْيَتِهِ السُّطْحِيَّةِ، عَنْ طَرِيقِ الْقَوَاعِدِ التَّحْوِيلِيَّةِ الْآتِيَةِ:

١. الحذف:

- أ. حُذِفَ المركب الاسمي الأول: الضمير المنفصل (هُوَ) الواقع فاعلاً مِنْ التركيب المستقل الأول، وَحَلَّ محله الضمير المستتر في الفعل (خَشِيَ).
- ب. حُذِفَ المركب الاسمي الأول: الضمير المنفصل (هُوَ) الواقع نائب فاعلٍ مِنْ التركيب المستقل الثاني، وَحَلَّ محله الضمير المستتر في الفعل (يُسَبِّقُ).
- ت. حُذِفَ المركب الاسمي الثالث: الضمير المنفصل (هُوَ) الواقع فاعلاً مِنْ التركيب المستقل الثاني، وَحَلَّ محله الضمير المستتر في الفعل (أَلَاخ).
٢. الإضافة والزيادة:

- أ. تَمَّ زيادة مركب أداة الشرط (لَمَّا)؛ لِلرَّبْطِ بَيْنَ التَّركِيبَيْنِ المُسْتَقْلِلَيْنِ الْمُتَحَوِّلَيْنِ مِنْ بُنْيَتِهِمَا الْعَمِيقَةِ؛ لِیَصِيرَا تَرْكِيبًا وَاحِدًا، وَهُوَ تركيب الشرط بمكوناته الثلاثة: مركب أداة الشرط، ومركب فعل الشرط، ومركب جواب الشرط، وهو: (لَمَّا خَشِيَ أَنْ يُسَبِّقَ أَلَاخَ بِثَوْبِهِ).
- ب. تَمَّ زيادة الرابط (الفاء) على التركيب المستقل الأول.

٣. الإحلال والتعويض:

- أ. حَلَّ تركيب الشرط بمكوناته الثلاثة محلَّ التركيبين المستقلين بعد دخول مركب أداة الشرط (لَمَّا)؛ فَحَلَّ تركيب فعل الشرط (تركيب غير مستقل) محلَّ التركيب المستقل الأول. وَحَلَّ تركيب جواب الشرط (تركيب مستقل) محلَّ التركيب المستقل الثاني.
- ب. حَلَّ الزمن المستقبل محلَّ الزمن الماضي في الفعلين (خَشِيَ) و(يُسَبِّقُ).

المبحث الثالث

تركيب التوكيد

أولاً: التوكيد لغةً واصطلاحاً

التوكيد لغةً: التوكيد مصدر (وَكَّدَ)، أمَّا التأكيد فمصدر (أَكَّدَ)، وكلاهما بمعنى: التقوية والشّدّ والتوثيق والإحكام، قال الحموي: "أَكَّدْتُهُ تَأْكِيدًا فَتَأَكَّدَ، وَمَعْنَاهُ التَّقْوِيَةُ"^(١). ويقول مَنْ شَدَّ شَيْئًا: أَوْكَدْتُهُ وَأَكَّدْتُهُ إِكَادًا، وَوَكَّدْتُهُ تَوْكِيدًا، وَأَكَّدْتُهُ تَأْكِيدًا؛ أَي: شَدَّدْتُهُ"^(٢). والوكاد: حَبْلٌ يُشَدُّ بِهِ الْبَقَرُ عِنْدَ الْحَلَبِ"^(٣). وَ"وَكَّدْتُ الْعَقْدَ وَالْيَمِينَ؛ أَي: أَوْثَقْتُهُ"^(٤)، وَ"الْعَهْدُ الْأَكِيدُ: الْوَثِيقُ الْمُحْكَمُ"^(٥).

التوكيد اصطلاحاً:

قال ابنُ جني: "التوكيد لَفْظٌ يَنْبَغُ الْأَسْمُ الْمُؤَكَّدَ؛ لِرَفْعِ اللَّبْسِ، وَإِزَالَةِ الْإِتْسَاعِ"^(٦)، فالتوكيد نوعٌ مِنَ التَّوَابِعِ، وَالتَّابِعُ "هُوَ الْمُشَارِكُ مَا قَبْلَهُ فِي إِعْرَابِهِ الْحَاصِلِ وَالْمُتَجَدِّدِ غَيْرِ خَبَرٍ"^(٧)، وَغَايَةُ التَّوَكِيدِ -كَمَا يَتَّضِحُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ جَنِّي- رَفْعُ اللَّبْسِ مِنْ ذَهْنِ السَّامِعِ بِخُصُوصِ الْمُؤَكَّدِ؛ حَتَّى لَا يَظُنَّ غَيْرُهُ؛ فَلَوْ قِيلَ: (حَضَرَ الْمُعَلِّمُونَ) فَرُبَّمَا يَفْعُ التَّوَهُّمُ بِتَخَلُّفِ بَعْضِهِمْ، فَإِذَا قُلْنَا (حَضَرَ الْمُعَلِّمُونَ كُلُّهُمْ) زَالَ اللَّبْسُ وَالتَّوَهُّمُ، وَعُلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ. وَأَمَّا إِزَالَةُ الْإِتْسَاعِ "فَإِنَّ الْفِعْلَ قَدْ يُسْنَدُ إِلَى غَيْرِ فَاعِلِهِ الْحَقِيقِيِّ، فَيُقَالُ: (كَتَبَ الْأَمِيرُ)، وَإِنَّمَا كَتَبَ كَاتِبُهُ، فَإِذَا قُلْتَ: (كَتَبَ الْأَمِيرُ نَفْسُهُ) زَالَ الْإِتْسَاعُ"^(٨).

وَعَرَّفَ التَّوَكِيدَ -أَيْضًا- ابْنُ عَصْفُورٍ فَقَالَ: "التَّوَكِيدُ لَفْظٌ يُرَادُّ بِهِ تَمْكِينُ الْمَعْنَى فِي النَّفْسِ، أَوْ إِزَالَةُ الشَّكِّ عَنِ الْحَدِيثِ أَوْ الْمُحَدَّثِ عَنْهُ"^(٩)، ثُمَّ شَرَحَ تَعْرِيفَهُ فَقَالَ: "فَالَّذِي يُرَادُّ بِهِ تَمْكِينُ الْمَعْنَى فِي النَّفْسِ: التَّأْكِيدُ اللفْظِي. وَالَّذِي يُرَادُّ بِهِ إِزَالَةُ الشَّكِّ عَنِ الْحَدِيثِ: التَّأْكِيدُ

(١) المصباح المنير، للحموي: ١٧/١ (أَكَّدَ).

(٢) انظر: الصحاح، للجوهري: ٥٥٣/٢ (وَكَّدَ)، والنهية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: ٢١٩/٥ (وَكَّدَ).

(٣) الصحاح، للجوهري: ٥٥٣/٢ (وَكَّدَ).

(٤) العين، للخليل بن أحمد: ٣٩٥/٥ (باب الكاف والذال).

(٥) تاج العروس، للزبيدي: ٣٩١/٧ (أَكَّدَ).

(٦) اللّمع، لابن جني: ٨٤.

(٧) توضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ٩٤٥/٢.

(٨) البديع في علم العربية، لابن الأثير: ٣٣٠/١.

(٩) المُقَرَّب، لابن عصفور: ٢٣٨/١. وانظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، لبرهان الدين إبراهيم: ٦٠١/٢.

بالمَصْدَرِ. والذي يُراد به إزالة الشك عن المُحَدَّث عنه: التأكيد بالألفاظ التي يُبَوِّبُ لها في النَّحْوِ^(١).

ثانيًا: صُورُ التوكيد في العربية

تَعَدَّدَتْ صُورُ التوكيد وأساليبه في العربية، وَقَدْ استفاضت كُتُبُ النحاة والبلاغيين الأوائل في الحديث عنها. وَسَيَتَنَاوَلُ الباحثُ صُورَ التوكيد الآتية:

١. التوكيد بالترتيب^(٢).
 ٢. التوكيد بالزيادة^(٣).
 ٣. التوكيد بِاسْمِ الإشارة^(٤).
 ٤. التوكيد بِالْقَسَمِ^(٥).
 ٥. التوكيد بالحال المؤكَّدة.
 ٦. التوكيد بالمفعول المُطْلَقِ "المَصْدَرِ"^(٦).
- قال برهان الدِّين إبراهيم: "فتقوية المعنى في النَّفْسِ يشمل: التوكيد بِالْقَسَمِ، وَإِنَّ، وَاللَّامَ، وغيرها، وقصد رَفْعُ الشَّكِّ عن الحديث يشمل: توكيد الفعل بالمصدر، وتأكيد عامل الحال بها"^(٧)، وَيَدْخُلُ التوكيد بِ(إِنَّ) و(اللَّامِ) ضمن التوكيد بالزيادة، وسيأتي -إِنْ شاءَ اللهُ- بَيَانُهُ.
- وهذا عَرَضٌ موجزٌ لأنواع الثلاثة الأولى للتوكيد التي سَنُسَلِّطُ الضَّوْءَ عليها في هذا المبحث، وهي: (التوكيد بالترتيب، والتوكيد بالزيادة، والتوكيد بالإشارة):

١. التوكيد بالترتيب (التقديم والتأخير):

يقصد بالترتيب التقديم والتأخير، وهذه الظاهرة مشهورة معلومة، نجدها في القرآن الكريم والسنة النبوية وكلام العرب شعره ونثره، بمعنى: أن اللغة العربية تشتهر بهذه الظاهرة، وقد تحدث النحاة عنها وَكَذَا البلاغيون.

(١) الْمُقَرَّبُ، لابن عصفور: ٢٣٨/١.

(٢) انظر: في التحليل اللُّغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل أحمد عميرة: ٢١١-٢١٦.

(٣) انظر: السابق: ٢١٦-٢٣٥.

(٤) انظر: السابق: ٢١٦-٢١٧.

(٥) تَمَّ تفصيل الكلام عن (القَسَمِ) في الفصل السابق، مَعَ الشرح والرسم الشجري وبيان القواعد التحويلية فيه؛ فلا مُبَرَّرَ لإعادته هُنَا.

(٦) أفرَدْتُ لِكُلِّ نوعٍ مِنَ النَّوعَيْنِ الأخيرَيْنِ (التوكيد بالحال، والتوكيد بالمفعول المطلق) مبحثًا خاصًّا في نهاية هذا الفصل؛ لأهميتهما؛ لِذَا لَنْ أتحدث عنهما في هذا المبحث.

(٧) إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، لبرهان الدِّين إبراهيم: ٦٠١/٢.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿إِن إِلَيْنَا إِلَابُهُمْ﴾^(١)؛ حيث تقدّم الخبر شبه الجملة (إِلَيْنَا) على اسم إن (إِيَاب)؛ للتخصيص والتأكيد على أنّ رجوع الناس جميعاً بعد موتهم لا يكون إلا إلى الله تعالى. قال سيبويه بعد أن تحدث عن بعض ظواهر العربية: "وجميع ما ذكرت لك من التقديم والتأخير والإلغاء والاستقرار عربيّ جيّد كثير"^(٢).

وتظهر عناية النحاة بالجانب التركيبي للتقديم والتأخير، قال سيبويه: "(ضَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ زَيْدًا) فَعَبْدُ اللَّهِ ارْتَفَعَ هَا هُنَا كَمَا ارْتَفَعَ فِي (ذَهَبَ) - يَقْصِدُ: ذَهَبَ زَيْدٌ - وَشَغَلَتْ (ضَرَبَ) بِهِ كَمَا شَغَلَتْ بِهِ (ذَهَبَ)، وانتصب (زَيْدٌ)؛ لأنه مفعول تعدّى إليه فعلُ الفاعل. فإنّ قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك: (ضَرَبَ زَيْدًا عَبْدُ اللَّهِ)؛ لأنك إنّما أردت به مؤخرًا ما أردت به مقدّمًا، ولم تُرد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخرًا في اللفظ. فمن ثمّ كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدّمًا، وهو عربيّ جيّد كثير"^(٣).

وعلّل التقديم والتأخير في لسان العرب بقوله: "كأنهم إنّما يُقدّمون الذي بيّنه أهمّ لهم، وهُم بَيَّانِهِ أَغْنَى، وَإِنْ كَانَا جَمِيعًا^(٤) يَهْمَانِهِمْ وَيَغْنِيَانِهِمْ"^(٥)؛ فبيّن سيبويه الناحية الدلالية الكامنة وراء التقديم والتأخير، وهي العناية والاهتمام.

أمّا البلاغيون فلم يُعفلوا هذه الظاهرة؛ فبيّنوا مزاياها مُركّزين على الجانب الدلالي فيها، قال الجرجاني: "القول في التقديم والتأخير: هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يُفتّر لك عن بديعة، ويُفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمّعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك؛ أن قدّم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"^(٦).

ثمّ بيّن الجرجاني نوعي التقديم فقال: "واعلم أنّ تقديم الشيء على وجهين: تقديم يُقال إنه على نيّة التأخير، ...، وتقديم لا على نيّة التأخير، ..."^(٧)؛ أي: أنّ التقديم - عند النحاة والبلاغيين - نوعان: جائز، وواجب.

وينقسم الخبر حسب تقديمه على المبتدأ أو تأخيره إلى ثلاثة أقسام^(٨):

(١) سورة الغاشية: ٢٥.

(٢) الكتاب، لسيبويه: ٥٦/١.

(٣) السابق: ٣٤/١.

(٤) يقصد: المُقدّم والمؤخّر.

(٥) الكتاب، لسيبويه: ٣٤/١.

(٦) دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني: ١٠٦.

(٧) السابق: ١٠٦-١٠٧.

١. جواز التقديم والتأخير، وذلك إذا لم يحصل لبس، نحو: (قَائِمٌ زَيْدٌ)؛ فقام: خبرٌ مَقْدَمٌ جوازاً؛ لِأَمْنِ اللَّبْسِ.

٢. وجوب تأخير الخبر؛ أي: (وجوب تقديم المبتدأ)، وذلك في مواضع، أشهرها خمسة^(٢).

٣. وجوب تقديم الخبر، وذلك في حالات، وهذه أبرزها وأشهرها^(٣):

أ. أن يكون المبتدأ نكرةً غيرَ مُخَصَّصةٍ بِوصفٍ أو بإضافة، والخبر شبه جملة، نحو: (فِي الْبَيْتِ رَجُلٌ)، و(عِنْدَكَ أَخٌ).

ب. أن يشتمل المبتدأ على ضميرٍ يعودُ على بعضِ الخبر، نحو: (فِي الدَّارِ صَاحِبُهَا)؛ أي: يعود على الخبرِ ضميرٌ مِنَ المبتدأ؛ فَ(صَاحِبُهَا): مبتدأ، والضميرُ المتصلُ به راجعٌ إلى (الدار)، وهو جزءٌ مِنَ الخبر؛ فلا يجوز تأخير الخبر، نحو: (صَاحِبُهَا فِي الدَّارِ)؛ لِئَلَّا يعود الضمير على متأخرٍ لفظاً وَرُتْبَةً.

ت. أن يكون للخبر صَدْرُ الكلام، نحو: (أَيُّ زَيْدٍ؟)، و(مَتَى الْإِتِّحَادُ؟).

ث. أن يكون المبتدأ محصوراً، نحو: (إِنَّمَا فِي الدَّارِ زَيْدٌ)، و(مَا فِي الدَّارِ إِلَّا زَيْدٌ)، و(مَا لَنَا إِلَّا اتِّبَاعُ مُحَمَّدٍ ﷺ).

أبرز المعاني والأغراض البلاغية التي يفيدها التقديم والتأخير^(٤):

أ. التوكيد: نحو أن يقول لك رجلٌ: ليس لي علمٌ بالذي تقول؛ فَنَقُولُ لَهُ: (أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ عَلَى مَا أَقُولُ)^(٥). ونحو: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٦)؛ لأنَّ الكاذِبَ

^(١) انظر: أوضح المسالك، لابن هشام: ٢٠٥/١-٢١٢، وشرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ٢٣٢/١-٢٤٣.

^(٢) انظرها في: أوضح المسالك، لابن هشام: ٢٠٥/١-٢٠٩، وشرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ٢٣٢/١-٢٣٨. ولم أطرُق لهذه المواضع؛ لأنَّ ما يعيننا -هنا- هو (التقديم).

^(٣) انظر: أوضح المسالك، لابن هشام: ٢٠٩/١-٢١٢، وشرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ٢٤٠/١-٢٤٣، وشرح المكوذي على الألفية، للمكوذي: ٥٢-٥٣.

^(٤) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني: ٥٠/٢-٦٠، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، للسبكي: ٢٣٢/١-٢٦٤، وعلوم البلاغة، للمراغي: ١٠١-١٠٦، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، للصعدي: ١٩٢/١-١٩٤ و ٢٠٨/١-٢١٧ و ٢٣٣/٢-٢٣٥، وعلم المعاني، د. عبد العزيز عتيق: ١٣٦-١٤٥.

^(٥) الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني: ٥٧/٢.

^(٦) سورة آل عمران: ٧٥ و ٧٨.

لأَسِيْمًا فِي الدِّينِ لَا يَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ كَاذِبٌ؛ فَيَمْتَنِعُ أَنْ يَعْتَرِفَ بِالْعِلْمِ بِأَنَّهُ كَاذِبٌ. وَكَأَنَّ تَقُولَ لَشَخْصٍ شَكَّكَتْ بِعِلْمِهِ فِي أَمْرٍ: كَأَنَّكَ لَا تَعْلَمُ مَا صَنَعَ فُلَانٌ؛ فَيَقُولُ: (أَنَا أَعْلَمُ)^(١). وهذا العَرَضُ (التوكيدُ) هو ما يعنينا في هذا البحث.

ب. العناية والاهتمام: كقولنا: (صَرَبَ عَمْرًا زَيْدٌ)، و(وَزَارَ الكَعْبَةَ خَالِدٌ)؛ فتقديم المفعول به على الفاعل لأهميته والعناية به.

ت. التخصيص: نحو قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢)؛ فَمُلْكُ السموات والأرض مُخْتَصٌّ بِاللَّهِ وَمَقْصُورٌ عَلَيْهِ. وَمِثْلُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾^(٣)؛ أَي: نَعْبُدُكَ، فالعبادة مخصصة به ^{بِهِ}.

ث. تقوية الحُكْمِ وتقديره: نحو قولك عن شخصٍ كريمٍ: (هُوَ يُعْطِي الْجَزِيلَ)؛ فَأَنْتَ لَا تَرِيدُ أَنْ غَيْرُهُ لَا يُعْطِي الْجَزِيلَ، وَلَا أَنْ تُعْرِضَ بِنَاسٍ، وَلَكِنْ تَرِيدُ أَنْ تُقَرِّرَ فِي ذَهْنِ السَّامِعِ وَتُحَقِّقَ أَنَّهُ يَفْعَلُ إعطاءَ الجزيل^(٤).

ج. التشويق: كقول المعلم لطلابه: (اِثْنَانِ حَصَلُوا عَلَى عِلْمَةٍ كَامِلَةٍ مُحَمَّدٌ وَزَيْدٌ).

ح. المدح والافتخار: كقولك عن قومك: (هُمُ الَّذِينَ لَا تُطْفَأُ لَهُمْ نَارٌ).

خ. تعجيل المسرة للتفاؤل: كقولنا: (الْحُبَّاجُ عَادُوا)، و(الْحَبِيبُ وَصَلَ).

د. تعجيل المساءة للنفور: مِثْلُ: (الْوَبَاءُ انْتَشَرَ)، و(الْفَشْلُ أَصَابَ الْعُدُوَّ).

٢. التوكيد بالزيادة:

يُقْصَدُ -هُنَا- بِالزِّيَادَةِ: "زِيَادَةُ مَبْنًى فِي إِطَارِ الْجُمْلَةِ التَّوْلِيدِيَّةِ؛ فَيُحَوَّلُهَا إِلَى جُمْلَةٍ تَحْوِيلِيَّةٍ مَعَ الْإِبْقَاءِ عَلَى تَسْمِيَّتِهَا اسْمِيَّةٍ أَوْ فِعْلِيَّةٍ كَمَا كَانَتْ قَبْلَ التَّحْوِيلِ"^(٥).

وتأتي هذه الزيادة لأغراض متعددة، أهمها التوكيد. وللتوكيد بالزيادة ثلاثة أنواع^(٦)، وهي:

أ. التوكيد بزيادة حَرْفٍ:

مِنْ الحُرُوفِ الَّتِي تُزَادُ لِلتَّوْكِيدِ مَا يَدْخُلُ عَلَى الْجُمْلَةِ الْاسْمِيَّةِ التَّوْلِيدِيَّةِ، نَحْو: (إِنَّ،

أَنْ، إِنَّمَا، لَكِنَّ، بَلْ، اللَّامُ)، وَمِنْهَا مَا يَدْخُلُ عَلَى الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ التَّوْلِيدِيَّةِ، نَحْو:

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، للقرظيني: ٥٧/٢.

(٢) سورة المائدة: ١٢٠. وقد تكررت في سَبْعِ آيَاتٍ أُخْرَى مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

(٣) سورة الفاتحة: ٥.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة، للقرظيني: ٥٦/٢.

(٥) في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل أحمد عمارة: ٢١٦.

(٦) استفدتُ هذه التقسيمات الثلاثية للتوكيد بالزيادة من: في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل

أحمد عمارة: ٢١٦-٢٥١، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، د. حمدان أبو عاصي: ٢٧٧-٢٧٩.

(قَدْ، اللَّام، نُونا التوكيد الثقيلة والخفيفة)، ومنها ما يدخل عليهما، نحو: (إِنَّمَا، بَلْ، اللَّام).

١. إِنْ، وَأَنَّ:

(إِنَّ): حرف توكيد يدخل على الجملة الاسمية، فينصب الاسم ويرفع الخبر، نحو: (إِنَّ زَيْدًا غَائِبٌ)، خلافاً للكوفيين، الذين يرون أنها لم تعمل في الخبر شيئاً، بَلْ هو باقٍ على رَفْعِهِ قَبْلَ دخولها^(١). وهذا في الجانب التركيبي، أما الجانب الدلالي فَإِنَّ الحرف (إِنَّ) ينقل "الجملة مِنْ جملةٍ خبريةٍ إلى جملة خبرية تُلقَى على سَمْعٍ مَنْ هُوَ عَلَى درجةٍ مِنَ التردد في تَقَبُّلِ الخبر"^(٢)؛ أي: يُحوِّلُ دخولُ (إِنَّ) على الجملة المعنى الخبريَّ المحتمل للتردد في تَقَبُّلِ الخبر إلى المعنى الخبري المؤكَّد.

(أَنَّ): حرف توكيد كـ(إِنَّ) يدخل على الجملة الاسمية، فينصب الاسم ويرفع الخبر^(٣)، نحو: (أَيَقْنُتُ أَنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ)، وهي فرع عن (إِنَّ)، قال ابن هشام: "وَالأصح أَنَّهَا فرع عَنِ (إِنْ) الْمَكْسُورَةِ"^(٤). وَصَرَّحَ المرادي أَنَّ هذا هو مذهب سيبويه، والمبرد، وابن السراج^(٥).

وَقَدْ تأتي (إِنْ) و(أَنَّ) مُحَقَّقَتَيْنِ مِنَ الثقيلة؛ أي: (إِنْ) مُحَقَّقَةٌ مِنْ (إِنَّ)، و(أَنَّ) مُحَقَّقَةٌ مِنْ (أَنَّ)، وفي حالة تخفيفهما فإنه يجوز أن تدخل على الجملة الفعلية، وفي الْمُحَقَّقَتَيْنِ لغتان: الإهمال، والإعمال^(٦). والإعمال قليل، والإهمال كثير في لسان العرب^(٧)؛ فَمِنْ إعمال (إِنْ) الْمُحَقَّقَةُ ما قاله سيبويه: "حَدَّثَنَا مَنْ نَثِقُ بِهِ أَنَّهُ سَمِعَ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ: (إِنْ عَمْرًا لَمُنْطَلِقٌ)"^(٨). وَمِنْ إهمالها، وهو الكثير: ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٩).

(١) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٣٩٣-٣٩٤، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٥٥.

(٢) في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي، د. خليل أحمد عمايرة: ٢١٧.

(٣) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٤٠٢، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٥٥.

(٤) مغني اللبيب، لابن هشام: ٥٩.

(٥) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٤٠٣.

(٦) انظر: المقتضب، للمبرد: ٤٨/١-٥٠ و ٣٦١/٢، والجنى الداني، للمرادي: ٢٠٨-٢٠٩، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٣٦.

(٧) انظر: مغني اللبيب، لابن هشام: ٥٦، وشرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ٣٧٨/١.

(٨) الكتاب، لسيبويه: ١٤٠/٢.

(٩) سورة الرُّحُف: ٣٥.

وفي حالة إعمال (أَنَّ) الْمُخَفَّفَةَ فَإِنَّ اسْمَهَا يكون محذوفًا، وهو ضمير الشأن^(١)، قال المرادي: "وَ(أَنَّ) الْمُخَفَّفَةَ تنصب الاسم وترفع الخبر كأصلها، إِلَّا أَنَّ اسْمَهَا منوِيٌّ، لا يبرز إِلَّا في ضرورة"^(٢).

٢. إِنَّمَا:

تدخل على الجملتين الاسمية والفعلية، وأصلها (إِنَّ) ثُمَّ دخلت عليها (ما) الزائدة؛ فَأُبْطِلَ عملها، فتكون (ما) كَافَّةً لها عن العمل، وَمُهِيَّتَةً لدخولها على الأفعال؛ لذا تُسَمَّى (إِنَّمَا) كَافَّةً وَمَكْفُوفَةً، والجمهور على أَنَّ إعمالها عند اتصال (ما) بها غير مسموع^(٣). وأجاز ابن مالك الإعمال في (إِنَّمَا) وَإِنْ لم يَنْبُتْ سَمَاعٌ^(٤).

وَمِنْ أَمْثَلَةِ دخول (إِنَّمَا) على الجملة الاسمية: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾^(٥)، وَمِنْ أَمْثَلَةِ دخولها على الجملة الفعلية: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٦).

٣. لَكِنْ:

حرف توكيد واستدراك^(٧)، يدخل على الجملة الاسمية، فينصب الاسم ويرفع الخبر؛ لَشَبْهِهِ بِالْفِعْلِ^(٨)، نحو: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنْ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(٩). وَقَدْ تُخَفَّفُ فتصبح (لَكِنْ)؛ فَتُهْمَلُ ويبطل عملها على

(١) انظر: مغني اللبيب، لابن هشام: ٣٦.

(٢) انظر: شرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ٣٨٣/١، وهمع الهوامع، للسيوطي: ٥١٤-٥١٥.

(٣) الجنى الداني، للمرادي: ٢١٧.

(٤) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٣٩٥، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٤٠٤-٤٠٨.

(٥) شرح التسهيل، لابن مالك: ٣٨/٢.

(٦) سورة هود: ١٢.

(٧) سورة فاطر: ٢٨.

(٨) الاستدراك: أَنَّ تَنْسِبَ لِمَا بَعْدَ الْحَرْفِ حُكْمًا مُخَالَفًا لِحُكْمِ مَا قَبْلَهُ، وَلِذَلِكَ لَا بُدَّ أَنْ يَتَقَدِّمَهُ كَلَامٌ مُنَاقِضٌ لِمَا بَعْدَهُ، نحو: (مَا زَيْدٌ شَجَاعًا لَكِنَّهُ كَرِيمٌ)؛ أَي: أَنَّ الاستدراك يختص بِرَفْعِ مَا يُتَوَهَّمُ ثُبُوتُهُ. انظر: مغني اللبيب، لابن هشام: ٣٨٣.

(٩) انظر: الكتاب، لسيبويه: ١٤٥-١٤٦ و ١١٦/٣، والجنى الداني، للمرادي: ٦١٥-٦١٨.

(١٠) سورة الحج: ٢.

مذهب الجمهور، ويكون ما بعدها مبتدأ وخبرًا، نحو: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ شَهِدٌ﴾^(١)،
 خلافًا لـيونس والأخفش، حيثُ يجيزان إعمالها في التخفيف^(٢).
 وإذا اتصلت (ما) غير الموصولة بـ(لَكِنَّ) كَقَفْنَهَا -عند الجمهور- عن العملِ،
 وتدخل -حينها- على الجملتين، وَمِنْ النُّحَاةِ مَنْ أَجَازَ الْإِعْمَالَ، وجعل (ما)
 زائدة مُلغاة^(٣).

٤. بَلْ:

حرف توكيد وإضراب، يدخل على الجملتين الاسمية والفعلية، وله حالتان:
 الأولى: أَنْ تَقَعَ بَعْدَهُ جُمْلَةٌ، والثاني: أَنْ يَقَعَ بَعْدَهُ مَفْرَدٌ؛ فَإِنْ وَقَعَ بَعْدَهُ جُمْلَةٌ
 كان إضرابًا عَمَّا قَبْلَهَا، وإثباتًا لِمَا بَعْدَهَا، إِمَّا عَلَى جِهَةِ الْإِبْطَالِ، نحو: ﴿أَمْ
 يَقُولُونَ بِهِ جَنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ﴾^(٤)، وَإِمَّا عَلَى جِهَةِ التَّرْكِ لِلانْتِقَالِ مِنْ غَيْرِ إِبْطَالٍ،
 نحو: ﴿وَكَذَيْتَا كِتَابٍ نُنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ * بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا^(٥) ﴿٦﴾.
 وإذا وقع بعد (بَلْ) مفردٌ فهي حرف عطف، ومعناها الإضراب، ولها حينئذٍ
 حالات مختلفة^(٧).

٥. اللَّام:

حرفٌ كثيرُ المعاني والأقسام، أَوْصَلَهَا النُّحَاةُ إِلَى ثَلَاثِينَ مَعْنَى^(٨). وَأَهَمُّ مَا
 يعنينا هو إفادتها لمعنى التوكيد. وتدخل على الجملتين: الجملة الاسمية، كَاللَّامِ
 الْإِبْتِدَائِيَّةِ: (لَزَيْدٌ قَائِمٌ)، والجملة الفعلية، كَاللَّامِ الْمَرْحَلَةُ الْدَاخِلَةُ عَلَى خَبَرٍ
 إِنَّ^(٩): (إِنَّ اللَّهَ لَيَغْفِرُ لِلتَّائِبِينَ). قال الزجاجي: "أَعْلَمُ أَنَّ لَامَ (إِنَّ) تدخل مؤكدة

(١) سورة النِّسَاء: ١٦٦.

(٢) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٥٨٦ و ٦٢٠.

(٣) انظر: الْمُفَصَّلُ فِي صِنْعَةِ الْإِعْرَابِ، للزمخشري: ٣٩٠، والجنى الداني، للمرادي: ٦١٩، وشرح ابن عقيل،
 لابن عقيل: ٣٧٤/١، وهمع الهوامع، للسيوطي: ٥١٨/١-٥٢٠.

(٤) سورة المؤمنون: ٧٠.

(٥) سورة المؤمنون: ٦٢-٦٣.

(٦) انظر: الْمُقْتَضَبُ، للمبرد: ١٢/١، واللمع في العربية، لابن جني: ٩٣، والجنى الداني، للمرادي: ٢٣٥-
 ٢٣٦، ومغني اللبيب، لابن هشام: ١٥١.

(٧) انظرها في: الجنى الداني، للمرادي: ٢٣٦-٢٣٧.

(٨) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٩٥-١٠٥، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٢٧٤-٢٩١.

(٩) انظر: الْكِتَابُ، لسيبويه: ١٠٤-١٠٦/٣، والجنى الداني، للمرادي: ٩٥-٩٦ و ١٢٤، ومغني اللبيب، لابن
 هشام: ٢٧٤-٢٧٦.

للخبر كما تدخل (إِنَّ) مُؤَكِّدَةً للجملة، وكذلك قولك: (إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ) و(إِنَّ زَيْدًا لَقَائِمٌ) دخلت اللام في الخبر مُؤَكِّدَةً له، كما دخلت (إِنَّ) مُؤَكِّدَةً للجملة، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ حَمِيدٌ﴾^(١) ﴿٢﴾.

٦. قَدْ:

حَرْفٌ مختص بالفعل المُثَبَّت، يفيد التوكيد والتحقيق -غالبًا- إذا دخل على الماضي، بشرط أن يكون متصرفًا، نحو: (قَدْ غَابَ زَيْدٌ)، ويفيد التَّوَقُّع إذا دخل على المضارع بشرط تجرده من جازمٍ وناصبٍ وحرفٍ تنفيسٍ^(٣)، نحو: (قَدْ يَغِيبُ زَيْدٌ).

وتدخل اللام على (قَدْ) فتفيد معنى التوكيد، نحو: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ آغْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾^(٤) قال أبو حيان: "اللام في (لَقَدْ) هي لام توكيد"^(٥)، وقال ابن هشام: "والمشهور أَنَّ هذه لام القسم"^(٦)، وكلاهما مُصِيبٌ؛ فَيُمْكِنُ الجَمْعُ بين الرأيين: أَنَّ اللام للقسم مفيدة للتوكيد.

٧. نُونَا التوكيد (الثقيلة والخفيفة):

تختص نون التوكيد بنوعيهما الثقيلة والخفيفة بالفعل المضارع وفعل الأمر، ولا يُؤَكِّدُ بهما الماضي، ومعناهما التوكيد، وتأتيان مع لام القسم أو مع الطَّالِبِ، والتوكيد بالثقيلة أَشَدُّ وَأَبْلَغُ، وهما أصلان عند البصريين، بَيْنَمَا رَأَى الكوفيون الثَّقِيلَةَ أَصْلًا، والخفيفة فَرَعًا عنها^(٧)، قال سيبويه: "إذا حَلَفْتَ على فعلٍ غير منفيٍّ لم يَقَعْ لَزِمَتُهُ اللام، وَلَزِمَتِ اللامُ النونُ الخفيفةُ أو الثقيلةُ في آخر الكلمة، وذلك قولك: (وَاللَّهِ لَأَفْعَلَنَّ)"^(٨). وَقَدْ اجتمعَا في الآية: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَيَكُونَنَّ مِنْ

(١) سورة إبراهيم: ٨.

(٢) اللامات، للزجاجي: ٧٢.

(٣) انظر: الكتاب، لسيبويه: ٩٨/١-٩٩ و ١١٤/٣-١١٥، والجنى الداني، للمراي: ٢٥٣-٢٥٦، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٢٢٦-٢٣٢.

(٤) سورة البقرة: ٦٥.

(٥) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي: ٣٩٦/١.

(٦) مغني اللبيب، لابن هشام: ٣٠٢.

(٧) انظر: الكتاب، لسيبويه: ٥٠٨/٣-٥٢٠، وشرح التسهيل، لابن مالك: ١٤/١-١٥، والجنى الداني، للمراي: ١٤٣-١٤٤، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٤٤٣-٤٤٤.

(٨) الكتاب، لسيبويه: ١٠٤/٣.

الصَّاعِرِينَ^(١)، ومثال النون الثقيلة مع الطلب: ﴿لَا تَدْنِ عَيْنُكَ إِلَىٰ مَا مَعَنَاهِ
أَنْزُوجًا مِنْهُمْ﴾^(٢)، ومثال دخول النون الثقيلة على الأمر: (اصْبِرَنَّ)، والخفيفة:
(اصْبِرْ).

ب. التوكيد بزيادة كلمة:

يُقصد بـ(زيادة كلمة) نَوْعِي التوكيد: التوكيد المعنوي، والتوكيد اللفظي. وهذان
النوعان مشهوران في كُتُب النحاة، وسَأُشيرُ لهُمَا بإيجازٍ:
أما التوكيد المعنوي فقسمان: الأول: ما يَرْفَعُ تَوْهُمَ مضافٍ إلى المؤكِّد؛ أي: يدلّ
على إثبات الحقيقة وزُفَع المجاز، وله لفظان: (نَفْس، وَعَيْن)، نحو: (جاء زَيْدٌ
نَفْسُهُ)، والثاني: ما يَرْفَعُ تَوْهُمَ عَدَمِ إرادة الشمول؛ أي: يدل على الإحاطة والشمول،
وله ألفاظ، أشهرها: (كُلّ، وَكِلَا، وَكِلْتَا، وَجَمِيع) ^(٣)، مثل: (غاب الطُّلابُ جَمِيعُهُمْ).
وأما التوكيد اللفظي فهو: تكرار اللفظ الأوّل بِعَيْنِهِ اعتناءً به، ويكون في الاسم
والفعل والجملة والحرف^(٤)، ومثال التوكيد اللفظي بالاسم قوله تعالى: ﴿كَأَلَا إِذَا
دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾^(٥)، ونحو: (زَيْدٌ زَيْدٌ قَامَ)، ومثال الفعل: (جاءَ جاءَ
زَيْدٌ)، ومثال الجملة قوله تعالى: ﴿كَأَلَا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٦)،
ومثال الحرف قولنا: (أَحْضَرَ مُحَمَّدٌ؟)؛ فنقول: (نَعَمْ نَعَمْ)، أو: (لا لا).

ت. التوكيد بزيادة مُركَّبٍ:

وذلك كزيادة مركب المدح، أو مركب الذمّ، أو مركب القسم ... وَقَدْ تَمَّتْ دراسةُ
هذه المركبات -بِفَضْلِ اللَّهِ- بالتفصيل في الفُصُلَيْنِ السَّابِقَيْنِ مِنْ هذا الباب.

(١) سورة يُوسُف: ٣٢.

(٢) سورة الجُر: ٨٨.

(٣) انظر: الكتاب، لسيبويه: ٣٧٧/١ و ١١/٢-١٢ و ٣٨١، وشرح المكوّدي على الألفية، للمكوّدي: ٢١٧-
٢١٨، وشرح ابن الناظم على الألفية، لابن الناظم: ٣٥٧، وشرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل:
٢٠٦/٣-٢٠٧، وشرح شذور الذهب، للجوجري: ٧٦٠/٢-٧٦٢، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني:
٣٣٤/٢-٣٣٧.

(٤) انظر: الكتاب، لسيبويه: ١٢٥/٢ و ٣٦٠، وتوضيح المقاصد والمسالك، للمراي: ٩٧٨/٢، وشرح ابن عقيل
على الألفية، لابن عقيل: ٢١٤/٣-٢١٦، والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للشاطبي: ٢٨/٥،
وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٣٤٤/٢-٣٤٥.

(٥) سورة الفجر: ٢١.

(٦) سورة التكاثر: ٣-٤.

٣. التوكيد بالإشارة:

عَرَفَ ابْنُ الْحَاجِبِ اسْمَ الْإِشَارَةِ فَقَالَ: "مَا وُضِعَ لِمُشَارٍ إِلَيْهِ"^(١)، وَقَالَ ابْنُ مَالِكٍ: "اسْمُ الْإِشَارَةِ هُوَ: مَا وُضِعَ لِمُسَمًّى وَإِشَارَةً إِلَيْهِ"^(٢)، وَقِيلَ: "هُوَ الْمَوْضُوعُ لِمُعَيَّنٍ فِي حَالِ الْإِشَارَةِ"^(٣). وَالْمُشَارُ إِلَيْهِ هُوَ مَا يَتِمُّ تَعْيِينُهُ بِالْإِشَارَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مَذْكَرًا أَوْ مُؤَنَّثًا، وَكُلُّ مِنْهُمَا إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَفْرَدًا أَوْ مَثْنًى أَوْ جَمْعًا^(٤). تَقُولُ مَثَلًا: (هَذِهِ حَقِيبَتِي) فَقَدْ عَيَّنْتَ الْمُشَارَ إِلَيْهِ (الْحَقِيبَةَ) بِوَاسِطَةِ اسْمِ الْإِشَارَةِ (هَذِهِ).

وَيَبَيِّنُ النُّحَاةُ أَسْمَاءَ الْإِشَارَةِ مَفْصَلِينَ الْكَلَامِ فِيهَا، فَذَكَرُوا: (ذَا) لِلْمَفْرَدِ الْمَذْكَرِ الْقَرِيبِ، وَ(ذَلِكَ) لِلْبَعِيدِ، وَ(ذَلِكَ) لِلْمَتَوَسِّطِ، وَلِلْمُؤَنَّثَةِ (تِي) وَ(تَا) وَ(تِه) وَ(ذِي) وَ(ذِه) وَتَكْسُرُ الْهَاءُ أَنْ بَاخْتِلَاسَ وَشِبَاعٍ، وَ(تِيكَ) وَ(ذِيكَ) وَ(تِيكَ) وَ(تِيكَ) وَ(تَالِكَ)، وَلِتَنْتِثِيَةِ الْمَذْكَرِ (ذَانِ) فِي الرَّفْعِ، وَ(ذَيْنِ) فِي الْجَرِّ وَالنَّصَبِ، وَلِتَنْتِثِيَةِ الْمُؤَنَّثِ (تَانِ) رَفْعًا، وَ(تَيْنِ) جَرًّا وَنُصْبًا، وَفِي الْجَمْعِ مَطْلَقًا (أَلَاءَ)، وَ(أُولَئِكَ)، وَ(أُولَاءَ)، وَ(أُولَآكُ)، وَقَدْ يَقَالُ: (هَؤُلَاءِ)، وَقَدْ تُشَبَّعُ الضَّمَّةُ عَلَى الْهَاءِ؛ فَيَقَالُ: (هُؤُلَاءِ)، أَمَّا (ثَمَّ) وَ(هُنَا) فَلِلْمَكَانِ خَاصَّةً^(٥).

وَيُخْرِجُ اسْمُ الْإِشَارَةِ إِلَى مَعْنَى آخَرَ غَيْرَ التَّعْيِينِ لِلْمُشَارِ، كَالْتَّوَكِيدِ، فَفِي جُمْلَةٍ: (زَيْدٌ مُنْتَصِرٌ) نَقُومُ بِزِيَادَةِ اسْمِ الْإِشَارَةِ؛ لِيَزْدَادَ التَّرْكِيبُ تَأْكِدًا، فَنَقُولُ: (هَذَا زَيْدٌ مُنْتَصِرٌ)، حَيْثُ أَكَّدَ اسْمُ الْإِشَارَةِ الْجُمْلَةَ، وَأَزَالَ عَنْهَا الشَّكَّ فِي الْإِنْتِصَارِ، مِمَّا يَفِيدُ مَدْلُولَ التَّوَكِيدِ، وَنَحْوُ: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^(٦)، وَكَقَوْلِنَا: (أُولَئِكَ الْقَوْمُ لَا يَهَابُونَ الْمَنَآيَا).

ثالثًا: تركيب التوكيد في المفهوم التحويلي

١. التوكيد بالترتيب "التقديم والتأخير" وفق مفهوم النحو التحويلي:

التقديم Fronting نَقْلٌ لِلْفَظِ مِنْ رُتْبَتِهِ الْمَعْهُودَةِ فِي الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَهُوَ قَاعِدَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ التَّحْوِيلِ، وَظَاهِرَةُ التَّحْوِيلِ وَالتَّأْخِيرِ فِي الْعَرَبِيَّةِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَيَرْمِزُ لَهَا فِي النُّحُو

(١) الكافية في النحو، لابن الحاجب: ٣٤.

(٢) تسهيل الفوائد، لابن مالك: ٣٩.

(٣) التذييل والتكميل، لأبي حيان الأندلسي: ١٨١/٣، وتوضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ٤٠٥/١.

(٤) توضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ٤٠٥/١.

(٥) انظر: الكافية في النحو، لابن الحاجب: ٣٤، وتسهيل الفوائد، لابن مالك: ٣٩، وتوضيح المقاصد

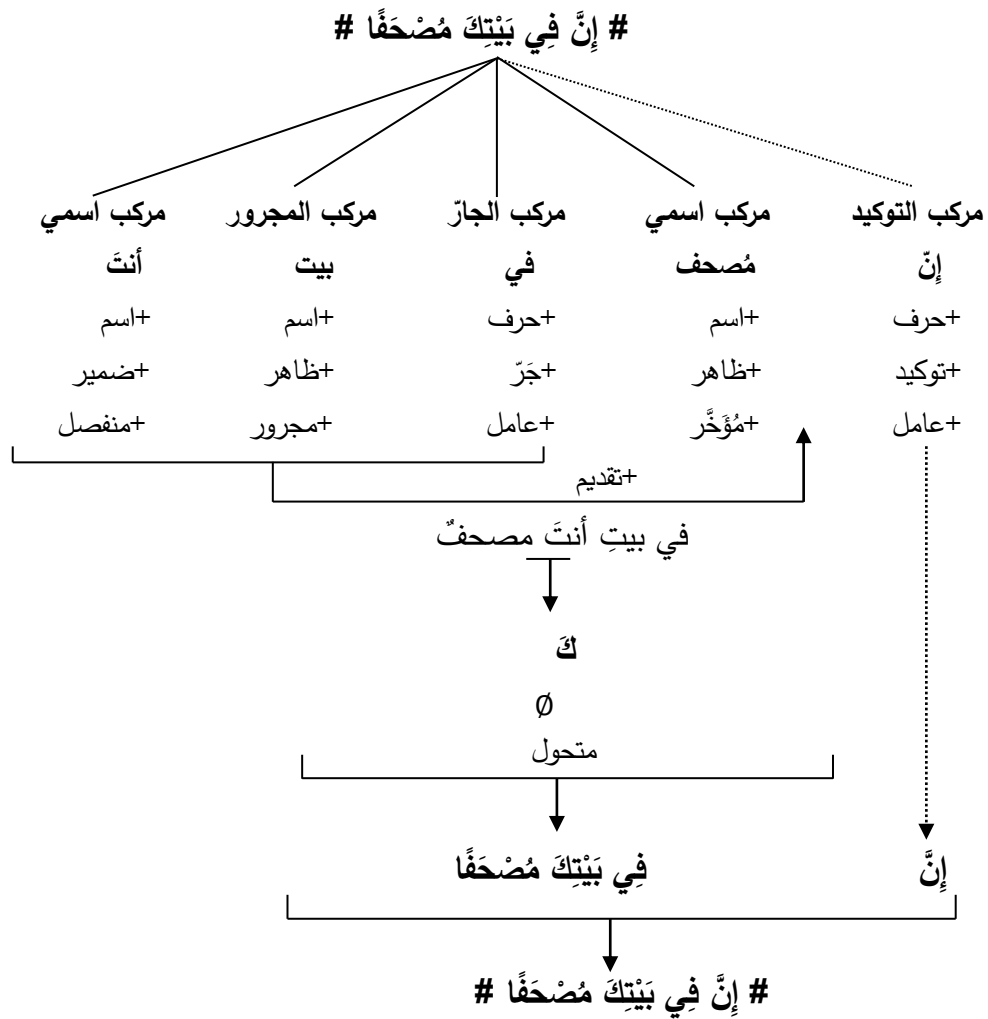
والمسالك، للمرادي: ٤٠٥/١-٤١٠، وتعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، للدماميني: ٣٠٩-٣١٧، وشرح

شذور الذهب، للجوجري: ٢٩٦/١.

(٦) سورة آل عمران: ٤٠.

التحويلي: (أ+ب+ج ← ب+أ+ج)، حيث جَرى -هنا- تعديل وَضْع الرمز (ب)، وهو الرمز الثاني في الطرف الأيمن، إذ جرى تقديمه فصار الرمز الأول في الطرف الأيسر^(١)، مثل: (ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا) فتصبح بواسطة هذا القانون: (زَيْدٌ ضَرَبَ عَمْرًا). ولو أَخَذْنَا التركيب: (إِنَّ فِي بَيْتِكَ مَصْحَفًا) فَسَجَدُ أَنهَا قَدْ أَكِدْتُ بِمُؤَكِّدَيْنِ، الأول: زيادة مركب التوكيد (إِنَّ)، والمؤكد الثاني: تقديم خبر (إِنَّ) شبه الجملة (فِي بَيْتِكَ) عَلَى اسمِ إِنَّ (مُصْحَفًا).

وَيُوضِّحُ التحليلُ الشجريُّ الآتي لترتيب التوكيد بالترتيب في جملة (إِنَّ فِي بَيْتِكَ مُصْحَفًا) القواعد التحويلية فيه:



(١) انظر: قواعد تحويلية لِلْغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، د. محمّد علي الخولي: ٣٩.

تَحَوَّلَ تركيب التوكيد السابق من البنية العميقة: (مُضَحَّفٌ فِي بَيْتٍ أَنْتَ) إلى البنية السطحية: (إِنَّ فِي بَيْتِكَ مُضَحَّفًا) عن طريق القواعد التحويلية الآتية:
أ. الزيادة:

تَمَّ زيادة المركب الحرفي (إِنَّ)؛ ليفيد التوكيد.

ب. الإحلال والتعويض:

حَلَّ الضمير المتصل (كاف الخطاب) في: (بَيْتِكَ) محلَّ الاسم الظاهر الضمير (أَنْتَ)؛ فأصبحت الجملة (مُضَحَّفٌ فِي بَيْتِكَ).

ت. التقديم:

تَقَدَّمَ شبه الجملة (فِي بَيْتِكَ) -الواقع في محلِّ خبر (إِنَّ)- عَلَى اسمِ إِنَّ (مُضَحَّفًا)؛ لإفادة توكيد الجملة.

٢. التوكيد بالزيادة وفق مفهوم النحو التحويلي:

يرمز التحويليون لقانون الزيادة "الإضافة" Addition بالرموز: (أ ← +ب)، حيثُ بَقِيَّتْ (أ) على حالها في الطرف الأيمن والطرف الأيسر، ولكن أُضِيفَ إليها (ب)^(١)، ومثال ذلك: (شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ) يمكن تحويلها -عن طريق هذا القانون- إلى: (الدَّرْسُ شَرَحَهُ الْمُعَلِّمُ)، حيثُ زِيدَ الضميرُ العائد إلى (الدَّرْسُ) بعد أَنْ تَمَّ تقديمها على الجملة. وكذلك إذا أضفنا مركبًا حرفيًا -مثلاً- للتوكيد، نحو: (اكَتُبَنَّ وَاجِبَكَ) فالأصل: (اكَتُبْ وَاجِبَكَ).

وأقسام التوكيد بالزيادة -كَمَا ذُكِرَ- ثلاثة، وهذا إيضاح لها في ضوء النَّحْوِ التحويلي:

أ. التوكيد بزيادة مركب حرفي:

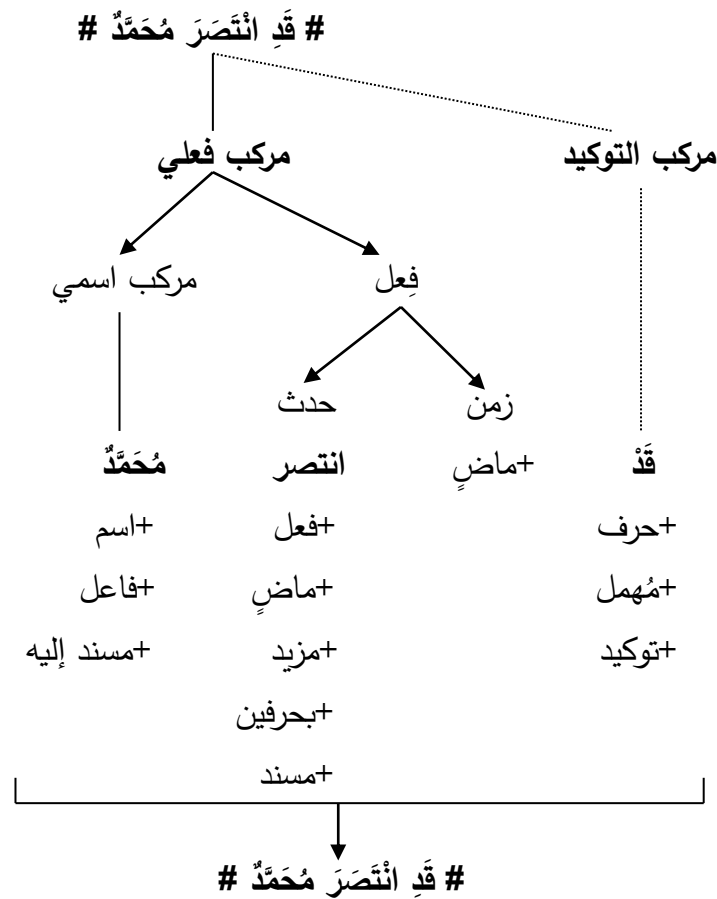
تَعَرَّفْنَا -فِيمَا سَبَقَ- أَنَّ مِنَ الحروف التي تُزَادُ للتوكيد ما يدخل على الجملة الاسمية التوليدية، نحو: (إِنَّ، أَنْ، إِنَّمَا، لَكِنَّ، بَلْ، اللَّامُ)، ومنها ما يدخل على الجملة الفعلية التوليدية، نحو: (قَدْ، اللَّامُ، نَوْنَا التوكيد الثقيلة والخفيفة)، ومنها ما يدخل عليهما، نحو: (إِنَّمَا، بَلْ، اللَّامُ). وقد يدخل مؤكدان أو أكثر على الجملة الواحدة.

ففي قولنا: (إِنَّمَا يَنْجَحُ الْمُثَابِرُ)، وفي قولنا: (قَدْ انْتَصَرَ الْمُؤْمِنُ) احتوى كُلُّ منهما على مؤكد واحد: في الجملة الأولى (إِنَّمَا)، وفي الجملة الثانية (قَدْ)، وفي قوله

(١) انظر: قواعد تحويلية لِلْغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، د. مُحَمَّدٌ عَلِي الْخُولِي: ٣٨-٣٩.

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) عنصران من عناصر التوكيد، وهُمَا: (إِنَّ)، و(اللام).

وَتُعَدُّ "جميع هذه العناصر عناصر طارئة على البنية العميقة، تحولها عن طريق قاعدة الزيادة إلى بنية سطحية مؤكدة، بعد أن كانت تدل على الإخبار المحايد الذي يحتمل الشك. والجدير بالذكر أن هذه العناصر الداخلة على الجملة لا تُغَيَّرُ في بناها التركيبية -كما هو الحال في الآية الكريمة السابقة- وإنما تُغَيَّرُ معناها، وذلك بزيادة معنى جديد على الجملة المقصودة، وهو التأكيد على عنصر مقصود أو مركب معين في الجملة أو الجملة بأسرها"^(٢).
وَيُوضَّحُ التحليل الشجري الآتي لتركيب التوكيد بزيادة مركب حرفي في: (قَدْ ائْتَصَرَ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ) القواعد التحويلية فيه:



(١) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٢) القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، د. حمدان رضوان أبو عاصي: ٢٨٢.

تَمَّ تَحَوُّلُ تَرْكِيبِ التَّوَكِيدِ السَّابِقِ مِنْ بَنِيَّتِهِ الْعَمِيقَةِ (اِنْتَصَرَ مُحَمَّدٌ) إِلَى بَنِيَّتِهِ السَّطْحِيَّةِ (قَدْ اِنْتَصَرَ مُحَمَّدٌ) عَنْ طَرِيقِ قَاعَةِ التَّحْوِيلِ الْآتِيَةِ:

الزيادة: حيث تَمَّ زيادة المركب الحرفي (قَدْ) على الجملة الفعلية؛ لإفادة الإخبار المؤكّد بعد أن كانت الجملة تفيد الإخبار غير المؤكّد.

ب. التوكيد بزيادة كلمة معينة:

ويقصد بزيادة كلمة معينة: التوكيد اللفظي، والتوكيد المعنوي، أمّا التوكيد اللفظي فهو: تكرار اللفظ الأوّل بِعَيْنِهِ اعتناءً به، ويكون في الاسم والفعل والجملة والحرف، وَمِنْ أَمْثَلَتِهِ: (حَضَرَ حَضَرَ زَيْدٌ). وأمّا التوكيد المعنوي فألفاظه: (نفس، وعين، وكلّ، وكلّا، وكلّتا، وجميع)، وَمِنْ أَمْثَلَتِهِ: (سَلَّمْتُ عَلَى الْمُعَلِّمَيْنِ كِلَيْهِمَا).

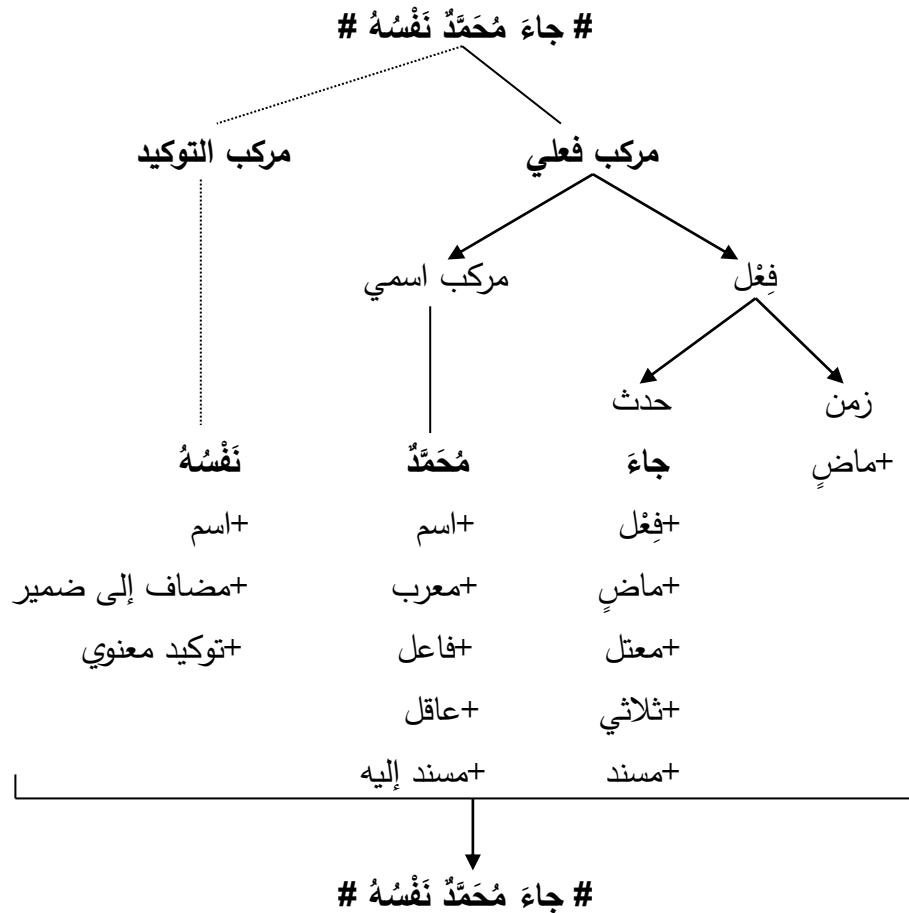
ويُنْظَرُ لِلنَّوْعِ الأوّل (اللفظي) تحويلاً على أنه بنية سطحية تحولت من بنية عميقة لم يقع بها التكرار، ثم دخل عنصر التكرار اللفظي عن طريق قاعدة الإضافة "الزيادة"؛ ليفيد تأكيد الجملة؛ فلو أخذنا جملة (حَضَرَ حَضَرَ زَيْدٌ) فإن أصلها العميق: (حَضَرَ زَيْدٌ) ثم دخل التكرار اللفظي للفعل فأصبحت (حَضَرَ حَضَرَ زَيْدٌ). ويُنْظَرُ لِلنَّوْعِ الثاني (المعنوي) -كقولك: (جاءَ زَيْدٌ عَيْنُهُ)- تحويلاً على أنه مُحوّل من بنية عميقة أصلها (جاءَ زَيْدٌ)، ثم دخل عليها عنصر الزيادة بالتكرار؛ فأصبحت (جاءَ زَيْدٌ زَيْدٌ)، ثُمَّ تَحَوَّلَ العنصر المُكْرَّر (زَيْدٌ) عن طريق قاعدة الإحلال والتعويض إلى (عَيْنُ زَيْدٍ)، ثُمَّ حَلَّ الضمير المتصل محلَّ (زَيْدٍ)؛ فأصبحت الجملة: (جاءَ زَيْدٌ عَيْنُهُ)^(١).

وَيُلْحَظُ "أَنَّ التوكيد المعنوي أصله توكيد لفظي، ثُمَّ تَحَوَّلَ عن طريق قاعدة الإحلال والتعويض -التي اسْتُخْدِمَتْ مَرَّتَيْنِ- إِلَى توكيد معنوي"^(٢).

وَيُوضَّحُ التحليلُ الشجريُّ الآتي لتركيب التوكيد بزيادة كلمة: (جاءَ مُحَمَّدٌ نَفْسُهُ) القواعد التحويلية فيه:

(١) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، د. حمدان رضوان أبو عاصي: ٢٨٣.

(٢) السابق: ٢٨٣.



تَمَّ تَحْوِيلُ تَرْكِيبِ التَّوَكِيدِ السَّابِقِ مِنْ بِنْيَتِهِ الْعَمِيقَةِ (جاءَ مُحَمَّدٌ) إِلَى بِنْيَتِهِ السَّطْحِيَّةِ (جاءَ مُحَمَّدٌ نَفْسُهُ) عَنْ طَرِيقِ قَاعِدَةِ التَّحْوِيلِ الْآتِيَةِ:

الزِّيَادَةُ: حَيْثُ تَمَّتْ زِيَادَةُ مَرْكَبِ التَّوَكِيدِ الْمَعْنَوِيِّ (نَفْسُهُ) عَلَى الْمَرْكَبِ الْأَسْمِيِّ (مُحَمَّدٌ)؛ لِإِفَادَةِ الْإِخْبَارِ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ الْمَجِيءَ حَصَلَ مِنَ الْمُتَحَدِّثِ عَنْهُ (مُحَمَّدٌ) وَلَيْسَ مِنْ أَحَدٍ سِوَاهُ.

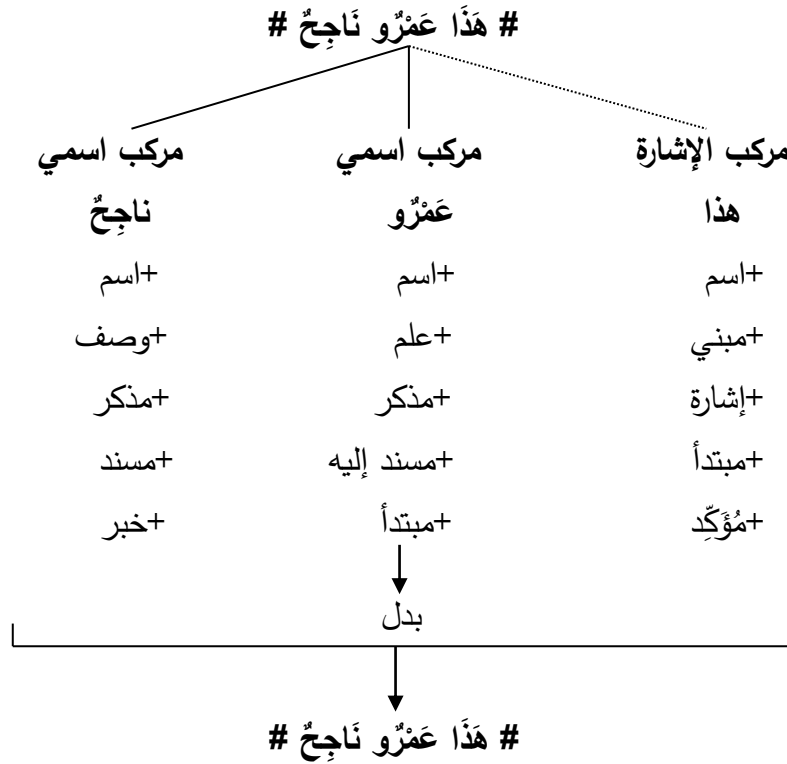
ت. التوكيد بزيادة مركب معين:

وَمِنْ أَمْثَلَتِهِ (مركب القسم، ومركب المدح، ...)، وَأَشْرَفْتُ إِلَى أَنَّهُ تَمَّ دَرَسَةُ هَذَا النُّوعِ مِنَ الْمَرْكَبَاتِ - فِي هَذِهِ الدَّرَاسَةِ - وَفْقَ مَفْهُومِ النُّحُوِّ التَّحْوِيلِيِّ.

٣. التوكيد بالإشارة وفق مفهوم النحو التحويلي:

قَدْ يَخْرُجُ اسْمُ الْإِشَارَةِ إِلَى مَعْنَى آخَرَ غَيْرِ التَّعْيِينِ لِلْمُشَارِ، كَالتَّوَكِيدِ، نَحْوُ: (هَذَا عَمْرُو نَاجِحٌ)؛ وَيُعْلَلُ لِهَذَا الصَّرْبِ مِنَ التَّوَكِيدِ بِأَنَّ الْجُمْلَةَ السَّابِقَةَ جُمْلَةً سَطْحِيَّةً تَمَّ تَحْوِيلُهَا مِنْ بَنِيَّةٍ عَمِيقَةٍ، وَهِيَ: (عَمْرُو نَاجِحٌ)، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا مَرْكَبُ الْإِشَارَةِ (هَذَا) عَنْ طَرِيقِ قَاعِدَةِ الزِّيَادَةِ؛ فَصَارَ التَّرْكِيبُ: (هَذَا عَمْرُو نَاجِحٌ).

وَيُوضَّحُ التحليلُ الشجريُّ الآتي لتركيب التوكيد بالإشارة (هَذَا عَمْرُو نَاجِحٌ) القواعدَ التحويلية فيه:



تَمَّ تَحْوِيلُ تركيب التوكيد السابق مِنْ بِنْيَتِهِ العميقة (عَمْرُو نَاجِحٌ) إِلَى بِنْيَتِهِ السطحية (هَذَا عَمْرُو نَاجِحٌ) عن طريق قاعدة التحويل الآتية:

أ. الزيادة:

حيثُ تَمَّتْ زيادة مركب الإشارة (هذا) على الجملة الاسمية (عَمْرُو نَاجِحٌ)؛ لإفادة معنى التأكيد على الخبر.

ب. الإحلال والتعويض:

حَلَّ مركب الإشارة (هذا) في موقع المبتدأ، وتحوَّل المبتدأ (عَمْرُو) إلى موقع البدل. وَتَحَوَّلَتِ الجملة مِنَ الإخبار غير المؤكد إلى الإخبار المؤكد؛ وذلك بعد إضافة عنصر التوكيد وهو الإشارة.

رابعاً: تراكيب التوكيد الواردة في كتابِ خُطَبِ الرسول ﷺ

بَلَّغَتْ تراكيبُ التوكيد في كتابِ خُطَبِ الرسول ﷺ (أَلْفَيْ) تركيبٍ، وبذلك تكون أكثر التراكيبِ وُرُودًا في هذه الخُطَبِ، وهذا ينسجم مع طبيعة الخطابة؛ حيث يحتاج الخطيب لوسائل التوكيد المتعددة حسب المقام؛ ليكون ذلك أبلغ في نَفْسِ المُسْتَمِعِ المُتَلَقِّي، وأكثر ثبوتًا وتعلُّقًا في ذهنه.

وَقَدْ وَرَدَ مِنْ هَذِهِ التَّرَاكِيِبِ: (خَمْسُ مِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَسَبْعُونَ) تَرْكِيبًا بِالتَّرْتِيبِ^(١)، و(اِثْنَانِ وَسَبْعُونَ) تَرْكِيبًا بِالْإِشَارَةِ^(٢)، و(وَاحِدٌ وَأَرْبَعُونَ) تَرْكِيبًا بِزِيَادَةِ كَلِمَةٍ^(٣)، و(تَمَانِي مِائَةٍ وَثَلَاثَةُ عَشَرَ) تَرْكِيبًا بِزِيَادَةِ الْحَرْفِ (إِنَّ)^(٤)، و(مِائَةٌ وَسَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ) تَرْكِيبًا بِزِيَادَةِ الْحَرْفِ (أَنَّ)^(٥)، و(أَحَدَ عَشَرَ) تَرْكِيبًا بِزِيَادَةِ الْحَرْفِ (أَنَّ) الْمُخَفَّفَةِ مِنَ الثَّقِيلَةِ^(٦)، و(سَبْعَةٌ وَخَمْسُونَ) تَرْكِيبًا بِزِيَادَةِ الْحَرْفِ (إِنَّمَا)^(٧)، و(أَرْبَعَةُ عَشَرَ) تَرْكِيبًا بِزِيَادَةِ الْحَرْفِ (لَكِنَّ)^(٨)، و(سَبْعَةٌ) تَرَكَيبًا بِزِيَادَةِ الْحَرْفِ (بَلْ)^(٩)، و(تِسْعَةٌ وَثَلَاثُونَ) تَرْكِيبًا بِزِيَادَةِ حَرْفِ (الْلامِ)^(١٠)، و(مِائَتَانِ وَأَحَدَ عَشَرَ) تَرْكِيبًا بِزِيَادَةِ الْحَرْفِ (قَدْ)^(١١)، و(تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ) تَرْكِيبًا بِزِيَادَةِ الْحَرْفِ (نُونُ التَّوَكِيدِ الثَّقِيلَةِ)^(١٢). أَمَّا (نُونُ التَّوَكِيدِ الْخَفِيفَةِ)، و(إِنْ) الْمُخَفَّفَةِ مِنَ الثَّقِيلَةِ فَلَمْ يَرِدْ لَهَا شَوَاهِدٌ فِي الْخُطَبِ.

وَيُبَيِّنُ الْجَدُولُ الْآتِي تَرَكَيبَ التَّوَكِيدِ الْوَارِدَةَ فِي كِتَابِ خُطَبِ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الْأَكْثَرِ إِلَى الْأَقَلِّ اسْتِخْدَامًا:

(١) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣٠) فِي خُطْبِ الرَّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخُطِيبِ: ٢٠، وَخُطْبَةٌ (٢١٠): ١٠٧، وَخُطْبَةٌ (٣١٥): ١٥٩، وَخُطْبَةٌ (٤٢٨): ٢١٦، وَخُطْبَةٌ (٥٥٢): ٣٠١.

(٢) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣١): ٢٠-٢١، وَخُطْبَةٌ (٢١٠): ١٠٧-١٠٨ وَفِيهَا مَوْضِعَانِ، وَخُطْبَةٌ (٤٣٩): ٢٢٢-٢٢٤، وَخُطْبَةٌ (٥٦٤): ٣٠٨-٣٠٩.

(٣) بَلَغَ عَدَدُ تَرَكَيبِ التَّوَكِيدِ بِزِيَادَةِ كَلِمَةٍ مِنْ نَوْعِ التَّوَكِيدِ الْمَعْنَوِيِّ (سِتَّةً وَعِشْرِينَ) تَرْكِيبًا، وَمِنْ نَوْعِ التَّوَكِيدِ اللَّفْظِيِّ (خَمْسَةَ عَشَرَ) تَرْكِيبًا؛ فَيَكُونُ مَجْمُوعُ تَرَكَيبِ التَّوَكِيدِ بِزِيَادَةِ كَلِمَةٍ (وَاحِدًا وَأَرْبَعِينَ) تَرْكِيبًا. وَمِنْ شَوَاهِدِ التَّوَكِيدِ بِزِيَادَةِ كَلِمَةٍ مِنْ نَوْعِ التَّوَكِيدِ الْمَعْنَوِيِّ: خُطْبَةٌ رَقْمُ (١٨٠): ٩١، وَخُطْبَةٌ (٣٩٨): ١٩٩، وَخُطْبَةٌ (٤٣٨): ٢٢١-٢٢٢، وَخُطْبَةٌ (٥٣٥): ٢٨٥-٢٨٦، وَمِنْ شَوَاهِدِ التَّوَكِيدِ بِزِيَادَةِ كَلِمَةٍ مِنْ نَوْعِ التَّوَكِيدِ اللَّفْظِيِّ: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣٥): ٢٣، وَخُطْبَةٌ (٢٥٠): ١٢٦-١٢٧، وَخُطْبَةٌ (٤٧٢): ٢٤٦، وَخُطْبَةٌ (٥٣٠): ٢٧٩-٢٨١.

(٤) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٨): ١٩، وَخُطْبَةٌ (١١٨): ٦٤-٦٥، وَخُطْبَةٌ (٣١٦): ١٥٩-١٦٠، وَخُطْبَةٌ (٤٥٧): ٢٣٦-٢٣٧.

(٥) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٦٨): ٣٩-٤٠، وَخُطْبَةٌ (٣١١): ١٥٧، وَخُطْبَةٌ (٤١٨): ٢١١، وَخُطْبَةٌ (٥٣٣): ٢٨٤.

(٦) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (١): ٧، وَخُطْبَةٌ (١٧٣): ٨٩، وَخُطْبَةٌ (٣٢١): ١٦٣، وَخُطْبَةٌ (٥٠٢): ٢٦٠-٢٦١.

(٧) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٢): ٣٠، وَخُطْبَةٌ (١١١): ٦٠، وَخُطْبَةٌ (٢٣٧): ١٢١، وَخُطْبَةٌ (٤٥٨): ٢٣٧.

(٨) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤): ٨، وَخُطْبَةٌ (١٥٣): ٨٠، وَخُطْبَةٌ (٣٩٠): ١٩٥، وَخُطْبَةٌ (٥٤٣): ٢٩٣-٢٩٦.

(٩) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (١١٥): ٦١-٦٢، وَخُطْبَةٌ (٣٤٩): ١٧٧، وَخُطْبَةٌ (٤٢٧): ٢٢١، وَخُطْبَةٌ (٥٠٨): ٢٦٤.

(١٠) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٦): ٣٣، وَخُطْبَةٌ (١٩٧): ١٠٠، وَخُطْبَةٌ (٣٩٠): ١٩٥، وَخُطْبَةٌ (٥٣١): ٢٨١-٢٨٣.

(١١) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٨): ١٩، وَخُطْبَةٌ (١١٨): ٦٤-٦٥، وَخُطْبَةٌ (٤١٨): ٢١١، وَخُطْبَةٌ (٥٣٦): ٢٨٦.

(١٢) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥): ٩، وَخُطْبَةٌ (٢٧٦): ١٤٠، وَخُطْبَةٌ (٤٢٧): ٢١٥-٢١٦ وَفِيهَا مَوْضِعَانِ، وَخُطْبَةٌ (٥٦٧): ٣١٠.

م	تراكيب التوكيد	عدد الاستخدام
١	التوكيد بزيادة الحرف (إِنَّ)	٨١٣
٢	التوكيد بالترتيب "التقديم والتأخير"	٥٧٩
٣	التوكيد بزيادة الحرف (قَدْ)	٢١١
٤	التوكيد بزيادة الحرف (أَنَّ)	١٢٧
٥	التوكيد بالإشارة	٧٢
٦	التوكيد بزيادة الحرف (إِنَّمَا)	٥٧
٧	التوكيد بزيادة كلمة	٤١
٨	التوكيد بزيادة حرف (الَّام)	٣٩
٩	التوكيد بزيادة الحرف (ثُون التوكيد الثقيلة)	٢٩
١٠	التوكيد بزيادة الحرف (لَكِنَّ)	١٤
١١	التوكيد بزيادة الحرف (أَنَّ الْمُخَفَّفَةَ مِنَ الثَّقِيلَةِ)	١١
١٢	التوكيد بزيادة الحرف (بَلْ)	٧
١٣	التوكيد بزيادة الحرف (ثُون التوكيد الخفيفة)	—
١٤	التوكيد بزيادة الحرف (إِنَّ الْمُخَفَّفَةَ مِنَ الثَّقِيلَةِ)	—
	المجموع	٢٠٠٠

خامساً: عَرِّضْ لتراكيب التوكيد الواردة في كتابِ خُطْبِ الرسول ﷺ

١. تراكيب التوكيد بالترتيب "التقديم والتأخير" في كتابِ خُطْبِ الرسول ﷺ، وَمِنْ أمثلة ذلك:

أ. تقديم المفعول به على الفاعل: قال رسولُ الله ﷺ: "...، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَذَكَّرُونَ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَقَّنَتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ"^(١). والشواهد: (عَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ)، وَ(حَقَّنَتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ)، وَ(ذَكَرَهُمُ اللَّهُ). أَمَّا (نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ)، وَ(بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ)، وَ(لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) فهي مِنْ باب تقديم شبه الجملة على الفاعل.

^(١) خُطْبُ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٥٨، خُطْبَةُ رَقْمِ (٣١٣). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدِ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ: ٣٩٣/١٢، حَدِيثُ رَقْمِ (٧٤٢٧)، وَصَحِيحُ مُسْلِمَ، لِمُسْلِمَ، بَابُ فَضْلِ الْاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ: ٢٠٧٤/٤، حَدِيثُ رَقْمِ (٢٦٩٩).

ب. تقديم شبه الجملة على الفاعل أو المفعول؛ فَعَنْ يَزِيدَ بْنِ شَجَرَةَ قَالَ: خُطَبْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ "...، وَلَا تُحْزُوا الْحُورَ الْعَيْنِ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ قَطْرَةٍ تَنْضَخُ مِنْ دَمِهِ تُكَفِّرُ عَنْهُ كُلَّ شَيْءٍ عَمَلَهُ، وَتَنْزِلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ، ..." (١). والشاهد: (تُكَفِّرُ عَنْهُ كُلَّ شَيْءٍ عَمَلَهُ) حيثُ تقدمت شبه الجملة على المفعول، أما (تَنْزِلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَانِ) فتقدمت شبه الجملة على الفاعل.

٢. تراكيب التوكيد بالزيادة في كتابِ خُطْبِ الرسول ﷺ، ولها نوعان، وهُما:

أ. تراكيب التوكيد بزيادة مركب حرفي، وهي:

١. تركيب التوكيد بزيادة الحرف (إِنَّ)، وَمِنْ أمثلة ذلك:

عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: شَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فُحُوطَ الْمَطَرِ، فَأَمَرَ بِمَنْبَرٍ، فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمُصَلَّى، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَدَأَ حَاجِبُ الشَّمْسِ؛ فَقَعَدَ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَكَبَّرَ ﷻ وَحَمِدَ اللَّهَ ﷻ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّكُمْ شَكُوتُمْ جَدَبَ دِيَارِكُمْ، وَاسْتِخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، ..." (٢).

٢. تركيب التوكيد بزيادة الحرف (أَنَّ)، وَمِنْ أمثلة ذلك:

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا بِغَدِيرِ خُمٍّ، فَنُودِيَ فِينَا: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، وَكُسِحَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَتَيْنِ، فَصَلَّى الظُّهْرَ، وَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ ﷺ، فَقَالَ: "أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟"، قَالُوا: بَلَى، ... (٣).

٣. تركيب التوكيد بزيادة الحرف (أَنَّ) الْمُخَفَّفَةَ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَمِنْ أمثلة ذلك:

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، ... ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ،

(١) خُطْبُ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٩، خُطْبَةُ رَقْم (٢٨). وأصل الحديث في: المعجم الكبير، للطبراني، حديثُ يَزِيدَ بْنِ شَجَرَةَ: ٢٤٦/٢٢، حديث رقم (٦٤١)، والبعث والنشور، للبيهقي: ٣١١، حديث رقم (٥٦٢).

(٢) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٣٠٠، حاشية (٤)، وهي خُطْبَةُ رَقْم (٩١).

(٣) خُطْبُ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٦٠، خُطْبَةُ رَقْم (٥٠٠). وأصل الحديث في: مسند أحمد، لأحمد بن حنبل، حديث البراء بن عازب: ٤٣٠/٣٠، حديث رقم (١٨٤٧٩)، والسُّنَنُ الْكُبْرَى، لِلنَّسَائِيِّ، التَّرْغِيبُ فِي مَوَالَاةِ عَلِيٍّ ﷺ، وَالتَّرْهِيْبُ فِي مُعَادَاةِهِ: ٤٤٢/٧، حديث رقم (٨٤٢٤).

وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، ...^(١). والشاهد: (تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

٤. تركيب التوكيد بزيادة الحرف (إِنَّمَا)، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ:

لَمَّا خَطَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ ابْنَةَ أَبِي جَهْلٍ، قَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَقَالَ: "...، إِنَّمَا هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي، يَرِيْبُنِي مَا رَابَهَا، وَيُؤْذِنِي مَا آذَاهَا، ..."^(٢).

٥. تركيب التوكيد بزيادة الحرف (لَكِنَّ)، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ:

عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى بِالنَّاسِ، ... ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: "إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﷻ، ..."^(٣).

٦. تركيب التوكيد بزيادة الحرف (بَلْ)، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُجَّاجًا، لَا نُرِيدُ إِلَّا الْحَجَّ، وَلَا نَنْوِي غَيْرَهُ، ...؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَامَ خَطِيبًا، فَقَالَ: أَلَا إِنَّ الْعُمْرَةَ قَدْ دَخَلَتْ فِي الْحَجِّ، وَلَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُفِتُ الْهَدْيِ، وَلَوْلَا الْهَدْيُ لَأَخْلَلْتُ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلَّ"، فَقَامَ سِرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ جُعْشُمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَبَرْنَا خَبَرَ قَوْمٍ كَأَنَّمَا وَلِدُوا الْيَوْمَ، أَلْعَامِنَا هَذَا أَمْ لِلْأَبْدِ؟ قَالَ: "لَا، بَلْ لِلْأَبْدِ، ..."^(٤).

٧. تركيب التوكيد بزيادة حرف (اللام)، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ:

عَنْ عَمْرِو بْنِ تَغْلِبٍ قَالَ: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَالٍ، أَوْ شَيْءٍ فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَى رِجَالًا، وَتَرَكَ آخَرِينَ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَهُمْ عَتَبُوا عَلَيْهِ؛ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ

^(١) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٦٣، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣٢١). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ مَعْرِفَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْقَدَرِ وَعِلَامَةِ السَّاعَةِ: ٣٦/١، حَدِيثٌ رَقْمُ (٨).

^(٢) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٦٢، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٠٥). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ الْمَشُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ: ٢٢٧/٣١-٢٢٨، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٨٩١٢)، وَسَنَنُ ابْنِ مَاجَةَ، لِابْنِ مَاجَةَ، بَابُ الْغَيْرَةِ: ٦٤٤/١، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٩٩٩).

^(٣) سَبَقَ تَخْرِيجَ الْحَدِيثِ، ص: ٣٠١، حَاشِيَةُ (٢)، وَهِيَ خُطْبَةٌ رَقْمُ (٩٢).

^(٤) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٦١-٦٢، خُطْبَةٌ رَقْمُ (١١٥). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: ٢٠١-٢٠٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٤٩٤٢)، وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ حُجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ: ٨٨٦/٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٢١٨).

وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "وَاللَّهِ، إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَأَدْعُ الرَّجُلَ، وَإِنَّ الَّذِي أَدْعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، ..." ^(١).

٨. تركيب التوكيد بزيادة الحرف (قَدْ)، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "...، وَمَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِظُلْمٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﷻ" ^(٢).

٩. تركيب التوكيد بزيادة الحرف (ثَوْنُ التوكيد الثقيلة)، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُمَا سَمِعَا النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عَلَى أَعْوَادِهِ: "لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ" ^(٣).

ب. تراكيب التوكيد بزيادة كلمة معينة، ولها نوعان، وهُما:

١. التوكيد بزيادة كلمة (التوكيد المعنوي)، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ:

عَنْ عَلِيٍّ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: "الْأَمْرَاءُ مِنَ فُرَيْشٍ ثَلَاثًا مَا فَعَلُوا ثَلَاثًا: مَا حَكَمُوا فَعَدَلُوا، وَاسْتَرْجِمُوا فَرَحِمُوا، وَعَاهَدُوا فَوَفُوا، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" ^(٤).

٢. التوكيد بزيادة كلمة (التوكيد اللفظي)، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ؓ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: "﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ ^(٥)، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ" ^(١).

^(١) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٠٠، خُطْبَةٌ رَقْمُ (١٩٧). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَبِي إِسْحَاقَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ؓ: ١٤٤/٣، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٥٧٩)، وَصَحِيحُ مُسْلِمَ، لِمُسْلِمَ، بَابُ تَأَلَّفِ قَلْبٍ مَنْ يَخَافُ عَلَى إِيْمَانِهِ لَضَعْفِهِ: ١٣٢/١، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٥٠).

^(٢) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٧، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٦). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ، لِأَبِي دَاوُدَ، بَابُ فِيمَنْ يُعِينُ عَلَى خُصُومَةٍ مَنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ أَمْرَهَا: ٣٠٥/٣، حَدِيثٌ رَقْمُ (٣٥٩٨).

^(٣) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٤٢، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٧٦). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحُ مُسْلِمَ، لِمُسْلِمَ، بَابُ التَّغْلِيظِ فِي تَرْكِ الْجُمُعَةِ: ٥٩١/٢، حَدِيثٌ رَقْمُ (٨٦٥).

^(٤) خُطِبَ الرَّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٦٥، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٠٩). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ: ٢٦/٣٣، حَدِيثٌ رَقْمُ (١٩٧٨٢).

^(٥) سُورَةُ الْأَنْفَالِ: ٦٠.

ت. تراكيب التوكيد بالإشارة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ، وَمِنْ أَمْثَلَةِ ذَلِكَ:

١. رُوِيَ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَ الْحِجْرَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ قَامَ فَخَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَسْأَلُوا نَبِيَّكُمْ عَنِ الْآيَاتِ، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ صَالِحٌ سَأَلُوا نَبِيَّهُمْ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ لَهُمْ آيَةً، فَبَعَثَ اللَّهُ لَهُمُ النَّاقَةَ، ..." ^(٢). والشاهد: (هَؤُلَاءِ قَوْمٌ صَالِحٌ سَأَلُوا نَبِيَّهُمْ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ لَهُمْ آيَةً).
٢. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ" ^(٣). والشاهد: (إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ).

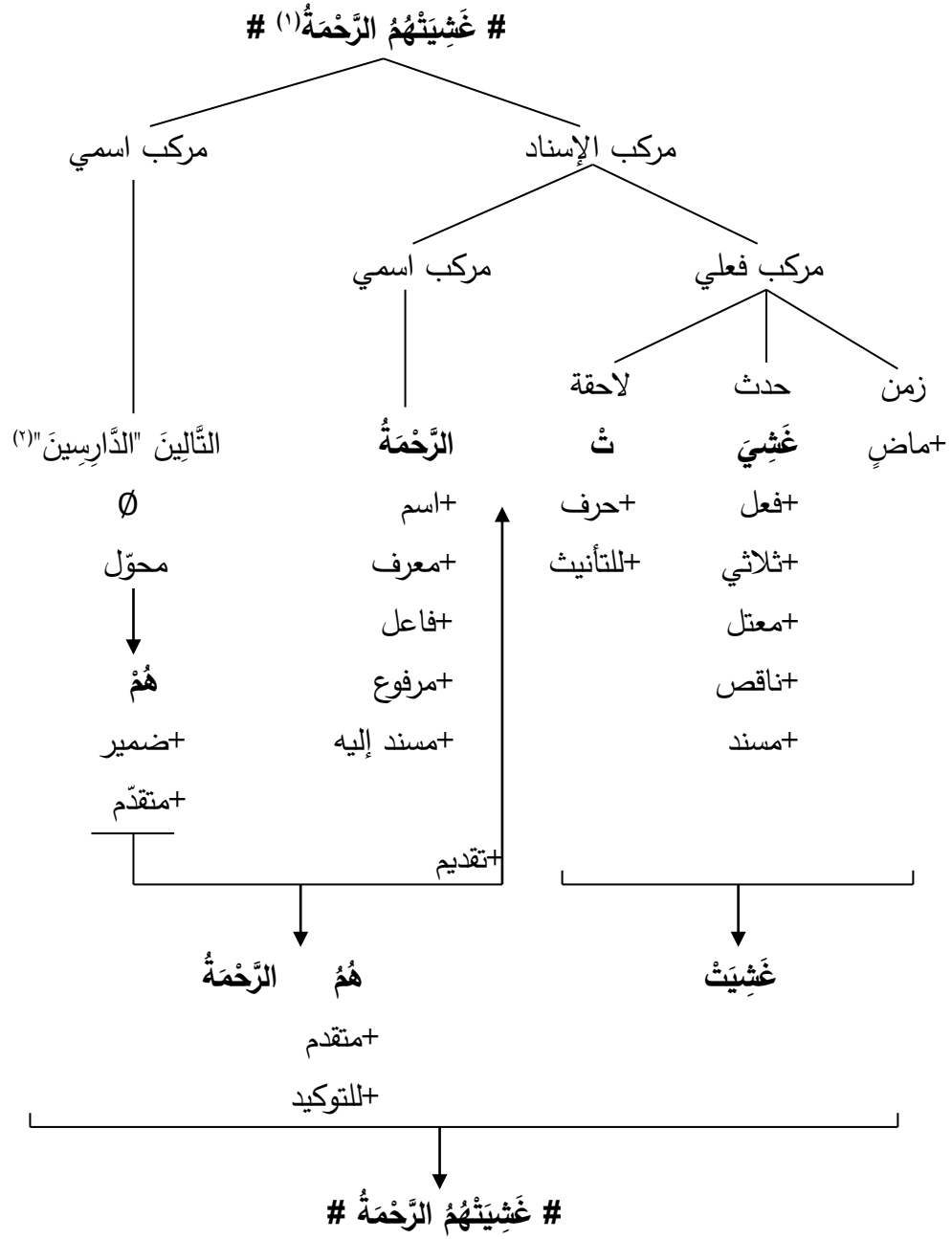
سادسًا: نماذج تحليلية لتراكيب التوكيد الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ

١. نموذج تحليلي لتراكيب التوكيد بالتقديم:

^(١) خُطَبُ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٣، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣٥). وأصل الحديث في: مسند أحمد، لأحمد بن حنبل، حَدِيثُ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ: ٦٤٢/٢٨-٦٤٣، حديث رقم (١٧٤٣٢)، وصحيح مسلم، لمسلم، باب فضل الرمي والحث عليه: ١٥٢٢/٣، حديث رقم (١٩١٧).

^(٢) خُطَبُ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٨، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٤). وأصل الحديث في: صحيح ابن حبان، لابن حبان، ذِكْرُ السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ اسْتَحَقَّ قَوْمٌ صَالِحِ الْعَذَابِ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ٧٧/١٤، حديث رقم (٦١٩٧)، والمعجم الأوسط، للطبراني، مِنْ اسْمِهِ مُقَدِّمًا: ٣٧/٩، حديث رقم (٩٠٦٩).

^(٣) خُطَبُ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٢٧-١٢٨، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٢٥١). وأصل الحديث في: صحيح البخاري، للبخاري، باب الدِّينِ يُسْرٌ: ١٦/١، حديث رقم (٣٩)، والسُّنَنُ الصُّغْرَى، للنسائي، كِتَابُ الْإِيمَانِ وَشَرَائِعِهِ: الدِّينُ يُسْرٌ: ١٢١/٨، حديث رقم (٥٠٣٤).



(١) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٥١٤، حاشية (١)، وهي خطبة رقم (٣١٣).

(٢) يُفْهَمُ ذلك من الحديث: "وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَذَكَّرُونَ بِهِ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ،..."

نَحَوِّلُ تركيب التوكيد السابق من البنية العميقة: (غَشِيَتِ الرَّحْمَةُ التَّالِيْنَ) إلى البنية السطحية: (غَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ) عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الإحلال والتعويض:

أ. حَلَّ الضمير المتصل (هُم) في: (غَشِيَتْهُمُ) محلَّ المركب الاسمي الثاني: الاسم الظاهر (التَّالِيْنَ).

ب. حَلَّ الإخبار المؤكَّد محلَّ الإخبار المُحْتَمِل للشك.

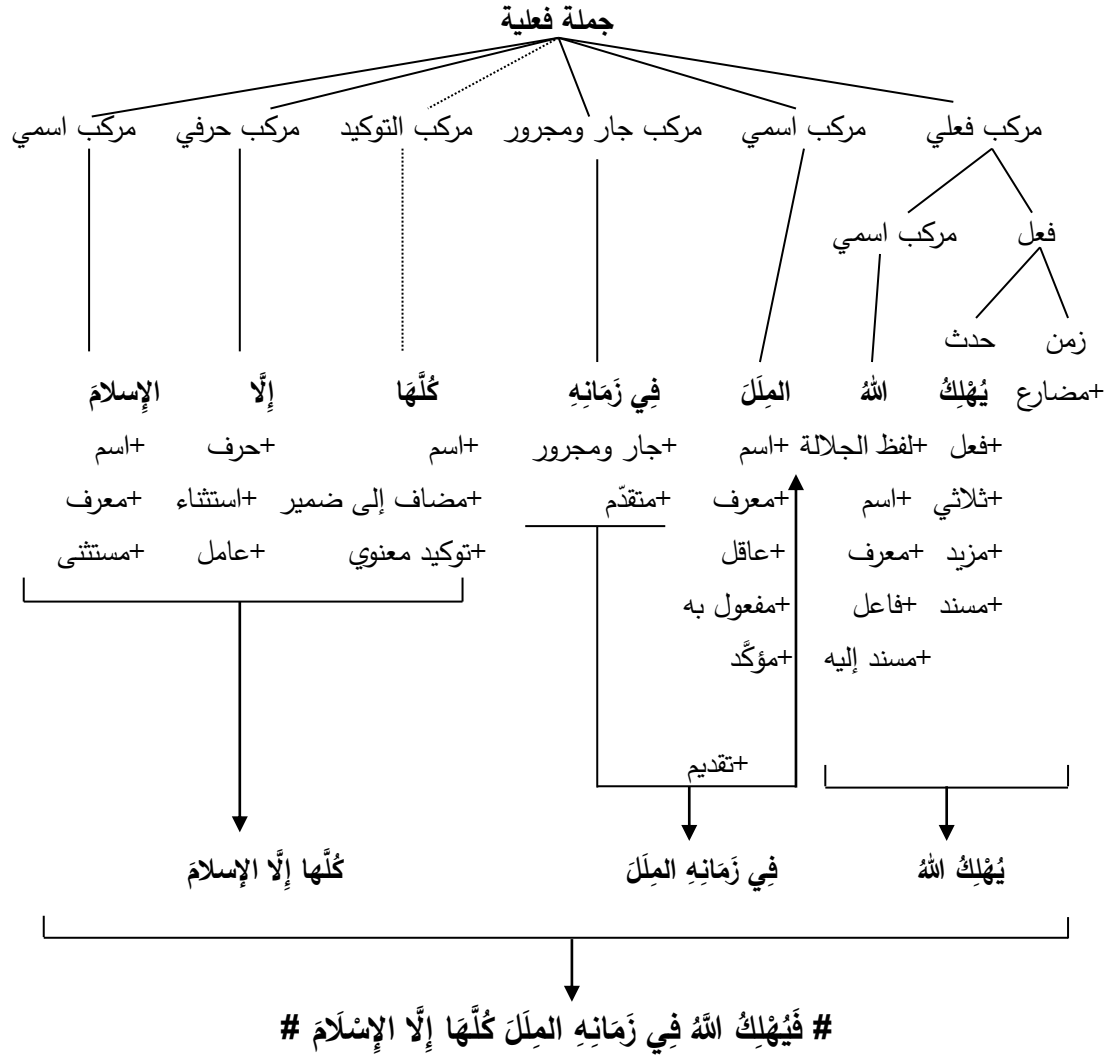
٢. التقديم:

تَقَدَّمَ الضمير المتصل (هُم) الواقع مفعولًا به عَلَى المركب الاسمي الأول (الرَّحْمَةُ) الواقع فاعلاً؛ لإفادة توكيد الجملة؛ فأصبح التركيب: (غَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ).

٢. نموذج تحليلي لتركيب التوكيد بزيادة كلمة:

قال رسول الله ﷺ في حديثه عن عيسى عليه السلام: "...؛ فَيَذُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَصْعُقُ الْجَرِيَّةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَلَائِكَةَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، ..."(١).

فَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَلَائِكَةَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ



(١) خُطِبَ الرِّسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٨٥-٢٨٦، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٣٥). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدُ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ١٥٣/١٥-١٥٤، حَدِيثُ رَقْمُ (٩٢٧٠)، وَسَنَنُ أَبِي دَاوُدَ، لِأَبِي دَاوُدَ، بَابُ خُرُوجِ الدَّجَالِ: ١١٧/٤، حَدِيثُ رَقْمُ (٤٣٢٤).

تَحَوَّلَ تركيب التوكيد السابق من البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. التقديم:

تَقَدَّمَ مركب الجار والمجرور (فِي زَمَانِهِ) عَلَى المركب الاسمي الثاني (الْمَلَلِ) الواقع مفعولاً به؛ لإفادة توكيد الجملة؛ فأصبح التركيب: (فَيُهِلُّكَ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَلَلِ).

٢. الإضافة والزيادة:

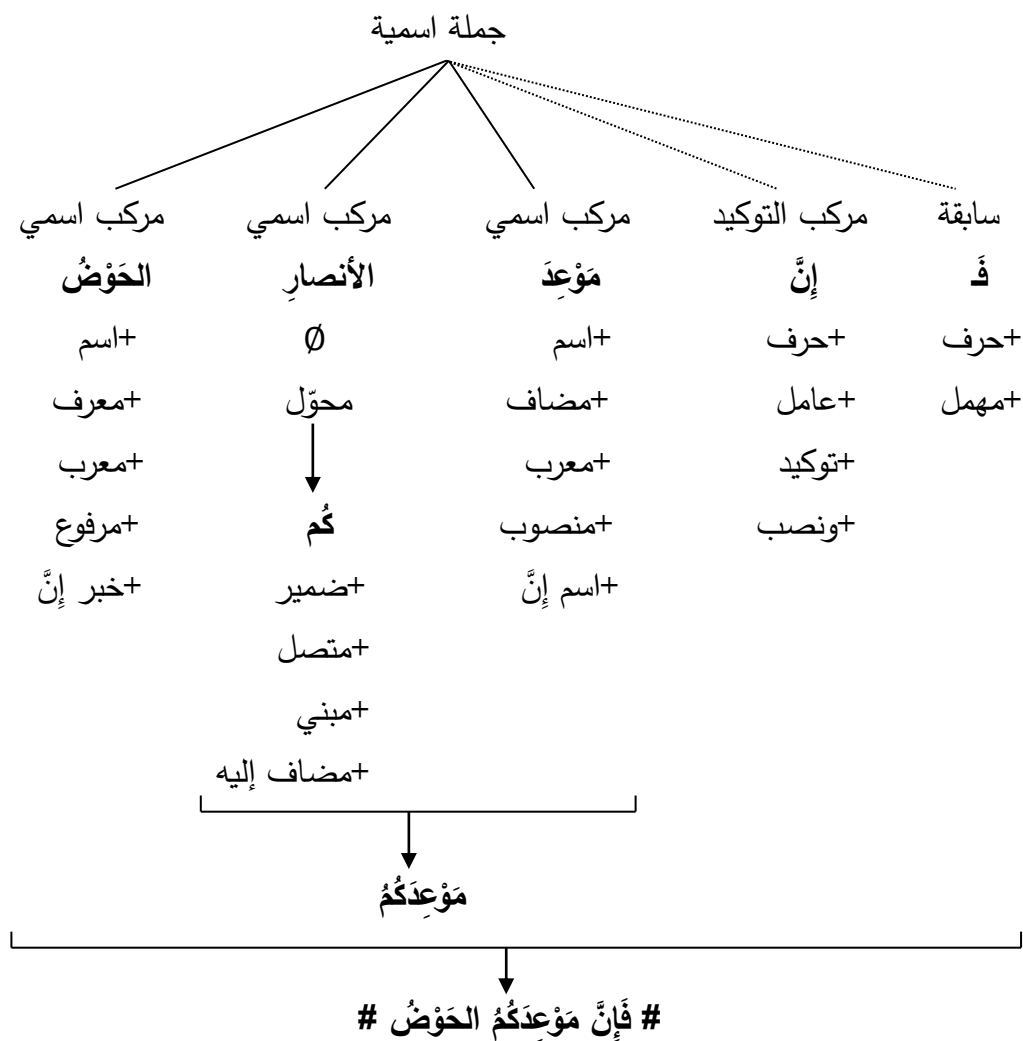
تَمَّ زيادة مركب التوكيد (كُلَّهَا) على المركب الاسمي الثاني (الْمَلَلِ)؛ لإفادة الإخبار المؤكّد بعد أنْ كانت الجملة تفيد الإخبار غير المؤكّد.

٣. نموذج تحليلي لتركيب التوكيد بزيادة حرف:

أ. تركيب التوكيد بزيادة الحرف (إِنَّ):

قال النبي ﷺ في خُطْبَةٍ يَمْدَحُ الْأَنْصَارَ: "...، فَسَتَرُونَ بَعْدِي أَثَرَهُ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَأْتِيَ الْوَعْدَ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ، ..." (١).

فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ



(١) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٢٥٦، حاشية (٣)، وهي خُطبة رقم (٥٥).

تَحَوَّلَ تركيب التوكيد السابق من البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الزيادة والإضافة:

تَمَّ زيادة المركب الحرفي (إِنَّ)؛ ليفيد التوكيد.

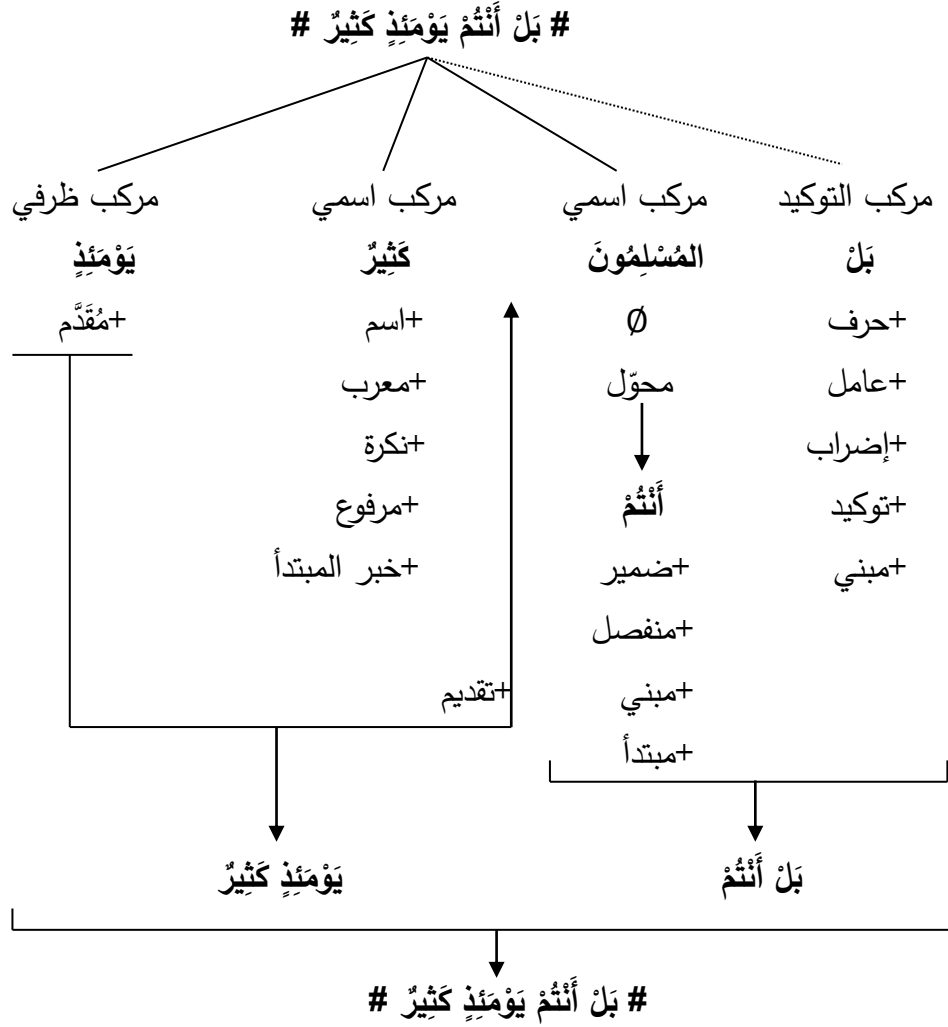
٢. الإحلال والتعويض:

أ. حَلَّ الضمير المتصل (كُم) في: (مَوْعِدَكُم) محلَّ المركب الاسمي الثاني: الاسم الظاهر (الأنصار).

ب. حَلَّ الإخبار المؤكَّد محلَّ الإخبار المُحْتَمَل للشك.

ب. تركيب التوكيد بزيادة الحرف (بَلْ):

قال رسول الله ﷺ: "يُوشِكُ الْأَمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا" فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قَلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: "بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُتَاءٌ كَغُتَاءِ السَّيْلِ، ..."^(١).



^(١) خُطِبَ الرَسُولُ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢١٥-٢١٦، خُطْبَةٌ رَقْمُ (٤٢٧). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مَسْنَدِ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، مَسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ: ٣٣١/١٤-٣٣٢، حَدِيثُ رَقْمِ (٨٧١٣)، وَسَنَنُ أَبِي دَاوُدَ، لِأَبِي دَاوُدَ، بَابٌ فِي تَدَاعَى الْأَمَمِ عَلَى الْإِسْلَامِ: ١١١/٤، حَدِيثُ رَقْمِ (٤٢٩٧).

تَحَوَّلَ تركيب التوكيد السابق من البنية العميقة إلى البنية السطحية عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الزيادة والإضافة:

تَمَّ زيادة المركب الحرفي (بَلْ)؛ ليفيد التوكيد.

٢. الإحلال والتعويض:

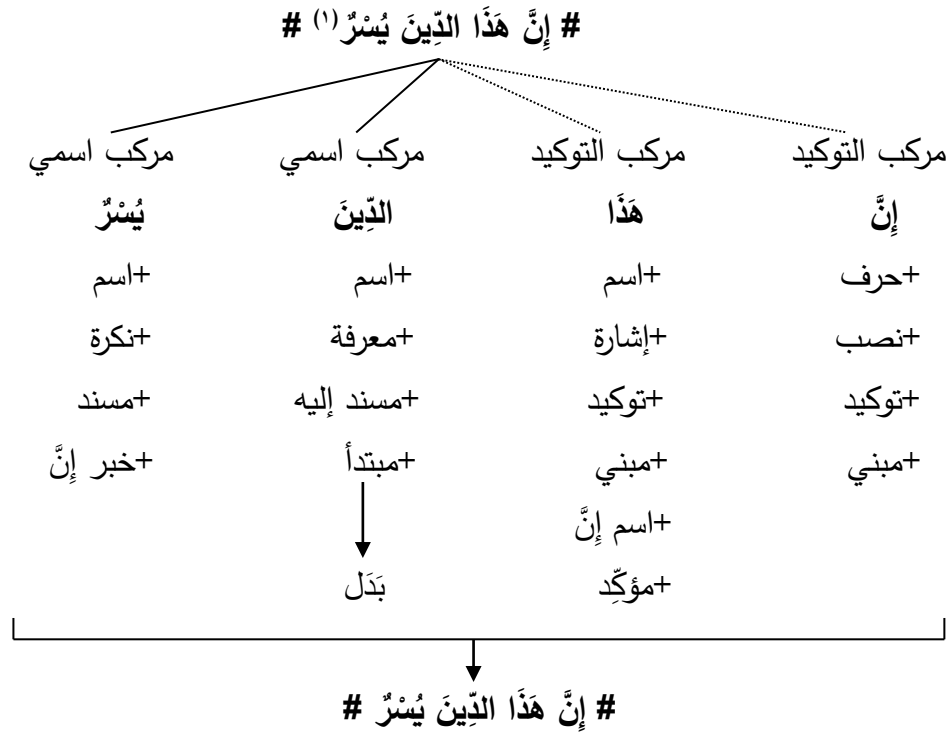
أ. حَلَّ الضمير المتصل (أَنْتُمْ) محلَّ المركب الاسمي الأول: الاسم الظاهر (المُسْلِمُونَ).

ب. حَلَّ الإخبار المؤكَّد محلَّ الإخبار المُحْتَمَل للشك.

٣. التقديم:

تَقَدَّمَ المركب الظرفي (يَوْمَئِذٍ) عَلَى المركب الاسمي الثاني (كَثِيرٌ) الواقع خبرًا للمبتدأ؛ لإفادة توكيد الجملة؛ فأصبح التركيب: (بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ).

٤. نموذج تحليلي لتركيب التوكيد بالإشارة:



تَحَوَّلَ تركيب التوكيد السابق من البنية العميقة (الَّذِي يُسَرُّ) إلى البنية السطحية (إِنَّ هَذَا الَّذِي يُسَرُّ) عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الزيادة والإضافة:

- أ. زَيْدَ المركب الحرفي (إِنَّ)؛ لإفادة مدلول التوكيد.
- ب. تَمَّتْ زيادة مركب الإشارة (هذا) على الجملة الاسمية (الَّذِي يُسَرُّ)؛ لإفادة معنى التأكيد على الخبر.

٢. الإحلال والتعويض:

- أ. حَلَّ مركب الإشارة (هذا) في موقع اسمِ إِنَّ، وتحوَّل المبتدأ (الَّذِي) إلى موقع البدل.
- ب. تَحَوَّلَتِ الجملة مِنَ الإخبار غير المؤكد إلى الإخبار المؤكد؛ أي: حَلَّ الإخبار المؤكد محلَّ الإخبار المُحْتَمَل للشك؛ وذلك بعد إضافة عنصر التوكيد وهو الإشارة، وعنصر التوكيد (إِنَّ).

(١) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٥١٨، حاشية (٣)، وهي خُطبة رقم (٢٥١).

المبحث الرابع

تركيب التعليل

أولاً: التعليل لغةً واصطلاحاً

التعليل لغةً: وردت لفظة (التعليل) في اللغة على أوجه، وأشهرها:

أ. التفسير وإيراد السبب بالبرهان:

جاء في معاني العلة أنها السبب؛ فيقال: علل الأمر تعليلًا؛ أي: فسره وبين سببه وعلة، وأثبتته بالبرهان والدليل^(١).

ب. فعل الشيء مرة بعد أخرى:

قال الجوهري: "العلل: الشرب الثاني، يقال: علل بعد نهل، وعلله يعلله ويعله، إذا سقاه السقية الثانية، والتعليل: سقي بعد سقي، وجني الثمرة مرة بعد أخرى. والعللة: المرض. واعتل: أي: مرض؛ فهو عليل"^(٢).

ت. الإشغال والتلهية:

يقال: علله بالشيء تعليلًا؛ أي: شغله به ولهاه، كما يعلل الصبي شيء من الطعام يتجأ به عن اللبن^(٣)؛ فالعلة حدث يشغل صاحبه عن وجهه، كأن تلك العلة صارت شغلًا ثانيًا منعه شغله الأول^(٤).

وعلل المعنى الأول (التفسير وإيراد السبب) هو الأقرب إلى المعنى الاصطلاحي؛ لأنه يتعلق بتفسير السبب والعلة.

التعليل اصطلاحاً:

هو "إظهار علة الشيء"^(٥)، والعلة: "هي ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً مؤثراً فيه"^(٦).

(١) انظر: اتفاق المباني وافتراق المعاني، للدقيقي: ١١٢ (شجرة العين)، والكليات، للكفوي: ٦٢١ (فصل

العين)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر: ١٥٤٠/٢ (علل).

(٢) الصحاح، للجوهري: ١٧٧٣ (علل).

(٣) انظر: مختار الصحاح، للرازي: ٢١٦ (علل)، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي: ١٠٣٥ (باب اللام، فصل العين).

(٤) الصحاح، للجوهري: ١٧٧٣ (علل).

(٥) التعريفات، للشريف الجرجاني: ٦١.

(٦) السابق: ١٥٤.

والتعليلُ النَّحْوِيُّ - في عمومِهِ - هُوَ: "تفسير الظاهرة اللُّغوية، والنفوذ إلى ما وراءها، وشرح الأسباب التي جعلتها على ما هي عليه، كتعليل النحويين لدخول التنوين الأسماء، وامتناع دخولهِ الأفعال"^(١). فالتعليلُ في النحو: إيرادُ لِسَبَبِ الظاهرة اللُّغوية، وتفسيرِ لها، والكشف عن مُرادِها، كَعِلَّةِ الاستغناء، وعِلَّةِ المُجاورة، وعِلَّةِ الاستتقال، ...

أَمَّا التعليل الذي ننشده في هذه الدراسة فهو كُلُّ تركيبٍ -اسمًا كانَ أو فعلًا أو حرفًا- يُبَيِّنُ سَبَبَ ما قَبْلَهُ؛ أي: ما يُسْتَدَلُّ بِهِ مِنَ الْعِلَّةِ عَلَى الْمَعْلُولِ، أو يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الْمُسَبَّبِ بِالسَّبَبِ^(٢)؛ فَكُلُّ سَبَبٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُسَبَّبٍ، فَقَوْلُكَ: (صَلَّيْتُ طَلَبًا لِرَحْمَةِ اللَّهِ) فَاَلْمَصْدَرُ (طَلَبًا) مُبَيِّنٌ لِلتَّعْلِيلِ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: صَلَّيْتُ لِأَجْلِ الرَّحْمَةِ.

وَلَا مَعْلُولٌ إِلَّا مِنْ عِلَّةٍ ظَاهِرَةٍ أَوْ مَقْدَرَةٍ؛ فَعِلَّةُ نَصْبِ الْفِعْلِ (تَجْتَهَدُ) فِي: (أَنْ تَجْتَهَدَ خَيْرٌ لَكَ) هِيَ دُخُولُ (أَنْ)، وَعِلَّةُ نَصْبِ الْفِعْلِ (يَحِلُّ) فِي: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾^(٣) هِيَ دُخُولُ (أَنْ) الْمُضْمَرَةِ بَعْدَ فَاءِ السَّبَبِيَّةِ.

أَمَّا فَائِدَةُ التَّعْلِيلِ فَهِيَ "التَّقْرِيرُ وَالْأَبْلَغِيَّةُ؛ فَإِنَّ النُّفُوسَ أُنْبَعَثُ عَلَى قَبُولِ الْأَحْكَامِ الْمُعَلَّلَةِ مِنْ غَيْرِهَا، وَغَالِبُ التَّعْلِيلِ فِي الْقُرْآنِ عَلَى تَقْدِيرِ جَوَابِ سُؤَالِ اقْتِصَاصِ الْجُمْلَةِ الْأُولَى"^(٤)؛ فَاهَمُّ فَائِدَةُ لِلتَّعْلِيلِ هِيَ التَّقْرِيرُ وَالتَّأْكِيدُ وَتَقْوِيَةُ الْحُكْمِ فِي ذَهْنِ الْمَخَاطَبِ؛ لِأَنَّ هَذَا أُبْلَغُ فِي قَبُولِ الْحُكْمِ الْمُعَلَّلِ مِنْ غَيْرِهِ.

(١) أصول النحو العربي، د. محمد خير الحلواني: ١٠٨.

(٢) انظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لِلتَّهَانَوِيِّ: ٤٨٩، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د.

أحمد مختار عُمَر: ١٥٤٠/٢ (عَلَّل).

(٣) سورة طه: ٨١.

(٤) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي: ٢٥٥/٣.

ثانيًا: أنواع التعليل في العربية

تَعَدَّدَتْ أنواعُ التعليلِ وَصُورُهُ في العربية^(١)، وسَأُرَكِّزُ على نوعين منها^(٢)، وهي:

١. تركيب التعليل بالاسم، وسأتناول منه: المَصْدَر "المفعول لهُ".

٢. تركيب التعليل بالحرف، وسأتناول منه:

أ. لام التعليل السابقة للفعل المضارع.

ب. اللام الجارة.

ت. كي.

ث. من.

ج. الباء.

ح. في.

وهذا عَرَضٌ مُوجَزٌ لِصُورِ التعليل السابقة:

١. التعليل بالاسم: المَصْدَر "المفعول لهُ"

المقصود بالمَصْدَر -هنا- المفعول لهُ، ويُسمى المفعول لأجله، وهو المَصْدَرُ القَلْبِيُّ الْمُفْهَمُ عِلَّةً، المُشَارِكُ لِعاملِهِ في الوَقْتِ والفاعلِ^(٣)، مثل: (وَقَفْتُ لِأبي احْتِرَامًا)، فاحترامًا: مصدر، وهذا المصدر مُبَيَّنٌ للتعليل؛ لأن المعنى: وَقَفْتُ لِأجلِ الاحترامِ، وَيَتَّحِدُ هذا المصدر مع عامله (وَقَفْتُ) في الوقت والفاعل؛ فَرَمَنْ الوقوف والاحترام واحدٌ، وفاعلُهما واحدٌ وهو (الضمير: تاء المُتَكَلِّمِ)، وهو فاعِلُ الاحترام. ويتضح -مِمَّا سَبَقَ- أَنَّ للمفعول له شروطًا ثلاثة، وهي^(٤):

(١) انظر مثلاً: أصول النحو العربي، د. محمد خير الحلواني. ونظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمُحدثين، د. حسن خميس سعيد الملح. والتعليل النحوي عند النحاة اصطلاحًا واستعمالًا وتطبيقًا (بحث مُحَكَّم)، د. يحيى القاسم، مجلة جامعة تشرين.

(٢) مِنَ الأنواع (التعليل بالفعل): فَقَدْ يَأْتِي الفعل في الجملة مُبَيَّنًا عِلَّةً ما قَبْلَهُ؛ فتتضمن الجملة الفعلية بيانًا لِسَبَبٍ ما قَبْلَهَا، كقول النبي ﷺ: "لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" (صحيح البخاري، للبخاري: ٨٨/٢، حديث رقم ١٣٣٠، وصحيح مسلم، لمسلم: ٣٧٦/١، حديث رقم ٥٢٩)؛ فَعِلَّةُ لَعْنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى هي اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، فالفعل أو الجملة الفعلية (اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ) بيانٌ لِسَبَبٍ ما قَبْلَهَا وهو (اللَّعْنُ).

(٣) شرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ١٨٦/٢، وانظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، لإبرهان الدين إبراهيم: ٣٦٤/١، وشرح المَكُودِي على الألفية، للمكودي: ١١٧، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٤٨٠/١.

(٤) انظر: شرح ابن الناظم على الألفية، لابن الناظم: ١٩٨، وتوضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ٦٥٤/٢، وشرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ١٨٦/٢.

أ. أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا.

ب. إِبَانَتُهُ عَنِ التَّعْلِيلِ.

ت. اتِحَادُهُ مَعَ عَامِلِهِ فِي الْوَقْتِ وَالْفَاعِلِ.

وَحُكْمُ الْمَفْعُولِ لَهُ - إِنْ تَوَفَّرَتْ فِيهِ الشُّرُوطُ الثَّلَاثَةُ السَّابِقَةُ - جَوَازُ النِّصْبِ؛ فَإِنْ فُقِدَ شَرْطٌ مِنْهَا وَجِبَ جَرُّهُ بِلَامِ التَّعْلِيلِ، نَحْوُ: (زُرْتُكَ الْيَوْمَ لِلْإِكْرَامِ عَدًّا) فَجَرَّ الْمَصْدَرُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَّحِدْ مَعَ عَامِلِهِ فِي الْوَقْتِ "الزَّمَنَ". وَنَحْوُ: (جِئْتُكَ لِلسَّمَنِ وَالْعَسَلِ) فَقَدْ خَلَّتْ كَلِمَةُ (السَّمَنِ) مِنَ الْمَصْدَرِيَّةِ؛ فَتَعَيَّنَ جَرُّهَا بِاللَّامِ^(١).

أَمَّا أَحْوَالُ الْمَفْعُولِ لَهُ - الْمُسْتَكْمِلِ لِلشُّرُوطِ السَّابِقَةِ - فَثَلَاثَةٌ، وَهِيَ^(٢):

أ. أَنْ يَكُونَ مُجَرَّدًا عَنِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ وَالْإِضَافَةِ، وَيَجُوزُ فِيهِ النِّصْبُ وَالْجَرُّ، مَعَ كَوْنِ النِّصْبِ أَكْثَرَ، وَمِثَالُ النِّصْبِ: (وَقَفْتُ لِأَبِي اخْتِرَامًا)، وَمِثَالُ الْجَرِّ: (وَقَفْتُ لِأَبِي لِاخْتِرَامٍ).

ب. أَنْ يَكُونَ مُحَلَّى بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ، وَيَجُوزُ فِيهِ النِّصْبُ وَالْجَرُّ، لَكِنْ الْجَرُّ أَكْثَرَ، وَمِثَالُ الْجَرِّ: (وَقَفْتُ لِأَبِي لِاخْتِرَامٍ)، وَمِثَالُ النِّصْبِ: (وَقَفْتُ لِأَبِي الْاخْتِرَامَ).

ت. أَنْ يَكُونَ مُضَافًا، وَيَجُوزُ فِيهِ النِّصْبُ وَالْجَرُّ عَلَى السَّوَاءِ، وَمِثَالُ النِّصْبِ: (وَقَفْتُ لِأَبِي اخْتِرَامَهُ)، وَمِثَالُ الْجَرِّ: (وَقَفْتُ لِأَبِي لِاخْتِرَامِهِ). وَمِنْ شَوَاهِدِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي حَالَةِ النَّصْبِ: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾^(٣).

٢. التَّعْلِيلُ بِالْحَرْفِ:

أ. لَامُ التَّعْلِيلِ السَّابِقَةُ لِلْفِعْلِ الْمَضَارِعِ:

تَدْخُلُ لَامُ التَّعْلِيلِ عَلَى الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ، وَقَدْ عَدَّهَا الْبَصَرِيُّونَ حَرْفَ جَرٍّ نَاصِبًا لِلْمَضَارِعِ بِإِضْمَارِ (أَنْ)، وَعَدَّهَا الْكُوفِيُّونَ نَاصِبَةً لِلْمَضَارِعِ بِنَفْسِهَا مِنْ غَيْرِ تَقْدِيرِ

^(١) انظر: شرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ١٨٦/٢، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٤٨١/١-٤٨٢.

^(٢) انظر: تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة "شرح ألفية ابن مالك"، لابن الوردي: ٢٩٧/١-٣٠٠، وشرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ١٨٧/٢، والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للشاطبي: ٢٦٩/٣-٢٧٣، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٤٨٣/١-٤٨٤.

^(٣) سورة البقرة: ١٩.

(أَنْ) ^(١)، قال سيبويه: "باب الحروف التي تُضمَرُ فيها (أَنْ): وذلك (اللام) التي في قولك: (جِئْتُكَ لِتَفْعَلَ)" ^(٢)، وَسُمِّيَتْ بلامِ التعليل؛ لأنَّ ما بعدها عِلَّةٌ لِمَا قَبْلَهَا ^(٣). وقال -عنها- المرادي: "هي عند البصريين لام جرّ، والناصب (أَنْ) مضمرة بعدها، وهو الصحيح لثبوت الجر بها في الأسماء، وَقَدْ أَمَكَّنَ إِبْقَاؤها جَارَةً بتقدير (أَنْ)؛ لأنَّ المصدرَ المُنسَبَكَ مِنْ (أَنْ) المُقَدَّرَةِ والفعلِ مجرورٌ بها. وأيضًا فَظْهُورُ (أَنْ) بَعْدَ هذه اللام في بعض المواضع مُوضِحٌ لِمَا ادَّعِيَ مِنَ الإضمار" ^(٤). وَصَرَّحَ بذلك ابنُ هشامٍ وأَيَّدَهُ فقال: "وانتصاب الفعل بعدها بِ(أَنْ) مُضمرة بِعَيْنِهَا وَفَاقًا لِلْجُمْهُورِ" ^(٥)، وَمِنْ أَمَثَلِهَا قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ ^(٦)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ ^(٧). وأشار النحاة إلى أَنَّ لام التعليل تحمل معنى (كَيْ) ^(٨)؛ ففي قولك: (دَهَبْتُ لِلْمَسْجِدِ لِأَنَّا مَغْفِرَةٌ لِلَّهِ) يكون التقدير: لِكَيْ أَنَّا مَغْفِرَةٌ لِلَّهِ. وَسَمَّاها بعضهم (لام كَيْ)؛ لِإِفَادَتِهَا معنى (كَيْ) وَلِصِلَاحِيَةِ دَخُولِهَا عَلَيْهَا ^(٩)؛ نحو: (جِئْتُكَ لِكَيْ تُكْرِمَنِي)، و"(اللام) للتعليل، و(كَيْ) هنا بمنزلة (أَنْ) المصدرية معنًى وَعَمَلًا، وليست بحرف تعليل؛ إِذْ لَوْ كَانَتْ حرف تعليل لم يدخل عليها حرف تعليل، و(أَنْ) مُقَدَّرَةٌ بَعْدَهَا" ^(١٠)، لذلك جَاءَتْ (تُكْرِمَ) منصوبة، ويكون معنى (جِئْتُكَ لِكَيْ تُكْرِمَنِي): جِئْتُكَ لِإِكْرَامٍ ^(١١).

(١) انظر: الملحة في شرح الملحة، لابن الصائغ: ٨٤٣/٢، وتحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة "شرح ألفية ابن مالك"، لابن الوردي: ٦٠٦/٢، وشرح قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام: ٦٦. (٢) الكتاب، لسيبويه: ٥/٣.

(٣) انظر: شرح شذور الذهب، لابن هشام: ٣٨٣، وحاشية الأجزومية، لابن قاسم العاصمي: ٤٨.

(٤) الجنى الداني، للمرادي: ١١٤-١١٥، وانظر: الكتاب، لسيبويه: ٦/٣-٧ و١٥٤.

(٥) مغني اللبيب، لابن هشام: ٢٧٧.

(٦) سورة النَّسَاء: ١٠٥.

(٧) سورة النَّحْل: ٤٤.

(٨) انظر: الملحة في شرح الملحة، لابن الصائغ: ٨٤٣/٢، وتحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة "شرح ألفية ابن مالك"، لابن الوردي: ٦٠٦/٢.

(٩) انظر: المرجعين السابقين: الصفحات نفسها.

(١٠) المقاصد النحوية في شَرْحِ شَوَاهِدِ شُرُوحِ الألفية، المشهور بِ"شرح الشواهد الكُبْرَى"، لِابْنِ الدِّينِ العَيْنِيِّ: ٣٠١/٣، وانظر: شرح التسهيل، لناظر الجيش: ٤١٤٢/٨.

(١١) انظر: شرح التسهيل، لناظر الجيش: ٤١٤٢/٨.

ب. اللام الجارة:

تأتي (اللام) لِمَعَانٍ كثيرة، منها التعليل، نحو قول الشاعر:
وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرِكَ هَزَّةٌ كَمَا انْتَقَضَ الْعُصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطْرُ^(١)
حيث أفادت "اللام" الداخلة على (ذكراك) التعليل، والتقدير: لَتَعْرُونِي لِأَجْلِ ذِكْرِكَ هَزَّةً.

وَقَدْ ذَكَّرْنَا - سابقاً - أَنَّ للمفعول لأجله ثلاثة شروط، فَإِنْ سَقَطَ شَرْطٌ مِنْهَا وَجَبَ جَرُّ الاسمِ بِلامِ التعليل الجارة، نحو: (زُرْتُكَ الْيَوْمَ لِلْإِكْرَامِ غَدًا)؛ أي: لِأَجْلِ الإِكْرَامِ.

ت. كي:

تكون (كَي) بِمَنْزِلَةِ لامِ التَّعْلِيلِ فَتَجَرُّ فِي الحالات الآتية^(٢):
أ. إذا دخلتْ عَلَى " (ما) الاستفهامية فِي قَوْلِهِمْ فِي السُّؤَالِ عَنِ الْعِلَّةِ: (كَيْمَةً؟)، بِمَعْنَى: لِمَه؟"^(٣)، والهَاءُ لِلسَّكْتِ^(٤). ونحو: (كَيْمَ يَبِيعُ الْمُنَافِقُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ؟)؛ أي: مَا السَّبَبُ؟

ب. إذا دخلتْ عَلَى (مَا) المصدرية، نحو: (يُصَلِّي الْمُسْلِمُ كَيْمَا يُفُوزَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ)؛ حيث دخلتْ (كَي) الجارة على (ما) المصدرية وَصَلَتْهَا (يفوز)؛ فَجَرَّتْهُمَا، فالمصدر المؤول المَكُونُ مِنْ (ما) و(الفعل المضارع) فِي محلِّ جَرِّ (كَي)، والتقدير: يُصَلِّي الْمُسْلِمُ لِلْفُوزِ بِرَحْمَةِ اللَّهِ.

ت. إذا دخلتْ عَلَى (أَنْ) المصدرية مَعَ صِلَتِهَا، كقول الشاعر:
فَقَالَتْ أَكُلُّ النَّاسِ أَصْبَحَتْ مَانِحًا لِسَانَكَ كَيْمَا أَنْ تَعُرَّ وَتَحْدَعَا^(٥)

(١) البيت لأبي صخر الهذلي في: شَرْح أشعار الهذليين، لأبي سعيد السُّكَّرِيِّ: ٩٥٧/٢، وَصَدْرُهُ فِيهِ:

إِذَا ذَكَرْتُ يَزْتَاخُ قَلْبِي لِذِكْرِهَا

وله في: الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات الأنباري: ٢٠٥/١، والمقاصد النحوية، لِإِدْرِ الدِّين العيني: ٣١٤/٢ و ٤٥٠-٤٥١، وشرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٥١٢/١ و ٦٤٣، وَصَدْرُ البيت فِيهَا كَمَا أُثْبِتُهُ.

(٢) انظر: شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي: ٣٤-٣٥، وأوضح المسالك، لابن هشام: ١١-٧/٣، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٢٤١-٢٤٢، وإرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، لِإِبْرَاهَانَ الدِّين إبراهيم: ٤٣٩/١، وشرح التسهيل، لناظر الجيش: ٧٥٦-٧٥٧ و ٨/٤١٤٢-٤١٤٤، وهمع الهوامع، للسيوطي: ٣٧٠-٣٧٢.

(٣) مغني اللبيب، لابن هشام: ٢٤١.

(٤) الجنى الداني، للمراذي: ٢٦١.

(٥) البيت لِجَمِيلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ "جَمِيلُ بُنَيَّةٍ" فِي: ديوانه: ٧٩، والمفصل، للزمخشري: ٤٤٥، والمساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل: ٦٨/٣.

حيث ظهرت (أَنَّ) المصدرية بعد (كَيْ) وفي ظهورها دلالة على أَنَّ (كَيْ) للتعليل، وليست حرفاً مصدريةً؛ وكذلك يستفاد -هنا- أَنَّ (كَيْ) التعليلية تُقدَّر بعدها (أَنَّ) إذا لم تكن موجودة؛ لأنَّ ظهور الشيء في بعض الأوقات دليل على أَنَّ هذا الموضع محلّ له^(١)، والتقدير: (لِلْعُرُورِ)، أمّا (ما) المُنْصَلَةُ بِـ(كَيْ) فهي زائدة^(٢).

ث. مِنْ:

يأتي حرف الجر (مِنْ) لِمَعَانٍ كثيرة، منها: التعليل والسببية^(٣)، نحو: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾^(٤)؛ والتقدير: بِسَبَبِ خَطَايَاهُمْ أُغْرِقُوا^(٥)؛ لِيَا قَالَ الْوَقَادُ: "أُغْرِقُوا لِأَجْلِ خَطَايَاهُمْ؛ فَقُدِّمَتِ الْعِلَّةُ عَلَى الْمَعُولِ للاختصاص"^(٦). وكذلك: ﴿... يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(٧)؛ والتقدير: يَهْبِطُ بِسَبَبِ خَشْيَةِ اللَّهِ.

ج. الباء:

مِنْ المعاني التي يحملها حرف الجر (الباء): التعليل^(٨)، نحو: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلِ﴾^(٩)؛ أي: بسبب اتخاذكم العجل. وكقوله تعالى: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١٠)، ونحو: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾^(١١)؛ أي: بِسَبَبِ ذَنْبِهِ.

ح. فِي:

-
- (١) أوضح المسالك، لابن هشام: ١٠-٩/٣ تعليق المُحَقِّق، حاشية رقم (٣).
- (٢) انظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، لبرهان الدّين إبراهيم: ٤٣٩/١.
- (٣) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٣١٠، ومغني اللبيب، لابن هشام: ٤٢١، وشرح شذور الذهب، للجوجري: ٥٤٦/٢، وشرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٦٤٠/١.
- (٤) سورة نوح: ٢٥.
- (٥) انظر: العدة في إعراب العُمدة، لابن فَرْحُون: ١٢٦/١.
- (٦) شرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٦٤٠/١.
- (٧) سورة البقرة: ٧٤.
- (٨) انظر: الجنى الداني، للمرادي: ٣٩، ومغني اللبيب، لابن هشام: ١٣٩، وشرح الأشموني على ألفية، للأشموني: ٨٩/٢.
- (٩) سورة البقرة: ٥٤.
- (١٠) سورة السجدة: ١٤.
- (١١) سورة العنكبوت: ٤٠.

يفيد حرف الجر (في) معاني كثيرة، منها: التعليل^(١)، نحو: ﴿لَوْ كَتَبُ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢)؛ قال الألوسي: "فِيمَا أَخَذْتُمْ؛ أَي: لِأَجْلِ أَخَذِكُمْ"^(٣). ونحو: ﴿فَذَلِكُنَ الَّذِي لُمْتُنِي فِيهِ﴾^(٤)؛ أَي: لُمْتُنِي بِسَبَبِهِ. وكقول النبي ﷺ: "دَخَلَتِ امْرَأَةُ النَّارِ فِي هَرَّةٍ رِبَطَتَهَا فَلَمْ تُطْعَمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ"^(٥)؛ أَي: دَخَلَتِ النَّارَ بِسَبَبِ هَرَّةٍ، أَوْ لِأَجْلِ هَرَّةٍ.

ثالثاً: تركيب التعليل في المفهوم التحويلي

تتكون البنية العميقة لتركيب التعليل في النحو التحويلي مِنْ مُرَكَّبَيْنِ: مركب شبه الجملة (لِأَجْلِ) أَوْ (بِسَبَبِ)، والمركب الفعلي (أَنْ + الْفِعْلُ)^(٦)، أَوْ المركب الاسمي حسب التركيب^(٧). وسأتناول ثلاثة تراكيب للتعليل مع تحليلها؛ لتتضح الصورة أكثر^(٨):

أ. صَلَّيْتُ طَلَبًا لِلْمَغْفِرَةِ.

ب. جِئْتُكَ لِتُكْرِمَنِي.

ت. زُرْتُ الْمَكْتَبَةَ لِلْقِرَاءَةِ.

(١) انظر: شرح التسهيل، لابن مالك: ١٥٥/٣، والتنزيل والتكميل، لأبي حيان الأندلسي: ٢٠٩/١١، والجنى الداني، للمرادي: ٢٥٠.

(٢) سورة الأنفال: ٦٨.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي: ٢٣٠/٥.

(٤) سورة يوسف: ٣٢.

(٥) صحيح البخاري، للبخاري، باب خَمْسَ مِنَ الدَّوَابِّ فَوَاسِقٌ يُقْتَلْنَ فِي الْحَرَمِ: ١٣٠/٤، حديث رقم (٣٣١٨)، وصحيح مسلم، لمسلم، باب تحريم قَتْلِ الْهَرَّةِ: ١٧٦٠/٤، حديث رقم (٢٢٤٢).

(٦) اعتمد د. حسام البهنساوي مركب شبه الجملة (مِنْ أَجْلِ)، ثُمَّ حَلَّتْ محله (اللام)، أَمَّا المركب (أَنْ + الْفِعْلُ) فَتَقَلَّصَ إِلَى (لِ + الْفِعْلُ). انظر: القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، د. حسام البهنساوي: ٢٠٤-٢٠٥. واعتمد د. حمدان أبو عاصي مركب شبه الجملة (لِأَجْلِ)، ثُمَّ تَقَلَّصَ إِلَى (اللام)، أَمَّا الحرف المصدري (أَنْ) فَتَمَّ حَذْفُهُ. انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، د. حمدان أبو عاصي: ٢٩٩. وسيتبني الباحث تحليل (أبو عاصي) - مع أَنَّ تحليله وتحليل (البهنساوي) مُتَقَارِبَانِ - وذلك لأنه أيسر في التحليل وأكثر اختصاراً؛ فبدلاً مِنْ القولِ إِنَّ (اللام) حَلَّتْ محلَّ (مِنْ أَجْلِ)، نقول: تَقَلَّصَ مركب (لِأَجْلِ) إِلَى (اللام).

(٧) انظر: القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، د. حسام البهنساوي: ٢٠٤-٢٠٥، والقواعد التحويلية في ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، د. حمدان أبو عاصي: ٢٩٩.

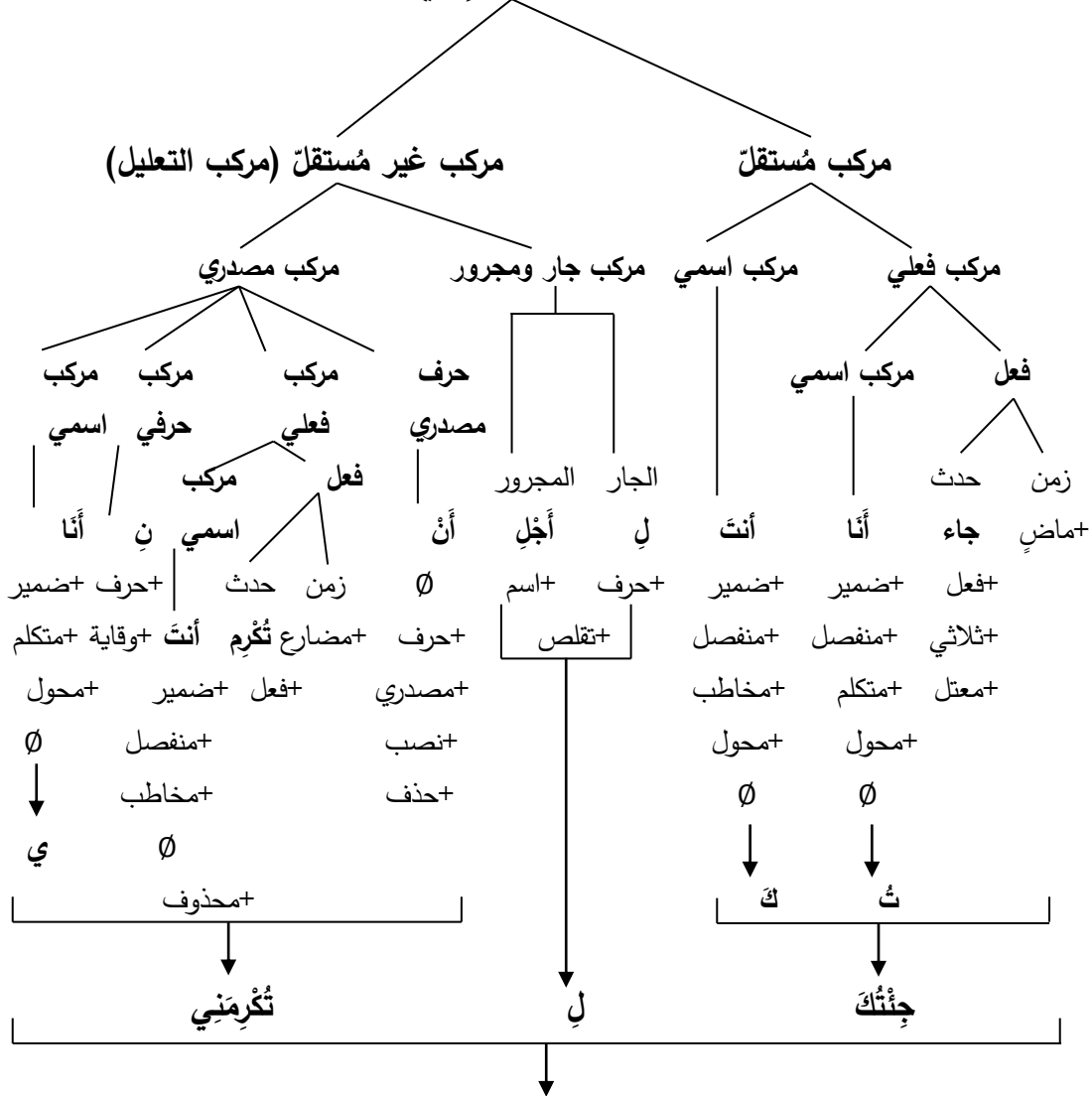
(٨) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، د. حمدان أبو عاصي: ٢٩٩.

ففي التركيب الأول: نجد أن البنية العميقة له هي (صَلَّيْتُ لِأَجْلِ طَلَبِ الْمَغْفَرَةِ)، ثم تَقْلَصُ مركب شبه الجملة (لِأَجْلِ) إلى مركب واحد وهو: (اللام)، فصارت الجملة (صَلَّيْتُ لِطَلَبِ الْمَغْفَرَةِ)، ثُمَّ دخل قانون تبادل المواقع؛ فدخلت اللام على المضاف إليه بدلاً من المضاف؛ فأصبح التركيب: (صَلَّيْتُ طَلَبًا لِلْمَغْفَرَةِ) بعد نَصَبِ (طَلَبًا) وهو المصدر التعليلي.

وفي التركيب الثاني: نجد أن البنية العميقة له هي (جِئْتُكَ لِأَجْلِ أَنْ تُكْرِمَنِي)، ثُمَّ تَقْلَصُ مركب شبه الجملة (لِأَجْلِ) إلى مركب حرفي (اللام)، فصار التركيب (جِئْتُكَ لِأَنْ تُسَاعِدَنِي)، ثُمَّ حُذِفَ المركب الحرفي (أَنْ)؛ فأصبح التركيب: (جِئْتُكَ لِتُكْرِمَنِي). وفي التركيب الأخير: فإن البنية العميقة له هي (زُرْتُ الْمَكْتَبَةَ لِأَجْلِ الْقِرَاءَةِ)، ثُمَّ دَخَلَ قانون التقلص؛ فَتَقْلَصُ مركب التعليل (لِأَجْلِ) إلى مركب حرفي: (اللام)، فأصبح التركيب: (زُرْتُ الْمَكْتَبَةَ لِلْقِرَاءَةِ).

وَيُوضَّحُ التحليل الشجري الآتي لتركيب التعليل: (جِئْتُكَ لِتُكْرِمَنِي) القواعد التحويلية فيه:

جِئْتُكَ لِتُكْرِمَنِي



جِئْتُكَ لِتُكْرِمَنِي

تَحَوَّلَ تركيب التعليل السابق من البنية العميقة: (جَبْتُكَ لِأَجْلِ أَنْ تُكْرِمَنِي) إلى البنية

السطحية: (جَبْتُكَ لِتُكْرِمَنِي) عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف:

أ. حُذِفَ الحرف المصدري (أَنْ).

ب. حُذِفَ المركب الاسمي الأول في المركب غير المستقل: (أَنْتَ).

٢. الإحلال والتعويض:

أ. حَلَّ ضمير المتكلم (تاء المتكلم) في المركب المستقل محلّ الضمير المنفصل (أنا).

ب. حَلَّ الضمير المتصل (كاف المخاطب) في المركب المستقل محلَّ الضمير المنفصل (أَنْتَ).

ت. حَلَّ الضمير المتصل (بإاء المتكلم) في المركب غير المستقل محلَّ ضمير المتكلم (أنا).

٣. التقلُّص والاختصار:

تَقَلَّصَ مركب الجار والمجرور (لأجل) إلى المركب الحرفي التعليلي: لام الجرّ.

رابعًا: تراكيب التعليل الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ

بَلَّغَتْ تراكيبُ التعليل في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ (وَاحِدًا وَسِتِّينَ) تركيبًا، منها: (أَحَدَ عَشَرَ) تركيبًا بِ(الْمَصْدَرِ / المفعول له)^(١)، وَ(عِشْرُونَ) تركيبًا بِ(لام التعليل)^(٢)، وَ(أَرْبَعَةَ عَشَرَ) تركيبًا بِ(اللَّامِ الْجَارَةِ)^(٣)، وَ(أَرْبَعَةُ) تراكيب بِ(مِنْ)^(٤)، وَ(عَشْرَةُ) تراكيب بِ(الباء)^(٥)، وَ(تَرْكِيبَانِ) اثْنَانِ بِ(فِي)^(٦). أمَّا التعليل بالحرف (كَيِّ) فَلَمْ يَرِدْ في هذه الخُطَبِ.

وَيُبَيِّنُ الجدول الآتي تراكيب التعليل الواردة في كتاب خُطَبِ الرسول ﷺ مِنَ الأكثر إلى

الأقلَّ استخدامًا:

م	تراكيب التعليل	عدد الاستخدام
١	تركيب التعليل بالحرف: (لام التعليل)	٢٠
٢	تركيب التعليل بحرف (اللَّامِ الْجَارَةِ)	١٤
٣	تركيب التعليل بالاسم (المفعول لأجله)	١١
٤	تركيب التعليل بحرف (الباء)	١٠
٥	تركيب التعليل بالحرف (مِنْ)	٤
٦	تركيب التعليل بالحرف (فِي)	٢
٧	تركيب التعليل بالحرف (كَيِّ)	—
	المجموع	٦١

(١) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣٠) فِي خُطَبِ الرِّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٠، وَخُطْبَةٌ (٣٣): ٢١-٢٢، وَخُطْبَةٌ (٢٢٨): ١١٥-١١٦، وَخُطْبَةٌ (٣٦٠): ١٨١-١٨٢، وَخُطْبَةٌ (٤١٦): ٢٠٩-٢١٠.

(٢) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (١١٦): ٦٢-٦٤، وَخُطْبَةٌ (٣٧٤): ١٨٨، وَخُطْبَةٌ (٤١٣): ٢٠٨، وَخُطْبَةٌ (٥٢٩): ٢٧٦-٢٧٩.

(٣) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٣٧): ٢٣-٢٤، وَخُطْبَةٌ (٣٦٥): ١٨٣، وَخُطْبَةٌ (٤٣٦): ٢٢٠، وَخُطْبَةٌ (٥٣٠): ٢٧٩-٢٨١ وَفِيهَا مَوْضِعَانِ.

(٤) وَهِيَ: خُطْبَةٌ رَقْمُ (١): ٧، وَخُطْبَةٌ (١١٦): ٦١-٦٢ وَفِيهَا مَوْضِعَانِ، وَخُطْبَةٌ (٢٩٦): ١٥٠.

(٥) مِنْهَا: خُطْبَةٌ رَقْمُ (٥٠): ٢٩، وَخُطْبَةٌ (١٦٧): ٨٦-٨٧، وَخُطْبَةٌ (٢٨٥): ١٤٤، وَخُطْبَةٌ (٤٠٤): ٢٠٣-٢٠٤.

(٦) وَهُمَا: خُطْبَةٌ (٢٧٩): ١٤١-١٤٢، وَخُطْبَةٌ (٢٨١): ١٤٢.

خامساً: عَرِّضْ لتراكيب التعليل الواردة في كتابِ خُطْبِ الرسول ﷺ

١. تركيب التعليل بالاسم (المصدر/ المفعول له)، وَمِنْ أمثلة ذلك:

- أ. قال رسول الله ﷺ: "...، وَأَمَّا مَنْ غَرَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَسُمْعَةً، وَعَصَى الْإِمَامَ، وَأَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالْكَفَافِ"^(١)، والشاهد: (فَخْرًا).
- ب. قال رسول الله ﷺ: "مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا عَبَثًا عَجَّ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّ فَلَانًا قَتَلَنِي عَبَثًا، وَلَمْ يَقْتُلْنِي مَنَفَعَةً"^(٢). والشاهد: (عَبَثًا) وتكررت مرتين، و(مَنَفَعَةً).

٢. تركيب التعليل بالحرف، وَمِنْ أنواعه:

- أ. تركيب التعليل بالحرف: (لام التعليل السابقة للفعل المضارع)، وَمِنْ أمثلة ذلك:
١. قال النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ؛ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطَ يَدَهُ بِالنَّهَارِ؛ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا"^(٣). والشاهد: (لِيَتُوبَ)؛ أي: لأجل التوبة، وقد تكرر الشاهد مرتين.
٢. قال النبي ﷺ: "... ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: ...، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ؛ لِيَقْتَطَعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، ..."^(٤). والشاهد: (لِيَقْتَطَعَ).
- ب. تركيب التعليل بحرف (اللام الجارة)، وَمِنْ أمثلة ذلك:
١. قال رسول الله ﷺ: "تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ لِارْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا؛ فَاطْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبُّثَ يَدَاكَ"^(١). والشواهد: (لِارْبَعِ)، و(لِمَالِهَا)، و(لِحَسَبِهَا)، و(لِجَمَالِهَا)، و(لِدِينِهَا).

(١) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٤٥٩، حاشية (١)، وهي خُطبة رقم (٣٣).

(٢) خُطْبُ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٠٩-٢١٠، خُطبة رَقْم (٤١٦). وأصل الحديث في: السُّنَنِ الْكُبْرَى، للنسائي، مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا بَغَيْرِ حَقِّهَا: ٣٦٦/٤، حديث رقم (٤٥٢٠)، وصحيح ابن حِبَّانَ، لابن حِبَّانَ، ذِكْرُ الرَّجْرِ عَنْ ذَبْحِ الْمَرْءِ شَيْئًا مِنَ الطَّيْرِ عَبَثًا دُونَ الْقَصْدِ فِي الْاِثْتِقَاعِ بِهِ: ٢١٤/١٣، حديث رقم (٥٨٩٤).

(٣) خُطْبُ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٢٥، خُطبة رَقْم (٤٤٢). وأصل الحديث في: مسند أحمد، لأحمد بن حنبل، حديث أبي موسى الأشعري: ٢٩٥/٣٢، حديث رقم (١٩٥٢٩)، وصحيح مسلم، لمسلم، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة: ٢١١٣/٤، حديث رقم (٢٧٥٩).

(٤) خُطْبُ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٢٥، خُطبة رَقْم (٤٤٢). وأصل الحديث في: صحيح البخاري، للبخاري، باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه: ١١٢/٣، حديث رقم (٢٣٦٩)، وصحيح مسلم، لمسلم، باب بيان غلط تحريم إسبال الإزار، واليمن بالعطية: ١٠٣/١، حديث رقم (١٠٨).

٢. جاء في خطبة النبي ﷺ عن الدجال أنه: جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ، ثم قال: "إِنِّي مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ؛ لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، ... (٢). والشاهد: (لِرَغْبَةٍ)، و(لِرَهْبَةٍ).

ت. تركيب التعليل بالحرف (مِنْ)، وَمِنْ أمثلة ذلك:

١. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، ... (٣). والشاهد: (مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا)، و(مِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا)؛ أَي: نَعُودُ بِاللَّهِ بِسَبَبِ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَبِسَبَبِ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا.

٢. رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ فِي مَنَاجَاةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: "...؛ فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى كَلَامَ الْأَدَمِيِّينَ مَقَتَّهُمْ مِمَّا وَقَعَ فِي مَسَامِعِهِ مِنْ كَلَامِ الرَّبِّ، ... (٤). والشاهد: (مِمَّا وَقَعَ)؛ أَي: بسبب ما وَقَعَ.

ث. تركيب التعليل بحرف (الْبَاءِ)، وَمِنْ أمثلة ذلك:

١. جاء عن النبي ﷺ في إحدى غزواته أنه قال: "...، وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ عَظِيمٌ يُنَجِّي اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِهِ مِنَ الْعَمِّ وَالْهَمِّ" (٥). والشاهد: (يُنَجِّي اللَّهُ بِهِ)؛ أَي: بِسَبَبِهِ.

٢. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَامَ، وَقُمْنَا مَعَهُ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ...، وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، وَقَصَى صَلَاتُهُ، فَحَمَدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "...، وَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ حِمِيرٍ، سَوْدَاءَ طَوَالَةٍ، تُعَذِّبُ بِهَرَّةٍ لَهَا، تَرْتِطُهَا، فَلَمْ تُطْعَمْهَا وَلَمْ تَسْقِهَا، ... (٦). والشاهد: (تُعَذِّبُ بِهَرَّةٍ)؛ أَي: بِسَبَبِ هَرَّةٍ، أَوْ لِأَجْلِ هَرَّةٍ.

(١) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٤٢٥، حاشية (٢)، وهي خطبة رقم (٣٩١).

(٢) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٢٥٦، حاشية (٢)، وهي خطبة رقم (٥٣٠).

(٣) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٤١٦، حاشية (١)، وهي خطبة رقم (١١٦).

(٤) خُطِبَ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٥٠، خطبة رَقْم (٢٩٦). وأصل الحديث في: المعجم الأوسط، للطبراني، مِنْ اسْمُهُ عَلِيٍّ: ١٨٨/٤، حديث رقم (٣٩٣٧).

(٥) خُطِبَ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٩، خطبة رَقْم (٥٠). وأصل الحديث في: مسند أحمد، لأحمد ابن حنبل، حديث عبادة بن الصامت: ٤٣٥/٣٧، حديث رقم (٢٢٧٧٦).

(٦) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٤٨٤، حاشية (١)، وهي خطبة رقم (٩٤).

ج. تركيب التعليل بالحرف (في)، وله شاهدان بصيغة واحدة في روایتين متشابهتين؛

لذا سأذكر واحدة منهما، وهي:

رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: "...، وَأَنْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ مِنْ طَوْلِكَ، وَلَا تَرْفَعْ عَنْهُمْ

عَصَاكَ أَدَبًا، وَأَخْفِهِمْ فِي اللَّهِ"^(١). والشاهد: (أَخْفَهُمْ فِي اللَّهِ)؛ أي: لِأَجْلِ اللَّهِ.

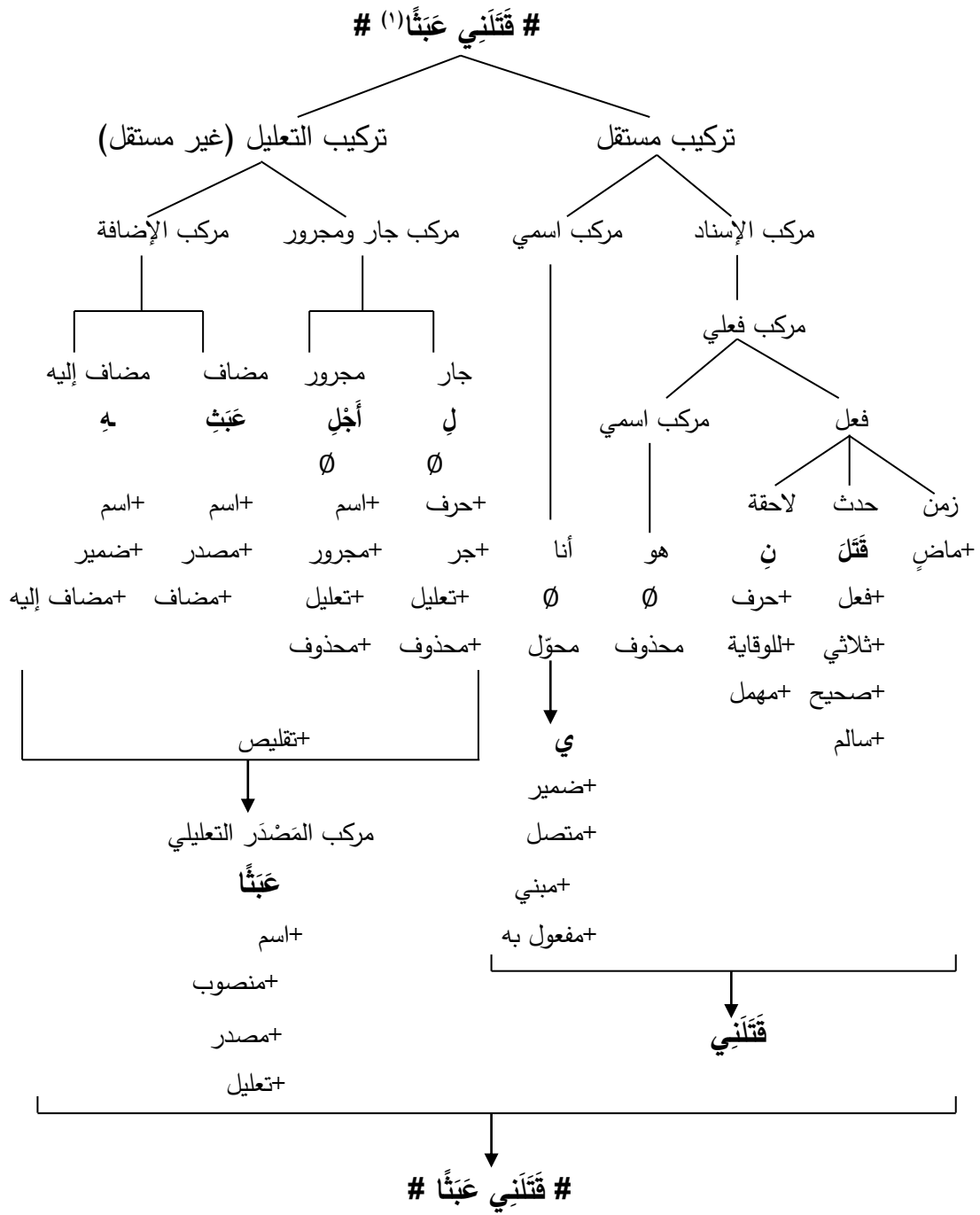
سادسًا: نماذج تحليلية لتراكيب التعليل الواردة في كتابِ خُطْبِ الرَسُول ﷺ

١. نموذج تحليل لتراكيب التعليل بالاسم (المفعول لأجله):

^(١) خُطْبِ الرَسُول ﷺ، لِ مُحَمَّدَ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٤١-١٤٢، خُطْبَةٌ رَقْم (٢٧٩). وأصل الحديث في: مسند

أحمد، لأحمد بن حنبل، حديث معاذ بن جبل: ٣٦/٣٩٢-٣٩٣، حديث رقم (٢٢٠٧٥)، والأدب المفرد،

للبخاري، بَابُ يَبْرُ وَالِدَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ مَعْصِيَةً: ٢٠، حديث رقم (١٨).



(١) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٥٣٩، حاشية (٢)، وهي خُطبة رقم (٤١٦).

تَحَوَّلَ تركيب التعليل السابق من البنية العميقة: (قَتَلَنِي لِأَجْلِ عَبْتِهِ) إلى البنية السطحية: (قَتَلَنِي عَبْتًا) عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف:

- أ. حُذِفَ المركب الاسمي الأول الضمير المنفصل (هُوَ) في المركب المستقل، وَحَلَّ محله الضمير المستتر في الفعل (قَتَلَ).
 - ب. حُذِفَ مركب الجار والمجرور (لِأَجْلِ) في التركيب التعليلي "غير المستقل".
 - ت. حُذِفَ الضمير المتصل (بِهِ) في التركيب التعليلي "غير المستقل".
٢. التقليل والاختصار:

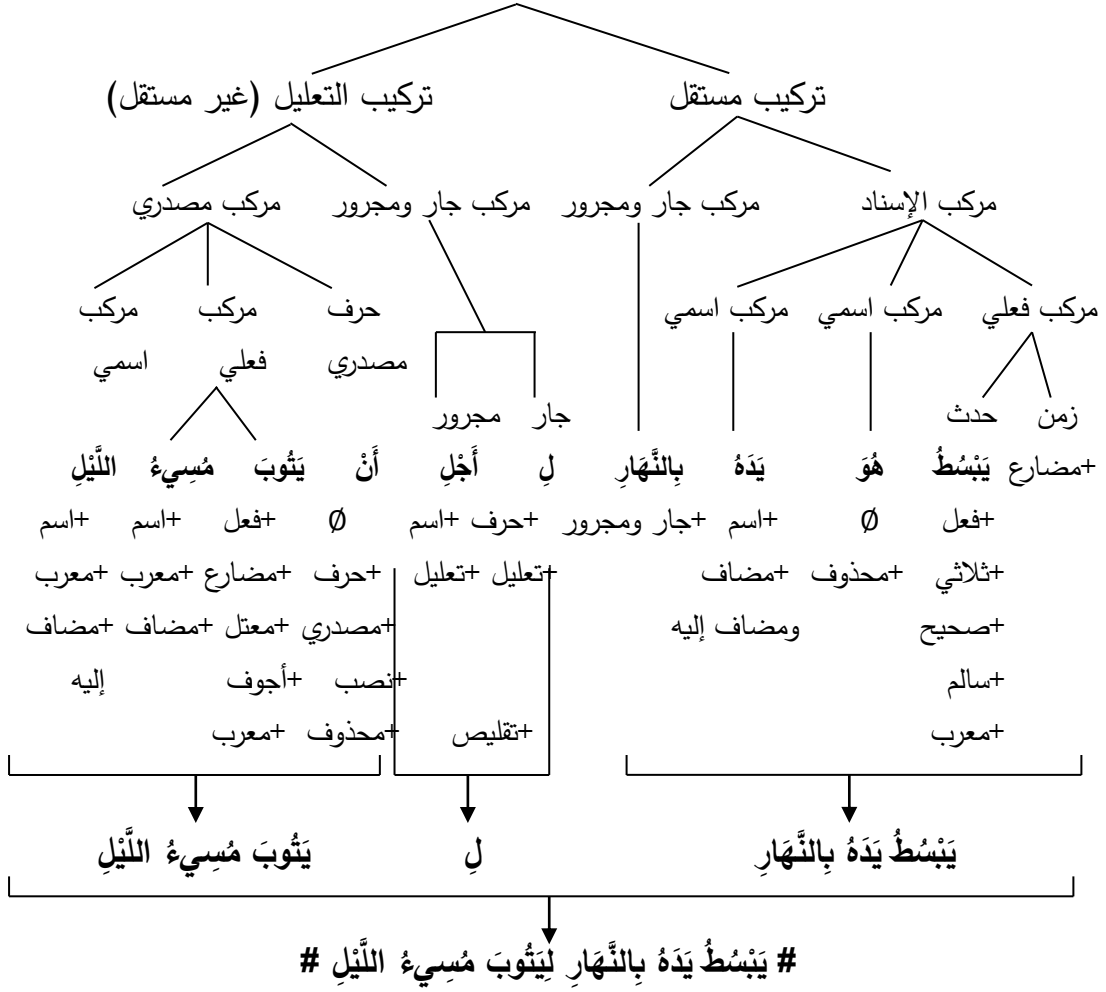
تَقَلَّصَ تركيب التعليل بِمُرْكَبَيْهِ (الجار والمجرور، والمضاف والمضاف إليه) إلى مركب واحد، وهو مركب المصدر التعليلي (عَبْتًا).

٣. الإحلال والتعويض:

حَلَّ الضمير المتصل (ي) محل الضمير المنفصل (أَنَا) في التركيب المستقل.

٢. نموذج تحليل لتركيب التعليل بحرف (لام التعليل):

يَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ^(١)



^(١) سبق تخريج الحديث، ص: ٥٣٩، حاشية (٣)، وهي خطبة رقم (٤٤٢).

تَحَوَّلَ تركيب التعليل السابق مِنَ البنية العميقة: (يَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِأَجْلِ أَنْ يَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ) إِلَى البنية السطحية: (يَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ) عَنْ طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف:

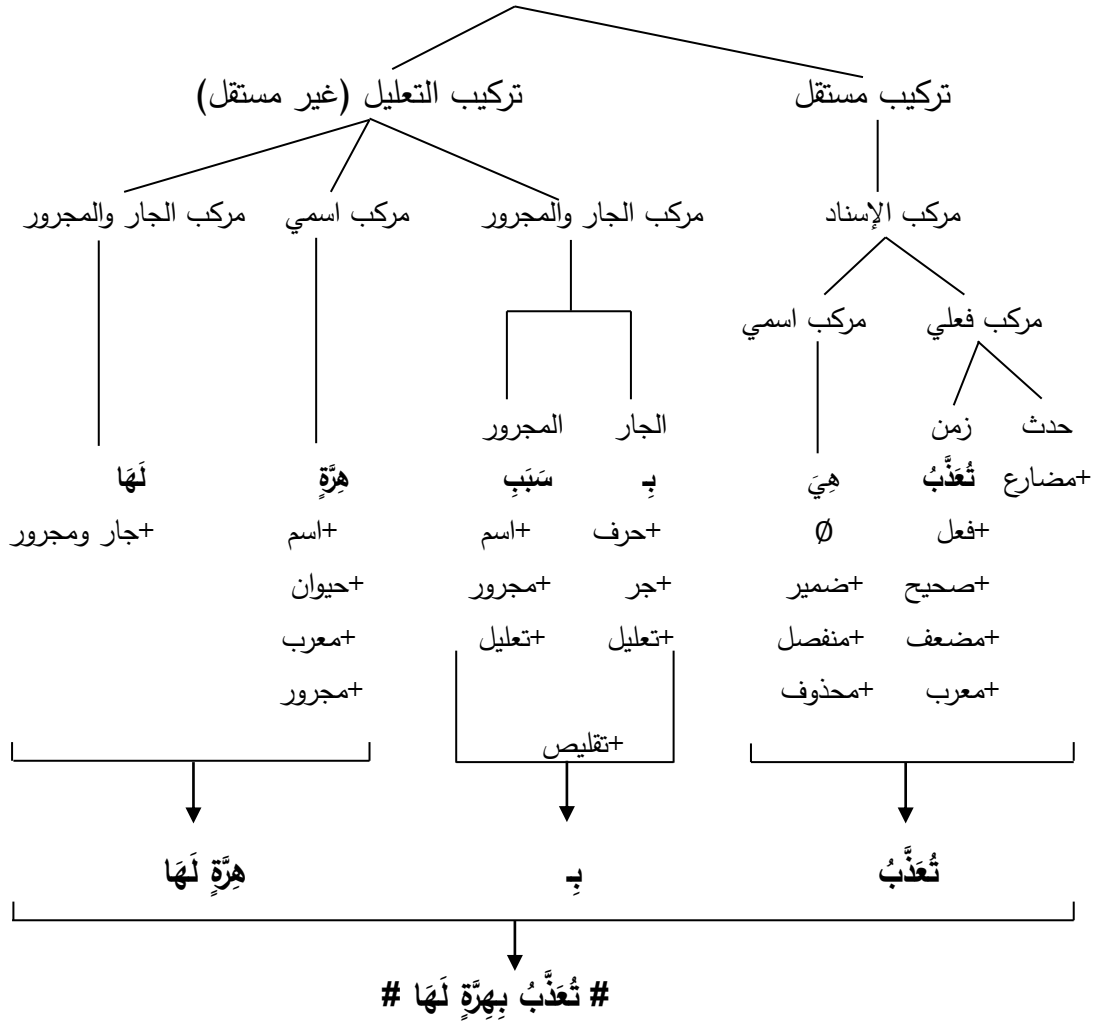
أ. حُذِفَ المركب الاسمي الأول الضمير المنفصل (هُوَ) فِي المركب المستقل، وَحَلَّ محله الضمير المستتر فِي الفعل (يَبْسُطُ).
ب. حُذِفَ الحرف المصدرِي (أَنْ).

٢. التقليل والاختصار:

تَقَلَّصَ مركب الجار والمجرور (لِأَجْلِ) فِي التركيب التعليلي غير المستقل إِلَى المركب الحرفي التعليلي: لام الجرّ (لِ).

٣. نموذج تحليل لتركيب التعليل بحَرْفِ (الباء):

تُعَذِّبُ بِهَرَّةٍ لَهَا ^(١)



تَحَوَّلَ تركيب التعليل السابق مِنَ البنية العميقة: (تُعَذِّبُ بِسَبَبِ هَرَّةٍ لَهَا) إِلَى البنية السطحية: (تُعَذِّبُ بِهَرَّةٍ لَهَا) عَنْ طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف:

حُذِفَ الضمير المنفصل (هي) فِي التركيب المستقل، وَحَلَّ مَحَلَّهُ الضمير المستتر فِي الفعل (تُعَذِّبُ).

٢. التقليل والاختصار:

تَقَلَّصَ مركب الجار والمجرور (بِسَبَبِ) فِي التركيب التعليلي غير المستقل إِلَى المركب الحرفي التعليلي: بَاءِ الْجَرِّ (بِ).

(١) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٤٨٤، حاشية (١)، وهي خُطبة رقم (٩٤).

المبحث الخامس

تركيب الحال

أولاً: الحال لغةً واصطلاحاً

الحال لغةً: يُطلق على الوقت الذي أنت فيه، وعلى ما هو عليه الشخص من خيرٍ أو شرٍّ، والجمع: أحوال وأحولة^(١). وتأتي بمعنى الهيئة والصفة التي عليها صاحب الحال^(٢). وقيل: الحال نهاية الماضي وبداية المستقبل^(٣).

ويذكرُ الحال ويُؤنَّث؛ فنقول: هذا حالٌ مناسبٌ، وهذه حالٌ مناسبةٌ، ويقال أيضاً: (حالٌ) في التذكير، و(حالةٌ) في التأنيث، والكثيرُ والأفصحُ التذكيرُ^(٤).

الحال اصطلاحاً: وَصَفٌ فَضْلَةٌ منصوبٌ؛ يُذكرُ لبيانِ هيئةِ الفاعلِ أو المفعولِ أو هُما معاً^(٥).

والمقصود بـ(وصف): أنه مُشْتَقٌّ، كاسمِ الفاعلِ واسمِ المفعول. والمقصود بـ(فضلة): أنه ليس عُمْدَةٌ؛ إذ لا يكونُ -الحال- في الكلام عُمْدَةً أصلاً، فلا يقام مقامُ الفاعلِ كغيرهِ مِنْ الفضلات^(٦)، وليس معنى (فضلة) أَنَّ الحال مِنْ فُضُولِ الكلام، إنما "الفضلة هُنا ما يأتي بعد تمامِ الجملة، لا ما يستغني الكلام عنه"^(٧)؛ أي: أَنَّ الحال "تجيءُ بعدَ استيفاءِ الجملة رُكْنِيَّهَا الأساسيَّين مِنْ فِعْلٍ وفاعلٍ، أو مبتدأٍ وَخَبَرٍ"^(٨)؛ لأنه لا يُمكن الاستغناء -أحياناً- عنها، نحو:

(١) انظر: المُخَصَّص، لابن سيده: ٤٥٩/٣ (أسماء الحال)، ولسان العرب، لابن منظور: ١٩٠/١١ (حَوْل)، وتاج العروس، للزبيدي: ٣٧٤/٢٨ (حَوْل)، وحاشية الصَّبَّان على شرح الأشموني، لِصَّبَّان: ٢٥٠/٢.

(٢) انظر: المصباح المنير، للحموي: ١٥٧/١ (حَوْل)، والكلبيات، للكفوي: ٣٧٥ (فصل الحاء).

(٣) انظر: تاج العروس، للزبيدي: ٣٧٤/٢٨ (حَوْل).

(٤) انظر: أوضح المسالك، لابن هشام: ٢٤٩/٢ تعليق المُحَقِّق، حاشية (١)، وشرح ابن عقيل، لابن عقيل: ٢٤٣/٢ تعليق المُحَقِّق، حاشية (٢)، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٣/٢، وحاشية الصَّبَّان على شرح الأشموني، لِصَّبَّان: ٢٥٠/٢.

(٥) شرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٥٦٩/١. وانظر: شرح التسهيل، لابن مالك: ٣٢١/٢ و٣٢٦، وشرح ابن الناظم على الألفية، لابن الناظم: ٢٢٧، واللمحة في شرح الملحّة، لابن الصائغ: ٣٧٥-٣٧٦، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٢٤٩/٢-٢٥٠، وجمع الهوامع، للسيوطي: ٢٩٣/٢.

(٦) المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للشاطبي: ٤٣٣/٣.

(٧) شرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٥٧٠/١.

(٨) النحو المُصَفَّى، د. محمد عيّد: ٤٥٥.

﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾^(١)، ونحو الحال التي تَسُدُّ مَسَدَ الْخَبَرِ فِي: (صَرَبِي الْعَبْدَ مُسِيئًا)^(٢)؛ فلا معنى لِحَذَفِ الْحَالِ فِي الشَّاهِدَيْنِ السَّابِقَيْنِ؛ لِأَنَّهُ يُحْدِثُ خَلَلًا فِي الْفَهْمِ أَوْ فُسَادًا فِي الْمَعْنَى.

ومثال ذِكْرِهِ لِبَيَانِ هَيْئَةِ الْفَاعِلِ: (عَادَ الْحَاجُّ مَسْرُورًا)، ومثال ذِكْرِهِ لِبَيَانِ هَيْئَةِ الْمَفْعُولِ: (صَرَبْتُ زَيْدًا قَاعِدًا)، وَأَمَّا ذِكْرُهُ لِبَيَانِ هَيْئَتَيْهِمَا مَعًا فَمِثْلُ: (خَالِدٌ دَعَوْتُهُ صَاعِدِينَ)^(٣).

ثانيًا: الحال في العربية

اعتنى النحاة في موضوع الحال، وتناولوه في كتبهم بالبيان والتفصيل، وسأقتصر -هنا- على الجوانب الآتية: (أوصاف الحال)، و(الحال المؤسَّسة والحال المؤكَّدة)، و(الحال المفردة والحال الجملة والحال شبه الجملة)، و(عامل الحال)، و(صاحب الحال)، وهذا إيضاح موجز لها:

١. أوصاف الحال:

للحال أربعة أوصاف، وهي^(٤):

أ. أَنْ تَكُونَ مُتَنَقِّلَةً "غير ثابتة": وهذا هو الأصل في الحال؛ لأنها مأخوذة مِنْ

التَّحَوُّلِ، نَحْوُ: (جَاءَ زَيْدٌ ضَاحِكًا)؛ فَالضَّحْكُ لَيْسَ حَالًا ثَابِتًا فِي (زَيْدٍ).

وَقَدْ تَقَعَ الْحَالُ ثَابِتَةً "غير مُتَنَقِّلَةً" وهو قليل، وذلك في المواطن الآتية^(٥):

١. أَنْ تَكُونَ الْحَالُ مُؤَكَّدَةً لِمُضْمُونِ جُمْلَةٍ قَبْلَهَا، نَحْوُ: (زَيْدٌ أَبُوكَ عَطُوفًا)، أَوْ

مُؤَكَّدَةً لِعَامِلِهَا، نَحْوُ: ﴿وَيَوْمَ أُبْعِثُ حَيًّا﴾^(٦)، أَوْ مُؤَكَّدَةً لِمُصَاحِبِهَا، نَحْوُ: ﴿وَكُلُّ شَاءٍ

(١) سورة الشعراء: ١٣٠.

(٢) انظر: أوضح المسالك، لابن هشام: ٢٤٩/٢ تعليق المُحَقِّق، حاشية (٥)، وشرح ابن عقيل، لابن عقيل:

٢٥٣/١، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٤/٢.

(٣) انظر شَرْحَ تعريف الحال في: شرح التسهيل، لابن مالك: ٣٢١/٢ و٣٢٦، والملحة في شرح الملح، لابن

الصائغ: ٣٧٥/١ تعليق المُحَقِّق حاشية (٢)، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٢٥٠/٢، والمقاصد الشافية في

شرح الخلاصة الكافية، للشاطبي: ٤٣٣/٣، وشرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٥٦٩/١.

(٤) انظر: شرح التسهيل، لابن مالك: ٣٢٢-٣٢٣، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٢٥١-٢٥٨، ومغني

اللبيب، لابن هشام: ٦٠٥، وشرح شذور الذهب، للجوهر: ٤٥٧/٢ و٤٦١، وشرح الأشموني على الألفية،

للأشموني: ٩-٥/٢، وشرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٥٧٢-٥٧٦.

(٥) انظر: المراجع السابقة، الصفحات ذاتها.

(٦) سورة مريم: ٣٣.

مَرْبُكَ لَا مَنَ مَنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴿١﴾؛ "فَإِنَّ الْأُبُوءَ مِنْ شَأْنِهَا الْعَطْفُ،
وَالْبَعْتُ مِنْ لَازِمِهِ الْحَيَاةُ، وَالْعَمُومُ مِنْ مَقْتَضِيَاتِهِ الْجَمْعِيَّةُ" (٢).

٢. أَنْ يَدُلَّ عَامِلُ الْحَالِ عَلَى تَجَدُّدِ صَاحِبِهَا، نَحْوُ: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (٣)؛ لِأَنَّ
الضَعْفَ صِفَةً لَازِمَةً لِلْإِنْسَانِ، وَعَامِلُ الْحَالِ (خُلِقَ) يَدُلُّ عَلَى تَجَدُّدِ ذَاتِ
صَاحِبِ الْحَالِ. وَنَحْوُ: (خَلَقَ اللَّهُ الزَّرَافَةَ يَدَيَّهَا أَطْوَلَ مِنْ رِجْلَيْهَا)؛ فَ(يَدَيَّهَا):
"بَدَلٌ مِنَ (الزَّرَافَةِ) بَدَلُ بَعْضٍ مِنْ كُلِّ، وَ(أَطْوَلَ): حَالٌ مَلَاظِمَةٌ مِنْ (يَدَيَّهَا)،
وَ(مِنْ رِجْلَيْهَا) مُتَعَلِّقٌ بِ(أَطْوَلَ)؛ لِأَنَّهُ اسْمُ تَفْصِيلٍ، وَعَامِلُ الْحَالِ (خُلِقَ)، وَهُوَ
يَدُلُّ عَلَى تَجَدُّدِ الْمَخْلُوقِ" (٤).

٣. أَنْ يَكُونَ مَرْجِعُ الْحَالِ إِلَى السَّمَاعِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
وَأَلَمَّا كَرِهَ أُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ (٥)، حَيْثُ تُعَرَّبُ (قَائِمًا) حَالًا مِنْ فَاعِلٍ (شَهِدَ)،
وَصَاحِبُ الْحَالِ هُوَ (لَفْظُ الْجَلَالَةِ اللَّهُ)؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ دَائِمٌ الْقِيَامُ بِالْقِسْطِ.
ب. أَنْ تَكُونَ مُشْتَقَّةً: وَهُوَ الْأَكْثَرُ فِي الْحَالِ، نَحْوُ: (جَاءَ زَيْدٌ مَسْرُورًا)، (عَادَتِ
الْمُنْفَوْقَةُ ضَاحِكَةً).

لَكِنْ قَدْ تَقَعَ الْحَالُ جَامِدَةً، وَذَلِكَ عَلَى صَرِيحَيْنِ مِنْهَا: أَحَدُهُمَا: جَامِدَةٌ مُؤَوَّلَةٌ
بِالْمَشْتَقِ، وَالثَّانِي: جَامِدَةٌ غَيْرُ مُؤَوَّلَةٍ بِالْمَشْتَقِ. أَمَّا الْحَالُ الْجَامِدَةُ الْمُؤَوَّلَةُ بِالْمَشْتَقِ
فَلَهَا ثَلَاثَةُ مَوَاضِعَ، وَهِيَ (٦):

١. أَنْ تَدُلَّ الْحَالُ عَلَى تَشْبِيهِ، نَحْوُ: (هَجَمَ زَيْدٌ أَسَدًا)؛ شُجَاعًا، وَنَحْوُ: (ظَهَرَتِ
الْبِنْتُ قَمْرًا)؛ أَيِ: مُضِيَّةً.
٢. أَنْ تَدُلَّ عَلَى مُفَاعَلَةٍ مِنْ جَانِبَيْنِ، نَحْوُ: (بِعْتُهُ يَدًا بَيْدًا)؛ أَيِ: مُتَقَابِضَيْنِ، وَنَحْوُ:
(كَلَّمْتُهُ فَاهُ إِلَى فِيٍّ)؛ أَيِ: مُتَشَافِهَيْنِ.
٣. أَنْ تَدُلَّ عَلَى تَرْتِيبٍ، مِثْلُ: (ادْخُلُوا رَجُلًا رَجُلًا)؛ أَيِ: مُتَرْتِبِينَ.

(١) سورة يونس: ٩٩.

(٢) شرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٥٧٢/١.

(٣) سورة الإنسان: ٢٨.

(٤) شرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٥٧٢/١.

(٥) سورة آل عمران: ١٨.

(٦) انظر: ارتشاف الصَّرب، لأبي حيان الأندلسي: ١٥٥٧/٣-١٥٥٩، وأوضح المسالك، لابن هشام: ٢٥٢/٢-

٢٥٣، وشرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ٢٤٦-٢٤٧، وشرح التصريح على التوضيح، للوقاد:

٥٧٣/١-٥٧٤.

وأما الحال الجامدة غير المؤولة بالمشتق فلها سبعة مواطن، وهي^(١):

١. أن تكون الحال موصوفةً بِاسْمٍ مُشْتَقٍّ، نحو: ﴿قَتَمَلْ لَهَا بَشْرًا سَوِيًّا﴾^(٢)، وتسمى هذه الحال حالاً مُوطَّئَةً "مُمَهَّدَةً".

٢. أن تكون دالَّةً على سِعْرِ، نحو: (يَعْتُهُ مُدًّا بِكَذًّا).

٣. أن تكون دالَّةً على عَدَدٍ، نحو: ﴿قَتَمَ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾^(٣).

٤. أن تكون طَوْرًا واقِعًا فيه تفصيل، نحو: (هَذَا بُسْرًا أَطْيَبُ مِنْهُ رُطْبًا).

٥. أن تكون نَوْعًا لِصَاحِبِهَا، نحو: (هَذَا مَالُكَ ذَهَبًا).

٦. أن تكون فَرْعًا لِصَاحِبِهَا، نحو: ﴿وَسَحَّتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾^(٤)، و(هَذَا حديدك خاتماً).

٧. أن تكون أَصْلًا لِصَاحِبِهَا، نحو: ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾^(٥)، و(هَذَا خاتمك حديدًا).

ت. أن تكون الحال نَكْرَةً:

وهذا لازم ثابت في الحال، نحو: (رَجَعَ زَيْدٌ مَسْرُورًا)؛ "فَإِنْ وَرَدَتْ بِلَفْظِ الْمَعْرِفَةِ أَوَّلَتْ بِنَكْرَةٍ، قالوا: (جاء وَحْدَةً)؛ أَي: مُنْفَرِّدًا، و(جاؤوا الْجَمَاءَ الْغَفِيرَ)؛ أَي: جَمِيعًا"^(٦).

ث. أن تكون الحال نَفْسَ صَاحِبِهَا فِي الْمَعْنَى:

وذلك كقولنا: (جاء زَيْدٌ ضاحِكًا)، واشترط النحاة شَرْطَ أَنْ تكونَ الحال نفس صاحبها في المعنى؛ "لأنَّهَا وَصَفَتْ لَهُ -صاحبها- وخبر عنه، والوصف نفس الموصوف، والخبر نفس المُخْبَرِ عنه"^(٧)؛ ولهذا جاز أن نقول: (جاء زَيْدٌ ضاحِكًا)؛ "لأنَّ الضاحك هو (زَيْدٌ) في المعنى، وامتنع أن يُقال: (جاء زَيْدٌ ضَحْكًا)؛ لأنَّ (الضَّحِك) مصدر، و(زَيْدٌ) ذات؛ والمصدر يُبَيِّنُ الدَّاتِ"^(٨).

^(١) انظر: أوضح المسالك، لابن هشام: ٢٥٤/٢-٢٥٧، وشرح التسهيل، لناظر الجيش: ٢٢٤٧/٥-٢٢٥٤،

وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٨-٦/٢، وشرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٥٧٤/١.

^(٢) سورة مريم: ١٧.

^(٣) سورة الأعراف: ١٤٢.

^(٤) سورة الأعراف: ٧٤.

^(٥) سورة الإسراء: ٦١.

^(٦) أوضح المسالك، لابن هشام: ٢٥٥/٢-٢٥٧.

^(٧) شرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٥٧٩/١.

^(٨) السابق: ٥٨٠/١.

وهذا مَبْنِيٌّ عَلَى السَّمَاعِ؛ فَإِنْ جَاءَ الْحَالُ مَصْدَرًا فَيَتَمَّ تَأْوِيلُهُ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: "قَدْ جَاءَتْ مَصَادِرُ أَحْوَالًا بِقَلَّةٍ فِي الْمَعَارِفِ، كَجَاءَ وَخَذَهُ، وَ(أَرْسَلَهَا الْعِرَاكَ^(١)). وَبِكَثْرَةٍ فِي النِّكَرَاتِ، ك(طَلَعَ بَغْتَةً)، وَ(جَاءَ رَكْضًا)، وَ(قَتَلْتُهُ صَبْرًا)، وَذَلِكَ عَلَى التَّأْوِيلِ بِالْوَصْفِ؛ أَيُّ: مُبَاغِتًا، وَرَاكِضًا، وَمَضْبُورًا؛ أَيُّ: مَحْبُوسًا. وَمَعَ كَثْرَةِ ذَلِكَ فَقَالَ الْجُمْهُورُ: لَا يَنْقَاسُ مُطْلَقًا"^(٢).

٢. الْحَالُ الْمُؤَسَّسَةُ وَالْحَالُ الْمُؤَكَّدَةُ:

الحال المؤسَّسة هي: "التي لَا يُسْتَفَادُ معناها بِدُونِهَا"^(٣)؛ أَيُّ: بِدُونِ تَكْرِهٍهَا، مِثْلُ: (جَاءَ خَالِدٌ رَاكِبًا)، وَ(عَادَ زَيْدٌ مَسْرُورًا). وَتُسَمَّى مُبَيَّنَّةً؛ لِأَنَّهَا تُبَيِّنُ هَيْئَةَ صَاحِبِهَا"^(٤) وَتُوضِّحُهَا؛ فَالْحَالُ الْمُؤَسَّسَةُ "الْمُبَيَّنَّةُ" تُذَكِّرُ لِبَيَانِ الْهَيْئَةِ. وَقَدْ تَحَدَّثْنَا عَنْ هَذَا النُّوعِ فِيمَا سَبَقَ.

أَمَّا الْحَالُ الْمُؤَكَّدَةُ فَهِيَ "التي يُسْتَفَادُ معناها بِدُونِهَا"^(٥)؛ أَيُّ: "مَا اسْتَفِيدَ معناها مِنْ غَيْرِهَا"^(٦)، وَلَهَا ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ، وَهِيَ^(٧):

أ. أَنْ تَكُونَ الْحَالُ مُؤَكَّدَةً لِعَامِلِهَا، وَهِيَ كُلُّ وَصْفٍ وَافَقَ عَامِلَهُ لَفْظًا وَمَعْنَى، أَوْ مَعْنَى بِدُونِ اللَّفْظِ^(٨)؛ لِذَلِكَ فَالْحَالُ الْمُؤَكَّدَةُ لِعَامِلِهَا قِسْمَانِ:

١. مُؤَكَّدَةٌ لِعَامِلِهَا لَفْظًا وَمَعْنَى، نَحْوُ: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾^(٩)؛ فَ(رَسُولًا) وَ(أَرْسَلْنَا) يَتَوَافَقَانِ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى؛ إِذِ اشْتَقَاقُهُمَا وَاحِدٌ، وَهَذَا تَأَكِيدُ لِعَامِلِ الْحَالِ (أَرْسَلَ) فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى.

(١) يَشِيرُ ابْنُ هِشَامٍ -هُنَا- إِلَى الشَّاهِدِ:

فَأَرْسَلَهَا الْعِرَاكَ وَلَمْ يَذْهَبْ وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَى نَعْصِ الدِّخَالِ

والتقدير: (مُعْتَرِكَةً). وَالْبَيْتُ لِلْبَيْدِ بْنِ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيِّ فِي: دِيوانه: ٧٠، وَالْكِتَابُ، لِسَيَّوِيهِ: ٣٧٢/١.

(٢) أَوْضَحَ الْمَسَالِكَ، لِابْنِ هِشَامٍ: ٢٥٨/٢-٢٥٩.

(٣) أَوْضَحَ الْمَسَالِكَ، لِابْنِ هِشَامٍ: ٢٨٢/٢، وَانْظُرْ: شَرْحُ شَذُورِ الذَّهَبِ، لِلْجَوْجَرِيِّ: ٤٤٧/٢.

(٤) شَرْحُ التَّصْرِيحِ عَلَى التَّوْضِيحِ، لِلْوَقَادِ: ٦٠٥/١.

(٥) شَرْحُ الْأَشْمُونِيِّ عَلَى الْأَلْفِيَةِ، لِلْأَشْمُونِيِّ: ٢٧/٢، وَانْظُرْ: شَرْحُ التَّصْرِيحِ عَلَى التَّوْضِيحِ، لِلْوَقَادِ: ٦٠٥/١.

(٦) شَرْحُ شَذُورِ الذَّهَبِ، لِلْجَوْجَرِيِّ: ٤٤٧/٢.

(٧) انْظُرْ: أَوْضَحَ الْمَسَالِكَ، لِابْنِ هِشَامٍ: ٢٨٢/٢-٢٨٤، وَمَغْنِي اللَّيْبِ، لِابْنِ هِشَامٍ: ٦٠٦، وَشَرْحُ شَذُورِ

الذَّهَبِ، لِلْجَوْجَرِيِّ: ٤٤٨/٢-٤٥١، وَشَرْحُ الْأَشْمُونِيِّ عَلَى الْأَلْفِيَةِ، لِلْأَشْمُونِيِّ: ٢٧/٢-٢٩، وَشَرْحُ التَّصْرِيحِ

عَلَى التَّوْضِيحِ، لِلْوَقَادِ: ٦٠٥/١-٦٠٧، وَهَمْعُ الْهَوَامِعِ، لِلْسَيَّوِي: ٣١٨/٢-٣١٩، وَحَاشِيَةُ الصَّبَانِ عَلَى

شَرْحِ الْأَشْمُونِيِّ، لِلْأَشْمُونِيِّ: ٢٧٥/٢-٢٧٦.

(٨) انْظُرْ: شَرْحُ الْأَشْمُونِيِّ عَلَى الْأَلْفِيَةِ، لِلْأَشْمُونِيِّ: ٢٧/٢.

(٩) سُورَةُ النَّسَاءِ: ٧٩.

٢. مُؤَكِّدَةٌ لِعَامِلِهَا مَعْنَى دُونَ اللفظ، نحو: ﴿قَبَسَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾^(١)؛ فَالْتَبَسُ نَوْعٌ مِنَ الضَّحِكِ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ الْحَالَ (ضَاحِكًا) مُؤَكِّدَةٌ لِعَامِلِهَا (تَبَسَّمَ) فِي الْمَعْنَى وَمُوَافِقَةٌ لَهُ دُونَ اللفظ.

ب. أَنْ تَكُونَ الْحَالَ مُؤَكِّدَةً لِصَاحِبِهَا، نحو: ﴿لَا مَنْ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾^(٢)؛ حَيْثُ جَاءَتِ الْحَالَ (جَمِيعًا) مُؤَكِّدَةً لِصَاحِبِهَا (مَنْ)؛ فَكِلَاهُمَا يَدُلُّ عَلَى الشَّمُولِ.
ت. أَنْ تَكُونَ الْحَالَ مُؤَكِّدَةً لِمُضْمُونِ الْجُمْلَةِ، نحو: (زَيْدٌ أَبُوكَ عَطُوفًا)، وَهُوَ زَيْدٌ مُنْتَصِرًا، وَيُشْتَرَطُ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ أَنْ يَكُونَ جُزْأُهَا اسْمَيْنِ مَعْرِفَتَيْنِ جَامِدَيْنِ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَتَأَخَّرَ الْحَالَ عَنْهَا، فَلَا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهَا، وَلَا يَتَوَسَّطُ بَيْنَ جُزْأَيْهَا. وَعَامِلُ هَذِهِ الْحَالَ مَحْذُوفٌ وَجُوبًا؛ لِتَنْزِيلِ الْجُمْلَةِ الْمَذْكُورَةِ بَدَلًا مِنَ اللفظ بِهِ، وَتَقْدِيرُهُ فِي (زَيْدٌ أَبُوكَ عَطُوفًا): أَحَقُّهُ، أَوْ أَعْرِفُهُ^(٣)؛ فَالْحَالَ (عَطُوفًا) مُؤَكِّدَةٌ لِمُضْمُونِ جُمْلَةٍ (زَيْدٌ أَبُوكَ) وَالْحَالَ (مُنْتَصِرًا) مُؤَكِّدَةٌ لِمُضْمُونِ جُمْلَةٍ (هُوَ زَيْدٌ).

٣. الْحَالُ الْمُفْرَدُ، وَالْحَالُ الْجُمْلَةُ، وَالْحَالُ شَبْهُ الْجُمْلَةِ:

أ. الْحَالُ الْمُفْرَدُ: يَقَعُ الْحَالُ اسْمًا مُفْرَدًا، وَهُوَ مَا لَيْسَ جُمْلَةً وَلَا شَبْهَ جُمْلَةٍ^(٤) -كَمَا ذَكَرَ سَابِقًا- نحو: (جَاءَ خَالِدٌ رَاكِبًا)، وَ(عَادَ زَيْدٌ مَسْرُورًا).
ب. الْحَالُ الْجُمْلَةُ: يَأْتِي الْحَالُ جُمْلَةً: اِسْمِيَّةً، نحو: (جَاءَ خَالِدٌ وَهُوَ يَرْكَبُ سَيَّارَةً)، وَفِعْلِيَّةً، نحو: (جَاءَ خَالِدٌ يَرْكَبُ سَيَّارَةً). وَلَمَجِيءُ الْحَالِ جُمْلَةً ثَلَاثَةُ شُرُوطٍ، وَهِيَ^(٥):
١. أَنْ تَكُونَ جُمْلَةً خَبَرِيَّةً وَلَيْسَتْ اِنْشَائِيَّةً.

٢. أَنْ تَكُونَ غَيْرَ مُصَدَّرَةٍ بِدَلِيلِ اسْتِقْبَالِ كَحْرِفِ السَّيْنِ.

٣. أَنْ تَكُونَ مُرْتَبِطَةً بِرَابِطٍ، إِمَّا بِالْوَاوِ، وَهِيَ وَاوِ الْحَالِ، مِثْلُ: (ذَهَبَ الطَّالِبُ وَالشَّمْسُ مُشْرِقَةً)، وَإِمَّا بِالضَّمِيرِ، مِثْلُ: (ذَهَبَ الطَّالِبُ حَقِيقَتُهُ جَدِيدَةً)، وَ﴿اهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾^(٦)؛ أَيْ: مُتَعَادِيْنَ^(٧)، وَإِمَّا بِالْوَاوِ وَالضَّمِيرِ مَعًا، مِثْلُ: ﴿الْمُتَرَاكِ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾^(٨).

(١) سورة النمل: ١٩.

(٢) سورة يونس: ٩٩.

(٣) شرح شذور الذهب، للجوجري: ٤٥٠/٢.

(٤) انظر: أوضح المسالك، لابن هشام: ٢٨٥/٢، وشرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٦٠٨/١.

(٥) انظر: أوضح المسالك، لابن هشام: ٢٨٥/٢-٢٨٧، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٢٩-٣٠، وشرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٦٠٨/١-٦١٠، وجمع الهوامع، للسيوطي: ٣١٩-٣٢٢.

(٦) سورة البقرة: ٣٦.

ت. الحال شبه جملة: يقع الحال شبه جملة^(٣): ظَرْفًا، نحو: (شَاهَدْتُ الْمُعَلِّمَ بَيْنَ الطُّلَابِ)، وِجَارًا ومَجْرُورًا، نحو: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي مَرِيَّتِهِ﴾^(٤)؛ فالجار والمجرور (في مَرِيَّتِهِ) متعلق بمحذوف حال.

٤. عامل الحال:

إنَّ الأصل في عامل الحال أن يكون مذكورًا؛ ليحقق الغرض منه، وهو إفادة معنى جديد، أو تقوية المعنى الموجود^(٥)، لكن قد يُحذف عامل حال جوارًا أو وجوبًا، أمَّا حَذْفُهُ جَوَارًا ففِي موضعين، وَهُمَا^(٦):

أ. إن دَلَّ على عامل الحال دليلٌ مَقَالِي "كلام صريح"، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾^(٧)، والتقدير: (فَصَلُّوا رِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا).

ب. إن دَلَّ على عامل الحال دليلٌ حَالِي؛ أي: لوجود قَرِينَةٍ حَالِيَّةٍ، كَقَوْلِكَ لِقَاصِدِ السَّفَرِ: (رَاشِدًا)، والتقدير: (تَسَافِرُ رَاشِدًا)، وَلِلْقَاصِدِ مِنَ الْحَجِّ: (مَأْجُورًا)، والتقدير: (تَرْجِعُ مَأْجُورًا).

أمَّا حَذْفُ عاملِ الحال وجوبًا فَيَقَعُ فِي الْحَالَاتِ الْأَرْبَعِ الْآتِيَةِ^(٨):

أ. إن كانت الحال مُؤَكِّدَةً لمضمون الجملة قَبْلَهَا، مثل: (زَيْدٌ أَبُوكَ عَطُوفًا).

ب. إن سَدَّتِ الحالُ مَسَدَ الخبر، مثل: (ضَرَبَ الْعَبْدَ مُسِيئًا).

(١) انظر: أوضح المسالك، لابن هشام: ٢٨٧/٢.

(٢) سورة البقرة: ٢٤٣.

(٣) انظر: أوضح المسالك، لابن هشام: ٢٨٥/٢، وشرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٦٠٨/١.

(٤) سورة القصص: ٧٩.

(٥) انظر: أوضح المسالك، لابن هشام: ٢٩٢/٢ تعليق المُحَقِّق، حاشية (٣).

(٦) انظر: الكتاب، لسيبويه: ٢٤٦/١، والمفصل، للزمخشري: ٩٣، وشرح التسهيل، لابن مالك: ٣٥١/٢،

وأوضح المسالك، لابن هشام: ٢٩٢-٢٩٣، وشرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ٢٨٣/٢، وشرح

الأشُمُونِي على الألفية، للأشُمُونِي: ٤٣/٢، وشرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٦١٤/١، وجمع الهوامع،

للسيوطي: ٣٣٤/٢.

(٧) سورة البقرة: ٢٣٩.

(٨) انظر: المفصل، للزمخشري: ٩٣، وشرح التسهيل، لابن مالك: ٣٥٢-٣٥١/٢، وأوضح المسالك، لابن

هشام: ٢٩٣-٢٩٤، وشرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ٢٨٣-٢٨٥، وشرح الأشُمُونِي على

الألفية، للأشُمُونِي: ٤٣/٢، وشرح التصريح على التوضيح، للوقاد: ٦١٤-٦١٥، وجمع الهوامع،

للسيوطي: ٣٣٥/٢.

ت. إِنْ كَانَ يُبَيِّنُ بِالْحَالِ ازْدِيَادًا أَوْ نَقْصًا بِالتَّدرِجِ، مِثْلُ: (تَصَدَّقْ بِدِينَارٍ فَصَاعِدًا)،
(وَأَشْتَرِهِ بِدِينَارٍ فَصَافِلًا).

ث. إِنْ ذُكِرَتِ الْحَالُ لِتَوْبِيخٍ، مِثْلُ: (أَقَاعِدًا وَقَدْ قَامَ النَّاسُ؟).

٥. صاحب الحال:

الأصلُ في صاحبِ الحالِ التعريفُ -كَمَا مَرَّ- نحو: (أَقْبَلَ زَيْدٌ مَسْرُورًا)، لَكِنْ قَدْ يَقَعُ
صَاحِبُ الْحَالِ نَكْرَةً بِمُسَوِّغٍ أَوْ بِدُونِهِ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: "أَصْلُ صَاحِبِ الْحَالِ التَّعْرِيفُ
وَيَقَعُ نَكْرَةً بِمُسَوِّغٍ، كَأَنَّ يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ الْحَالُ، نَحْوُ: (فِي الدَّارِ جَالِسًا رَجُلٌ)، أَوْ يَكُونُ
مَخْصُوصًا إِمَّا بِوَصْفٍ، كَقِرَاءَةِ بَعْضِهِمْ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقًا﴾^(١)، أَوْ
بِإِضَافَةٍ، نَحْوُ: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٍ﴾^(٢)، أَوْ بِمَعْمُولٍ، نَحْوُ: (عَجِبْتُ مِنْ ضَرْبِ أَخُوكَ
شَدِيدًا)، أَوْ مَسْبُوقًا بِنَفْيٍ، نَحْوُ: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾^(٣)، أَوْ نَهْيٍ،
نَحْوُ: (لَا يَبْنِغُ امْرُؤٌ عَلَى امْرِئٍ مُسْتَسْهِلًا)، أَوْ اسْتِفْهَامٍ، ك:

يَا صَاحِبِ هَلْ حُمَّ عَيْشٌ بَاقِيًا فَتَرَى لِنَفْسِكَ الْعُذْرَ فِي إِبْعَادِهَا الْأَمَلَا؟^(٤)^(٥).

وَقَدْ يَقَعُ صَاحِبُ الْحَالِ نَكْرَةً بِغَيْرِ مُسَوِّغٍ، وَهُوَ قَلِيلٌ، كَقَوْلِهِمْ: (عَلَيْهِ مَائَةٌ بَيْضًا)^(٦).

ثالثًا: تركيب الحال في المفهوم التحويلي

حَلَّلَ عَدَدٌ مِنَ الْبَاحِثِينَ تَرْكِيبَ الْحَالِ فِي ضَوْءِ الْمَفْهُومِ التَّحْوِيلِيِّ، مِنْهُمْ: مُحَمَّدٌ عَلِي
الْخُولِيُّ^(٧)، وَحَسَامُ الْبَهْنَسَاوِيُّ^(٨)، وَحَلَمِي خَلِيلٌ^(٩)، وَحَمْدَانُ رِضْوَانُ أَبُو عَاصِي^(١٠).

(١) سورة البقرة: ٨٩، وهي قراءة إبراهيم بن أبي عبلة. انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي:
٢٣٤/١، والبحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي: ٤٨٦/١ و٥٢١، والدُرُّ المصون في علوم
الكتاب المكنون، للسمين الحلبي: ٥٠٤/١.

(٢) سورة فُصِّلَتْ: ١٠.

(٣) سورة الجُر: ٤.

(٤) الْبَيْتُ لِرَجُلٍ مِنْ طَيِّئٍ لَمْ يُعَيَّنْ اسْمُهُ، فِي: شرح ابن النازم على الألفية، لابن النازم: ٢٣٤، والتذييل
والتكميل، لأبي حيان الأندلسي: ٦٣/٩، والمساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل: ١٨/٢، والمقاصد
النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، المشهور بـ"شرح الشواهد الكبرى"، لِبَنِّرِ الدِّينِ الْعَيْنِيِّ: ٣٦٩/٢.

(٥) أَوْضَحَ الْمَسَالِكَ، لابن هشام: ٢٥٩-٢٦٥. وانظر: إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، لِبِرْهَانَ الدِّينِ
إِبْرَاهِيمَ: ٤٠٧-٤٠٩، وشرح التسهيل، لناظر الجيش: ٢٣٢٣/٥، والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة
الكافية، للشاطبي: ٤٤٦-٤٤٨، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ١٠-١٤.

(٦) انظر: أَوْضَحَ الْمَسَالِكَ، لابن هشام: ٢٦٥/٢، وإرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، لِبِرْهَانَ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ:
٤٠٩/١، وشرح شذور الذهب، للجوجري: ٤٦٠/٢.

(٧) انظر: قواعد تحويلية للغة العربية، د. مُحَمَّدٌ عَلِي الْخُولِيُّ: ١٥٨-١٦٠ و١٩٤.

وقد اقترح حمدان أبو عاصي مجموعة من الاقتراحات لتحليل تركيب الحال، رأيت من المناسب أن أذكرها، لأنني سأبنى تحليله لهذا التركيب. وهذه المقترحات هي^(١):

١. يجب أن تنتمي تراكييب الحال جميعها -الحال المفرد، والجملة، وشبه الجملة- إلى بنية عميقة واحدة، تحت اسم (تركيب تكميلي)، يتكوّن من: مركب اسمي، ومركب وصفي.

٢. تتحوّل هذه البنية العميقة عن طريق بعض القواعد التحويلية إلى تركيب الحال، سواء أكان مفردًا أم جملة أم شبه جملة.

٣. يجب الانتباه إلى وجود رابط يربط تركيب الحال (تركيب تكميلي) بالتركيب المستقل التابع له، كالضمير أو واو الحال أو كليهما معًا.

٤. يُشار إلى أنواع الحال الأخرى، كالحال المؤكّدة، والمُتَنَقِّلَة، والجامدة، والمعرفة، وغيرها ضمن السمات الذاتية والانتقائية التي تُدَوّن أسفل تركيب الحال، وكذلك الشأن مع صاحب الحال وعامله.

٥. يُشار إلى نصب الحال سواء أكان ظاهرًا، أم محلاً، أم تقديرًا ضمن السمات الانتقائية للحال.

وَسَأَعْتَمِدُ التحليل السابق للأسباب الآتية:

١. استفاد أبو عاصي من الباحثين الذين سبقوه وقاموا بتحليل تركيب الحال؛ فَقَدْ أعطوا صورة توضيحية لتحليل هذا التركيب، بنى عليها ثُمَّ أضاف إليها.

٢. تناول تحليله أنواع الحال الرئيسة الثلاثة: المفرد، والجملة بنوعيتها، وشبه الجملة بنوعيتها.

٣. جاء تحليله لتركيب الحال مناسبًا للأوجه الإعرابية في أنواع الحال وحالاته المختلفة.

٤. يُعَدُّ تحليله لتركيب الحال أقلَّ استخدامًا للقواعد التحويلية من أَوْجِه الباحثين السابقين له.

٥. لَمْ يُغفل تحليله رابط الحال، كالواو أو الضمير أو كليهما معًا.

٦. راعى تحليله مفهوم الحال في التراث النحوي والمفهوم التحويلي.

ويمكننا -بناءً على ما سبق- تناول أربعة تراكييب للحال مع تحليلها، وهي:

(١) انظر: القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، د. حسام البهناوي: ٢٠٩-٢١٢.

(٢) انظر: نظرية تشومسكي اللغوية، لجون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل: ١٥٥-١٥٦ حاشية (١).

(٣) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ٣١١-٣١٤.

(٤) انظر: السابق: ٣١٣-٣١٤.

١. رَجَعَ الطالِبُ رَاكِبًا.

٢. رَجَعَ الطالِبُ وَهُوَ رَاكِبٌ.

٣. رَجَعَ الطالِبُ يَرْكَبُ سَيَّارَةً.

٤. رَجَعَ الطالِبُ بِالسَّيَّارَةِ.

حيث تنتمي التراكيب السابقة إلى بنية عميقة واحدة، وهي: (رَجَعَ الطالب + حاله رَاكِبٌ)، التي تقابل: (تركيب مستقل + تركيب تكميلي)، ثُمَّ تَحَوَّلَ التركيب التكميلي في الجملة الأولى -عن طريق بعض القواعد التحويلية- إلى حال مفردة، وَتَحَوَّلَ في الجملة الثانية إلى حال جملة اسمية مع زيادة الرابط (الواو والضمير)، وَتَحَوَّلَ في الجملة الثالثة إلى حال جملة فعلية مكونة من مركب فعلي: (يَرْكَبُ + هُوَ) ومركب اسمي (سيارةً)، وَتَحَوَّلَ في الجملة الرابعة إلى حال شبه جملة بنيتها العميقة: (رَجَعَ الطالب + حاله رَاكِبٌ بِالسَّيَّارَةِ) إلى أَنْ تَقْلُصَ المركب التكميلي إلى تركيب الحال: الجار والمجرور (بِالسَّيَّارَةِ)^(١).

وَيُوضَّحُ الرسمُ الشجريُّ لكلِّ تركيبٍ مِنْ تراكيبِ الحالِ الأربعةِ السابقةِ القواعدَ التحويليةَ فيه، عن طريق إرجاعها إلى بنية عميقة واحدة: (رَجَعَ الطالب + حاله رَاكِبٌ) التي تتكوّن مِنْ: ← (تركيب مستقل + تركيب تكميلي)، وذلك وفق التحليل الآتي:

١. الحال المفرد (رَجَعَ الطالبُ رَاكِبًا):

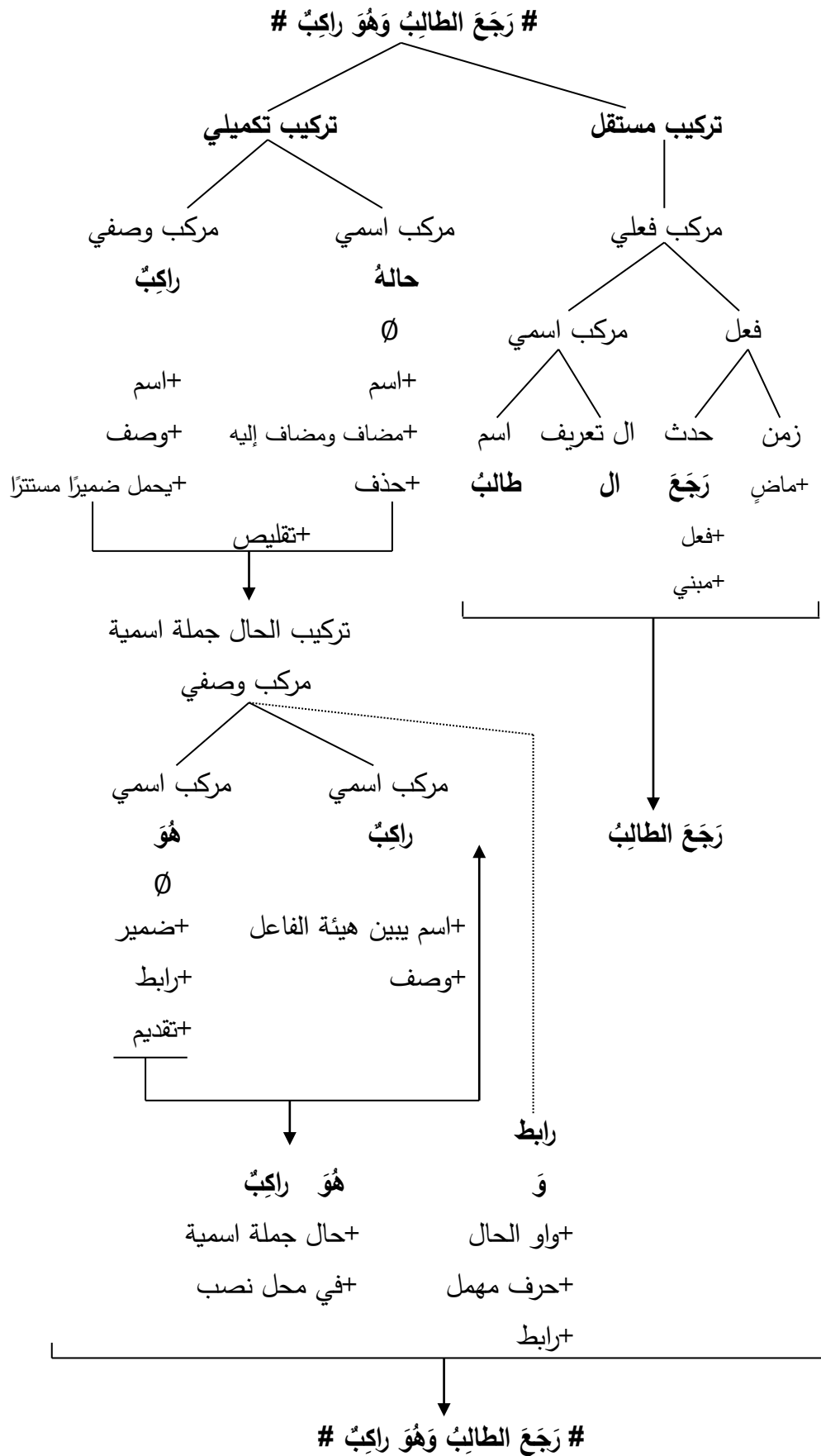
(١) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ٣١٤.



تَحَوَّلَ تركيب الحال السابق مِنْ بِنْيَتِهِ العميقة: المركب التكميلي (حَالُهُ رَاكِبٌ) إلى بنيته السطحية (رَاكِبًا) وهو تركيب الحال المفرد الذي يمثل المركب الوصفي، وجاء المركب الوصفي (رَاكِبًا هُوَ) مكوَّنًا من مركبين اسميين: (رَاكِبٌ) و(هُوَ)، ثم بقانون الحذفِ حُذِفَ المركب الاسمي (الضمير: هُوَ)؛ فَتَحَوَّلَ التركيب إلى (رَاكِبًا) بالنصب على الحال الْمُفْرَدَةِ الْمُؤَسَّسَةِ "المُبَيَّنَّة" لهيئةِ الفاعل^(١).

^(١) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ٣١٧.

٢. الحال الجملة الاسمية (رَجَعَ الطالِبُ وَهُوَ رَاكِبٌ):



تَحَوَّلَ تركيب الحال السابق مِنْ بِنْيَتِهِ العميقة: المركب التكميلي (حَالُهُ رَاكِبٌ) إلى بنيته السطحية (وَهُوَ رَاكِبٌ) وهو تركيب الحال الجملة الاسمية الذي يُمَثِّلُ المركب الوصفي، وجاء المركب الوصفي (راكبٌ هُوَ) مُكوَّنًا مِنْ مركبين اسميين: (راكبٌ) و(هُوَ)، ثُمَّ تَقَدَّمَ الضمير (هُوَ) فأصبح التركيب (هُوَ رَاكِبٌ)، ثُمَّ جاء قانون الزيادة فزِيدَ الرابطُ (واو الحال)؛ ليتحول التركيب إلى الحال الجملة الاسمية (وَهُوَ رَاكِبٌ) التي تبين هيئة الفاعل^(١).

^(١) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ٣١٧.

رَجَعَ الطَّالِبُ يَرْكَبُ سَيَّارَةً

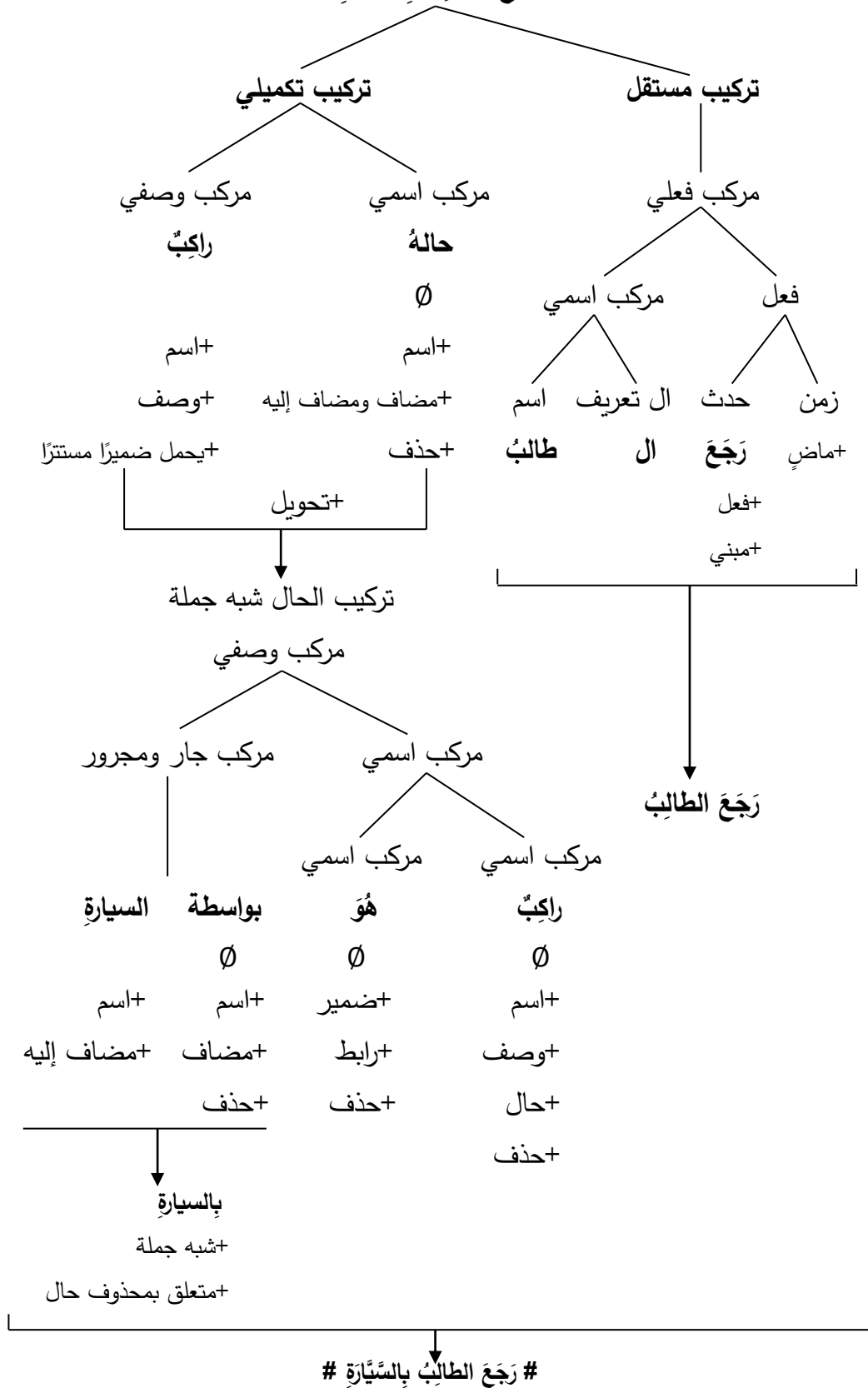


تَحَوَّلَ تركيب الحال السابق مِنْ بِنْيَتِهِ العميقة: المركب التكميلي (حَالُهُ رَاكِبٌ) إلى بنيته السطحية (يَرْكَبُ سَيَّارَةً) وهو تركيب الحال الجملة الفعلية الذي يُمَثِّلُ المركب الوصفي، وجاء المركب الوصفي (يَرْكَبُ هُوَ سَيَّارَةً) مُكوَّنًا مِنْ مركبين، الأول: فعلي (يَرْكَبُ هُوَ)، والثاني: اسمي (سَيَّارَةً)، ثُمَّ حُذِفَ الضمير (هُوَ)؛ فتحوَّل التركيب إلى حال جملة فعلية (يَرْكَبُ سَيَّارَةً) في محل نصب^(١).

^(١) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ٣١٧.

٤. الحال شبه الجملة (رَجَعَ الطالِبُ بِالسَّيَّارَةِ):

رَجَعَ الطَّالِبُ بِالسَّيَّارَةِ



تَحَوَّلَ تركيب الحال السابق مِنْ بِنْيَتِهِ العميقة: المركب التكميلي (حَالُهُ رَاكِبٌ) إلى بنيته السطحية (بِالسَّيَّارَةِ) وهو تركيب الحال شبه الجملة الذي يُمَثِّلُ المركب الوصفي، وجاء المركب الوصفي (رَاكِبٌ هُوَ بِوَاسِطَةِ السَّيَّارَةِ) مُكوَّنًا مِنْ مركبين، الأول: اسمي (رَاكِبٌ هُوَ)، والثاني: جار ومجرور (بِوَاسِطَةِ السَّيَّارَةِ)، ثُمَّ حُذِفَ مركب الحال (رَاكِبٌ هُوَ) بعد إجراء قانون الحذف، وحذف المضاف (واسطة) فتحول التركيب إلى شبه جملة (بالسيارة) متعلقة بالحال المحذوفة (رَاكِبٌ هُوَ)^(١).

رابعًا: تراكيب الحال الواردة في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ

بَلَّغَتْ تراكيبُ الحال في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ (مِائَةً وَثَمَانِيَةً وَسَبْعِينَ) تركيبًا، منها: (خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ) تركيبًا للحال المُفْرَد^(٢)، وَ(وَاحِدٌ وَسَبْعُونَ) تركيبًا للحال الجملة الاسمية^(٣)، وَ(سِتَّةٌ) تراكيب للحال الجملة الفعلية^(٤)، وَ(سِتَّةٌ وَعِشْرُونَ) تركيبًا للحال شبه الجملة (الجار والمجرور)^(٥). أمَّا الحال شبه الجملة (الظرف) فَلَمْ يَرَدْ في هذه الخُطْبِ. وَيُبَيِّنُ الجدول الآتي تراكيب الحال الواردة في كتاب خُطْبِ الرسول ﷺ مِنَ الأكثر إلى الأقل استخدامًا:

م	تراكيب الحال	عدد الاستخدام
١	الحال المُفْرَد	٧٥
٢	الحال الجملة الاسمية	٧١
٣	الحال شبه الجملة (جار ومجرور)	٢٦
٤	الحال الجملة الفعلية	٦
٥	الحال شبه الجملة (ظرف)	-
	المجموع	١٧٨

(١) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الخطيئة (رسالة دكتوراة)، حمدان رضوان أبو عاصي: ٣١٧.

(٢) منها: خُطْبَةٌ رَقْم (٣٠) في خُطْبِ الرسول ﷺ، لِمُحَمَّد خَلِيل الخطيب: ٢٠، وخُطْبَةٌ (٢٨١): ١٤٢، وخُطْبَةٌ (٣٨٧): ١٩٤، وخُطْبَةٌ (٤٧٧): ٢٤٧، وخُطْبَةٌ (٥٣٥): ٢٨٥-٢٨٦ وفيها موضعان.

(٣) منها: خُطْبَةٌ رَقْم (٢٧): ١٩، وخُطْبَةٌ (١٥٢): ٨٠، وخُطْبَةٌ (٣٧٠): ١٨٥، وخُطْبَةٌ (٤١٠): ٢٠٧، وخُطْبَةٌ (٥٤٢): ٢٩٢-٢٩٣.

(٤) وهي: خُطْبَةٌ رَقْم (٢٤): ١٨، وخُطْبَةٌ (٥١): ٢٩-٣٠، وخُطْبَةٌ (١١٥): ٦١-٦٢ وفيها موضعان، وخُطْبَةٌ (١١٩): ٦٥، وخُطْبَةٌ (٢٨٨): ١٤٦-١٤٧.

(٥) منها: خُطْبَةٌ رَقْم (٣٠): ٢٠، وخُطْبَةٌ (١١٦): ٦٢-٦٤، وخُطْبَةٌ (٢٦٠): ١٣١-١٣٢، وخُطْبَةٌ (٤٠٥): ٢٠٤-٢٠٥، وخُطْبَةٌ (٥٣٦): ٢٨٦.

خامساً: عَرْضُ لتراكيب الحال الواردة في كتابِ خُطْبِ الرسول ﷺ

١. تركيب الحال المفرد، وَمِنْ أنواعه:

أ. تركيب الحال المؤسَّسة:

جاء في خُطْبَةِ النبي ﷺ التي مَدَحَ فيها الأنصارَ: "...، أَمَا وَاللَّهِ، لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصَدَقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَذِّبًا فَصَدَقْنَاكَ، ..."^(١). والشاهد: (مُكَذِّبًا).

ب. تركيب الحال المَصْدَر المعرفة، المُوَوَّل بالنكرة:

رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ ثُمَّ قَالَ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدُهُ، وَنَصَرَ عَبْدُهُ، وَهَرَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ. أَلَا كُلُّ مَأْثَرَةٍ أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يُدْعَى فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، إِلَّا سِدَانَةَ الْبَيْتِ، وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ، ..."^(٢). والشاهد: (وَحْدَهُ) وقد تكررت مرتين، والتأويل: (مُنْفَرِدًا).

ت. تركيب الحال المؤكَّدة لصاحبها:

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَيْهِ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَتٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرَخَّاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَّعَوْجُوا، ..."^(٣). والشاهد: (جَمِيعًا).

٢. تركيب الحال الجملة الاسمية، وَمِنْ أمثلة ذلك:

أ. قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "...، وَمَنْ كَانَ هَمُّهُ الْآخِرَةَ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، ..."^(٤). والشاهد: (وَهِيَ رَاغِمَةٌ).

ب. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، ... إِذْ نَادَى مُنَادِيهِ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَخَطَبَنَا، فَقَالَ: "إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا ذَلَّ أُمَّتُهُ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ خَيْرًا لَهُمْ، وَحَذَرَهُمْ مَا يَعْلَمُهُ شَرًّا لَهُمْ، ...، فَمَنْ سَرَّهُ مِنْكُمْ أَنْ يُزَخَّرَ عَنِ النَّارِ، وَأَنْ يُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتُدْرِكْهُ مَوْتَتُهُ

^(١) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٢٥٦، حاشية (٣)، وهي خُطْبَةٌ رَقْم (٥٥).

^(٢) خُطْبُ الرَسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ١٤، خُطْبَةٌ رَقْم (١٦). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدِ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ ابْنِ حَنْبَلٍ، مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ١٨٨/٨، حَدِيثٌ رَقْم (٤٥٨٣)، وَالسُّنَنِ الْكُبْرَى، لِلْبَيْهَقِيِّ، بَابُ فَتْحِ مَكَّةَ حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى: ١٩٩/٩، حَدِيثٌ رَقْم (١٨٢٧٥).

^(٣) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٣٧٣، حاشية (٢)، وهي خُطْبَةٌ رَقْم (٤٤١).

^(٤) خُطْبُ الرَسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٦٩-٧٠، خُطْبَةٌ رَقْم (١٢٨). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مُسْنَدِ أَحْمَدَ، لِأَحْمَدَ ابْنِ حَنْبَلٍ، حَدِيثُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ: ٤٦٧/٣٥، حَدِيثٌ رَقْم (٢١٥٩٠)، وَسُنَنِ التِّرْمِذِيِّ، لِلتِّرْمِذِيِّ: ٢٢٤/٤، حَدِيثٌ رَقْم (٢٤٦٥).

وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، ...^(١).
والشاهد: (وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ).

٣. تركيب الحال الجملة الفعلية، وَمِنْ أَمْثَلُهُ ذَلِكَ:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ تَطَوَّلَ عَلَى أَهْلِ عَرَافَاتٍ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ يَقُولُ: يَا مَلَائِكَتِي انظُرُوا إِلَى عِبَادِي شُعْنًا غُبْرًا، ...^(٢)". والشاهد: (يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ).

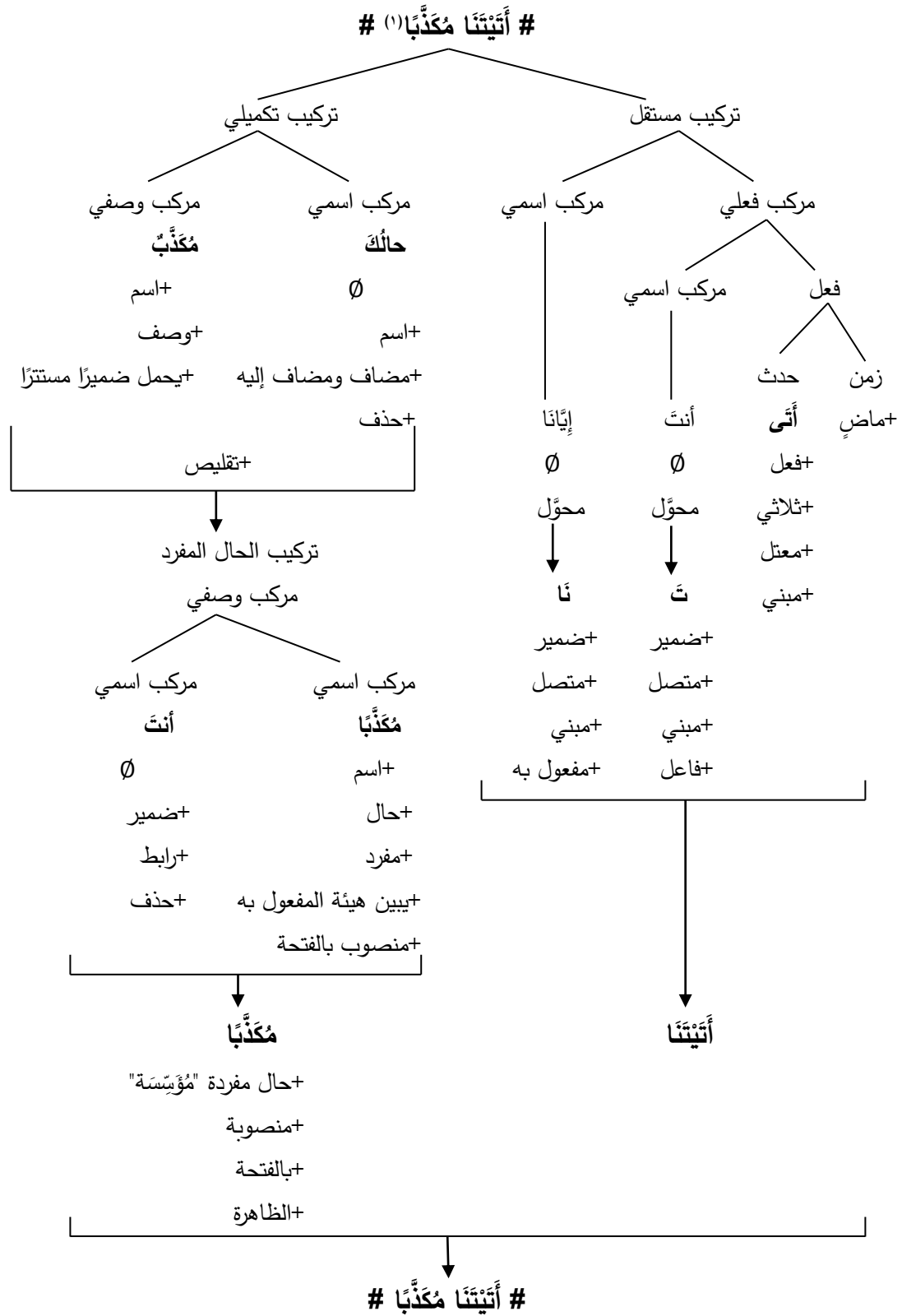
٤. تركيب الحال شبه الجملة (الجار والمجرور)، وَمِنْ أَمْثَلُهُ ذَلِكَ:

أ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "...، مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمٍ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ رِيحُ مِسْكٍ، ...^(٣)". والشاهد: (كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمٍ).
ب. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِمِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ قِيَامًا أَرْبَعِينَ سَنَةً، شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ، يَنْتَظِرُونَ فَصْلَ الْقَضَاءِ ...؛ فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدْرِ نُورِهِمْ؛ مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالسَّحَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِصَاضِ الْكَوْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّيْحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الْفَرَسِ، ...^(٤)". والشاهد: (كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ)، و(كَالْبَرْقِ)، و(كَالسَّحَابِ)، و(كَانْقِصَاضِ الْكَوْكَبِ)، و(كَالرَّيْحِ)، و(كَشَدِّ الْفَرَسِ).

سادسًا: نماذج تحليلية لتراكيب الحال الواردة في كتاب خُطَبِ الرَّسُولِ ﷺ

١. نموذج تحليلي لتركيب الحال المفرد:

(١) سَبَقَ تَخْرِيجَ الْحَدِيثِ، ص: ٣٠١، حَاشِيَةٌ (٤)، وَهِيَ خُطْبَةٌ رَقْم (٢٠٧).
(٢) خُطْبَةُ الرَّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٦٥، خُطْبَةٌ رَقْم (١١٩). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: مَسْنَدِ أَبِي يَغْلَى، لِأَبِي يَغْلَى الْمُؤَصِّلِي، حَدِيثُ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ: ١٤٠/٧، حَدِيثٌ رَقْم (٤١٠٦).
(٣) سَبَقَ تَخْرِيجَ الْحَدِيثِ، ص: ٤٨٢، حَاشِيَةٌ (٤)، وَهِيَ خُطْبَةٌ رَقْم (٣٠).
(٤) خُطْبَةُ الرَّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٩٣-٢٩٦، خُطْبَةٌ رَقْم (٥٤٣). وَأَصْلُ الْحَدِيثِ فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ، لِمُسْلِمٍ، بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ فِيهَا: ١٨٦/١، حَدِيثٌ رَقْم (١٩٥)، وَالْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ، لِلطَّبْرَانِيِّ: ٣٥٧/٩-٣٦٠، حَدِيثٌ رَقْم (٩٧٦٣).



تَحَوَّلَ تركيب الحال السابق مِنَ البنية العميقة (حَالُكَ مُكَذَّبٌ) إِلَى البنية السطحية (مُكَذَّبًا) عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف:

أ. حُذِفَ المركب الاسمي (حَالُكَ) من التركيب التكميلي حذفًا إجباريًا.

ب. حُذِفَ المركب الاسمي (أَنْتَ) في المركب الوصفي (حَالُكَ مُكَذَّبًا) حذفًا إجباريًا؛ لِيَسْتَتِرَ في الاسم الوصفي: الحال المفردة (مُكَذَّبًا).

٢. الإحلال والتعويض:

أ. حَلَّ الضميرُ المتصل (تاء الفاعل) -في التركيب المستقل- محلَّ الضمير المنفصل (أَنْتَ).

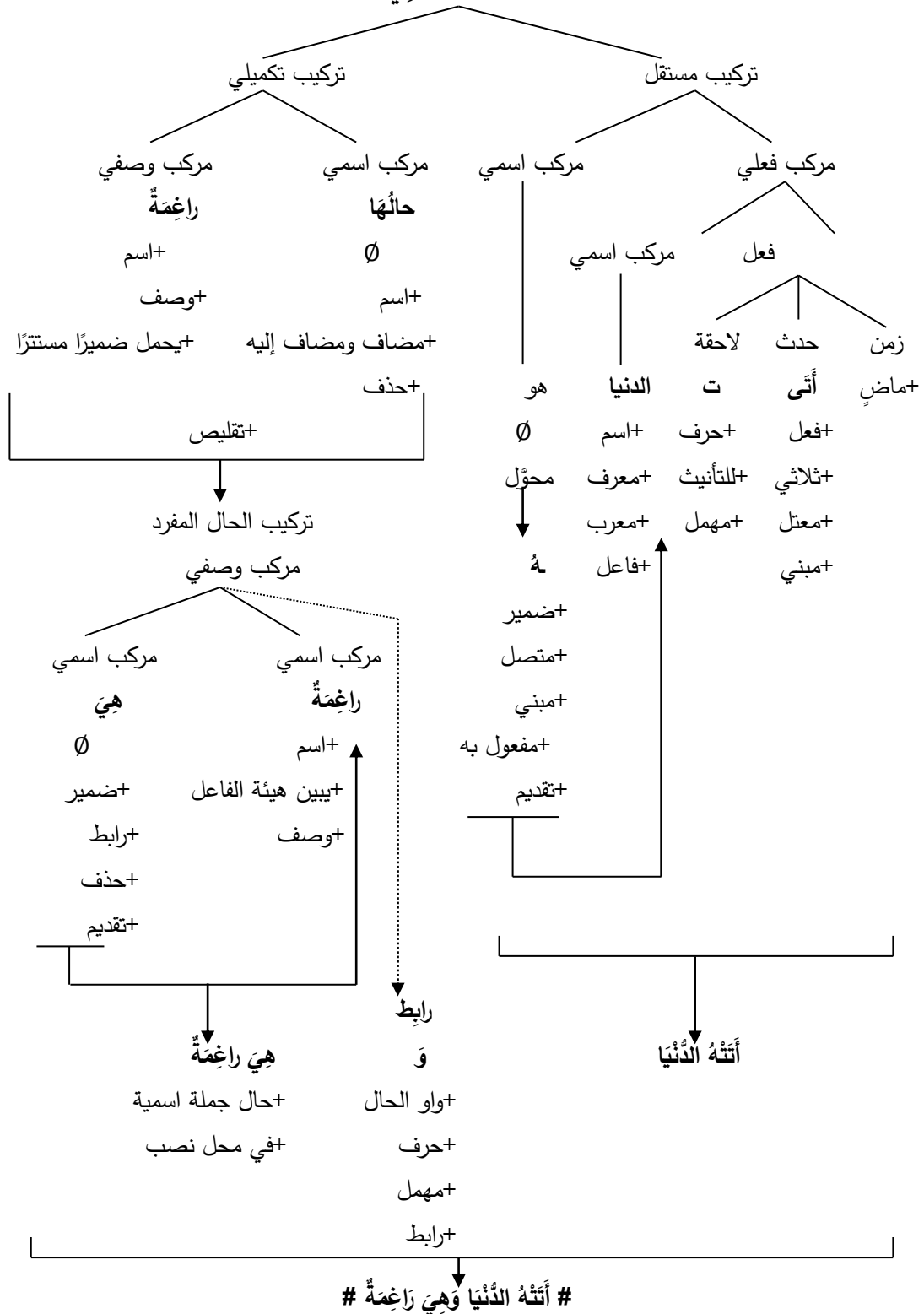
ب. حَلَّ الضميرُ المتصل (نا) الواقع مفعولًا به -في التركيب المستقل- محلَّ الضمير المنفصل (إِيَّانَا).

٣. التقليل والاختصار:

تَقَلَّصَ التركيب التكميلي (حَالُكَ مُكَذَّبٌ) إِلَى تركيب الحال المفرد (مُكَذَّبًا أَنْتَ)، ثُمَّ بقانون الحذفِ حُذِفَ الضمير (أَنْتَ)؛ فأصبح التركيب: (مُكَذَّبًا).

٢. نموذج تحليلي لتركيب الحال الجملة الاسمية:

أَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ^(١)



(١) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٥٦٥، حاشية (٤)، وهي خُطبة رقم (١٢٨).

تَحَوَّلَ تركيب الحال السابق مِنَ البنية العميقة (حَالُهَا رَاغِمَةٌ) إِلَى البنية السطحية (وَهِيَ رَاغِمَةٌ) عَنْ طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. التقديم:

- أ. تَقَدَّمَ الضمير المتصل (الهَاء) الواقع مفعولاً به -في التركيب المستقل- عَلَى المركب الاسمي (الدُّنْيَا) الواقع فاعلاً.
- ب. تَقَدَّمَ الضمير المنفصل (هِيَ) -في المركب الوصفي- عَلَى المركب الاسمي (رَاغِمَةٌ).

٢. الحذف:

حُذِفَ المركب الاسمي (حَالُهَا) مِنَ التركيب التكميلي حذفاً إجبارياً.

٣. التقليل والاختصار:

تَقَلَّصَ التركيب التكميلي (حَالُهَا رَاغِمَةٌ) إِلَى المركب الوصفي (رَاغِمَةٌ هِيَ).

٤. الإحلال والتعويض:

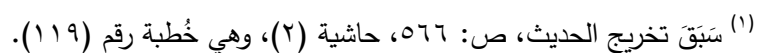
- أ. حَلَّ الضمير المتصل (الهَاء) -في التركيب المستقل- محلَّ الضمير المنفصل (هُوَ).

ب. حَلَّ المركب الوصفي (رَاغِمَةٌ هِيَ) محلَّ التركيب التكميلي (حَالُهَا رَاغِمَةٌ)، ثُمَّ حَلَّ تركيب الحال بالجملة الاسمية (هِيَ رَاغِمَةٌ) محلَّ المركب الوصفي (رَاغِمَةٌ هِيَ).

٥. الزيادة والإضافة:

زِيدَ الرابط (واو الحال) عَلَى الجملة الاسمية، وَهِيَ المركب الوصفي (هِيَ رَاغِمَةٌ).

إِنَّ اللَّهَ تَطَوَّلَ عَلَى أَهْلِ عَرَافَاتٍ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ ^(١)



تَحَوَّلَ تركيب الحال السابق مِنَ البنية العميقة (حَالُهُ مُبَاهٍ) إِلَى البنية السطحية (يُبَاهِي) عَنْ طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف:

أ. حُذِفَ المركب الاسمي الثاني: الضمير المنفصل (هُوَ) فِي التركيب المستقل؛ لِيَسْتَتِرَ فِي الفعل (تَطَوَّلَ).

ب. حُذِفَ المركب الاسمي (حَالُهُ) مِنَ التركيب التكميلي.

ت. حُذِفَ الضمير المنفصل (هُوَ) مِنَ المركب الوصفي؛ لِيَسْتَتِرَ فِي الفعل (يُبَاهِي).

٢. الزيادة والإضافة:

نَمَّ زيادة مركب التوكيد (إِنَّ) عَلَى التركيب المستقل.

٣. التقديم:

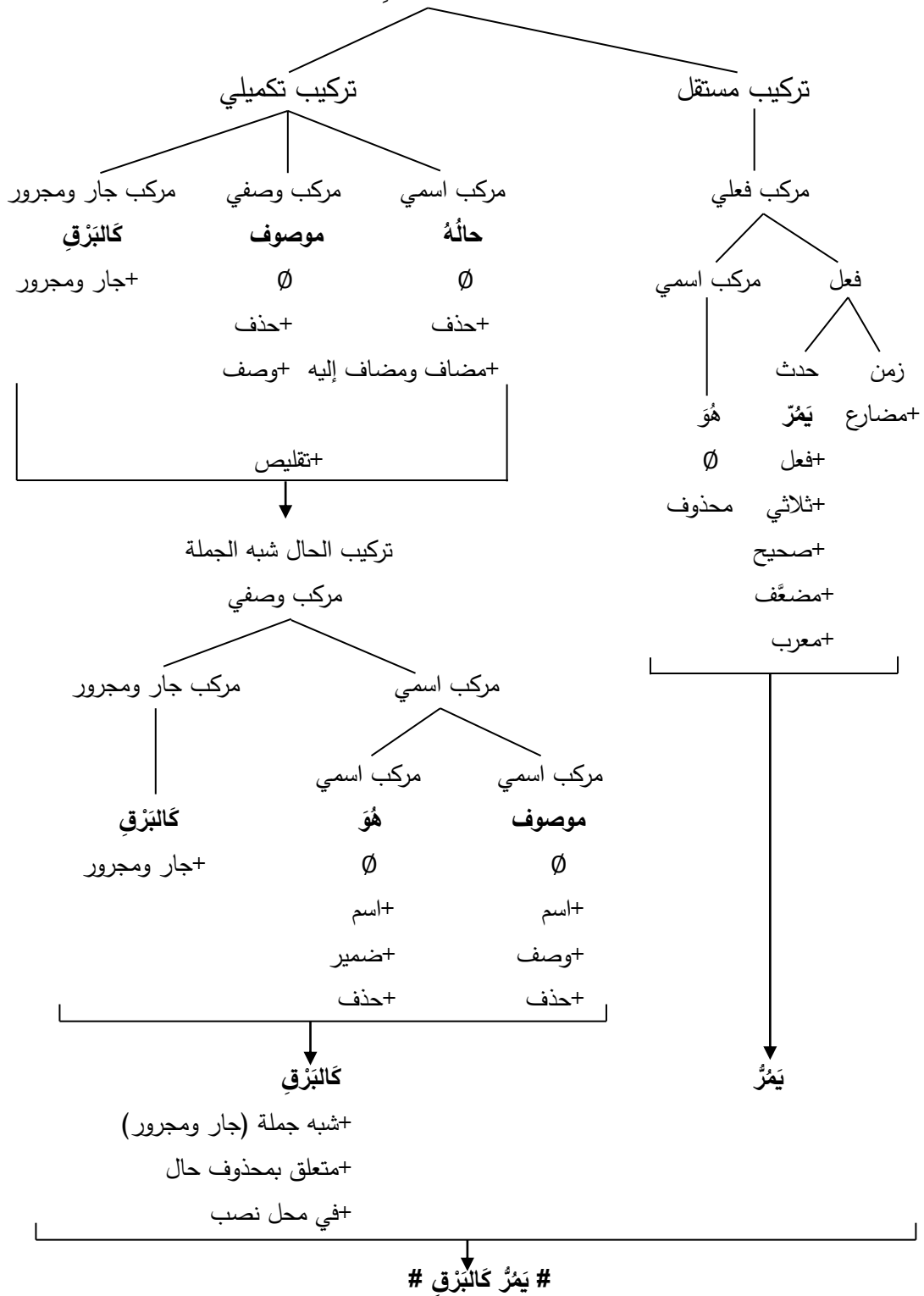
تَقَدَّمَ فِي التركيب التكميلي - مركب الجار والمجرور (بِهِمْ) عَلَى المركب الاسمي (الملائكة).

٤. الإحلال والتعويض:

حَلَّ المركب الوصفي: الجملة الفعلية (يُبَاهِي بِهِمْ الْمَلَائِكَةُ) محلَّ التركيب التكميلي (حَالُهُ مُبَاهٍ الْمَلَائِكَةُ بِهِمْ).

٤. نموذج تحليلي لتركيب الحال شبه الجملة:

يَمُرُّ كَالْبَرْقِ ^(١)



(١) سبق تخريج الحديث، ص: ٣٧١، حاشية (٣)، وهي خطبة رقم (٥٤٣).

تَحَوَّلَ تركيب الحال السابق مِنَ البنية العميقة (حَالُهُ مَوْصُوفٌ كَالْبَرْقِ) إِلَى البنية السطحية (كَالْبَرْقِ) عَنْ طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الحذف:

- أ. حُذِفَ المركب الاسمي: الضمير المنفصل (هُوَ) مِنَ التركيب المستقل.
 - ب. حُذِفَ المركب الاسمي (حَالُهُ) مِنَ التركيب التكميلي.
 - ت. حُذِفَ المركب الوصفي (مَوْصُوفٌ) مِنَ التركيب التكميلي.
 - ث. حُذِفَ -مِنَ المركب الوصفي- المركب الاسمي بِمُكَوِّنَيْهِ الاسميَّينِ: (مَوْصُوفٌ) والضمير (هُوَ)؛ فَبَقِيَ شبه الجملة (كَالْبَرْقِ).
٢. التقلص والاختصار:

تَقَلَّصَ التركيب التكميلي (حَالُهُ مَوْصُوفٌ كَالْبَرْقِ) إِلَى شبه الجملة (كَالْبَرْقِ) المتعلق بالحال المحذوفة (مَوْصُوفٌ).

المبحث السادس

تركيب المفعول المطلق ونائبه

أولاً: تعريف المفعول المطلق

يَحْسُنُ بنا -كَمَا فَعَلَ النحاة- أَنْ نتعرف إلى مفهوم الفعل والمصدر قبل تعريف المفعول المطلق؛ للتفريق بينها، قال ابن عقيل: "الفِعْلُ يَدُلُّ عَلَى شَيْئَيْنِ: الْحَدَثَ وَالزَّمَانَ؛ فَ(قَامَ) يَدُلُّ عَلَى قِيَامٍ فِي زَمَنِ ماضٍ، وَ(يُقُومُ) يَدُلُّ عَلَى قِيَامٍ فِي الْحَالِ أَوِ الْإِسْتِقْبَالِ، وَ(قُمَ) يَدُلُّ عَلَى قِيَامٍ فِي الْإِسْتِقْبَالِ، وَ(الْقِيَامُ) هُوَ الْحَدَثُ، وَهُوَ أَخَذُ مَذْلُولِي الْفِعْلِ، وَهُوَ الْمَصْدَرُ"^(١)؛ أي: المصدر اسم الحدث الْمُجَرَّدُ مِنَ الزَّمَنِ، "لأنَّ الفعل يدل على الحدث والزمان؛ فما سوى الزمان مِنَ الْمَذْلُولَيْنِ هُوَ الْحَدَثُ"^(٢)، نحو: (ضَرَبَ) فإنه أَخَذَ مَذْلُولِي (ضَرَبَ).

أَمَّا المفعولُ المطلقُ فهو: "الْمَصْدَرُ الْمُتَنَصِّبُ توكيدًا لعامله، أَوْ بيانًا لنوعه، أَوْ عَدِّهِ"^(٣)، ومثال المؤكِّد لعامله: (دَرَسْتُ دِرَاسَةً)، ومثال المُبَيِّن للنوع: (سَرْتُ سَيْرَ مُحَمَّدٍ)، ومثال المُبَيِّن للعدد: (ضَرَبْتُ اللَّصَّ ضَرْبَتَيْنِ).

وليس المقصود بالمَصْدَرِ أَنَّ المفعولَ المطلقَ والمَصْدَرَ "مترادفان، وليس كذلك، بَلْ قَدْ يَكُونُ المفعولُ المطلقُ غَيْرَ مَصْدَرٍ، نَحْوَ (ضَرَبْتُهُ سَوْطًا)، وَيَكُونُ المصدرُ غَيْرَ مفعولٍ مطلقٍ، نَحْوُ: (أَعْجَبَنِي ضَرْبُكَ)"^(٤).

وَسَمِّيَ هذا المفعول مُطْلَقًا؛ لوجهين: أحدهما: "أَنَّهُ لَمْ يُقَيَّدْ بِأَدَاةٍ، بخلاف غيره"^(٥)؛ فهو "غَيْرُ مُقَيَّدٍ بحرفٍ جَرٍّ ونحوه، بخلاف غيره مِنَ المفعولات؛ فإنه لَا يَقَعُ عَلَيْهِ اسمُ المفعول إِلَّا مَقَيَّدًا كالمفعول به، والمفعول فيه، والمفعول معه، والمفعول لَهُ"^(٦). والثاني: "أَنَّ جَمِيعَ الْأَفْعَالِ الْمُتَصَرِّفَةِ تَتَعَدَّى إِلَيْهِ لِإِزْمَائِهَا وَتَعَدِّيَّهَا، وَتَامَّهَا وَنَاقِصُهَا"^(٧).

ثانيًا: المفعول المطلق في العربية

١. أنواع المفعول المطلق:

(١) شرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ١٦٩/٢.

(٢) شرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٤٦٧/١.

(٣) شرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ١٦٩/٢. وانظر: شرح المكوذي على الألفية، للمكوذي: ١١٢-

١١٣، وتوضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ٦٤٤/٢، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٤٦٧/١.

(٤) شرح المكوذي على الألفية، للمكوذي: ١١٣.

(٥) توضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ٦٤٤/٢.

(٦) شرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ١٦٩/٢.

(٧) إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، لبرهان الدّين إبراهيم: ٣٥٣/١.

يقع المفعول المطلق على ثلاثة أنواع، وهي^(١):

أ. أن يكون مؤكِّداً لعامله "الفعل"، ويُسمَّى (المُبْهَم)؛ لأنه لا يُبَيِّنُ نَوْعاً ولا عَدَدًا، نحو: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٢)، و(ضَرَبْتُ ضَرْبًا).

ب. أن يكون مُبَيِّنًا لِلنَّوعِ، ويُسمَّى (المُخَنَّص)؛ لاختصاصه بالإضافة، نحو: (سِرْتُ سَيْرَ ذِي رَشَدٍ)، أو بالوصف، نحو: (سِرْتُ سَيْرًا حَسَنًا)، أو بالتعريف، نحو: (سِرْتُ السَّيْرَ).

ت. أن يكون مُبَيِّنًا لِلْعَدَدِ، نحو: (ضَرَبْتُ ضَرْبَةً)، و(ضَرَبْتُ ضَرْبَيْنِ)، و(ضَرَبْتُ ضَرْبَاتٍ).

٢. العامل في المفعول المطلق:

ينتصب المفعول المطلق "المصدر" بواحدٍ مِمَّا يَأْتِي^(٣):

أ. بِالْمَصْدَرِ مِثْلَهُ، نحو: ﴿فَإِنْ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾^(٤)، و(عَجِبْتُ مِنْ ضَرْبِكَ زَيْدًا ضَرْبًا شَدِيدًا).

ب. بِالْفِعْلِ^(٥)، نحو: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾^(٦)، و(ضَرَبْتُ زَيْدًا ضَرْبًا).

ت. بِالْوَصْفِ^(١)، نحو: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾^(٢)، و(أَنَا ضَارِبٌ زَيْدًا ضَرْبًا).

^(١) انظر: شرح المكيدي على الألفية، للمكيدي: ١١٣، وتوضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ٦٤٥-٦٤٦، وشرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ١٧٢/٢، والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للشاطبي: ٢٢٥-٢٢٦، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٤٦٨/١.

^(٢) سورة النَّسَاء: ١٦٤.

^(٣) انظر: توضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ٦٤٤-٦٤٥، وإرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، لبرهان الدِّين إبراهيم: ٣٥٣-٣٥٥، وشرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ١٧٠/٢، والمقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للشاطبي: ٢١٦-٢١٨، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٤٦٧/١-٤٦٨.

^(٤) سورة الإسراء: ٦٣.

^(٥) "يشترط في الفعل الذي ينصب المفعول المطلق ثلاثة شروط، الأول: أن يكون متصرفًا، والثاني: أن يكون تامًا، والثالث: ألا يكون مُلغًى عن العمل، فإن كان الفعل جامدا كَعَسَى، وَلَيْسَ، وَفَعَلَ التعجب، وَنِعَمَ، وَبَيْسَ، أو كان ناقصًا ككان وأخواتها، أو كان مُلغًى كظَنَّ وأخواتها إن توسطت بين المفعولين أو تأخرت عنهما؛ فإنه لا ينصب المفعول المطلق". شرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ١٧٠/٢ تعليق المُحَقِّق، حاشية (١).

^(٦) سورة المَعَارِج: ٥.

٣. حذف عامل المصدر "المفعول المطلق":

قَدْ يُحذف عامل المصدر "المفعول المطلق" فَيُسَمَّى المفعول المطلق النائب عن فعله المحذوف، وهذا له حالات، سَأَبَيِّنُهَا فِيْمَا يَأْتِي:

لا يجوزُ حَذْفُ عامل المصدر المؤكِّد؛ لأنَّه جاء لتقوية عامله وتأكيدِه، والحَذْفُ يُخَالِفُ ذلك، قال ابن عقيل: "المصدر المؤكِّد لا يجوز حَذْفُ عامله؛ لأنَّه مَسُوقٌ لتقرير عامله وتقويته، والحَذْفُ مُنَافٍ لذلك" (٣).

أَمَّا المصدرُ غير المؤكِّد فَيُحذف عامله إذا دَلَّ عليه دليلٌ: جوازًا ووجوبًا. وعامل المصدر غير المؤكِّد المحذوف جوازًا كقولك: "(سَيَرَّ زَيْدٌ) لِمَنْ قال: أَيُّ سَيَرٍ سِرَّتْ؟ و(ضَرَبْتَنِي) لِمَنْ قال: كَمْ ضَرَبْتَ زَيْدًا؟ والتقدير: سِرْتُ سَيَرَّ زَيْدٍ، وَضَرَبْتُهُ ضَرَبَتَيْنِ" (٤).

أَمَّا عامل المصدر غير المؤكِّد المحذوف وجوبًا ففي مواضع، منها (٥):

أ. إذا جاء المصدرُ بَدَلًا مِنْ فعله، ويُقاس ذلك في الأمر والنهي والدعاء، وَمِنْ أمثلة الأمر: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ (٦)؛ أَي: فَاضْرِبُوا ضَرْبَ الرِّقَابِ، ومن أمثلة الأمر والنهي معًا: (قِيَامًا لَا قُعُودًا)؛ أَي: قُمْ قِيَامًا وَلَا تَقْعُدْ قُعُودًا، ومن أمثلة المصدر في الدعاء: (سَقِّيًا لَكَ)؛ أَي: سَقِّاكَ اللَّهُ سَقِّيًا.

ب. إذا جاء المصدرُ بعد استفهامٍ يُراد به التوبيخ، نحو: (أَتَوَانِيَا وَقَدْ عَلَاكَ الْمَشِيبُ؟)؛ أَي: أَتَتَوَانِي تَوَانِيًا وَقَدْ عَلَاكَ الْمَشِيبُ؟

(١) يشترط في الوصف الذي ينصب المفعول المطلق شرطان، أحدهما: أن يكون متصرفًا، وثانيهما: أن يكون إمَّا اسم فاعل، وإمَّا اسم مفعول، وإمَّا صيغة مبالغة، فإن كان اسم تفضيل لم ينصب المفعول المطلق بغير خلاف فيما نعلم. واختلفوا في الصفة المشبهة، فحملها قومٌ على أفعال التفضيل، ومنعوا من نصبها المفعول المطلق، وذهب ابن هشام إلى جواز نصبها إياه. شرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ١٧٠/٢ تعليق المحقق، حاشية (٢).

(٢) سورة الذَّارِيَّات: ١.

(٣) شرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ١٧٥/٢.

(٤) السابق: ١٧٥/٢.

(٥) انظر: شرح المكوذي على الألفية، للمكوذي: ١١٤-١١٦، وتحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة "شرح ألفية ابن مالك"، لابن الوردي: ٢٩٢-٢٩٦، وتوضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ٦٤٩-٦٥١، وأوضح المسالك، لابن هشام: ١٨٧/٢-١٩٣، وإرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، لبرهان الدِّين إبراهيم: ٣٥٨/١-٣٦٣، وشرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ١٧٥/٢-١٨١، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٤٧٢/١-٤٧٧.

(٦) سورة مُحَمَّد: ٤.

ت. إذا قُصِدَ بالمصدر تفصيل عاقبة ما قَبْلَهُ، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَشْتُمُوهُمُ فَشَدُّوا
الْوَتَاكُ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءٌ﴾^(١)؛ حيث وقعت (مَنَّا) و(فِدَاءٌ) مُصَدَّرَتَيْنِ مَنْصُوبَتَيْنِ بفعلٍ
محذوف وجوباً، والتقدير -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- (فَأِمَّا تَمُنُّونَ مَنَّا وَإِمَّا تَقْدُونَ فِدَاءً).
اتَّضَحَ أَنَّ المصدر في الأمثلة السابقة منصوبٌ بفعلٍ محذوف وجوباً، يُقَدَّرُ حسب
السياق، وجاء المصدرُ نائباً منابِ الفعل المحذوف في الدلالة عَلَى معناه^(٢).

ثالثاً: نائب المفعول المطلق

- يُثْبِتُ عن المصدر في الانتصاب على المفعول المطلق حالات، وهذه أشهرها^(٣):
- أ. ما يَدُلُّ على المصدر، مثل: (كُلُّ، وَبَعْضُ) مُضَافَيْنِ إِلَى المصدر، نحو: ﴿فَلَا تَمِيلُوا
كُلَّ الْمِيلِ﴾^(٤)، و(ضَرَبْتُهُ بَعْضَ الضَّرْبِ).
 - ب. المصدر المُرَادَفُ لمصدر الفعل المذكور، نحو: (قَعَدْتُ جُلُوسًا)، و(افْرَحَ الْجَدَلُ).
 - ت. نوع مِنْ أنواع المصدر، نحو: (رَجَعْتُ الْقَهْقَرَى)، و(قَعَدَ زَيْدٌ الْقَرْفَصَاءَ).
 - ث. اسم الإشارة، نحو: (ضَرَبْتُهُ ذَلِكَ الضَّرْبَ).
 - ج. اسم المصدر، نحو: (أَسْهَمَ مُسَاهِمَةً).
 - ح. صفة المصدر المحذوف، نحو: ﴿وَأَذْكُرُ رَبِّكَ كَثِيرًا﴾^(٥)، والتقدير: وَأَذْكُرُ رَبِّكَ ذِكْرًا
كَثِيرًا؛ فَحَذِفَ الْمَصْدَرُ وَأَقِيَمَتِ الصِّفَةُ مَقَامَهُ.
 - خ. ضمير المصدر، نحو: ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٦)؛ فالهاء في "لَا أُعَذِّبُهُ
أَحَدًا": نائب عن المفعول المطلق (العَذَابُ)؛ والتقدير: لَا أُعَذِّبُ الْعَذَابَ. ونحو: (ضَرَبْتُهُ
زَيْدًا)؛ أَي: ضَرَبْتُ الضَّرْبَ.
 - د. عدد المصدر، نحو: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾^(٧)، و(ضَرَبْتُهُ ثَلَاثِينَ ضَرْبَةً).

^(١) سورة مُحَمَّد: ٤.

^(٢) انظر: شرح ابن عقيل على الألفية، لابن عقيل: ١٧٧/٢.

^(٣) انظر: توضيح المقاصد والمسالك، للمرادي: ٦٤٦-٦٤٨، وأوضح المسالك، لابن هشام: ١٨٤-١٨٦،
وإرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، لبرهان الدِّين إبراهيم: ٣٥٥-٣٥٧، وشرح ابن عقيل على الألفية،
لابن عقيل: ١٧٣-١٧٤، وشرح الأشموني على الألفية، للأشموني: ٤٦٨-٤٧٠.

^(٤) سورة النَّسَاء: ١٢٩.

^(٥) سورة آل عِمْرَان: ٤١.

^(٦) سورة المائدة: ١١٥.

^(٧) سورة النُّور: ٤.

ذ. آلة المصدر، نحو: (ضَرَبْتُهُ سَوْطًا)؛ والأصل: (ضَرَبْتُهُ ضَرْبَ سَوْطٍ)؛ فَحُذِفَ المضاف وأُقِيمَ المضافُ إليه مقامه.

رابعًا: تركيب المفعول المطلق في المفهوم التحويلي^(١)

يمكن أن يتم تحليل تركيب المفعول المطلق وفق الطريقة الآتية^(٢):

١. أن ننظر إلى تركيب المفعول المطلق - المؤكّد للعامل، أو المُبَيّن للنوع، أو المُبَيّن للعدد، أو المفعول المطلق النائب عن فعله المحذوف، أو نائب المفعول المطلق - على أنه عنصر من عناصر التوكيد يُصنّف تركيبًا تحت (تركيب مصدري)، ويُؤدّي دورًا دلاليًا هو تأكيد الفعل، ويكون نصبه على المصدريّة.
٢. يُعدّ تركيب المفعول المطلق بأنواعه كافة في البنية العميقة توكيدًا لفظيًا بتكرار الفعل، ثُمَّ يَتَحَوَّل إلى (تركيب مصدري)، ثُمَّ يَتَقَدَّم عليه الفعل والفاعل حتى لا يفصل بين الفعل ومكوناته أجنبي.

٣. تختلف السمات الدلالية والتركيبية باختلاف نوع المفعول المطلق؛ فإذا كان مُؤكِّدًا للفعل ذُكِرَ تحته سمة (+مُؤكِّد)، وإذا كان مُبَيِّنًا للنوع أُضيف إلى السمة السابقة (+مُبَيِّن للنوع)، وإذا كان مُبَيِّنًا للعدد أُضيفت سمة (+مُبَيِّن للعدد)، وهكذا.

ومن خلال التراكم الآتية ستوضح طريقة التحليل مع تركيب المفعول المطلق ونائبه:

١. ضَرَبَ الشَّرْطِيُّ اللَّصَّ ضَرْبًا.
 ٢. ضَرَبَ الشَّرْطِيُّ اللَّصَّ ضَرْبًا قَوِيًّا.
 ٣. ضَرَبَ الشَّرْطِيُّ اللَّصَّ ضَرْبَ الْمُؤَدِّبِ.
 ٤. ضَرَبًا اللَّصَّ.
 ٥. ضَرَبَ الشَّرْطِيُّ اللَّصَّ سَوْطًا.
- ف نجد أن البنية العميقة في التركيب الأول هي: (ضَرَبَ ضَرْبَ الشَّرْطِيُّ اللَّصَّ)، ثم تحول الفعل (ضَرَبَ) المفيد للتوكيد اللفظي إلى تركيب مصدري (ضَرَبَ) عن طريق قاعدة الإحلال والتعويض، ثُمَّ تَقَدَّمَ المركب الاسمي الأول (الفاعل: الشَّرْطِيُّ) والمركب الاسمي الثاني (المفعول به: اللَّصَّ) على التركيب المصدري عن طريق قاعدة التقديم، ثُمَّ انتصب التركيب المصدري

(١) قام د. محمد علي الخولي بتحليل هذا التركيب، لكنه تحليل لا يتناول جميع أنواع المفعول المطلق. انظر: قواعد تحويلية لِلْعَرَبِيَّةِ، د. محمد علي الخولي: ١٩٩. وَحَلَّلَ د. حسام البهنساوي أنواعًا متعددة لهذا التركيب، وهو أكثر وضوحًا في التحليل من الخولي، لكنه لم يَعدّ المفعول المطلق من التوكيد في بعض التحليلات. انظر: القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، د. حسام البهنساوي: ٢١٣-٢١٨.

(٢) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، د. حمدان رضوان أبو عاصي: ٣٣٢-٣٣٣.

(المفعول المطلق: ضَرْبًا)، ثُمَّ تضاف سِمَة (+توكيد لفظي) تحت هذا المصدر^(١)؛ فأصبح التركيب في بنيته السطحية (ضَرْبَ الشُّرْطِيِّ اللَّصِّ ضَرْبًا).

وفي التركيب الثاني تكون البنية العميقة هي: (ضَرْبَ ضَرْبَ الشُّرْطِيِّ اللَّصِّ بِقَوَّةٍ) ثم تحول الفعل (ضَرْبَ) المفيد للتوكيد اللفظي إلى تركيب مصدرى (ضَرْبَ) عن طريق قاعدة الإحلال والتعويض، ثُمَّ تَقَدَّمَ المركب الاسمي الأول (الفاعل: الشُّرْطِيُّ) والمركب الاسمي الثاني (المفعول به: اللَّصِّ) على التركيب المصدرى عن طريق قاعدة التقديم، ثُمَّ انتصب التركيب المصدرى (المفعول المطلق: ضَرْبًا)، ثُمَّ تضاف سِمَة (+توكيد لفظي) وَسِمَة (+مُبَيِّنٌ للنوع بالوصف) تحت هذا المصدر؛ لدخول الصفة (قَوِيًّا)؛ فأصبح التركيب في بنيته السطحية (ضَرْبَ الشُّرْطِيِّ اللَّصِّ ضَرْبًا قَوِيًّا).

وفي التركيب الثالث تكون البنية العميقة هي: (ضَرْبَ ضَرْبَ الشُّرْطِيِّ اللَّصِّ بِتَأْدِيبٍ) ثم تحول الفعل (ضَرْبَ) المفيد للتوكيد اللفظي إلى تركيب مصدرى (ضَرْبَ) عن طريق قاعدة الإحلال والتعويض، ثُمَّ تَقَدَّمَ المركب الاسمي الأول (الفاعل: الشُّرْطِيُّ) والمركب الاسمي الثاني (المفعول به: اللَّصِّ) على التركيب المصدرى عن طريق قاعدة التقديم، ثُمَّ انتصب التركيب المصدرى (المفعول المطلق: ضَرْبًا)، ثُمَّ تضاف سِمَة (+توكيد لفظي) وَسِمَة (+مُبَيِّنٌ للنوع بالإضافة) تحت هذا المصدر؛ لدخول المضاف إليه (المؤدَّب)؛ فأصبح التركيب (ضَرْبَ الشُّرْطِيِّ اللَّصِّ ضَرْبَ المؤدَّب).

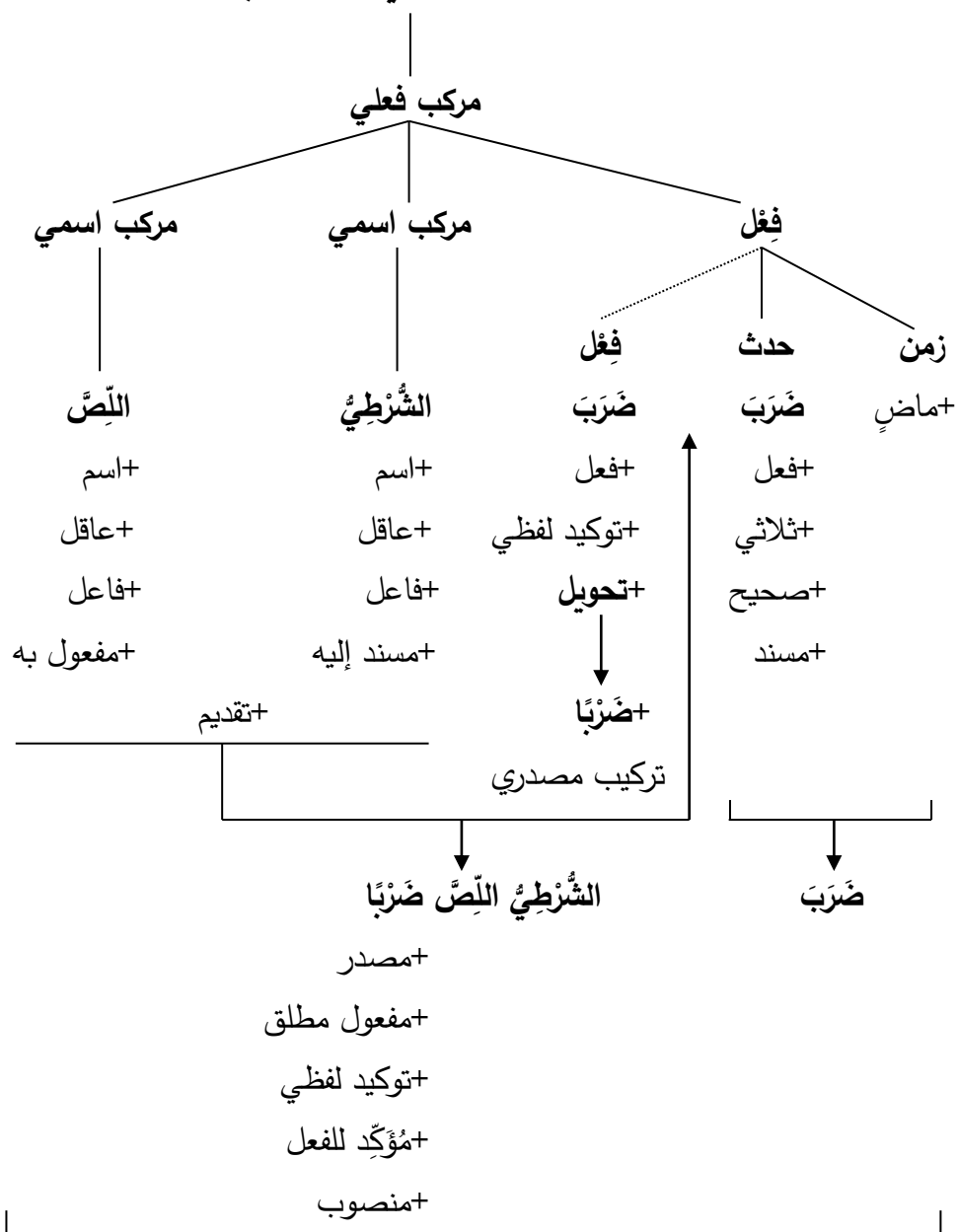
وفي التركيب الرابع تكون البنية العميقة هي: (اضْرِبِ اضْرِبِ اللَّصِّ) ثم تحول الفعل (اضْرِبِ) المفيد للتوكيد اللفظي إلى تركيب مصدرى (ضَرْبَ) عن طريق قاعدة الإحلال والتعويض: (اضْرِبِ ضَرْبًا اللَّصِّ)، ثُمَّ دخلت قاعدة التقديم فصار التركيب: (ضَرْبًا اضْرِبِ اللَّصِّ)، ثُمَّ حُذِفَ فعل الأمر (اضْرِبِ)، وَسَدَّ مكانه المصدر "المفعول المطلق" النائب عن فعله؛ فأصبح التركيب في بنيته السطحية: (ضَرْبًا اللَّصِّ).

وفي التركيب الخامس تكون البنية العميقة هي: (ضَرْبَ ضَرْبَ الشُّرْطِيِّ اللَّصِّ بِسَوْطٍ)، ثُمَّ تَحَوَّلَ الفعل (ضَرْبَ) المفيد للتوكيد اللفظي إلى تركيب مصدرى (ضَرْبَ) عن طريق قاعدة الإحلال والتعويض: (ضَرْبَ ضَرْبًا الشُّرْطِيِّ اللَّصِّ بِسَوْطٍ)، ثم حذف المصدر الواقع مفعولاً مطلقاً، وحذف حرف الجار الداخل على مركب (بِسَوْطٍ)؛ فأصبح التركيب في بنيته السطحية: (ضَرْبَ الشُّرْطِيِّ اللَّصِّ سَوْطًا).

وَيُوضَّحُ الرسمُ الشجريُّ للتركيب الأول (ضَرْبَ الشُّرْطِيِّ اللَّصِّ ضَرْبًا) القواعدَ التحويلية فيه؛ لتكون طريقة التحليل لتركيب المفعول المطلق أكثر وضوحاً:

(١) انظر: القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، د. حمدان رضوان أبو عاصي: ٣٣٣.

ضَرَبَ الشَّرْطِيُّ اللِّصَّ ضَرْبًا



ضَرَبَ الشَّرْطِيُّ اللِّصَّ ضَرْبًا

تَحَوَّلَ تركيب المطلق السابق مِنْ بَنِيَّتِهِ العميقة (ضَرَبَ ضَرْبَ الشُّرْطِيِّ اللَّصِّ) إِلَى بَنِيَّتِهِ السطحية (ضَرَبَ الشُّرْطِيِّ اللَّصِّ ضَرْبًا)، عَنْ طَرِيقِ القَوَاعِدِ التَّحْوِيلِيَّةِ الْآتِيَةِ:

١. الإحلال والتعويض: حَلَّ المركب المصدر (ضَرْبًا) محل المركب الفعلي (المُؤَكَّد اللفظي: ضَرْب).
٢. التقديم: تَقَدَّمَ المركب الاسمي الأول (الشَّرْطِيّ) والمركب الاسمي الثاني (الِلِّصّ) على المركب المصدر (ضَرْبًا)؛ لِئَلَّا يفصل بين الفعل والفاعل أجنبي.
٣. الزيادة: تَمَّ زيادةُ مركب (ضَرْبًا) لِيُؤَكِّدَ الفعل (ضَرْبَ) توكيدًا لفظيًا.

خامساً: تراكيب المفعول المطلق ونائبه الواردة في كتاب خطب الرسول ﷺ
 بَلَّغَتْ تراكيب المفعول المطلق ونائبه في كتاب خطب الرسول ﷺ (تَمَانِيَةً وَخَمْسِينَ) تركيباً، منها: (تَرْكِيبَانِ اثْنَانِ) للمفعول المطلق المؤكّد لعامله^(١)، وَ(سِتَّةَ عَشَرَ) تركيباً للمفعول المطلق المُبَيِّن للنوع^(٢)، وَ(ثَلَاثَةَ وَعِشْرُونَ) تركيباً للمفعول المطلق النائب عن فِعْلِهِ المحذوف^(٣)، وَ(سَبْعَةَ عَشَرَ) تركيباً لنائب المفعول المطلق^(٤). أمّا المفعول المطلق المُبَيِّن للعَدَدِ فَلَمْ يَرِدْ في هذه الخطب.

ويُبيّن الجدول الآتي تراكيب المفعول المطلق ونائبه الواردة في كتاب خطب الرسول ﷺ من الأكثر إلى الأقلّ استخداماً:

م	تراكيب المفعول المطلق ونائبه	عدد الاستخدام
١	المفعول المطلق النائب عن فِعْلِهِ المحذوف	٢٣
٢	المفعول المطلق المُبَيِّن للنوع	١٦
٣	نائب المفعول المطلق	١٧
٤	المفعول المطلق المؤكّد لعامله "لفعله"	٢
٥	المفعول المطلق المُبَيِّن للعدد	—
	المجموع	٥٨

سادساً: عَرَضُ لتراكيب المفعول المطلق ونائبه الواردة في كتاب خطب الرسول ﷺ

١. تركيب المفعول المطلق المؤكّد لعامله، وَمِنْ أمثلة ذلك:
 أ. قال النبي ﷺ: "...؛ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ، إِنَّ فِيهِمْ فُلَانًا الْخَطَاءَ، إِنَّمَا اعْتَنَقَهُمْ اعْتِنَاقًا؛ فَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: غَشُّوهُمْ رَحْمَتِي؛ فَهُمْ الْجَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ"^(٥).
 والشاهد: (اعْتَنَقَهُمْ اعْتِنَاقًا)^(١).

(١) هُما: خُطبة رَقْم (٤٨٦) في خُطب الرسول ﷺ، لِمُحَمَّد خَلِيل الخطيب: ٢٥٣-٢٥٤، وخُطبة (٥٧١): ٣١٤-٣١٦.

(٢) منها: خُطبة رَقْم (١٠): ١١، وخُطبة (٢٠٦): ١٠٤-١٠٥، وخُطبة (٤٣١): ٢١٨، وخُطبة (٤٨٢): ٢٥٠-٢٥٢، وخُطبة (٥٣١): ٢٨١-٢٨٣.

(٣) منها: خُطبة رَقْم (٦٢): ٣٦، وخُطبة (١٧٥): ٩٠، وخُطبة (٤٥٤): ٢٣٣، وخُطبة (٥١٩): ٢٧٠، وخُطبة (٥٧١): ٣١٤-٣١٥.

(٤) منها: خُطبة رَقْم (٤): ٨، وخُطبة (٩٥): ٥٢ وفيها موضعان، وخُطبة (٣٦٦): ١٨٤، وخُطبة (٤٢٧): ٢١٥-٢١٦، وخُطبة (٥٥٧): ٣٠٣-٣٠٤ وفيها موضعان.

(٥) خُطب الرسول ﷺ، لِمُحَمَّد خَلِيل الخطيب: ٢٥٣-٢٥٤، خُطبة رَقْم (٤٨٦). وأصل الحديث في: صحيح البخاري، للبخاري، باب فضل ذكر الله ﷻ: ٨٦/٨، حديث رقم (٦٤٠٨)، وصحيح مسلم، لمسلم، باب =

ب. قال النبي ﷺ: "... ...؛ فَصَلُّوا عَلَيَّ، وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا، وَلَا تُؤْذُونِي بِبَاكِئَةٍ،..."^(٢).
والشاهد: (سَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

٢. تركيب المفعول المطلق المُبَيَّن للنوع، وَمِنْ أمثلة ذلك:

أ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنِّي مُمَسِّكٌ بِحُجْرَتِكُمْ عَنِ النَّارِ وَتَغْلِبُونَنِي، تَقَاحُمُونَ فِيهَا تَقَاحِمَ الْفَرَّاشِ،..."^(٣). والشاهد: (تَقَاحُمُونَ فِيهَا تَقَاحِمَ الْفَرَّاشِ).

ب. جاء في حديثِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ حينما حَدَّثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الدَّجَالِ: "... ...؛ فَبَيَّنَّا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ أَبْطَاهِمُ؛ فَتَقْبِضُ رَوْحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، فَتَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ تَهَارُجَ الْحُمْرِ، وَعَلَيْهِمْ نَقُومُ السَّاعَةِ"^(٤). والشاهد: (يَتَهَارَجُونَ تَهَارُجَ الْحُمْرِ).

٣. تركيب المفعول المطلق النائب عن فعله المحذوف، وَمِنْ أمثلة ذلك:

أ. رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ سَارَ إِلَى مَكَّةَ لِيَفْتَحَهَا قَالَ لَهُ: "اهْتَفِ بِالْأَنْصَارِ"، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: "...؛ فَمَنْ أَنَا إِذَا؟ كَلًّا، وَاللَّهِ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ حَقًّا، فَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ،..."^(٥).
والشاهد: (حَقًّا).

ب. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ؓ قَالَ: اجْتَمَعْنَا فِي بَيْتِ أُمِّنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ...، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنْ يُصَلِّي عَلَيْكَ مِنَّا؟ فَبَكَيْنَا وَبَكَى، وَقَالَ: "مَهْلًا، غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ، وَجَزَاكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ خَيْرًا،..."^(٦). والشاهد: (مَهْلًا).

ت. تركيب نائب المفعول المطلق، وَمِنْ أمثلة ذلك:

أ. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، وَقَدْ انْصَرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْنَا فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي إِمَامُكُمْ فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ، وَلَا بِالسُّجُودِ، وَلَا بِالْقِيَامِ، وَلَا بِالْإِنْصِرَافِ؛ فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَمَامِي، وَمِنْ خَلْفِي"، ثُمَّ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ

فضل مجالس الذكر: ٢٠٦٩/٤، حديث رقم (٢٦٨٩)، ومسند البزار "البحر الزَّخَّار"، للبزار، مسند أبي حمزة أنس بن مالك: ١١٤/١٣، حديث رقم (٦٤٩٤).

(١) في خُطْبِ الرِّسُولِ ﷺ، لِمُحَمَّدٍ خَلِيلِ الْخَطِيبِ: ٢٥٣-٢٥٤: (اِغْتَبَهُمُ اغْتِبَاقًا)، وأحال الحديث لِمُسْنَدِ الْبَزَّارِ. والصواب ما أَثْبَتَهُ بعد الرجوع لمسند البزار: ١١٤/١٣، حديث (٦٤٩٤)؛ فَالتركيب فيه: (اِغْتَبَهُمُ اغْتِبَاقًا).

(٢) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٤٢٦، حاشية (٢)، وهي خُطْبَةٌ رقم (٥٧١).

(٣) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٣٤٥، حاشية (١)، وهي خُطْبَةٌ رقم (٢٠٦).

(٤) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٢٩٩، حاشية (٤)، وهي خُطْبَةٌ رقم (٥٣١).

(٥) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٤٦٤، حاشية (٢)، وهي خُطْبَةٌ رقم (٦٢).

(٦) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٤٢٦، حاشية (٢)، وهي خُطْبَةٌ رقم (٥٧١).

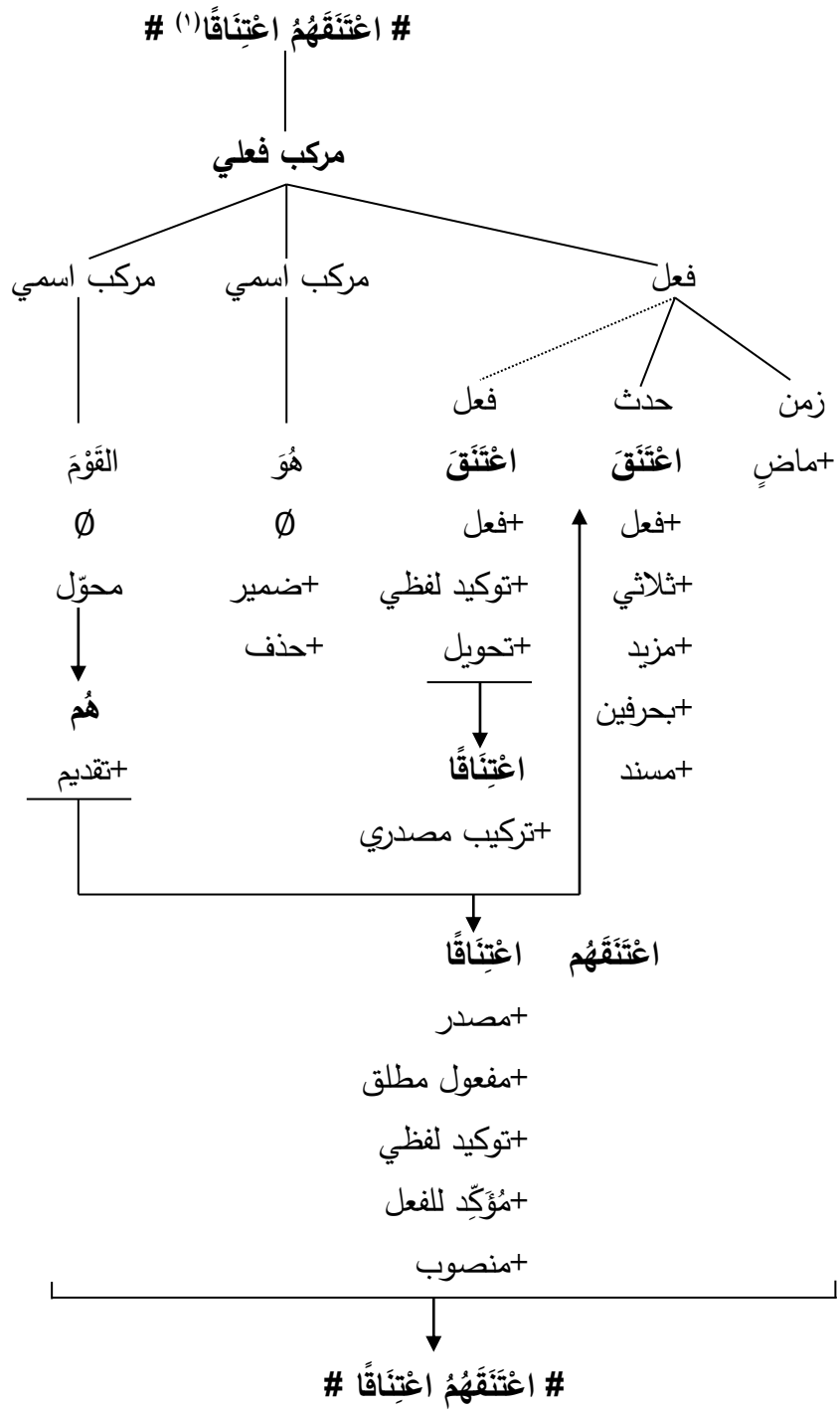
بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا"، قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ: "رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ"^(١). والشاهد: (لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا)، و(لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا).

ب. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "...؛ فَأَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، قَوْمِي، أَيُّ رَبِّ، أُمَّتِي؛ فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ،
إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدَثُوا بِعَدَاكَ، إِنَّهُمْ كَانُوا يَمْشُونَ بِعَدَاكَ الْقَهْقَرَى عَلَى أَعْقَابِهِمْ..."^(٢).
والشاهد: (يَمْشُونَ بِعَدَاكَ الْقَهْقَرَى).

سابعًا: نماذج تحليلية لتراكيب المفعول المطلق ونائبه الواردة في كتاب خطب الرسول ﷺ
١. نموذج تحليلي لتركيب المفعول المطلق المؤكّد لعامله:

^(١) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٣٤٦، حاشية (١)، وهي خطبة رقم (٧٨).

^(٢) سَبَقَ تخريج الحديث، ص: ٣٤٥، حاشية (١)، وهي خطبة رقم (٢٠٦).



(١) سبق تخريج الحديث، ص: ٥٨٢-٥٨٣، حاشية (٥)، وهي خطبة رقم (٤٨٦).

تَحَوَّلَ التركيب السابق مِنَ البنية العميقة (اعْتَنَقَ اعْتَنَقَ الْقَوْمَ اعْتِنَاقًا) إِلَى البنية السطحية (اعْتَنَقَهُمْ اعْتِنَاقًا) عَنْ طَرِيقِ الْقَوَاعِدِ التَّحْوِيلِيَّةِ الْآتِيَةِ:

١. الزيادة والإضافة:

تَمَّ زِيَادَةُ الْفِعْلِ (اعْتَنَقَ) الثَّانِي؛ لِیُؤَكِّدَ الْفِعْلَ (اعْتَنَقَ) تَوْكِيدًا لَفْظِيًّا.

٢. الإحلال والتعويض:

أ. حَلَّ الْمَرْكَبِ الْمَصْدَرِيِّ (اعْتِنَاقًا) مَحَلَّ الْفِعْلِ (المُؤَكِّدِ الْلفْظِيِّ: اعْتَنَقَ)؛ لِتَصْبِحَ الْجُمْلَةُ (اعْتَنَقَهُمْ اعْتِنَاقًا).

ب. حَلَّ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ (هُمُ) مَحَلَّ الْمَرْكَبِ الْأَسْمِيِّ (القَوْمِ)؛ فَصَارَ الْمَرْكَبُ الْفِعْلِيُّ (اعْتَنَقَهُمْ).

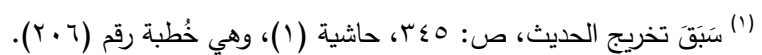
٣. التقديم:

تَقَدَّمَ الْمَرْكَبُ الْأَسْمِيُّ الثَّانِي: الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ (هُمُ) عَلَى الْمَرْكَبِ الْمَصْدَرِيِّ (اعْتِنَاقًا)؛ لِیَتَّصِلَ بِفَعْلِهِ؛ لِئَلَّا يَفْصَلَ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ أَجْنَبِي؛ فَصَارَ التَّرْكِيبُ (اعْتَنَقَهُمْ اعْتِنَاقًا).

٤. الحذف:

حُذِفَ الْمَرْكَبُ الْأَسْمِيُّ الْأَوَّلُ: الضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ (هُوَ).

تَقَاحُمُونَ فِيهَا تَقَاحُمَ الْفَرَاشِ^(١)



تَحَوَّلَ التركيب السابق مِنَ البنية العميقة (تَقَاخَمَ تَقَاخَمَ كَالْفَرَّاشِ فِيهَا) إِلَى البنية السطحية (تَقَاخُمُونَ فِيهَا تَقَاخُمَ الْفَرَّاشِ) عَنْ طَرِيقِ القواعد التحويلية الآتية:

١. الزيادة والإضافة:

تَمَّ زِيَادَةُ التركيب المصدري (تَقَاخَمَ كَالْفَرَّاشِ)؛ لِيُؤَكِّدَ الفعل (تَقَاخَمَ) توكيدًا لفظيًا، وَيُبَيِّنَ نوعه.

٢. الإحلال والتعويض:

أ. حَلَّ المركب المصدري (تَقَاخُمَ الْفَرَّاشِ) محلَّ التركيب (تَقَاخَمَ كَالْفَرَّاشِ)؛ لتصبح الجملة (تَقَاخُمُونَ تَقَاخُمَ الْفَرَّاشِ).

ب. حَلَّ الضمير المتصل (واو الجماعة) محلَّ المركب الاسمي: الضمير المنفصل (أَنْتُمْ)؛ فصار المركب الفعلي (تَقَاخُمُونَ).

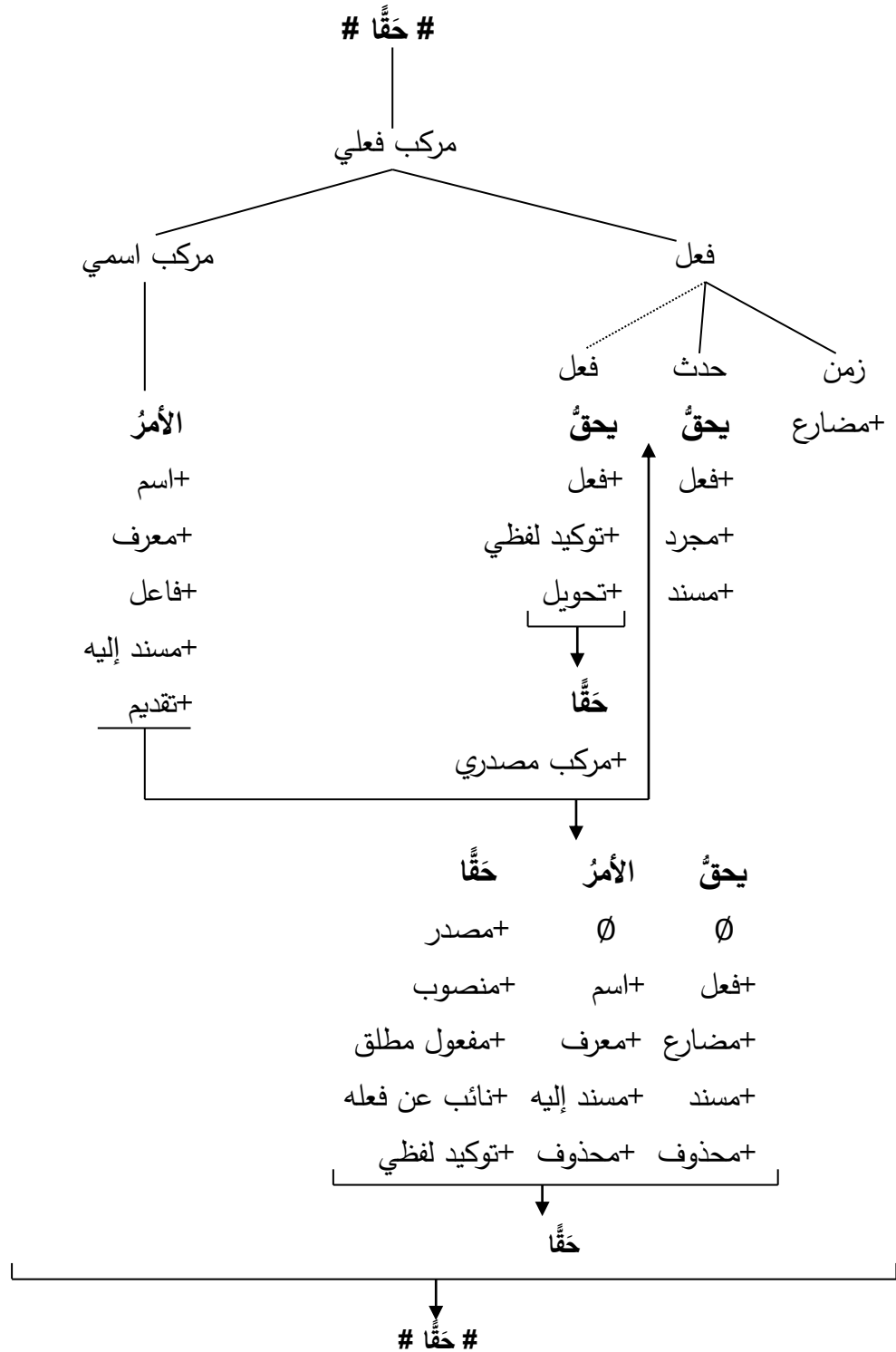
٣. التقديم:

أ. تَقَدَّمَ المركب الاسمي: الضمير المتصل (واو الجماعة) عَلَى المركب المصدري (تَقَاخُمَ الْفَرَّاشِ)؛ لِيَتَّصِلَ بفعله (تَقَاخَمَ) الْأَوَّلُ؛ لِئَلَّا يَفْصَلَ بَيْنَ الفعل والفاعل أجنبي؛ فصار التركيب (تَقَاخُمُونَ تَقَاخُمَ الْفَرَّاشِ).

ب. تَقَدَّمَ مركب الجار والمجرور (فِيهَا) عَلَى الفعل: المؤكِّد اللفظي (تَقَاخَمَ)؛ فَأَصْبَحَ التركيب في صورته السطحية: (تَقَاخُمُونَ فِيهَا تَقَاخُمَ الْفَرَّاشِ).

٣. نموذج تحليلي لتركيب المفعول المطلق النائب عن فعله المحذوف:

قال رسول الله ﷺ: "وَاللَّهِ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ حَقًّا"^(١).



^(١) سبق تخريج الحديث، ص: ٤٦٤، حاشية (٢)، وهي خطبة رقم (٦٢).

تَحَوَّلَ التركيب السابق مِنَ البنية العميقة (يَحَقُّ يَحَقُّ الأَمْرُ) إِلَى البنية السطحية (حَقًّا)
عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الزيادة والإضافة:

تَمَّ زيادةُ الفعل (يَحَقُّ) الثاني؛ لِيُؤَكِّدَ الفعل (يَحَقُّ) توكيدًا لفظيًا.

٢. الإحلال والتعويض:

حَلَّ المركب المصدري (حَقًّا) محلَّ الفعل (المُؤَكِّد اللفظي: يَحَقُّ).

٣. التقديم:

تَقَدَّمَ المركب الاسمي (الأَمْرُ) الواقع فاعلاً عَلَى المركب المصدري (حَقًّا)؛ لِيَتَّصِلَ بفعله
(يَحَقُّ) الأول؛ حتى لَا يَفْصِلَ بين الفعل والفاعل أجنبي؛ فَصَارَ التركيب (يَحَقُّ الأَمْرُ
حَقًّا).

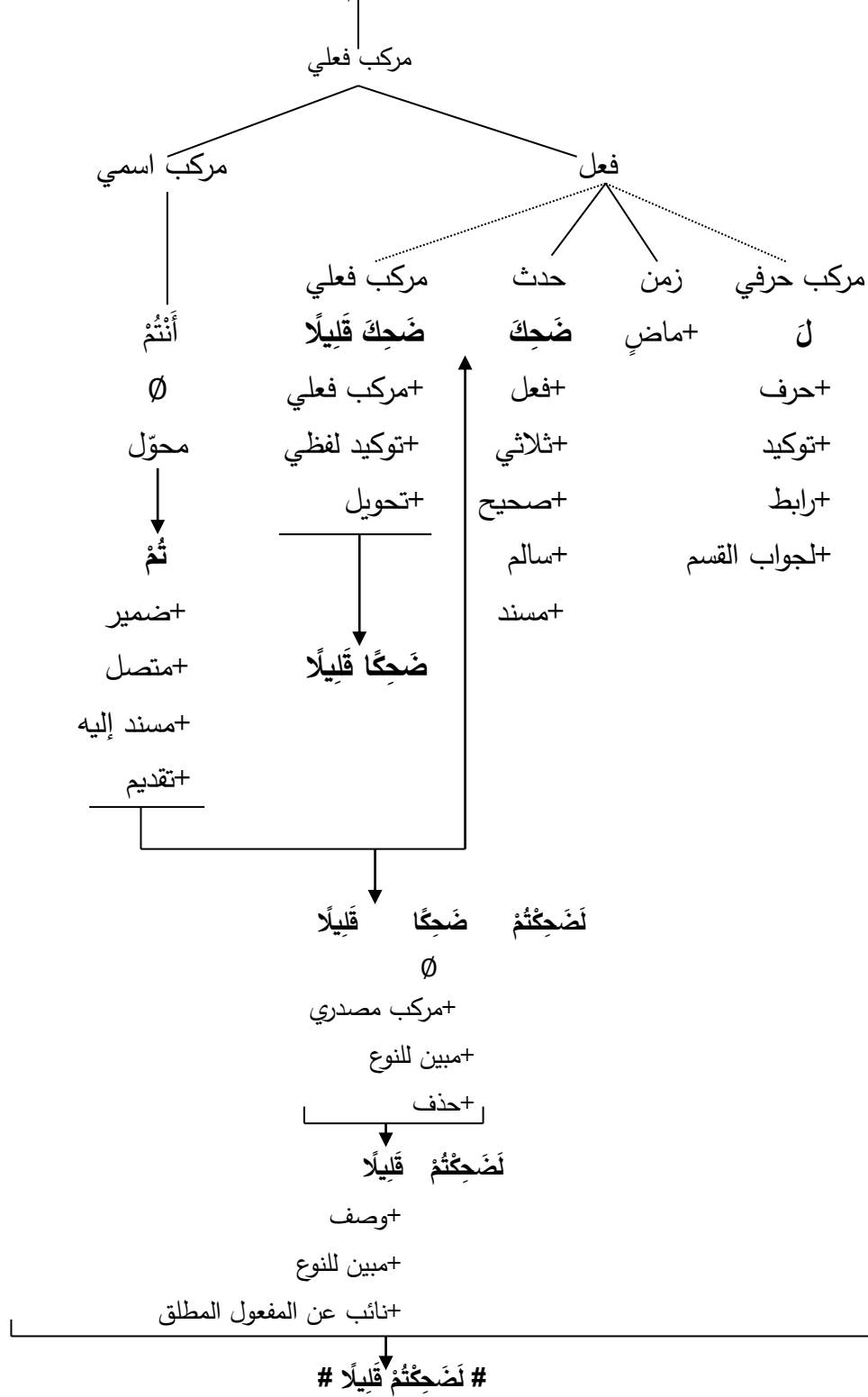
٤. الحَذْف:

حُذِفَ المركب الفعلي (يَحَقُّ الأَمْرُ)، وَبَقِيَ المَصْدَرُ (حَقًّا) نَائِبًا عَنْهُ.

٤. نموذج تحليلي لتركيب نائب المفعول المطلق:

قال رسول الله ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ لَصَحِغْتُمْ قَلِيلًا،..."^(١).

لَصَحِغْتُمْ قَلِيلًا



^(١) سبق تخريج الحديث، ص: ٣٤٦، حاشية (١)، وهي خطبة رقم (٧٨).

تَحَوَّلَ التركيب السابق مِنَ البنية العميقة (ضَحِكَ ضَحِكَ قَلِيلًا) إِلَى البنية السطحية (لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا) عن طريق القواعد التحويلية الآتية:

١. الزيادة والإضافة:

- أ. تَمَّ زيادةُ المركبِ الفعلي (ضَحِكَ قَلِيلًا)؛ لِيُؤَكِّدَ الفعل (ضَحِكَ) توكيدًا لفظيًا.
- ب. زِيدَ المركب الحرفي (اللام) على الفعل (ضَحِكْتُمْ)؛ ليربط لجملة جواب القسم.

٢. الإحلال والتعويض:

- أ. حُلَّ المركب المصدري (ضَحِكًا قَلِيلًا) محلَّ الفعل (ضَحِكَ)؛ لتصبح الجملة (ضَحِكَ ضَحِكَ قَلِيلًا).
- ب. حُلَّ الضمير المتصل (تُمْ) محلَّ المركب الاسمي: الضمير المنفصل (أَنْتُمْ)؛ فصار المركب الفعلي (لَضَحِكْتُمْ).

٣. التقديم:

- تَقَدَّمَ المركب الاسمي: الضمير المتصل (تُمْ) عَلَى المركب المصدري (ضَحِكًا قَلِيلًا)؛ ليتصل بفعله؛ حتى لا يفصل بين الفعل والفاعل أجنبي؛ فصار التركيب (لَضَحِكْتُمْ ضَحِكًا قَلِيلًا).

٤. الحذف:

- حُذِفَ الْمَصْدَرُ (ضَحِكًا)؛ وَأُقِيمَتْ صفته (قَلِيلًا) مقامه، لتكون نائبًا عن المفعول المطلق المبين للنوع؛ فأصبح التركيب: (لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا).

الخاتمة

تَنَاولَ هذا البحثُ القواعدَ التحويليةَ في خُطْبِ النبي ﷺ، فَمَهَّدَ بقضية الاستشهاد في الحديث النبوي، ثُمَّ أَطَّلَ على الخُطابة بين الثقافتين الغربية والعربية، ثُمَّ سَلَّطَ الضوءَ على الإطار النظري للنظرية التحويلية مع التركيز على مبادئ النظرية وركائزها ومكوناتها، ثُمَّ تَنَاولَ بالتفصيل التراكيب اللغوية بِقِسْمَيْهَا -الإنشائية وغير الإنشائية- الواردة في خُطْبِ النبي ﷺ، مَعَ توضيح البنية العميقة والسطحية لهذه التراكيب، وبيان القواعد التحويلية التي اسْتَعْمَلَتْ فيها، أما طريقة التحليل المتبعة في البحث فكانت بالرسم الشجري لكلِّ تركيبٍ مِنَ التراكيب المنوطة بالدراسة في هذه الخُطْبِ.

وَبَعْدَ أَنْ تَقَضَّلَ عَلَى اللَّهِ ﷻ -بِعَظِيمِ مَنِّهِ، وَجَمِيلِ لُطْفِهِ، وَإِسْبَاغِ نِعْمَتِهِ؛ فَذَلَّلَ بِقُدْرَتِهِ لِي الصعاب، وأكرمني بِعَوْنِهِ عَلَى إِتِمَامِ هذه الدراسة- لَا بُدَّ مِنَ الثناء والتجليل لَهُ ﷻ، وَشُكْرِهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ وَأَجَزَلَ، وَأَعْطَى وَأَكْرَمَ؛ فَلَهُ الْحَمْدُ مَلءَ السَّمَوَاتِ وَمَلءَ الْأَرْضَ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى.

وَقَدْ خَلَّصَ الْبَاحِثُ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ إِلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ النَّتَائِجِ وَالتَّوَصِيَّاتِ، وَهِيَ:

أولاً: النتائج

١. ارتقاء الخُطابة وازدهارها في عَهْدِ صَدْرِ الْإِسْلَامِ رَاجِعٌ إِلَى أَمْرَيْنِ: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَالْحَدِيثُ الشَّرِيفُ.

٢. إِنَّ مَذْهَبَ الْاِحْتِجَاجِ بِالْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ هُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ النُّحَاةِ الْأَوَّالِ وَالْمُحَدِّثِينَ.

٣. الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ هُوَ: كُلُّ مَا أُضِيفَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ فِعْلٍ، أَوْ تَقْرِيرٍ، أَوْ صِفَةٍ خُلِقِيَّةٍ أَوْ خُلُقِيَّةٍ. أَمَّا الْخُطْبَةُ فَهِيَ: فَنٌّ نَثْرِيٌّ قَوْلِيٌّ، يَقُومُ فِيهَا الْخُطِيبُ عَلَى مِشَافَهَةِ جُمْهُورٍ مِنَ الْمُسْتَمْعِينَ، مُسْتَنِدًا إِلَى الْأَدْلَةِ؛ لِإِقْنَاعِهِمْ، وَالتَّأْثِيرِ فِيهِمْ، أَوْ وَعْظِهِمْ، مَعَ حُسْنِ مَرَاعَةٍ مُقْتَضَى أَحْوَالِهِمْ. فَكُلُّ خُطْبَةٍ حَدِيثٌ، وَلَكِنْ لَيْسَ مِنَ الضَّرُورَةِ أَنْ يَكُونَ كُلُّ حَدِيثٍ خُطْبَةً، فَقَدْ يَكُونُ الْحَدِيثُ خُطْبَةً، وَرَبَّمَا لَا يَكُونُ.

٤. وَضَعَ هَارِيسُ الْبَذْرَةَ الْأُولَى لِلنَّظَرِيَّةِ التَّوَلِيدِيَّةِ التَّحْوِيلِيَّةِ، لَكِنْ تَشَوُّمُسْكِي زَادَ آرَاءَهُ تَطْوِيرًا؛ فَطَعَنَ عَلَى آرَاءِ أَسَاتِذِهِ هَارِيسَ.

٥. كَانَ هُمُّ النَّظَرِيَّةِ التَّوَلِيدِيَّةِ التَّحْوِيلِيَّةِ أَنْ تُحَوِّلَ الْبَحْثَ اللَّغَوِيَّ اللَّسَانِيَّ عِنْدَ الْإِنْسَانِ مِنْ مَنَهِجِ سُلُوكِي نَفْسِي إِلَى مَنَهِجِ عَقْلِي يَتَطَّلَعُ إِلَى اسْتِكْشَافِ الْقُدْرَةِ الْكَامِنَةِ وَرَاءَ

الْحَدَّثَ اللساني (الجملة المنطوقة)، والبحث لتعليل ذلك بدلاً من الاكتفاء بِوَصْفِهِ وَضْفًا شَكْلِيًّا.

٦. ينطلق المنهج الوصفي البنيوي مِنَ البنية وَأَنَّ اللغة أَلِيَّة مع إهمال الدور الإيجابي للمُتَكَلِّم، ويحاول الإجابة عن سؤال: ما اللغة؟ أمَّا المنهج التوليدي التحويلي فينطلق مِنَ الجُمْلَة (القول/ العبارة)، ويرى أن اللغة عملية إبداعية حيوية مع الاهتمام بِالخُلُقِ اللُّغَوِيِّ غير المحدود للمتكلّم، ويحاول الإجابة عن سؤال: كيف يتم إنتاج اللغة وإظهار المعنى؟

٧. التوليد هو: إنتاج عَدَدٍ لا محدود مِنَ الجُمَلِ انطلاقًا مِنْ عَدَدٍ مِنَ المفرداتِ محدودٍ، مع تمييزه بين الجمل المقبولة وغير المقبولة. أمَّا التحويلُ فهو: تحويل جُمْلَةٍ إلى أخرى، أو تركيب إلى آخر، والجُمْلَةُ المُحوَّلُ عنها هي ما يُعرف بالجُمْلَة الأصل (البنية العميقة)، والجُمْلَة المُحوَّلَة المنطوقة هي (البنية السطحية)، والقواعدُ التي تتحكم في تحويل جملة الأصل هي القواعد التحويلية. فكلُّ قاعدةٍ تحويليةٍ توليديةٌ، وليس ضروريًا أَنْ تكونَ كُلُّ قاعدةٍ توليديةٍ تحويليةً، إذْ قَدْ تكونُ القاعدةُ التوليديةُ تحويليةً، وَقَدْ لا تَكُونُ.

٨. إن طريقة التحويل من البنية العميقة إلى السطحية أهم فكرة في منهج تشومسكي، أو هي الفكرة الجوهرية الأساسية التي يقوم عليها منهجه؛ لأنه ينظر إلى اللغة على أنها نتاج عقلي قبل أن يكون سلسلة من الأصوات المنطوقة.

٩. يرتبط امتلاك الإنسان لِلُّغَة -عند تشومسكي- مِنْ خلال التنظيم العقلي، وينفي ما ذهبت إليه المدرسة الوصفية أَنَّ لغة الإنسان موجودة أصلاً عند الحيوان لكن الإنسان أعلى ذكاءً.

١٠. جَعَلَ المنهجُ التوليديُّ التحويليُّ مِنَ الجُمْلَة قِمَّةَ الدراسات اللغوية، ولا يمكن أَنْ تبدأ الدراسات اللغوية -عنده- إِلَّا بها.

١١. طريقة تحليل الجملة العربية وتكوينها في ضوء المنهج التحويلي التي تتناولها الباحثُ في هذا البحث هي أَنَّ الجملة تتكون من مركبين رئيسيين: المركّب الفعلي، والمركّب الاسمي. كما اعتمدتُ وجودَ مركبات أخرى مُكَمِّلَة للمركبين الفعلي والاسمي تُدرَجُ تحت مركب التكملة، مثل: المركب الوصفي، ومركب الجار والمجرور.

١٢. تَأَثَّرَ النحو التوليديّ بالنحو العربي تلميحًا أو تصريحًا، ومن أبرز مظاهر هذا التأثير: (الاشتقاق، والحَدَس، والحذف، والتقديم والتأخير، والزيادة، والبنية العميقة والبنية السطحية).

١٣. أثبتَ الباحثُ أنَّ تشومسكي استفاد من كتاب سيويه ولم يستفد من كتاب الأجرومية كما هو مشهور عند كثير من الباحثين، وهذه الاستفادة لم أرَ - في حدود بحثي - من ذكرها قبلاً.

١٤. استفاد تشومسكي من القاسم المشترك بين النحويين العربي والعبري؛ لأن التشابه بين خصائصهما كبير، إما باطلاعه المباشر وإما عن طريق الترجمة.

١٥. بلغ مجموع التراكيب جميعها - الإنشائية وغير الإنشائية - في كتاب خطب الرسول ﷺ (ستة آلاف وخمسة مائة) تركيب.

١٦. احتلت التراكيب الإنشائية الطلبية - في هذه الخطب - المرتبة الثانية بعد التراكيب غير الإنشائية.

١٧. بلغ عدد التراكيب الإنشائية الطلبية في كتاب خطب الرسول ﷺ (ألفاً وثمان مائة وتسعة وأربعين) تركيباً؛ أي: ٢٨.٤٤% بالنسبة للتراكيب الإنشائية وغير الإنشائية في هذه الخطب.

١٨. أكثر التراكيب الإنشائية الطلبية وروداً هو: (الأمر)، ثم (النداء)، ثم (الاستفهام)، ثم (النهي)، ثم (التمني) وهو أقلها وروداً، بل أقل التراكيب بنوعها - الإنشائية وغير الإنشائية - في هذه الخطب، حيث وردَ (مرة) واحدة فقط.

١٩. اعتمد البحثُ المعنى الحقيقي للتراكيب الإنشائية ممثلاً للبنية العميقة للتركيب؛ أي: صورة التركيب الظاهرة هي البنية العميقة، والمعنى المجازي "المعنوي" - كالنصح مثلاً في تركيب الأمر - هو البنية السطحية للجملة، فيصبح معنى (النصح) محولاً عن الأمر، وهكذا في باقي التراكيب؛ لأن المعاني الحسية أسبق في الوجود من المعاني الحقيقية؛ فالمعنى المجازي (المعنوي) فرغ للمعنى الحقيقي (الحسي).

٢٠. ركّزَ الباحثُ في تحليل جملة الاستفهام على قضايا ثلاث، وهي: (المعنى الذي يؤدّيه تركيب الاستفهام)، و(طرائق تأدية هذا المعنى)، و(طبيعة الجملة الاستفهامية).

٢١. يقوم أسلوب الاستفهام على طرائق ثلاث، وهي: (كلمات الاستفهام)، و(كلمة تدلّ على الاستفهام)، و(التنغيم الصوتي).

٢٢. إنَّ جملة الاستفهام في المفهوم التحويلي هي جملة تحويلية، تَحَوَّلَتْ مِنْ معنى الإخبار المُحايد إلى المعنى الجديد الذي يحمله الاستفهام فيها.

٢٣. احتلتِ التراكيبُ الإنشائية غير الطلبية -في كتابِ خُطْبِ الرسول ﷺ- المرتبة الثالثة بعد التراكيب الإنشائية الطلبية.

٢٤. بَلَغَ عَدْدُ التراكيبِ الإنشائية غير الطلبية في كتابِ خُطْبِ الرسول ﷺ: (مَائَتَيْنِ وَسَبْعَةً) مِنَ التراكيبِ؛ أي: ٣٠.١٨% بالنسبة للتراكيب الإنشائية وغير الإنشائية في هذه الخُطْبِ.

٢٥. أَكْثَرُ التراكيبِ الإنشائية غير الطلبية وَرُودًا هو: (القَسَمُ)، ثُمَّ (الدعاء)، ثُمَّ (الرجاء)، ثُمَّ (المَدْحُ والذَّمُّ)، ثُمَّ (التعجب)، أَمَّا (صَيَغُ العُقُودِ) فَلَمْ تَرِدْ فِي هذه الخُطْبِ.

٢٦. اعتمد الباحثُ العناصرَ التحويلية الثلاثة في تركيب المدح بِ(نَعَم) والذَّمِّ بِ(بُئْسَ)، وهي: (الإحلال والتعويض)، و(الزيادة والإضافة)، و(الترتيب).

٢٧. تَبَيَّنَ أَنَّ تركيبَ الدعاءِ في المفهوم التحويليّ تركيبٌ سطحي، أصله التوليدي في صورة الأمر أو النهي، وَقَدْ سَبَقَ سببويه المُحَدِّثِينَ في ذلك.

٢٨. إنَّ تركيبَ الدعاءِ في بنيته السطحية يَتَكُونُ مِنْ مَرْكَبِ الدعاءِ، المَكُونُ مِنْ: (فعل الدعاء)، و(المَدْعُو)، و(المَدْعُو لَهُ أَوْ عَلَيْهِ).

٢٩. بَلَغَ عَدْدُ التراكيبِ غير الإنشائية في كتابِ خُطْبِ الرسول ﷺ (أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَأَرْبَع مِائَةٍ وَأَرْبَعَةَ وَأَرْبَعِينَ) تَرْكِيبًا؛ أي: ٦٨.٣٦%؛ وَمِنْ ثُمَّ فَهِيَ أَكْثَرُ التراكيبِ كُلِّهَا وَرُودًا فِي هذه الخُطْبِ؛ فَقَدْ احتَلَّتِ المرتبة الأولى بين التراكيب كلها.

٣٠. أَكْثَرُ التراكيبِ غير الإنشائية وَرُودًا فِي هذه الخُطْبِ هو: (التوكيد)، ثُمَّ (النفى)، ثُمَّ (الشرط)، ثُمَّ (الحال)، ثُمَّ (التعليل)، ثُمَّ (المفعول المطلق ونائبه).

٣١. بَلَغَ عَدْدُ تراكيبِ التوكيدِ فِي هذه الخُطْبِ (أَلْفِي) تَرْكِيبًا؛ وَمِنْ ثُمَّ فَهُوَ أَكْثَرُ التراكيبِ بنوعِها -الإنشائية وغير الإنشائية- وَرُودًا.

٣٢. تنتمي تراكيب الحال جميعها -الحال المفرد، والجملة، وشبه الجملة- إلى بنية عميقة واحدة، تحت اسم (تركيب تكميلي)، يتكوّن مِنْ: مركب اسمي، ومركب وصفي، ثم تتحوّل هذه البنية العميقة عن طريق بعض القواعد التحويلية إلى تركيب الحال، سواء أكان مفردًا أم جملة أم شبه جملة، مع الانتباه إلى وجود رابط يربط تركيب الحال (تركيب تكميلي) بالتركيب المستقل التابع له، كالضمير أو واو الحال أو كليهما معًا.

٣٣. تتمتع اللغة العربية ببعض الخصوصيات التي تميّز كل لغة عن غيرها.
٣٤. تصف القواعد التوليدية التحويلية اللغات وتحللها، ومن بينها اللغة العربية، وهذه القواعد لديها القدرة على هذا الوصف والتحليل.
٣٥. ثبت نجاح تطبيق القواعد التوليدية التحويلية على جمل اللغة العربية، فلا تثريب لدراسة الجملة العربية وفق النظرية التوليدية التحويلية.
٣٦. وُضِعَت النظرية التحويلية في الأصل لِلُّغَةِ الإنجليزية، لكن ثبت نجاح تطبيقها على جُمَلِ العربية؛ لذا يجب مراعاة طبيعة بناء الجملة العربية وخصائصها عند تطبيق النظرية.
٣٧. يُعَدُّ تطبيق النظرية التوليدية التحويلية على الأعمال النثرية -خاصةً حديث رسول الله ﷺ- مجالاً رحباً لهذا التطبيق؛ لما يمثله من علاقة بين النظرية والتطبيق، حيث تناولت هذه الدراسة حُطْبَ النَّبِيِّ ﷺ. وأحاديث النبي ﷺ تُعَدُّ نَثْرًا مُقَدَّرًا مُحْتَرَمًا؛ فهي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي. وهذا يبين مدى صلاحية تطبيق نظرية حدثية على نصوص الأحاديث الشريفة.

ثانيًا: التوصيات

١. تُشَكِّلُ حُطْبُ رسول الله ﷺ مادة ثرية نحوًا وصرفًا ولغةً وبلاغةً؛ فأوصي الدارسين أن يتنبهوا لهذه الخطب، حيث يُلْحَظُ العزوف عنها، حتى لا تكاد تجد أبحاثًا لغوية تناولت حُطْبَ النَّبِيِّ ﷺ إلا النَّزْرَ القليل، وكذلك على مستوى الدراسات البلاغية؛ فأدعوا الباحثين إلى الانتباه لها، والولوج في رحابها؛ لِيَسْتَلُوا الدُرَرَ الكامنة فيها.
٢. دراسة القواعد التحويلية في الأحاديث القدسية، إن لم تُدرَسْ مِنْ قَبْلُ.
٣. دراسة القواعد التحويلية الواردة في التراث اللغوي العربي تصريحًا أو تلميحًا في القرنين الثاني والثالث الهجريين.
٤. يَحْسُنُ بنا ألا نُنْبَهَرَ بكلِّ المصطلحات اللغوية الغربية انبهارًا يدفعنا إلى أن نهجر تراثنا اللغوي المتين، أو نقطع الوشائج مع ماضينا المشرق، ونَتَنَكَّرُ للجهود الأصلية التي بذلها علماء العربية الأوائل، حتى نصل إلى القطيعة المعرفية مع الصرح اللغوي العربي. وفي الوقت نفسه نُقَرِّ أن تشومسكي -مثلًا- أْبْدَعَ في نظريته التوليدية التحويلية.
٥. يُفَضَّلُ أن ينطلق الباحث الجاد في أيِّ نظرية حدثية مِنْ زَاوِيَتَيْنِ في آنٍ واحدٍ، وهُمَا: عَيْنٌ عَلَى التراث الأصيل، وَعَيْنٌ عَلَى المُفِيدِ النافع في الحَدَاثَةِ؛ فَيَجْدُرُ أن يكون موقفنا وسطًا بين قوم يجزعون مِنْ أيِّ وافِدٍ جديدٍ مِنَ الثقافة الأوروبية، الذي

يَعْدُونَهُ مَسْحًا لِلْهُوِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، أَوْ غَزَوْا فِكْرِيًّا دَخِيلًا، وَبَيْنَ قَوْمٍ يَطِيرُونَ فَرَحًا
بَأَيِّ ثَقَافَةٍ وَافِدَةٍ جَدِيدَةٍ، لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَتْ قَادِمَةً إِلَيْنَا مِنَ الْغَرْبِ؛ فَيُرُونَ أَنَّ التَّمَسُّكَ
بِتَرَاثِنَا سَبَبٌ فِي تَخَلُّفِنَا.

٦. أَنَّ يَرْكُزَ قِسْمَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِشَكْلِ أَكْبَرَ فِي مَحَاضِرَاتِ الدِّرَاسَاتِ الْعَلِيَا عَلَى دِرَاسَةِ
النُّظَرِيَّاتِ اللُّغَوِيَّةِ الْحَدِيثَةِ؛ لِيَتِمَّكَنَ الطَّلَابُ وَالْمُتَخَصِّصُونَ مِنْ فَهْمِهَا، وَيَحِيطُوا
بِقَدْرِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ عَنْهَا.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ

المصادر والمراجع العربية

• القرآن الكريم.

١. أُنْبَدَ العلوم، لأبي الطيب محمّد صديق خان بن حسن بن علي الحسيني البخاري القنّوجي (ت ١٣٠٧هـ)، الناشر: دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٢. الاتجاهات النحوية لدى القدماء - دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، د. حليمة أحمد عمايرة، دار وائل للنشر والتوزيع - عمّان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
٣. اتفاق المباني واقتراق المعاني، لِنَقِيّ الدّين سليمان بن بنين بن خلف بن عوض الدّقِيّقيّ المصري (ت ٦١٣هـ)، تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر، دار عمار - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٤. الإتقان في علوم القرآن، لِجَلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، د. ط.
٥. الاحتجاج بالشعر في اللغة، الواقع ودلالته، د. محمّد حسن جبل، دار الفكر العربي - القاهرة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، د. ط.
٦. الأدب الجاهلي (قضايا، وفنون، ونصوص)، أ. د. حسني عبد الجليل يوسف، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٧. الأدب الجاهلي (قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه)، د. غازي طليمات، أ. عرفان الأشقر، مكتبة الإيمان - دمشق، مكتبة دار الإرشاد - حمص، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٨. الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب (الأدبية وتحليل النّص)، د. عبد الإله الصائغ، دار الفكر المعاصر، صنعاء - اليمن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٩. أدب صَدْر الإسلام، د. مُحمّد خضر، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، د. ن. د. م. د. ط.
١٠. أدب صَدْر الإسلام، د. واضح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١١. الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، د. محمّد هاشم عطية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.

١٢. الأدب العربي وتاريخه في عَصْرِي صَدْرِ الإسلام والدولة الأموية، د. محمود مصطفى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، الطبعة الثانية، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.
١٣. الأدب المُفْرَد، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
١٤. ارتشاف الضَّرْب مِنْ لسان العَرَب، لأبي حَيَّان أثير الدِّين محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق وشرح ودراسة: رَجَب عُثْمَان محمد، مراجعة: د. رمضان عبد التَّوَّاب (ت ١٤٢٢هـ)، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
١٥. إرشاد السالك إلى حَلِّ ألفية ابن مالك، لِبرهان الدِّين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (المتوفى ٧٦٧هـ)، تحقيق: د. محمد بن عوض بن محمد السهلي، الناشر: أضواء السَّلف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
١٦. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د. ط، د. ت.
١٧. إرشاد اللبيب إلى فن الخطابة وإعداد الخطيب، أ. د. يسري محمد هاني، شركة منارات للإنتاج الفني والدراسات، المنصورة - مصر، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
١٨. الاستشهاد بالحديث في اللغة، للإمام مُحَمَّد الخَضِر حُسَيْن (ت ١٣٧٧هـ)، بَحْثُ نَشْرَتِهِ مَجَلَّة مَجْمَع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء الثالث، المَجْلَد العاشر، شَعْبَان ١٣٥٥هـ - أكتوبر ١٩٣٦م.
١٩. الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف عند اللغويين، (بحث مُحَكَّم)، د. محمد صالح شريف عسكري، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية، السنة الثالثة عشرة، العدد الثاني، ١٤٣١هـ.
٢٠. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عَبْد الْبَرِّ النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن عَزَّ الدِّين عَلِيَّ بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري، المشهور بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد

- معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٢٢. أسلوبا النفي والاستفهام في العربية - في منهج وصفي في التحليل اللغوي، د. خليل أحمد عمايرة - جامعة اليرموك، د. ن. د. م. د. ط. د. ت.
٢٣. الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حَجَر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعليّ مُحمّد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٢٤. الإصباح في شرح الاقتراح، د. محمود فِجَال (ت ١٤٣٧هـ)، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٢٥. أصول الخطابة والإنشاء، للشيخ عطية محمد سالم (ت ١٤٢٠هـ)، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، د. ن. د. م.
٢٦. الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج البغدادي (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة - بيروت، د. ت.
٢٧. أصول النحو العربي، د. محمد خير الحلواني، الناشر: الأطلسي، مطبعة إفريقيا الشرق - الدار البيضاء، ١٩٧٨م، د. ط.
٢٨. الأضداد، لأبي بكر محمد بن القاسم بن محمد الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢٩. أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د. نايف خرما، إصدار: عالم المعرفة - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨م، د. ط.
٣٠. إعراب القرآن، لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحوي (ت ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٣١. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، مايو ٢٠٠٢م.
٣٢. الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، ضبطه وعلق عليه: عبد الحكيم عطية، راجعه وقدم له: علاء الدين عطية، دار البيروتي - دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٣٣. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق:

- ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب - بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
٣٤. اكتفاء القنوع بما هو مطبوع (أشهر التأليف العربية في المطابع الشرقية والغربية)، لإدوارد كرنيليوس فاندريك (ت ١٣١٣ هـ)، صححه وزاد عليه: السيد محمد علي الببلاوي، مطبعة التأليف (الهِلال)، مصر، ١٣١٣ هـ - ١٨٩٦ م، د. ط.
٣٥. الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجُملة البسيطة)، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٣٦. الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٣٧. الألسنية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤ م.
٣٨. الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠ م.
٣٩. الأمالي (أمالي ابن الشجري)، لأبي السعادات ضياء الدين هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري (ت ٥٤٢ هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩١ م.
٤٠. الأمالي (أمالي الزجاجي)، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي الزجاجي، (ت ٣٣٧ هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٤١. أمالي المرتضى "غرر الفوائد ودرر القلائد"، للشریف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت ٤٣٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاؤه)، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م.
٤٢. الأمثال، لأبي الخير زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعه الهاشمي (ت ٤٠٠ هـ)، دار سعد الدين - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.
٤٣. أمثال العرب، للمفضل بن محمد بن يعلی بن سالم الضبي (ت ١٦٨ هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٤٤. إنباه الرؤاة على أنباه النحاة، لأبي الحسن جمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٢م.
٤٥. الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني (ت ٥٦٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.
٤٦. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، لأبي البركات كمال الدين الأنباري عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (ت ١٣٩٢هـ)، المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٤٧. الأوائل، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: د. محمد السيد الوكيل، دار البشير - طنطا، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٤٨. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لأبي محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد، الشهير بابن هشام (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، د. ط، د. ت.
٤٩. إيضاح شواهد الإيضاح، لأبي علي الحسن بن عبد الله القيسي (ق ٦هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٥٠. الإيضاح في علوم البلاغة، لأبي المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر، القزويني الشافعي، المعروف بالخطيب القزويني "خطيب دمشق" (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الثالثة، د. ت.
٥١. البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب - القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٨٨م.
٥٢. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، د. ط.
٥٣. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، (من سورة الفاتحة إلى آخر سورة القمر)، الناشر: د. حسن عباس زكي -

- القاهرة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، وَمِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الرَّحْمَنِ إِلَى آخِرِ التفسير: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٥٤. بدائع الفوائد، لأبي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ، ابْنُ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةِ (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٥٥. البديع في علم العربية، لأبي السعادات مَجْدُ الدِّينِ المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري، ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق ودراسة: د. فتحي أحمد عليّ الدّين، الناشر: جامعة أمّ القرى، مكة المكرمة - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٥٦. البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاؤه)، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
٥٧. البعث والنشور، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، الناشر: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٥٨. البُعدُ التداولي في العملية التواصلية (شعر عبد القادر الجزائري أنموذجاً) رسالة دكتوراة، إعداد: عيسى بربر، إشراف: أ. د. محمد ملياني، جامعة أحمد بن بلّة - وهران، الجزائر، ٢٠١٥ - ٢٠١٦م.
٥٩. بُغْيَةُ الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي (ت ١٣٩١هـ)، مكتبة الآداب، الطبعة السابعة عشرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، د. م.
٦٠. بُغْيَةُ الوَعَاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان، د. ط، د. ت.
٦١. البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَّة الميداني الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ)، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٦٢. البنى النحوية، نوم تشومسكي، ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيز، مراجعة: مجيد الماشطة، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
٦٣. بُنْيَانُ اللغة، نعوم تشومسكي، ترجمة: إبراهيم الكلثم، دار جداول للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

٦٤. البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ١٤٢٣هـ، د. ط.
٦٥. تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي (بَحْثٌ مُحْكَمٌ)، د. جاسم علي جاسم، مجلة التراث العربي - اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد (١١٦)، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٦٦. تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفَيْض مُحَمَّد بن مُحَمَّد الحسيني، الملقَّب بمرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة مِنَ الْمُحَقِّقِينَ، دار الهداية، د. ط، د. ت.
٦٧. تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات (ت ١٣٨٩هـ)، دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة، الطبعة الثانية، د. ت.
٦٨. تاريخ الإسلام وَوَفَيَاتِ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَعْلَامِ، لأبي عبد الله شَمْس الدِّين مُحَمَّد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. بشار عَوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
٦٩. تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، د. خليل إبراهيم السامرائي، د. عبد الواحد ذنون طه، د. ناطق صالح مصلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
٧٠. التبيان في أيمان القرآن، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطي، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٧١. التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البقاء مُجِيب الدِّين عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٧٢. التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م، د. ط.
٧٣. تحقيق الفوائد الغياثية، لِشَمْس الدِّين مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرمانى (ت ٧٨٦هـ)، تحقيق ودراسة: د. علي بن دخيل الله بن عجيلان العوفي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٧٤. تخلص الشواهد وتلخيص الفوائد، لأبي محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: د. عباس مصطفى الصالحي (كلية التربية - بغداد)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٧٥. تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، أ. د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، الناشر: عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٧٦. تذكرة الحفاظ، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن قَائِمَاز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٧٧. تراجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ (ت ١٤٠٨هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.
٧٨. تراكيب أسلوب النداء في العربية - دراسة وصفية تحليلية في ضوء علم اللغة التوليدي، (بحث مُحَكَّم)، د. حمدان رضوان أبو عاصي، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) - غزة، المجلد السادس عشر، العدد الأول، يناير ٢٠٠٨م.
٧٩. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ، لأبي حيان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: د. حسن هندايوي، الناشر: دار القلم - دمشق (من ١ إلى ٥)، وباقي الأجزاء: دار كنوز - إشبيلية، الطبعة: الأولى، د. ت.
٨٠. الترغيب والترهيب، لأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل القرشي التيمي الأصبهاني، الملقب بقوام السُنَّة (ت ٥٣٥هـ)، تحقيق: أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٨١. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، لأبي محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المُنْذَرِي (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٨٢. تَرْكُ الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف ظاهرة أندلسية، (بحث مُحَكَّم)، د. هشام فالح حامد، مجلة مداد الآداب، مجلة علمية محكمة فصلية تصدر عن كلية الآداب، الجامعة العراقية - بغداد، العدد العاشر، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
٨٣. تسهيل السبيل إلى تَعْلُمِ التَّرْسِيلِ، لأبي عبد الله محمد بن فُتُوح الحميدي الأندلسي (ت ٤٨٨هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد محمد شعيب، د. أحمد أحمد مجاهد، دار الكتب والوثائق - القاهرة، مركز تحقيق التراث، ٢٠١٤م، د. ط.

٨٤. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لأبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبائي (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - بيروت، سنة النشر: ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، د. ط.
٨٥. تشومسكي في عيد ميلاده السبعين (مقال)، د. حمزة بن قبلان المزيني، صحيفة الرياض السعودية - ثقافة اليوم، الخميس ٢٥/٨/١٤٢٠هـ - ١٩٩٨م.
٨٦. التطبيق النحوي، د. عبده الراجحي (ت ١٤٣١هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٨٧. التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٨٨. التعليقة على كتاب سيبويه، لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق: د. عوض بن حمد القوزي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، د. ن. د. م.
٨٩. تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، بدر الدين محمد بن أبي بكر الدماميني (ت ٨٢٧هـ)، تحقيق: د. محمد بن عبد الرحمن بن محمد المفدى، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، د. ن. د. م.
٩٠. التعليل النحوي عند النحاة اصطلاحاً واستعمالاً وتطبيقاً (بحث مُحَكَّم)، د. يحيى القاسم، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية - سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (١٧)، العدد (٨)، عام ١٩٩٥م.
٩١. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٧م.
٩٢. التفكير اللغوي بين القديم والجديد، د. كمال بشر (ت ١٤٣٦هـ)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م، د. ط.
٩٣. التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: د. عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.
٩٤. تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (ت ٣٧٣هـ)، حققه وعلق عليه: يوسف علي بديوي، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٩٥. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربى - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٩٦. توجيه اللّمع، لأبي عبد الله شمس الدّين أحمد بن الحسين بن أحمد الإربلي الموصللي، ابن الخبّاز (ت ٦٣٩هـ)، دراسة وتحقيق: أ. د. فايز زكي محمد دياب، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة - جمهورية مصر العربية، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٩٧. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، لأبي محمد بدر الدّين حسن بن قاسم المرادي المصري المالكي (ت ٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربى - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
٩٨. توظيف الحديث الشريف في البحث النحوي، (بحث مُحكّم)، د. فخر الدّين قباوة، مجلة مَجْمَع اللغة العربية بدمشق، المجلد الثالث والثمانون، الجزء الثالث، د. ت.
٩٩. التوقيف على مهمات التعاريف، لِزَيْنِ الدّين محمد المدعو بعبد الرؤوف ابن تاج العارفين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، عالم الكتب - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١٠٠. الجامع، لأبي عروة معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي البصري، نزيل اليمن (ت ١٥٣هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي - باكستان، توزيع: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٠١. جامع الأحاديث، لِجَلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، ضبط نصوصه وَخَرَجَ أحاديثه: فريق مِنَ الباحثين، دار الفكر للطباعة - بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، د. ط.
١٠٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وَيُسَمَّى "جامع البيان في تأويل القرآن"، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٠٣. الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، حنّا الفاخوري (ت ١٤٣٢هـ)، دار الجبل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
١٠٤. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله شمس الدّين محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٠٥. الجذور العربية للنحو التوليدي - دراسة تأصيلية، (رسالة ماجستير)، إعداد: كريمة خوارزم، إشراف: أ. د. أبو بكر حسيني، جامعة قاصدي مرباح ورقلة - الجزائر، ٢٠١٢-٢٠١٣ م.
١٠٦. جغرافية المناخ والنبات، أ. د. يوسف عبد المجيد فايد، دار النهضة العربية - بيروت، د. د. ط. د. ت.
١٠٧. الجُمْلَة في ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة "النص القرآني أُمُودَجًا"، د. نورية شيخي، دار المتنبي - دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٣ م.
١٠٨. الجُمْل في النحو، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م.
١٠٩. جمهرة الأمثال، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، دار الفكر - بيروت، د. د. ط. د. ت.
١١٠. جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.
١١١. الجَنَى الداني في حروف المعاني، لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي المصري المالكي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، أ. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م.
١١٢. جوانب من نظرية النحو، نعوم تشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر، مطابع جامعة الموصل، العراق، ١٩٨٥ م، د. د. ط.
١١٣. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية - بيروت، سنة النشر ١٩٩٩ م، د. د. ط.
١١٤. حاشية الأَجْرُومِيَّة، لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي (ت ١٣٩٢هـ)، د. ن. د. م. د. د. ط. د. ت.
١١٥. حاشية الصَّبَّان على شرح الأَشْمُونِي لألفية ابن مالك، لأبي العرفان محمد بن علي الصَّبَّان الشافعي (ت ١٢٠٦هـ)، ضبطه وصححه وخرج شواهد: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م.

١١٦. الحدود الأنثيقة والتعريفات الدقيقة، لأبي يحيى زَيْن الدِّين زكريا بن محمّد بن أحمد بن زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
١١٧. حروف المعاني والصفات، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
١١٨. الحديث النبوي في النحو العربي، د. محمود فجّال (ت ١٤٣٧هـ)، دار أضواء السلف للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١١٩. حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدِّين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاؤه)، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
١٢٠. الخُلل في شَرْح أبيات الجُمَل، لأبي محمّد عبد الله بن محمّد بن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ)، قرأه وعلّق عليه: د. يحيى مراد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١٢١. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (ت ١٣٣٥هـ)، حققه ونسقه وعلّق عليه حفيده: محمّد بهجة البيطار، دار صادر - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٢٢. الحماسة البصرية، لأبي الحسن صَدْر الدِّين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري (ت ٦٥٩هـ)، تحقيق: مختار الدِّين أحمد، الناشر: عالم الكتب - بيروت، د. ط، د. ت.
١٢٣. الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، د. محمّد عبد المُنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٢٤. الحَيَوَان، لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
١٢٥. خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة، د. كمال محمّد بِشْر (ت ١٤٣٦هـ)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٥م، د. ط.
١٢٦. خِرَائَة الأدب وَلُبُّ لُبَاب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٢٧. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الرابعة، د. ت.
١٢٨. الخطابة (أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب)، للإمام محمد أبو زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، مطبعة العلوم بشارع الخليج - الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م.
١٢٩. الخطابة بين العلم النظري والفن التطبيقي، د. عبد الرحيم أرشد، الناشر: جامعة العلوم الإسلامية - ماليزيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٣٠. الخطابة "الترجمة العربية القديمة"، أرسطو طاليس (ت ٣٢٢ ق. م)، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات - الكويت، دار القلم - بيروت، ١٩٧٩م، د. ط.
١٣١. الخطابة العربية في عصرها الذهبي، د. إحسان النص، دار المعارف - مصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٩م.
١٣٢. الخطابة عند العرب، للشيخ محمد الخضر حسين (ت ١٣٧٧هـ)، تحقيق: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.
١٣٣. الخطابة وإعداد الخطيب، أ. د. عبد الجليل عبده شلبي، دار الشروق - القاهرة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٣٤. خطب الرسول ﷺ، (٥٧٤ خطبة من كنوز الدرر وجوامع الكلم)، الموسوم بـ (إتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام)، جمعتها وشرحتها: محمد خليل الخطيب، دار الفضيلة - القاهرة، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م، د. ط.
١٣٥. دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي، د. محمد عبد القادر أحمد، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
١٣٦. دراسات في فقه اللغة، د. صبحي إبراهيم الصالح (ت ١٤٠٧هـ)، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.
١٣٧. دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة، أ. د. إبراهيم أبو سكينة، د. ن. د. م. د. ط. د. ت.
١٣٨. دراسة نظرية للمصدر السماعي الثاني "الحديث الشريف" ورأي أهل اللغة في الاحتجاج به، (بحث محكم)، د. عز الدين أحمد عبد العالي، مجلة البحوث الأكاديمية، العدد السادس، كلية التربية، جامعة مصراتة، د. ت.

١٣٩. دُرّة الغَوَاص في أوْهام الخواص، لأبي محمّد القاسم بن علي بن محمّد الحريري البصري (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: عرفات مطرجي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
١٤٠. دُرر الفرائد المُستَحسنة في شرح منظومة ابن الشَّحْنَة (في علوم المعاني والبيان والبديع)، لابن عبد الحق العُمري الطَّرَابُلسي (ت نحو ١٠٢٤هـ)، تحقيق ودراسة: د. سُلَيْمان حُسَيْن العُميرات، الناشر: دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.
١٤١. الدُّرر المُنتثرة في الأحاديث المشتهرة، لجلال الدِّين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: د. محمّد بن لطفي الصباغ، الناشر: عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود - الرياض، د. ط، د. ت.
١٤٢. الدُّرّ الفريد وبيت القصيد، لِمَحْمَد بن أيْدمر المستعصمي (ت ٧١٠هـ)، تحقيق: د. كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
١٤٣. الدُّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس شهاب الدِّين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، المعروف بالسَّمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمّد الخراط، دار القلم - دمشق، د. ط، د. ت.
١٤٤. الدُّرّس اللُّغوي عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، د. أحمد إسماعيل عبد الكريم - جامعة عين شمس، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م، د. ن، د. م، د. ط.
١٤٥. دروس في الألسنية العامة، فرديناند دي سوسير (ت ١٩١٣م)، تعريب: صالح القرمادي، ومحمّد الشاوش، ومحمّد عجينة، الدار العربية للكتاب، طرابلس - ليبيا، تونس العاصمة - تونس، ١٩٨٥م، د. ط.
١٤٦. دروس اللغة العِبريّة، د. ربحي كمال، مطبعة جامعة دمشق، الطبعة الثالثة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
١٤٧. دستور العلماء "جامع العلوم في اصطلاحات الفنون"، للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمّد نكري (ت القرن ١٢هـ)، عَرَبَ عباراتِهِ الفارسية: حسن هاني فحص، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٤٨. دلائل الإعجاز في علم المعاني، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمّد، الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: أبو فهر محمود محمّد شاعر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٤٩. الدِّيْبَاجُ الْمُذَهَّبُ فِي مِصْطَلَحِ الْحَدِيثِ، لِعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَلِيٍّ الزَّيْنِ الشَّرِيفِ الْجُرْجَانِيِّ (ت ٨١٦هـ)، مُصَحَّحٌ بِمَعْرِفَةِ لَجْنَةِ: بِرئاسة الشيخ حسن الإنابلي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م، د. ط.
١٥٠. ديوان أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ)، صنعة: أبو سعيد الحسن السكري (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
١٥١. ديوان أبي العتاهية (ت ٢١٠هـ)، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، د. ط.
١٥٢. ديوان أمية بن أبي الصلت (ت ٥هـ)، صنعة: د. عبد الحفيظ السطلي، ١٩٧٤م، د. ن، د. م، د. ط.
١٥٣. ديوان أوس بن حجر (ت ٢ ق. هـ)، تحقيق وشرح: د. محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، د. ط.
١٥٤. ديوان ابن الرومي (ت ٢٨٣هـ)، شرح: أ. أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
١٥٥. ديوان جرير (ت ١١٠هـ)، بشرح: محمد بن حبيب، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، الناشر: دار المعارف - القاهرة، الطبعة الثالثة، د. ت.
١٥٦. ديوان جميل بُنَيَّة "جميل بن عبد الله بن معمر" (ت ٨٢هـ)، دار صادر - بيروت، د. ط، د. ت.
١٥٧. ديوان الحسين بن مطير الأسدي (ت ١٦٩هـ)، جمعه وقدم له: د. حسين عطوان، مُسْتَلَّ من مجلة معهد المخطوطات العربية، مجموعة ١٥، الجزء الأول، د. ن، د. م، د. ط، د. ت.
١٥٨. ديوان الخنساء (ت ٢٤هـ)، اعتنى به وشرحه: حمّو طمّاس، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٥٩. ديوان ذي الرمة (ت ١١٧هـ)، شرح أبي نصر الباهلي (ت ٢٣١هـ) رواية ثعلب، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان - جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
١٦٠. ديوان طرفة بن العبد (ت ٦٠ ق. هـ)، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٦١. ديوان العَرْجِي (ت ١٢٠هـ)، رواية أبي الفتح الشيخ عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، شرحه وحققه: خضر الطائي، رشيد العبيدي، مكتبة لسان العرب - بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.
١٦٢. ديوان عنتر بن شدّاد (ت ٢٢ ق. هـ)، تحقيق ودراسة: محمّد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي - القاهرة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، د. ط.
١٦٣. ديوان الفرزدق (ت ١١٠هـ)، شَرْحُهُ وَضَبَطُهُ وَقَدَّمَ لَهُ الْأُسْتَاذ: علي فاعور، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٦٤. ديوان القاضي الأَرَجَانِي (ت ٥٤٤هـ)، تحقيق: د. محمّد قاسم مصطفى، ١٩٧٩م، د. ن، د. م، د. ط، د. ت.
١٦٥. ديوان كُنَيْز عَزَّة (ت ١٠٥هـ)، تحقيق: د. إحسان عَبَّاس، دار الثقافة - بيروت، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
١٦٦. ديوان لُبَيْد بن ربيعة العامري (ت ٤١هـ)، اعتنى به: حمدو طمّاس، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٦٧. ديوان المتنبي، أحمد بن الحسين (ت ٣٥٤هـ)، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، د. ط.
١٦٨. ديوان الْمُتَوَكِّل الليثي (ق ٢هـ)، تحقيق: د. يحيى الجبوري، مكتبة الأندلس - بغداد، د. ط، د. ت.
١٦٩. ديوان امرئ القيس بن حجر الكندي (ت ٨٠ ق. هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٥٨م.
١٧٠. ديوان النابغة الذبياني (ت ١٨ ق. هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الثانية، د. ت.
١٧١. الرَّدّ على النحاة، لابن مضاء، لأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمّد، ابن مضاء القرطبي، (ت ٥٩٢هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمّد إبراهيم البناء، الناشر: دار الاعتصام - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٧٢. الرواية والاستشهاد باللغة، د. محمّد عيد، عالم الكتب - القاهرة، ١٩٧٦م، د. ط.
١٧٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوّسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٧٤. الرُّوضُ الأَنْفُ في شرح السيرة النبوية، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام السلمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٧٥. الرُّوضُ النَّضْرُ في ترجمة أدباء العصر، عَصَامُ الدِّينِ عثمان بن علي بن مراد العُمَري (ت ١١٩٣هـ)، المحقق: د. سليم النعيمي، المَجْمَعُ العلمي العراقي - بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
١٧٦. زاد المَعَاد في هَدْيِ خير العِبَاد، شمس الدِّينِ مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
١٧٧. الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر مُحَمَّد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٧٨. الزواجر عن اقتراف الكبائر، لأبي العَبَّاس شهاب الدِّين أحمد بن مُحَمَّد بن علي بن حَجَر الهيثمي السعدي الأنصاري (ت ٩٧٤هـ)، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٧٩. سُبُلُ الهُدَى والرَّشَاد في سيرة خَيْرِ العِبَاد وَذَكَر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المَبْدَأ والمَعَاد، للإمام مُحَمَّد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي مُحَمَّد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
١٨٠. سُلَّم الوصول إلى طبقات الفحول، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني، المعروف بـ"كاتب جلبي"، وبـ"حاجي خليفة"، أو "الحاج خليفة" (ت ١٠٦٧هـ)، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدِّين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، مكتبة إرسىكا، إستانبول - تركيا، ٢٠١٠م، د. ط.
١٨١. السُّنَّة، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، الشهير بابن أبي عاصم (ت ٢٨٧هـ)، تحقيق: مُحَمَّد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
١٨٢. سُنَنُ أَبِي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: مُحَمَّد مُحْيِي الدِّين عبد الحميد (ت ١٣٩٢هـ)، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، د. ط، د. ت.

١٨٣. سُنَن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ابن ماجه (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية (فيصل عيسى البابي الحلبي)، مصر، د. ط. د. ت.

١٨٤. سُنَن التِّرْمِذِيِّ (الجامع الكبير)، للإمام المُحَدِّث أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَورَة الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: د. بشار عَوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨م، د. ط.

١٨٥. سُنَن الدَّارَقُطْنِيِّ، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي الدَّارَقُطْنِيِّ (ت ٣٨٥هـ)، حَقَّقَهُ وضبط نَصَّهُ وعلَّق عليه: شعيب الأرناؤوط، وحسن عبد المنعم شلبي، وعبد اللطيف حرز الله، وأحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

١٨٦. السُّنَن الصُّغْرَى (المُجْتَبَى مِنَ السُّنَن)، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النَّسَائِي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غُدَّة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٨٧. السُّنَن الكُبْرَى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٨٨. السُّنَن الكُبْرَى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النَّسَائِي (ت ٣٠٣هـ)، حَقَّقَهُ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ: حسن عبد المنعم شلبي، أَشْرَفَ عليه: شعيب الأرناؤوط، قَدَّمَ له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٨٩. سهم الألفاظ في وَهْمِ الألفاظ، لِرَضِيِّ الدِّينِ محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي القادري التاذني الحنفي، المعروف بابن الحنبلي (ت ٩٧١هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٩٠. سوسير رائد علم اللغة الحديث، د. محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٩م، د. ط.

١٩١. سِير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله شمس الدِّين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٩٢. السِّيرُ الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي، د. محمود فجال (ت ١٤٣٧هـ)، دار أضواء السلف للنشر والتوزيع - الرياض، ١٤٠٥هـ، د. ط.
١٩٣. السيرة النبوية، لأبي محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام المعافري (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
١٩٤. الشافية في علم التصريف، لأبي عمرو جمال الدين عثمان بن عمر، ابن الحاجب الكردي المالكي (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق: حسن أحمد العثمان، الناشر: المكتبة المكية - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٩٥. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن أحمد، الشهير بابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٩٦. شرح أبيات سيبويه، لأبي محمد يوسف بن أبي سعيد الحسن السيرافي (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق: د. محمد علي الرياح هاشم، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، عام النشر: ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، د. ط.
١٩٧. شرح أبيات مغني اللبيب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبدالعزيز رباح، أحمد يوسف دقاق، الناشر: دار المأمون للتراث - بيروت، الطبعة الأولى: الأجزاء ١-٤، الطبعة الثانية: الأجزاء ٥-٨، عام النشر: عدة سنوات (١٣٩٣هـ - ١٤١٤هـ).
١٩٨. شرح أشعار الهذليين، لأبي سعيد الحسن بن الحسين السُّكْرِيّ (ت ٢٧٥هـ)، رواية أبي الحسن علي بن عيسى بن علي النحوي (ت ٣٨٤هـ) عن أبي بكر أحمد بن محمد الحلواني عن السُّكْرِيّ، حققه: عبد الستار أحمد فزّاج، راجعه: محمود محمد شاكر، الناشر: مكتبة دار العروبة - القاهرة، د. ط، د. ت.
١٩٩. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المُسمّى (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك)، لأبي الحسن نور الدين علي بن محمد بن عيسى الأشموني الشافعي (ت ٩٠٠هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (ت ١٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٠٠. شرح الألفية (شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك)، لِنَدْرِ الدِّين مُحَمَّد ابن الإمام جمال الدِّين مُحَمَّد بن مالك، الشهير بابن النَّاظِم (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: مُحَمَّد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٠١. شرح ألفية ابن مالك (تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة)، لأبي حَفْص زَيْن الدِّين عمر بن مظفر بن الوَرْدِيّ (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق ودراسة: د. عبد الله بن علي الشلال، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٢٠٢. شرح ابن طولون على ألفية ابن مالك، لأبي عبد الله شَمْس الدِّين مُحَمَّد بن علي بن طولون الدمشقي الصالحي (ت ٩٥٣هـ)، تحقيق وتعليق: د. عبد الحميد جاسم مُحَمَّد الفيّاض الكبيسي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٠٣. شَرْح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: مُحَمَّد مُحْيِي الدِّين عبد الحميد (ت ١٣٩٢هـ)، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاؤه، الطبعة العشرون، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٠٤. شرح التسهيل "شرح تسهيل الفوائد"، لأبي عبد الله جمال الدِّين مُحَمَّد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبائي (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. مُحَمَّد بدوي المختون، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٠٥. شرح التسهيل، المسمى "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد"، لِمُحِبِّ الدِّين مُحَمَّد بن يوسف بن أحمد، الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش (ت ٧٧٨هـ)، دراسة وتحقيق: أ. د. علي مُحَمَّد فاخر وآخرون، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٢٠٦. شرح التصريح على التوضيح "التصريح بمضمون التوضيح في النحو"، لِزَيْن الدِّين خالد ابن عبد الله بن أبي بكر الجرجاويّ الأزهري، المصري، المعروف بالوقاد (ت ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٠٧. شرح دُرّة الغواص في أوهام الخواص، لشهاب الدِّين أحمد بن مُحَمَّد الخفاجي المصري (ت ١٠٦٩هـ)، تحقيق: عبد الحفيظ فرغلي علي قرني، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٢٠٨. شَرْحُ الرُّضِيِّ عَلَى الكَافِيَةِ، لِرُضِيِّ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الحَسَنِ الأَسْتَرَابَادِيِّ (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: د. يوسف حسن عمر، بنغازي، جامعة قاريونس، مطابع الشروق - بيروت، ١٩٧٣م.
٢٠٩. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لأبي محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن أحمد بن هشام (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: عبد الغني الدقر، الناشر: الشركة المتحدة للتوزيع - سوريا، د. ط، د. ت.
٢١٠. شَرْحُ شُذُورِ الذَّهَبِ فِي مَعْرِفَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ، لِشَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمُنْعَمِ بْنِ مُحَمَّدِ الْجَوَّجَرِيِّ الْقَاهِرِيِّ (ت ٨٨٩هـ)، تحقيق: نواف بن جزاء الحارثي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٤م.
٢١١. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الخامسة، د. ت.
٢١٢. شرح قَطْرِ الندى وَبَلِّ الصدى، لأبي محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (ت ١٣٩٢هـ)، الناشر: القاهرة، الطبعة الحادية عشرة، عام ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، د. ن.
٢١٣. شرح قواعد الإعراب "شرح قواعد إعراب ابن هشام"، لِمُحَمَّدِ بْنِ مُصْطَفَى الْقُوجَوِيِّ شَيْخِ زَادِهِ (ت ٩٥٠هـ)، دراسة وتحقيق: إسماعيل إسماعيل مروة، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٢١٤. شَرْحُ الكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ، لأبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبائي (ت ٦٧٢هـ)، حققه وقدم له: عبد المنعم أحمد هريدي، الناشر: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٢١٥. شرح كتاب سيبويه، لأبي الحسن علي بن عيسى الرمانى (ت ٣٨٤هـ)، أطروحة دكتوراة للباحث: سيف بن عبد الرحمن بن ناصر العريفي، إشراف: د. تركي بن سهو العتيبي، كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود، منشورات جامعة: الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - السعودية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، د. ط.

٢١٦. شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٢١٧. شرح كفاية المتحفظ، الموسوم بـ (تحرير الرواية في تقرير الكفاية)، لأبي عبد الله محمد بن الطيّب القاسي (ت ١١٧٠هـ)، تحقيق: د. علي حسين البواب، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢١٨. شرح لامية العجم (وهو مختصر شرح الصفدي، المسمى الغيث المسجم)، لأبي البقاء كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدّميري الشافعي (ت ٨٠٨هـ)، تحقيق: د. جميل عبد الله عويضة، طبعة: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، د. ط.
٢١٩. شرح مصابيح السنة للإمام البغوي (ت ٥١٦هـ)، لمحمد بن عز الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز الرّومي الكرمانيّ الحنفيّ، المشهور بابن الملك (ت ٨٥٤هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر: إدارة الثقافة الإسلامية - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٢٢٠. شرح المفصل، لأبي البقاء موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش محمد بن علي الأسدي الموصلّي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت ٦٤٣هـ)، قدم له: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢٢١. شرح المقدمة المحسبة، لأبي الحسن طاهر بن أحمد بن بانبشاذ (ت ٤٦٩هـ)، تحقيق: خالد عبد الكريم، الناشر: المطبعة العصرية - الكويت، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
٢٢٢. شرح المكوّدي على الألفية في علمي النّحو والصرف "شرح ألفية ابن مالك"، لأبي زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكوّدي (ت ٨٠٧هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هندواوي، المكتبة العصرية - بيروت، عام النشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، د. ط.
٢٢٣. الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق، د. عبد العزيز صالح، مكتبة دار الزمان - المدينة المنورة، د. ط، د. ت.
٢٢٤. الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجريّ البغدادي (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، دار الوطن - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٢٥. شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د. عبد العليّ عبد الحميد

- حامد، أشرف على تحقيقه وتخرّيج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٢٢٦. الشعر والشعراء، لأبي مُحمّد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَةَ الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمّد شاكر، دار الحديث - القاهرة، ١٤٢٣هـ، د. ط.
٢٢٧. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي أبي الفُضّل عِيّاض بن موسى بن عياض اليعصبّي السبتي (ت ٥٤٤هـ)، دار الفحاء - عمّان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
٢٢٨. الشفاهية والكتابية، والترج أونج، ترجمة: د. حسن البنا عزّ الدّين، مراجعة: محمّد عصفور، العدد (١٨٢)، عالم المعرفة - الكويت، فبراير ١٩٩٤م، د. ط.
٢٢٩. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لإنشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإيراني، د. يوسف محمّد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٣٠. الصّاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لأبي الحسين أحمد ابن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، علق عليه ووضح حواشه: أحمد حسن بسّج، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٣١. صُبْحُ الأعشى في صناعة الإنشاء، لأحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت ٨٢١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، د. ط، د. ت.
٢٣٢. الصّاحح، المُسمّى "تاج اللغة وصّاح العربية"، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢٣٣. صحيح البخاري (الجامع المُسنَد الصحيح المُختَصَر مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسُنَنِهِ وَأَيَّامِهِ)، للإمام المُحدِّث أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (مُصَوَّرَة عن النسخة السلطانية بإضافة ترقيم الشيخ: محمّد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، د. م.
٢٣٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لأبي حاتم محمّد بن حبان التميمي الدارمي البُستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٣٥. صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت ٣١١هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت.

٢٣٦. صحيح الترغيب والترهيب، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٣٧. صحيح مسلم (المُسْنَدُ الصَّحِيحُ الْمُخْتَصَرُ بِنَقْلِ الْعَدْلِ عَنِ الْعَدْلِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)، للإمام المُحَدِّثِ أَبِي الْحَسَنِ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ الْقَشِيرِيِّ النِّسَابُورِيِّ (ت ٢٦١هـ)، تحقيق الشيخ: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د. ط، د. ت.

٢٣٨. صفوة التفاسير، للشيخ: محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٣٩. صلة التراث اللغوي العربي باللسانيات، د. مازن الوعر (ت ١٤٣٠هـ)، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق، المجلد ١٢، العدد ٤٨، يوليو ١٩٩٢م.

٢٤٠. الصناعتين: الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - بيروت، عام النشر: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، د. ط.

٢٤١. الضعفاء الكبير، لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي (ت ٣٢٢هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلجي، دار المكتبة العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢٤٢. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لأبي الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، د. ط، د. ت.

٢٤٣. طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله الزبيدي الأندلسي (ت ٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف - مصر، د. ت.

٢٤٤. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلوي الطالبي، الملقب بالمؤيد بالله (ت ٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٤٥. العَبْرُ فِي حَبْرِ مَنْ غَبَرَ، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢٤٦. العُدَّة فِي إِعْرَابِ الْعُمْدَةِ، لأبي محمد بَدْرُ الدِّين عبد الله بن محمد بن فَرْحُون اليعمري المالكي المدني (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: مكتب الهدى لتحقيق التراث (عادل بن سعد)، الناشر: دار الإمام البخاري، الدوحة - قطر، الطبعة الأولى، د. ت.
٢٤٧. العربية - دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، للمستشرق الألماني: يوهان فك (ت ١٣٩٤هـ)، ترجمة: عبد الحليم النجار، المركز القومي للترجمة - القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
٢٤٨. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لأبي حامد بهاء الدين أحمد بن علي السُّبُكِيِّ (ت ٧٧٣هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٢٤٩. العصر الإسلامي، د. أحمد شوقي عبد السلام ضيف، الشهير بشوقي ضيف (ت ١٤٢٦هـ)، دار المعارف - القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٦٣م.
٢٥٠. العصر الجاهلي، د. أحمد شوقي عبد السلام ضيف، المشهور بشوقي ضيف (ت ١٤٢٦هـ)، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الحادية عشرة، ١٩٦٠م.
٢٥١. العُدَّة الْفَرِيد، لأبي عُمَرَ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عَبْد رَبِّهِ، المعروف بِأَبْنِ عَبْدِ رَبِّهِ الْأَنْدَلُسِيِّ (ت ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
٢٥٢. عَلَلُّ النَّحْوِ، لأبي الحسن محمد بن عبد الله بن العباس، ابن الوراق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٥٣. عِلْمُ الدَّلَالَةِ بَيْنَ النَّظَرِ وَالتَّطْبِيقِ، د. أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
٢٥٤. علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.
٢٥٥. علم اللغة النفسي، د. عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٢٥٦. عِلْمُ الْمَعَانِي، د. عبد العزيز عتيق (ت ١٣٩٦هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢٥٧. علوم البلاغة "البيان، المعاني، البديع"، لأحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٢٥٨. العُمدة في محاسن الشعر وآدابه، لأبي عليّ الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٢٥٩. العُين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، د. ت.
٢٦٠. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لأبي الفتح فتح الدين محمد بن محمد ابن محمد بن أحمد، الشهير بابن سيد الناس، اليعمري الربيعي (ت ٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، الناشر: دار القلم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٢٦١. عيون الأخبار، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٨هـ، د. ط.
٢٦٢. غريب الحديث، لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٢٦٣. غريب الحديث، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني - بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.
٢٦٤. الفاخر في الأمثال، للمفضل بن سلمة بن عاصم الضبي (ت ٢٩١هـ)، اعتنى به ووضع حواشيه: محمد عثمان، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
٢٦٥. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٢٦٦. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، لأبي الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، مكتبة السنة - مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٢٦٧. الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، د. ط، د. ت.
٢٦٨. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي - القاهرة، د. ط، د. ت.

٢٦٩. فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب (ت ١٤٢٢هـ)، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة السادسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٧٠. فنّ الخطابة، د. أحمد محمد الحوفي (ت ١٤٠٤هـ)، نهضة مصر للطباعة والنشر - القاهرة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٧م.
٢٧١. فنّ الخطابة في التراث النقدي: حفر في ذاكرة المصطلح، (بَحْثٌ مُحَكَّمٌ)، زيدان عز الدين علوه، د. أحمد دواليبي، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد التاسع، العدد الثاني، رجب ١٤٣٣هـ - يونيو ٢٠١٢م.
٢٧٢. فن الخطابة وإعداد الخطيب، للشَّيْخ عَلِيٍّ محفوظ (ت ١٣٦١هـ)، دار الاعتصام - مصر، د. ط، د. ت.
٢٧٣. فنّ الخطابة ومهارات الخطيب (بحوث في إعداد الخطيب الداعية)، أ. د. إسماعيل علي محمد، دار الكلمة للنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
٢٧٤. الفنّ ومذاهبه في النثر العربي، د. أحمد شوقي عبد السلام ضيف، الشهير بشوقي ضيف (ت ١٤٢٦هـ)، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، د. ت.
٢٧٥. الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الورّاق البغدادي المعتزلي الشيعي، المعروف بابن النديم (ت ٤٣٨هـ)، تحقيق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٧٦. فَوَاتُ الْوَفَايَات، محمد بن شاعر بن أحمد بن شاعر الكتبي، الملقب بصلاح الدين (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣ - ١٩٧٤م.
٢٧٧. في تاريخ الأدب الجاهلي، د. علي الجندي، مكتبة دار التراث، طبعة دار التراث الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
٢٧٨. في التحليل اللغوي - منهج وصفي تحليلي وتطبيقه على التوكيد اللغوي، والنفي اللغوي، وأسلوب الاستفهام، د. خليل أحمد عمايرة، تقديم: أ. د. سلمان حسن العاني، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢٧٩. فيض نشر الانشراح مِنْ رَوْضِ طَيِّ الاقتراح، لأبي عبد الله محمد بن الطيّب الفاسيّ (ت ١١٧٠هـ)، تحقيق وشرح: أ. د. محمود فجال، دار البحوث للدراسات الإسلامية، دبي، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٢٨٠. في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، د. خليفة بوجادي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٢٨١. في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس (ت ١٣٩٧هـ)، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٩٢م.
٢٨٢. في النحو العربي - نُقِّد وتوجيه، د. مهدي المخزومي (ت ١٤١٤هـ)، دار الرائد - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
٢٨٣. في نَحْو اللغة وتراكيبها - منهج وتطبيق، د. خليل أحمد عمايرة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جِدَّة - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٢٨٤. القاموس المحيط، لأبي طاهر مَجْد الدِّين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٨٥. قراءة في كتاب المدارس اللسانية للدكتور أحمد عزوز، (بحث مُحَكَّم)، مجلة مَجْمَع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٨٧، الجزء الرابع، د. إبراهيم عطية، د. ت.
٢٨٦. قصة الحضارة، ول ديورانت "ويليام جيمس ديورانت" (ت ١٤٠٢هـ)، تقديم: د. مُحْيِي الدِّين صابر، ترجمة: د. زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، د. ط.
٢٨٧. قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، د. مازن الوعر (ت ١٤٣٠هـ)، مطبعة العجلوني - دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
٢٨٨. قضايا أَلْسِنِيَّة تطبيقية - دراسات لُغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، د. ميشال زكريا، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٢٨٩. قضية الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في النحو العربي، (بحث مُحَكَّم)، د. عبد المُحْسِن القيسي، مجلة الإسلام في آسيا، المجلد السابع، العدد الثاني، ديسمبر، ٢٠١٠م.
٢٩٠. القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، د. حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، دار المناهل للطباعة - بورسعيد، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، د. ط.
٢٩١. القواعد التحويلية في ديوان الحطيئة، (رسالة دكتوراة)، إعداد: حمدان رضوان محمد أبو عاصي، إشراف: أ. د. رمضان عبد التواب، د. نوال إسماعيل فرحات، برنامج الدراسات العليا المشترك، جامعة عين شمس - كلية التربية، جامعة الأقصى، فلسطين - غزة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٩٢. قواعد تحويلية لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، د. محمد علي الخولي، دار المريخ، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.
٢٩٣. القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، لأبي الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، الناشر: دار الريان للتراث - القاهرة، د. ط، د. ت.
٢٩٤. الكافية في علم النحو، لجَمَال الدِّين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسني المالكي، الشهير بابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق: د. صالح عبد العظيم الشاعر، الناشر: مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٢٩٥. الكامل في التاريخ، لأبي الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم، المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٩٦. الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٩٧. الكبائر، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، دار الندوة الجديدة - بيروت، د. ط، د. ت.
٢٩٨. الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٩٩. الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، لأبي يوسف المُنْتَجَب بن أبي العز بن رشيد الهمذاني (ت ٦٤٣هـ)، حَقَّقَ نُصُوصَهُ وَحَرَّجَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ: مُحَمَّدُ نِظَامُ الدِّينِ الْفَتْيْح، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٣٠٠. كذبة الأجرومية (مقال)، د. حمزة بن قبلان المزيني، نُشِرَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ ١٠ محرم ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م، الرابط <https://hmozainy.blogspot.com/2019/09/>
٣٠١. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني، المعروف بـ "كاتب جلبي"، وبـ "حاجي خليفة"، أو "الحاج خليفة" (ت ١٠٦٧هـ)، مكتبة المثنى - بغداد، ١٩٤١م، د. ط.
٣٠٢. كَشَفُ الْمُشْكِْلِ مِنْ حَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن - الرياض، د. ط، د. ت.

٣٠٣. الكُتَبَات - مُعْجَم فِي الْمَصْطَلَحَات وَالْفُرُوق اللُّغَوِيَّة، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكَفَوِي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٣٠٤. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٣٠٥. الكُنَاش فِي فَنِّي النُّحُوِّ وَالصَّرْف، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود، المَلِك المؤيَّد صاحب حماة (ت ٧٣٢هـ)، دراسة وتحقيق: د. رياض بن حسن الخوام، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٣٠٦. اللامات، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق: مازن المبارك، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٣٠٧. لباب الآداب، لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٨٧٦هـ)، تحقيق: أحمد حسن ليج، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٣٠٨. لباب التأويل في معاني التنزيل، لأبي الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشحي، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٣٠٩. اللباب فِي عِلَلِ الْبِنَاء وَالْإِعْرَاب، لأبي البقاء مُحَبِّ الدِّين عبد الله بن الحسين العُكْبَرِي البغدادي (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٣١٠. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، المعروف بابن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
٣١١. اللسانيات - المجال، والوظيفة، والمنهج، أ. د. سمير شريف إستيتية، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع - عمّان، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٣١٢. اللسانيات - منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، لحنفي ناصر، ومختار لزعر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ٢٠٠٥م/٠٣، د. ط.

٣١٣. اللسانيات - النشأة والتطور، الأستاذ: أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون - الجزائر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.
٣١٤. اللسانيات واللغة العربية - نماذج تركيبية ودلالية، د. عبد القادر الفاسي الفهري، دار توباق للنشر، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.
٣١٥. اللغة، جوزيف فندريس (ت ١٣٨٠هـ)، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، ١٩٥٠م، د. ط.
٣١٦. اللغة العبرية قواعد ونصوص، د. سيد فرج راشد، دار المريح للنشر - الرياض، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، د. ط.
٣١٧. اللغة والعقل، نعوم تشومسكي، ترجمة: بيداء علي العلكاوي، مراجعة: د. سلمان داؤد الواسطي، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
٣١٨. اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، ترجمة وتعليق: مصطفى التونسي، دار النهضة العربية - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
٣١٩. اللغة والفكر والعالم - دراسة في النسبية اللغوية بين الفرضية والتحقق، د. محيي الدين محسب، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان - الجيزة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٣٢٠. اللغة والفكر والمعنى، د. محمد بوعمامه "جامعة باتنة - الجزائر"، (بحث مُحَكَّم)، مجلة البحوث والدراسات، العدد الرابع، يناير ٢٠٠٧م.
٣٢١. اللغة والمسؤولية (١٩٧٩م)، نعوم تشومسكي، ترجمة وتمهيد وتعليق: د. حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق - القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.
٣٢٢. اللغة ومشكلات المعرفة، نعوم تشومسكي، ترجمة: د. حمزة بن قبلان المزيني، الدار البيضاء، دار توبقال - المغرب، منتديات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
٣٢٣. لقاء مع نعوم تشومسكي (مقال)، د. مازن الوعر، اللسانيات - مجلة في علم اللسان البشري، معهد العلوم اللسانية والصوتية - جامعة الجزائر، العدد السادس، ١٩٨٢م.
٣٢٤. اللوحة في شرح الملح، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن حسن بن سباع الجذامي، المعروف بابن الصائغ (ت ٧٢٠هـ)، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٣٢٥. اللمع في العربية، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية - الكويت، د. ط، د. ت.

٣٢٦. ماذا يُريد العمّ سام؟! لنعم تشومسكي، تعريب: عادل المعلم، تقديم: محمد حسنين هيكل، دار الشروق - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٣٢٧. مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٥ م.
٣٢٨. مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، كاترين فوك، وبيارلي قوفيك، ترجمة: د. المنصف عاشور، إشراف ومراجعة: رايح إسطمبولي، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر، ١٩٨٤ م، د. د. ط.
٣٢٩. مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت ٥١٨ هـ)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد (ت ١٣٩٢ هـ)، دار المعرفة - بيروت، د. د. ط، د. د. ت.
٣٣٠. مجّمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي - القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، د. د. ط.
٣٣١. مجّمع اللغة العربية في ثلاثين عامًا (١٩٣٢ - ١٩٦٢ م)، مجموعة القرارات العلمية، تصدير: إبراهيم مذكور، إخراج وتعليق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد شوقي أمين، الطبعة الثانية - القاهرة، ١٩٧١ م.
٣٣٢. مجمل اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥ هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٣٣٣. المجموع المغيـث في غريبي القرآن والحديث، لأبي موسى محمد بن عمر بن أحمد الأصبهاني المدني (ت ٥٨١ هـ)، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، الناشر: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة، ودار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدّة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، الجزء الأول ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، الجزء الثاني والثالث ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٣٣٤. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
٣٣٥. محاضرات في اللسانيات التداولية، د. خديجة بوخشة، كتاب جامعي لمُسْتَوَى السَّنَةِ الثالثة، د. م، د. ن، د. ت، د. د. ط.

٣٣٦. محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، د. شفيقة العلوي، دار أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
٣٣٧. محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، د. نعمان بوقرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، ٢٠٠٦م، د. ط.
٣٣٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٣٣٩. المُحكّم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هندائي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٣٤٠. مختار الصحاح، لأبي عبد الله زين الدين محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣٤١. المُخصّص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٣٤٢. مدارس اللسانيات - التسابق والتطور، جفري سامسون، ترجمة: د. محمد زياد كبة، مطابع جامعة الملك سعود - الرياض، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، د. ط.
٣٤٣. المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، د. محمد الصغير بناني، دار الحكمة، الجزائر، ٢٠٠١م، د. ط.
٣٤٤. المدارس اللسانية المعاصرة، د. نعمان بوقرة، الناشر: مكتبة الآداب - القاهرة، ٢٠٠٣م، د. ط.
٣٤٥. مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي (ت ١٤٤١هـ)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، د. ط، د. ت.
٣٤٦. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التّوّاب (ت ١٤٢٢هـ)، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٣٤٧. مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها، د. عبد الرحمن السيد، دار المعارف - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٣٤٨. المَدُونَات اللغوية العربية "بناؤها وطرائق الإفادة منها"، أ. د. محمود إسماعيل صالح، أ. عبد الله يحيى الفيحي، د. عبد المحسن عبيد الثبتي، د. عقيل حامد الشمري، د. سلطان ناصر المجبول، تحرير: د. صالح بن فهد العصيمي، مركز الملك عبد الله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
٣٤٩. مِرَاة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لأبي محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت ٧٦٨ هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٣٥٠. مِرَاة الزمان في تواريخ الأعيان، لأبي المظفر شمس الدين يوسف بن قَزْ أُوغلي بن عبد الله، المعروف بـ "سِبْطِ ابْنِ الجوزي" (ت ٦٥٤ هـ)، تحقيق وتعليق: مجموعة من المَحْقِقِينَ، دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
٣٥١. المِرايا المُعَرَّرة - نحو نظرية نقدية عربية، د. عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة - الكويت، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، د. ط.
٣٥٢. المرتجل في شرح الجُمْل، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد، ابن الخشاب (ت ٥٦٧ هـ)، تحقيق ودراسة: علي حيدر، دمشق ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م، د. ن. د. ط.
٣٥٣. مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسين علي بن الحسن بن علي بن عبد الله المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)، تحقيق: شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ٢٠٠٠ م، د. ط.
٣٥٤. المزهري في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
٣٥٥. المساعد على تسهيل الفوائد (شرح لتسهيل الفوائد لابن مالك)، لابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت ٧٦٩ هـ)، تحقيق: د. محمد كامل بركات، دار الفكر - دمشق، دار المدني - جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
٣٥٦. المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي "بحوث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي"، أ. د. خليل أحمد عمايرة، دار وائل للنشر والتوزيع - عمّان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م.
٣٥٧. مسألة احتجاج النحاة بالحديث الشريف في مناهج المُحَدِّثِينَ، (بحث مُحَكَّم)، د. خلود إبراهيم العموش، مجلة جامعة الإمام، العدد العاشر، مُحَرَّم ١٤٣٠ هـ.

٣٥٨. مساوي الأخلاق ومذمومها، لأبي بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاذلي الخرائطي السامري (ت ٣٢٧هـ)، حَقَّقَهُ وَخَرَّجَ نصوصَهُ وَعَلَّقَ عليه: مصطفى بن أبو النصر الشلبي، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع - جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٣٥٩. المستشرقون، نجيب العقيقي (ت ١٤٠٢هـ)، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤م.

٣٦٠. المُسْتَدْرَك على الصَّحِيحَيْن، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٣٦١. مسند أبي داود، لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق: د. محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر - مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٣٦٢. مسند أبي يعلى، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى التميمي الموصلي (ت ٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٣٦٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرين، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٣٦٤. مسند الإمام الشافعي، لأبي عبد الله الشافعي محمد بن إدريس القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ)، رتبته: أبو سعيد علم الدين سنجر بن عبد الله الجاوي (ت ٧٤٥هـ)، حَقَّقَ نصوصَهُ وَخَرَّجَ أحاديثَهُ وَعَلَّقَ عليه: ماهر ياسين فحل، الناشر: شركة غراس للنشر والتوزيع - الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٣٦٥. مُسْنَدُ البَرَّار "البحر الرّخّار"، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي، المعروف بالبَرَّار (ت ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٣٦٦. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي (ت ٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة - تونس، ودار التراث - مصر، د. ط، د. ت.

٣٦٧. مشكلة البنية، أو "أضواء على البنيوية"، د. زكريا إبراهيم، مكتبة مصر - الفجالة، ١٩٧٦م، د. ط.
٣٦٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي (ت ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، د. ط، د. ت.
٣٦٩. المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ماري نوال غاري بريور، ترجمة: عبد القادر فهم الشيباني، الجزائر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، د. ن.
٣٧٠. مصنف عبد الرزاق، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٣٧١. مطالع الأنوار على صحاح الآثار، لأبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن أدهم، ابن قُرقُول الوهراني الحمزي (ت ٥٦٩هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٣٧٢. معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٣٧٣. معاني القرآن، لأبي الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، تحقيق: د. هُدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٣٧٤. معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة الأولى، د. ت.
٣٧٥. معاني القرآن، لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب الكوفي (ت ٢٩١هـ)، تحقيق: د. شاكر سبع نتيش الأسدي، مطبوعات مطبعة الناصرية التجارية - العراق، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م.
٣٧٦. معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الرجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٧٧. المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، د. ط، د. ت.
٣٧٨. معجم ديوان الأدب، لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي (ت ٣٥٠هـ)، تحقيق: د. أحمد مختار عُمَر، مراجعة: د. إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر - القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، د. ط.
٣٧٩. معجم الصَّوَاب اللُّغَوِيّ دليل المثقف العربي، د. أحمد مختار عُمَر (ت ١٤٢٤هـ)، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٣٨٠. معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ(قم) - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٣٨١. معجم الفلاسفة (الفلاسفة - المناطق - المتكلمون - اللاهوتيون - المتصوفون)، إعداد: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦م.
٣٨٢. المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية، د. ط، د. ت.
٣٨٣. معجم اللسانيات الحديثة، سامي عياد حنا، وكريم زكي حسام الدّين، نجيب جريس، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
٣٨٤. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عُمَر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٣٨٥. معجم المؤلفين، عُمَر بن رضا بن محمد راغب كحالة الدمشقي (ت ١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د. ط، د. ت.
٣٨٦. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبوعات المَجْمَع العلمي العراقي، مطبعة المَجْمَع العلمي العراقي - بغداد، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، د. ط.
٣٨٧. المعجم المعياري لشبكات الفصائل النحوية، أ. د. عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع - عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.
٣٨٨. المعجم المُفصل في الأدب، د. محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٣٨٩. المعجم الوسيط، لِمَجْمَع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمّد النجار)، دار الدعوة، د. م، د. ط، د. ت.
٣٩٠. معرفة أنواع علوم الحديث، المشهور بـ"مقدمة ابن الصلاح"، لأبي عمرو تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن، المعروف بابن الصّلاح (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: عبد اللطيف الهميم، وماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٣٩١. معرفة الصحابة، لأبي نُعَيْم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٣٩٢. المعرفة اللغوية "طبيعتها، وأصولها، واستخدامها"، نعم تشومسكي، ترجمة وتعليق وتقديم: د. محمّد فتيح، دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٣٩٣. مُغْنِي اللبيب عَنْ كُتُبِ الأعراب، لأبي مُحمّد جمال الدّين عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمّد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.
٣٩٤. مفاتيح الألسنية، جورج موان، تعريب: الطيب البكوش، تقديم: صالح القرماضي، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، تونس، ١٩٩٤م، د. ط.
٣٩٥. مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، لأبي عبد الله محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بِقُحْرِ الدّين الرازي، خطيب الرّيّ (ت ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣٩٦. مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمّد بن علي السّكّاكّي الخوارزمي الحنفي (ت ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٣٩٧. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمّد، المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٣٩٨. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي (ت ١٤٠٨هـ)، الناشر: دار الساقى - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣٩٩. المُفَصَّل في صَنَعَةِ الإِعْرَاب، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٤٠٠. المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي المالكي، الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق: مجموعة مِنَ الْمُحَقِّقِينَ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٤٠١. المقاصد النحوية في شَرْحِ شواهد شروح الألفية، المشهور بـ "شرح الشواهد الكبرى"، لأبي محمد بَدْر الدِّين محمود بن أحمد بن موسى العيني (ت ٨٥٥هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٤٠٢. مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، د. م. د. ط.

٤٠٣. المُقْتَضَب، لأبي العباس محمد بن يزيد الأزدي، المعروف بالمُبَرَّد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، الناشر: عالم الكتب - بيروت، ١٩٦٣م، د. ط.

٤٠٤. المقدمات في الجغرافيا الطبيعية، د. عبد العزيز طريح شرف، مركز الإسكندرية للكتاب - الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

٤٠٥. مُقَدِّمَةُ ابن خَلْدُون، الموسومة بـ "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر وَمِنْ عَاصِرِهِمْ مِنْ ذَوِي الشَّأْنِ الْأَكْبَرِ"، لأبي زَيْدٍ وَلِيِّ الدِّين عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد، المعروف بِابْنِ خَلْدُون الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ)، تحقيق: أ. خليل شحادة، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤٠٦. مقدمة شرح نهج البلاغة، كمال الدِّين مَيْثَم بن علي البحراني (ت ٦٨١هـ)، تقديم وتحقيق: د. عبد القادر حسين، دار الشروق، بيروت - لبنان، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤٠٧. المُقَرَّب، لعلي بن مؤمن الإشبيلي الأندلسي، المعروف بابن عصفور (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق: أحمد عبد الستار الجوارى، وعبد الله الجبوري، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، د. ن. د. م.

٤٠٨. المُفَنِّع في علوم الحديث، لأبي حفص سراج الدِّين عُمَر بن علي الشافعي المصري، الشهير بابن المُلَقِّن (ت ٨٠٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، دار فواز للنشر - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٤٠٩. ملحة الإعراب، لأبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري (ت ٥١٦هـ)، دار السلام - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٤١٠. من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس (ت ١٣٩٧هـ)، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٧٨م.
٤١١. من الأنماط التحويلية في النحو العربي، د. محمد حماسة عبد اللطيف (ت ١٤٣٧هـ)، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
٤١٢. مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان (ت ١٤٣٢هـ)، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، ١٩٩٠م، د. ط.
٤١٣. مناهج البحث اللغوي، (بحث مُحَكَّم)، د. عبد القادر شاكر، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم - الجزائر، العدد التاسع، ٢٠٠٩م.
٤١٤. مناهج علم اللغة، من هرمان باول إلى ناعوم تشومسكي، تأليف: بريجيت بارثشت، ترجمة وتعليق: أ. د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٤١٥. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٤١٦. المنصف للسارق والمسروق منه، لأبي محمد الحسن بن علي الضبي التنبسي، المعروف بابن وكيع (ت ٣٩٣هـ)، حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ: عمر خليفة بن إدريس، الناشر: جامعة قان يونس، بنغازي - ليبيا، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
٤١٧. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لأبي الحسن حازم بن محمد بن حسن القرطاجني (ت ٦٨٤هـ)، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي - تونس، د. ط، د. ت.
٤١٨. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا مُحيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
٤١٩. موجز دائرة المعارف الإسلامية، تحرير: م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، الأجزاء (أ) إلى (ع): إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس، الأجزاء من (ع) إلى (ي): ترجمة: نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية، المراجعة والإشراف العلمي: أ. د. حسن حبشي، أ. د. عبد الرحمن

- عبد الله الشيخ، أ. د. محمد عناني، الناشر: مركز الشارقة للإبداع الفكري - الإمارات، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
٤٢٠. الموجز في قواعد اللغة العربية، د. سعيد محمد الأفغاني (ت ١٤١٧ هـ)، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، د. ط.
٤٢١. موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، إعداد الأستاذ: روني إيلي ألفا، قدّم له الرئيس: شارل حلو، مراجعة: د. جورج نخل، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
٤٢٢. الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف: محمد شفيق غربال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، طبعة ١٩٦٥ م.
٤٢٣. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد ابن محمد صابر الفاروقي الحنفي التّهائوي (ت ١١٥٨ هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النصّ الفارسيّ إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م.
٤٢٤. موسوعة النحو والصرف والإعراب، د. إميل بديع يعقوب، د. ن. د. م. د. ط. د. ت.
٤٢٥. موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، لزيّن الدّين خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهرى المصري، المعروف بالوفّاد (ت ٩٠٥ هـ)، تحقيق: عبد الكريم مجاهد، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٦ م.
٤٢٦. الموطأ، للإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت ١٧٩ هـ)، رقمه وخَرَجَ أحاديثه وعلّق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م، د. ط.
٤٢٧. موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، د. خديجة الحديثي (ت ١٤٣٩ هـ)، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد - العراق، ١٩٨١ م، د. ط.
٤٢٨. النثر في عصر صدر الإسلام (نهج البلاغة نموذجاً)، د. يُسري عبد الغنيّ عبد الله، كتاب إلكتروني، منشورات صفحة البلاغة الرحبة، الطبعة الأولى، ٢٠١٧ م، د. ن. د. م.
٤٢٩. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لأبي المحاسن جمال الدّين يوسف بن تغري بَرْدَى (ت ٨٧٤ هـ)، وزارة الثقافة، دار الكتب - مصر، ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م، د. ط.
٤٣٠. النحو العربي والدرس الحديث - بحثٌ في المنهج، د. عبده الراجحي (ت ١٤٣١ هـ)، دار النهضة العربية - بيروت، ١٩٧٩ م، د. ط.

٤٣١. النحو المصّفى، د. محمد عيد، مكتبة الشباب، المنيرة - القاهرة، ١٩٧٥م، د. ط.
٤٣٢. نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، د. مازن الوعر (ت ١٤٣٠هـ)، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
٤٣٣. النحو الوافي، لعبّاس حسن (ت ١٣٩٨هـ)، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة الخامسة عشرة، د. ت.
٤٣٤. نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار، لأبي محمد بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الغيتابي الحنفي العيني (ت ٨٥٥هـ)، المحقق: أبو تميم ياسر ابن إبراهيم، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٤٣٥. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٤٣٦. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لأبي الفضل أحمد بن علي ابن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٤٣٧. نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٤٣٨. نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية - الأسس والمفاهيم، (بحثٌ مُحَكَّمٌ)، د. مختار درقاوي "تخصص لسانيات، جامعة حسينية بن بوعلي - الشلف"، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب والفلسفة، العدد الثالث عشر، ٢٠١٥م.
٤٣٩. نظرية تشومسكي اللغوية، تأليف: جون ليونز، ترجمة: د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
٤٤٠. نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمُحدّثين، د. حسن خميس سعيد الملوخ، دار الشروق للطباعة، عمّان، الأردن - رام الله، فلسطين، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
٤٤١. نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، د. نهاد موسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ١٩٨٠م، د. ط.

٤٤٢. نفح الطيب مِنْ غصن الأندلس الرطيب، لِشهاب الدِّين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.
٤٤٣. النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ستانلي إدغار هايمن (ت ١٣٩٠هـ)، ترجمة: د. إحسان عباس، دار الثقافة - بيروت، الطبعة: الأولى، الجزء الأول: ١٩٥٨م، الجزء الثاني: ١٩٦٠م.
٤٤٤. نُقْد النثر، لأبي الفَرَج قُدَامَة بن جعفر البغدادي (ت ٣٣٧هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، د. ط.
٤٤٥. النُّكْت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، لأبي محمد نَجْم الدِّين عُمارة بن علي بن زيدان الحكمي المذحجي اليمني (ت ٥٦٩هـ)، اعتنى بتصحيحه: هرتويغ درنبرغ، الناشر: مطبعة مَرْسُو بمدينة شَالُون - باريس، عام النشر: ١٨٩٧م، د. ط.
٤٤٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات مَجْد الدِّين المبارك بن محمد بن محمد بن محمد الشيباني الجزري، ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٤٤٧. نَيْل الابتهاج بتطريز الديباج، لأبي العباس أحمد بابا ابن أحمد ابن الفقيه الحاج أحمد ابن عمر بن محمد التكروري التُّنْبُكْتِي السوداني (ت ١٠٣٦هـ)، عناية وتقديم: د. عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.
٤٤٨. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وَجُمْل مِنْ فنون علومه، لأبي محمد مَكِّي بن أبي طالب حَمَّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د. الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسُّنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٤٤٩. هدية العارفين - أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل بن محمد أمين بن الباباني البغدادي (ت ١٣٩٩هـ)، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية إستانبول، ١٩٥١م، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د. ط.
٤٥٠. هَمْعُ الهوامع في شَرْحِ جَمْعِ الجوامع، لِجَلال الدِّين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية - مصر، د. ط، د. ت.

٤٥١. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، د. ط.
٤٥٢. الوجيز في قصة الحضارة، ول ديورانت (ت ١٩٨١م)، أوجزّه د. غازي مختار طليمات، دار طلاس - دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
٤٥٣. الوحي المحمدي، لمحمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٤٥٤. الوساطة بين المتنبّي وخصومه، لأبي الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه) - مصر، د. ط، د. ت.
٤٥٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم، المشهور بابن خلّكان البرمكي (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ١٩٩٤م، د. ط.
٤٥٦. ويكيبيديا - الموسوعة الحرة، على الشبكة العنكبوتية "الإنترنت"، رابط الموقع: <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

المصادر والمراجع الأجنبية

1. Bloomfield, Leonard (1933). Language. University of Chicago Press.
2. Chomsky, Naom (2006). The Architecture of language. Oxford University Press.
3. Chomsky, Naom (1998). Aspects of the theory of syntax. The M. I. T. Press: Cambridge.
4. Chomsky, Naom (1986). Knowledge of language: Its Nature, origin and use.
5. Chomsky, Naom (1980). Essays on Form and Interpretation, Elsevier, north Holland Inc.
6. Chomsky, Naom (1979). Language and Responsibility. Pantheon.
7. Chomsky, Naom (1977). Reflections on language. Pantheon: New York, Pantheon.
8. Chomsky, Naom (1976). Syntactic structures, The Hague, Paris.
9. Chomsky, Naom (1975a). Studies on semantics in generative grammar. The Hague Mouton.
10. Chomsky, Naom (1975b). Current Issues in Linguistic theory: The Hague, Mouton.
11. Chomsky, Naom (1975c). The Logical Structure of Linguistic Theory. New York, London, Plenum.
12. Chomsky, Naom and M. Halle (1973). The sound pattern of English, New York and London, Harper Row.
13. Chomsky, Naom (1971). Problems of Knowledge and Freedom. Basic Books: New York.
14. Chomsky, Naom (1969). Cartesian Linguistics: A chapter in History of Rationalist thought. Harper Row: New York and London.
15. Chomsky, Naom (1968). Language and mind. Harcourt Brace Jevanovich: New York.
16. Chomsky, Naom (1951). Morphophonemics of modern Hebrew – mimeographed. Unpublished Master thesis. University of Penna – Philadelphia. U.S.A.
17. Hokett Charles F. (1958). A Course in Modern Linguistics. Oxford & Ibh Publishing Co.